
Bibliotheca Alexandrina
0113601



للمحدث الشهير والفقيه النبيل

علي بن سلطان محمد القاري رحمه الباري

المتوفى ١٠١٤ هـ

الجزء التاسع

الناشر
دار الكتاب الإسلامي
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

★(باب الفأل و الطيرة) ★ (الفصل الاول) ★ عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاطيرة و خيرها الفأل قالوا و ما الفأل قال الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم

★ (باب الفأل و الطيرة) ★ الفأل بالهمز و أكثر أستعماله بالابدال وفى النهاية الفأل مهموز فيما يسر ويسوء و الطيرة بكسر الطاء و فتح الياء وقد تسكن لاتكون الا فيما يسوء وربما استعملت فيما يسر و فى القاموس الفأل ضد الطيرة كان يسمع مريض يا سالم أو طالب يا واجد و يستعمل فى الخير و الشر و الطيرة مايتشائم به من الفأل الردئ قلت المستفاد من القاموس ان الفأل مختص بالخير و قد يستعمل فى الشر و الطيرة لاتستعمل الا فى الشر فهما ضدان فى أصل الوضع و المفهوم من النهاية ان الفأل أعم من الطيرة فى أصل الوضع و مترادفان فى بعض الاستعمال و المفهوم من الاحاديث أن الطيرة أعم من الفأل منها ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم كما سيأتى لاطيرة و خيرها الفأل و مما يدل على انها أعم أيضا مأخذ اشتقاقه من ان الطيرة مصدر تطير يقال تطير طيرة و تخير خيرة و لم يجئ من المصادر هكذا غيرهما و أصله فيما يقال التطير بالسوانح و البوارح من الطير و الظباء و غيرهما و كان ذلك يصدهم عن مقاصدهم فنفاه الشرع و أبطله و نهاهم عنه و أخبر انه ليس له تأثير فى جلب نفع أو دفع ضر كذا ذكره فى النهاية و قال شارح لايجوز العمل بالطيرة و هى التفاؤل بالطير و التشاؤم بها كانوا يجعلون العبرة فى ذلك تارة بالاسماء و تارة بالاصوات و تارة بالسنوح والبروح و كانوا يهيجونها من أماكنها لذلك ثم البارح هو الصيد الذى يمر على ميامنك الى مياسرك و السانح عكس ذلك و هذا ما ظهر لى فى هذا المقام من التحقيق و الله ولى التوفيق و قال الطيبى الفرق بين الفأل و الطيرة يفهم مما روى أنس مرفوعا انه قال لاعدوى و لاطيرة و يعجبنى الفأل قالوا و ما الفأل قال كلمة طيبة قلت و ما أحسن هذا المقال حيث نفى الطيرة بعمومها و اختار فردا خاصا من أحد نوعيها و هى الكلمة الطيبة

★ (الفصل الاول) ★ (عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاطيرة) أى لاعبرة بالتطير تشاؤما و تفاؤلا (و خيرها) أى خير أنواع الطيرة بالمعنى اللغوى الاعم من المأخذ الاصلى (الفأل) أى الفأل الحسن بالكلمة الطيبة لا المأخوذ من الطيرة و لعل شارحا أراد دفع هذا الاشكال فقال أى الفأل خير من الطيرة اه ومعناه أن الفأل محض خير كما أن الطيرة محض شر فالتركيب من قبيل العسل أحلى من الخل و الشتاء أبرد من الصيف قال الطيبى الضمير المؤنث راجع الى الطيرة و قد علم انه لا خير فيها فهو كقوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا أو هذا مبنى على زعمهم أو هو من باب قولهم الصيف أحر من الشتاء أى الفأل فى بابه أبلغ من الطيرة فى بابها (قالوا و ما الفأل) و انما نشأ هذا السؤال لما فى نفوسهم من عموم الطيرة الشامل للتشاؤم و التفاؤل المتعارف فيما بينهم (قال) اشارة الى انه فرد خاص خارج عن العرف العام معتبر عند خواص الانام و هو قوله (الكلمة الصالحة) أى الطيبة الصالحة لان يؤخذ منها الفأل الحسن (يسمعها) أى تلك الكلمة (أحدكم) أى على قصد التفاؤل كطالب ضالة يا واجد و كتاجر يا رازق و كمسافر يا سالم و كخارج لحاجة يا نجيح و كغاز يا منصور و كحاج يا مبرور و كزائر يا مقبول و أمثال ذلك و الجملة استئناف بيان أو حال قال الطيبى و معنى الترخص فى الفأل و المنع من الطيرة هو ان الشخص لو رأى شيأ و ظنه حسنا و حرضه على طلب حاجته فليفعل ذلك و اذا رأى مابعده مشؤما و يمنعه من المضى الى حاجته فلايجوز قبوله بل يمضى لسبيله فاذا قبل و انتهى عن المضى فى طلب حاجته فهو الطيرة لانها اختصت أن تستعمل فى الشؤم قال تعالى انا تطيرنا بكم أى تشاءمنا و قال طائركم معكم أى سبب شؤمكم

متفق عليه ★ و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لا عدوى و لا طيرة و لا هامة

(متفق عليه ★ وعنه) أى عن أبى هريرة (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاعدوى) بفتح فسكون ففتح و فى القاموس انه الفساد و قال التوربشتى العدوى هنا مجاوزة العلة من صاحبها الى غيره يقال أعدى فلان فلانا من خلقه أو من غرته و ذلک على ما يذهب اليه المتطببة فى علل سبع الجذام والجرب و الجدرى و الحصبة و البخر و الرمد و الامراض الوبائية و قد اختلف العلماء فى التاويل فمنهم من يقول المراد منه نفى ذلک و ابطاله على ما يدل عليه ظاهر الحديث و القرائن المنسوقة على العدوى و هم الاكثرون و منهم من يرى انه لم يرد ابطالها فقد قال صلى‌الله‌عليه‌وسلم فر من المجذوم فرارك من الاسد و قال لايوردن ذو عاهة على مصح و أنما أراد بذلک نفى ما كان يعتقده أصحاب الطبيعة فانهم كانوا يرون العلل المعدية مؤثرة لامحالة فاعلمهم بقوله هذا ان ليس الامر على ما يتوهمون بل هو متعلق بالمشيئة ان شاء كان و ان لم يشاء لم يكن و يشير الى هذا المعنى قوله فمن أعدى الاول أى ان كنتم ترون أن السبب فى ذلک العدوى لا غير فمن أعدى الاول وبين بقوله فر من المجذوم وبقوله لا يوردن ذو عاهة على مصح ان مداناة ذلک بسبب العلة فليتقه اتقاءه من الجدار المائل و السفينة المعيوبة وقد رد الفرقة الاولى على الثانية فى استدلالهم بالحديثين أن النهى فيهما انما جاء شفقا على مباشرة أحد الامرين فتصيبه علة فى نفسه أو عاهة فى ابله فيعتقد أن العدوى حق قلت و قد اختاره العسقلانى فى شرح النخبة و بسطنا الكلام معه فى شرح الشرح و مجمله انه يرد عليه اجتنابه عليه السلام عن المجذوم عند ارادة المبايعة مع أن منصب النبوة بعيد من أن يورد لحسم مادة ظن العدوى كلاما يكون مادة لظنها أيضا فان الامر بالتجنب أظهر من فتح مادة ظن أن العدوى لها تاثير بالطبع وعلى كل تقدير فلادلالة أصلا على نفى العدوى مبينا و الله أعلم قال الشيخ التوربشتى و أرى القول الثانى أولى التاويلين لما فيه من التوفيق بين الأحاديث الواردة فيه ثم لان القول الاول يفضى الى تعطيل الاصول الطبية و لم يرد الشرع بتعطيلها بل ورد باثباتها والعبرة بها على الوجه الذى ذكرناه وأما استدلالهم بالقرائن المنسوقة عليها فانا قد وجدنا الشارع يجمع فى النهى بين ما هو حرام و بين ما هو مكروه وبين ما ينهى عنه لمعنى و بين ما ينهى عنه لمعان كثيرة و يدل على صحة ما ذكرنا قوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم للمجذوم المبايع قد بايعناك فارجع فى حديث الشريد بن سويد الثقفى وهو مذكور بعد وقوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم للمجذوم الذى أخذ بيده فوضعها معه فى القصعة كل ثقة بالله و توكلا عليه و لا سبيل الى التوفيق بين هذين الحديثين الا من هذا الوجه بين بالاول التوقى من أسباب التلف و بالثانى التوكل على الله جل جلاله و لا اله غيره فى متاركة الاسباب و هو حاله اه و هو جمع حسن فى غاية التحقيق و الله ولى التوفيق (و لا طيرة) نفى معناه النهى كقوله تعالى لا ريب فيه على وجه (و لا هامة) بتخفيف الميم فى الاصول المعتمدة و النسخ المصححة وهى اسم طير يتشائم به الناس و هى الصدى وهو طير كبير يضعف بصره بالنهار و يطير بالليل و يصوت و يسكن الخراب ويقال له بوم وقيل كوف وكانت العرب تزعم أن عظام الميت اذا بليت و عدمت تصير هامة و تخرج من القبر و تتردد و تأتى باخبار أهله و قيل كانت تزعم ان روح القتيل الذى لا يدرك بثاره تصير هامة فتقول اسقونى اسقونى فاذا أدرك بثاره طارت فابطل صلى‌الله عليه‌وسلم هذا الاعتقاد قال أبوداود فى سننه قال بقية سألت محمد بن راشد عن قوله لا هامة فقال كان أهل الجاهلية يقولون ليس أحد يموت فيدفن الاخرج من قبره هامة و قال النووى هى بتخفيف الميم على المشهور وقيل بتشديدها و فيها تأويلان أحدهما أن العرب كانت تتشائم بها وهى من طير الليل و قيل

.و لاصفر و فر من المجذوم كما تفر من الاسد رواه البخاري ★ وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عدوى و لا هامة و لا صفر فقال اعرابي يا رسول الله فما بال الابل تكون في الرمل لكانها الظباء فيخالطها البعير الاجرب فيجربها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أعدى الاول رواه البخاري ★ و عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عدوى و لا هامة و لا نوء

هي البومة قالوا كانت اذا سقطت على دار أحدهم يراها ناعية له نفسه أو بعض أهله و هو تفسير مالك ابن أنس وثانيهما كانت العرب تزعم أن عظام الميت و قيل روحه تنقلب هامة تطير و هذا تفسير أكثر العلماء و هو المشهور و يجوز أن يكون المراد النوعين معا فانهما باطلان (و لا صفر) قال شارح كانت العرب يزعمون انه حية في البطن و اللدغ الذي يجده الانسان عند جوعة من عضه قال أبوداود في سننه قال بقية سألت محمد بن راشد عنه قال كانوا يتشاءمون بدخول صفر فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصفر قال و سمعت من يقول هو وجع يأخذ في البطن يزعمون انه يعدى قال أبوداود و قال مالك كان أهل الجاهلية يحلون صفرا عاما و يحرمونه عاما فقال صلى الله عليه وسلم لا صفر قال النووي قيل كانت العرب تعتقد أن في البطن دابة تهيج عند الجوع و ربما قتلت صاحبها و كانت العرب تراها أعدى من الجرب و هذا التفسير هو الصحيح و به قال مطرف و ابن عبيد و غيرهم و قد ذكره مسلم عن جابر بن عبد الله راوي الحديث فتعين اعتماده قلت الاظهر الجمع بين المعاني فانها كلها باطلة كما سبق نظيره قال القاضي و يحتمل أن يكون نفيا لما يتوهم ان شهر صفر تكثر فيه الدواهي و الفتن (و فر) بكسر الفاء و تشديد الراء المفتوحة و يجوز كسرها أي اشرد و بالغ في الاجتناب و الاحتراز (من المجذوم) أي الذي به جذام بضم أوله و هو تشقق الجلد و تقطع اللحم و تساقطه و الفعل منه جذم على بناء المفعول (كما تفر من الاسد) و قد تقدم ان هذا رخصة للضعفاء وتركه جائز للاقوياء بناء على أن الجذام من الامراض المعدية فيعدى باذن الله فيحصل منه ضرر و معنى لا عدوى نفي ما كانوا عليه من أن المرض يعدى بطبعه لا بفعله سبحانه و لعل تخصيص المجذوم لانه أشد تاثيرا من العلل المعدية و يؤيده ما رواه ابن عدي عن ابن عمر مرفوعا ان كان شئ من الداء يعدى فهو هذا يعني الجذام (رواه البخاري) أي الحديث بكماله و الا فقوله لا عدوى و لاصفر و لا هامة رواه أحمد والشيخان وأبوداود عن أبي هريرة وأحمد و مسلم عن السائب بن يزيد (★ و عنه) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عدوى و لا هامة و لا صفر فقال اعرابي يا رسول الله فما بال الابل) أي ما شأن جماعة منها (تكون في الرمل) هو خبر تكون وقوله (لكانها) أي الابل (الظباء) بكسر أوله جمع الظبي حال من المستكن في الخبر و هو تتميم لمعنى النقاوة لانه اذا كان في التراب ربما يلصق به شئ (فيخالطها البعير الاجرب) أي الذي فيه جرب و حكة (فيجربها) من الاجراب أي يجعلها جربة باعدائها (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أعدى الاول) أي ان كان جربها حصل بالاعداء فمن أعدى البعير الاول و المعنى من أوصل الجرب اليه يبني بناء الاعداء عليه بل الكل بقضائه و قدره في أول أمره و آخره قال الطيبي و أنما أتى بمن و الظاهر أن يقال فما أعدى الاول ليجاب بقوله الله تعالى أي الله أعدى لا غيره و ذكر أعدى للمشاكلة و الازدواج كما في قوله كما تدين تدان يعني وكان الظاهر أن يقول فمن أعطى تلك العلة (رواه البخاري) و في الجامع انقوله فمن أعدى الاول رواه الشيخان وأبوداود عنه (★ وعنه) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا هامة ولا نوء) بفتح فسكون أي طلوع نجم وغروب ما يقابله أحدهما في المشرق والآخر بالمغرب وكانوا يعتقدون انه لابد عنده من مطر

و لا صفر رواه مسلم ★ وعن جابر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لاعدوى ولاصفر ولاغول رواه مسلم ★ وعن عمرو بن الشريد عن أبيه

أو ريح ينسبونه الى الطالع أو الغارب فنفى صلى الله عليه وسلم صحة ذلک و قال شارح النوء سقوط نجم من منازل القمر مع طلوع الصبح و هي ثمانية وعشرون نجما يسقط فى كل ثلاث عشرة ليلة نجم منها فى المغرب مع طلوع الفجر و يطلع آخر مقابله فى المشرق من ساعته فى النهاية الانواء منازل القمر و كانت العرب تزعم أن عند كل نوء مطرا و ينسبونه اليه فيقولون مطرنا بنوء كذا و انما سمى نوأ لانه اذا سقط الساقط منها بالمغرب فالطالع بالمشرق ينوء نوأ أى ينهض و يطلع و قيل أراد بالنوء الغروب و هو من الاضداد قال أبو عبيد لم يسمع فى النوء أنه السقوط الا فى هذا الموضع و انما غلظ النبي صلى الله عليه وسلم فى أمر الانواء لان العرب كانت تنسب المطر اليها فاما من جعل المطر من فعل الله و أراد بقوله مطرنا بنوء كذا أى فى وقت كذا و هو هذا النوء الفلانى فان ذلک جائز أى أن الله تعالى قد أجرى العادة أن يأتى المطر فى هذه الاوقات ذكره الطيبي و الاظهر ان النهى على اطلاقه حسما لمادة فساد الاعتقاد و لانه لم يرد ما يدل على جوازه و حاصل المعنى لاتقولوا مطرنا بنوء كذا بل قولوا مطرنا بفضل الله تعالى (و لا صفر رواه مسلم ★ وعن جابر رضى الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لاعدوى و لا صفر و لا غول) بالضم قال شارح الغول بالفتح المصدر و معناه البعد و الاهلاک و بضم الغين الاسم منه و هو من السعالى و فى النهاية أن الغول أحد الغيلان و هى جنس من الجن و الشياطين كانت العرب تزعم أن الغول فى الفلاة تتراءى للناس أى فتتغول تغولا أى تتلون فى صور شتى وتغولهم أى تضلهم عن الطريق و تهلكهم فنفاه النبي صلى الله عليه وسلم و قيل قوله لا غول ليس نفيا لعين الغول و وجوده و انما فيه ابطال زعم العرب فى تلونه بالصور المختلفة واغتياله فيكون المعنى بقوله لا غول انها لاتستطيع أن تضل أحدا و يشهد له الحديث الآخر لا غول و لكن السعالى و السعالى سحرة الجن أى و لكن فى الجنة سحرة لهم تلبيس و تخييل و منه الحديث اذا تغولت الغيلان فبادروا بالاذان أى أدفعوا شرها بذكر الله تعالى وهذا يدل على ثبوتها لا عدمها و منه حديث أبى أيوب كان لى ثمرة فى سهوة فكانت الغول تجيء فتأخذه و فى شرح التوربشتى قال الطحاوى يحتمل أن الغول قد كان ثم رفعه الله تعالى عن عباده و عن بعضهم هذا ليس ببعيد لانه يحتمل أنه من خصائص بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم و نظيره منع الشياطين من استراق السمع بالشهاب الثاقب قلت ثبت العرش ثم انقش فان الامر لايثبت بالقياس و لا بالاحتمال والله أعلم بالحال قال الطيبي أن لا التى لنفى الجنس دخلت على المذكورات و نفت ذواتها وهى غير منفية فتوجه النفى الى أوصافها وأحوالها التى هى مخالفة للشرع فان العدوى و صفر و الهامة و النوء موجودة و المنفى هو ما زعمت الجاهلية أثباتها فان نفى الذات لارادة نفى الصفات أبلغ لانه من باب الكناية و قريب منه قوله تعالى فلاتموتن الا و أنتم مسلمون فنهاهم عن الموت و هو ليس بمقدورهم فالمنهى هو حالة اذا أدركهم الموت لم يجدهم عليها و هى أن يكونوا على غير ملة الاسلام فالوجه ما ذهب اليه صاحب النهاية من الوجه الثانى و اختاره الشيخ التوربشتى (رواه مسلم) وكذا أحمد (★ وعن عمرو بن الشريد) رضى الله عنه بفتح فكسر قال المؤلف ثقفى تابعى عداده فى أهل الطائف سمع ابن عباس و أباه و أبا رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم روى عنه صالح بن دينار و ابراهيم بن ميسرة (عن أبيه) قال المؤلف هو شريد بن سويد الثقفى و يقال أنه من حضرموت و عداده فى ثقيف و قيل يعد فى أهل الطائف و حديثه

قال كان فى وفد ثقيف رجل مجذوم فأرسل اليه النبى صلى الله عليه وسلم انا قد بايعناك فأرجع رواه مسلم ★ (الفصل الثانى) ★ عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتفاؤل و لا يتطير و كان يحب الاسم الحسن رواه فى شرح السنة ★ و عن قطن بن قبيصة عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال العيافة و الطرق و الطيرة من الجبت رواه أبوداود ★ و عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الطيرة شرك

فى الحجازيين روى عنه نفر (قال كان فى وفد ثقيف) بفتح فكسر قبيلة مشهورة (رجل مجذوم) أى و أراد أن يأتى النبى صلى الله عليه وسلم ليبايعه (فأرسل اليه النبى صلى الله عليه وسلم انا) أى بانا أو قائلا انا (قد بايعناك) أى بالقول من غير أخذ اليد فى العهد (فارجع) قال الطيبى هذا ارشاد الى رخصة من النبى صلى الله عليه وسلم لمن لم يكن له درجة التوكل أن يراعى الاسباب فان لكل شئ من الموجودات خاصية و أثرا أودعها فيه الحكيم جل و علا (رواه مسلم)

★ (الفصل الثانى) ★ (عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتفاءل) من باب التفاعل و فى نسخة من باب التفعل أى يطلب الفال الحسن ويتبعه (و لا يتطير) أى لا يتشائم بشئ (و كان يحب الاسم الحسن) أى و يتفاءل به و بمفهومه أنه كان يكره الاسم القبيح و يتشائم به و ليس كذلك لعموم قوله و لا يتطير نعم كان يغير الاسم القبيح و يبدله باسم حسن كما وقع له فى كثير من الاسماء و بهذا يظهر وجه ضعف قول الطيبى أنه بيان لتفاؤله صلى الله عليه وسلم لانه لم يتجاوز عن ذلك و يدل عليه حديث أنس و بريدة كما سيجئ قلت و الكلام عليه أيضا سيجئ (رواه) أى البغوى (فى شرح السنة) و كان المؤلف ما بلغه أن الامام أحمد رواه فى مسنده بسند حسن عنه (★ و عن قطن) رضى الله عنه بفتح أوله (ابن قبيصة) بفتح فكسر قال المؤلف هلالى عداده فى أهل البصرة روى عن أبيه و عنه حبان بن علاء و كان قطن شريفا و ولى سجستان (عن أبيه) قال المؤلف هو قبيصة بن مخارق الهلالى وفد على النبى صلى الله عليه وسلم عداده فى أهل البصرة روى عنه ابنه قطن و أبو عثمان النهدى و غيرهما (أن النبى صلى الله عليه وسلم قال العيافة) بكسر العين و هى زجر الطير و التفاؤل و الاعتبار فى ذلك بأسمائها كما يتفاؤل بالعقاب على العقاب و بالغراب على الغربة وبالهدهد على الهدى و الفرق بينهما و بين الطيرة أن الطيرة هى التشائم بها وقد تستعمل فى التشاؤم بغير الطير من حيوان و غيره و فى النهاية العيافة زجر الطير و التفاؤل بأسمائها وأصواتها و ممرها و هو من عادة العرب و هو كثير فى أشعارهم و بنو أسد يذكرون بالعيافة و يوصفون بها (و الطرق) بفتح فسكون و هو الضرب بالحصى الذى يفعله النساء و قيل هو الخط فى الرمل كذا فى النهاية و اقتصر الفائق على الاول و أنشد قول لبيد

لعمرك ما تدرى الطوارق بالحصى ★ و لا زاجرات الطير ما الله صانع

و الحاصل أنه نوع من التكهن (و الطيرة) أى ثلاثتها (من الجبت) و هو السحر و الكهانة على ما فى الفائق و قيل هو كل ما عبد من دون الله فالمعنى أنها ناشئة من الشرك و قيل هو الساحر و الاظهر أنه الشيطان و المعنى أنها من عمل الجبت (رواه أبو داود ★ و عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الطيرة شرك) أى لاعتقادهم أن الطيرة تجلب لهم نفعا أو تدفع عنهم ضرا فاذا عملوا بموجبها فكانهم أشركوا بالله فى ذلك و يسمى شركا خفيا و قال شارح يعنى من اعتقد أن شيأ سوى الله ينفع أو يضر بالاستقلال فقد أشرك أى شركا جليا و قال القاضى

قاله ثلاثا و ما منا الا و لكن الله يذهبه بالتوكل رواه أبوداود و الترمذى و قال سمعت محمد بن اسمعيل يقول كان سليمان بن حرب يقول فى هذا الحديث و ما منا الا و لكن الله يذهبه بالتوكل هذا عندى قول ابن مسعود.

انما سماها شركا لانهم كانوا يرون ما يتشاءمون به سببا مؤثرا فى حصول المكروه و ملاحظة الاسباب فى الجملة شرك خفى فكيف اذا انضم اليها جهالة و سوء اعتقاد (قاله ثلاثا) مبالغة فى الزجر عنها (و ما منا) أى أحد (الا) أى الا من يخطر له من جهة الطيرة شئى ما لتعود النفوس بها فحذف المستثنى كراهة أن يتفوه به قال التوربشتى أى الا من يعرض له الوهم من قبل الطيرة وكره أن يتم كلامه ذلك لما يتضمنه من الحالة المكروهة و هذا نوع من أدب الكلام يكتفى دون المكروه منه بالاشارة فلا يضرب لنفسه مثل السوء (و لكن الله) الرواية بتشديد النون ونصب الجلالة و يجوز تخفيفه ورفعها (يذهبه) بضم الياء من الاذهاب على ما فى الاصول المعتمدة و النسخ المصححة أى يزيل ذلك الوهم المكروه (بالتوكل) أى بسبب الاعتماد عليه و الاستناد اليه سبحانه و حاصله أن الخطرة ليس بها عبرة فان وقعت غفلة لابد من رجعة و أوبة من حوبة كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من حديث عبد الله ابن عمرو برواية أحمد والطبرانى و لفظه من ردته الطيرة من حاجة فقد أشرك و كفارة ذلك أن يقول اللهم لا خير الا خيرك و لا طير الا طيرك و لا اله غيرك و سيأتى فى الفصل الثالث ما ينصره و أغرب الطيبى فى اشتغاله بالمبنى و غفلته عن المعنى فقال فى قوله يذهبه بالتوكل جاء بفتح الياء و ضمها و على الثانى اجتمع فيه حرفا التعدية للتأكيد والمراد بالاذهاب ما يخطر فى قلب المؤمن من لمة الملك المذهبة للمة الشيطان اه و فيه أبحاث ثلاثة أما الاول فقوله بفتح الياء غير صحيح لانه يصير فعلا لازما و قد اجتمعت النسخ على وجود الضمير البارز و على تقدير عدمه يختل المعنى اذ يصير التقدير و لكن الله يذهب و فساده لايخفى و أما الثانى فقوله بضم الياء أى مع كسر الهاء صحيح لكن قوله أجتمع فيه حرفا التعدية للتأكيد غلط صريح فان الباء للسببية لا للتعدية و الا لفسد المعنى لانه يصير مآل الكلام لكن الله يزيل التوكل و فساده ظاهر لاسيما مع الاستدراك فانه وهم باهر و أما الثالث فقوله و المراد بالاذهاب ما يخطر فى قلب المؤمن من لمة الملك المذهبة للمة الشيطان فانه مع عدم صحة الحمل وكونه مناقضا لكلامه السابق المفهوم منه ان التوكل هو المذهب بسبب الهمزة. و باء التعدية مقلوب المعنى هنا لان الصواب أن يقال المراد بالضمير البارز أو بالمذهب ما يخطر فى قلب المؤمن من لمة الشيطان المذهبة للمة الملك لانهما لايجتمعان كما تحقق بحثهما فى اول الكتاب. و الله أعلم بالصواب (رواه أبو داود و الترمذى) أى الحديث بكماله مرفوعا لكن فيه بحث للمحدثين (قال) أى الترمذى (سمعت محمد بن اسمعيل) أى البخارى (يقول كان سليمان بن حرب) أى البصرى قاضى مكة و هو أحد أعلام البصريين و علمائهم قال أبو حاتم هو امام من الائمة قد ظهر من حديثه نحو عشرة آلاف حديث و ما رأيت فى يده كتابا قط و لقد حضرت مجلسه ببغداد فحرزوا من حضر مجلسه أربعين ألف رجل ولد فى صفر سنة أربعين و مائة و طلب الحديث فى سنة ثمان وخمسين و مائة و لزم حماد بن زيد تسع عشرة سنة روى عنه أحمد و غيره مات سنة أربع وعشرين و مائتين ذكره المؤلف فى فصل التابعين (يقول فى هذا الحديث) أى فى تحقيق شانه و ما يتعلق بقوله (و ما منا الا و لكن الله يذهبه بالتوكل هذا) أى قوله و ما منا الخ (عندى قول ابن مسعود) أى فى ظنى أنه موقوف على ابن مسعود و انما المرفوع قوله الطيرة شرك فقط و يؤيده أن هذا المقدار على ما فى الجامع الصغير رواه جمع كثير عن ابن مسعود

★ و عن جابر أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أخذ بيد مجذوم فوضعها معه فى القصعة و قال كل ثقة بالله و توكلا عليه رواه ابن ماجة ★ و عن سعد بن مالك أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال لا هامة و لا عدوى و لا طيرة و أن تكن الطيرة فى شئى ففى الدار و الفرس و المرأة

مرفوعا بدون الزيادة كالامام أحمد فى مسنده و البخارى فى تاريخه و أصحاب السنن الاربعة و الحاكم فى مستدركه و الله أعلم (★ و عن جابر رضى‌الله عنه أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أخذ بيد مجذوم فوضعها معه فى القصعة) بفتح القاف ففيه غاية التوكل و نهاية التحمل من جهتين أحداهما الاخذ بيده و ثانيهما الاكل معه و قد ورد كل مع صاحب البلاء تواضعا لربك و ايمانا رواه الطحاوى عن أبى ذر (و قال كل ثقة بالله) بكسر المثلثة مصدر بمعنى الوثوق كالعدة و الوعد و هو مفعول مطلق أى كل معى أثق ثقة بالله أى اعتمادا به و تفويضا للامر اليه (و توكلا) أى و اتوكل توكلا (عليه) والجملتان حالان ثانيتهما مؤكدة للاولى ويمكن ان‌تكون الاولى ناظرة الى ما سبق من التقدير والثانية الى ما يلحق الانسان من التغيير و لا شک أن التأسيس بالتقييد أولى من مجرد التاكيد وحاصله قطع النظر عن الاسباب و محط البصر على مشاهدة أفعال رب الارباب فان العلل المعدية لها تاثير عند النفوس الردية مع أن الانبياء عليهم‌الصلاة والسلام معصومون من الامراض المنفرة و قال بعضهم هذا درجة المتوكل فى متاركة الاسباب و هذا حاله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و الاحتراز عن المجذوم رخصة وعن بعضهم هو منصوب على الحال و صاحبها محذوف أى كل معى واثقا بالله تعالى أى حال كونى واثقا بالله ومتوكلا عليه قال الطيبى و يحتمل أن يكون هو من كلام الراوى حال من فاعل قال و أن يكون مفعولا مطلقا أى كل ثم أستأنف بقوله أثق ثقة بالله قلت اما قوله الاول فغير صحيح دراية لانه يوهم أن له صلى‌الله عليه‌وسلم حالا خلاف ذلک و لا خلاف فى خلافه فيحتاج الى القول بانها حال مؤكدة فلو قال نصبهما على العلة لكان أولى كما لايخفى لكنه مع هذا غير صحيح رواية لما سيأتى أنه من جملة كلامه صلى‌الله عليه‌وسلم و أما قوله الثانى ففيه انفكاك الكلام و هو غير ملائم للمقام (رواه ابن ماجه) و فى الحصن وأن أكل مع مجذوم أو ذى عاهة قال بسم الله ثقة بالله و توكلا عليه رواه الترمذى و أبوداود وابن‌ماجه و ابن حبان و الحاكم و ابن السنى و فى الجامع الصغير كل بسم الله ثقة بالله و توكلا على الله رواه الاربعة و ابن حبان و الحاكم عنه فهذه الاحاديث تدل على أن المجموع من الكلام المرفوع خلافا لما جعله الطيبى من التركيب المرفوع و أما ترك المؤلف البسملة مع وجودها فى الاصول فاما محمولة على رواية منفردة غريبة لابن ماجه أو على غفلة من صاحب المشكاة أو المصابيح و الله سبحانه أعلم (★ و عن سعد بن مالک) رضى‌الله عنه لم‌يذكره المؤلف فى أسمائه (أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم قال لا هامة و لا عدوى و لا طيرة و أن تكن الطيرة) أى صحيحة أو أن تقع و توجد (فى شئى) أى من الاشياء (ففى الدار) أى فهى فى الدار الضيقة (و الفرس) أى الجموح (و المرأة) أى السليطة و المعنى أن فرض وجودها تكون فى هذه الثلاثة و يؤيده ما ورد فى الصحيح بلفظ ان كان الشؤم فى شئى ففى الدار و المرأة و الفرس و المقصود منه نفى صحة الطيرة على وجه المبالغة فهو من قبيل قوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لو كان شئى سابق القدر لسبقته العين فلاينافيه حينئذ عموم نفى الطيرة فى هذا الحديث و غيره و قيل أن تكن بمنزلة الاستثناء أى لا تكون الطيرة الا فى هذه الثلاثة فيكون أخبارا عن غالب وقوعها و هو لا ينافى ما وقع من النهى عنها و قيل يحتمل أنه صلى‌الله‌عليه‌وسلم عرف أن فى هذه الاشياء ما يقع عن اليمن بمعزل فلا يبارك لصاحبه فيه و يدل عليه قوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ذروها ذميمة ولكن

رواه أبو داود

لما كان ذلك أمرا مخفيا لا يطلع عليه أحد الا بالتخمين والظن أتى فيه بصيغة التردد لئلا يجترئ أحد على القول فيه بالظن و التخمين و قيل أراد بالطيرة الكراهة الطبيعية لا التشاؤم كانه قال أن كرهتم هذه الاشياء فأبدلوها بالاحرى قلت و هذا معنى حسن و مقصد مستحسن لولا أنه جاء في رواية فان يكن الشؤم في شئ الخ هذا و في شرح مسلم للنووي قال الخطابي و كثيرون هو في معنى الاستثناء من الطيرة أى الطيرة منهى عنها الا في هذه الاشياء قال الطيبي يحتمل أن يكون معنى الاستثناء على حقيقته و تكون هذه الاشياء خارجة من حكم المستثنى منه أى الشؤم ليس في شئ من الاشياء الا في هذه الاشياء كماورد في رواية لمسلم أنما الشؤم في ثلاثة المرأة و الفرس والدار و في رواية الشؤم في الدار والمرأة والفرس و في حديث أنس ذروها ذميمة قلت و هذا عين كلام الجمهور ما ًلا و أنما قالوا في معنى الاستثناء لانه ليس في الكلام من الاداة شئ بل وقعت بعد نفي الطيرة و نهيها جملة شرطية اذ يستفاد منها معنى الاستثناء قال و يحتمل أن ينزل على باب قوله تعالى و لا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف قلت على تقدير صحة كون الحديث من باب الآية ففي الآية أقوال فقيل استثناء من المعنى اللازم للنهي كانه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف أو من لفظ ما نكح للمبالغة في التحريم و التعميم كقول الشاعر

★ و لا عيب فيهم غير ان سيوفهم ★ و يسد الطريق في أباحته كما تعلق بالمحال في التأبيد نحو قوله تعالى حتى يلج الجمل و المعنى و لا تنكحوا حلائل آبائكم الا ما قد سلف إن أمكنكم أن تنكحوه و ذلك غير ممكن و قيل الاستثناء منقطع و معناه لكن ما قد سلف فانه لا مؤاخذة عليه لا أنه مقرر و لا يخفى أن شيأ من هذه المعاني لايلائم المقام ليبنى عليه الكلام نعم بحسب المعنى يمكن حمله على المعنى الاوسط و يؤيده قول الطيبي عطفا على باب قوله تعالى وقوله صلى الله عليه وسلم لو كان شئ سابق القدر سبقته العين و قد سبق تقريره و عليه كلام القاضي حيث قال و وجه تعقيب قوله و لا طيرة بهذه الشرطية انها تدل على أن الشؤم أيضا منفى عنها و المعنى أن الشؤم لو كان له وجود في شئ لكان في هذه الاشياء فانها أقبل الاشياء لهالكن لاوجود له فيها فلاوجود له أصلاه كلامه فعلى هذا الشؤم في الاحاديث المستشهد بها محمول على الكراهية التى سببها ما في الإشياء من مخالفة الشرع أو الطبع كما قيل شؤم الدار ضيقها و سوء جيرانها و كذا شبهة في سكناها و بعدها عن الجماعة بحيث تفوته الصلاة مع الامام وشؤم المرأة عدم ولادتها وسلاطة لسانها وغلاء مهرها و نحوها من حملها الزوج على مالايليق بارباب التقوى و شؤم الفرس أن لايغزى عليها أو يركب عليها افتخارا و خيلاء و قيل حرانها و غلاء ثمنها و يؤيده ما ذكر في شرح السنة كانه يقول أن كان لاحدكم دار يكره سكناها أو امرأة يكره صحبتها أو فرس لاتعجبه فليفارقها بان ينتقل عن الدار و يطلق المرأة و يبيع الفرس حتى يزول عنه ما عده في نفسه من الكراهة كما قال صلى الله عليه وسلم في جواب من قال يا رسول الله انا كنا في دار كثر فيه عددنا الخ ذروها ذميمة فأمرهم بالتحول عنها لانهم كانوا فيها على استثقال لظلها و استيحاش فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالانتقال عنها ليزول عنهم مايجدون من الكراهة لأنها سبب في ذلك اه وحاصله أن تغيير هذه الثلاثة ليست من باب الطيرة المنهية بل جائزة و أن كان في الظاهر تشبه بالتطير و لعل هذا وجه قول الاكثرين رضي الله عنهم أجمعين (رواه أبو داود) و في الجامع أن كان الشؤم في شئ ففي الدار و المرأة و الفرس رواه مالك و أحمد و البخاري و ابن ماجه عن سهل بن ساعد و الشيخان

★ و عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعجبه اذا خرج لحاجة أن يسمع يا راشد يا نجيح رواه الترمذي ★ و عن بريدة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يتطير من شئ فاذا بعث عاملا سأل عن أسمه فاذا أعجبه أسمه فرح به و رؤى بشر ذلك في وجهه و أن كره أسمه رؤى كراهية ذلك في وجهه واذا دخل قرية سأل عن أسمها فان أعجبه أسمها فرح به و رؤى بشر ذلك في وجهه و أن كره أسمها رؤى كراهية ذلك في وجهه رواه أبوداود ★ و عن أنس قال قال رجل يا رسول الله انا كنا في دار كثر فيها عددنا و أموالنا فتحولنا الى دار قل فيها عددنا و أموالنا

عن ابن عمر و مسلم و النسائي عن جابر رضي الله عنه (★ و عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعجبه) أي يستحسنه و يتفاءل به (اذا خرج لحاجة ان يسمع يا راشد) أي واجد الطريق المستقيم (يا نجيح) أي من قضيت حاجته و المراد هذا و امثاله لما ورد من أنه كان يعجبه الفأل الحسن و يكره الطيرة على ما في الجامع من رواية ابن ماجه عن أبي هريرة و الحاكم عن عائشة (رواه الترمذي ★ و عن بريدة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يتطير من شئ) أي من جهة شئ من الأشياء اذا أراد فعله و يمكن أن تكون من مرادفة للباء فالمعنى ما كان يتطير بشئ مما يتطير به الناس (فاذا بعث عاملا) أي أراد أرسال عامل (سأل عن أسمه فاذا أعجبه أسمه فرح به و رؤى) أي أبصر و ظهر (بشر ذلك) بكسر الموحدة أي أثر بشاشته و انبساطه (في وجهه و أن كره أسمه رؤى كراهية ذلك) أي ذلك الاسم المكروه (في وجهه) أي و غير ذلك الاسم الى اسم حسن ففي رواية البزار و الطبراني في الاوسط عن أبي هريرة اذا بعثتم الى رجلا فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم قال ابن الملك فالسنة أن يختار الانسان لولده وخادمه من الاسماء الحسنة فان الاسماء المكروهة قد توافق القدر كما لو سمى أحد ابنه بخسار فربما جرى قضاء الله بان يلحق بذلك الرجل أو ابنه خسار فيعتقد بعض الناس أن ذلك بسبب أسمه فيتشاءمون و يحترزون عن مجالسته و مواصلته و في شرح السنة ينبغي للانسان أن يختار لولده و خدمه الاسماء الحسنة فان الاسماء المكروهة قد توافق القدر روى عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال لرجل ما اسمك قال جمرة قال ابن من قال ابن شهاب قال ممن قال من الحراقة قال اين مسكنك قال بحرة النار قال بأيها قال بذات لظى فقال عمر أدرك أهلك فقد احترقوا فكان كما قال عمر رضي الله تعالى عنه اه و لعل في هذا المعنى ما قيل أن الاسماء تنزل من السماء فالحديث في الجملة يرد على ما في الجاهلية من تسمية أولادهم باسماء قبيحة ككلب و أسد و ذئب و عبيدهم براشد و نجيح و نحوهما معللين بان أبنائنا لاعدائنا و خدمنا لانفسنا (و اذا دخل قرية سأل عن أسمها فان أعجبه أسمها فرح) أي به كما في الاصل الاصح أي باسمها و في نسخة بها أي بتلك القرية أو باسمها على تقدير مضاف أو اكتسب تأنيث من المضاف اليه (و رؤى بشر ذلك في وجهه و أن كره أسمها رؤى كراهية ذلك في وجهه) ليس في الحديث أنه كان يتطير بالاسماء القبيحة كما يوهمه ايراده في هذا الباب فان محله باب الاسماء و كان المصنف راعى صدر الحديث فأورده اعتمادا على دلالته نفي التطير مطلقا (رواه أبوداود) أي الحديث بكماله و لعله مركب من حديثين كما يدل عليه ما في الجامع من أن الحكيم الترمذي و البغوي رويا عن بريدة أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يتطير و لكن يتفاءل و تقدم أنه كان يتفاءل و لا يتطير و كان يحب الاسم الحسن (★ وعن أنس) رضي الله تعالى عنه (قال قال رجل يا رسول الله انا كنا في دار كثر) بضم المثلثة (فيها عددنا) أي أهلونا (و أموالنا فتحولنا الى دار قل فيها عددنا و أموالنا) و المعنى أنتركها و نتحول الى غيرها

فقال صلى الله عليه وسلم ذروها ذميمة رواه أبوداود ★ و عن يحيى بن عبد الله بن بحير قال أخبرنى من سمع فروة بن مسيک يقول قلت يا رسول الله عندنا أرض يقال لها أبين و هى أرض ريفنا و ميرتنا و ان وباءها شديد فقال دعها عنک فان من القرف التلف رواه أبو داود

★ (الفصل الثالث) ★ عن عروة بن عامر قال ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحسنها الفأل و لاترد مسلما فاذا رأى أحدكم ما يكره فليقل اللهم لايأتى بالحسنات

أو هذا من باب الطيرة المنهى عنها (فقال) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فى نسخة (ذروها ذميمة) أى أتركوها مذمومة فعيلة بمعنى مفعولة كذا فى النهاية والمعنى أتركوها بالتحول عنها حال كونها مذمومة لان هواءها غير موافق لكن قال الخطابى انما أمرهم بالتحول عنها ابطالا لما وقع فى نفوسهم من أن المكروه انما أصابهم بسبب السكنى فاذا تحولوا عنها انقطعت مادة ذلک الوهم و زال عنهم ما خامرهم من الشبهة (رواه أبو داود ★ و عن يحيى بن عبد الله بن بحير) رضى الله عنه بفتح الموحدة و كسر المهملة فسكون تحتية فراء قال المؤلف صنعانى روى عمن سمع فروة بن مسيک و عنه معمر (قال) أى يحيى (أخبرنى من سمع فروة) بفتح فاء و سكون راء (ابن مسيک) تصغير مسک بالسين المهملة قال المؤلف مرادى غطيفى من أهل اليمن قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع فأسلم و انتقل الى الكوفة زمن عمر و سكنها روى عنه الشعبى و غيره و كان من وجوه قومه و مقدميهم و كان شاعرا محسنا (يقول قلت يا رسول الله عندنا أرض يقال لها أبين) بهمزة مفتوحة فسكون موحدة فتحتية فنون و هو فى الاصل اسم رجل ينسب اليه عدن و يقال عدن أبين فى النهاية هو بوزن أحمر قرية الى جانب البحر من ناحية اليمن و قيل هو اسم مدينة عدن (و هى أرض ريفنا) بكسر الراء و سكون التحتية ففاء و هو الارض ذات الزرع و الخصب على ما فى النهاية و قال بعض شراح المصابيح قوله ريعنا أى يحصل لنا فيها الثمار و النبات و الريع الزيادة (وميرتنا) بكسر الميم و هى معطوفة على ريفنا أى طعامنا المجلوب أو المنقول من بلد الى بلد (و أن وباءها) أى وخمها الناشئ عن كثافة هوائها (شديد) أى قوى كثير و قيل أراد بوبائها شؤمها ولعل هذا سبب أيراد الحديث فى هذا الباب و الله أعلم بالصواب (فقال دعها عنک) أى أتركها عن دخولک فيها والتردد اليها لانه بمنزلة بلد الطاعون (فان من القرف التلف) بفتحتين فيهما و المعنى أن الدخول فى أرض بها وباء من مداناة المرض و فى النهاية القرف ملابسة الداء و مداناة المرض و التلف الهلاک قيل و ليس هذا من باب العدوى و انما هو من باب الطب فان استصلاح الاهواء من أعون الاشياء على صحة الابدان و فساد الهواء من أسرع الاشياء الى الاسقام (رواه أبوداود)

★ (الفصل الثالث) ★ (عن عروة بن عامر) رضى الله عنه قال المؤلف قرشى تابعى سمع ابن عباس و غيره روى عنه عمرو بن دينار و حبيب بن أبى ثابت أخرج حديثه أبوداود فى الطيرة و هو مرسل (قال) أى عروة (ذكرت الطيرة) بصيغة المجهول (عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحسنها الفأل) سبق نظيره من قوله خيرها الفأل و تقدم تأويله من الاقوال (و لاترد) أى الطيرة (مسلما) و الجملة عاطفة أو حالية و المعنى أن أحسن الطيرة ما يشابه الفأل المندوب اليه و مع ذلک لاتمنع الطيرة مسلما عن المضى فى حاجته فان ذلک ليس من شأن المسلم الكامل بل شأنه أن يتوكل على الله فى جميع أموره و يمضى فى سبيله بنوره على غاية حضوره و نهاية سروره (فاذا رأى أحدكم ما يكره) أى اذا رأى من الطيرة شيأ يكرهه على ما ذكره الجزرى فى الحصن (فليقل اللهم لايأتى بالحسنات)

الا أنت و لا يدفع السيئات الا أنت و لا حول و لا قوة الا بالله رواه أبو داود مرسلا

★ (باب الكهانة) ★ (الفصل الأول) ★ عن معاوية بن الحكم قال قلت يا رسول الله أمورا كنا نصنعها فى الجاهلية كنا نأتى الكهان قال فلاتأتوا الكهان قال قلت كنا نتطير قال ذلک شئ يجده أحدكم فى نفسه فلا يصدنكم قال قلت ومنا رجال يخطون خطا قال كان نبى من الانبياء يخط فمن وافق خطه فذاك

أى بالامور الحسنة الشاملة للنعمة و الطاعة (الا أنت و لا يدفع السيئات) أى الامور المكروهة الكاملة للنقمة و المعصية (الا أنت و لا حول) أى على دفع السيئة (و لا قوة) أى على تحصيل الحسنة (الا بالله) هو فى أصل الحصن الا بک و هو مقتضى الكلام و فى الحاشية الا بالله و عليه رمز مص اشارة الى مصنف ابن أبى شيبة فانه مشارك لابى داود فى رواية هذا الحديث ففيه التفات (رواه أبوداود مرسلا) أى لحذف الصحابى كما تقدم وقد ذكر ميرك أنه مختلف فى صحبته لكن ذكره ابن حبان فى ثقات التابعين و كذا فى التقريب أيضا و على هذا فالحديث مرسل و الله أعلم

★ (باب الكهانة) ★ بفتح الكاف و كسرها كذا فى النسخ و فى القاموس كهن له كمنع و نصر و كرم كهانة بالفتح قضى له بالغيب و حرفته الكهانة بالكسر اه و المراد بها هنا الاخبار المستورة من الناس فى مستقبل الزمان و قد كانت فى العرب كهنة و منهم من كان يدعى أن له تابعا من الجن يلقى اليه الاخبار و يروى أن الشياطين كانت تسترق السمع فتلقيه الى الكهنة فتزيد فيه ما تزيد فتقبله الكفار منهم فلما بعث صلى الله عليه وسلم حرست السماء و بطلت الكهانة و منهم من كان يزعم أنه يعرف الامور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله و هذا يخصونه باسم العراف كالذى يدعى معرفة الشئ المسروق و مكان الضالة و نحوها

★ (الفصل الاول) ★ (عن معاوية بن الحكم) بفتحتين قال المؤلف فى فصل الصحابة سلمى كان نزل المدينة و عداده فى أهل الحجاز روى عنه ابنه كثير وعطاء بن يسار و غيرهما مات سنة سبع عشرة و مائة (قال قلت يا رسول الله أمورا) منصوب على شريطة التفسير و فائدته التفخيم لان البيان بعد الابهام أوقع فى النفس ذكره الطيبى (كنا نصنعها فى الجاهلية) أى نفعلها و من جملتها (كنا نأتى الكهان) بضم الكاف و تشديد الهاء جمع كاهن و المعنى كنا نأتيهم و نستخبر منهم أمورا (قال فلاتأتوا الكهان) أى لاتعتقدوا صدقهم فى أخبارهم (قال) أى معاوية (قلت كنا نتطير) أى نتشاءم بالطير و نحوها (قال ذلک شئ) أى من قبل الظنون المعترضة بحكم البشرية (يجده أحدكم فى نفسه) أى و لا تأثير منه و لا ضرر فيه قال الطيبى هو نفى للتطير بالبرهان و هو أبلغ من قوله لا تطيروا كما قال فلاتأتوا الكهان يعنى لاتطير فان الطيرة لا وجود لها بل هى شئ يوجد فى النفوس البشرية و ما يعترى الانسان من قبل الظنون من غير أن يكون له فيه ضرر (فلا يصدنكم) بتشديد الدال المفتوحة أى لا يمنعكم التطير عن المضى فى حاجتكم و عن الامر الذى قصدتم فى خاطركم قال الطيبى هو من باب لا أرينک ههنا فانه نهى ما يجد فى النفس عن الصد و فى الحقيقة المنهى هم المخاطبون عن التعرض له (قال قلت و منا رجال يخطون) بضم الخاء و الطاء المشددة قال الطيبى قد غير النسق فى التفصيل ليدل به على امتياز أولئک الرجال الذى خطوا من الامور العامة و ما يتعلق ببقية ألفاظ الحديث مضى بحثه فيما لا يجوز من العمل فى الصلاة (قال كان نبى من الانبياء) قيل دانيال و قيل ادريس عليهم السلام (يخط) أى بامر الهى أو علم لدنى (فمن وافق) أى خطه (خطه) بالنصب على أنه مفعول و فى نسخة بالرفع على الفاعلية فالمفعول مقدر (فذاك) أى مصيب و الا فلا و هو

رواه مسلم ★ و عن عائشة قالت سأل أناس رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم عن الكهان فقال لهم رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم انهم ليسوا بشئ قالوا يا رسول الله فانهم يحدثون أحيانا بالشئ يكون حقا فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فيقرها فى أذن وليه قر الدجاجة فيخلطون

جواب الشرط و حاصله أنه فى هذا الزمان حرام لان الموافقة معدومة أو موهومة (رواه مسلم ★ و عن عائشة رضى‌الله‌تعالى‌عنها قالت سأل أناس) أى جماعة من الناس (رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم عن الكهان) أى هل لهم علم بشئ (فقال لهم رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ليسوا) و فى نسخة انهم ليسوا (بشئ) أى يعتمد عليه فلا تعتمدوا على أخبارهم و لاتعتقدوا فى أخبارهم (قالوا يا رسول الله فانهم) تعليل لمقدر أى تفى تصديق أخبارهم على اطلاقه مشكل فانهم (يحدثون) أى يخبرون (أحيانا) أى فى بعض الاوقات (بالشئ يكون) صفة أو حال أى يصير (حقا) أى صدقا موافقا للواقع (فقال رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم تلك الكلمة من الحق) أى من الامر الواقع و الصدق الثابت المسموع من الملائكة الذين هم أخذوا من الحق بواسطة الوحى أو بمكاشفة اللوح المحفوظ لهم و فى نسخة صحيحة من الجن أى مسموعة منهم و فى الحقيقة لاخلاف فى المعنى اذ الكهان يسمعون من الجن وهم يسمعون من الملائكة كما يدل عليه قوله (يخطفها الجنى) أى يسرقها من الملائكة بسرعة قال النووى بالجيم والنون فى جميع نسخ مسلم فى بلادنا وروى أيضا بالحاء المهملة والقاف وقوله (فيقرها) بفتح الياء وضم القاف وتشديد الراء (فى أذن وليه قر الدجاجة) بفتح القاف والدجاجة بالدال قال أهل اللغة والغريب القر تريدك الكلام فى اذن المخاطب حتى يفهمه تقول قررته أقره قرا و قر الدجاجة صوتها اذا قطعته يقال قرت تقرقرا و قريرا فان رددته قلت قررت قرقرة ويروى قر الزجاجة بالزاى ويدل عليه ثبوت رواية البخارى فيقرها فى اذنه كما تقر القارورة اه واختار الشيخ التوربشتى هذه الرواية ورد الروية الاولى وقال ومن الناس من رواه قر الزجاجة بالزاى وأراها احفظ الروايتين لما فى غير هذه الرواية قر القارورة يقال قررت على رأسه دلوا من ماء أى صببت و قر الحديث فى اذنه يقره كانه صبه فيها و استعمال قر الحديث فى الاذن شائع مستفيض فى كلامهم و أما استعماله على الوجه الذى فسروا عليه الحديث فانه غير مشهور لم نجد له شاهدا فى كلامهم و كل ذلك يدل على أن الدجاجة بالدال تصحيف أو غلط من السامع قال الطيبى رحمه‌الله لاارتياب أن قر الدجاجة مفعول مطلق و فيه معنى التشبيه فكما يصح أن يشبه ترديد ما اختطفه من الكلام فى أذن الكاهن بصب الماء فى القارورة يصح أن يشبه ترديد كلام الجنى فى أذن الكاهن بترديد الدجاجة صوتها فى أذن صواحبها كما تشاهد الديكة اذا وجدت حبة أو شيأ تقر وتسمع صواحبها فيجتمعن عليها و باب التشبيه مما فيه وسع لايفتقر الا الى العلاقة على أن الاختطاف هنا مستعار للكلام من خطف الطير قال تعالى فتخطفه الطير فتكون الدجاجة أنسب من القارورة لحصول الترشيح فى الاستعارة ويؤيد ما ذهبت اليه ما ذكر ابن الصلاح فى كتابه من أن الاصل قر الدجاجة بالدال فصحف لى قر الزجاجة اه وأعلم أن الدجاجة فى أصل المشكاة بالدال المهملة لاغير و هى بفتح أوله وفى القاموس الدجاجة معروف للذكر و الانثى و أما الزجاجة فهى بضم الزاى كما لايخفى اذا علمت ذلك فقوله فيقرها أى يصب الجنى تلك الكلمة بمعنى يلقيها أو يصوت بها فى أذن وليه أى من الكهان قر الدجاجة أى مثل صوتها و قيل معنى يقرها يصبها و كقر الدجاجة أى كصبها الدنى فى صاحبته بحيث لايعرفه الناس فكذا الجنى يصبها فى أذن وليه بحيث لايطلع عليه غيره و أما ما روى أن الزجاجة بالزاى المعجمة فمعناها يصب فى أذن صاحبه كصب الزجاجة أى كما يصب ماء قارورة فى أخرى (فيخلطون) بكسر

فيها أكثر من مائة كذبة متفق عليه ★ و عنها قالت سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول أن الملائكة تنزل فى العنان و هو السحاب فتذكر الامر قضى فى السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه الى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم

اللام أى الكهان و قال الطيبى أى الاولياء جمع بعد الافراد نظرا الى الجنس (فيها) أى فى تلك الكلمة (أكثر من مائة كذبة) بفتح الكاف و سكون الذال و فى نسخة بكسر الكاف ففى شرح مسلم الكذبة بفتح الكاف و كسرها و الذال ساكنة فيهما قال القاضى و أنكر بعضهم الكسر الا اذا أرادوا به الحالة و الهيئة و ليس هذا موضعها قلت هذا موضعها لان المراد أنهم يأتون بمائة نوع من الكذب كما يدل عليه قوله فيخلطون و كذا قوله فى الحديث الآتى فيكذبون معها مائة كذبة فانه أبلغ من أنهم يكذبون مائة مرة لانه صادق على تكرار كذب واحد مائة مرة مع أنه لو أريد هذا المعنى لاكتفى بمائة أو قيل مائة كذب فالعدول الى الاتيان بالتاء لابد له من افادة زائدة هذا و فى القاموس كذب يكذب كذبا و كذبا و كذبة و كذبة بفتح الكاف و كسر الذال و كسر أوله و سكون ثانيه فى الاولين و فتح الكاف و كسرها مع سكون الذال فيهما فما ضبط فى بعض النسخ من فتح الكاف و كسر الذال مع وجود التاء غير صحيح رواية و دراية و يخشى على صاحبه أن يدخل فى وعيد من كذب عليه صلى‌الله‌عليه‌وسلم و الله أعلم (متفق عليه ★ و عنها) أى عن عائشة رضى‌الله‌عنها (قالت سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول أن الملائكة) أى جماعة منهم (تنزل فى العنان) بفتح العين (وهو السحاب) قال الطيبى يحتمل أن يكون من قول الراوى تفسيرا للعنان فالسحاب مجاز عن السماء كما أن السماء مجاز عن السحاب فى قوله تعالى و أنزلنا من السماء ماء فى وجه قلت ارتكاب المجاز فى الآية له وجه و أما ارتكابه فى الحديث فلايظهر له وجه اذ لايعدل عن الحقيقة الى المجاز الا لضرورة مع أنه يؤل الكلام الى أن الملائكة تنزل فى السماء اللهم الا أن يراد سماء الدنيا على أن سماع الجن من الملائكة فى السحاب أقرب فهو بالاعتبار أنسب و هذا لاينافيه قوله و أصل ذلك أن الملائكة تسمع فى السماء ما يقضى الله تعالى فى كل يوم من الحوادث فى الدنيا فيحدث بعضهم بعضا فيسترقه الشيطان فيلقيه الى الكهان و يشهد له حديث أبى هريرة فى أول الفصل الثالث و ما روى أبوداود عن ابن مسعود قال اذا تكلم الله عزوجل بالوحى سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون فلايزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل فاذا جاء جبريل فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ما ذا قال ربكم فيقول الحق اه (فتذكر) أى الملائكة (الامر قضى) بصيغة المجهول حال أوصفة على أن أل فى الامر للعهد الذهنى أو صلة الموصول المحذوف أى الامر الذى قضى الله فى كل يوم من الحوادث فى الدنيا و قوله (فى السماء) ظرف لقضى لالتذكر ففيه دلالة صريحة على أن المراد بالعنان السحاب اذ لامعنى لقوله أن الملائكة تنزل من السماء فتذكر الامر الذى قضى فى السماء بل المعنى أن الملائكة ينزلون من السماء فى السحاب فيحكى بعضهم لبعض الامور التى قضيت فى السماء و سمعوا حال كونهم فيها (فتسترق الشياطين السمع) أى مسموع الملائكة (فتسمعه) أى الشياطين أولا (فتوحيه) أى فتلقيه (الى الكهان) من الايحاء و هو الاعلام بالخفية و عن الزجاج أن الايماء يسمى وحيا (فيكذبون) أى الكهان (معها) أى مع الكلمة الصادقة الواحدة (مائة كذبة من عند أنفسهم) والمعنى أن هذا سبب موافقتهم فى بعض الاخبار للواقع لكن لما كان الغالب عليهم الكذب سد الشارع باب الاستفادة منهم و قال أنهم ليسوا بشئ و لهذا ما اعتبر شهادة الكاذب مع أن الكذوب

رواه البخاري ★ و عن حفصة قالت قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من أتى عرافا فسأله عن شئ لم تقبل له صلاة أربعين ليلة رواه مسلم ★ و عن زيد بن خالد الجهنى قال صلى لنا رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ما ذا قال ربكم قالوا الله و رسوله أعلم قال

قد يصدق و الله أعلم (رواه البخارى ★ و عن حفصة رضى‌الله تعالى عنها) أى بنت عمر أم المؤمنين (قالت قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من أتى عرافا) بتشديد الراء و هو مبالغة العارف قال الجوهرى هو الكاهن و الطبيب و فى المغرب هو المنجم و هو المراد فى الحديث ذكره بعض الشراح و قال النووى العراف من جملة أنواع الكهان قال الخطابى و غيره العراف هو الذى يتعاطى معرفة مكان المسروق و مكان الضالة و نحوهما (فسأله عن شئ) أى على وجه التصديق بخلاف من سأله على وجه الاستهزاء أو التكذيب و أطلق مبالغة فى التنفير عنه و الجملة احتراز عمن أتاه لحاجة أخرى (لم تقبل له) بصيغة التانيث و جوز تذكيره أى قبول كمال حيث لايترتب عليه الثواب أو تضاعفه و هو الأظهر الاقرب الى الصواب (صلاة) بالتنوين فقوله (أربعين ليلة) ظرف و فى نسخة بالاضافة الى قوله أربعين ليلة أى من الازمنة اللاحقة و روى الطبرانى عن واثلة و لفظه من أتى كاهنا فسأله عن شئ حجبت عنه التوبة أربعين ليلة فان صدقه بما قال كفر ففى الحديث اشارة الى أن اعمال التائب لها درجة كمال القبول يشير اليه قوله سبحانه انما يتقبل الله من المتقين قال النووى و أما عدم قبول صلاته فمعناه أنه لاثواب له فيها و ان كانت مجزئة فى سقوط الفرض عنه و لايحتاج معها الى اعادة و نظير هذا الصلاة فى الارض المغصوبة مجزئة مسقطة للقضاء و لكن لا ثواب له فيها كذا قاله جمهور أصحابنا قالوا فصلاة الفرض و غيرها من الواجبات اذا أتى بها على وجهها الكامل يترتب عليها شيآن سقوط الفرض عنه و حصول الثواب فاذا أداها فى أرض مغصوبة حصل الاول دون الثانى و لابد من هذا التاويل فى هذا الحديث فان العلماء متفقون على أنه لايلزم على من أتى العراف اعادة صلاة أربعين ليلة فوجب تأويله قلت وجوب تأويله مسلم لكن تأويله المذكور غير متعين فان مذهب أهل السنة أن الحسنات لاتبطلها السيآت الا الردة مع الاجماع على عدم لزوم الاعادة حتى فى الردة اذا عاد الى الاسلام الا الحج فانه فرض العمر ثم مفهوم التأويل السابق أنه لو صلى النفل يكون له ثواب و كذا الفرض لأنه تعالى لايضيع أجر من أحسن عملا نعم التضاعف من فضله سبحانه و تعالى فاذا فعل العبد ما يوجب غضبه تعالى فله اسقاط المضاعفة الزائدة على مقتضى العدل و الله أعلم ثم تخصيص الصلاة من بين الاعمال يحتمل أن يكون لكونها عماد الدين والاحسن أن يفوض علمه الى الشارع و ذكر العدد يحتمل التحديد و التكثير و الله أعلم (رواه مسلم) وفى الجامع رواه أحمد و مسلم عن بعض أمهات المؤمنين (★ و عن زيد بن خالد الجهنى) رضى‌الله تعالى عنه منسوب الى قبيلة جهينة بضم ففتح و هو غير مذكور فى أسماء المؤلف (قال صلى لنا) أى اماما (رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم صلاة الصبح بالحديبية) بالتخفيف و يشدد (على أثر سماء) أى عقب مطر و هو بفتح الهمزة و المثلثة و فى نسخة بكسر فسكون قال النووى هو بكسر الهمزة و اسكان الثاء و فتحهما جميعا لغتان مشهورتان و السماء المطر اه و فى القاموس خرج فى إثره و أثره بعده و قال السماء معلوم و السحاب المطر أو المطرة الجيدة (كانت) أى كان المطر و تأنيثه باعتبار معنى الرحمة أو لفظ السماء و الجملة صفة سماء و قوله (من الليل) ظرف لها أى فى بعض أجزائه و أوقاته (فلما انصرف) أى عن الصلاة (أقبل على الناس فقال

قال أصبح من عبادی مؤمن بی و کافر فأما من قال مطرنا بفضل الله و رحمته فذلک مؤمن بی کافر بالکوکب و أما من قال مطرنا بنوء کذا و کذا فذلک کافر بی مؤمن بالکوکب متفق علیه
★ و عن أبی هریرة عن رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم قال ما أنزل الله من السماء من برکة الا أصبح فریق من الناس بها کافرین ینزل الله الغیث فیقولون بکوکب کذا و کذا رواه مسلم
★ (الفصل الثانی) عن ابن عباس قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد

هل تدرون ما ذا) أی أی شئ (قال ربکم) أی فی هذا الوقت (قالوا الله و رسوله أعلم قال) أی النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم (قال) أی سبحانه و تعالی (أصبح) أی الشان (من عبادی) أی بعضهم (مؤمن بی) فمن للتبعیض و هو مبتدأ و ما بعده خبره (و کافر) أی بی کما فی نسخة یعنی و بعضهم کافر بی أو التقدیر بعضهم مؤمن بی و کافر بغیری و بعضهم کافر بی و مؤمن بغیری و ترک اکتفاء بتفصیل الجمل و هو قوله (فأما من قال مطرنا بفضل الله و رحمته فذلک مؤمن بی کافر بالکوکب و أما من قال مطرنا بنوء کذا و کذا) أی بسقوط نجم و طلوع نظیره علی ما سبق (فذلک کافر بی مؤمن بالکوکب) قال الطیبی هذا تفصیل للمجمل و هو قوله مؤمن بی و کافر و لابد من تقدیر فیه لیطابقه المفصل فالتقدیر مؤمن بی و کافر بالکوکب وکافر بی و مؤمن بالکوکب فهو من باب الجمع مع التقسیم و فی الکشاف قیل نزل قوله تعالی و تجعلون رزقکم أنکم تکذبون أی و تجعلون شکر ما رزقکم الله من الغیث أنکم تکذبون کونه من الله حیث تنسبونه الی النجوم قال النووی و اختلفوا فی کفر من قال مطرنا بنوء کذا علی قولین أحدهما هو کفر بالله سبحانه سالب لاصل الایمان و فیه وجهان أحدهما أنه من قاله معتقدا بان الکوکب فاعل مدبر منشئ للمطر کزعم أهل الجاهلیة فلاشک فی کفره و هو قول الشافعی و الجماهیر و ثانیهما أنه من قال معتقدا بانه من الله تعالی بفضله و أن النوء علامة له و مظنة بنزول الغیث فهذا لایکفر لانه بقوله هذا کانه قال مطرنا فی وقت کذا و الاظهر انه مکروه کراهة تنزیه لانه کلمة موهمة مترددة بین الکفر و الایمان فیساء الظن بصاحبها و لانها شعار أهل الجاهلیة و القول الثانی کفران لنعمة الله تعالی لاقتصاره علی اضافة الغیث الی الکوکب و یؤید هذا التأویل الروایة الاخری أصبح من الناس شاکرا و کافرا و فی أخری ما أنعمت علی عبادی من نعمة الا أصبح فریق بها کافرین (متفق علیه ★ و عن أبی هریرة رضی‌الله تعالی عنه عن رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم قال ما أنزل الله من السماء من برکة) أی مطر أو من نعمة کما فی روایة (الا أصبح فریق من الناس بها) أی بسببها (کافرین) من الکفر أو الکفران (ینزل الله الغیث) استئناف بیان أو تمثال برهان (فیقولون) أی فریق من الناس (بکوکب کذا و کذا) أی هذا بسبب طلوع نجم کذا و غروب نجم کذا (رواه بسلم)

★ (الفصل الثانی) ★ (عن ابن عباس رضی‌الله تعالی عنهما قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم من اقتبس) أی أخذ وحصل وتعلم (علما من النجوم) أی علما من علومها أو مسئلة من علمها (اقتبس شعبة) أی قطعة (من السحر زاد) أی المقتبس من السحر (ما زاد) أی مدة زیادته من النجوم فما بمعنی مادام و یؤیده ما ذکر شارح حیث قال أی زاد النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم علی ما رواه ابن عباس منه فی حق علم النجوم کذا فی الشرح و الظاهر أن معناه زاد اقتباس شعبة السحر ما زاد اقتباس علم النجوم و قال الطیبی رحمه‌الله نکر علما للتقلیل ومن ثم ذکر الاقتباس لان فیه معنی القلة ومن النجوم صفة علما

رواه أحمد و أبوداود و ابن ماجه ★ و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتى كاهنا فصدقه بما يقول أو أتى امرأته حائضا أو أتى امرأته فى دبرها فقد برئ مما أنزل على محمد رواه أحمد و أبوداود

★ (الفصل الثالث) ★ عن أبي هريرة أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر فى السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان

و فيه مبالغة و فاعل زاد الشعبة ذكرها باعتبار السحر و زاد ما زاد جملة مستأنفة على سبيل التقرير و التانيب أى يزيد السحر ما يزيد الاقتباس فوضع الماضى موضع المضارع للتحقيق و فى شرح السنة المنهى من علم النجوم ما يدعيه أهلها من معرفة الحوادث التى لم تقع و ربما تقع فى مستقبل الزمان مثل أخبارهم بوقت هبوب الرياح و مجيء ماء المطر و وقوع الثلج و ظهور الحر و البرد و تغيير الاسعار و نحوها و يزعمون أنهم يستدركون معرفتها بسير الكواكب و اجتماعها و افتراقها و هذا علم استأثر الله به لايعلمه أحد غيره كما قال تعالى ان الله عنده علم الساعة و ينزل الغيث فاما ما يدرك من طريق المشاهدة من علم النجوم الذى يعرف به الزوال و جهة القبلة فانه غير داخل فيما نهى عنه قال الله تعالى و هو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر و البحر و قال تعالى و بالنجم هم يهتدون فأخبر الله تعالى أن النجوم طرق لمعرفة الاوقات و المسالك و لولاها لم يهتد الناس الى استقبال الكعبة روى عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال تعلموا من النجوم ما تعرفون به القبلة و الطريق ثم أمسكوا (رواه أحمد و أبوداود و ابن ماجه ★ و عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتى كاهنا فصدقه بما يقول) الفرق بين الكاهن و العراف أن الكاهن أنما يتعاطى الخبر عن الغيب فى مستقبل الزمان و يدعى معرفة الاسرار و العراف هو الذى يتعاطى معرفة الشئ المسروق و مكان الضالة و نحوهما من الامور (أو أتى امرأته) أى بالوطء و فى التفخيذ خلاف (حائضا) قال الطيبى حال منتقلة و لهذا جاز حذف التاء و لو كانت صفة كانت التاء لازمة اه و لاشك أن المراد بها الوصف القائم بها ليترتب عليه الوعيد الآتى و أنما ترك التاء لانها من أوصاف النساء خاصة كطالق (أو أتى امرأته فى دبرها) أى حائضا أو طاهرة (فقد برىء مما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم) أى كفر و هو محمول على الاستحلال أو على التهديد و الوعيد (رواه أحمد و أبوداود) و فى الجامع الصغير رواه أحمد و الاربعة و فى رواية لاحمد والحاكم عن أبي هريرة بلفظ من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ـ

★ (الفصل الثالث) ★ (عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر) أى قدره أو حكم به والمعنى أظهر قضاءه فى السماء (ضربت الملائكة باجنحتها) أى مثنى و ثلاث ورباع (خضعانا) بضم أوله و يكسر أى تواضعا وتخاشعا لقوله وانقيادا لحكمه ففى النهاية الخضعان مصدر خضع يخضع خضوعا و خضعانا وهو الانقياد والمطاوعة كالغفران و الكفران و يروى بالكسر كالوجدان ويجوز أن يكون جمع خاضع قال الطيبى اذا كان جمعا كان حالا واذا كان مصدرا يجوز أن يكون مفعولا مطلقا لما فى ضرب الاجنحة من معنى الخضوع أو مفعولا له قلت وهو الاظهر قال وذلك لان الطائر اذا استشعر خوفا أرخى جناحيه مرتعدا قلت الله أعلم بكيفية ضرب جناحهم وسببيته من الخوف أو غيره (كانه) أى قوله سبحانه (سلسلة) بكسر السينين المهملتين (على صفوان) بفتح أوله أى حجر أملس والجملة حال و نظيره فى المعنى قوله صلى الله عليه وسلم فى صفة الوحى النازل عليه أحيانا يأتينى فى مثل صلصلة الجرس و هو أشد على

فاذ افزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذى قال الحق وهو العلى الكبير فسمعها مسترقو السمع و مسترقو السمع هكذا بعضه فوق بعض و وصف سفيان بكفه فحرفها و بدد بين أصابعه فيسمع الكلمة

فيفصم عنى و قد وعيت ما قال (فاذا فزع) بضم الفاء و تشديد الزاى أى أزيل الفزع و كشف (عن قلوبهم) و قرأ ابن عامر فى قوله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم على بناء الفاعل و هو الله تعالى قال الطيبى و زوال الفزع عنهم هنا بعد سماعهم القول كالفصم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد سماع الوحى اه و لعله نظيره و الا فالفرق ظاهر بينهما فانه صلى الله عليه وسلم يفصم عنه و قد وعى ما قال و هم يكشف الفزع عنهم و لم يدروا ما قال الله تعالى بقرينة السؤال أو يقال يحصل العلم لبعضهم من أرباب الكمال فقوله (قالوا) أى بعضهم ممن لم يدر أما لغلبة الفزع عليه أو لقلة الكشف له (ماذا قال ربكم قالوا) وهم المقربون للسائلين وهم سائر الملائكة (للذى قال) أى سبحانه و تعالى (الحق) بالنصب أى قالوا الحق لاجل ما قاله تعالى أى عبروا عن قوله تعالى و ما قضاه و قدره بلفظ الحق فالحق منصوب على أنه صفة مصدر محذوف أى القول الحق وفى نسخة بالرفع فالتقدير قوله الحق و المراد بالحق أما كلمة كن أو ما يقابل الباطل فالمراد بكن ما هو سببها من الحوادث اليومية بأن يغفر ذنبا و يفرج كربا و يرفع قوما و يضع آخرين و يولج الليل فى النهار و يولج النهار فى الليل و يخرج الحى من الميت و يخرج الميت من الحى و يشفى سقيما ويسقم صحيحا و يبتلى معافى و يعافى مبتلى و يعز ذليلا و يذل عزيزا و يفقر غنيا و يغنى فقيرا فسبحان الذى اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون و أنما كانت الكلمة حقا لا باطلا لقوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا أى عبثا بل هو صواب و حكمة و يجوز ان يراد به القول المسطور فى اللوح المحفوظ و الحق بمعنى الثابت أى قضى و قدر و حكم فى الكائنات بما كان مقررا فى الازل ثابتا فى اللوح المحفوظ (و هو) أى الله سبحانه (العلى) أى الرفيع شانه (الكبير) أى العظيم برهانه قال الطيبى ويؤيد الاول تأنيث الكناية فى قوله (فسمعها) أى الكلمة الحقة (مسترقو السمع) و أنما عدلوا عن صريح القول و هو التفصيل و التصريح بالمقضى من الشؤن و الامور الى هذا القول المجمل الموجز لان قصدهم فى ذلك ازالة الفزع عن قلوبهم بالكلية يعنى لا تفزعوا وتبقوا على قلوبكم فان هذا القول هو ما عهدتموه كل يوم من قضاء الشؤن لا ما تظنونه من قيام الساعة هذا و مما يدل على أن المجيبين الملائكة المقربون كجبريل و ميكائيل و غيرهما ما روى أبو داود عن ابن مسعود قال اذا تكلم الله عز وجل بالوحى تسمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل فاذا جاء جبريل فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ما ذا قال ربكم فيقول الحق فيقولون الحق (و مسترقو السمع) مبتدأ خبره (هكذا) و هو اشارة الى ما صنعه من التحريف و التبديد و ركوب بعضها على بعض و قوله (بعضه فوق بعض) توضيح أو بدل و فيه معنى التشبيه أى مسترقو السمع بعضه راكب بعض مردفين كركوب أصابعى هذه بعضها فوق بعض و افراد الضمير فى بعضه و المرجوع اليه جمع لارادة المذكور و منه قوله تعالى و آتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شئ منه نفسا الضمير فى منه جار مجرى اسم الاشارة كانه قيل عن شئ من ذلك كذا حققه الطيبى (و وصف سفيان) أى ابن عيينة راوى الحديث (بكفه) أى بأصابعها (فحرفها) بتشديد الراء أى فرج كفه (وبدد) بتشديد الدال الاولى أى وفرق (بين أصابعه) قال الطيبى أى بين كيفية ركوب بعضها فوق بعض بأصابعه كقوله تعالى تصف ألسنتكم الكذب و قولك وجهه يصف الجمال (فيسمع) أى أحدهم أو المسترق (الكلمة) قال الطيبى هو عطف على قوله

فيلقيها الى من تحته ثم يلقيها الآخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدرك الشهاب قبل ان يلقيها و ربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال اليس قد قال لنا يوم كذا و كذا كذا و كذا فيصدق بتلك الكلمة التى سمعت من السماء رواه البخارى ★ و عن ابن عباس قال أخبرنى رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم من الانصار انهم بينا هم جلوس ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى بنجم و استنار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون فى الجاهلية اذا رمى بمثل هذا قالوا الله و رسوله أعلم كنا

و مسترقو السمع و كلام الراوى معترض بينهما اهـ و الاظهر عندى أن هذا اعادة لقوله فسمعها مسترقو السمع لطول الفصل بقول الصحابى و مسترقو السمع إلخ و بيان لتفسير التابعى بقوله و وصف الخ و انما عدل عن الماضى الى المضارع لان المعنى عليه أو استحضارا للحال المشار اليه (فيلقيها) أى يرميها و يقذفها (الى من تحته) أى من الجن (ثم يلقيها الآخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر) و انما عدل من الى الى على للاشارة الى انتهاء الامر و استقلال ظهور المقصود قال الطيبى والساحر المنجم كما جاء فى الحديث المنجم ساحر لان الساحر لايخبر من الغيب اهـ فاو فى قوله (أو الكاهن) للتنويع و حديث ابن عباس الآتى صريح فى أن الكاهن ساحر فالساحر كاهن فاو للشك (فربما أدرك الشهاب) بالرفع و فى نسخة بالنصب (قبل ان يلقيها) قال الطيبى يحتمل أن يكون منصوبا و مرفوعا يعنى الجنى قد يسترق السمع قبل أن يلقيه الى وليه أدرك الشهاب أو ادركه الشهاب قلت الثانى هو الظاهر لقوله تعالى الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب أى لحقه و أدركه و الشهاب ما يرى كان كوكبا انقض ذكره البيضاوى (و ربما ألقاها قبل أن يدركه) و ظاهره أن الادراك واقع لامحالة قال القاضى و اختلف فى أن المرجوم هل يتأذى به فيرجع أو يحترق لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لايصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه رأسا ولايقال ان الشيطان من النار فلايحترق لانه ليس من النار الصرف كما ان الانسان ليس من التراب الخالص مع ان النار القوية اذا استولت على الضعيفة استهلكتها (فيكذب) أى الكاهن (معها) أى مع تلك الكلمة المسموعة الصادقة الوقوع (مائة كذبة) أى ويخبر الناس بتلك الكلمة فى اثناء الكلمات الكذبة فاذا أكذبه أحد ببعض كذباته (فيقال) أى فيقول الناس وفى نسخة فقال أى من يصدق الكاهن (أليس قد قال لنا يوم كذا و كذا) أى من الشهر و السنة (كذا و كذا) أى من الخبر المطابق للواقع (فيصدق) بصيغة المجهول مشددة الدال أى الكاهن فى جميع كلماته و كذباته (بتلك الكلمة التى سمعت من السماء) أى بسببها و هذا من أغرب الغرائب و أعجب العجائب أن الكاذب فى مائة كلمة يعد صادقا بكلمة واحدة واقعة و مع هذا ما يصدقون من لم يسمع منه فى جميع عمره الا الصدق فالتصديق فى التحقيق من التوفيق (رواه البخارى ★ و عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال أخبرنى رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم من الانصار انهم) أى الاصحاب (بيناهم جلوس) أى ذوو جلوس أو جالسون (ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى مصاحبين له (رمى) بصيغة المجهول أى قذف (بنجم و استنار) أى لجوبه قال الطيبى هو جواب بينا و لم يوت باذ كما يستفصحه الاصمعى و أنشد ★ و بينا نحن نرقبه أتانا ★ و هم جلوس مبتدأ و خبر لان بينا و بينما يستدعيان أن يليهما جملة اسمية و بينا مع الجواب خبر ان (فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون فى الجاهلية اذا رمى بمثل هذا) و لما لم يكن سؤاله صلى الله عليه وسلم للاستعلام لانه كان عالما بذلك بل لان يجيبوا عما كانوا يعتقدونه فى الجاهلية فيزيله عنهم و يقلعه عن أصله (قالوا الله و رسوله أعلم كنا

نقول ولد الليلة رجل عظيم و مات رجل عظيم فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فانها لايرمى بها لموت
أحد و لا لحياته ولكن ربنا تبارك اسمه اذا قضى أ[مر]ا سبح حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم
حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش ما ذا قال ربكم
فيخبرونهم ما قال فيستخبر بعض أهل السموات بعضا حتى يبلغ هذه السماء الدنيا فيخطف الجن السمع
فيقذفون الى اوليائهم و يرمون فما جاؤا به على وجهه فهو حق و لكنهم يقرفون فيه و يزيدون رواه
مسلم ★ و عن قتادة قال خلق الله تعالى هذه النجوم لثلاث جعلها زينة للسماء و رجوما للشياطين
و علامات يهتدى بها فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ و أضاع نصيبه و تكلف ما لايعلم

نقول ولد) بصيغة المجهول أى يولد (الليلة رجل عظيم) أى باعتبار المآل (و مات رجل عظيم)
الظاهر أن الواو بمعنى أو أو المعنى كنا نقول تارة كذا و أخرى كذا (فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه
وسلم فانها) أى النجوم بدلالة النجم المراد به الجنس (لايرمى بها لموت أحد و لالحياته) أى
و لالحياة أحد آخر (و لكن ربنا تبارك اسمه) أى تكاثر خير اسمه فكيف مسماه (اذا قضى أمرا سبح
حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح) أى صوته أو نوبته (أهل هذه
السماء الدنيا) قال الطيبى فان قلت الدنيا صفة للسماء و السماء صفة لاسم الاشارة فكيف يصح وصف
الوصف قلت انما لايصح حيث كانت الصفة مفهوما لاذاتا و أوصاف اسم الاشارة ذوات فيصح وصفها
(ثم قال الذين يلون) بضم اللام أى يقربون (حملة العرش لحملة العرش) وضع الظاهر موضع الضمير
لئلايتوهم رجع الضمير لبعض الذين يلون (ما ذا قال ربكم فيخبرونهم ما قال) أى بما قال تعالى
(فيستخبر بعض أهل السموات) أى التحتانية (بعضا) أى من أهل السموت الفوقانية (حتى يبلغ)
أى يصل الخبر (هذه السماء الدنيا) أى أهلها من الملائكة (فيخطف الجن السمع) أى المسموع
و ضبط الفعل بالتذكير و فتح الطاء و فى نسخة بالتأنيث و كسر الطاء ففى القاموس خطف كسمع وضرب
او هذه قليلة أو رديئة استلبه و الشيطان السمع استرقه كاختطفه (فيقذفون) أى الجن يرمون مسموع
الملائكة (الى أوليائهم) من الكهنة و المنجمين (و يرمون) بصيغة المجهول أى الجن يقذفون
(بالشهب) قال الطيبى هو معطوف على يقذفون وهذا رميهم بالشهاب بعد القائهم الكلمة الى اوليائهم
و هو احدى الحالتين اللتين ذكرنا فى الحديث السابق و هى قوله و ربما ألقاها قبل أن يدركه قلت
الاظهر ان الواو لمطلق الجمع فالرمى شامل للحالتين (فما جاؤا) أى أولياؤهم (به على وجهه) أى
من غير تصرف فيه (فهو حق) أى كائن واقع (و لكنهم يقرفون) بكسر الراء أى يكذبون (فيه)
قال الطيبى عداه بفى على تضمين معنى الكذب اه ففى القاموس قرف عليهم بغى و لعياله كسب و خلط
و كذب فالاظهر أن معناه هنا يوقعون الكذب فى المسموع الصادق و يخلطونه و لايتركونه على وجهه
غالبا (و يزيدون) أى دائما كذبات أخر منضمة اليه (رواه مسلم ★ و عن قتادة) رضى‌الله تعالى
عنه تابعى جليل مشهور سبق ذكره و هو من اجلاء المفسرين (قال خلق‌الله تعالى هذه النجوم لثلاث)
أى من الحكم (جعلها زينة للسماء و رجوما للشياطين) أى كما قال تعالى و لقد زينا السماء الدنيا
بمصابيح و جعلناها رجوما للشياطين (و علامات يهتدى بها) بصيغة المجهول قال تعالى و بالنجم
هم يهتدون (فمن تأول فيها بغير ذلك) أى من ذكر فى النجوم فائدة أخرى من غير ما ذكر (أخطأ)
أى حيث تكلم رجما بالغيب (و أضاع نصيبه) أى حظه من عمره و هو الاشتغال بما يعنيه و ينفعه فى
الدنيا و الآخرة (و تكلف ما لايعلم) أى شيأ لايتصور علمه لان اخبار السماء لاتعلم الا من طريق

رواه البخارى تعليقا و فى رواية رزين و تكلف ما لايعنيه و ما لاعلم له به و ما عجز عن علمه الانبياء و الملائكة و عن الربيع مثله و زاد و الله ما جعل الله فى نجم حياة أحد و لارزقه و لاموته و انما يفترون على الله الكذب و يتعللون بالنجوم

الكتاب و السنة و ليس فيهما أزيد مما تقدم و الله أعلم و من حكايات الظرفاء أن منجما سرق منه شئ فقال له بعض العارفين أنت لاتعرف ما فى الارض كيف تدعى معرفة ما فى السماء (رواه البخارى تعليقا) أى بلااسناد (و فى رواية رزين و تكلف ما لايعنيه) أى و من حسن اسلام المرء تركه ما لايعنيه كما فى الحديث المشهور (و ما لاعلم له به) قال الطيبى ليس نفيا لما يتعاناه المنجم من الاحكام و اثباتا لغيره بل نفيه بالكلية و يؤيده ما اتبعه من قوله (و ما عجز عن علمه الانبياء و الملائكة) أى حيث لم يظهر منهم شئ و الا فالله أعلم بانهم يعلمون بعض الاحكام المتعلقة بالنجوم أم لا (و عن الربيع) أى ابن زياد يروى عن عمر و أبى بن كعب و يروى عنه قتادة و أبو نضرة كذا قيل و لم يذكره المؤلف فى اسمائه (مثله) أى مثل ما تقدم عن قتادة (و زاد) أى الربيع على ما سبق (و الله ما جعل الله فى نجم حياة أحد) أى ولادته أو طول بقائه (و لارزقه) أى مالا و لاجاها (و لاموته و انما يفترون) أى المنجمون (على الله الكذب و يتعللون بالنجوم) أى ويجعلون طلوع نجم مثلا علة لشئ مما ذكر أو المعنى يتسترون فى كذبهم بتعلقهم بالنجوم قال الطيبى و اعلم ان الشيخ أبا القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى رحمه الله فى كتابه المسمى بمفاتيح الحجج فى أبطال مذهب المنجمين أطنب فيه وذكر أقوالهم قال و أقربها قول من قال أن هذه الحوادث يحدثها الله تعالى ابتداء بقدرته و اختياره و لكن أجرى العادة بانه انما يخلقها عند كون هذه الكواكب فى البروج المخصوصة و تختلف باختلاف سيرها و اتصالاتها و مطارح أشعتها على جهة العادة من الله تعالى كما أجرى العادة بخلق الولد عقيب الوطء و خلق الشبع عقيب الاكل ثم قال هذا فى القدرة جائز لكن ليس عليه دليل و لا الى القطع به سبيل لان ما كان على جهة العادة يجب أن يكون الطريق فيه مستمرا و أقل ما فيه أن يحصل التكرار و عندهم لايحصل وقت فى العالم مكرر على وجه واحد لانه اذا كان فى سنة الشمس مثلا فى درجة من برج فاذا عادت اليها فى السنة الاخرى فالكواكب لايتفق كونها فى بروجها كما كانت فى السنة الماضية والاحكام تختلف بالقرائن و المقابلات و نظر الكواكب بعضها الى بعض فلايحصل شئ من ذلك مكررا و اتفقوا على انه لاسبيل الى الوقوف على الاحكام و لايجوز القطع على البت لتعذر الاحاطة بها على التفصيل ومما يدل على انه لاحجة فى قولهم انهم اختلفوا فيما بينهم فى حكم الزيج فلاهل هند و سند طريق يخالف طريق أرباب الزيج الممتحن و فصل الشيخ فى الاختلاف بينهم تفصيلا ثم قال و مما يدل على فساد قولهم أن يقال لهم أخبرونا عن مولودين ولدا فى وقت واحد ليس يجب تساويهما فى كل وجه ولاتمييز بينهما فى الصورة و القد و المنظر و حتى لايصيب أحد نكبة الا أصاب الآخر و حتى لايفعل هذا شيأ الا و الآخر يفعل مثله و ليس فى العالم اثنان هذا صفتهما قالوا من المحال أن يوجد مولودان فى العالم فى وقت واحد و لابد أن يتقدم أحدهما على الآخر فيقال أمحال ذلك فى العقل و التقدير أم فى الوجود فان قالوا بالاول بان فساد قولهم و أن قالوا بالثانى قيل و ما مثلكم منه فان قالوا ليس أمر الكسوفين يصدق قلنا ليس أمر الكسوفين من الاحكام و انما هو من طريق الحساب و ذلك غير منكر و يجوز أن يكون أمر سير الكواكب على ما قالوه و قد ورد فى الشريعة فى أمر الكسوفين بانه آية من آيات الله فان قالوا ان قولكم فى المنجمين انهم مخطؤن فى جميع ما يحكمون مكابرون للعقول قلنا انا نقول

★ و عن ابن عباس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من اقتبس بابا من علم النجوم لغير ما ذكر الله فقد اقتبس شعبة من السحر المنجم كاهن و الكاهن ساحر و الساحر كافر رواه رزين ★ و عن أبي سعيد قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لو أمسك الله القطر عن عباده خمس سنين ثم أرسله لاصبحت طائفة من الناس كافرين يقولون سقينا بنوء المجدح رواه النسائي

★ (كتاب الرؤيا) ★

انهم مخطؤن فى أصولهم عن شبه وقعت لهم فلايعرفون بطلان قولهم مكابرة للعقول و لا بالضرورة بل جزموا على مقتضى قواعد بنوها على أصول فاسدة وقعت الشبهة لسلفهم فى أصول قواعدهم فربما يصيبون فى تركيب الفروع على تلك الاصول فمنزلتهم فى الاحكام كمنزلة أصحاب الحدث و التخمين و أصحاب الزوج و الفرد فربما يصيبون اتفاقا لا عن ضرورة و ربما يخطؤن وكثيرا ما نجد من الفلاحين و الملاحين يعتبرون نزع ما اعتادوا من توقع المطر و هبوب الرياح فى أوقات راعوها بدلالات ادعوا انهم جربوها فى السماء و الهواء و غير ذلك فيحصل بعض أحكامهم اتفاقا لا تحقيقا (★ و عن ابن عباس رضى‌الله تعالى عنهما قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من اقتبس بابا من علم النجوم) أى تعلم نوعا من علومها (لغير ما ذكر الله) و هو الثالث المذكور فى حديث قتادة (فقد اقتبس شعبة من السحر) أى أخذ قطعة من علم السحر و هو العلم المذموم الذى بعضه فسق و بعضه كفر على ما قررناه سابقا (المنجم كاهن و الكاهن ساحر) لانه يسحر الناس بكلامه (و الساحر كافر) من الكفر أو الكفران أى فكذلك الكاهن و كذا المنجم كافر (رواه رزين ★ و عن أبي سعيد) رضى‌الله تعالى عنه (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لو أمسك الله القطر) بفتح فسكون أى لو منع الله المطر (عن عباده خمس سنين) أى مثلا أو المراد مدة تورث الاقناط عن انزال الغيث و أما قول الطيبى لم يرد به التحديد بل طول الزمان ففيه بعد لان عدد الخمس ليس متعارفا فى التكثير (ثم أرسله) أى أنزل القطر بعدها (لاصبحت طائفة من الناس كافرين) و هم المنجمون و مصدقوهم (يقولون) استئناف بيان أو حال (سقينا) بصيغة المجهول أى مطرنا (بنوء المجدح) بكسر الميم و سكون الجيم و فتح الدال المهملة فمهملة من الانواء التى لاتكاد تخطئ و هو ثلاثة كواكب كالاثافى كانها مجدح و هو خشبة فى رأسها خشبتان معترضتان يجدح بها السويق أى يضرب و يخلط و قال الطيبى و هو نجم من النجوم و قيل هو ثلاثة كواكب كالاثافى تشبيها بالمجدح الذى له ثلاث شعب و هو عند العرب من الانواء الدالة على المطر اه و المعنى انه يقال لهم فاين كان هذا النوء فى مدة خمس سنين مثلا هل كان يطلع كل سنة أم لا و هل له تأثير دائما أو فى بعض السنين و بهذا يظهر بطلان قولهم باليقين (رواه النسائي)

★ (كتاب الرؤيا) ★ قال النووى مقصورة مهموزة و يجوز تركها تخفيفا قلت الصواب ابدالها أو تخفيفها و أما تركها فغير صحيح رواية ودراية و قال الكشاف الرؤيا بمعنى الرؤية الا انها مختصة بما كان منها فى المنام دون اليقظة فلاجرم فرق بينهما بحرف التأنيث فيها مكان تاء التأنيث للفرق كما قيل فى القربى و القربة و فى القاموس الرؤية النظر بالعين و القلب رأيته رؤية و رؤيا و الرؤيا ما رأيته فى منامك و قال الواحدى الرؤيا مصدر كالبشرى و السقيا و الشورى الا انه صار اسما لهذا المتخيل فى المنام جرى مجرى الاسماء و قال المازرى مذهب أهل السنة ان حقيقة الرؤيا خلق الله فى قلب النائم اعتقادات كخلقها فى قلب اليقظان و هو سبحانه يفعل ما يشاء لايمنعه نوم و لايقظة و خلق هذه

★ (الفصل الاول) ★ عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لم‌يبق من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة رواه‌البخاري وزاد مالك برواية عطاء بن يسار يراها الرجل المسلم أو ترى له ★ و عن أنس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة و أربعين جزء من النبوة

الاعتقادات فى النائم علم على أمور أخر تلحقها فى ثانى الحال كالغيم على المطر
★ (الفصل الاول) ★ (عن أبى هريرة رضى‌الله‌تعالى‌عنه قال قال سول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لم‌يبق من النبوة) أى من أجزائها (الا المبشرات) بكسر الشين المشددة قال السيوطى أى الوحى منقطع بموتى و لايبقى ما يعلم منه ما سيكون الا الرؤيا والتعبير بالمبشرات خرج مخرج الاغلب فان من‌الرؤيا ما تكون منذرة و هى صادقة يريها الله للمؤمن رفقا به ليستعد لما يقع قبل وقوعها (قالوا) أى بعض الصحابة (و ما المبشرات قال الرؤيا الصالحة) أى الحسنة أو الصادقة و هى ما فيه بشارة أو تنبيه عن غفلة و امثال ذلك قال الطيبى و معنى الصالحة الحسنة و يحتمل أن تجرى على ظاهرها و أن تجرى على الصادقة و المراد بها صحتها و تفسير رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم المبشرات على الاول ظاهر لان البشارة كل خبر صدق يتغير به بشرة الوجه و استعمالها فى الخير أكثر وعلى الثانى مؤول أما على التغليب أو يحمل على أصل اللغة (رواه البخارى و زاد مالك برواية عطاء بن يسار) تابعى جليل (يراها الرجل المسلم) أى لنفسه (أو ترى) على صيغة المجهول أى يراها مسلم آخر (له) أى لاجله أو لاجل مسلم آخر و روى الطبرانى و الضياء عن عبادة بن الصامت رؤيا المؤمن كلام يكلم العبد ربه فى المنام و الظاهر أن ربه هو الفاعل و الله أعلم ★ (و عن أنس رضى‌الله تعالى‌عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة و أربعين جزأ من النبوة) هو ما فى أكثر الاحاديث و عند مسلم بن خمسة و أربعين و فى رواية له أيضا من سبعين جزأ و عند الطبرانى من ستة و سبعين و هو ضعيف و عند ابن عبدالبر من ستة و عشرين و عند النووى من أربعة و عشرين و هذه أقل ما ورد فى ذلك و أكثرها رواية ستة و سبعين و بقيت روايات أخر كذا ذكره ابن حجر و فى الجامع الصغير رؤيا المؤمن الصالح بشرى من الله و هى جزء من خمسين جزأ من النبوة رواه الحاكم و الطبرانى عن العباس و فى رواية ابن ماجه عن أبى سعيد بلفظ رؤيا المؤمن الصالح جزء من سبعين جزأ من النبوة و سيأتى روايات أخر قال التوربشتى قيل معناه أن الرؤيا جزء من اجزاء علم النبوة و النبوة غير باقية و علمها باق و هو معنى قوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ذهبت النبوة و بقيت المبشرات الرؤيا الصالحة قلت رواه ابن ماجه عن أم كرز قال و نظير ذلك قوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم السمت الحسن و التؤدة و الاقتصاد جزء من أربعة و عشرين جزأ من النبوة أى من أخلاق أهل النبوة قلت رواه الترمذى عن عبدالله بن سرجس و فى رواية الضياء عن أنس السمت الحسن جزء من خمسة و سبعين جزأ من النبوة قال و قيل معناه انها تجيء على موافقة النبوة لا انها جزء باق من النبوة و قيل انما قصر الاجزاء على ستة و أربعين لان زمان الوحى كان ثلاثا و عشرين سنة و كان أول ما بدئ به من الوحى الرؤيا الصالحة و ذلك فى ستة أشهر من سنى الوحى و نسبة ذلك الى سائرها نسبة جزء الى ستة وأربعين جزأ قال و أما حصر سنى الوحى فى ثلاثة و عشرين فانه ورد به الروايات المعتد بها مع اختلاف فى ذلك و أما كون زمان الرؤيا فيها ستة أشهر فشئ قدره هذا القائل فى نفسه و لم‌يساعده فيه النقل و أرى الذاهبين الى التاويلات التى ذكرناها قد ها لهم القول بأن الرؤيا جزء من النبوة و قد قال

متفق عليه ★ و عن أبي هريرة أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال من رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لايتمثل في صورتي متفق عليه

صلى‌الله‌عليه‌وسلم ذهبت النبوة و لاحرج على أحد في الاخذ بظاهر هذا القول فان جزأ من النبوة لايكون نبوة كما ان جزأ من الصلاة على الانفراد لايكون صلاة و كذلك عمل من اعمال الحج وشعبة من شعب الايمان و أما وجه تحديد الاجزاء بستة و أربعين فأرى ذلك مما يجتنب القول فيه و يتلقى بالتسليم فان ذلك من علوم النبوة التي لاتقابل بالاستنباط و لايتعرض له بالقياس و ذلك مثل ما قال في حديث عبدالله بن سرجس في السمت الحسن و التؤدة و الاقتصاد انها جزء من أربعة و عشرين جزأ من النبوة و قلما يصيب مؤول في حصر هذه الاجزاء ولئن قيض له الاصابة في بعضها لما يشهد له الاحاديث المستخرج منها لم يسلم له ذلك في البقية اه و وافقه النووي في شرح مسلم في قدحه في كون زمان الرؤيا فيها ستة أشهر و قال لم يثبت أن رؤياه صلى‌الله‌عليه‌وسلم قبل النبوة ستة أشهر اه و قيل المراد من هذا العدد المخصوص الخصال الحميدة أي كان للنبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم ستة و أربعون خصلة و الرؤيا الصالحة جزء منها و يؤيده حديث أبي هريرة السابق مع زيادة مالك من قول عطاء اللاحق و ينصره أيضا حديث السمت الحسن و التؤدة و الاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزأ من النبوة لكن ينبغي أن يراد بالاعداد المذكورة في الاحاديث المسطورة التكثير لاالتحديد بقرينة حديث السمت الحسن جزء من خمسة و سبعين جزأ من النبوة كما تقدم و الله أعلم (متفق عليه) و في الجامع الصغير رواه البخاري عن أبي سعيد و مسلم عن ابن عمر و عن أبي هريرة و أحمد و ابن ماجه عن ابي رزين و الطبراني عن ابن مسعود و في رواية لاحمد و ابن ماجه عن ابن عمر و لاحمد أيضا عن ابن عباس و لفظه الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزأ من النبوة و في رواية ابن النجاري عن ابن عمر الرؤيا الصالحة جزء من خمسة و عشرين جزأ من النبوة (★ و عن أبي هريرة رضي‌الله تعالى عنه أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال من رآني) أي مثالي (في المنام فقد رآني) أي فكأنه قد رآني في عالم الشهود و النظام لكن لايبتنى عليه الاحكام ليصير به من الصحابة و ليعمل بما سمع به في تلك الحالة كما هو مقرر في محله و قيل أراد به أهل زمانه أي من رآني في المنام يوفقه الله تعالى لرؤيتي في اليقظة أما في الدنيا أو في الآخرة و يدل عليه حديث أبي هريرة الآتي فسيراني في اليقظة و لعل التعبير بصيغة الماضي تنزيلا للمستقبل منزلة المحقق الواقع في الحال و ان كان يقع في المآل و قيل يراه في الآخرة على وفق منامه بحسب مقامه و قيل هو بمعنى الاخبار أي من رآني في المنام فاخبروه بان رؤيته حقيقة و حقة ليست بأضغاث أحلام (فان الشيطان لايتمثل في صورتي) أراد به صفته المعروفة له صلى‌الله عليه‌وسلم في حياته و قيل من رآني على أي صورة كانت فقد رآني حقيقة لان الشيطان لايتمثل في صورتي و لايتراآى بي كما في رواية (متفق عليه) و في الجامع الصغير رواه أحمد و البخاري و الترمذي عن أنس و لفظه لايتمثل بي و في رواية للترمذي في الشمائل لايتصور أو قال لايتشبه بي و في أخرى لايتمثلني هذا و قد قال الطيبي الشرط و الجزاء اتحدا فدل على التناهي في المبالغة كما يقال من أدرك الضمان فقد أدرك المرعى أي أدرك مرعى متناهيا في بابه أي من رآني فقد رأى حقيقتي على كماله لاشبهة و لاارتياب فيما رآى و يدل عليه قوله أي في الحديث الآتي فقد رآني الحق و الحق هنا مصدر مؤكد أي من رآني فقد رآني رؤية الحق و في البخاري و مسلم و الحميدي و جامع الاصول فقد رأى الحق على ان الحق مفعول به و قوله فان الشيطان كالتتميم للمعنى و التعليل للحكم قال النووي

اختلفوا فيه فقال ابن الباقلانى معناه أن رؤياه صحيحة ليست باضغاث أحلام و لا من تشبيهات الشيطان أو تسويلاته قال و قد يراه الرائى على خلاف صفته المعروفة كمن يراه أبيض اللحية و قد يراه شخصان فى زمان واحد أحدهما فى المشرق و الآخر فى المغرب. و يراه كل منهما فى مكانه حكاه المازرى عنه ثم قال و قال الآخرون بل الحديث على ظاهره و المراد أن من يراه فقد أدركه و ليس لمانع ان يمنعه و أن العقل لايحيله حتى يضطر الى التأويل و أما قوله فانه قد يرى على خلاف صفته أو فى مكانين معا فانه تغيير فى صفاته لافى ذاته فتكون ذاته صلى الله عليه وسلم مرئية وصفاته متخيلة غير مرئية والادراك لايشترط فيه تحديق الابصار و لاقرب المسافة و لاكون المرئى مدفونا فى الارض و لا ظاهرا عليها و انما يشترط كونه موجودا فلو رآه يأمر بقتل من يحرم قتله كان هذا من صفاته المتخيلة لاالمرئية قال القاضى عياض و يحتمل أن يكون المراد بقوله فقد رآنى اذا رآه على صفته المعروفة له فى حياته فان رؤى على خلافها كانت رؤيا تأويل لارؤيا حقيقة و هو ضعيف بل الصحيح انه يراه حقيقة سواء كان على صفته المعروفة أو غيرها كما ذكره المازرى اه كلام النووى و الظاهر انه لافرق بين كلاميهما فان مرادهما أنه صلى الله عليه وسلم اذا رؤى على صفته المسطورة وهيئته المعروفة المذكورة فلايحتاج الى تأويل بل يقال أنه قد رآه صلى الله عليه وسلم على وجه الاطلاق و أما اذا رآه على غير صفته كما اذا رآه ميتا فى قطعة من أرض المسجد على ما حكى عن بعض المشايخ أنه رآه كذلك فاحتاج الى تأويل و تعبير بما قيل أن تلك القطعة من أرض المسجد مغصوبة أو مملوكة غير صحيحة على قواعد شرعه صلى الله عليه وسلم فكانه أميت فى تلك البقعة و من أحياها فكانما أحيا الناس جميعا و كذلك ما رآه امامنا الاعظم فى منامه الاكرم من جمع أعظمه المباركة المتفرقة فعبر له ابن سيرين بأنك تصير اماما للمسلمين و جامعا لمعانى الاحاديث المختلفة بين الصحابة و المتفرقة بين التابعين و كثر أمثال ذلك مما وقع فى رؤياه صلى الله عليه وسلم لطبقات العلماء و الاولياء و الصالحين و قال الشيخ أبو حامد الغزالى ليس معناه أنه رأى جسمى و بدنى بل رأى مثالا صار ذلك المثال آلة يتادى بها المعنى الذى فى نفسى اليه بل البدن الجسمانى فى اليقظة أيضا ليس الا آلة النفس و الآلة تارة تكون حقيقية و تارة خيالية و النفس غير المثالات المتخيلة اذ لايتخيل الا ذولون أو ذوقدر بعيد من المتخيل أو قريب والحق أن ما يراه مثال روحه المقدسة التى هى محل النبوة فما رآه من الشكل ليس هو روح النبى صلى الله عليه وسلم و لاشخصه بل هو مثال له على التحقيق و معنى فقد رآنى ما رآه صار واسطة بينى و بينه فى تعريف الحق أياه و كذلك ذات الله منزهة عن الشكل و الصورة و لكن تنتهى تعريفاته الى العبد بواسطة مثال محسوس من نور أو غيره من الصور الجميلة التى تصلح أن تكون مثالا للجمال الحقيقى المعنوى الذى لاصورة فيه و لالون و يكون ذلك المثال صادقا و حقا و واسطة فى التعريف فيقول الرائى رأيت الله تعالى فى المنام لابمعنى انى رأيت ذاته و قال الشيخ أبو القاسم القشيرى من المعلوم انه قد يراه صلى الله عليه وسلم بعض الناس كانه على صورة شيخ و يراه بعضهم كانه على صورة أمرد و واحد كانه مريض و آخر كانه ميت و غير ذلك من الوجوه ثم يكون معنى الخبر أن تلك الرؤيا جمع يحتمل وجوها من التأويل لأنه صلى الله عليه وسلم كان موصوفا بتلك الصفات جميعا فكذلك لو رأى أحد فى المنام ربه تعالى على وصف يتعالى عنه و هو يعلم انه سبحانه منزه عن ذلك و لايعتقد فى صفته تعالى ذلك لاتضره تلك الرؤيا بل يكون لها وجه من التاويل قال الواسطى من رأى ربه تعالى فى المنام على صورة شيخ عاد تأويله الى الرائى و هو اشارة الى وقاره و قدر محله و كذلك اذا رآه كانه شخص ساكن يتولى أمره و يكفى شأنه اه كلام القشيرى وهو لب التحقيق و قد نشأ من التوفيق

لان كثيرا من الناس يرونه سبحانه فى المنام فلاينبغى أن يفتى بمجرد قوله أنه رأى الله تعالى بكفره كما قاله بعض علمائنا لانه ليس له فى رؤية المنام اختيار و لم يقع نص فى النهى عن ذكر مثل ذلك و انما هو مكلف بان لايعتقد فى ذاته تعالى ما يتعالى عن ذلك فاذا نزهه سبحانه سواء علم تاويل رؤياه أو لم يعلم لم يضره ففى قاضيخان لو قال رأيت الله فى المنام قال الشيخ أبو منصور الماتريدى هذا الرجل شر من عابد الوثن قلت و انما يكون شرا منه لكونه يثبت لله تعالى ما لايليق به من الكمية و الكيفية فى الهوية الالوهية الذاتية و صدور المكان و مرور الزمان و سائر الاحوال و الصفات التنزيهية و قد يكون عابد الوثن خاليا عن ذلك فيكون كفره بمجرد الاشراك ثم قال و هذه مسألة اختلف فيها مشايخ بخارى و سمرقند قال مشايخ سمرقند رؤية الله تعالى فى المنام باطل لاتكون لان ما يرى فى المنام لايكون عين المولى بل خيال له و الله منزه عن ذلك قلت و ما أظن ان قول مشايخ بخارى يكون على خلاف ذلك فيتحصل أتفاقهم على ان رؤياه على وجه ما رآه باطلة لأنها من أصلها لاحقية و لاحقيقية لشانها و على تقدير القول ببطلانها مطلقا فاذا قال الشخص رأيت مناما و يكون باطلا فما وجه تكفيره مع أنه فى الجملة صادق فى رؤياه و لم يكفر من يكذب و يفترى و ينسب الى عينه ما لم تره هذا و قد تقدم فى أول الكتاب أنه صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال رأيت ربى عزوجل فى أحسن صورة و ذكرنا توجيهاته على تقدير أن تكون الرؤية حال اليقظة و من جملة تأويلاته انه مستند الى رؤيا رآها رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فى المنام فانه روى الطبرانى باسناده عن مالك بن عامر عن معاذ بن جبل رضى‌الله تعالى عنه قال احتبس علينا رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم صلاة الغدوة حتى كادت الشمس تطلع فلما صلى الغدوة قال أنى صليت الليلة ما قضى لى و وضعت جنبى فى المسجد فأتانى ربى فى أحسن صورة قال التوربشتى من أئمتنا فعلى هذا لم يكن فيه اشكال اذ الرائى قد يرى غير المتشكل متشكلا و المتشكل بغير شكله ثم لم يعد ذلك خللا فى الرؤيا و لافى الرائى بل لاسباب أخر و لولا تلك الاسباب لما افتقرت رؤيا الانبياء الى تعبير اه كلامه و هو فى غاية التحقيق و بالله التوفيق ثم قال و ترك الكلام فى هذه المسئلة أحسن قلت لا و الله بل التحقيق و التثبت فيها أفضل بل هو المتعين لانها كثيرة الوقوع فيحتاج الى تفصيلها و تبيينها حتى لايقع المفتى فى تكفير مسلم و لا مسلم فى كفر من اعتقاد باطل و الله أعلم بالصواب و اليه المرجع و المآب قال الطيبى قول المازرى و أبى حامد من واد واحد و يمكن أن يرجح قول الباقلانى بان يقال أن أثبت الروايات هى فقد رأى الحق فلابد من تقدير ما يستقيم أن يقع الجزاء مسببا من الشرط و يترتب على العلل المعللة فالمعنى من رآنى فى المنام بأى صفة كانت فليستبشر و ليعلم أنه قد رأى الرؤيا الحق التى هى من الله تعالى و هى المبشرات لا الباطل الذى هو الحلم المنسوب الى الباطل الذى هو الشيطان فان الشيطان لم يتمثل بى و كيف لاتكون مبشرات و هو البشير النذير و السراج المنير و هو الرحمة المهداة الى كافة الخلق قال تعالى و ما أرسلناك الا رحمة للعلمين و على هذا أيضا الرواية الاخرى فقد رآنى الحق أى رؤية الحق لا الباطل و كذا الرواية الاخرى فقد رآنى فان الشرط و الجزاء اذا اتحدا دل على الكمال و الغاية أى فقد رآنى رؤيا ليس بعدها كقوله من كانت هجرته الى الله فهجرته الى الله و لاكمال أكمل من الحق كما لانقص أنقص من الباطل و الباطل هو الكذب و يؤيده حديث أبى هريرة رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وما كان من النبوة فانه لايكذب فحينئذ لايفتقر الى تلك التكلفات و التمحلات و لايكشف الاستار عن تلك الاسرار الا من تدرب فى علم المعانى و اعتلى شامخ البيان و عرف كيف يؤلف الكلام و يصنف و يرتب النظام و يرصف قلت هذا خطبة بليغة عظيمة فيها مبالغة جسيمة وسيمة

★ وعن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رآني فقد رأى الحق متفق عليه
★ و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فسيراني في اليقظة و لايتمثل الشيطان بي متفق عليه ★ و عن أبي قتادة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة من الله و الحلم من الشيطان .

لكن لانعرف ما المراد من التكلفات و التمحلات و سائر ما عبر عنه بالاستار عن الاسرار المغيبات فانه ما سبق الاكلام السابقين في ميدان البلاغة و المصدرين في ايوان الفصاحة من الشارح الاول و هو العلم الاكمل الشيخ التوربشتي و من شارح مسلم و هو الامام محيي الدين النووي المشتمل كلامه على نقل مقول ابن الباقلاني و المازري و كلام القاضي عياض وهم عمدة المحققين و زبدة المدققين ثم ختم المبحث بقول حجة الاسلام والقشيري مقتدى الانام فرحم الله من أنصف ولم يتجاوز قدره ولم يتعسف و مع هذا نقول التسليم أسلم و الله أعلم (★ و عن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رآني فقد رأى الحق) المراد بالحق هنا ضد الباطل فما يتوهم من خلافه هو الباطل و الاظهر أن المراد بالحق هنا الصدق الذي ضده الكذب أي فقد صدقت رؤياه فانه قد رآني لاغيري و يدل عليه ما في رواية أخرى من قوله فقد رآني الحق أي رؤية الحق أو معناه فقد رأى رؤيا الحق (متفق عليه) و في الجامع الصغير رواه أحمد والشيخان عنه بلفظ من رآني فقد رأى الحق فان الشيطان لايترآآني ★ (وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فسيراني في اليقظة) أي في الدنيا أو في الآخرة قال النووي فيه أقوال أحدها أن يراد به أهل عصره و معناه أن من رآه في النوم و لم يكن هاجر يوفقه الله للهجرة و رؤيته صلى الله عليه وسلم في اليقظة عيانا و ثانيها أنه يرى تصديق تلك الرؤيا في اليقظة في الدار الآخرة لانه يراه في الآخرة جميع أمته و ثالثها انه يراه في الآخرة رؤية خاصة في القرب منه و حصول شفاعته و نحو ذلك (و لايتمثل الشيطان بي) في شرح مسلم للنووي عن القاضي عياض قال بعضهم خص الله سبحانه و تعالى النبي صلى الله عليه وسلم بان رؤية الناس أياه صحيحة و كلها صدق و منع الشيطان أن يتصور في خلقته لئلايكذب على لسانه في النوم كما أجرى الله سبحانه العادة للانبياء بالمعجزة فكما استحال أن يتصور الشيطان في صورته في اليقظة و لو وقع لاشتبه الحق بالباطل و لم يوثق بما جاء به مخافة من هذا التصوير فحماها الله تعالى من الشيطان و نزغه و وسوسته و أغوائه و كيده و كذا حمى رؤياهم عنه بالنوم (متفق عليه) و كذا رواه أبو داود (★ و عن أبي قتادة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة من الله و الحلم) بضم الحاء وسكون اللام و يضم ما يرى في المنام من الخيالات الفاسدة (من الشيطان) أضافها اليه لكونها على مراده و في النهاية الحلم عبارة عما يراه النائم في نومه من الاشياء لكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير و الشيء الحسن و غلب الحلم على ما يراه من الشر و الامر القبيح و منه قوله تعالى أضغاث أحلام و يستعمل كل واحد منهما موضع الآخر و تضم لام الحلم و تسكن اه لكن أضغاث أحلام بمعنى أخلاطها حيث خلط بعض ما يدل على الخير ببعض ما يدل على الشر فحينئذ يعجز عنه أكثر المعبرين الذين هم ليسوا بحاذقين بخلاف الحلم الخاص بالخير أو الشر فانه يدركه المعبر و قد يدركه غيره أيضا كما هو مشاهد و لذا قال المعبرون في زمن يوسف عليه السلام و ما نحن بتأويل الاحلام أي تلك الاحلام بعالمين أو بتأويل الاحلام مطلقا فان ما يتميز به المعبر من غيره هو هذا النوع من الاحلام ولذا كاد أن يقرب تأويله الى المعجزة أو الكرامة

فاذا رأى أحدكم ما يحب فلايحدث به الا من يحب و اذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها و من شر الشيطان و ليتفل ثلاثا و لايحدث بها أحدا فانها لن تضره متفق عليه ★ و عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأى أحدكم الرويا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا

و لذا من الله سبحانه على يوسف بقوله و يعلمك من تأويل الاحاديث و عمم هذه المنة على نبى هذه الامة صلى الله عليه وسلم بقوله عزوجل و علمك ما لم تكن تعلم و كان فضل الله عليك عظيما زاده تبجيلا و تكريما و تشريفا و تعظيما و سيأتى بعض تأويلاته صلى الله عليه وسلم لبعض أحلامه أو أحلام بعض أعلام أصحابه رضى الله تعالى عنهم أجمعين قال النووى الله سبحانه هو الخالق للرؤيا و الحلم لكن جعل الرؤيا و الاعتقادات التى هى أعلام على ما يسر بغير حضرة الشيطان محبوبة و جعل ما هو علامة على مايضر بحضرة الشيطان مكروهة فتنسب الى الشيطان مجازا لحضوره عندها لا على أن الشيطان يفعل ما يشاء و قيل أضافة الرؤيا المحبوبة الى الله تعالى أضافة تشريف و أضافة المكروهة الى الشيطان لانه يرضاها ويسر بها (فاذارأى أحدكم ما يحب فلايحدث) بضم المثلثة ويسكن أى فلايحكى ولايخبر به (الا من يحب) أى من العلماء و الصلحاء و الاقرباء و يحمده سبحانه على ذلك كما فى رواية للبخارى و مسلم اذا رأى فى منامه ما يحب فليحمد الله عليها و ليحدث بها و لايحدث بها الا من يحب (و اذارأى ما يكره فليتعوذ بالله) أى فلايلتفت الى غيره سبحانه و ليلتجىء اليه و ليستعذ به (من شرها) أى شر تلك الرؤيا الفاسدة (و من شر الشيطان) أى الذى يفرح بها و يلقى الوسوسة الى صاحبها (وليتفل) بضم الفاء و قيل بكسرها أى يبصق (عن يساره) كما فى رواية و فى رواية لينفث و معانيها متقاربة قال الجزرى التفل شبيه بالبزق و هو أقل منه فاوله البزق ثم التفل ثم النفث ثم النفخ اه و المعنى ليبصق ماء فمه كراهة الرؤيا و تحقيرا للشيطان (ثلاثا) للمبالغة (و لايحدث) بالجزم عطفا على ليتفل أى و لايخبر (بها أحدا) أى سواء ممن يحبه أو لايحبه و فيه اشارة خفية الى أن وقت النعمة ينبغى أن يرى أثر نعمته تعالى على عبده و لذا قال تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وأما وقت البلية فينبغى أن يرجع العبد الى مولاه و أن ينقطع عما سواه و لذا قال تعالى و أصبر و ما صبرك الا بالله و قال يعقوب أنما أشكوا بثى و حزنى الى الله و قد ورد فى بعض الادعية المأثورة اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان و لاحول و لاقوة الا بك (فانها) أى الرؤيا المكروهة (لن تضره) أى حينئذ لانه يعلم ان كل شئ من الحبيب حبيب و أن الله هو المحمود فى كل أفعاله فيحصل حينئذ الرضا بجميع أحواله قال النووى و معنى لن تضره أنه تعالى جعل فعله من التعوذ و التفل و غيره سببا لسلامته من مكروه يترتب عليها كما جعل الصدقة وقاية للمال و سببا لدفع البلاء و قوله لايحدث بها أحدا أى حتى لايفسرها أحد تفسيرا مكروها على ظاهر صورتها و كان ذلك محتملا فوقعت كذلك بتقدير الله تعالى قال الطيبى و سيجىء تمام البحث فيه فى الحديث الاول من الفصل الثانى قلت و سيأتى الكلام عليه ان شاء الله سبحانه (متفق عليه) و فى الجامع الصغير رواه مسلم عن أبى قتادة و لفظه الرويا الصالحة من الله و الرويا السوء من الشيطان فمن رأى رويا يكره منها شيأ فلينفث عن يساره وليتعوذ بالله من الشيطان فانها لاتضره و لايخبر بها أحدا فان رأى روية حسنة فليبشر و لايخبر بها الا من يحب (★ و عن جابر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأى أحدكم الرويا يكرهها) صفة أو حال أو استئناف بيان (فليبصق) بضم الصاد أى ليبزق (عن يساره ثلاثا) قال النووى الامر بالتفل و البصق طرد للشيطان الذى حضر روياه المكروهة و تحقيرا له و استقذارا لفعله وخص بها اليسار لانها محل الاقذار

و ليستعذ بالله من الشيطان ثلاثا و ليتحول عن جنبه الذى كان عليه رواه مسلم ★ و عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا اقترب الزمان لم‌يكد يكذب رؤيا المؤمن و رؤيا المؤمن جزء من ستة و أربعين جزأ من النبوة و ما كان من النبوة فانه لايكذب قال محمد بن سيرين و أنا اقول الرؤيا ثلاث حديث النفس و تخويف الشيطان و بشرى من الله

و المكروهات و نحوهما (و ليستعذ بالله من الشيطان ثلاثا و ليتحول عن جنبه الذى كان عليه) أى الى جنبه الآخر فرارا من القضاء الى القدر (رواه مسلم) و كذا أبوداود و النسائى و ابن ماجه (★ و عن أبى هريرة رضى‌الله تعالى عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا اقترب الزمان لم‌يكد) أى لم‌يقرب (يكذب) بصيغة التذكير و فى نسخة بالتأنيث (رؤيا المؤمن) قال صاحب الفائق فيه ثلاثة أقاويل أحدها أنه أراد آخر الزمان و اقتراب الساعة لان الشئ اذا قل و تقاصر تقاربت أطرافه و منه قيل للمقتصد متقارب و يقولون تقاربت ابل فلان اذا قلت و يعضده قوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فى آخر الزمان لاتكاد رؤيا المؤمن تكذب و ثانيها انه أراد به أستواء الليل و النهار لزعم العابرين أن أصدق الازمان لوقوع العبارة وقت انفتاق الانوار وزمان أدراك الاثمار وحينئذ يستوى الليل و النهار وثالثها انه من قوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يتقارب الزمان حتى تكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم و اليوم كالساعة قالوا يريد به زمن خروج المهدى وبسط العدل وذلك زمان يستقصر لاستلذاذه فيتقارب أطرافه قلت و يمكن أن يراد به زمن الدجال و أيام يأجوج و مأجوج فانه من كثرة التعب و الآلام و عدم الشعور بأزمنة الليالى و الايام تتقارب أطرافه فى الاعوام و أيضا يحتاج المؤمن حينئذ الى ما يستدل به على مطلوبه و يستأنس به فى طريق محبوبه فيعان له بجزء من أجزاء النبوة و شعبة من شعب أرباب الولاية هذا و قال الطيبى اختلف فى خبر كاد المنفى و الاظهر انه يكون أيضا منفيا لان حرف النفى الداخل على كاد ينفى قرب حصوله و النافى لقرب حصول الشئ أدل على نفيه نفسه و يدل عليه قوله تعالى اذا أخرج يده لم‌يكد يراها قلت و لفظ الحديث على ما رواه الشيخان و ابن ماجه عن أبى هريرة اذا قرب الزمان لم‌تكد رؤيا الرجل المسلم تكذب و أصدقهم رؤيا أصدقهم حديثا كذا فى الجامع (و رؤيا المؤمن جزء من ستة و أربعين جزأ من النبوة و ما كان من النبوة) أى من أجزائها (فانه لايكذب) بفتح الياء و كسر الذال أى لايكون كاذبا بل يقع صادقا و فى نسخة بصيغة المجهول من الاكذاب أى لاينسب الى الكذب (قال محمد بن سيرين) و هو من أجلاء التابعين (و أنا اقول الرؤيا ثلاث) كذا فى البخارى و شرحه للخطابى و فى رواية مسلم و فى جامع الاصول و نسخ المصابيح ثلاثة ذكره الطيبى و لعل منشأ الخلاف كون المصدر يذكر و يؤنث (حديث النفس) كنسبة العاشق و المعشوق و منه قيل ما ترى الهرة فى نومها الا الفارة و من هذا القبيل كما تعيشون تموتون و كما تموتون تحشرون و كل أناء يترشح بما فيه (و تخويف الشيطان) أى بان يكدر عليه وقته الصافى فيريه فى النوم أنه قطع رأسه مثلا (و بشرى من الله) أى اشارة الى بشارة من الله تعالى للرائى أو المرئى له فى شرح السنة فيه بيان أن ليس كل ما يراه الانسان فى منامه يكون صحيحا و يجوز تعبيره انما الصحيح منها ما كان من الله تعالى يأتيك به ملك الرؤيا من نسخة أم‌الكتاب و ما سوى ذلك أضغاث أحلام لاتأويل لها و هى على أنواع قد تكون من فعل الشيطان يلعب بالانسان و يريه ما يحزنه وله مكايد يحزن بها بنى آدم كما أخبر الله تعالى عنه بقوله انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا و من لعب الشيطان به الاحتلام الذى يوجب الغسل فلايكون له تأويل قلت اذا كان رؤيته على وجه

فمن رأى شيأ يكرهه فلايقصه على أحد و ليقم فليصل قال فكان يكره الغل فى النوم و يعجبهم القيد و يقال القيد ثبات فى الدين متفق عليه قال البخارى رواه قتادة و يونس و هشيم و أبو هلال عن ابن سيرين عن أبى هريرة و قال يونس لاأحسبه الا عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم فى القيد و قال مسلم لاأدرى هو فى الحديث أم قاله ابن سيرين

شرعى قديؤول له بالزواج على المرئية أو غيرها قال و قد يكون ذلك من حديث النفس كمن يكون فى أمر أو حرفة يرى نفسه فى ذلك الامر و العاشق يرى معشوقه (فمن رأى شيأ يكرهه) الظاهر أن هذا من بقية كلام ابن سيرين و الفاء فيه للتفريع و التفصيل و فى مختصر الطيبى قوله فمن تفصيل لما تقدم من أول الحديث و تقسيم ابن سيرين واقع بينهما اه و هو غير واقع فى كلام الطيبى بل غير واقع فى محله و لاثمة دلالة على مقوله ثم رأيت ما يدل على أن قوله الرؤيا ثلاث مرفوع فالتقدير أنا أقول أى رواية الرؤيا ثلاث ففى الجامع الصغير برواية ابن ماجه ثلاثة منها تهاويل من الشيطان ليحزن ابن آدم ، منها ما يهم به الرجل فى يقظته فيراه فى منامه و منها جزء من ستة و اربعين جزأ من النبوة أى فهى بشرى من الله هذا و يحتمل أن هذا يكون مسموعا لابن سيرين و لم يستحضره ممن رواه أو وقع له توارداً و قال هذا الكلام مصادفة و موافقة للحصر المذكور على الوجه المسطور و سنذكر حديثا آخر فى شرح هذا الحديث يحصل به تمام المرام و الله أعلم (فلايقصه) بتشديد الصاد المفتوحة وفى نسخة بضمها فالاول نص على أنه نهى والثانى يحتمل النهى والنفى لكنه بمعنى النهى أى لايحكيه (على أحد) يستوى فيه المحب و غيره وقد جاء فى رواية الترمذى عن أبى هريرة مرفوعا اذا رأى أحدكم الرؤيا الحسنة فليفسرها أو ليخبربها واذا رأى الرؤيا القبيحة فلايفسرها ولايخبر بها (و ليقم فليصل) يعنى ليدفع الله الشيطان عنه ببركة قيامه و أداء صلاته و هذا اذا كان نشيطا و الا فليبصق عن يساره ثلاثا و ليستعذ بالله من الشيطان ثلاثا و ليتحول عن جنبه الذى كان عليه كما سبق على انه يمكن الجمع و هو الاولى ثم أعلم أن الجزرى ذكر فى الحصن قوله و ليقم فليصل و رمز له البخارى و هو موهم أنه مرفوع و قد صرح بعض المحققين بان الامر بالصلاة ليس بمرفوع فى البخارى بل هو موقوف على محمد بن سيرين نعم هو مرفوع فى الترمذى من حديث أبى هريرة كما قاله الامام النووى فى الاذكار (قال) أى محمد بن سيرين على ما جزم به بعض الشراح و لعل وجه أعادة قال طول الفصل بالمقال (و كان يكره الغل فى النوم و يعجبهم القيد) قيل فاعل قال أن كان ابن سيرين كان ما بعده من الحديث و يكون فاعل كان و يكره ضمير النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم أو ضمير أبى هريرة رضى‌الله تعالى عنه و ضميرهم فى تعجبهم للنبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم و أصحابه أو لابى هريرة و أمثاله و أن كان فاعل قال ضمير الراوى عن ابن سيرين كان مابعده منقولا عن ابن سيرين وكان فاعل يكره ضميره و ضميرهم له و لامثاله و معاصريه من المعبرين قلت و يؤيد الاخير اعادة قال وكذا قوله (و يقال القيد ثبات فى الدين) أى ثبات قدم و رسوخ تمكين (متفق عليه) أى ذكر الحديث بكماله المشتمل على المرفوع و الموقوف البخارى و مسلم لكن لهما تردد فى آخر الحديث (قال البخارى رواه) أى الحديث مطلقا أو بالقيد (قتادة ويونس و هشيم و أبو هلال) أى كلهم (عن ابن سيرين عن أبى هريرة) أى مرفوعا فى أوله و موقوفا فى آخره (و قال يونس) أى أحد الرواة عن ابن سيرين (لاأحسبه) أى لاأظن الحديث (الا عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم فى القيد) أى فى شأنه قلت و تعبيره بيقال مما يأبى أن يكون موقوفا فضلا عن أن يكون مرفوعا (و قال مسلم لاأدرى هو) أى القيد (فى الحديث)

أى مرفوع أو موقوف (أم قاله ابن سيرين) أى من عنده قلت و هو الظاهر الذى لاينبغى أن يشك فيه لما قدمناه لايقال كلام الشيخين ليس فى قوله و يقال القيد بل فى قوله و يعجبهم القيد لانا نقول لو كان المراد هذا لما خص بالقيد لان الغل كذلك هذا و لم يقل أحد من الشيخين أن فاعل قال راوى ابن سيرين و قال الطيبى و قوله و كان يكره محتمل أن يكون مقولا لراوى ابن سيرين فيكون اسم كان ضمير ابن سيرين و أن يكون مقولا لابن سيرين فاسمه ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم أو الى أبى هريرة رضى الله تعالى عنه فقول مسلم لاأدرى هو فى الحديث أو قاله ابن سيرين معناه لاأدرى أن قال مقول لراوى ابن سيرين فيكون قولا لابن سيرين أو يكون مقولا لابن سيرين فيكون من الحديث أما عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو عن أبى هريرة و أختار يونس أن يكون مقولا لابن سيرين و اسم كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله لاأحسبه أى قال يونس فى شأن القيد لاأحسبه الا عن النبى صلى الله عليه وسلم و قوله و أنا أقول يشعر بالاختصاص و رفع التوهم أن هذه الخلال الثلاث من متن الحديث الذى أدرج فيه هذه الخلال من غير فصل قلت فيه بحث ظاهر (و فى رواية) أى و فى رواية أخرى لهما أو لمسلم (نحوه) أى نحو الحديث المذكور فى المعنى (و أدرج) أى أدخل وأدمج (فى الحديث) أى فى هذه الرواية الاخرى (قوله وأكره الغل الى تمام الكلام) فيكون أكره عطفا على أقول فيصير نصا على أنه من جملة كلام ابن سيرين و هذا هو الظاهر الصحيح و بهذا التبيين يتضح ما فى شرح السنة من رواية مسلم و رواه قتادة أيضا عن ابن سيرين و أدرج الكل فى الحديث و قوله و يقال القيد من أقوال المعبرين اه و فى الجامع الصغير برواية الترمذى و ابن ماجه عن أبى هريرة مرفوعا و لفظه الرؤيا ثلاث فبشرى من الله و حديث النفس و تخويف من الشيطان فاذا رأى أحدكم رؤيا تعجبه فليقصها أن شاء و أن رأى شيأ يكرهه فلايقصه على أحد و ليقم يصلى و أكره الغل و أحب القيد و القيد ثبات فى الدين اه فتأمل فان الاحاديث يفسر بعضها بعضا و لم يتضح حديث الا بجمع ألفاظه و رواياته و الله أعلم و فى شرح مسلم للنووى قال العلماء انما أحب القيد لانه فى الرجلين و هو كف من المعاصى و الشرور و أنواع الباطل قلت و فيه أيما أيضا الى أختيار الخلوة و ترك الجلوة كما هو شأن أرباب العزلة من ترك الاقدام على الخروج بالاقدام و هو المعنى بقولهم القيد ثبات فى الدين قال و أبغض الغل لان موضعه العنق و هو صفة أهل النار قال تعالى اذ الاغلال فى أعناقهم قلت و فيه أشارة أيضا الى أن الرقبة مستثقلة بالذمة من حقوق الله و غيره فهذا الاستثقال فى الدنيا يورث الاغلال فى الاخرى ثم رأيت بعض الشراح من علمائنا قال و انما يكره الغل فى النوم لان الغل تقييد العنق و تثقيله بتحمل الدين أو المظالم أو كونه محكوما و رقيقا متعلقا بشئ أولانه حق الكفار فى النار قال النووى و أما أهل التعبير فقالوا اذا رأى القيد فى الرجلين و هو فى مسجد أو مشهد خير أو على حالة حسنة فهو دليل لثباته فى ذلك و لو رآه مريض أو مسجون أو مسافر أو مكروب كان دليلا على ثباته فيه قلت بل هو اشارة الى صبره و ثبات قدمه بعدم الجزع و الفزع و التردد الى مخلوق مثله و بالقيام بما يجب عليه من حقوق الله و غيره قال و اذا انضم معه الغل دل على زيادة ما هو فيه من المكروه قلت بل له اشارة الى وجوب تخليص ما فى رقبته من قضاء الصلاة و التوبة عن السيآت و أداء ديون العباد واستحلال ما صدر منه فى البلاد والحاصل أن الرؤيا مختلفة باختلاف الرائى فانه قديكون سالكا من مسالك طريق الدنيا وقد يكون سائرا فى مسائر صراط العقبى فلكل تأويل يليق به

★ و عن جابر قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال رأيت فى المنام كان رأسى قطع قال فضحك النبى صلى الله عليه وسلم و قال اذا لعب الشيطان بأحدكم فى منامه فلايحدث به الناس رواه مسلم
★ و عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم كانا فى دار عقبة ابن رافع فأتينا برطب من رطب ابن طاب فأولت أن الرفعة لنا فى الدنيا والعاقبة فى الآخرة وأن ديننا قدطاب

و يناسب بحاله و مقامه و هذا أمر غير منضبط و لذا لم يجعل السلف فيه تاليفا مستقلا جامعا شاملا كافلا لانواع الرؤيا و انما تكلموا فى بعض ما وقع لهم من القضايا و لذا لم تلق معبرين يكونان فى تعبيرهما لشئ متفقين قال و أما اذا كانت اليدان مغلولتين فى العنق فهو حسن و دليل على فكهما من الشر قلت و ما أبعد هذا التأويل نعم قوله و قد يدل على البخل هو الصواب لقوله تعالى و لاتجعل يدك مغلولة الى عنقك و هو يشمل الامساك المالى و البخل الفعالى فقوله و قد يدل على منع ما نواه من الافعال مستدرك فى المآل و له وجه آخر أن يؤول له بالعقوبة ان لم ينته عما فيه من المعصية كما أشار اليه قوله تعالى و قالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم بناء على أنه أخبار عما سيقع لهم من الاغلال فى الآخرة و يدل على هذا القول قوله و كان يكره الغل لانه بعمومه يشمل ما اذا كانت اليدان معه أو بدونه بل كونهما معه ينبغى أن يكون أشد كراهة فكيف يكون حسنا (★ وعن جابر رضى الله تعالى عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال رأيت فى المنام كان رأسى قطع قال) أى جابر و هذا فى نسخة و فى أكثر النسخ بدون قال (فضحك النبى صلى الله عليه وسلم و قال اذا لعب الشيطان بأحدكم فى منامه فلايحدث به الناس) أى لانه ربما يصير ضحكة فيحصل له الخجالة قال النووى يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم علم أن منامه هذا من الأضغاث بوحى أو بدلالة دلته على ذلك أو على أنه من المكروه الذى هو من تحريش الشيطان قلت الظاهر هو الاخير كما يدل عليه نفس الحديث قال و أما المعبرون فانهم يؤولون قطع الرأس بمفارقة ما هو فيه من النعم أى الدنيوية أو الاخروية فلاشك أنه من الامور المهولة قال أو مفارقة قومه وزوال سلطانه وتغيير حاله فى جميع أموره قلت و هذا أيضا زيادة تهويل لاسيما بالنسبة الى الصحابى الذى رأسه و رئيسه سيد الخلق صلى الله عليه وسلم قال إلا أن يكون عبدا فيدل على عتقه أو مريضا فعلى شفائه أو مديونا فعلى قضاء دينه قلت لايخفى بعد دلالته على ما ذكر من الاشياء و أبعد منه قوله و من لم يحج فعلى انه يحج أو مغموما فعلى فرجه أو خائفا فعلى أمنه (رواه مسلم) و كذا ابن ماجه ★ (و عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم) أى فى جملة ما يراه النائم الصالح الرؤيا (كانا) بتشديد النون يعنى أنا و أصحابى (فى دار عقبة بن رافع فأتينا) أى جئنا (برطب من رطب ابن طاب) بالتنوين بناء على أن الطاب بمعنى الطيب على ما فى القاموس و فى نسخة بفتح الباء على عدم صرفه و لعله رعاية لاصله فانه ماض مبنى على الفتح قيل هو رجل من أهل البادية ينسب اليه نوع من التمر و قال النووى هو رجل من أهل المدينة و فى القاموس و طيبة المدينة النبوية كطابة و عذق بن طاب نخل بها أو ابن طاب ضرب من الرطب (فاولت أن الرفعة) أى التى هى أصل رافع (لنا فى الدنيا) لقوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم (و العاقبة) أى المأخوذة من عقبة (فى الآخرة) أى لنا لقوله تعالى والعاقبة للتقوى أى العاقبة الحسنة لاشتهارها فيها (وان ديننا) أى مذوقنا المعنوى الذى يقال له حلاوة الايمان المشبه بالرطب (قد طاب) أى كمل أحكامه وحسن زمانه وأيامه قال المظهر تأويله هكذا قانون قياس التعبير على ما يرى فى المنام بالاسماء الحسنة كما أخذ العاقبة من لفظ عقبة

رواه مسلم ★ و عن أبي موسى عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال رأيت في المنام أني أهاجر من مكة الى ارض بها نخل فذهب وهلي الى انها اليمامة أو هجر فاذا هي المدينة يثرب و رأيت في رؤياي هذه أني هززت سيفا فانقطع صدره فاذا هو ما أصيب من المؤمنين

و الرفعة من رافع و طيب الدين من طاب اه و حاصله أنه صلى‌الله‌عليه‌وسلم كان يحب الفأل الحسن و يكره التطير و الا فالاسماء و الالفاظ ذوات جهات من المعاني المختلفة فبالنسبة الى الاعداء يمكن أخذ العقوبة من عقبة و رفعهم من رافع و طاب موتهم من طاب و جملة الامر أن مسلك الرؤيا دقيق يحتاج الى نوع توفيق قال النووي العقب و العقبى يختصان بالثواب نحو هو خير ثوابا و خير عقبا والعاقبة اطلاقها يختص بالثواب نحو و العاقبة للمتقين و بالاضافة قد تستعمل في العقوبة نحو ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى قلت العاقبة في الآية ليست بمعنى العقوبة بل بمعنى عاقبة أمرهم و نهاية قولهم و فعلهم أن كذبوا بآيات الله و كانوا بها يستهزؤن نعم في قوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم و قومهم أجمعين له وجه أن يكون بمعنى العقوبة و الله أعلم (رواه مسلم ★ و عن أبي موسى رضي‌الله عنه عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال رأيت في المنام أني أهاجر من مكة الى أرض بها) أي في تلك الارض (نخل) اسم جنس بمعنى نخيل (فذهب وهلي) بسكون الهاء ويفتح أي وهمي قال شارح هو بسكون الهاء يقال وهلت اليه بالفتح أهل بالكسر وهلا اذا ذهب وهمك اليه و أنت تريد غيره و الوهل بالتحريك الفزع و في القاموس وهل كفرح ضعف و فزع فهو وهل ككتف و عنه غلط فيه و نسيه و وهل الى الشئ يوهل بفتحهما و يهل وهلا اذا ذهب وهمه اليه و الوهل الفزع و لقيته أول وهلة و يحرك أول شئ و قال العسقلاني قال ابن التين رويناه بفتح الهاء و الذي ذكره أهل اللغة سكونها و ضبطه الجزري بالتحريك بمعنى الوهم و أما صاحب النهاية فجزم بالتسكين و المعنى فمال خاطري أول وهلة (الى انها اليمامة) ففي القاموس أن اليمامة القصد كاليمام و جارية زرقاء كانت تبصر الراكب من مسيرة ثلاثة أيام و بلاد الجو منسوبة اليها و سميت باسمها و هي أكثر نخيلا من سائر الحجاز و بها تنبأ مسيلمة الكذاب و هي دون المدينة في وسط الشرق عن مكة على ست عشرة مرحلة من البصرة و عن الكوفة نحوها و النسبة يمامي (أو هجر) بفتح الها والجيم وهو غير منصرف و قد ينصرف باعتبار البقعة و المكان و العلمية ففي القاموس هجر محركة بلد باليمن مذكر مصروف و قد يؤنث و يمنع و أسم لجميع أرض البحرين و منه المثل كبضع تمر الى هجر و قول عمر رضي‌الله تعالى عنه عجبت لتاجر هجر كأنه أراد لكثرة وبائه أو لركوب البحر قال و قرية كانت قرب المدينة ينسب اليها القلال (فاذا هي) أي تلك الارض (المدينة) أي طيبة السكينة (يثرب) بدل أو عطف بيان قال النووي يثرب إسمها في الجاهلية فسماها الله تعالى المدينة ورسول الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم طيبة و طابة فقد جاء في الحديث النهي عن تسميتها بيثرب لكراهة لفظ التثريب و سماها به في هذا الحديث فقيل يحتمل أن هذا قبل النهي و قيل انه لبيان الجواز و أن النهي للتنزيه و قيل خوطب بها من يعرفها به و لهذا جمع بينه و بين اسمها الشرعي قلت وهذا هو الاظهر كما يدل عليه عطف البيان فتدبر و في الجامع الصغير ناقلا عن مسند الامام أحمد بروايته عن البراء مرفوعا من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله هي طابة هي طابة قلت في تكراره مبالغة للرد عن النهي لكونه من شعار اليهود و المنافقين حيث قالوا في الاحزاب يا أهل يثرب لامقام لكم فارجعوا و في الحديث دلالة على أن رؤيا الانبياء عليهم السلام أيضا قد تحتاج الى التأويل (و رأيت في رؤياي هذه أني هززت) بالزائين أي

يوم أحد ثم هززته أخرى فعاد أحسن ما كان فاذا هو ما جاء الله به من الفتح و اجتماع المؤمنين متفق عليه ★ و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا نائم أتيت بخزائن الارض فوضع في كفي سواران من ذهب فكبرا على فأوحي الى أن أنفخهما فنفختهما فذهبا فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما صاحب صنعاء و صاحب اليمامة

حركت (سيفا فانقطع صدره) أي وسط السيف (فاذا هو) أي تأويله (ما أصيب من المؤمنين) أي بعضهم و هم من أوساطهم أو لكون المؤمنين أمة وسطا قال الطيبي قوله فاذا هو أصله فاذا تأويله فحذف المضاف الذي هو التأويل و أقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير المجرور مرفوعا (يوم أحد) ظرف أصيب (ثم هززته أخرى فعاد) أي السيف حال كونه (أحسن ما كان) بنزع الخافض أي مما كان و ما موصولة أو مصدرية فالتقدير رجع الى أحسن أكوانه (فاذا هو) أي تعبيره (ما جاء الله به من الفتح) أي فتح مكة أو صلح الحديبية لانها مفتاح الفتح و هو أنسب لعطف قوله (و اجتماع المؤمنين) فانه وقع حين فتح مكة كما أشار اليه سبحانه بقوله اذا جاء نصر الله والفتح و رأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا قال النووي و أما تفسيره صلى الله عليه وسلم السيف فمطابق لما فسروا أن سيف الرجل أنصاره الذين يصول بهم كما يصول بسيفه و قد يفسر في غير هذا بالولد أو بالعم أو الاخ أو الزوج قلت كل واحد منهم داخل تحت الانصار قال وقد يدل على الولاية و الوديعة و على يسار الرجل و صحته قلت هذه كلها من النصرة المعنوية قال و قد يدل على سلطان جائر و كل ذلك بحسب القرائن قلت و قد يدل على سلطان عادل لان السيف ذو جهتين و لذا قال الغزالي العلم كالسيف يمكن أن يستعان به على الدين و على الدنيا كما يقتل بالسيف المؤمن و الكافر (متفق عليه ★ و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا نائم أتيت بخزائن الارض) أي أتاني ملك بمفاتيح خزائن الارض و قال بعض الشراح أي عرض على الكنوز و أنواع الاموال وقيل أتى بالخزائن حقيقة أشارة الى تملكه عليها بفتح البلاد عنوة و دعوة قال النووي أي ملكها وفتح بلادها و أخذ خزائن أموالها و قد وقع ذلك كله ولله الحمد (فوضع في كفي) بتشديد الفاء والياء المفتوحتين و في نسخة بكسر الفاء و سكون الياء قال الطيبي الظاهر التثنية و يدل عليه الرواية الاخرى في يدى قال الشيخ محي الدين بتشديد الياء على التثنية (سواران) بكسر السين أي قلبان (من ذهب فكبرا) بضم الموحدة أي ثقلا (على) أي لكراهة نفسي اليهما (فأوحي الى) بصيغة المجهول أي فالهمني الله في النوم (أن أنفخهما) بضم الفاء وسكون الخاء المعجمة و أن هي مفسرة لما في الوحي من معنى القول و عليه كلام القاضي و غيره و جوز الطيبي أن تكون ناصبة و الجار محذوف و النفخ بالخاء المعجمة على ما صححه النووي يقال نفخته و نفخت فيه (فنفختهما فذهبا فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما) يعني باعتبار المكان (صاحب صنعاء و صاحب اليمامة) بنصبهما على البدلية أو بتقدير أعني و جوز رفعهما على أنهما خبر مبتدأ محذوف هو هما قال التوربشتي نبه بالنفخ على استحقار شأن الكذابين و على انهما يمحقان بادنى ما يصيبهما من بأس الله حتى يصيرا كالشئ الذي ينفخ فيطير في الهواء قال

ألم يجر التفرق آل كسرى ★ و نفخوا في مدائنهم فطاروا

أراد نفخوا فخفف و في شرح السنة من رأى عليه سوارين من ذهب أصابه ضيق في ذات يده فان كان من فضة فهو خير من الذهب و ليس يصلح للرجال في المنام من الحلى شئ الا القلادة و التاج و العقد و القرط والخاتم و أما النساء فالحلى كله زينة لهن و الدراهم خير في الجملة من الدنانير أي لان الفضة

متفق عليه و فى رواية يقال أحدهما مسيلمة صاحب اليمامة و العنسى صاحب صنعاء لم أجد هذه الرواية فى الصحيحين و ذكرها صاحب الجامع عن الترمذى ★ و عن أم العلاء الانصارية قالت رأيت لعثمان ابن مظعون فى النوم عينا تجرى فقصصتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذلك عمله يجرى له رواه البخارى ★ و عن سمرة بن جندب قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا صلى أقبل علينا بوجهه فقال من رأى منكم الليلة رؤيا

بعضها حلال على الرجال بخلاف الذهب قال القاضى وجه تأويل السوارين بالكذابين المذكورين و العلم عند الله تعالى أن السوار يشبه قيد اليد و القيد فيها يمنعها عن البطش و يكفها عن الاعتمال و التصرف على ما ينبغى فيشابه من يقوم بمعارضته و يأخذ بيده فيصده عن أمره و صنعاء بلدة باليمن و صاحبها الاسود العنسى تنبأ بها فى آخر عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فقتله فيروز الديلمى فى مرض وفاة الرسول عليه السلام فقال صلوات الله عليه وسلم فاز فيروز و اليمامة تقدمت و صاحبها مسيلمة قتله الوحشى قاتل حمزة فى خلافة الصديق رضى الله عنه اه و قيل لما قتله وحشى قال قتلت خير الناس فى الجاهلية و شر الناس فى الاسلام (و فى رواية) أى للترمذى (يقال أحدهما مسيلمة صاحب اليمامة و العنسى) أى و ثانيهما الاسود العنسى (صاحب صنعاء) و فى القاموس عنس لقب زيد بن مالك بن داود(١) أبو قبيلة من اليمن اه هكذا ذكره صاحب المصابيح باطلاق رواية و هى موهمة انها من رواية الشيخين أو أحدهما و الحال انها ليست كذلك و لذا قال المصنف معترضا عليه (لم أجد هذه الرواية فى الصحيحين و ذكرها صاحب الجامع) أى جامع الاصول (عن الترمذى) وقد تقدم الاعتذار عن هذا الاعتراض بان التزامه فى الصحاح أن يكون حديث الشيخين أو أحدهما انما هو فى أصول الباب لا فيما يعتضد به من رواية الكتاب و الله أعلم بالصواب ★ (و عن أم العلاء الانصارية) قال المؤلف من المبايعات روى عنها خارجة بن زيد بن ثابت و هى أمه و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودها فى مرضها (قالت رأيت لعثمان بن مظعون) الحديث مختصر و صدره انها قالت هاجر عثمان الى المدينة فنزل فى مسكن لنا ثم مرض و مات فقلت رحمك الله أبا السائب شهادتى أن قد أكرمك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم و ما يدريك بأكرامه فأنى و الله ما أدرى و أنا رسول الله ما يفعل بى و لا بكم ثم قالت رأيت لعثمان بن مظعون و هو من أولاد كعب بن لؤى الجمحى القرشى أسلم بعد ثلاثة عشر رجلا و هاجر الهجرتين و شهد بدرا و مات بعد ثلاثين شهرا من الهجرة وقبل النبى صلى الله عليه وسلم وجهه بعد موته و هو أول من مات من المهاجرين بالمدينة و لما دفن قال صلى الله عليه وسلم نعم السلف و هو لنا و دفن بالبقيع و كان عابدا مجتهدا من فضلاء الصحابة روى عنه ابنه السائب و أخوه قدامة بن مظعون (فى النوم) أى فى المنام (عينا) أى عين ماء (تجرى) أى يجرى ماؤها و نسبة الجرى الى العين مجاز فيه مبالغة (فقصصتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذلك) بكسر الكاف (عمله) أى ثواب عمله و جزاء أمله (يجرى له) بصيغة المجهول و فى نسخة على بناء الفاعل أى يصل اليه ثواب عمله الصالح بعد موته الى يوم القيامة لانه كان مرابطا مهاجرا و من مات مرابطا ينمى له عمله الى يوم القيامة ففى حديث صحيح رواه أبوداود و الترمذى و الحاكم عن فضالة بن عبيد مرفوعا كل ميت يختم على عمله الا الذى مات مرابطا فى سبيل الله فانه ينموله عمله الى يوم القيامة قال الطيبى و انما كان الماء معبرا بالعمل و جريانه بجريانه لان العمل مسبب عن العلم (رواه البخارى ★ وعن سمرة ابن جندب رضى الله عنه) مر ذكره (قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا صلى) أى صلاة الصبح وفرغ

(١) و فى القاموس الذى عندنا مالک بن ادد ـ

قال فان رأى أحد قصها فيقول ماشاء الله فسألنا يوما فقال هل رأى منكم أحد رؤيا قلنا لا قال لكنى رأيت الليلة رجلين أتيانى فأخذا بيدى فاخرجانى الى أرض مقدسة فاذا رجل جالس و رجل قائم بيده كلوب من حديد يدخله فى شدقه فيشقه حتى يبلغ قفاه ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك و يلتئم شدقه هذا فيعود فيضع مثله قلت ما هذا قالا أنطلق فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه و رجل قائم على رأسه بفهر أو صخرة يشدخ به رأسه فاذا ضربه تدهده الحجر فانطلق اليه ليأخذه فلايرجع الى هذا حتى يلتئم رأسه و عاد رأسه كما كان فعاد اليه فضربه فقلت ما هذا قالا أنطلق فانطلقنا حتى أتينا الى ثقب

من أوراده (أقبل علينا بوجهه فقال من رأى منكم الليلة رؤيا) على وزن فعلى بلاتنوين و يجوز تنوينه كما قرئ به فى الشاذة أ فمن أسس بنيانه على تقوى من الله و كذا روى منونا قوله فى الحديث و من كانت هجرته لدنيا (قال) أى الراوى (فان رأى أحد) أى رؤيا صالحة (قصها فيقول) أى النبى صلى الله عليه وسلم فى تعبيرها (ما شاء الله) أى مما يلهمه فى جنانه و يجريه على لسانه (فسألنا) أى هو (يوما) أى صباح يوم (فقال هل رأى أحد منكم رؤيا) يعنى على عادته صلى الله عليه وسلم فى هذا السؤال (قلنا لا) أما صريحا أوسكوتا (قال لكنى رأيت الليلة) قال الطيبى فان قلت ما معنى الاستدراك قلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهمه أن يرى أحد رؤيا يقصها فلما سألهم و لم يحصل منهم تلك قال أنتم ما رأيتم ما يهمنى لكنى رأيت الليلة (رجلين) أى شخصين على صورة رجلين (أتيانى فأخذا بيدى) بتشديد الياء (فاخرجانى الى أرض) بالتنوين (مقدسة) أى مطهرة مطيبة قيل هى أرض الشام (فاذا رجل جالس و رجل) أى و هناك رجل (قائم بيده كلوب) بفتح الكاف وتشديد اللام المضمومة و قد يقال له الكلاب أيضا حديدة معوجة الرأس يتعلق بالشئ مع شدة فيجذب به فقوله (من حديد) للتجريد و قيل للتأكيد (يدخله) أى الرجل القائم ذلك الكلوب (فى شدقه) أى فى جانب فم الرجل الجالس قال شارح هو بكسر الشين المعجمة و سكون الدال المهملة طرف شفته من جانب الاذن (فيشقه) أى يقطعه (حتى يبلغ) أى يصل قطعه (قفاه ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك و يلتئم) أى يبرأ (شدقه هذا) أى المشقوق و الظاهر أن يقال هذاك و لعله أراد هذا الثانى أى يلتئم شدقه هذا أو وقع هذا مقام ذلك فى أن المراد به المذكور من الشدقين (فيعود) أى الرجل القائم (فيصنع مثله) أى فيصنع بالرجل الجالس مثل صنعه الاول (قلت ما هذا) أى الذى رأيناه (قالا أنطلق) أى أذهب و لاتسأل (فانطلقنا) أى جميعنا (حتى أتينا) أى مررنا (على رجل مضطجع على قفاه ورجل) بالرفع أى و هناك رجل (قائم) و فى نسخة السيد بجرهما و كذا فى نسخة مقروأة على الجزرى عطفا على رجل أى و على رجل قائم (على رأسه) أى رأس الرجل المضطجع (بفهر) بكسر الفاء و سكون الهاء أى آخذ بحجر ملء الكف على ما فى النهاية و قيل هو الحجر مطلقا (أو صخرة) و هى الحجر العظيم قيل أو للشك و يحتمل التنويع أى تارة و تارة (يشدخ) بفتح الدال المهملة أى يكسر و يدق (به) أى بذلك الحجر و الباء للاستعانة (رأسه فاذا ضربه) أى بالحجر على رأسه (تدهده الحجر) أى تدحرج (فانطلق اليه) أى فذهب الرجل الى ذلك الحجر ليأخذه (فلايرجع الى هذا) أى المضطجع (حتى يلتئم رأسه) أى شدخه (و عاد رأسه كما كان) أى رجع مثل ما كان أولا و هذه الجملة تأكيد لما قبلها (فعاد اليه) أى فرجع متوجها اليه (فضربه) أى فشدخه ثانيا (فقلت ما هذا قالا أنطلق فانطلقنا حتى أتينا) أى جئنا (الى ثقب) بفتح مثلثة وسكون كاف و فى نسخة بنون مفتوحة فى أوله و هو الموافق لما فى المصابيح و مؤداهما واحد ففى القاموس الثقب النقب و قال صاحب

مثل التنور أعلاه ضيق و أسفله واسع تتوقد تحته نار فاذا ارتقت ارتفعوا حتى كاد أن يخرجوا منها واذا خمدت رجعوا فيها و فيها رجال و نساء عراة فقلت ما هذا قالا انطلق فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم على وسط النهر و على شط النهر رجل بين يديه حجارة فأقبل الرجل الذى فى النهر فاذا اراد أن يخرج رمى الرجل بحجر فى فيه فرده حيث كان فجعل كلما جاء ليخرج رمى فى فيه بحجر فيرجع كما كان فقلت ما هذا قالا انطلق فانطلقنا حتى انتهينا الى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة و فى أصلها شيخ و صبيان و اذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعدا بى الشجرة فأدخلانى دارا

المغرب الثقب الخرق النافذ و الثقبة بالضم مثله و انما يقال هذا فيما يقل و يصغر. و أما نقب الحائط و نحوه بالنون فذلك فيما يعظم هذا و فى نسخة على ثقب فالمعنى مررنا على ثقب (مثل التنور) بالجر (أعلاه ضيق و أسفله واسع) الجملة صفة كاشفة (تتوقد) بالتأنيث و جوز تذكيره (تحته). أى تحت التنور (نار) و فى بعض النسخ منها نسخة السيد نارا بالنصب على التمييز أى يتوقد ما تحته نارا فحذف الموصول و قال ابن الملك روى بالنصب على التمييز وأسند يتوقد الى ضمير الثقب (فاذا ارتقت) بقاف بين تائين قال الطيبى كذا فى الحميدى و جامع الاصول و فى بعض نسخ المصابيح اقترنت و فى بعضها اوقدت و الاول هو الصحيح رواية و دراية اه و فى الدراية نظر اذ المعانى مقاربة أى فاذا اشتعلت النار و فى نسخة فاذا ارتفعت من الرفعة (ارتفعوا) أى الناس الذين فى الثقب المشبه بالتنور (حتى كاد أن يخرجوا منها) قال الطيبى كذا فى الحميدى و الجامع أى كاد خروجهم و الخبر محذوف أى كاد خروجهم يتحقق و فى نسخة المصابيح حتى يكادوا يخرجوا وحقه بثبات النون اللهم الا أن يتمحل و يقدر أن يخرجوا تشبيها لكاد بعسى ثم حذف ان و ترك على حاله (و اذا خمدت) بفتح الخاء المعجمة و الميم و يكسر ففى القاموس خمدت النار كنصر و سمع سكن لهبها و لم يطفأ جمرها (رجعوا) أى الناس الذين كادوا أن يخرجوا (فيها) أى فى قعرها ليكون العذاب أشد (و فيها) أى فى تلك النار (رجال و نساء عراة) الجملة بيان للناس المفهوم من قوله ارتفعوا و تنبيه على التغليب فى الضمير و توضيح لكشف أبدانهم فانه للتهويل أوهى و للتنفير أدعى (فقلت ما هذا قالا انطلق فانطلقنا حتى أتينا على نهر) بفتح الهاء و يسكن (من دم فيه رجل قائم على وسط النهر) بسكون السين و يحرك و الجار الثانى بيان للاول فتأمل (و على شط النهر) أى طرفه (رجل بين يديه حجارة) بكسر الحاء جمع حجر (فأقبل الرجل الذى فى النهر) أى مريدا للخروج (فاذا اراد ان يخرج) أى بالكلية و يتخلص منه (رمى الرجل) أى الذى على الشط (بحجر) الباء للتعدية (فى فيه) أى فمه (فرده حيث كان) أى الى مكان كان من وسط النهر (فجعل) أى شرع و طفق (كلما جاء ليخرج) قيل اصل افعال المقاربة ان يكون خبرها كخبر كان الا انه ترك الاصل والتزم كون الخبر مضارعا ثم نبه على الاصل المتروك بوقوعه مفردا كما فى عسيت صائما و جملة من فعل ماض مقدم عليه كلما كقوله فجعل كلما جاء ليخرج أى كلما جاء قريبا الى الشط ليخرج من النهر (رمى) أى الرجل (فى فيه بحجر فيرجع كما كان) و هو عطف على فجعل و لعل العدول عن الماضى الى المضارع لاستحضار الحال. (فقلت ما هذا قالا انطلق فانطلقنا حتى انتهينا) فيه اشارة الى حسن المقطع أى حتى وصلنا فى آخر الامر (الى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة و فى اصلها) أى تحتها المقارب الى جذعها (شيخ) أى عظيم (و صبيان) أى ولدان كثير (و اذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها) من الايقاد (فصعدا) بكسر العين (بى) بالموحدة للتعدية (الشجرة) بالنصب على نزع الخافض و المعنى رفعانى على الشجرة (فادخلانى دارا

وسط الشجرة لم أر قط أحسن منها فيها رجال شيوخ و شباب و نساء و صبيان ثم اخرجانى منها فصعدا بى الشجرة فأدخلانى دارا هى احسن وافضل منها فيها شيوخ وشباب فقلت لهما انكما قد طوفتمانى الليلة فأخبرانى عما رأيت قالا نعم أما الرجل الذى رأيته يشق شدقه فكذاب يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به ما ترى الى يوم القيامة و الذى رأيته يشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل و لم يعمل بما فيه بالنهار يفعل به ما رأيت الى يوم القيامة .

وسط الشجرة لم أر قط أحسن) أى كمية و كيفية (منها) أى من تلك الدار (فيها رجال شيوخ وشباب) بفتح أوله جمع شاب (و نساء) عطف على رجال (و صبيان) أى ولدان (ثم أخرجانى منها) أى من تلك الدار (فصعدا بى الشجرة) أى الشجرة التى كانت فيها فأل للعهد الذهنى كما فى قوله تعالى اذ هما فى الغار و الظاهر أن الشجرة السابقة كذلك مع احتمال بعيد أن التعريف فيها للعهد الذكرى لكنه بحسب الظاهر خلاف التأدب مع الشيخ المفسر بابراهيم عليه الصلاة والسلام و بجمله ان الشجرتين كانتا بمنزلة السلم والمعراج للصعود فى اليوم الموعود (فادخلانى دارا هى أحسن وافضل) أى منها كما فى نسخة يعنى من الدار الاولى و فيه اشارة الى أن للجنة درجات سفلية و علوية و ان كل ما يكون أعلى فهو أعلى من الادنى (فيها) أى فى الدار الثانية (شيوخ و شباب). و لم يذكر النساء و الصبيان فى هذا المقام أما لقلة كمالهم كمال الرجال أو لقلة وجود الكمال فيهن بخلاف الرجال و لذا قال صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير و لم يكمل من النساء الا آسية امرأة فرعون و مريم بنت عمران وأن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام على مارواه أحمد والشيخان والترمذى و النسائى عن أبى موسى و يمكن أن يكون السكوت عن بيان النساء و الصبيان لانهم ان وجدوا فيها فيكون بالتبعية لا بالاصالة و الله أعلم (فقلت لهما انكما قد طوفتما بى) بالموحدة و قيل بالنون أى دورتمانى و فرجتمانى (الليلة) و قد رأيت أشياء غريبة و أمورا عجيبة بطريق الاجمال (فأخبرانى عما رأيت) أى تفصيلا وتفسيرا (فقالا نعم) فى المغنى نعم بفتح العين وكنانة تكسرها وبها قرأ الكسائى وبعضهم يبدلها هاء و بها قرأ ابن مسعود و هى حرف تصديق و وعد واعلام فالاول بعد الخبر كقام زيد و الثانى بعد افعل و لاتفعل والثالث بعد الاستفهام نحو فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا ان لنا لاجرا ولم يذكر سيبويه معنى الاعلام البتة بل قال وأمانعم فعدة وتصديق (أما الرجل الذى رأيته يشق) بصيغة المجهول أى يقطع (شدقه) أى طرف فمه الى قفاه (فكذاب) أى فهو كثير الكذب (يحدث) استئناف مبين لقبح فعله (بالكذبة) بفتح الكاف وسكون الذال للمرة و بكسر اولها للنوع (فتحمل) على بناء المفعول أى فتروى و تنقل تلك الكذبة عنه (حتى تبلغ الآفاق) أى حتى تنشر فى أطراف الارض (فيصنع به) أى لذلك (ما ترى) أى ما رأيت (الى يوم القيامة) أى صنعا مستمرا (والذى) أى وأما الذى (رأيته يشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن) أى وفقه لتعلمه (فنام عنه بالليل) أى لم يكن يقرأ القرآن فى الليل و انما خص به لانه كما قال تعالى ان ناشئة الليل هى اشد وطأ و أقوم قيلا ان لك فى النهار سبحا طويلا (و لم يعمل بما فيه بالنهار). أى و من جملة ما فيه قوله تعالى أتل ما أوحى اليك أى اقرأ و اتبع (يفعل به ما رأيت الى يوم القيامة) و جملة الكلام انه مع ما اعطى من النعمة الجزيلة وهى علم القرآن كان غافلا عن تاويلاته و ربما جر الى نسيانه وهو من الكبائر و لم يكن عاملا بأوامره و نواهيه مع انه هو المراد من نزول القرآن ولذا ورد ما معناه ان من عمل بالقرآن فكانه دائما يتلو القرآن و ان لم يقرأ و من قرأ القرآن دائما و لم يعمل بما فيه فكانه لم يقرأه أبدا و قال الطيبى قوله

والذى رأيت فى الثقب فهم الزناة والذى رأيته فى النهر آكل الربا والشيخ الذى رأيته فى أصل الشجرة ابراهيم و الصبيان حوله فأولاد الناس و الذى يوقد النار مالک خازن النار والدار الاولى التى دخلت دار عامة المؤمنين و أما هذه الدار فدار الشهداء و أنا جبريل و هذا ميكائيل فارفع رأسک فرفعت رأسى فاذا فوقى مثل السحاب و فى رواية مثل الربابة البيضاء قالا ذاك منزلک قلت دعانى أدخل منزلى قالا انه بقى لک عمر لم تستكمله فلو استكملته أتيت منزلک رواه البخارى

فنام عنه أي اعرض عنه و عن هنا كما فى قوله تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون أى ساهون سهو ترك لها و قلة التفات اليها و ذلک فعل المنافقين و الفسقة قات و لذا قال بعض الصالحين الحمد لله حيث ما قال فى صلاتهم ساهون قال فمعنى نام عنه بالليل انه لم يتله اذا كان بالليل ولم يتفكر فيما يجب عليه ان يأتى به و يذر من الاوامر والنواهى مثل المنافقين و الفسقة فاذا كان حاله بالليل هذا فلا يقوم به فيعمل بالنهار بما فيه و يؤيد هذا التأويل ما جاء فى رواية أخرى للبخارى أما الرجل يثلغ رأسه بالحجر فانه الرجل الذى يأخذ القرآن فيرفضه و ينام عن الصلاة المكتوبة و أما من نام من غير ان يتجافى عنه لتقصير أو عجز فهو خارج من هذا الوعيد اه (و الذى رأيته فى الثقب) بتقدير أما و لذا قال (فهم الزناة و الذى رأيته فى النهر آكل الربا) مبتدأ وخبر (والشيخ الذى رأيته فى أصل الشجرة ابراهيم) جملة اخرى (و الصبيان حوله فأولاد الناس) بالفاء فى النسخ المصححة بناء على تقدير اما فى صدر الكلام و فى نسخة بحذفها و هو ظاهر مطابق للجمل السابقة التى تليها قال الطيبى الفاء فى قوله فأولاد الناس جاز دخوله على الخبر لان الجملة معطوفة على مدخول أما فى قوله أما الرجل الذى رأيته و حذف الفاء فى بعض المعطوفات نظرا الى ان أما لما حذفت حذف مقتضاها و كلاهما جائزان (والذى يوقد النار مالک خازن النار و الدار الاولى التى دخلت) أى اولا (دار عامة المؤمنين) أى عوامهم أو أكثرهم (و اما هذه الدار فدار الشهداء) أى خواص المؤمنين من الانبياء و الاولياء و العلماء لما ورد ان مداد العلماء يرجح على دماء الشهداء و يمكن ان يراد بالشهداء ارباب الحضور مع المولى فى غالب أحوالهم كما أن المراد من العامة من غالب أحوالهم الغفلة والغيبة عن الحضرة (وأنا جبريل و هذا ميكائيل) قال السيوطى و أفضل الملائكة جبريل عليه الصلاة والسلام لحديث ورد فيه على ما رواه الطبرانى (فارفع رأسک فرفعت رأسى فاذا فوقى مثل السحاب) أى فى غاية من الارتفاع و نهاية من الامتناع من أن يصل اليه كل أحد أو يطمع فيه من لم يكن له من الله مدد (و فى رواية مثل الربابة) وهى بفتح الراء و تخفيف الموحدتين السحابة التى ركب بعضها على بعض (البيضاء قال ذلک) أى هذا (منزلک) و لعل العدول للاشارة الى علو المنزلة و بعد الوصول الى تلک المرتبة كما قيل مثل هذا فى قوله تعالى ذلک الكتاب (قلت دعانى) أى أتركانى (أدخل) بالجزم و يرفع (منزلى) أى الآن لارى تفصيل ما لى (قالا انه بقى لک عمر) بضمتين و يسكن الثانى أى زمان من جملة العمر (لم تستكمله) أى ما استكملته الى الآن (فلو استكملته) و فى نسخة فاذا استكملته (اتيت منزلک رواه البخارى) قال النووى فيه تنبيه على استحباب اقبال الامام بعد سلامه على اصحابه و على استحباب السؤال عن الرؤيا وعلى مبادرة المعبر الى تأويلها أول النهار قبل أن يتشعب ذهنه بأشتغاله فى معائشه فى الدنيا ولان عهد الرائى قريب و لم يطرأ عليه ما يشوشها ولانه قد يكون منها ما يستحب تعجيله كالحث على خير والتحذير عن معصية وفيه أباحة الكلام فى العلم وتعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح و أن استدبار القبلة فى جلوسه للعلم أو غيره جائز قلت هو للعلم أفضل أن لم يتصور الاستقبال مع الاقبال

و ذكر حديث عبدالله بن عمر فى رؤيا النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم فى المدينة فى باب حرم المدينة

★ (الفصل الثانى) ★ عن أبى رزين العقيلى قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم رؤيا المؤمن جزء من ستة و أربعين جزأ من النبوة و هى على رجل طائر ما لم‌يحدث بها فاذا حدث بها وقعت و أحسبه قال لاتحدث الا حبيبا أو لبيبا رواه الترمذى و فى رواية أبى‌داود قال الرؤيا على رجل طائر ما لم‌تعبر فاذا عبرت وقعت و أحسبه قال و لاتقصها

و فى الخطبة متعين على كل حال و أما استقباله فى غيرهما فمستحب لما ورد عن ابن عباس مرفوعا على ما رواه الطبرانى أشرف المجالس مااستقبل به القبلة (وذكر حديث عبدالله بن عمر فى رؤيا النبى صلى‌الله عليه‌وسلم فى‌المدينة فى باب حرم المدينة)

★ (الفصل الثانى) ★ (عن أبى رزين العقيلى) بالتصغير وأسمه لقيط بن عامر بن صبرة وهو صحابى مشهور (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم رؤيا المؤمن جزء من ستة و أربعين جزأ من النبوة و هى) أى رؤيا المؤمن أو الرؤيا مطلقا و هو الاظهر و قد ورد به بعض الاثر (على رجل طائر) هذا مثل فى عدم تقرر الشئى أى لاتستقر الرؤيا قرارا كالشئى المعلق على رجل طائر ذكره ابن الملك فالمعنى انها كالشئى المعلق برجل الطائر لااستقرار لها (ما لم‌يحدث) أى ما لم‌يتكلم المؤمن أو الرائى (بها) أى بتلك الرؤيا أو تعبيرها (فاذا حدث بها وقعت) أى تلك الرؤيا على الرائى يعنى يلحقه حكمها هذا و فى النهاية كل حركة من كلمة أو جار مجراها فهو طائر مجازا أراد على رجل قدر جاز و قضاء ماض من خير أو شر و معناه لايستقر تأويلها حتى تعبر يريد أنها سريعة السقوط اذا عبرت كما أن الطير لايستقر فى أكثر أحواله فكيف ما يكون على رجله و قال الطيبى التركيب من باب التشبيه التمثيلى شبه الرؤيا بالطير السريع طيرانه و قدعلق على‌رجله شئى يسقط بأدنى حركة فينبغى أن يتوهم للمشبه حالات مناسبة لهذه الحالات و هى أن الرؤيا مستقرة على ما يسوقه التقدير اليه من التعبير فاذا كانت فى حكم الواقع قيض من يتكلم بتأويلها على ما قدر فيقع سريعا و ان لم‌يكن فى حكمه لم‌يقدر لها من يعبرها (و أحسبه) بكسر السين و فتحها أى أظنه صلى‌الله‌عليه‌وسلم (قال لاتحدث) بصيغة نهى المخاطب كانه خطاب للراوى أو لمطلق الرائى أى لاتخبر برؤياك (الا حبيبا) أى محبا لايعبر لك الا بما يسرك (أو لبيبا) أو للتنويع أى عاقلا فانه أما أن يعبر بالمحبوب أو يسكت عن المكروه و لذا قيل عدو عاقل خير من صديق جاهل أو المراد باللبيب العالم فيوافق الرواية الآتية أو ذى رأى و سيأتى معناه (رواه الترمذى) و فى الجامع الصغير رؤيا المؤمن جزء من ستة و أربعين جزأ من النبوة رواه أحمد و الشيخان عن أنس و كذاهم و أبوداود و الترمذى عن عبادة بن الصامت و كذا أحمد و الشيخان و ابن ماجه عن أبى هريرة و أما حديث أبى رزين فقد رواه الترمذى عنه بلفظ رؤيا المؤمن جزء من ستة و أربعين جزأ من النبوة و هى على رجل طائر ما لم‌يحدث بها فاذاتحدث بها سقطت ولاتحدث بها الا لبيبا أو حبيبا (و فى رواية أبى داود) أى عن أبى رزين و كذا فى رواية لابن ماجه عنه على ما فى الجامع الصغير بدون قوله و أحسبه (قال الرؤيا على رجل طائر ما لم‌تعبر) على بناء المجهول و بتخفيف الباء فى أكثر الروايات أى ما لم‌تفسر (فاذا عبرت وقعت و أحسبه) أى النبى صلى‌الله‌عليه وسلم (قال و لاتقصها) بفتح الصاد المشددة و جوز ضمها و الاول أفصح و الثانى يجوز أن يراد به النهى أو النفى معناه النهى للمبالغة و أما قول الصرفيين يجب الفتح فى نحو ردها لان الهاء لخفائها كالعدم وكان الالف واقعة بعدالدال فانما هو بخصوص الامر فانه صيغة غيرمشتركة بخلاف نحو لاتردها

الا على واد أو ذى رأى ★ وعن عائشة قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ورقة فقالت له خديجة انه كان قد صدقك و لكن مات قبل أن تظهر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أريته فى المنام و عليه ثياب بيض و لو كان من أهل النار لكان عليه لباس غير ذلك رواه أحمد و الترمذى ★ و عن ابن خزيمة بن ثابت عن عمه أبى خزيمة

و لاترده فتدبر و خذ ما صفا و دع ما تكدر و المعنى لاتعرض رؤياك (الا على واد) بتشديد الدال أى محب لانه لايستقبلك فى تفسيرها الا بما تحب قال النووى يشبه أنه يراد به انه اذا أخبر بها من لايحبه ربما حمله البغض و الحسد على تفسيرها بمكروه فيقع على تلك الصفة فان الرؤيا على رجل طائر و معناه انها اذا كانت محتمل وجهين ففسرت بأحدهما وقعت على تلك الصفة و قد يكون ظاهر الرؤيا مكروها و تفسيرها محبوب و عكسه و هذا أمر معروف لاهله قلت و يمكن أن يقال المراد بتخصيص الرائى انه اذا أخبر التبغيض له أو الحسود عليه بما يدل على رفعة شأنه و عظمة جاهه و كثرة ماله و مذلة أعدائه و معزة أحبائه ربما يجتهد فى دفعه أولا و يمكر فى خفض دفعه ثانيا بتعبير يجر الى تغيير أو تعيير و يؤيد ما ذكرنا قوله تعالى حكاية عن يعقوب وصية ليوسف عليهما السلام لاتقصص رؤياك على أخوتك فيكيدوا لك كيدا (أو ذى رأى) أى عاقل أو عالم قال الزجاج معناه ذوعلم بعبارة الرؤيا فانه يخبرك بحقيقة تفسيرها أوبأقرب ما يعلم منه لا أن تعبيره يزيلها عما جعلها الله عليه قال التوربشتى فان قيل كيف له التخير فيما يعبر به على ما ورد به الحديث و لايقصها الا على واد أو ذى رأى والا قضية لاترد بالتوق عن الاسباب ولاتختلف أحكامها باختلاف الدواعى قلنا هو مثل السعادة و الشقاوة و السلامة و الآفة المقضى بكل واحد منها لصاحبها و مع ذلك فقد أمر العبد بالتعرض للمحمود منها و الحذر عن المكروه منها ★ (و عن عائشة قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ورقة) بفتحات أى ابن نوفل بن أسد القرشى ابن عم خديجة أم المؤمنين كان تنصر فى الجاهلية و قرأ الكتب و كان شيخا كبيرا قد عمى ذكره المؤلف فى فصل الصحابة لكن لايلزم من ذكره فيه كونه صحابيا كما أنه ذكر أبا جهل فى التابعين و ليس منهم أجماعا نعم ورقة أدرك أول النبوة و سيأتى حديثه معه عليه الصلاة والسلام فى باب بدء الوحى و حاصل السؤال أنه هل هو من أهل النار أم لا (فقالت) بيان السؤال و السائل (له) أى لاجل ورقة و تحقيق أمره (خديجة انه) أى الشان أو أن ورقة (كان) أى فى حياته (قد صدقك) بالتشديد أى فى نبوتك (و لكن مات قبل أن تظهر) أى قبل ظهورك للبعثة و الرسالة و سيأتى انه قد تمنى لحوقها (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أريته) بصيغة المجهول أى أرانيه الله (فى المنام) وهو بمنزلة الوحى للانبياء و حاصل الجواب انه لم يأتنى وحى جلى و دليل قطعى لكنى رأيته فى المنام (و عليه ثياب بيض و لو كان من أهل النار لكان عليه لباس غير ذلك) و كانه صلى الله عليه وسلم عبر ثوبه عليه بدينه و ان الظاهر عنوان الباطن و قد قالت الصوفية من رق ثوبه رق دينه قال الطيبى فان قلت ما معنى الاستدراك قلت أدخلت خديجة كلامها بين سؤال السائل و جوابه صلى الله عليه وسلم اشعارا منها بانه صلى الله عليه وسلم يجيب بما يكره أو استذكارا لما عرف صلى الله عليه وسلم من حال ورقة لان ورقة كان ابن عمها يعنى انه لم يدرك زمان دعوتك ليصدقك و يأتى بالاعمال على موجب شريعتك لكن صدقك قبل مبعثك اه فانظر الى المحلين و أختر الاحلى من الخلين (رواه أحمد و الترمذى ★ و عن أبى خزيمة) بخاء معجمة مضمومة وفتح راء (ابن ثابت عن عمه أبى خزيمة) أى أخى خزيمة ذكره ميرك و قال المؤلف خزيمة بن ثابت يكنى أباعمارة

انه رأى فيما يرى النائم انه سجد على جبهة النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فاضطجع له و قال صدق رؤياك فسجد على جبهته رواه في شرح السنة و سنذكر حديث أبي بكرة كان ميزانا نزل من السماء في باب مناقب أبي بكر و عمر رضى الله عنهما

★ (الفصل الثالث) ★ (عن سمرة بن جندب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يكثر ان يقول لاصحابه هل رأى أحد منكم من رؤيا فيقص عليه من شاء الله ان يقص و انه قال لنا ذات غداة انه أتاني الليلة آتيان و انهما ابتعثاني و انهما قالا لى انطلق و انى انطلقت معهما

الانصارى الأوسى يعرف بذى الشهادتين شهد بدرا و ما بعدها كان مع علي يوم صفين فلما قتل عمار ابن ياسر جرد سيفه فقاتل حتى قتل روى عنه ابناه عبدالله و عمارة و جابر بن عبدالله اه و لم يذكر أبا خزيمة في أسمائه لكن ذكر ولد أخيه عمارة بن خزيمة بن ثابت الانصارى في فصل الصحابة و قال روى عن أبيه و غيره و جماعة و عمارة بضم العين و تخفيف الميم و في صحبته تردد اه و الظاهر أن خزيمة هناهو عمارة (انه) أى عمه أبا خزيمة (رأى فيما يرى النائم انه سجد على جبهة النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فاضطجع له و قال صدق رؤياك) أمر من التصديق أى اعمل بمقتضاها قال المظهر هذا تصريح بان من رأى رؤيا يستحب أن يعمل بها في اليقظة ان كانت تلك الرؤيا شيأ فيه طاعة مثل أن يرى أحد أن يصلى أو يصوم أو يتصدق بشئ من ماله أو يزور صالحا و ما أشبه ذلك (رواه) أى البغوى (في شرح السنة) أى باسناده (و سنذكر حديث أبي بكرة) بالتاء (كان) بتشديد النون للاحتياط في باب الرؤيا (ميزانا نزل من السماء) أى الى آخره (في باب مناقب أبي بكر و عمر رضى الله عنهما) فانه و ان كان له مناسبة بهذا المقام باعتبار رؤية المنام و تعبيره عليه السلام لكن لما كان فيه منقبة للشيخين رأى المؤلف أن المناسب ذكره في باب المناقب فاخر و اعتذر فتدبر

★ (الفصل الثالث) ★ (عن سمرة بن جندب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يكثر) بفتح الياء و ضم المثلثة و فاعله (أن يقول) و ما موصولة أى كان من الفريق الذى يكثر قوله و في نسخة صحيحة بضم الياء و كسر الثاء ففيه ضمير فاعل راجع الى ما و مفعوله أن يقول و اللام في (لاصحابه) للمشافهة و المقول (هل رأى أحد منكم من رؤيا) أى شيأ منها و اقتصر الطيبى رحمه الله على الاعراب الاول حيث قال قوله مما يكثر خبر كان و ما مما موصولة و يكثر صلته و الضمير راجع الى ما فاعل يقول و أن يقول فاعل يكثر و هل رأى أحد منكم هو المقول أى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من زمرة الذين كثر منهم هذا القول فوضع ما موضع من تعظيما و تفخيما لجنابه عليه السلام كقوله تعالى و السماء و ما بناها و سبحان ما سخر كن لنا قلت التعظيم و التفخيم ظاهر باهر في الآيتين مع انه قد يراد بما فيها معنى الصفة على ما هو مقرر عند أرباب الصنعة و أما استعمال ما في الحديث على أرادة التفخيم فخارج عن صورة التسليم و الله بكل شئ عليم (فيقص) بالرفع أى فهو يقص (عليه) و في نسخة بالنصب عطفا على يقول و فاعله (من شاء الله) و في نسخة ما شاء أى الذى أراده الله (ان يقص) أى عليه (و انه) بكسر الهمزة أى الشأن (قال) أى النبي صلى الله عليه وسلم (ذات غداة) أى صبح يوم (انه) أى الشأن (أتاني الليلة آتيان) تثنية اسم الفاعل من أتى أى شخصان أو ملكان جائيان (و انهما ابتعثاني) أى أثاراني و أذهباني و أما ما قيل أن معناه أيقظاني من المنام فلايناسب المقام (و انهما قالا لى أنطلق و أنى أنطلقت معهما) قال الطيبى معطوف على قوله و انهما قالا أى حصل منهما القول و منى الانطلاق و ذكر صلى الله عليه وسلم ان المؤكدة أربع مرات تحقيقا لما رآه

وذكر مثل الحديث المذكور فى الفصل الاول بطوله وفيه زيادة ليست فى الحديث المذكور وهى قوله فأتينا على روضة معتمة فيها من كل نور الربيع واذا بين ظهرى الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولا فى السماء و اذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط قلت لهما ماهذا ما هؤلاء قال قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا فانتهينا الى روضة عظيمة لم أر روضة قط أعظم منها و لا أحسن قال قالا لى أرق

و تقريرا لقوله الرؤيا الصالحة جزء من أربعين جزأ من النبوة (و ذكر) أى سمرة بقية هذا الحديث (مثل الحديث المذكور) أى عنه (فى الفصل الاول بطوله) أى بطول الحديث المذكور (وفيه) أى فى حديث سمرة هذا (زيادة ليست فى الحديث المذكور وهى) أى الزيادة (قوله) أى قوله صلى الله عليه وسلم (فأتينا على روضة معتمة) بضم الميم و سكون المهملة و كسر المثناة و تخفيف الميم من العتمة شدة الظلام فوصفها بشدة الخضرة و لبعضهم بفتح المثناة و تشديد الميم كذا حققه العسقلانى و قال الطيبى أى طويلة النبات يقال اعتم النبت اذا طال قلت و يؤيد الاول ما فى النهاية أعتم يعتم دخل فى عتمة الليل و هى ظلمته و عليه أيضا يدور جميع ما ذكره صاحب القاموس فى هذه المادة (فيها) أى فى تلك الروضة (من كل نور الربيع) بفتح النون أى زهره و المراد بالربيع الفصل المشهور الذى بين الشتاء و الصيف (و اذا بين ظهرى الروضة) أى فى وسطها و الظهر مقحم و كانه أريد المبالغة فى تحقق الوسط (رجل طويل) أى ذوطول عظيم (لا أكاد أرى رأسه طولا) نصبه على التمييز (فى السماء) أى فى جهتها و هو تأكيد و الا فالطول مقابل للعرض (و اذا حول الرجل) بالنصب على انه ظرف (من أكثر ولدان رأيتهم) الظاهر أن من زائدة على ما ذهب اليه الكوفيون و الاخفش من تجويز زيادة من فى الاثبات (قط) بفتح الكاف و ضم الطاء المشددة و فى القاموس ما رأيته قط و يضم و يخففان و يختص بالنفى ماضيا و فى مواضع من البخارى جاء بعد المثبت منها فى الكسوف أطول صلاة صليتها قط و فى سنن أبى داود توضأ ثلاثا قط و أثبتها ابن مالك فى الشواهد لغة قال و هى مما خفى على كثير من النحاة و قال الطيبى أصل التركيب و اذا حول الرجل ولدان مارأيت ولدانا قط أكثر منهم يشهد له قوله لم أر روضة قط أعظم منها و لما كان التركيب متضمنا لمعنى النفى جاز زيادة من و قط التى تختص بالماضى المنفى و نظيره حديث حارثة مرفوعا و نحن أكثر ما كنا قط و قد سبق بيانه فى باب صلاة السفر قال صاحب الكشاف فى قوله تعالى فشربوا منه الا قليلا على قراءة الرفع هذا من ميلهم مع المعنى و الاعراض عن اللفظ جانبا و هو باب جليل من علم العربية قلت و هو مشرب الصوفية حيث قالوا أن الكلام فى أعراب المبانى يشغل عن أعراب المعانى و قد قال الكافيجى ان أصل النحو ثلاث قواعد و الباقى من القواعد و الاصطلاحات زيادة عليها و قد تقرر أن علل النحو اعتبارات بعد الوقوع لاموجبات ثم قال الكشاف فلما كان معنى فشربوا منه فى معنى فلم يطيعوه حمل عليه كانه قيل فلم يطيعوه الا قليل منهم (قلت لهما ما هذا) أى الرجل الطويل (ما هؤلاء) أى الولدان و ما بمعنى من أو أريد بها الصفة أى ما صفة هذا و صفة هؤلاء و أغرب الطيبى فى قوله و من حق الظاهر أن يقال من هذا فكانه صلى الله عليه وسلم رأى حاله من الطول المفرط كانه خفى عليه انه من أى جنس هو أبشر أم ملك أم جنى أم غير ذلك اه و غرابته لاتخفى اذ مع اطلاق الرجل عليه لايتصور أن يكون جمادا أو نباتا أو بهيمة و كونه ملكا أم جنيا لايستدعى ما بل يقتضى من أيضا (قال) أى النبى صلى الله عليه وسلم (قالالى انطلق انطلق) و لعل فى تكرار الامر اشعار بقرب المزار (فانطلقنا فانتهينا الى روضة عظيمة لم أر روضة قط أعظم منها) أى فى الكمية (و لا أحسن) أى منها فى الكيفية (قال قالا لى أرق) بفتح

فيها قال فارتقينا فيها فانتهينا الى مدينة مبنية بلبن ذهب و لبن فضة فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلناها فتلقانا فيها رجال شطر من خلقهم كاحسن ما أنت راء و شطر منهم كاقبح ما أنت راء قال قالا لهم اذهبوا فقعوا فى ذلك النهر قال و اذا نهر معترض يجرى كان ماءه المحض فى البياض فذهبوا فوقعوا فيه ثم رجعوا الينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا فى أحسن صورة و ذكر فى تفسير هذه الزيادة و أما الرجل الطويل الذى فى الروضة فانه ابراهيم و أما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة قال فقال بعض المسلمين يا رسول الله و أولاد المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم و أولاد المشركين

القاف أى أصعد (فيها قال فارتقينا فيها فانتهينا الى مدينة مبنية بلبن ذهب و لبن فضة) بفتح اللام و كسر الموحدة ما يكون على صورة الآجر و لعل هذا اشارة الى جنة المخلصين من التائبين أو غيرهم أو من صرف أوقاته بعضها الى الطاعة و بعضها الى الغفلة أو بعضها الى الافضل و بعضها الى الفاضل (فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلناها فتلقانا فيها رجال شطر) أى نصف أو بعض (من خلقهم) أى من خلقتهم و شطر مبتدأ خبره (كاحسن ما) أى مثل أحسن شئى (أنت راء) أى له فى عمرك و الجملة صفة رجال و قال الطيبى الكاف زائدة و أظن أن الكلام لايحتاج الى القول بالزيادة (و شطر منهم) أى من خلقتهم (كاقبح ما أنت راء) قال الطيبى يحتمل أن يكون بعضهم موصوفين بان خلقتهم حسنة و بعضهم قبيحة و أن يكون كل واحد منهم بعضه حسن و بعضه قبيح و الثانى هو المراد بدليل قوله فى التفصيل فانهم قوم خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا أى خلط كل واحد عملا صالحا بسيء و سيئا بصالح قلت و قوله من خلقهم أيضا يدفع أن يكون المراد به المعنى الاول فتأمل نعم لو قال شطر منهم لكان عل التوهم (قال قالا لهم اذهبوا فقعوا) أمر من وقع يقع كقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فالمعنى أوقعوا أنفسكم (فى ذلك النهر) أى المرئى عندهم (قال و اذا نهر معترض) أى عريض (يجرى) أى ماؤه (كان ماءه المحض) أى اللبن الخالص غير مشوب بشئى و المحض من كل شئى الخالص منه (فى البياض) كانه سمى بالصفة ثم استعمل فى الصفاء قال الطيبى و يمكن أن يراد بالماء عفو الله تعالى عنهم أو التوبة منهم كما ورد اللهم اغسل خطاياى بالماء و الثلج و البرد قلت ان كان مراده تعبير الماء بالعفو فهو متعين لما سيأتى فى التأويل انه تجاوز الله عنهم فلايحتاج الى تقييده بالامكان و ان أراد أن الماء المرئى هو العفو فلاخفاء لعدم صحته (فذهبوا فوقعوا فيه ثم رجعوا الينا قد ذهب ذلك السوء) بضم أوله و يجوز فتحه أى القبح (عنهم فصاروا) أى فرجعوا و انقلبوا (فى أحسن صورة وذكر) أى النبى صلى الله عليه وسلم و فى نسخة بصيغة المجهول أى قيل (فى تفسير هذه الزيادة و أما الرجل الطويل الذى فى الروضة فانه ابراهيم) أى الخليل عليه السلام (و أما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة) أى فى الصغر (قال) أى الراوى (فقال بعض المسلمين يا رسول الله و أولاد المشركين) أى أو منهم أو ما حكمهم أو ما تقول فيهم (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم و أولاد المشركين) أى منهم أو هم كذلك قال الطيبى يعنى أولاد المشركين الذين ماتوا على الفطرة أ داخلون فى زمرة هؤلاء الولدان فأجاب و أولاد المشركين وفيه أن حكم أولاد المشركين الذين غيرت فطرتهم بالتهود والتمجس خلاف هذا فالاحاديث الدالة على أن أولاد المشركين فى النار يؤول بمن غيرت فطرتهم جمعا بين الدليلين و رفعا للتناقض قلت هذا جمع حسن لكن يشعر بوقوع التكليف فى حال التمييز بالنسبة الى أولاد المشركين لكن له تعالى أن يعذبهم بكفرهم

و أما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن و شطر منهم قبيح فانهم قوم قد خلطوا عملا صالحا و آخر سيأ تجاوز الله عنهم رواه البخاری ★ و عن ابن عمر أن رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم قال من أفری الفری أن یری الرجل عینیه ما لم تریا رواه البخاری ★ وعن أبی سعید عن النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم قال أصدق الرؤیا بالاسحار رواه الترمذی و الدارمی

★ (كتاب الآداب) ★ (باب السلام) ★

فی صغرهم بناء علی عدله كما انه یقبل ایمان الصغیر بناء علی فضله لایسأل عما یفعل و قد توقف امامنا الاعظم فی هذا الباب و قد سبق هذا المبحث بالاطناب فی صدر الكتاب قال الخطابی و قول القائل یا رسول الله أولاد المشركین فان ظاهر هذا الكلام انه الحقهم باولاد المسلمین و ان كان قد حكم لهم بحكم آبائهم فی الدنیا و ذلک انه سئل عن ذراری المشركین فقال هم من آبائهم و للناس فی أطفال المشركین اختلاف و عامة أهل السنة علی أن حكمهم حكم آبائهم فی الكفر و قد ذهب طائفة منهم الی انهم فی الآخرة من أهل الجنة و قد روی فیه آثار من الصحابة و احتجوا لهذه المقالة بحدیث النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم كل مولود یولد علی الفطرة و بقول الله عزوجل و اذا المؤدة سئلت بأی ذنب قتلت و بقوله یطوف علیهم ولدان مخلدون لان اسم الولدان مشتق من الولادة و لا ولادة فی الجنة فكانوا هم‌الذین نالتهم الولادة فی‌الدنیا وروی عن بعضهم انهم كانوا سبیا وخدما للمسلمین فی الدنیا فهم خدم لهم فی الجنة (و أما القوم الذین كانوا) أی وجدوا (شطر منهم حسن و شطر منهم قبیح فانهم قوم قد) للتحقیق علی ما فی النسخ المصححة (خلطوا عملا صالحا و آخر سیأ تجاوز الله عنهم رواه البخاری ★ و عن ابن عمر رضی‌الله تعالی عنه أن رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم قال من أفری الفری) بكسر الفاء جمع فریة و هی الكذبة و أفری أفعل منه للتفضیل أی أكذب الكذبات (أن یری) بضم یاء و كسر راء (الرجل عینیه ما لم تریا) أی شیأ لم تر عیناه فی النهایة أی یقول رأیت فی النوم كذا و لم یكن رأی شیأ لانه كذب علی‌الله فانه هو الذی یرسل ملک الرؤیا لیریه المنام قال‌الطیبی المراد باراء الرجل عینیه وصفهما بما لیس فیهما و نسبة الكذبات الی الكذب للمبالغة نحو قولهم لیل ألیل و جد جده قال السیوطی الفریة الكذبة العظیمة و جعل كذب المنام أعظم من كذب الیقظة لانه كذب علی‌الله وأدعی جزأ من أجزاء النبوة كذبا (رواه البخاری) و فی الجامع أن من أعظم الفری أن یدعی الرجل لغیر أبیه أو یری عینیه ما لم‌تریا أو یقول علی رسول‌الله ما لم یقل رواه البخاری عن واثلة و روی أحمد عن ابن عمر بلفظ ان من أفری الفری أن یری الرجل عینیه فی المنام ما لم تریا ★ (و عن أبی سعید عن النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم قال أصدق الرؤیا بالاسحار) أی ما رؤی بالاسحار و ذلک لان الغالب حینئذ ان تكون الخواطر مجتمعة و الدواعی ساكنة و لان المعدة خالیة فلایتصاعد منها الابخرة المشوشة و لانها وقت نزول الملائكة للصلاة المشهودة ذكره الطیبی (رواه الترمذی و الدارمی) و كذا أحمد و ابن حبان و البیهقی عنه

★ (كتاب الآداب) ★ الادب استعمال ما یحمد قولا و فعلا و قیل الاخذ بمكارم الاخلاق ذكره السیوطی و قیل الوقوف مع الحسنات و الاعراض عن السیأت و قیل التعظیم لمن فوقک و الرفق بمن دونک و یقال انه ماخوذ من المادبة و هی دعوة الی طعام سمی بذلک لانه یدعی الیه .

★ (باب السلام) ★ أی ابتداء و جوابا و الاول أفضل مع انه سنة ومن القواعد ان الواجب ثوابه أكمل و لعل وجهه أنه مشتمل علی التواضع مع كونه سببا لاداء الفرض و نظیره النظرة عن المعسر

★ (الفصل الاول) ★ عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا فلما خلقه قال أذهب فسلم على أولئک النفر و هم نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونک فانها تحيتک و تحية ذريتک فذهب فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليک و رحمة الله قال فزادوه و رحمة الله

الى الميسرة فانها واجبة والابراء أفضل منها مع انه سنة و فى الحديث السلام اسم من أسماء الله وضعه الله فى الارض فافشوه بينكم فان الرجل المسلم اذا مر بقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة بتذكره اياهم السلام فان لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم و أطيب رواه البزار و البيهقى عن ابن مسعود

★ (الفصل الاول) ★ (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله آدم على صورته) أى على صورته التى استمر عليها الى أن أهبط و الى أن مات دفعا للتوهم أن صورته كانت فى الجنة على صفة أخرى و قيل الضمير لله و المراد بالصورة الصفة من الحياة و العلم و السمع و البصر و ان كانت صفاته تعالى لايشبهها شئ و قيل الضمير للعبد المحذوف من السياق و ان سبب الحديث ان رجلا ضرب وجه غلام فنهاه عن ذلک و قال ان الله خلق آدم على صورته كذا فى حاشية البخارى للسيوطى و قال الخطابى الهاء مرجعها الى آدم عليه السلام فالمعنى أن ذرية آدم خلقوا اطوارا فى مبدأ الخلق نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم صاروا صورا أجنة الى أن تتم مدة الحمل فيولدون أطفالا و ينشؤن صغارا الى أن يكبروا فيتم طول أجسادهم يقول ان آدم لم يكن خلقه على هذه الصفة و لكنه أول ما تناولته الخلقة وجد خلقا تاما (طوله ستون ذراعا) و قال الشيخ التوربشتى هذا كلام صحيح فى موضعه فاما فى تأويل هذا الحديث فانه غير سديد لما فى حديث آخر خلق آدم على صورة الرحمن و لما فى غير هذه الرواية أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يضرب وجه غلام فقال لاتضرب الوجه فان الله خلق آدم على صورته فالمعنى الذى ذهب اليه هذا المؤول لايلائم هذا القول و أهل الحق فى تأويل ذلک على طبقتين احداهما المنزهون عن التأويل مع نفى التشبيه و عدم الركون الى مسميات الجنس و احالة المعنى فيه الى علم الله تعالى الذى أحاط بكل شئ علما و هذا أسلم الطريقين و الطبقة الاخرى يرون الاضافة فيها أضافة تكريم و تشريف و ذلک أن الله تعالى خلق آدم أبا البشر على صورة لم يشا كلها شئ من الصور فى الجمال و الكمال و كثرة ما احتوت عليه من الفوائد الجليلة فاستحقت الصورة البشرية أن تكرم و لاتهان اتباعا لسنة الله فيها و تكريما لما كرمه اه و هو فى غاية البهاء و يؤيده قوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم و أغرب الطيبى فى تعقبه عليه و فى قوله ان تأويل أبي سليمان سديد يجب المصير اليه و فى ذكر ما لاطائل تحته و لامنفعة لديه (فلما خلقه قال أذهب فسلم على أولئک النفر) أى الجماعة (و هم نفر من الملائكة جلوس) أفرد لانه مصدر أو مراعاة للفظ نفر أو جمع جالس أو تقديره ذوو جلوس أو من قبيل رجل عدل مبالغة (فاستمع) أى فسلم عليهم فاستمع (ما يحيونک) بتشديد التحتية أى الذى يحيونک من قوله تعالى و إذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها و أما ما وقع فى بعض نسخ المصابيح بالجيم و التحتية و الموحدة فتصحيف و تحريف و يرده قوله (فانها) أى تحيتهم أياک (تحيتک و تحية ذريتک) أى لمن يسلم عليک و عليهم (فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليک و رحمة الله قال) أى النبى صلى الله عليه وسلم (فزادوه) أى آدم فى رد جوابه على أصل سلامه بقولهم (و رحمة الله) قيل يدل هذا على جواز الزيادة قلت بل الزيادة

قال فكل من يدخل الجنة على صورة آدم وطوله ستون ذراعا فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن متفق عليه

★ و عن عبدالله بن عمرو أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الاسلام خير قال تطعم الطعام و تقرىء السلام على من عرفت و من لم تعرف

هى الافضل كما يستفاد من الآية أيضا نعم يدل على جواز تقديم السلام فى الجواب بل على ندبه لان المقام مقام التعليم لكن الجمهور على أن الجواب بقوله و عليكم السلام أفضل سواء زاد أم لا و لعل الملائكة أيضا أرادوا انشاء السلام على آدم كما يقع كثيرا فيما بين الناس لكن يشترط فى صحة الجواب أن يقع بعد السلام لا أن يقعا معا كما يدل عليه فاء التعقيب و هذه مسئلة أكثر الناس عنها غافلون فلو التقى رجلان و سلم كل منهما على صاحبه دفعة واحدة يجب على كل منهما الجواب (قال) أى النبى صلى الله عليه وسلم (فكل) كذا فى الاصول المعتمدة من البخارى و غيره و جميع نسخ المصابيح بالفاء و هو مترتب على ما سبق من قوله خلق الله آدم على صورته و طوله ستون ذراعا و حاصله ان جميع (من يدخل الجنة) أى من أولاده (على صورة آدم) أى يدخل على صورته أو فهو على صورته و هى يحتمل النوعية و الشخصية (و طوله) أى و الحال أن طول من يدخل الجنة من ذريته أيضا (ستون ذراعا) بناء على أن كل شئ يرجع الى أصله و فى الجامع على صورة آدم فى طوله ستون ذراعا (فلم يزل) هذا الفاء للترتيب على قوله طوله ستون ذراعا فى صدر الحديث متضمنا لجواب سؤال مقدر تقديره انه اذا كان آدم طوله ستون ذراعا وذريته يدخلون الجنة أيضا وطولهم ستون ذراعا فما بالهم نقص طولهم عن طول أبيهم على ما نشاهد فى الدنيا أ هو نقصان تدريجى أو غير ذلك قال فلم يزل (الخلق) أى غالبهم من أولاد بنى آدم (ينقص) أى طولهم و أما قول الطيبى و جمالهم فما أظنه صحيحا مع أن الحديث لا يدل عليه لا رمزا و لا صريحا (بعده) أى بعد آدم لحكمة اقتضت و الله أعلم بها (حتى الآن) بالنصب ظرف ينقص أى حتى وصل النقص الى الوقت الذى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم الحديث و الظاهر أن النقصان انتهى الى ذلك الزمان و الا فلم يحفظ تفاوت فى طول القامة بين السلف و الخلف الى مدتنا الآن (متفق عليه) و كذا رواه الامام أحمد فى مسنده ★ (و عن عبدالله بن عمر) أى ابن العاص (أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الاسلام) أى أى آداب الاسلام أو أى خصال أهله (خير) أى أفضل ثوابا أو أكثر نفعا قال الطيبى السؤال وقع عما يتصل بحقوق الآدميين من الخصال دون غيرها بدليل انه صلى الله عليه وسلم أجاب عنها دون غيرها من الخصال حيث (قال تطعم الطعام) الخ و تقديره أن تطعم الطعام فلما حذف ان رجع الفعل مرفوعا كقوله تعالى و من آياته يريكم البرق خوفا و طمعا و قول القائل تسمع بالمعيدى خير من ان تراه و يمكن ان يكون خبرا معناه الامر و كذا قوله (وتقرأ السلام) و فى نسخة صحيحة و تقرىء من الاقراء ففى النهاية يقال اقرأ فلانا السلام و اقرئ عليه السلام كانه حين يبلغه سلامه يحمله على ان يقرأ السلام و يرده و فى القاموس قرأ عليه السلام أبلغه كاقرأه أو لا يقال اقرأه الا اذا كان السلام مكتوبا و قوله (على من عرفت و من لم تعرف) ظاهره انه متعلق بتقرأ و يمكن أن يتنازع فيه الفعلان بان يضمن تطعم معنى البذل ثم الظاهر أن الخطاب عام شامل للمخاطب و غيره و قال التوربشتى أى خصال أهل الاسلام و آدابهم أفضل و يدل عليه الجواب بالاطعام و السلام على من عرف او لم يعرف قال و لعل تخصيصهما لعلمه صلى الله عليه وسلم بانهما يناسبان حال السائل و لذلك اسندهما اليه فقال تطعم الطعام و تقرأ السلام أو علم النبى صلى الله عليه وسلم انه يسأل عما يعامل المسلمين فى اسلامه فأخبره بذلك ثم

متفق عليه ★ و عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم للمؤمن على المؤمن ست خصال يعوده اذا مرض و يشهده اذا مات و يجيبه اذا دعاه و يسلم عليه اذا لقيه و يشمته اذا عطس و ينصح له اذا غاب أو شهد لم أجده في الصحيحين و لا في كتاب الحميدي و لكن ذكره صاحب الجامع برواية النسائي ★ و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا و لاتؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شئ اذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم

رأى ان يجيب عن سؤاله بإضافة الفعل اليه ليكون أدعى الى العمل و الخبر قد يقع موقع الامر (متفق عليه) و في رواية ابن ماجه عن ابن عمر مرفوعا أفشوا السلام . و أطعموا الطعام و كونوا أخوانا كما أمركم الله تعالى و في رواية للطبراني في مكارم الاخلاق عن أبي هريرة مرفوعا أفضل الاعمال بعد الايمان التودد الى الناس ★ (و عن أبي هريرة رضي‌الله تعالى عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم للمؤمن على المؤمن ست خصال يعوده اذا مرض و يشهده) أي يحضر وقت نزعه (اذا مات) أي قرب موته أو يحضر زمان الصلاة على جنازته اذا مات و هو الاظهر (و يجيبه اذا دعاه و يسلم عليه اذا لقيه و يشمته) بالشين المعجمة و تشديد الميم أي يدعو له بقوله يرحمك الله (اذا عطس) بفتح الطاء ويكسر على ما في القاموس يعني فحمد الله كما في رواية و في النهاية التشميت بالشين و السين الدعاء بالخير و البركة و المعجمة أعلاهما يقال شمت فلانا و شمت عليه تشميتا و اشتقاقه من الشوامت و هي القوائم كأنه دعاء للعاطس بالثبات على طاعة الله و قيل معناه أبعدك الله عن الشماتة وجنبك ما يشمت به عليك (وينصح له) أي يريد الخير للمؤمن ويرشده اليه (اذا غاب) أي كل منهما (او شهد) أي حضر و او للتنويع وحاصله انه يريد خيره في غيبته وحضوره فلايتملق في حضوره ويغتاب في غيبته فان هذا صفة المنافقين قال المؤلف (لم أجده) أي هذا الحديث (في الصحيحين) أي متنيهما (و لا في كتاب الحميدي) أي الجامع له (لكن ذكره صاحب الجامع) أي جامع الاصول (برواية النسائي) قلت سلمنا ان الحديث بهذا اللفظ غير موجود في الكتب المذكورة لكن قد روى البخاري في تاريخه و مسلم في صحيحه حق المسلم على المسلم ست اذا لقيته فسلم عليه و اذا دعاك فاجبه و اذا استنصحك فانصح له و اذا عطس فحمد الله فشمته و اذا مرض فعده و اذا مات فاتبعه ففي الجملة صح اسناد البغوي الحديث الى مسلم بل الى الشيخين ولو بالمعنى ★ (و عنه) أي عن أبي هريرة رضي‌الله تعالى عنه (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتدخلون الجنة حتى تؤمنوا و لاتؤمنوا) قال النووي هكذا هو في جميع الاصول والروايات بحذف النون من آخره اه ولعل حذف النون للمجانسة والازدواج قال الطيبي و نحن استقرينا نسخ مسلم و الحميدي و جامع الاصول و بعض نسخ المصابيح فوجدناها مثبتة بالنون على الظاهر قلت أما نسخ المشكاة المصححة المعتمدة المقروأة على المشايخ الكبار كالجزري و السيد أصيل الدين و جمال الدين المحدث وغيرها من النسخ الحاضرة فكلها بحذف النون وما وجدنا نسخة فيها النون مثبتة وأما متن مسلم المصحح المقروء على جملة مشايخ منهم السيد نورالدين الايجي قدس الله سره العزيز فهو بحذف النون نعم في الحاشية نسخة بثبات النون وأما تيسير الوصول الى جامع الاصول فليس فيه الا بحذف النون بل قوله لاتدخلوا محذوف النون أيضا ولعل الوجه ان النهي قد يراد به النفي كعكسه المشهور عند أهل العلم والله سبحانه أعلم و المعنى لاتؤمنون أيمانا كاملا (حتى تحابوا) بحذف أحدى التائين وتشديد الموحدة المضمومة أي حتى يحب كل منكم صاحبه (أو لا أدلكم على شئ اذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم) قال الطيبي و أعلم انه جعل افشاء السلام سببا للمحبة والمحبة سببا لكمال

رواه مسلم ★ و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد و القليل على الكثير متفق عليه ★ و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يسلم الصغير على الكبير و المار على القاعد والقليل على الكثير رواه البخارى ★ و عن أنس قال أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم مر على غلمان فسلم عليهم

الايمان و اعلاء كلمة الاسلام و فى التهاجر و التقاطع و الشحناء تفرقة بين المسلمين و هى سبب لانثلام الدين و الوهن فى الاسلام و جعل كلمة الذين كفروا العليا و قد قال تعالى و اعتصموا بحبل الله جميعا و لاتفرقوا و اذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا الآية (رواه مسلم) و كذا أبوداود و الترمذى ★ (و عنه) أى عن أبى هريرة رضى‌الله عنه (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يسلم الراكب على الماشى) أى تواضعا حيث رفعه الله بالركوب ولئلا يظن أنه بهذا خير من الماشى (و الماشى على القاعد) كذلك (والقليل على الكثير) أى للتواضع المقرون بالاحترام و الاكرام المعتبر فى السلام مع أن الغالب وجود الكبير فى الكثير وسيأتى أن الصغير يسلم على الكبير مع أن الكثير قد يعتبر فى معنى الكبير و أيضا وضع السلام للتودد و المناسب فيه أن يكون للصغير مع الكبير و للقليل مع الكثير بمقتضى الادب المعتبر شرعا و عرفا نعم لو وقع الامر بالعكس تواضعا فهومقصد حسن أيضا قال الماوردى انما استحب ابتداء السلام للراكب لان وضع السلام انما هو لحكمة أزالة الخوف من الملتقيين اذا التقيا أو من أحدهما فى الغالب أو لمعنى التواضع المناسب لحال المؤمن أو لمعنى التعظيم لان السلام أنما يقصد به أحد الامرين أما اكتساب ود او استدفاع مكروه قال الطيبى فالراكب يسلم على الماشى و هو على القاعد للايذان بالسلامة و أزالة الخوف و القليل على الكثير للتواضع و الصغير على الكبير للتوقير و التعظيم قلت أما التواضع فنى الكل موجود و لو انعكس الوجود و لذا قالوا ثواب المسلم أكثر من أجر المجيب مع أن فعل الاول سنة و فعل الآخر فرض فلابد من ملاحظة معنى آخر فى الترتيب المقدم فتدبر قال النووى و هذا الادب يعنى القيد الاخير أنما هو فيما اذا تلاقى أثنان فى طريق أما اذا ورد على قعود أو قاعد فان الوارد يبدأ بالسلام بكل حال سواء كان صغيرا أو كبيرا أو قليلا أو كثيرا قلت و هذا مفهوم من صدر الحديث فى الجملة لان التعريف فى الراكب و الماشى للجنس الشامل للقليل و الكثير و لكن فيه تنبيه نبيه قال المتولى اذا لقى رجل جماعة فأراد أن يخص طائفة منهم بالسلام كره لان القصد من السلام المؤانسة والالفة و فى تخصيص البعض ايحاش الباقين و ربما صار سببا للعداوة و اذا مشى فى السوق أو الشوارع المطروقة كثيرا فالسلام هنا أنما يكون لبعض الناس دون بعض لانه لو سلم على كل تشاغل به عن كل منهم و يخرج به عن العرف (متفق عليه ★ و عنه) أى عن أبى هريرة رضى‌الله تعالى عنه (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يسلم الصغير على الكبير) قال السيوطى لانه أمر بتوقيره و التواضع له (والمار على القاعد والقليل على الكثير) لانهما فى معنى الصغير والكبير (رواه البخارى ★ وعن أنس رضى‌الله تعالى عنه أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم مر على غلمان) بكسر أوله جمع غلام بمعنى صبى أو مملوك (فسلم عليهم) أى تواضعا و لانه كان مارا و لكثرتهم على احتمال قال النووى فيه استحباب السلام على الناس كلهم حتى الصبيان المميزين و بيان تواضعه و كمال شفقته على العالمين و لو سلم على رجال و صبيان و رد صبى منهم الاصح أنه يسقط فرض الرد كما يسقط صلاة الجنازة بصلاة الصبى ولو سلم على جماعة و رد غيرهم لم يسقط الرد عنهم فان اقتصروا على رده أثموا وأما المرأة مع الرجل

متفق عليه ★ و عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتبدؤا اليهود و لا النصارى بالسلام واذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه الى أضيقه رواه مسلم ★ و عن ابن عمر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا سلم عليكم اليهود فانما يقول أحدهم السام عليك فقل و عليك متفق عليه ★ وعن أنس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم متفق عليه

فان كانت زوجته أو جاريته أو محرما من محارمه فهى معه كالرجل و أن كانت اجنبية فان كانت جميلة يخاف الافتتان بها لايسلم الرجل عليها و لم سلم لم يجز لها رد الجواب و لا تسلم عليه فان سلمت لم تستحق جوابا فان أجابها كره له وان كانت عجوزا لايفتتن بها جاز أن تسلم على الرجل و عليه الرد قاله أبوسعيد المتولى قال و اذا كان النساء جماعة فسلم عليهن الرجل او كان الرجال جمعا فسلموا على المرأة الواحدة جاز اذا لم يخف عليه و لاعليهن و لاعليها أو عليهم فتنة اه و سيأتى كلام بعض علمائنا فى حديث جرير فى الفصل الثانى (رواه البخارى ★ و عن أبى هريرة رضى‌الله تعالى عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتبدؤا اليهود و لاالنصارى) أى و لو كانوا ذميين فضلا عن غيرهما من الكفار (بالسلام) لان الابتداء به أعزاز للمسلم عليه و لايجوز أعزازهم و كذا لايجوز توادهم و تحابيهم بالسلام و نحوه قال تعالى لاتجد قوما يؤمنون بالله و اليوم الآخر يوادون من حاد الله و رسوله الآية و لانا مأمورون بأذلالهم كما أشار اليه سبحانه بقوله وهم صاغرون و يؤيده قوله (و اذا لقيتم أحدهم فى طريق فاضطروه) أى الجؤا أحدهم (الى أضيقه) أى أضيق الطريق بحيث لو كان فى الطريق جدار يلتصق بالجدار و الا فيأمره ليعدل عن وسط الطريق الى أحد طرفيه جزاء وفاقا لما عدلوا عن الصراط المستقيم و لان قتلهم واجب لكن أرتفع بالجزية وما لايدرك كله لايترك كله فهذا قتل معنوى و الله أعلم و فى شرح مسلم للنووى قال بعض أصحابنا يكره أبتداؤهم بالسلام و لايحرم و هذا ضعيف لان النهى للتحريم فالصواب تحريم أبتدائهم وحكى القاضى عياض عن جماعة أنه يجوز أبتدائهم للضرورة و الحاجة و هو قول علقمة و النخعى و قال الاوزاعى أن سلمت فقد سلم الصالحون وأن تركت فقد ترك الصالحون قلت الترك أصلح على ما هو الاصح قال و أما المبتدع فالمختار أنه لايبدأ بالسلام الا لعذر و خوف من مفسدة و لو سلم على من لم يعرفه فبان ذميا أستحب أن يسترد سلامه بان يقول أسترجعت سلامى تحقيرا له قلت و لاباس بمثل هذا للمبتدع أو للمباغض أو المتكبر الذين لم يردوا عليه السلام قال و قال أصحابنا لايترك للذمى صدر الطريق بل يضطر الى أضيقه و لكن التضييق بحيث لايقع فى وهدة و نحوها و أن خلت الطريق عن الزحمة فلاحرج (رواه مسلم) و كذا أحمد و أبوداود و الترمذى ★ (وعن ابن عمر رضى‌الله تعالى عنهما قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا سلم عليكم اليهود) و فى معناهم النصارى و سيأتى أنه اذا سلم عليكم أهل الكتاب و يمكن الفرق بينهما بقوله (فانما يقول أحدهم) أى اليهود (السام) بالالف أى الموت العاجل (عليك) بصيغة الافراد نظرا الى كل واحد من المسلمين و فى نسخة عليكم بصيغة الجمع وهو ظاهر أويقال التقدير فانما يقول أحدهم لاحدكم السام عليك و يمكن أنهم يكتفون بصيغة الافراد مع تحقق الجمع أيضا تحقيرا للمسلمين و لهذا أفضل فى حقنا مخالفة لهم أن أحدنا يسلم على واحد منا بصيغة الجمع أرادة لزيادة التعظيم أو قصدا لمراعاة الجنس المفيد للتعميم (فقل و عليك) بالواو و خطاب المفرد جزاء وفاقا و فى نسخة بخطاب الجمع و لعل محله اذا كانوا جماعة و سيأتى الكلام عليه مفصلا والمفهوم من كلام القاضى على ما سيأتى أن الاصل فى هذا الحديث عليك بغيرواو وأنه روى بالواوأيضا (متفق عليه ★ وعن أنس رضى‌الله‌عنه

قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم) بالواو و فى بعض الروايات عليكم بدون الواو و خطاب الجمع لمقابلة الجمع و المعنى اذا سلم عليكم أحد منهم فقولوا و عليك أو عليك و لهذا عبر الجزرى فى الحصن هكذا حيث قال رد على أهل الكتاب بقوله عليك رواه مسلم و الترمذى و النسائى أو و عليك رواه الشيخان و أبوداود و الترمذى و النسائى و الكل عن ابن عمر فرواية الواو أكثر قال النووى أتفقوا على الرد على أهل الكتاب اذا سلموا لكن لا يقال لهم و عليكم السلام يعنى و لا عليكم السلام و لا عليك السلام بقرينة قوله بل يقال عليكم فقط أو و عليكم يعنى اذا كانوا جماعة و أما اذا كان منفردا فلايأتى بصيغة الجمع لايهامه التعظيم و ان كان المراد عليكم ما تستحقونه من أرادة التعظيم قال و قد جاءت الاحاديث التى ذكرها مسلم عليكم و عليكم باثبات الواو و حذفها و أكثر الروايات وعليكم باثباتها وعلى هذا ففى معناه وجهان أحدهما أنه على ظاهره فقالوا عليكم الموت فقال و عليكم أيضا أى نحن و أنتم فيه سواء كلنا نموت و الثانى أن الواو هنا للاستئناف لا للعطف و التشريك و تقديره و عليكم ما تستحقونه من الذم قال القاضى عياض أختار بعض العلماء منهم ابن حبيب المالكى حذف الواو لئلايقتضى التشريك أى الصورى وقال غيره باثباتها كما فى الروايات أى أكثرها و قال بعضهم يقول و عليكم السلام بكسر السين أي الحجارة و هذا ضعيف أى رواية و دراية قال الخطابى حذف الواو هو الصواب أى الاصوب و لعله أراد المبالغة قال لانه صار كلامهم بعينه مردودا عليهم خاصة و اذا أثبتت أقتضت المشاركة معهم فيما قالوه قال النووى و الصواب أن أثبات الواو و حذفها جائزان كما صرحت به الروايات و أثباتها أجود و لامفسدة فيه لان السام الموت و هو علينا و عليهم فلاضرر فيه قال التوربشتى أثبات الواو فى الرد عليهم أنما يحمل على معنى الدعاء لهم بالاسلام فانه مناط السلامة فى الدارين اذا لم يعلم منهم تعريض بالدعاء علينا و أما اذا علم ذلك فالوجه فيه أن يكون التقدير و أقول عليكم ما تستحقونه و أنما أختار صلى‌الله‌عليه‌وسلم هذه الصيغة ليكون أبعد عن الايحاش و أقرب الى الرفق فان رد التحية يكون أما بأحسن منها أو بقولنا و عليك السلام و الرد عليهم باحسن مما حيونا به لايجوز لنا و لارد بأقل من قولنا و عليك و أما الرد بغير الواو فظاهر أى عليكم ما تستحقونه قال القاضى و اذا علم التعريض بالدعاء علينا فالوجه أن يقدر و أقول عليكم ما تريدون بنا أو ما تستحقونه و لايكون و عليكم عطفا على عليكم فى كلامهم و الا لتضمن ذلك تقرير دعائهم و لذا قال فى الحديث الذى قبله فقل عليك بغير واو و قد روى ذلك بالواو أيضا قال الطيبى السام الموت و ألفه منقلبة عن واو قلت هذا الاصل فرع أثبات كونه عربيا و لم يذكر فى كتب اللغة نعم فى النهاية السام عليكم روى بالهمز أى تسامون دينكم و المشهور بلاهمز أى الموت و الظاهر أنه بلغة اليهود و من جملة ما قال تعالى فى ذمهم ليا بألسنتهم وطعنا فى الدين ولايبعد أن يريدوا بذلك تغيير اللفظ المشعر بالسلامة عن صرافته و أرادة اللفظ المهمل المشابه باللغو قال الطيبى رواه قتادة مهموزا و قال معناه يسامون دينكم و رواه غيره السام و هو الموت فان كان عربيا فهو من سام يسوم اذا مضى لان الموت مضى اه وهو غير مذكور فى القاموس وأنما ذكر سوم فلانا خلاه ولعل هذا أقرب مأخذا للمعنى (متفق عليه) و فى الجامع الصغير بلفظ اذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا و عليكم رواه أحمد و الشيخان و الترمذى و النسائى عن أنس ★ (وعن عائشة رضى‌الله تعالى عنها قالت أستأذن رهط) أى قوم

من اليهود على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليكم فقلت بل عليكم السام و اللعنة فقال يا عائشة أن الله رفيق يحب الرفق فى الامر كله قلت أو لم تسمع ما قالوا قال قد قلت و عليكم و فى رواية عليكم و لم يذكر الواو متفق عليه و فى رواية للبخارى قالت أن اليهود أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك قال و عليكم فقالت عائشة السام عليكم و لعنكم الله و غضب عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عائشة عليك بالرفق و أياك و العنف و الفحش قالت أو لم تسمع ما قالوا قال أو لم تسمعى ما قلت رددت عليهم فيستجاب لى فيهم و لا يستجاب لهم فى و فى رواية لمسلم قال لا تكونى فاحشة فان الله لا يحب الفحش و التفحش.

(من اليهود على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليكم) أى وقال وعليكم لماسيأتى (فقلت بل عليكم السام) أى مفهوم ما تريدونه من هذا اللفظ و تحرفونه لفساد المعنى (و اللعنة) أى زيادة على ذلك (فقال يا عائشة أن الله رفيق) أى رحيم (يحب الرفق) أى لين الجانب و أصل الرفق ضد العنف (فى الامر كله) أى مهما أمكن فى جميع الامور و الا فقد قال تعالى و اغلظ عليهم (قلت أو لم تسمع) أى أ لم ينكشف لك و لم تسمع (ما قالوا) أى حين السلام عليك حيث أبدلوا السلام بالسام (قال قد قلت و عليكم) أى فقها لهذا المعنى و الظاهر أن الواو لاستئناف المبنى (و فى رواية) أى عنها و الا ففى روايات أخر أيضا ورد (عليكم و لم يذكر الواو) أى بدون الواو و حاصله أنه صلى الله عليه وسلم عمل بمقتضى العدل فقال عليكم أو و عليكم لقوله تعالى و جزاء سيئة سيئة مثلها و أما عائشة رضى الله تعالى عنها فقد زادت فى المعنى و تعدت عن المبنى و تركت طريق اللطف و أختارت سبيل العنف و لذا أرشدها صلى الله عليه وسلم الى الرفق المبنى عليه باب المداراة و ترك المعاداة و المعاناة كما قيل ودارهم ما دمت فى دارهم ★ وأرضهم ما دمت فى أرضهم لكن الفرق بين المداراة و المداهنة مما خفى على كثير من الناس فسنبينه فى محله اللائق به أن شاء الله سبحانه ثم فى الحديث اشارة الى ما فى التنزيل و اذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير (متفق عليه و فى رواية للبخارى) أى عنها (قالت أن اليهود أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك قال و عليكم فقالت عائشة السام عليكم و لعنكم الله و غضب عليكم) الظاهر أن القصة متحدة و أن الاقتصار على ذكر اللعنة فى الحديث السابق أما من الراوى و هو الاظهر لما فى الحديث من الزيادات الاخر أو هو من باب الاكتفاء حيث مؤداهما واحد (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا) مصدر لفعل محذوف أى أرفقى رفقا (يا عائشة) يحتمل أن يكون من متممات السابق و أن يكون من مقدمات اللاحق وهو قوله (عليك) بكسر الكاف (بالرفق) بكسر الراء أى بلين الجانب فى القول و الفعل و الاخذ بالاسهل على ما ذكره السيوطى (و أياك و العنف) بضم أوله و هو ضد الرفق (و الفحش) بضم أوله و هو فى الاصل كل ما يشتد قبحه من الذنوب والمراد به ههنا التعدي بزيادة القبح فى القول والجواب (قالت أو لم تسمع ما قالوا قال أو لم تسمعى ما قلت رددت عليهم فيستجاب لى فيهم ولا يستجاب لهم) أى اذا أرادوا بالسام الامر المكروه الحير عنه بالسام الذى معناه الموت (فى) أى فى حقى (و فى رواية لمسلم قال لا تكونى فاحشة) أى قائلة للفحش و متكلمة بكلام القبيح (فان الله لا يحب الفحش) وقد مر معناه (و التفحش) أى التكلف فى التلفظ بالفحش و التعمد فيه و أنما قال ذلك صلى الله عليه وسلم لها لقولها و اللعنة أو لعنكم الله و فى هذا الحديث دلالة صريحة على جواز نقل الحديث بالمعنى اذ لا خلاف أنه مع كون القضية واحدة مختلف

★ وعن أسامة بن زيد أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم مر بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاوثان و اليهود فسلم عليهم متفق عليه ★ و عن أبي سعيد الخدرى عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال أياك و الجلوس بالطرقات فقالوا يا رسول‌الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها قال فاذا أبيتم الا المجلس فأعطوا الطريق حقه قالوا و ما حق الطريق يا رسول‌الله قال غض البصر و كف الاذى و رد السلام و الامر بالمعروف و النهى عن المنكر متفق عليه ★ و عن أبي هريرة عن النبي صلى‌الله‌عليه وسلم فى هذه القصة قال و أرشاد السبيل

المبنى ★ (و عن أسامة بن زيد رضي‌الله عنهما) و هما صحابيان بل حبان لرسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فان أسامة هو ابن مولاه و قد مر ترجمتهما (أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم مر بمجلس فيه أخلاط) بفتح الهمزة جمع خلط و هو ما يخلط و المراد جمع مخلوط (من المسلمين و المشركين عبدة الاوثان) عطف بيان أو بدل للمشركين قال الطيبي و كذا قوله (و اليهود) و جعلهم مشركين أما لقولهم عزير ابن الله و أما للتغليب أو للتقدير كقوله ★ متقلدا سيفا و رمحا ★ اه و الاولى عطف اليهود على المشركين (فسلم عليهم) قال النووى لو مر على جماعة فيهم مسلمون أو مسلم و كفار فالسنة أن يسلم عليهم بقصد المسلمين أو المسلم و لو كتب كتابا الى مشرك فالسنة أن يكتب كما كتب رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم الى هرقل سلام على من أتبع الهدى (متفق عليه ★ وعن أبي‌سعيد الخدرى رضي‌الله تعالى عنه عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال أياكم و الجلوس بالطرقات) أى فيها و فى رواية على الطرقات وهى جمع الطرق جمع الطريق (فقالوا) أى بعض الاصحاب (يارسول‌الله ما لنا من مجالسنا بد) بضم موحدة و تشديد دال مهملة قال الطيبي من مجالسنا متعلق بقوله بد أى ما لنا فراق منها و المعنى أن الضرورة قد تلجئنا الى ذلك فلامندوحة لنا عنه و من جملة ما نحتاج اليه ما بينه بقوله (نتحدث فيها) أى يحدث بعضنا بعضا فيما يتعلق بأمر دنيوى أو أخروى كالمشاورة و المذاكرة و المعالجة و المعاملة و المصالحة (قال فاذا أبيتم) أى أمتنعتم عن ترك المجالسة بالكلية للضرورة الداعية اليها فى الجملة و تركتم (الا المجلس) بفتح الميم على أنه مصدر ميمى بمعنى الجلوس (فأعطوا الطريق حقه) و وقع فى نسخة السيد جمال الدين بكسر اللام و هو غير مستقيم المعنى هنا فانه أسم مكان أو زمان و لم يصح منه أرادة المصدر المراد فى هذا المقام ففى القاموس جلس يجلس جلوسا و مجلسا كمقعد و المجلس أى بالكسر موضعه و قال ابن الملك فى شرح المشارق المجلس بفتح اللام مصدر ميمى أى اذا أمتنعتم عن الافعال الا عن الجلوس فى الطريق أى اذا دعت حاجة لمصلحة الجيران و غيره فأعطوا الطريق حقه و أقعدوا فيه بقدر الحاجة (قالوا و ما حق الطريق) و لعل وضع الظاهر موضع الضمير لئلايتوهم رجوعه الى الحق لان حق الحق هو ترك القعود على الوجه المطلق (يا رسول‌الله) أى بين لنا بما أراك الله (قال غض البصر) أى كفه عن النظر الى المحرم أو منع النظر عن عورات الناس (و كف الاذى) أى الامتناع عن أذى المارين بالتضييق و غيره (و رد السلام) أى على المسلمين (و الامر بالمعروف) أى على الوجه المعروف عند العارفين (و النهى عن المنكر) لكن بحيث لايتعدى الى الامر الانكر (متفق عليه) و رواه أحمد و أبوداود عن أبي سعيد على ما فى الجامع ★ (و عن أبي هريرة عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم فى هذه القصة) بكسر القاف و تشديد المهملة أى فى هذه القصة المذكورة فى الحديث السابق عن أبي‌سعيد (قال) أى أبو هريرة مرفوعا زيادة على مروى أبي سعيد (و أرشاد السبيل) بالرفع عطفا على قوله و النهى عن المنكر

رواه أبوداود عقيب حديث الخدرى هكذا ★ وعن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه القصة قال وتغيثوا الملهوف وتهدوا الضال رواه أبوداود عقيب حديث أبى هريرة هكذا ولم أجدهما فى الصحيحين ★ (الفصل الثانى) ★ (عن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلم على المسلم ست بالمعروف يسلم عليه اذا لقيه و يجيبه اذا دعاه ويشمته اذا عطس ويتبع جنازته اذا مات ويحب له ما يحب لنفسه رواه الترمذى و الدارمى ★ و عن عمران بن حصين أن رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم

(رواه أبوداود عقيب حديث الخدرى هكذا) أى مثل ما ذكره صاحب المصابيح و تبعه صاحب المشكاة ★ (و عن عمر رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه القصة قال) أى عمر مرفوعا زيادة على الخدرى و هو الظاهر المتبادر أو على أبى هريرة أيضا و لكن يحتاج الى نقل صريح أو دليل صحيح اذ لاعبرة بقول الطيبى قوله (و تغيثوا) عطف على قوله و أرشاد السبيل و حذف النون على تقدير أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا الكشاف وحيا أو يرسل مصدران واقعان موقع الحال لان أو يرسل فى معنى أرسالا ثم قوله تغيثوا بضم أوله من الاغاثة بالغين المعجمة و الثاء المثلثة بمعنى الاعانة و قوله (الملهوف) أى المطلق و المتحير فى أمره و فى القاموس أى المظلوم المضطر يستغيث و يتحسر (و تهدوا الضال) بفتح التاء أى ترشدوه الى الطريق و قال الطيبى بناء على ما أختاره من العطف و الفرق بين أرشاد السبيل و هداية الضال أن أرشاد السبيل أعم من هداية الضال (رواه أبوداود عقيب حديث أبى هريرة) و لعل هذا هو مأخذ كلام الطيبى فى العطف لكن ليس فيه نص على المطلوب قال المؤلف (و لم أجدهما) أى حديثى أبى هريرة و عمر رضى الله تعالى عنهما (فى الصحيحين) كما يدل عليه صنيع البغوى حيث أورد الكل فى الصحاح لكن قد تقدم الاعتذار عن هذا الاعتراض بان ذكرهما انما كان للتتميم و التكميل لما فى الصحيحين لابطريق الاصالة و مثل هذا يغتفر فتدبر و الله أعلم بما تفعل و نذر

★ (الفصل الثانى) ★ (عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلم على المسلم ست بالمعروف) صفة بعد صفة لموصوف محذوف يعنى للمسلم على المسلم خصال ست ملتبسة بالمعروف و هو ما يرضاه الله من قول أو عمل و قيل هو ما عرف فى الشرع و العقل حسنه و يحتمل أن يكون الباء بمعنى من (يسلم عليه) جملة أستئنافية مبينة أو تقديره أن يسلم عليه أى على المسلم سواء عرفه أو لم يعرفه (اذا لقيه و يجيبه اذا دعاه) أى الى دعوة أو حاجة (و يشمته اذا عطس) مر تحقيق مبناه و معناه (و يعوده اذا مرض و يتبع) بسكون الفوقانية و فتح الموحدة أى يشهد و يشيع (جنازته) بكسر الجيم و يفتح (اذا مات) و فى قوله يتبع أشارة الى أن الافضل هو المشى خلف الجنازة كما هو المختار من مذهبنا و قد ورد مصرحا فى حديث ابن مسعود على ما رواه ابن ماجه مرفوعا الجنازة متبوعة و ليست بتابعة ليس منا من تقدمها (و يحب له ما يحب) أى مثل ما يحب (لنفسه) و هذا فذلكة الكل و لذا أقتصر عليه فى حديث أنس مرفوعا برواية أحمد و أصحاب الست الا أباداود لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه (رواه) أى حديث على (الترمذى و الدارمى) و كذا الامام أحمد فى المسند ★ (و عن عمران بن حصين رضى الله عنهما أن رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم) بضمير الجمع أما تعظيما له صلى الله عليه وسلم و أما له و لمن كان معه من أصحابه فمع وجود الاحتمال لا يصلح للاستدلال بان يقال الافضل أن يؤتى بضمير الجمع و أن كان المسلم عليه

فرد عليه ثم جلس فقال النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم عشر ثم جاء آخر فقال السلام عليكم و رحمة الله فرد عليه فجلس فقال عشرون ثم جاء آخر فقال السلام عليكم و رحمة الله و بركاته فرد عليه فجلس فقال ثلاثون رواه الترمذى و أبوداود ★ و عن معاذ بن أنس عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم بمعناه و زاد ثم أتى آخر فقال السلام عليكم و رحمة الله و بركاته و مغفرته فقال أربعون وقال هكذا تكون الفضائل رواه أبوداود ★ و عن أبي أمامة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أن أولى الناس بالله من بدأ بالسلام رواه أحمد

واحدا (فرد عليه) أما بمثله أو بأحسن منه (ثم جلس) أى الرجل (فقال النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم عشر) أى له عشر حسنات أو كتب أو حصل له أو ثبت عشر أو المكتوب له عشر (ثم جاء آخر فقال السلام عليكم و رحمة الله فرد عليه فجلس فقال عشرون ثم جاء آخر فقال السلام عليكم و رحمة الله و بركاته) قيل البركات عبارة عن الثبات و لذا لايزاد عليه لا فى السلام و لا فى الجواب (فرد عليه فجلس فقال ثلاثون) أى بكل لفظ عشر حسنات (رواه الترمذى و أبوداود ★ و عن معاذ بن أنس رضى‌الله تعالى عنه عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم بمعناه و زاد ثم أتى آخر فقال السلام عليكم و رحمة الله و بركاته) قيل البركة الزيادة على الاصل (و مغفرته فقال أربعون و قال هكذا تكون الفضائل) أى تزيد المثوبات بكل لفظ يزيده المسلم كذا حرره بعض الشراح من أئمتنا قال النووى أعلم أن أفضل السلام أن يقول السلام عليكم و رحمة الله و بركاته فيأتى بضمير الجمع و ان كان المسلم عليه واحدا و يقول المجيب و عليكم السلام و رحمة الله و بركاته و يأتى بواو العطف فى قوله و عليكم و أقل السلام أن تقول السلام عليكم و ان قال السلام عليك أو سلام عليك حصل أيضا و أما الجواب فأقله و عليك السلام أو و عليكم السلام فان حذف الواو أجزاء و أتفقوا على انه لو قال فى الجواب عليكم لم‌يكن جوابا فلو قال و عليكم بالواو فهل يكون جوابا فيه وجهان قال الامام أبو الحسن الواحدى أنت فى تعريف السلام و تنكيره بالخيار قال النووى و لكن الالف و اللام أولى و اذا تلاقى رجلان و سلم كل واحد منهما على صاحبه دفعة واحدة أو أحدهما بعد الآخر فقال القاضى حسين وصاحبه أبوسعيد المتولى يصير كل واحد منهما مبتدأ بالسلام فيجب على كل واحد أن يرد على صاحبه و قال الشاشى فيه نظر فان هذا اللفظ يصلح للجواب فاذا كان أحدهما بعد الآخر كان جوابا و ان كانا دفعة لم‌يكن جوابا قال و هو الصواب و لو قال بغير واو فقطع الامام الواحدى بانه سلام يتحتم على المخاطب به الجواب و ان كان قد قلب اللفظ المعتاد و هو الظاهر و قد جزم به امام الحرمين قال الطيبى فان قلت بين لى الفرق بين قولك سلام عليكم والسلام عليكم قلت لابد للمعرف باللام من معهود أما خارجى أو ذهنى فاذا ذهب الى الاول كان المراد السلام الذى سلمه آدم عليه السلام على الملائكة فى قوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال لآدم أذهب فسلم على أولئك النفر فانها تحيتك و تحية ذريتك و الى الثانى كان المراد جنس السلام الذى يعرفه كل أحد من المسلمين أنه ما هو فيكون تعريضا بان ضده لغيرهم من الكفار و اليه الاشارة بقوله تعالى و السلام على من اتبع الهدى (رواه أبوداود ★ و عن أبي أمامة رضى‌الله تعالى عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أن أولى الناس) أى أقربهم من المتلاقيين (بالله) أى برحمته و غفرانه (من بدأ) و فى الجامع من بدأهم (بالسلام) قال الطيبى أى أقرب الناس من المتلاقيين الى رحمة الله من بدأ بالسلام الكشاف فى قوله أن أولى الناس بابراهيم أى أن أخصهم به و أقربهم منه و فى شرح السنة عن عمر بن الخطاب رضى‌الله تعالى عنه أنه قال مما يصفى لك ود اخيك

و الترمذی و أبوداود ★ و عن جریر أن النبی صلی الله علیه وسلم مر علی نسوة فسلم علیهن رواه أحمد ★ و عن علی بن أبی طالب قال یجزیٔ عن الجماعة اذا مروا أن یسلم أحدهم و یجزیٔ عن الجلوس أن یرد أحدهم رواه البیهقی فی شعب الایمان مرفوعا و روی أبوداود وقال رفعه الحسن بن علی وهو شیخ أبی داود ★ و عن عمرو بن شعیب عن أبیه عن جده أن رسول الله صلی الله علیه وسلم

ثلاث ان تبدأ بالسلام اذا لقیته و ان تدعوه بأحب أسمائه الیه و ان توسع له فی المجلس (رواه أحمد و الترمذی و أبوداود ★ و عن جریر) أی ابن عبدالله البجلی (أن النبی صلی الله علیه وسلم مر علی نسوة فسلم علیهن) قال ابن الملک هذا مختص بالنبی صلی الله علیه وسلم لامنه من الوقوع فی الفتنة و أما غیره فیکره له أن یسلم علی المرأة الاجنبیة الا أن تکون عجوزة بعیدة عن مظنة الفتنة قیل و کثیر من العلماء لم یکرهوا تسلیم کل منهما علی الآخر اه و مهما قیل بالکراهة علی ما هو الصحیح فلم یثبت أستحقاق الجواب و الله أعلم بالصواب (رواه أحمد) و سیأتی فی هذا المعنی حدیث أسماء بنت یزید فی الفصل الثالث رواه أبوداود و ابن ماجه و الدارمی ★ (و عن علی بن أبی طالب رضی الله عنه قال یجزیٔ) بضم أوله و کسر الزای بعده همز أی یکفی (عن الجماعة اذا مروا) و کذا اذا دخلوا أو وقفوا علی جمع أو علی أحد (أن یسلم أحدهم) أی أحد المارین و نحوهم و أعلم أن ابتداء السلام سنة مستحبة لیست بواجبة و هی سنة علی الکفایة فان کانوا جماعة کفی عنهم تسلیم واحد و لو سلموا کلهم کان أفضل قال القاضی حسین من الشافعیة لیس لنا سنة علی الکفایة الا هذا قلت و هذا مطابق لمذهبنا و قال النووی تشمیت العاطس أیضا سنة علی الکفایة و کذا الاضحیة سنة فی حق کل أحد من أهل البیت فاذا ضحی واحد منهم حصل الشعار والسنة لجمیعهم قلت التشمیت فرض کفایة عندنا والاضحیة واجبة علی الموسر بشروط لا علی طریق الکفایة فی مذهبنا و تقدم أن التسمیة فی الاکل سنة کفایة عند الشافعی و الله أعلم (و یجزیٔ عن الجلوس) أی ذوی الجلوس أو الجالسین و المراد بهم المسلم علیهم بأی صفة کانوا و انما خص الجلوس لانه الغالب علی جمع مجتمعین مع الاشعار بان القائم ینبغی أن یسلم علی القاعد ثم المعنی و یکفی (أن یرد أحدهم) و هذا فرض کفایة بالاتفاق و لو ردوا کلهم کان أفضل کما هو شأن فروض الکفایة کلها (رواه البیهقی فی شعب الایمان مرفوعا) أی بلاتردد و خلاف (وروی أبوداود) أی رواه موقوفا (و قال) أی أبوداود بعد تمام سنده (رفعه الحسن بن علی) أی أحد مشایخه لا حسن بن علی بن أبی طالب کما یتوهم (و هو شیخ أبی داود) قال الطیبی هذا کلام المؤلف أراد أن أسناد هذا الحدیث قد روی موقوفا و رفعه الحسن بن علی شیخ أبی داود حدثنا أبوداود حدثنا الحسن بن علی حدثنا عبدالملک بن ابراهیم حدثنا سعید بن خالد قال حدثنی عبدالله بن الفضل حدثنا عبدالله بن أبی رافع عن علی رضی الله تعالی عنه قال أبوداود رفعه الحسن بن علی قال یجزیٔ عن الجماعة الحدیث قلت الظاهر أن أباداود أراد أن شیخه الحسن بن علی رفعه من طریق آخر والا فالسند المذکور ظاهره الموقوف مع احتمال أن یکون قوله و رفعه جملة حالیة مبینة للاسناد السابق کما یقال مثلا روی عن علی مرفوعا و لعل وجه الابهام عدم التذکر بکیفیة الرفع أهل هو بعبارة السماع أو بلفظ القول أو بعن و نحو ذلک ثم علی تقدیر التسلیم أن الحدیث روی موقوفا و مرفوعا و لاشک انه یصیر مرفوعا لان زیادة الثقة مقبولة علی أن مثل هذا الموقوف فی حکم المرفوع لانه من فروع المشروع ثم قال الطیبی و یوافقه ما فی المصابیح عن علی رضی الله عنه رفعه أقول و فیه ما قدمناه علی أنه یحتمل أنه أشار الی سند البیهقی فانه مرفوع بلاخلاف والله أعلم ★ (وعن عمرو بن شعیب عن أبیه عن جده ان رسول الله

قال ليس منا من تشبه بغيرنا لاتشبهوا باليهود و لابالنصارى فان تسليم اليهود الاشارة بالاصابع و تسليم النصارى الاشارة بالاكف رواه الترمذى و قال أسناده ضعيف ★ و عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا لقى أحدكم أخاه فليسلم عليه فان حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ثم لقيه فليسلم عليه

صلى الله عليه وسلم قال ليس منا) أى من أهل طريقتنا و مراعى متابعتنا (من تشبه بغيرنا) أى من غير أهل ملتنا (لاتشبهوا) بحذف أحدى التائين أى لاتتشبهوا (باليهود و لابالنصارى) زيد لا لزيادة التأكيد (فان تسليم اليهود الاشارة بالاصابع و تسليم النصارى الاشارة بالاكف) بفتح فضم جمع كف و المعنى لاتشبهوا بهم جميعا فى جميع أفعالهم خصوصا فى هاتين الخصلتين و لعلهم كانوا يكتفون فى السلام أو رده أو فيهما بالاشارتين من غير نطق بلفظ السلام الذى هو سنة آدم و ذريته من الانبياء و الاولياء و كانه صلى الله عليه وسلم كوشف له أن بعض أمته يفعلون ذلك أو مثل ذلك من الانحناء أو مطاطاة الرأس أو الاكتفاء بلفظ السلام فقط و لقد رأيت فى المسجد الحرام واحدا من المتصوفة الداخلة فى سلك السالكين المرتاضين المتوكلين الزاهدين فى الدنيا المكتفى بازار و رداء صائم الدهر لازم الاعتكاف ليس شئ عنده من أسباب الدنيا و هو على ذلك أكثر من أربعين سنة ثم أختار السكوت المطلق فى آخر العمر بحيث يكتفى فى رد السلام بأشارة الرأس مع انه ما كان خاليا عن نوع معرفة و دوام تلاوة و حسن خلق و سخاوة نفس الا انه كان ما يرى انه يطوف و الله أعلم بالحال و يرحمنا و أياه فى المآل (رواه الترمذى و قال اسناده ضعيف) و لعل وجهه انه من عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده و قد تقدم الخلاف فيه و أن المعتمد أن سنده حسن لاسيما و قد أسنده السيوطى فى الجامع الصغير الى ابن عمرو فارتفع النزاع و زال الاشكال قال الطيبى فيه أيماء الى أن الحكم قد يكون على خلافه و ليس كذلك قلت ليس كذلك لانه لايلزم من كون هذا الحديث ضعيفا ان لايكون للحكم سند آخر نعم فيه ايهام لذلك لاأشعار بذلك كيف و قد صح بالاحاديث المتواترة معنى أن السلام باللفظ سنة و جوابه واجب كذلك فبمجرد كون هذا الحديث ضعيفا لايتصور أن ينقلب الحكم أبدا قال النووى روينا عن أسماء بنت زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر فى المسجد يوما و عصبته من النساء قعود فالوى بيده بالتسليم قال الترمذى هذا حديث حسن و هو محمول على انه صلى الله عليه وسلم جمع بين اللفظ و الاشارة و يدل على هذا أن أباداود روى هذا الحديث و قال فى روايته فسلم علينا قلت على تقدير عدم تلفظه عليه السلام بالسلام لامحذور فيه لانه ماشرع السلام على من مر على جماعة من النسوان و ان ما مر عنه عليه السلام مما تقدم من السلام المصرح فهو من خصوصياته عليه الصلاة و السلام فله أن يسلم و لا يسلم و ان يشير و لايشير على انه قد يراد بالاشارة مجرد التواضع من غير قصد السلام و قد يحمل على انه لبيان الجواز بالنسبة الى النساء و ان نهى التشبه محمول على الكراهة لا على التحريم و الله أعلم ★ (و عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا لقى أحدكم أخاه) أى المسلم (فليسلم عليه فان حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر) أى كبير (ثم لقيه فليسلم عليه) أى مرة أخرى تجديدا للعهد و تأكيدا للود قال الطيبى فيه حث على أفشاء السلام و ان يكرر عند كل تغيير حال و لكل جاء و غاد و قال النووى روينا فى مؤطا الامام مالك أن الطفيل أخبر انه كان يأتى عبدالله بن عمر فيغدو معه الى السوق قال قلت له ذات يوم ما تصنع بالسوق و أنت لاتقف على البيع و لاتسأل عن السلع و لاتسوم بها و لاتجلس فى مجالس السوق فقال لى انما نغدو من أجل

رواه أبوداود ★ و عن قتادة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخلتم بيتا فسلموا على أهله و اذا خرجتم فاودعوا أهله بسلام رواه البيهقى فى شعب الايمان مرسلا ★ و عن أنس أن رسول الله صلى الله

السلام و نسلم على من لقينا قلت هذا الحديث سيأتى بأبسط من هذا فى الفصل الثالث و يناسبه ما كان بعض المشايخ من السادة النقشبندية يختار القعود فى السوق قائلا أن هذا خلوة الرجال و لعل وجهه قوله صلى الله عليه وسلم ذاكر الله فى الغافلين بمنزلة الصابر فى الفارين على ما رواه البزار و الطبرانى فى الاوسط كلاهما من حديث ابن مسعود هذا و فى الحديث الصحيح المروى عن عمر رضى الله تعالى عنه برواية أحمد و الترمذى و أبى داود و الحاكم أنه صلى الله عليه وسلم قال من دخل السوق فقال لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك و له الحمد يحيى و يميت و هو حى لايموت بيده الخير و هو على كل شئ قدير كتب الله له ألف ألف حسنة و محى عنه ألف ألف سيئة و رفع له ألف ألف درجة و لعل وجه الحكمة فى ذلك ان الله تعالى ينظر فى كل ساعة الى عباده نظر رحمة وعناية فكل من غفل فاته و كل من شهد و حضر أدركه بل و أخذ من نصيب غيره و لعل هذا هو الباعث على الترغيب فى الجمعة و الجماعة و مجالس الذكر فانه بمنزلة المادبة الجامعة لانواع المشتهيات فكل من يكون حاضرا مشتاقا يأخذ منها حظه و نصيبه و الغائب او الحاضر الغافل أو المريض المعدوم الاشتهاء يقعد محروما هذا و قد قال النووى و يستثنى من ذلك مقامات و مواضع منها اذا كان مشتغلا بالبول و الجماع و نحوهما فيكره أن يسلم عليه و منها اذا كان نائما أو ناعسا أو مصليا أو مؤذنا فى حال اذانه أو كان فى حمام و نحوه أو كان آكلا و اللقمة فى فمه فان سلم عليه فى هذه الاحوال لايستحق جوابا و أما اذا كان فى حال المبايعة فى المعاملات يسلم و يجب الجواب و أما السلام فى حال خطبة الجمعة فقال أصحابنا يكره الابتداء به لانهم مامورون بالانصات فان خلف وسلم فهل يرد عليه فيه خلاف منهم من قال لايرد و منهم من قال ان قلنا أن الانصات واجب لايرد و ان قلنا سنة رد عليه واحد من الحاضرين فحسب قلت المعتمد فى مذهبنا ان الانصات واجب فلايجوز السلام و لايستحق الرد بلاكلام قال و أما السلام على القارئ فقال الواحدى الاولى ترك السلام عليه فان سلم عليه كفاه الرد بالاشارة و ان رد باللفظ استانف الاستعاذة قال أى الواحدى و الظاهر انه يجب الرد باللفظ (رواه أبوداود) وكذا ابن ماجه والبيهقى ★ (وعن قتادة) بفتح أوله و انما قيدته بذلك لان عامة أهل مكة يكسرونها و هو تابعى جليل (قال قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا دخلتم بيتا فسلموا على أهله) قال شارح من علمائنا فان لم يكن فى البيت أحد يستحب أن يقول السلام علينا و على عباد الله الصالحين و لعل مأخذه ظاهر قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة (واذا خرجتم فاودعوا أهله بسلام) الظاهر أن الايداع هنا بمعنى التوديع من الوداع أى فاتركوهم مصحوبين بسلام و قد قال بعض علمائنا من الشراح و جواب هذا السلام مستحب لانه دعاء و وداع اه و لعل ماخذه قوله تعالى و اذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها و هذا ليس بسلام تحية فلايدخل تحت الامر المستفاد منه الوجوب و الله أعلم و قال الطيبى هو من الايداع أى أجعلوا السلام وديعة عندهم كى ترجعوا اليهم و تستردوا وديعتكم فان الودائع تستعاد تفاؤلا للسلامة و المعاودة مرة بعد أخرى (رواه البيهقى فى شعب الايمان مرسلا) و قد مر ان المرسل حجة عند الجمهور ثم فى الحصن من انتهى الى مجلس فليسلم فان بدا له أن يجلس فليجلس ثم اذا قام فليسلم رواه أبوداود و الترمذى والنسائى كلهم عن أبى هريرة مرفوعا و سيأتى هذا الحديث فى الاصل أيضا بأبسط من هذا ★ (و عن أنس رضى الله تعالى عنه أن رسول الله

عليه‌وسلم قال یا بنی اذا دخلت علی أهلک فسلم یکون برکة علیک و علی أهل بیتک رواه الترمذی ★ و عن جابر قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم السلام قبل الکلام رواه الترمذی و قال هذا حدیث منکر ★ و عن عمران بن حصین قال کنا فی الجاهلیة نقول أنعم الله بک عینا

صلی‌الله‌علیه‌وسلم قال) أی له (یا بنی) بالتصغیر مکسورة الیاء المشددة و یفتح (اذا دخلت علی أهلک فسلم یکون) جملة مستأنفة متضمنة للعلة أی فانه یکون أی السلام (برکة) أی سبب زیادة برکة و کثرة خیر و رحمة (علیک و علی أهل بیتک رواه الترمذی) و زید فی نسخة و قال هذا حدیث حسن غریب ★ (وعن جابر رضی‌الله تعالی عنه قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم السلام قبل الکلام) لانه تحیة یبدأ به فیفوت بافتتاح الکلام کتحیة المسجد فانها قبل الجلوس و قد روی القضاعی عن النبی مرفوعا السلام تحیة لملتنا و أمان لذمتنا (رواه الترمذی و قال هذا حدیث منکر) أی أسنادا و الا فهو معروف من جهة صحة المعنی کما قررناه ثم المنکر من الحدیث ما یکون راو من رواة سنده بعیدا عن الضبط جدا قال التوربشتی لان مداره علی عنبسة بن عبدالرحمن وهو ضعیف جدا ثم أنه یرویه عن محمد بن زادان وهو منکر الحدیث و کذلک حدیثه الآخر اذا کتب أحدکم کتابا فلیتربه و المحنة فیه من قبل حمزة بن عمرو المصیبی فانه الراوی عن أبی الزبیر عن جابر و کذلک الحدیث الذی یتلوه ضع القلم علی أذنک و مداره أیضا علی عنبسة بن عمران و محمد بن زادان و قد وجدناه فی کتاب المصابیح وقد اخطأ فیه فی قوله علی أذنیک قلت و الحدیث الاول رواه السیوطی فی الجامع و قال رواه الترمذی عن جابر ثم قال و روی أبویعلی فی مسنده و لفظه السلام قبل الکلام و لاتدعوا أحدا الی الطعام حتی یسلم وروی ابن البخاری عن عمر رضی‌الله تعالی عنه بلفظ السلام قبل السؤال فمن بدأکم بالسؤال قبل السلام فلاتجیبوه و روی الطبرانی فی الاوسط و أبونعیم فی الحلیة عن ابن عمر مرفوعا من بدأ بالکلام قبل السلام فلاتجیبوه ★ (و عن عمران بن حصین قال کنا فی الجاهلیة نقول أنعم‌الله بک عینا) الباء زائدة لتأکید التعدیة والمعنی أقر الله عینک بمن تحبه و عینا تمییز من المفعول أو بما تحبه من النعمة ویجوز کونه من أنعم الرجل اذا دخل فی النعیم فالباء للتعدیة وقیل الباء للسببیة أی أنعم الله بسببک عینا أی عین من یحبک وأنعم بقطع همز و کسر عین و فی نسخة بهمز وصل وفتح عین من النعومة وقوله (صباحا) تمییز أو ظرف أی طاب عیشک فی الصباح و انما خص الصباح لان الکلام فیه و هو الموافق للمتعارف فی زماننا علی لسان العامة صبحکم بالخیر ومساکم بالکرامة و أسعد الله مقیلکم وأمثال ذلک الجوهری النعم بالضم خلاف البؤس و نعم الشئ بالضم نعومة أی صار ناعما لینا و یقال أنعم الله علیک من النعمة و أنعم صباحک من النعومة و أنعم الله بک عینا أی أقر الله عینک بمن تحبه و کذلک نعم الله بک عینا و قال صاحب النهایة فی حدیث مطرف لاتقل نعم الله بک عینا فان الله لاینعم بأحد عینا بل قل أنعم الله بک عینا قال الزمخشری الذی منع منه مطرف صحیح فصیح فی کلامهم وعینا نصب علی التمییز من الکاف و الباء للتعدیة و المعنی نعمک الله عینا أی نعم عینک و أقرها و قد یحذفون الجار و یوصلون الفعل فیقولون نعمک الله عینا و أما أنعم الله بک عینا فالباء فیه زائدة لان الهمزة کافیة فی التعدیة تقول نعم زید عینا وانعمه الله عینا و یجوز أن یکون من أنعم اذا دخل فی النعیم فیعدی بالباء قال ولعل مطرفا خیل الیه أن انتصاب التمییز فی هذا الکلام عن الفاعل فاستعظمه تعالی الله أن یوصف بالحواس علوا کبیرا کما یقولون نعمت بهذا الامر عینا و الباء للتعدیة فحسب ان الامر فی نعم الله بک عینا کذلک قال الطیبی یحتمل أن یکون الباء سببیة و عینا مفعول أنعم و التنوین للتفخیم أی أنعم الله

و أنعم صباحا فلما كان الاسلام نهينا عن ذلک رواه أبوداود ★ و عن غالب قال انا لجلوس بباب الحسن البصری اذ جاء رجل فقال حدثنی أبی عن جدی قال بعثنی أبی الی رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم فقال ائته فاقرئه السلام قال فاتیته فقلت أبی یقرئک السلام فقال علیک و علی أبیک السلام رواه أبوداود ★ و عن أبی العلاء الحضرمی أن العلاء الحضرمی کان عامل رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم و کان اذا کتب الیه بدأ بنفسه رواه أبوداود ★ و عن جابر أن النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم

بسببک عینا و أی عین من یحبک فیکون کنایة عن خفض عیشة و رفاهیة لایحوم حولها خشونة و قوله (و أنعم صباحا) معناه طاب عیشک فی الصباح و انما خص الصباح به لان الغارات و المکاره تقع صباحا و قال شارح من علمائنا قیل معناه طاب عیشک فی الصباح و الصواب أطاب الله عیشک فی الصباح أو هو منصوب علی التمییز من الفاعل (فلما کان) أی وجد (الاسلام) و وقع أحکامه علی وجه الاحکام (نهینا عن ذلک) أی عما ذکر من الاقوال ابتداء بوضعها موضع السلام فلامحذور ان بدأ بالسلام ثم ثناه بنحو ما تقدم من الکلام (رواه أبوداود ★ و عن غالب رضی‌الله عنه) أی ابن أبی غیلان و هو ابن خطاب القطان البصری روی عن بکر بن عبدالله و عنه ضمرة بن ربیعة ذکره المؤلف فی فصل التابعین (قال انا لجلوس) أی نحن جالسون و اللام للتأکید (بباب الحسن البصری) أی منتظرون خروجه . أو مصطحبون معه و هو الاظهر (اذ جاء رجل فقال حدثنی أبی عن جدی قال) أی الجد (بعثنی أبی الی رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم فقال له ائته) أمر من أتی یأتی (فاقرئه السلام) و فی نسخة فاقرأه السلام (قال) أی الجد (فاتیته) أی النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم (فقلت أبی یقرئک) و فی نسخة یقرؤک (السلام فقال علیک و علی أبیک السلام رواه أبوداود) . و فی الحصن و اذا بلغ سلاما فلیقل و علیه السلام و رحمة الله و برکاته رواه الجماعة عن عائشة رضی‌الله تعالی عنها مرفوعا أو . و علیک و علیه السلام رواه النسائی عن أنس مرفوعا ★ (و عن أبی العلاء رضی‌الله تعالی عنه) قیل اسمه زید بن عبدالله و کنیته أبو العلاء و لم یذکره المؤلف فی أسمائه و فی نسخة مطابقة لما فی بعض نسخ المصابیح و عن ابن العلاء (الحضرمی) نسبة الی حضرموت (أن العلاء الحضرمی) و فی نسخة أن العلاء بن الحضرمی (کان عامل رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم) قال المصنف هو عبدالله من حضرموت کان عاملا للنبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم علی البحرین و أقره أبوبکر و عمر رضی‌الله عنهما علیها الی ان مات العلاء سنة أربع عشرة روی عنه السائب بن یزید و غیره (و کان) أی العلاء (اذا کتب الیه) أی الی النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم (بدأ بنفسه) أی ثم یکتب السلام اقتداء به صلی الله علیه وسلم لانه کان یفعل ذلک و مما یدل علیه کتابته صلی‌الله‌علیه‌وسلم الی معاذ یعزیه فی ابن له بسم الله الرحمن الرحیم من محمد رسول الله الی معاذ بن جبل سلام علیک فانی أحمد الیک الله الذی لا اله الا هو أما بعد الحدیث رواه الحاکم و غیره و لعل هذا الصنیع العظیم مقتبس من قوله تعالی انه من سلیمان و انه بسم الله الرحمن الرحیم و لایخفی أن الواو لمطلق الجمع و کان من سلیمان فی العنوان و الله أعلم قال المظهر کان یکتب هکذا من العلاء الحضرمی الی رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم و هکذا أمر النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم أن یکتبوا من لسانه هذا من رسول‌الله الی عظیم البحرین و غیره من الملوک قال الطیبی و المقصود من ایراد هذا فی باب السلام أن هذا کان مقدمة للسلام یدل علیه قوله فی کتابه الی هرقل من محمد عبدالله و رسوله الی هرقل عظیم الروم سلام علی من اتبع الهدی (رواه أبوداود) و روی الطبرانی فی الکبیر بسند حسن عن النعمان بن بشیر مرفوعا اذا کتب أحدکم الی أحد فلیبدأ بنفسه ★ (و عن جابر

قال اذا كتب أحدكم كتابا فليتربه فانه أنجح للحاجة رواه الترمذى و قال هذا حديث منكر ★ وعن زيد بن ثابت قال دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم و بين يديه كاتب فسمعته يقول ضع القلم على أذنك فانه أذكر للمآل رواه الترمذى و قال هذا حديث حسن غريب و فى اسناده ضعف

رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا كتب أحدكم كتابا) اى مكتوبا للارسال (الى أحد فليتربه) بتشديد الراء (فانه أنجح) بتقديم الجيم على الحاء أى أيسر وأقضى (للحاجة) قال الطيبى أى يسقطه على التراب حتى يصير أقرب الى المقصد قال أهل التحقيق انما أمره بالاسقاط على التراب اعتمادا على الحق سبحانه فى أيصاله الى المقصد وقيل المراد به ذر التراب على المكتوب قلت و يساعده ما نقله الامام الغزالى فى منهاج العابدين أن رجلا كان يكتب رقعة وهو فى بيت بالكراء فأراد أن يترب الكتاب من جدار ان البيت وخطر بباله أن البيت بالكراء ثم انه خطر بباله أنه لاخطر لهذا فترب الكتاب فسمع هاتفا يقول سيعلم المستخف بالتراب ما يلقى غدا من طول الحساب و قال المظهر قيل معناه فليخاطب الكاتب خطابا على غاية التواضع و المراد بالتتريب المبالغة فى التواضع فى الخطاب قلت هذا موافق لمتعارف الزمان لاسيما فيما بين أرباب الدنيا و أصحاب الجاه لكنه مع بعد مأخذ هذا المعنى من المبنى مخالف لمكاتبته صلى الله عليه وسلم الى الملوك وكذا الى الاصحاب و الله أعلم بالصواب (رواه الترمذى و قال هذا حديث منكر) و قد بين التوربشتى وجهه على ما سبق و الظاهر انه باعتبار رجاله. و قد روى الطبرانى فى الاوسط عن أبى الدرداء مرفوعا اذا كتب أحدكم الى انسان فليبدأ بنفسه و اذا كتب فليترب كتابه فهو أنجح ★ (و عن زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه) و هو من أجلاء الصحابة و اكابر قرائهم و أفضلهم فى علم الفرائض و أعظمهم فى كتابة الوحى و قد سبقت ترجمته (قال دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم و بين يديه كاتب فسمعته) أى النبى صلى الله عليه وسلم (يقول) أى له (ضع القلم على أذنك) بضم الذال و يسكن أى فوق أذنك معتمدا عليها و فى نسخة مطابقة لما فى نسخ المصابيح على أذنيك أى على أحداهما و قد تقدم عن التوربشتى أن ما فى نسخ المصابيح أذنيك بالتثنية خطأ و تبعه ميرك و قال و فى نسخ المصابيح أذنيك و بالافراد هو الصحيح قلت ان كان المراد رواية فمسلم و أما دراية فله وجه كما ذكرناه (فانه) أى وضع القلم على الاذن (أذكر) أى أكثر ذكرا (للمآل) أى لعاقبة الامر. و المعنى أنه أسرع تذكيرا فيما يراد من انشاء العبارة فى المقصود قيل السر فى ذلك أن القلم احد اللسانين المترجمين عما فى القلب من الكلام و فنون العبارات فتارة يترجم عنه اللسان اللحمى المعبر عنه بالقول وتارة يعبر عنه بالقلم وهو المسمى بالكتابة وكل واحد من اللسانين يسمع ما يريد من القول و فنون الكلام من القلب و محل الاستماع الاذن فاللسان موضوع دائما على محل الاستماع و درج القلب فلم يزل يسمع منه الكلام و القلم منفصل عنه خارج عن محل الاستماع فيحتاج فى الاستماع الى القرب من محل الاستماع والدنو الى طريقه ليسمع من القلب ما يريده من العبارات و فنون الكلام فيكتب اه و حاصله أن القرب الصورى له محل تأثير من المقصود المعنوى (رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب) أى متنا أو أسنادا (و فى اسناده ضعف) أى بالنسبة الى بعض رجاله فالحديث ضعيف و قد سبق وجه ضعفه فى كلام الامام التوربشتى لكن يعضده ان ابن عساكر روى عن أنس مرفوعا و لفظه اذا كتبت فضع قلمك على أذنك فانه أذكر لك و فى الجامع الصغير برواية الترمذى عن زيد بن ثابت مرفوعا بلفظ ضع القلم على أذنك فانه أذكر للمملى أقول و لعل هذا اللفظ هو الصحيح فى الحديث و ان لفظ للمآل مصحف عن هذا المقال و يؤيده رواية أذكر لك ويكون

★ و عنه قال أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أتعلم السريانية و فى رواية انه أمرنى ان أتعلم كتاب يهود و قال انى ما آمن يهود على كتاب قال فما مر بى نصف شهر حتى تعلمت فكان اذا كتب الى يهود كتبت و اذا كتبوا اليه قرأت عليه كتابهم رواه الترمذى ★ و عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا انتهى أحدكم الى مجلس فليسلم فان بدا له أن يجلس فليجلس ثم اذا قام فليسلم فليست الاولى باحق من الآخرة

المعنى حينئذ أن وضع القلم على الاذن أقرب تذكرا لموضعه و أيسر محلا لتناوله بخلاف ما اذا وضعه فى محل آخر فانه ربما يتعسر عليه حصوله بسرعة من غير مشقة مع انه يمكن أن يؤول لفظ المآل الى أن يؤل الى هذا المعنى بان يقال التقدير فانه أذكر لمآلك أو لمآل المملى عند طلب القلم على وجه الاستعجال فيندفع ما تقدم من غاية التكلف و نهاية التعسف مما سبق فى المقال و الله أعلم بالحال ★ (وعنه) أى عن زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه (قال أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتعلم السريانية) بضم أوله و هى لسان اليهود (و فى رواية انه أمرنى أن أتعلم كتاب يهود) أى كتابتهم و مآل الروايتين واحد (و قال) أى النبى صلى الله عليه وسلم فى تعليل الامر على وجه الاستئناف المبين (انى ما آمن) بمد همز و فتح ميم مضارع متكلم أمن الثلاثى ضد خاف أى ما أستأمن (يهود) أى فى الزيادة و النقصان (على كتاب) أى لا فى قراءته و لا فى كتابته قال الطيبى و استعمل بعلى فان نفى الأمن عبارة عن الخوف كانه قال أخاف على كتاب كما قال أخوة يوسف ما لك لا تأمنا على يوسف اه و فيه أن هذا المعنى انما يستقيم فى هذا المبنى حيث دخل حرف النفى على الصيغة و الاظهر انه يتعدى بعلى من غير النفى أيضا كما فى قول يعقوب عليه السلام هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل و كذا فى حديث ابن ماجه عن فضالة بن عبيد المؤمن من أمنه الناس على أموالهم قال المظهر أى أخاف ان أمرت يهوديا بان يكتب منى كتابا الى اليهود أن يزيد فيه أو ينقص و أخاف ان جاء كتاب من اليهود فيقرؤه يهودى فيزيد و ينقص فيه (قال) أى زيد (فما مر بى) أى مضى على من الزمان (نصف شهر حتى تعلمت) فى معناه مقدر أى ما مر بى نصف من الشهر فى التعلم حتى كمل تعلمى قيل فيه دليل على جواز تعلم ما هو حرام فى شرعنا للتوقى والحذر عن الوقوع فى الشر كذا ذكره الطيبى فى ذيل كلام المظهر و هو غير ظاهر اذ لا يعرف فى الشرع تحريم تعلم لغة من اللغات سريانية أو عبرانية هندية أو تركية أو فارسية و قد قال تعالى و من آياته خلق السموات و الارض و اختلاف ألسنتكم أى لغاتكم بل هو من جملة المباحات نعم يعد من اللغو و مما لا يعنى و هو مذموم عند أرباب الكمال الا اذا ترتب عليه فائدة فحينئذ يستحب كما يستفاد من الحديث (فكان) أى النبى صلى الله عليه وسلم (اذا كتب الى يهود) أى أراد أن يكتب اليهم أو اذا أمر بالكتابة اليهم (كتبت) أى بلسانهم (اليهم و اذا كتبوا اليه قرأت له) أى لاجله و فى نسخة عليه أى عنده صلى الله عليه وسلم (كتابهم) أى مكتوبهم اليه (رواه الترمذى ★ و عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا انتهى) أى اذا جاء و وصل (أحدكم الى مجلس فليسلم فان بدا) بالالف أى ظهر (له أن يجلس فليجلس) أمر استحباب (ثم اذا قام) أى بعد أن يجلس و الظاهر أن المراد به أنه اذا أراد أن ينصرف و لو لم يجلس (فليسلم) أى ندبا (فليست الاولى) أى التسليمة الاولى (باحق) أى بأولى و أليق (من الآخرة) بل كلتاهما حق و سنة مشعرة الى حسن المعاشرة و كرم الاخلاق و لطف الفتوة و لطافة المروأة فانه اذا رجع و لم يسلم ربما يتشوش أهل المجلس من مراجعته على طريق

رواه الترمذي و أبوداود ★ و عنه أن رسول الله صلى الله‌عليه‌وسلم قال لاخير في جلوس في الطرقات الا لمن هدى السبيل و رد التحية و غض البصر و أعان على الحمولة رواه في شرح السنة و ذكر حديث أبي جرى في باب فضل الصدقة

★ (الفصل الثالث) ★ عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله‌عليه‌وسلم لما خلق الله آدم و نفخ فيه الروح عطس فقال الحمد لله فحمد الله باذنه

السكوت و بهذا يتبين انه قديقال بل الآخرة أولى من الاولى لان تركها ربما يتسامح فيه بخلاف الثانية على ما هو المشاهد في المتعارف لاسيما اذا كان في المجلس ما لايذاع و لايشاع و لذا قيل كما أن التسليمة الاولى أخبار عن سلامتهم من شره عند الحضور فكذلك الثانية أخبار عن سلامتهم من شره عند الغيبة و ليست السلامة عند الحضور اولى من السلامة عند الغيبة بل الثانية أولى . هذا و ليس في الحديث ما يدل على وجوب جواب التسليمة الثانية أصلا لانفيا و لاأثباتا و قد قدمنا عن بعض أئمتنا التصريح بعدم وجوب جواب السلام الثاني و وجهنا توجيهه و قال النووي ظاهر هذا الحديث يدل على أنه يجب على الجماعة رد السلام على الذي يسلم على الجماعة عند المفارقة قال القاضي حسين وأبوسعيد المتولي جرت عادة بعض الناس بالسلام عند المفارقة و ذلك دعاء يستحب جوابه و لايجب لان التحية انما تكون عند اللقاء لاعند الانصراف و أنكره الشاشي و قال أن السلام سنة عند الانصراف كما هو سنة عند اللقاء فكما يجب الرد عند اللقاء كذلك عند الانصراف وهذا هو الصحيح اه و التحقيق ما قاله مبين بالفرق الدقيق و الله ولي التوفيق (رواه الترمذي و أبوداود) و كذا أحمد و ابن حبان و الحاكم ★ (وعنه) أي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (أن رسول صلى الله‌عليه‌وسلم قال لاخير) أي لاحد (في جلوس) أي قعود و كذا في وقوف (في الطرقات) و هو جمع الجمع و فيه أشارة الى أن المراد أنواع الطرق جميعها (الا لمن هدى السبيل) أي أرشد الطريق للضال و الاعمى و غيرهما (و رد التحية) أي السلام (و غض البصر) أي عن المحرمات أوعن العورات (و أعان على الحمولة) بضم أوله و في نسخة بفتحه و قد قال الشراح هي بالفتح ما يحمل الاثقال من الدواب و منه قوله تعالى و من الانعام حمولة و فرشا وبضمها ما يحمل عليها جمع حمل بالكسر أي أعان من يرفع حمله على ظهر دابته أو ظهره أو رأسه و نحو ذلك بان يحمل على نفسه بعض الاحمال أوكلها شفقة له و مرحمة عليه و في معناه كل ملهوف على ما سبق (رواه) أي البغوي (في شرح السنة) أي باسناده (و ذكر حديث أبي جرى) بضم جيم و فتح راء و تشديد تحتية (في باب فضل الصدقة) و هو حديث طويل مشتمل على فوائد ليس فيها شئ من ذكر الصدقة أصلا و صدر الحديث مما يناسب هذا الباب جدا فان أباجرى قال قلت عليك السلام يا رسول‌الله مرتين قال لاتقل عليك السلام عليك السلام تحية الميت قل السلام عليك الحديث و قد حققنا الكلام عليه فان كنت تريده فارجع اليه

★ (الفصل الثالث) ★ (عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول‌الله صلى الله‌عليه‌وسلم لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس) بفتح الطاء ويكسر (فقال الحمد لله) أي فأراد أن يقول الحمد لله (فحمد الله باذنه) أي بتيسيره و توفيقه أو بأمره وحكمه أو بقضائه وقدره قال الطيبي و تخصيص الحمد بالذكر أشارة الى بيان قدرته الباهرة و نعمته المتظاهرة لان الحمد هو الثناء على الجميل من الفضل و الافضال و ذلك أنه تعالى أبدعه أبداعا جميلا و أنشاه خلقا سويا صحيحا فعطس فانه مشعر بصحة المزاج فوجب الحمد على ذلك و لاارتياب أن وقوفه على قدرة الله تعالى وافضاله عليه لم‌يكن الابتوفيقه

فقال له ربه يرحمک الله يا آدم أذهب الی اولئک الملائکة الی ملأ منهم جلوس فقل السلام عليکم فقال السلام عليکم قالوا عليک السلام و رحمة الله ثم رجع الی ربه فقال ان هذه تحيتک و تحية بنيک بينهم فقال له الله و يداه مقبوضتان أختر أيتهما شئت فقال أخترت يمين ربی و کلتا يدی ربی يمين مبارکة ثم بسطها فاذا فيها آدم و ذريته فقال أی رب ما هؤلاء قال هؤلاء ذريتک فاذا کل انسان مکتوب عمره بين عينيه فاذا فيهم رجل أضوأهم

و تيسيره قلت و من جملة التوفيق و التيسير حکمه و أمره و الکل بقضائه و تقديره قال و فی فاء التعقيب أشارة الی ذلک قلت و لامانع أن يکون أشارة الی کل مما ذکر هنالک (فقال له ربه يرحمک الله يا آدم) يحتمل أن تکون متممة او مقدمة لکن الثانی أظهر ثم الظاهر أن هذا الخطاب المستطاب بعد سجود الملائکة له کما يستفاد من قوله تعالی فاذا سويته و نفخت فيه من روحی فقعوا له ساجدين و المعنی يا آدم .(أذهب الی اولئک الملائکة) الظاهر أن المراد بهم جمع من المقربين أو المؤکلين علی الحسنات من أرباب اليمين و قوله (الی ملأ منهم) يحتمل أن يکون بدلا فيکون من کلام الله تعالی و يحتمل أن يکون حالا فيکون من کلام رسول‌الله صلی‌الله‌عليه‌وسلم بيانا لکلام الله تعالی و هو الی الحال أقرب منه الی البدل يعنی قال الله تعالی اولئک مشيرا به الی ملأ منهم (جلوس) بالجر صفة ملأ أی جالسين أو ذوی جلوس (فقل السلام عليکم) قال الطيبی لما وفقه تعالی لقيام الشکر علی نعمه السابغة و أوقفه علی قدرته الکاملة علمه کيفية المعاشرة مع الخلق حتی يفوز بحسن الخلق مع الخلق بعد تعظيم الحق و أما تخصيص السلام بالذکر فانه فتح باب المودات و تأليف قلوب الاخوان المؤدی الی استکمال الايمان (فقال) أی فذهب آدم اليهم فقال (السلام عليکم) و فی بعض النسخ هذه الجملة محذوفة للعلم بها (قالوا عليک السلام و رحمة الله ثم رجع الی ربه) أی الی مکان کلمه ربه فيه تبرکا به و تيمنا بمقامه و لما فی العادة أن يرجع المأمور الی حيث أمره الآمر و ينتظر بيان حکمة الامر (فقال) أی الرب سبحانه (هذه) أی الکلمات المذکورة (تحيتک و تحية بنيک) فيه تغليب أی ذريتک (بينهم) أی فيما بينهم عند ملاقاتهم فهذه سنة قديمة و منة جسيمة (فقال له و يداه مقبوضتان) الجملة حال و الضمير لله و حقيقة معناه يعجز عنه ما سواه و مذهب السلف من نفی التشبيه و اثبات التنزيه مع التفويض أسلم و سيأتی کلام بعض أهل الخلف مع خلف فيما بينهم مع دعواهم ان هذا المذهب أعلم و کان بعض مشايخنا يقول أن لله تجليات صورية مع تنزه ذاته عن أمور عارضية فيزول بها کثير من الاشکالات المتعلقة بالصفات المفهومة من الاحاديث و الآيات و أقرب ما قيل فی هذا المقام من التأويل أنه أراد باليدين صفتی الجمال و الجلال و أن الجمال هو اليمين المطلق و ان کان اليمين فی الجلال أيضا قد تحقق و بهذا يتضح معنی قوله تعالی لآدم (اختر أيتهما) أی من اليدين (شئت) أی أردت (فقال أخترت يمين ربی و کلتا يدی ربی يمين) من کلام آدم أو من کلام النبی صلی‌الله‌عليه‌وسلم و قوله (مبارکة) صفة کاشفة (ثم بسطها) أی فتح الرب تعالی يمينه (فاذا فيها) أی موجود (آدم و ذريته) أی مثاله و أمثلة أولاده قال الطيبی يقول النبی صلی‌الله‌عليه‌وسلم يعنی رأی آدم مثاله و مثال بنيه فی عالم الغيب (فقال أی رب ما هؤلاء) ظاهره مشعر بان هذه القضية قبل الميثاق (قال هؤلاء ذريتک) الظاهر من کونهم فی اليمين أختصاصهم بالصالحين من أصحاب اليمين و المقربين و يدل عليه أيضا قوله (فاذا کل انسان) أی منهم (مکتوب عمره بين عينيه فاذا فيهم رجل أضوأهم) فيه دلالة علی أن لکلهم ضياء لکنه يختلف فيهم بحسب نور ايمانهم هذا و قد قال

الطيبي قوله و كلتا يدى ربى يمين كالتتميم صونا لما يتوهم من أثبات الجارحة من الكلام السابق قلت
هذا غير ظاهر بل انه تذييل و تكميل احتراسا لما يتوهم من قول آدم أخترت يمين ربى أن له سبحانه
يسارا و شمالا فتكون أحدهما أقوى من الاخرى أو أبرك و أيمن وأحرى ثم قال و للشيخ أبي بكر محمد بن
الحسن بن فورك كلام متين فيه قال و اليدأن ان حملتا على معنى القدرة و الملك صح و ان حملتا على
معنى النعمة و الاثر الحسن صح لان ذلك مما حدث فى ملكه بتقديره و عن ظهور نعمته على بعضهم
قلت لا ارتياب فى صحة هذا الكلام فى نفسه و أما أرادة هذا المعنى من هذا المبنى فى هذا المقام فيحتاج
الى بسط فى الكلام ليظهر المقصود و يتضح المرام ثم قال ابن فورك قد ذكر بعض مشايخنا أن الله
عزوجل هو الموصوف بيد الصفة لابيد الجارحة و انما تكون يد الجارحة يمينا و يسارا لانهما يكونان
لمتبعض و متجز ذى أعضاء و لما لم يكن ما وصف الرب به يد جارحة بين صلى الله عليه وسلم بما قال أن
ليست هى يد جارحة و قيل المراد ان الله عزوجل لما وصف باليدين و يد الجارحة تكون احداهما
يمينا و الاخرى يسارا و اليسرى ناقصة فى القوة و البطش عرفنا عليه السلام كمال صفة الله عزوجل
و أنه لانقص فيها ويحتمل أن آدم عليه السلام لما قيل له اختر أيتهما شئت فقال اخترت يمين ربى و كلتا
يدى ربى يمين أراد به لسان الشكر و النعمة لالسان الحكم و الاعتراف بالملك فذكر الفضل و النعمة
لان جميع ما بيديه عزوجل من منته فضل وطول مبتدأ فمن منفوع ينفعه و من مدفوع عنه يحرسه فقصد
قصد الشكر و التعظيم للمنة و قيل أراد به وصف الله تعالى بغاية الجود و الكرم و الاحسان و التفضل
و ذلك أن العرب تقول لمن هو كذلك كلتا يديه يمين و اذا نقص حظ الرجل وخس نصيبه قيل جعل
سهمه فى الشمال و اذا لم يكن عنده اجتلاب منفعة و لادفع مضرة قيل ليس فلان باليمين و لابالشمال
و قال ابن فورك أيضا فى حديث آخر نحوه ان ذلك كان من ملك أمره الله عزوجل بجمع أجزاء الطين
من جملة الارض أمره بخلطها بيديه فخرج كل طيب بيمينه وكل خبيث بشماله فيكون اليمين و الشمال
فأضاف الى الله تعالى من حيث كان عن أمره و جعل كون بعضهم فى يمين الملك علامة لاهل الخير
منهم و كون بعضهم فى شماله علامة لاهل الشر منهم فلذلك ينادون يوم القيامة باصحاب اليمين
و أصحاب الشمال قال الطيبي و أقول و بالله التوفيق و تقريره على طريقة أصحاب البيان هو أن اطلاق
اليد على القدرة تارة و على النعمة أخرى من أطلاق السبب على المسبب لان القدرة و النعمة صادرتان
عنها و هى منشؤهما و كذا القدرة منشأ الفعل و الفعل أما خير أو شر و هداية و اضلال و اليدان
فى الحديث اذا حملتا على القدرة حملتا على خلق الخير و الشر و الهداية و الاضلال فاليمين عبارة عن
خلق الهدى و الايمان و اليه أشار بقوله فاذا فيهم رجل أضوأهم على أفضل التفضيل الذى يقتضى
الشركة و الشمال على عكسها و معنى كلتا يديه يمين أن كلا من خلق الخير و الشر و الايمان والكفر
من الله عدل و حكمة لانه عزيز يتصرف فى ملكه كيف يشاء لامانع له فيه و لامنازع حكيم يعلم بلطف
حكمته ما يخفى على الخلق يضل من يشاء و يهدى من يشاء و هو العزيز الحكيم فمعنى اليمين كما
فى قول الشاعر - اذا ما راية رفعت لمجد ★ تلقاها عرابة باليمين
أى بتدبيره الاحسن و تحريه الاصوب و اذا حملتا على النعمة كان اليمين المبسوطة عبارة عن منح
الالطاف و تيسير اليسرى على أهل السعادة من أصحاب اليمين و الشمال المقبوضة على عكسها و معنى
كلتا يديه يمين على ما سبق قال تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده و يقدر له ان الله بكل شئ
عليم فالفاصلتان فى الآيتين أعنى العزيز الحكيم و بكل شئ عليم ملوحتان الى معنى ما فى الحديث من
قوله كلتا يديه يمين و الحمد لله الذى هدانا لهذا و ما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله و الله أعلم اه

أو من أضوئهم قال يا رب من هذا قال هذا ابنك داود و قد كتبت له عمره أربعين سنة قال يا رب زد في عمره قال ذلک الذی كتبت له قال أي رب فانی قد جعلت له من عمری ستين سنة

كلامه و حاصل مرامه أن اليدين كنايتان عن آثار صفتي الجمال و الجلال من الضياء والظلمة و الطاعة و المعصية و ما يترتب عليهما من النار و الجنة فأصل ايجاد الخلق بعد عدمهم وقع على وجه الجلال اظهارا للكبرياء و الجبروت الناشئ عن صفة العدل ثم أظهر لمن شاء منهم كمال الجمال الناشئ عن صفة الفضل و يشير اليه ما ورد عنه صلى‌الله‌عليه‌وسلم أن الله خلق الخلق فی ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من ذلک النور أهتدى و من أخطأه فقد ضل و غوى ولاشک أن نور المؤمنين والانبياء و المرسلين في مراتب مختلفة فقوله فيهم رجل أضوأهم أی أضوأ من بعضهم و هو أهل زمانه كما يدل عليه قوله (أو من أضوئهم) و هو يحتمل أنه من باب الاستدراك أی بل من أضوئهم و يحتمل أن يكون شكا من الراوی و وجه تخصيصه من باب تفويض علمه الى عالمه و لعله كونه من أقل الانبياء عمرا أو لانه أكثر الانبياء في البكاء كآدم على ما ظهر منهما من الخطأ قال الطيبی هو من شک الراوی فعلى هذا من أضوئهم صفة رجل و فيهم خبره و على أسقاط من هو مستأنف أی هو أضوأهم وليس المعنى بقوله أضوأهم أن سائر الانبياء في الضوء و الاشراق دونه بل لبيان فضله و جمعه بين النبوة و الملک و أفاضة نور العدل من الله عليه و أنه خليفة الله في أرضه قال تعالى انا جعلناك خليفة في الارض قلت لو كان هذا المعنى مرادا لكان سليمان أولى بذلک مع ان الملک لذاته ليس له نور هنالک بل له حجاب ظلمانی يمنع صاحبه غالبا عن كمال نورانی و لذا يدخل سليمان الجنة بعد الانبياء بخمسمائة سنة و كذا يدخل عبدالرحمن بن عوف بسبب ماله الكثير المشبه بالملک الكبير بعد فقراء المهاجرين بخمس مائة عام (قال يا رب من هذا) قال الطيبی ذكر أولا ما هؤلاء لانه ما عرف ما رآه ثم لما قيل له هم ذريتک فعرفهم فقال من هذا (قال هذا ابنک داود و قد كتبت له عمر أربعين سنة) و فی نسخة عمره بالاضافة الى ضميره قال الطيبی قوله عمر أربعين مفعول كتبت و مؤدى المكتوب لان المكتوب عمره أربعون سنة و نصب أربعين على المصدر على تأويل كتبت له أن يعمر أربعين سنة (قال يا رب زد فی عمره) أی من عندك و فضلک (قال ذلک الذی كتبت له) أی قدرت و قضيت لاجله و لامرد لقضائی و لا تبديل لقدری قال الطيبی ذلک الذی مبتدأ و خبر معرفتان فيفيد الحصر أی لامزيد على ذلک و لانقصان و كان كذلک حيث وهب ثم رجع قلت لكن روى انه أعطى ما وهب له و كمل لآدم عمره من فضله و هذا أظهر و فيه استجابة لدعوة آدم عليه السلام أيضا و قد يكون العمر المعلق يزيد كما أشار اليه سبحانه و تعالى و ما يعمر من معمر و لا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلک على الله يسير و كذا ما في بعض الاحاديث من أن الصدقة تزيد في العمر (قال) يعنی آدم (أی رب) أی يارب (فانی) أی اذا أبيت الزيادة من عندك فانی (قد جعلت له من عمری) أی من جملة مدة عمری و سنيه (ستين سنة) أی تكملة للمائة و الظاهر ان المراد بهذا الخبر الدعاء و الاستدعاء من ربه أن يجعله سبحانه كذلک فان أحدا لم يقدر على هذا الجعل و في الحديث اشكال اذ تقدم في صدر الكتاب في الفصل الثالث من باب الايمان بالقدر ما يخالف هذا ويمكن الجمع والله أعلم بانه جعل له من عمره أولا أربعين ثم زاد عشرين فصار ستين و نظيره قوله تعالى و اذ واعدنا موسى أربعين ليلة و قوله تعالى و واعدنا موسى ثلاثين ليلة و أتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة و لايبعد أن يتكرر ماتى عزرائيل عليه السلام للامتحان بان جاء و بقی من عمره ستون فلما جحده رجع اليه بعد بقاء أربعين على رجاء انه تذكر

قال أنت و ذاك قال ثم سكن الجنة ما شاء الله ثم أهبط منها و كان آدم يعد لنفسه فاتاه ملك الموت فقال له آدم قد عجلت قد كتب لی ألف سنة قال بلى و لكنك جعلت لابنك داود ستين سنة فجحد فجحدت ذريته و نسى فنسيت ذريته قال فمن يومئذ أمر بالكتاب و الشهود رواه الترمذی ★ و عن أسماء بنت يزيد قالت مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فی نسوة فسلم علينا رواه أبوداود و ابن ماجه والدارمی ★ و عن الطفيل بن أبی بن كعب انه

بعد ما تفكر فجحد ثانيا و هذا أبلغ فی باب النسيان و الله المستعان و الاظهر انه وقع شك للراوی و تردد فی كون العدد أربعين أو ستين فعبر عنه تارة بالاربعين و أخرى بالستين و مثل هذا وقع من المحدثين و أجاب عنه بما ذكرنا بعض المحققين و مهما أمكن الجمع فلايجوز القول بالوهم و الغلط فی رواية الحفاظ المتقنين و أما ما قيل من أن ساعات أيام عمر آدم كانت أطول من زمان داود فموقوف على صحة النقل و الا فبظاهره يأباه العقل كما حقق فی دوران الفلك عند أهل الفضل (قال أنت و ذاك) يحتمل البراءة و يحتمل الاجابة قال الطيبی هو نحو قولهم كل رجل وضيعته أی انت مع مطلوبك مقرونان (و كان) أی آدم كما فی نسخة صحيحة (يعد لنفسه) أی يقدر له و يراعی أوقات أجله سنة فسنة (فاتاه) أی امتحانا (ملك الموت) أی بعد تمام تسع مائة و أربعين سنة (فقال له آدم قد عجلت) بكسر الجيم أی استعجلت و جئت قبل اوانه (قد كتب لی ألف سنة قال بلى و لكنك جعلت لابنك داود ستين سنة فجحد) أی أنكر آدم (فجحدت ذريته) بناء على أن الولد من سرابيه (و نسى فنسيت ذريته) لان الولد من طينة أبيه و الظاهر أن معناه أن آدم نسى هذه القضية فجحد فيكون اعتذارا له اذ يبعد منه عليه السلام أن ينكر مع التذكر فقول الطيبی يشير به الى قوله تعالى و لقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجدله عزما ليس فی محله اذ الآية فی قضية أكل الشجرة (قال) أی النبی عليه السلام (فمن يومئذ أمر) بصيغة المجهول أی أمر الناس أو الغائب و قوله (بالكتاب) أی بكتابة الحجة (و الشهود) فی القضية وجمع بينهما احتياطا (رواه الترمذی) أی فی جامعه فی آخر كتاب التفسير و قال حسن غريب من هذا الوجه و قد روی من غير وجه عن أبی هريرة رضی الله عنه عن النبی صلى الله عليه وسلم اه و أما الحديث السابق فی صدر الكتاب فقد أخرجه الترمذی فی أثناء سورة الاعراف و قال هذا حديث حسن صحيح و قد روی من غير وجه عن أبی هريرة رضی الله تعالى عنه عن النبی صلى الله عليه وسلم اه فالحديث السابق أرجح و كذا أوفق لسائر الاحاديث الواردة كما فی الدر المنثور و الجامع الكبير للسيوطی رحمه الله تعالى و الله سبحانه أعلم ★ (و عن أسماء بنت يزيد رضی الله تعالى عنها) أی ابن السكن (قالت مر علينا) أی معشر النساء (رسول الله صلى الله عليه وسلم فی نسوة) أی حال كوننا مع جماعة كثيرة من النساء قال الطيبی قوله فی نسوة غير متعلق بالفاعل لئلايلزم منه مرور رسول الله صلى الله عليه وسلم فی زمرة النسوة عليهن بل هو متعلق بالجار و المجرور و بيان له و هو من باب قولك فی البيضة عشرون رطلا من حديد و هی بنفسها هذا المقدار لانها ظرف له (فسلم علينا) قال الطيبی و قد سبق روايتها فی الحديث السابع من الفصل الثانی أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر فی المسجد يوما و عصبة من النساء قعود الخ اه و فيه أن ما سبق أنما هو الخامس من حديث جرير أن النبی صلى الله عليه وسلم مر على نسوة فسلم عليهن رواه أحمد (رواه أبوداود و ابن ماجه والدارمی ★ وعن الطفيل) بالتصغير (ابن أبی بن كعب) قال المؤلف أنصاری تابعی عزيز الحديث حديثه فی الحجازيين روى عن أبيه و غيره و عنه أبو الطفيل (انه) أی الطفيل

كان يأتي ابن عمر فيغدو معه الى السوق قال فاذا غدونا الى السوق لم يمر عبدالله بن عمر على سقاط و لاعلى صاحب بيعة و لامسكين و لاعلى أحد الا سلم عليه قال الطفيل فجئت عبدالله بن عمر يوما فاستتبعني الى السوق فقلت له و ما تصنع في السوق وأنت لاتقف على البيع و لاتسأل عن السلع ولاتسوم بها و لاتجلس في مجالس السوق فاجلس بنا ههنا نتحدث قال فقال لي عبدالله بن عمر يا أبا بطن قال و كان الطفيل ذا بطن انما نغدو من أجل السلام نسلم على من لقيناه رواه مالك و البيهقي في شعب الايمان ★ و عن جابر قال أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال لفلان في حائطي عذق و انه قد آذاني مكان عذقه فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم ان بعني عذقك قال لا قال فهب لي

(كان يأتي ابن عمر فيغدو معه) يحتمل احتمالين في المرجعين والمعنى فيذهبان في الغدوة (الى السوق قال) أي الطفيل (فاذا غدونا الى السوق لم يمر) بفتح الراء المشددة و يجوز ضمها و كسرها أي لم يأت (عبدالله بن عمر على سقاط) بتشديد القاف مع فتح أوله و هو الذي يبيع السقط و هو الردي من المتاع (و لاعلى صاحب بيعة) بفتح موحدة و يكسر فالاول للمرة و الثاني للنوع و الهيئة قال الطيبي يروى بفتح الباء و هي الصفقة و بكسرها الحالة كالركبة و القعدة (و لامسكين) أي و لاعلى مسكين (و لاعلى أحد) فيه تعميم بعد تخصيص (الا سلم عليه) الظاهر أن المسلم هو ابن عمر و يحتمل العكس (قال الطفيل فجئت عبدالله بن عمر يوما فاستتبعني) أي طلبني أن أتبعه في ذهابه الى السوق (فقلت له و ما تصنع في السوق) ما استفهامية (و أنت لاتقف على البيع) الجملة حال . و كذا قوله (و لاتسأل عن السلع) أي عن مكانها و هو بكسر ففتح جمع سلعة (و لاتسوم بها) أي لاتسأل عن ثمنها و قيمتها (و لاتجلس في مجالس السوق) أي للتنزه و التفرج على الصادر و الوارد و المذكورات غالب المقاصد (فاجلس بنا هنا نتحدث) بالرفع أي نحن نستمع الحديث منك أو يتحدث بعضنا بعضا فيما يتعلق من أمور الدين أو من مهمات الدنيا و في نسخة بالجزم على جواب الامر (قال فقال لي عبدالله بن عمر يا أبا بطن قال) أي الراوي عن الطفيل أو هو بنفسه (و كان الطفيل ذا بطن) أي بطن كبير و لذا لقبه بذلك لالانه صاحب أكل كثير كما يتوهم (انما نغدو) أي الى السوق (من أجل السلام) أي تحصيله (نسلم) استئناف مبين (على من لقينا) بكسر القاف و سكون الياء و يؤيده نسخة لقيناه بالضمير و في نسخة بفتح الياء و اللقي يحصل من الجانبين و الظاهر أن المراد بالسلام أعم من ابتدائه و جوابه فان في كل منهما فضيلة كاملة و قد قدمنا بعض ما يتعلق بهذا الحديث في اوائل الباب (رواه مالك و البيهقي في شعب الايمان ★ و عن جابر رضي الله عنه قال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لفلان في حائطي) أي بستاني المحدق بالحيطان و قد يراد البستان المجرد (عذق) بفتح مهملة و سكون معجمة أي نخلة و أما بكسر أوله فالعرجون بما فيه من الشماريخ (وانه) أي الشان أو الفلان (قد آذاني) بمد أوله أي جعلني في الاذى (مكان عذقه) بالرفع على انه فاعل أي آذاني وجوده أو عذقه و مكان مقحم قال الطيبي و نحوه قوله تعالى ان كان كبر عليكم مقامي الكشاف مقامي مكاني يعني نفسه كما تقول فعلت كذا لمكان فلان قلت الاظهر في الآية ان مقامي بمعنى وقوفي بالحياة و قيامي بحق النبوة و تذكيري بآيات الله أي وعظي أياكم بالآيات المنقولة أو المعقولة أو الآفاقية و الانفسية أو المعجزات البينات و في نسخة بالنصب على نزع الخافض أي آذاني مروره بسبب مكان عذقه (فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم ان) مفسرة لما في الارسال من معنى القول أي (بعني عذقك) أي بأي ثمن تريد من الدنيا (قال) أي لاأبيعه (قال فهب لي) أي حتى أهب له و يحتمل

قال لا قال فبعنيه بعذق فى الجنة فقال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت الذى هو أبخل منك الا الذى يبخل بالسلام رواه أحمد و البيهقى فى شعب الايمان ★ و عن عبدالله عن النبى صلى الله عليه وسلم قال البادئ بالسلام برئ من الكبر رواه البيهقى فى شعب الايمان

★ (باب الاستئذان) ★ (الفصل الاول) ★ عن أبى سعيد الخدرى قال أتانا أبو موسى قال ان عمر أرسل الى أن آتيه فأتيت بابه فسلمت ثلاثا فلم يرد على فرجعت فقال ما منعك أن تأتينا فقلت انى أتيت فسلمت على بابك ثلاثا

أن يكون معناه فهبه أياه لاجلى وعلى كل كان ذلك بطريق الشفاعة لاالالزام (قال لا) أى لاأهب (قال فبعنيه بعذق فى الجنة) قال الطيبى يشعر بان الرجل كان مسلما و كان سوم رسول الله صلى الله عليه وسلم أياه شفاعة منه لا آمرا و الا لوجب عليه قبوله و الحكم بعصيانه كما فى حديث بريدة و قد تقدم (فقال لا) أى لاأبيعه به أيضا (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت الذى هو أبخل منك الا الذى يبخل بالسلام) أى على الناس أو على النبى صلى الله عليه وسلم كما ورد البخيل الذى ذكرت عنده و لم يسلم على و فى الحديث استحباب المصالحة بين المتخاصمين و بيان كمال حلمه صلى الله عليه وسلم على أصحابه و لعل الرجل كان من جفاة الاعراب أو وقع له المقال فى كمال غضبة من الحال حتى غفل عن مقام الادب و فاته ما كان صريحا له فى حسن المآل (رواه أحمد و البيهقى فى شعب الايمان ★ وعن عبدالله رضى الله تعالى عنه) أى ابن مسعود لأنه عند الاطلاق مقصود فى مصطلح المحدثين فانه أجل العبادلة لكونه أفقه الصحابة مما عدا الخلفاء الاربعة (عن النبى صلى الله عليه وسلم قال البادئ) بالهمز أى المبتدئ (بالسلام) و المبادر اليه من المتلاقيين اذا اتفقا فى الوصف كماشيين و راكبين (برئ) فعيل من البراءة أى متبرئ و متنزه (من الكبر) أى من علته فالسلام علامة سلامته (رواه البيهقى فى شعب الايمان) و كذا الخطيب فى الجامع عن ابن مسعود و على ما صرح به السيوطى فى الجامع الصغير و قال و رواه أبو نعيم فى الحلية عنه أيضا و لفظه برئ من الصرم و هو بالضم الهجر و القطع و روى أحمد بسند حسن عن أبى أمامة مرفوعا من بدأ بالسلام فهو أولى بالله و رسوله

★ (باب الاستئذان) ★ بسكون الهمز و يبدل ياء و معناه طلب الاذن و الاصل فيه قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا و تسلموا على أهلها الآيات قال الطيبى و أجمعوا على ان الاستئذان مشروع و تظاهرت به دلائل القرآن والسنة والافضل أن يجمع بين السلام و الاستئذان و اختلفوا فى أنه هل يستحب تقديم السلام أو الاستئذان و الصحيح تقديم السلام فيقول السلام عليكم أدخل و عن الماوردى ان وقعت عين المستأذن على صاحب المنزل قبل دخوله قدم السلام و الا قدم الاستئذان قلت و هو بظاهره يخالف ما سبق من حديث السلام قبل الكلام

★ (الفصل الاول) ★ (عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال أتانا أبوموسى) أى الاشعرى (قال) أى أبو موسى استئناف بيان لعلة الاتيان (ان عمر رضى الله تعالى عنه أرسل الى ان آتيه) أى بان أجيئه (فاتيت بابه فسلمت ثلاثا) أى ثلاث مرات غير متواليات على ما هو الظاهر من الادب المتعارف و المراد به سلام الايذان و هو قد يكون مع أدخل وقد يتجرد عنه اكتفاء وسيأتى بيان حكمة التثليث (فلم يرد) أى عمر أو أحد (على) أى الجواب (فرجعت) أى لقوله تعالى و ان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم و السكوت فى هذا المقام دليل على الاعراض فهو فى معنى الامر بالرجوع فرجعت (فقال) أى بعد ذلك معاتبا لى (ما منعك أن تأتينا) أى من الاتيان الينا مع ارسالنا اليك

فلم تردوا على فرجعت و قد قال لى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع فقال عمر أقم عليه البينة قال أبو سعيد فقمت معه فذهبت الى عمر فشهدت متفق عليه ★ و عن عبدالله بن مسعود قال قال لى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذنک على أن ترفع الحجاب و أن تستمع سوادى حتى انهاك رواه مسلم

بالاتيان (فقلت انى) بفتح الهمزة و كسرها (أتيت) أي اليک (فسلمت) و الكسر هو الاظهر لأنه استئناف فيه معنى التعليل مع أن المقول لايكون الا جملة و لهذا تكون أن بعد القول دائما مكسورة و قال الطيبى الظاهر فتح ان ليكون مطابقا للسؤال فان السؤال عن المنع فيجب أن يبين المانع و يقال ان المانع اتيانى و تسليمى و الكسر يدل على المانع بالمفهوم (على بابک) متعلق بمقدر أى فسلمت عليک حال كونى واقفا على بابک (ثلاثا فلم تردوا) أى لا أنت و لا أحد من خدامک (على) أي السلام أو الجواب (فرجعت و قد) الواو حالية أو استئنافية (قال) أى لى كما فى نسخة صحيحة و المعنى مخاطبا لى (رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع) فان الاول للتعرف و الثانى للتأمل و الثالث للاذن و عدمه (فقال عمر أقم عليه) أى على أن الحديث الذى رويته هو قول النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم (البينة) أى تمام البينة و المراد بها الشاهد له و لو كان واحدا و انما أمره بذلک ليزداد فيه وثوقا فالعلمان خير من علم واحد لاللشک فى صدق خبره عنده رضى‌الله تعالى عنه و قال الطيبى تعلق بهذا الحديث من يقول لايحتج بخبر الواحد و هو باطل فانهم أجمعوا على الاحتجاج بخبر الواحد و وجوب العمل به و دلائلهم أكثر مما تحصى و أما قول عمر رضى الله تعالى عنه هذا فليس معناه رد خبر الواحد من حيث هو خبر واحد و لكن خاف مسارعة الناس الى القول على النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم بما لم يقل كما يفعله المبتدعون و الكذابون و كذا من وقع له قضية وضع فيها حديثا على النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم فاراد سد الباب لاشكا فى رواية أبى موسى لانه أجل من أن يظن به أن يحدث عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم ما لم يقل و مما يدل على أن عمر رضى‌الله تعالى عنه لم يرد خبر أبى موسى لكونه خبر واحد انه طلب منه أخبار رجل آخر حتى يعمل بالحديث و معلوم أن خبر الاثنين خبر واحد و كذا ما زاد حتى يبلغ التواتر لان مالم يبلغ التواتر فهو خبر واحد (قال أبو سعيد فقمت معه) أى مع أبى موسى (فذهبت الى عمر فشهدت) أى على الحديث الذى رواه أبو موسى (متفق عليه) و القدر المرفوع منه رواه مالک و أحمد و الشيخان و أبوداود عن أبى موسى و أبى سعيد معا و الطبرانى و الضياء عن جندب البجلى ★ (و عن عبدالله بن مسعود قال قال لى) أى مخصوصا (النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذنک) بكسر فسكون و هو مبتدأ أى علامة أذنک (على) أى بالدخول و الخبر قوله (أن ترفع الحجاب) أى رفعک الحجاب و هو الستارة (و أن تستمع) و فى نسخة صحيحة و أن تسمع (سوادى) بكسر السين أى سرى و كلامى الخفى الدال على كونى فى البيت (حتى انهاك) أي عن الدخول حينئذ لمانع يكون عندى أو عن الدخول بغير استئذان فيكون مع الناس سواء و ضبط شارح للمصابيح قوله اذنک بمد أوله و فتح الذال و قال معناه أنا آذن لک على بان ترفع الحجاب يعنى لاحاجة لک الى الاستئذان اذا أردت الدخول على بل أذنت لک أن تدخل على و ان ترفع الحجاب قلت و فى هذا منقبة عظيمة و مدحة جسيمة له رضى‌الله تعالى عنه و ما ذاك الا لكثرة خدمته و ملازمة صحبته فانه كان صاحب النعلين و السواک و المطهرة و السجادة فهنيأ له ثم هنيأ ثم قال الشارح و قوله سوادى بالكسر أى سرارى يقال ساودته مساودة أى ساررته سمى السوار سوادا لاقتراب

★ و عن جابر قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في دين كان على أبي فدققت الباب فقال من ذا فقلت أنا فقال أنا أنا كانه كرهها متفق عليه ★ و عن أبي هريرة قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا في قدح فقال أباهر الحق باهل الصفة فادعهم الي فاتيتهم فدعوتهم فاقبلوا فاستاذنوا فاذن لهم فدخلوا رواه البخاري

السوادين فيه و هما شخصا المتناجيين اه و هو المفهوم من النهاية و قال الطيبي قوله على متعلق باذنك و هو مبتدأ و أن ترفع مع المعطوف خبره يعني اذنك الجمع بين رفعك الحجاب و بين معرفتك أياي في الدار لو كنت مسارا لغيري هذا شانك مستمر في جميع الاحيان الا أن أنهاك و فيه دلالة على شرفه و انه من رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزلة أهل البيت و صاحب السر و ليس معناه انه يدخل عليه في كل حال و أن يدخل على نسائه و محارمه قال النووي فيه دليل على جواز الاعتماد على العلامة في الاذن بالدخول فاذا جعل الامير و القاضي أو غيرهما رفع الستر الذي على بابه علامة للاذن في الدخول عليه للناس عامة أو لطائفة خاصة أو لشخص أو جار أو علامة غير ذلك جاز الاعتماد عليها و الدخول بغير استئذان (رواه مسلم ★ و عن جابر رضي الله تعالى عنه) أي ابن عبدالله صحابيان جليلان قتل أبوه في أحد (قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في دين كان على أبي) و سيأتي حديثه في الفصل الاول من باب المعجزات (فدققت الباب) أي بلطف كضرب الاظافير على ما هو دأب أرباب الالباب (فقال من ذا) أي الذي يدق (قلت) و في نسخة صحيحة فقلت (أنا) يقرأ بالالف وقفا و بحذفه وصلا (فقال أنا أنا) مكررا للانكار عليه قال الطيبي أي قولك أنا مكروه فلاتعد والثاني تأكيد (كانه كرهها) أي كلمة أنا فانه لم يستاذن بالسلام بل بالدق ذكره البرماوي أو لان قوله من ذا استكشاف للابهام و قوله أنا لم يزل به الاشكال و الابهام لانه بيان عند المشاهدة لاعنه الغيبة و كان حق الجواب أن يقول جابر أو أنا جابر و هذا معنى ما قال شارح لان قوله أنا لايشعر بصاحبه قلت اللهم الا اذا كان من أهل البيت ممن يعرف بصوته على ما هو المتعارف اذ لاشك أنه لو عرفه صلى الله عليه وسلم بصوته لما أنكره عليه لحصول المقصود به ثم قال أو لان فيه تعظيما فلم ير التكلم بلفظ ليس فيه تواضع اه و فيه انه لو قال أنا جابر لم يكن يكرهها و قال النووي و انما كره لانه لم يحصل بقوله أنا فائدة تزيل الابهام بل ينبغي أن يقول فلان باسمه و أن قال أنا فلان فلاباس كما قالت أم هانئ حين استأذنت فقال النبي صلى الله عليه وسلم من هذه فقالت أنا أم هانئ و لاباس أن يصف نفسه بما يعرف به اذا لم يكن منه بد و ان كان صورته فيها تبجيل و تعظيم بان يكني نفسه أو يقول أنا المفتي فلان أو القاضي أو الشيخ اه و الحاصل أن المقصود المعرفة ليترتب عليه الاذن و عدمه (متفق عليه ★ و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي في بيته و قيل على سعد بن عبادة و الله أعلم بصحته (فوجد) أي النبي صلى الله عليه وسلم (لبنا في قدح) لعل التنوين للتعظيم (فقال أباهر) بحذف حرف النداء لكمال أدبه و الهر يراد به الجنس فلاينافيه أنه مكنى بابي هريرة (الحق) بهمز وصل و فتح حاء أي اذهب مستعجلا (باهل الصفة) أي بالوصول اليهم و الاظهر أن الباء للتعدية أي آتيهم (فادعهم الي فأتيتهم فدعوتهم فاقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم فدخلوا) قال الطيبي أهل الصفة جماعة من صعاليك المهاجرين و الانصار اجتمعوا في صفة ذكرهم الشيخ أبو نعيم الاصفهاني في حلية الاولياء و فيه دلالة على أن من دعي الى وليمة أو طعام لايكفيه الدعاء بل لابد من الاستئذان اللهم الا أن يقرب الزمان اه فالتوفيق بينه و بين الحديث الآتي اذا دعي أحدكم فجاء مع

★ (الفصل الثانى) ★ عن كلدة بن حنبل أن صفوان بن أمية بعث بلبن أو جداية وضغابيس الى النبى صلى الله عليه وسلم و النبى صلى الله عليه وسلم بأعلى الوادى قال فدخلت عليه و لم أسلم و لم أستاذن فقال النبى صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم ادخل رواه الترمذى و أبوداود ★ وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعى أحدكم فجاء مع الرسول فان ذلك له اذن رواه أبوداود و فى رواية له قال رسول الرجل الى الرجل اذنه ★ و عن عبدالله بن بسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه و لكن من ركنه الايمن أو الأيسر فيقول السلام عليكم و ذلك ان الدور

الرسول فان ذلك اذن له ان أهل الصفة جاؤا بعد الداعي فاحتاجوا الى اذن جديد أو من غاية الادب و الحياء جددوا الاستئذان أو كان هناك ما يقتضى ذلك أو ما وصل اليهم الحديث السابق أو هو متأخر عن هذا الفعل احتمالات و الله تعالى اعلم بالحالات (رواه البخارى)

★ (الفصل الثانى) ★ (عن كلدة) بفتح الكاف و اللام و بالدال المهملة ضبطه المؤلف (ابن حنبل) بفتح الحاء المهملة و سكون النون و فتح الباء الموحدة على ما فى جامع الاصول و هو أسلمى أخو صفوان بن أمية الجمحى لامه وكان عبد المعمر بن حبيب اشتراه من أهل اليمن بسوق عكاظ و حالفه و أنكحه و أقام بمكة الى أن مات بها روى عنه عمرو بن عبدالله بن صفوان ذكره المؤلف فى الصحابة (ان صفوان بن أمية) بضم همز و فتح ميم و تشديد تحتية و قد تقدمت ترجمته و كان من أفصح قريش لسانا و كان من المؤلفة قلوبهم و حسن اسلامه روى عنه نفر (بعث بلبن وجداية) قال صاحب النهاية و الشراح هو بفتح الجيم و كسرها أولاد الظباء ذكرا كان أو أنثى مما بلغ ستة أشهر أو سبعة أشهر بمنزلة الجدى من المعز (و ضغابيس) جمع ضغبوس بفتح الضاد و سكون الغين المعجمتين و هو صغير القثاء (الى النبى صلى الله عليه وسلم و النبى صلى الله عليه وسلم بأعلى الوادى) أى فوق المدينة و نكتة العدول عن قوله و هو الى الوصف الظاهر ظاهر لايخفى (قال) أى صفوان (فدخلت عليه و لم أسلم) أى قبل الدخول (و لم أستاذن) أى بقولى أدخل (فقال النبى صلى الله عليه وسلم ارجع) أى تعذيبا له و تأديبا لغيره (فقل السلام عليكم ادخل) يجوز فيه تحقيق الهمزتين و تسهيل الثانية و ابدالها ألفا (رواه الترمذى و أبوداود ★ و عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعى) بصيغة المجهول أى اذا طلب (أحدكم فجاء مع الرسول فان ذلك له أذن) أى اجازة بالدخول فان وقع تقصير من أهل البيت فلاحرج عليه (رواه أبوداود) و كذا البخارى فى تاريخه و البيهقى فى شعبه (و فى رواية له) أى لابى داود (قال) أى النبى صلى الله عليه وسلم (رسول الرجل الى الرجل اذنه) أى اذا كان مصحوبا معه لما سبق ★ (وعن عبدالله بن بسر) بضم موحدة وسكون مهملة سلمى مازنى له و لابيه بسر و أمه و أخيه عطية و أخته الصماء صحبة نزل الشام و مات بحمص فجأة وهو يتوضأ سنة ثمان و ثمانين وهو آخر من مات من الصحابة بالشام روى عنه جماعة (قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى باب قوم) أى وصله (لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه) أى مقابل وجهه وحذائه لئلايقع بصره على أهل البيت (و لكن) أى يستقبل مع الانحراف و الميل (من ركنه الايمن أو الايسر) أى من أحد جانبيه الانسب بالوقوف (فيقول السلام عليكم) أى أولا (السلام عليكم) أى ثانيا حتى يتحقق السماع و الاذن و المراد بالتكرار التعدد لاالاقتصار على المرتين فانه كان من عادته التثليث لما سبق (و ذلك) أى ما ذكر من عدم استقبال الباب و وجود الانحراف (ان)

لم يكن يومئذ عليها ستور رواه أبوداود و ذكر حديث أنس قال عليه الصلاة و السلام السلام عليكم و رحمة الله فى باب الضيافة

★ (الفصل الثالث) ★ عن عطاء بن يسار ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال استأذن على أمى فقال نعم فقال الرجل انى معها فى البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها فقال الرجل انى خادمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها أ تحب أن تراها عريانة قال لا قال فاستأذن عليها رواه مالك مرسلا ★ و عن على رضى الله عنه قال كان لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم مدخل بالليل و مدخل بالنهار فكنت اذا دخلت بالليل تنحنح لى رواه النسائى ★ وعن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لاتأذنوا لمن لم يبدأ بالسلام رواه البيهقى فى شعب الايمان

و فى نسخة لان (الدور) بالضم جمع الدار أى أبوابها (لم يكن عليها يومئذ ستور) جمع ستر بالكسر و هو الحجاب و فيه مقابلة الجمع بالجمع و المعنى انه اذا كان هناك باب أو ستر يحصل به حجاب فلابأس بالاستقبال لكن الانحراف أولى مراعاة لاصل السنة و لانه ربما يحصل بعض الانكشاف عند فتح الباب أو رفع الحجاب كما لايخفى على أرباب الالباب (رواه أبوداود) و كذا الامام أحمد فى مسنده (و ذكر حديث أنس قال عليه الصلاة و السلام) أى للاستئذان على باب بعض الاصحاب (السلام عليكم و رحمة الله فى باب الضيافة) متعلق بذكر

★ (الفصل الثالث) ★ (عن عطاء بن يسار) من أجلاء التابعين (ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال استأذن) أى اطلب الاذن عند ارادتى الدخول (على أمى) و فى معناها بقية المحارم نسبا و رضاعا و مصاهرة الا الزوجة (فقال نعم) أى لانه ربما ينكشف عن عضو لايجوز للولد ان ينظر اليه (فقال الرجل انى معها فى البيت) أى فى بيتها أو فى بيتى و المعنى انا فى بيت واحد لانها فى بيت وحدها ليكون دخولى عليها نادرا أفاستأذن حينئذ كما هو المتعارف فى زماننا (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها) أى و لو كنتما فى بيت واحد لاحتمال تكشفها فى الغيبة (فقال الرجل انى) و فى نسخة انا (خادمها) أى فيكثر ترددى اليها فهل يكون الاذن كل مرة ساقطا لدفع الحرج على مقتضى القواعد الشرعية (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها) أى و لو بنحو تنحنح وضرب رجل و رفع صوت (أتحب أن تراها عريانة) أى كلها أو بعضها (قال لا قال فاستأذن عليها) أى دائما و بهذا حصل الفرق بين هذه القضية و ترك ايجاب الاحرام لمن كثر تردده الى الحرم من أهل المواقيت كما هو مقرر فى محله (رواه مالك مرسلا ★ و عن على رضى الله تعالى عنه قال كان لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم مدخل) مصدر ميمى أى دخول (بالليل و مدخل بالنهار) قال الطيبى لى خبر كان و اسمه مدخل و من رسول الله صلى الله عليه وسلم متعلق بالجار و المجرور أى حصل لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم دخول بالليل و دخول بالنهار و علامة الاذن بالليل تنحنحه عليه الصلاة والسلام و هذا معنى قوله كرم الله وجهه (فكنت اذا دخلت بالليل تنحنح لى) قيل ان التنحنح للمنع كما جاء فى حديث صريح وفيه انه يجوز أن يكون التنحنح بالنسبة الى على علامة الاذن وان كان بالنسبة الى غيره علامة المنع بقى الكلام على علامة دخول على فى النهار فيحتمل أن يكون الامر بالعكس على مقتضى المفهوم المخالف أى و كنت اذا دخلت بالنهار تنحنحت له و يحتمل غير ذلك و الله أعلم (رواه النسائى ★ وعن جابر رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاتأذنوا) أى بالدخول أو للطعام (لمن لم يبدأ بالسلام) أى بسلام الاذن أو بسلام الملاقاة بان دخل ساكتا أو بدأ بالكلام

★ (باب المصافحة و المعانقة) ★ (الفصل الاول) ★ عن قتادة قال قلت لانس أكانت المصافحة فى أصحاب رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال نعم رواه البخارى ★ و عن أبى هريرة قال قبل رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم الحسن بن على و عنده الاقرع بن حابس

(رواه البيهقى فى شعب الايمان) وكذا الضياء و قد سبق أحاديث تقويه فى المعنى المرام

★ (باب المصافحة والمعانقة) ★ المصافحة هى الافضاء بصفحة اليد الى صفحة اليد و أول من أظهرها أهل اليمن أخرجه البخارى فى الادب و ابن وهب فى جامعه عن أنس رفعه ذكره السيوطى و فى مختصر النهاية له ان التصفيح هو التصفيق و هو ضرب صفحة الكف على صفحة الاخرى و منه المصافحة وهى الصاق صفحة الكف بالكف و فى القاموس المصافحة الاخذ باليد كالتصافح و يمكن أن يكون ماخوذا من الصفح بمعنى العفو و يكون أخذ اليد دلالة عليه كما أن تركه مشعر بالاعراض عنه قال النووى أعلم أن المصافحة سنة و مستحبة عند كل لقاء و ما اعتاده الناس بعد صلاة الصبح و العصر لا أصل له فى الشرع على هذا الوجه و لكن لابأس به فان أصل المصافحة سنة وكونهم محافظين عليها فى بعض الاحوال و مفرطين فيها فى كثير من الاحوال لايخرج ذلك البعض عن كونه من المصافحة التى ورد الشرع باصلها و هى من البدعة المباحة و قد شرحنا أنواع البدع فى أول كتاب الاعتصام مستوفى اه و لايخفى أن فى كلام الامام نوع تناقض لان اتيان السنة فى بعض الاوقات لايسمى بدعة مع ان عمل الناس فى الوقتين المذكورين ليس على وجه الاستحباب المشروع فان محل المصافحة المشروعة أول الملاقاة و قد يكون جماعة يتلاقون من غير مصافحة و يتصاحبون بالكلام و مذاكرة العلم و غيره بمدة مديدة ثم اذا صلوا يتصافحون فأين هذا من السنة المشروعة و لهذا صرح بعض علماؤنا بانها مكروهة بحينئذ و انها من البدع المذمومة نعم لو دخل أحد فى المسجد و الناس فى الصلاة أو على ارادة الشروع فيها فبعدالفراغ لو صافحهم لكن بشرط سبق الكلام على المصافحة فهذا من جملة المصافحة المسنونة بلاشبهة و مع هذا اذا مد مسلم يده للمصافحة فلاينبغى الاعراض عنه بجذب اليد لما يترتب عليه من أذى يزيد على مراعاة الادب فحاصله ان الابتداء بالمصافحة حينئذ على الوجه المشروع مكروه لاالمجابرة و ان كان قد يقال فيه نوع معاونة على البدعة و الله أعلم ثم قال النووى و ينبغى أن يحترز عن مصافحة الامرد الحسن الوجه فان النظر اليه حرام كما بسطنا القول فيه فى كتاب النكاح و قال أصحابنا كل من حرم النظر اليه حرم مسه بل مسه أشد فانه يحل النظر الى الاجنبية اذا أراد أن يتزوجها وفى حال البيع والشراء و نحو ذلك ولايجوز مسها فى شئى من ذلك اه ثم المعانقة و التعانق فى المحبة و الاعتناق فى الحرب و نحوها على ما فى القاموس لكن يرد عليه ما ورد من أن الحسن جاءه صلى‌الله‌عليه وسلم يسعى حتى اعتنق كل واحد منهما صاحبه وكان المناسب أن يذكر التقبيل أيضا فى عنوان الباب لما ورد فى بعض أحاديثه

★ (الفصل الاول) ★ (عن قتادة) رضى‌الله عنه من أكابر التابعين (قال قلت لانس أكانت المصافحة فى أصحاب رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم) أى ثابتة و موجودة فيهم حال ملاقاتهم بعد السلام زيادة للمودة و الاكرام (قال نعم رواه البخارى ★ و عن أبى هريرة رضى‌الله عنه قال قبل) بتشديد الموحدة (رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم الحسن بن على و عنده الاقرع بن حابس) قال المؤلف تميمى وفد على النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم بعد فتح مكة مع وفد بنى تميم وكان من المؤلفة قلوبهم وكان شريفا فى الجاهلية و الاسلام استعمله عبدالله بن عامر على جيش العدة على خراسان و أصيب هو و الحسن

فقال الاقرع ان لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا فنظر اليه رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ثم قال من لايرحم لايرحم متفق عليه و سنذكر حديث أبى هريرة أثم لكع فى باب مناقب أهل بيت النبى صلى الله‌عليه‌وسلم و عليهم أجمعين ان شاء الله تعالى و ذكر حديث أم هانىء فى باب الامان

★ (الفصل الثانى) ★ عن البراء بن عازب قال قال النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل أن يتفرقا رواه أحمد و الترمذى و ابن ماجه و فى رواية أبى داود قال اذا التقى المسلمان فتصافحا و حمد الله و استغفراه غفر لهما

الجوزجانى روى عنه جابر و أبوهريرة (فقال الاقرع ان لى عشرة من الولد) بفتحتين و يجوز ضم أوله و سكون ثانيه بمعنى الاولاد (ما قبلت منهم أحدا) أى فى مدة عمرى أبدا (فنظر اليه رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم) أى نظر تعجب أو نظر غضب (ثم قال من‌لايرحم لايرحم) بسكون الميم و فى نسخة بضمها فيهما قال الطيبى يجوز فيه الجزم و الرفع على ان من موصولة أو شرطية و لعل وضع الرحمة فى الاول للمشاكلة فان المعنى من لم‌يشفق على الاولاد لايرحمه الله تعالى أو أتى بالعام لتدخل الشفقة أوليا اه و الثانى أتم و فائدته أعم و لهذا حذف المفعول ليذهب الفهم كل المذهب فهو بالاعتبار أقرب و أنسب قال النووى تقبيل الرجل خد ولده الصغير واجب و كذا غير خده من أطرافه و نحوها على وجه الشفقة و الرحمة و اللطف و محبة القرابة سنة سواء كان الولد ذكرا أو أنثى و كذا قبلة ولد صديقه و غيره من صغار الاطفال على هذا الوجه و أما التقبيل بالشهوة فحرام بالاتفاق و سواء فى ذلك الوالد و غيره اه و كون تقبيل الرجل خد ولده الصغير واجبا يحتاج الى حديث صريح أو قياس صحيح (متفق عليه) و فى الجامع الصغير حديث من لايرحم لايرحم أخرجه أحمد و الشيخان و الترمذى عن أبى هريرة و ابن ماجه عن جرير و فى رواية لاحمد و الشيخين و الترمذى عن جرير و لاحمد و الترمذى أيضا عن أبى سعيد بلفظ من لايرحم الناس لايرحمه الله و رواه الطبرانى عن جرير و لفظه من لايرحم من فى الارض لايرحمه من فى السماء و فى رواية لاحمد عن جرير من لايرحم لايرحم و من لايغفر لايغفر له و زاد الطبرانى عن جرير و من لايتب لايتب عليه اه فهذه الرواية نص على ان من فى الحديث شرطية جازمة قال المؤلف (و سنذكر حديث أبى هريرة رضى‌الله عنه أثم) بفتح المثلثة و شد الميم أى أهناك (لكع) بضم لام و فتح كاف غير منصرف و قد ينصرف و هو الصبى و يعنى به حسنا فلم‌يلبث أن جاء يسعى حتى اعتنق كل واحد منهما صاحبه الحديث (فى مناقب أهل بيت النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم وعليهم أجمعين ان شاء الله تعالى) متعلق بقوله سنذكر (وذكر حديث أم هانىء فى باب الامان) و فى حديثها انه صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال لها مرحبا بأم هانىء ففيه ان الترحيب سنة للقادم وغيره

★ (الفصل الثانى) ★ (عن البراء بن عازب رضى‌الله عنهما) صحابيان جليلان (قال قال النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم ما من مسلمين) من مزيدة لمزيد الاستغراق (يلتقيان) أى يتلاقيان (فيتصافحان) أى بعد سلام أحدهما على الآخر (الا غفر لهما قبل أن يتفرقا) أى بالابدان و بالفراغ عن المصافحة و هو أظهر فى ارادة المبالغة (رواه أحمد و الترمذى و ابن ماجه) و كذا أبوداود و الضياء كذا فى الجامع الصغير فقول المؤلف (و فى رواية أبى داود) معناه فى رواية له (قال) أى النبى صلى‌الله‌عليه وسلم (اذا التقى المسلمان فتصافحا و حمدا الله) أى أثنيا عليه أو شكراه على نعمائه (و استغفراه) أى طلبا مغفرة الذنوب من مولاهما (غفرلهما) بصيغة المجهول و فى نسخة على بناء الفاعل فما فى هذا الحديث من الزيادة يحتمل أن يكون لحصول أصل المغفرة المستفاد من الاول أو افادة لكمالها

★ و عن أنس قال قال رجل يا رسول‌الله الرجل منا يلقى أخاه أو صديقه أينحنى له قال لا قال أفيلتزمه و يقبله قال لا قال أفيأخذ بيده و يصافحه قال نعم رواه الترمذى ★ و عن أبى أمامة أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال تمام عيادة المريض أن يضع أحدكم يده على جبهته أو على يده فيسأله كيف هو و تمام تحياتكم بينكم المصافحة رواه أحمد و الترمذى و ضعفه ★ وعن عائشة قالت قدم زيد بن حارثة المدينة و رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فى بيتى فأتاه فقرع الباب فقام اليه رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم عريانا يجر ثوبه و الله ما رأيته عريانا قبله

بأن تكون مستوعبة لجميع ذنوبهما و روى الحكيم الترمذى و أبو الشيخ عن عمر رضى‌الله عنه مرفوعا اذا التقى المسلمان فسلم أحدهما على صاحبه كان أحبهما الى الله أحسنهما بشرا بصاحبه فاذا تصافحا انزل الله عليهما مائة رحمة للبادئ تسعون و للمصافح عشرة ★ (و عن أنس رضى‌الله عنه قال قال رجل يا رسول‌الله الرجل منا) أى من المسلمين أو من العرب (يلقى أخاه) أى المسلم أو أحدا من قومه فانه يقال له أخو العرب (أو صديقه) أى حبيبه و هو أخص مما قبله (أينحنى له) من الانحناء و هو أمالة الرأس و الظهر تواضعا و خدمة . (قال لا) أى فانه فى معنى الركوع و هو كالسجود من عبادة الله سبحانه (قال أفيلتزمه) أى يعتنقه (و يقبله قال لا) استدل بهذا الحديث من كره المعانقة و التقبيل و قيل لايكره التقبيل لزهد و علم و كبر سن قال النووى تقبيل يد الغير ان كان لعلمه و صيانته و زهده و ديانته و نحو ذلك من الامور الدينية لم يكره بل يستحب و ان كان لغناه أو جاهه فى دنياه كره و قيل حرام اه و قيل الحرام ما كان على وجه التملق و التعظيم و أما الماذون فيه فعند التوديع و القدوم من السفر و طول العهد بالصاحب و شدة الحب فى الله مع أمن النفس و قيل لايقبل الفم بل اليد و الجبهة و فى شرح مسلم للنووى حنى الظهر مكروه للحديث الصحيح فى النهى عنه و لاتعتبر كثرة من يفعله ممن ينسب الى علم و صلاح و المعانقة و تقبيل الوجه لغير القادم من سفر و نحوه مكروهان صرح به البغوى و غيره للحديث الصحيح فى النهى عنهما كراهة تنزيه (قال أفيأخذ بيده و يصافحه) عطف تفسير أو الثانى أخص و أتم (قال نعم رواه الترمذى ★ و عن أبى أمامة رضى الله عنه) أى الباهلى (أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال تمام عيادة المريض) أى كمالها (أن يضع أحدكم يده على جبهته أو على يده) أى يفعل أحدهما فاو للتنويع لا للشك (فيسأله) بالنصب و هو يحتمل أن يكون معناه فيسأله نفسه أو يسال عنه أهله و يؤيده قوله (كيف هو) أى كيف حاله أو مرضه (و تمام تحياتكم) جمع التحية و جمع أشعارا بأنواعها فى الهناء و العزاء و غيرهما (بينكم) أى الواقعة فيما بينكم (المصافحة) قال الطيبى يعنى لا مزيد على هذين فلو زدتم على هذا دخل فى التكلف و هو بيان لقصد الامور لانه نهى عن الزيادة و النقصان قلت الظاهر ان كمال الامرين يحصل بهذين الفعلين و لادلالة على انه لامزيد عليهما و ان الزائد يعد من التكلف فيهما بل المراد ان هذا أدنى الكمال فى كل منهما و الله أعلم (رواه أحمد و الترمذى و ضعفه) و فى الجامع الصغير بلفظ من تمام الخ و فى رواية للترمذى عن ابن مسعود من تمام التحية الاخذ باليد ★ (و عن عائشة رضى‌الله عنها قالت قدم زيد بن حارثة المدينة) أى من غزوة أو سفر (و رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فى بيتى) الجملة معترضة حالية (فاتاه) أى فجاء زيد فقرع الباب أى قرعا متعارفا له أومقرونا بالسلام والاستئذان (فقام اليه) أى متوجها اليه (رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم عريانا يجر ثوبه) أى ردائه من كمال فرحه بقدومه و ماتاه قال شارح أى كان ساترا ما بين سرته و ركبته و لكن سقط رداؤه عن عاتقه فكان

و لابعده فاعتنقه و قبله رواه الترمذی ★ و عن أیوب بن بشیر عن رجل من عنزة انه قال قلت لابی ذر هل کان رسول الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم یصافحکم اذا لقیتموه قال ما لقیته قط الا صافحنی و بعث الی ذات یوم و لم أکن فی أهلی فلما جئت أخبرت فأتیته و هو علی سریر فالتزمنی فکانت تلک أجود و أجود رواه أبوداود ★ و عن عکرمة بن أبی جهل قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم یوم جئته مرحبا بالراکب المهاجر رواه الترمذی

ما فوق سرته عریانا (و الله ما رأیته عریانا) أی یستقبل أحدا (قبله) أی قبل ذلک الیوم و فی نسخة لا قبله (و لابعده) أی بعد ذلک الیوم (فاعتنقه و قبله) قال شارح ان قیل کیف تحلف أم المؤمنین علی انها لم تره عریانا قبله و لابعده مع طول الصحبة و کثرة الاجتماع فی لحاف واحد قیل لعلها ارادت عریانا استقبل رجلا و اعتنقه فاختصرت الکلام لدلالة الحال أو عریانا مثل ذلک العری و اختار لقاضی الاول و قال الطیبی هذا هو الوجه لما یشم من سیاق کلامها رائحة الفرح و الاستبشار بقدومه و تعجیله للقائه بحیث لم‌یتمکن من تمام التردی بالرداء حتی جره و کثیرا ما یقع مثل هذا و الله أعلم رواه الترمذی ★ و عن أیوب بن بشیر رضی‌الله عنه) بضم الموحدة و فتح معجمة و سکون تحتیة راء لم‌یذکره المؤلف فی أسمائه (عن رجل من عنزة) بعین مهملة فنون فزای مفتوحات قبیلة شهیرة (انه) أی الرجل (قال قلت لابی‌ذر هل کان رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم یصافحکم) أی یقبل مصافحتکم و انما قلنا هذا لانه یبعد أن یراد انه صلی‌الله‌علیه‌وسلم کان مبادئا للمصافحة علی ما هو مقتضی باب المفاعلة لاغالبا و لادائما مستمرا (قال) أی أبو ذر (ما لقیته قط الا صافحنی و بعث الی) أی الی طلبی (ذات یوم و لم أکن فی أهلی فلما جئت) أی رجعت الی أهلی (أخبرت) بصیغة المجهول (فأتیته و هو علی سریر) قال ابن الملک قد یعبر بالسریر عن الملک و النعمة فالسریر هنا یجوز أن یکون المراد به ملک النبوة و نعمتها و قیل هو السریر من جرید النخل یتخذه کل أحد من أهل المدینة و أهل مصر للنوم فیه و توقیا من الهوام اه و المعتمد ما قیل کما لایخفی (فالتزمنی) أی فعانقنی و لما کان الالتزام بمعنی المعانقة قال (فکانت تلک) أی المعانقة و قیل الالتزام لان المصدر یستوی فیه المذکر و المؤنث (أجود) أی من المصافحة فی أفاضة الروح و الراحة أو أحسن من کل شئ و ینصره غدم ذکر متعلق أفعل لیعم و یؤیده تأکیده مکررا بقوله (و أجود) قال الطیبی الواو للتعاقب بمنزلة الفاء فی قولهم الامثل فالامثل اه و فیه بحث ظاهر فان الواو هنا عاطفة لتأکید نسبة الاسناد بخلاف الفاء فی الامثل فانه للتعقیب الرتبی فی الامر الاضافی ثم الاجود أن یقال التقدیر تلک أجود من المصافحة و أجود من کل شئ و الله أعلم (رواه أبوداود ★ و عن عکرمة) رضی‌الله عنه صحابی جلیل حسن اسلامه بحیث کان اذا فتح المصحف یقول هذا کلام ربی و یغشی علیه (ابن أبی جهل) أی فرعون هذه الامة کان یکنی أبا الحکم فکناه النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم أباجهل فغلبت علیه هذه الکنیة و أغرب المصنف حیث ذکره فی التابعین و کان صلی‌الله‌علیه‌وسلم اذا رأی عکرمة یقول یخرج الحی من المیت (قال) أی عکرمة (قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم یوم جئته) ای عام الفتح و زاد مالک فی الموطأ فلما رآه رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم وثب الیه فرحا و ما علیه رداء حتی بایعه (مرحبا) مقول القول أی جئت مرحبا أی موضعا واسعا و الاظهر رحب مرحبا (بالراکب المهاجر) أی الی الله و رسوله أو من دار الحرب الی دار الاسلام و فیه اشعار بأن قوله صلی‌الله‌علیه‌وسلم لاهجرة بعد الفتح أی من مکة لانها صارت دار الاسلام بخلاف ما قبل الفتح فان الهجرة کانت واجبة بل شرطا وأما الهجرة

★ وعن أسيد بن حضير رجل من الانصار قال بينما هو يحدث القوم وكان فيه مزاح بينا يضحكهم فطعنه النبي صلى الله عليه وسلم فى خاصرته بعود فقال اصبرنى

من دار الكفر الى دار الاسلام فوجوبها باق الى يوم القيامة قال المؤلف هو عكرمة بن أبى جهل و أسم أبى جهل عمرو بن هشام المخزومى القرشى كان شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو و أبوه و كان فارسا مشهورا و هرب يوم الفتح باليمن فلحقت به امرأته أم حكيم بنت الحارث فأتت به النبى صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال مرحبا بالراكب المهاجر فأسلم بعد الفتح سنة ثمان و حسن اسلامه و قتل يوم اليرموك فى زمن عمر قالت أم سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت لابى جهل عذقا فى الجنة فلما أسلم عكرمة قال يا أم سلمة هذا هو قالت و شكا عكرمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اذا مر بالمدينة قالوا هذا ابن عدو الله أبى جهل فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فحمد الله و أثنى عليه و قال الناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا (رواه الترمذى.

★ وعن أسيد بن حضير رضى الله عنه) بالتصغير فيهما أنصارى أوسى كان ممن شهد العقبة و شهد بدرا و ما بعدها من المشاهد روى عنه جماعة من الصحابة مات بالمدينة سنة عشرين و دفن بالبقيع (رجل) بالرفع و فى نسخة بالجر قال الاشرف فى لفظ هذا الحديث فى المصابيح اضطراب و جامع الاصول ينبىء عنه و هو فيه هكذا عن أسيد بن حضير قال ان رجلا من الانصار كان فيه مزاح فبينما هو يحدث القوم يضحكهم اذا طعنه النبى صلى الله عليه وسلم بعود كان فى يده قال يا رسول الله اصبرنى قال اصطبر الخ فليس المراد بقوله رجل من الانصار هو أسيد بن حضير فلا يجوز جر رجل بل هو مرفوع على أنه مبتدأ و مخصصه قوله (من الانصار) و خبره قوله (قال) مع فاعله المستكن فيه (و بينا) ظرف لقال قلت و ضمير (هو يحدث القوم) للرجل و كذا بقية الضمائر من قوله (و كان فيه مزاح) الخ و المزاح بالضم فى أكثر النسخ و فى بعضها بالكسر قال بعض الشراح هو بضم الميم اسم المزاح بالكسر و هو المصدر و قال الجوهرى المزاح بالضم الاسم و أما المزاح بالكسر فهو مصدر مازحه و المفهوم من القاموس انهما مصدران الا ان الضم مصدر المجرد و الكسر مصدر المزيد هذا و قال الاشرف والضمير فى قوله فيه للرجل و كان فيه مزاح جملة حالية من ضمير يحدث وقعت بين قوله يحدث القوم و بين قوله يضحكهم قلت و فى المتن (بينا يضحكهم) قال و قوله بينا مع ما بعده مقول لقال و بينا ظرف لقوله طعنه أو لمحذوف دل عليه الفعل الظاهر و التقدير بينا يضحكهم فاضحكهم (فطعنه النبى صلى الله عليه وسلم) عطف على قوله يضحكهم اه كلام الاشرف فى شرح الحديث على ما فى جامع الاصول قال الطيبى الحديث على ما هو فى المتن و المصابيح مثبت فى سنن ابى داود و فى نسخة يعتمد عليها فبقى أن يقال ان الرجل الذى طعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خاصرته هل هو أسيد بن حضير أو غيره فعلى ما فى جامع الاصول هو غيره و على ما فى شرح السنة انه هو و لفظه هكذا عن عبدالرحمن بن أبى ليلى عن أسيد بن حضير بينما هو يحدث القوم يضحكهم و كان فيه مزاح فطعنه النبى صلى الله عليه وسلم و كان أسيد بن حضير من نقباء الانصار و تنزيل الحديث على هذه الرواية أسهل و أبعد من التكلف من تلك الرواية و ما قيل ان قال خبر و بينما ظرف له خارج عن المراد فقوله رجل مجرور بدلا من أسيد و قال قول الراوى أى قال الراوى و هو عبدالرحمن بينما أسيد يحدث الخ و لو كان القائل أسيدا لقال فبينما أنا و بينا الثانية بدل منها و قوله فطعنه هو الجواب اه كلامه و المعنى فضربه صلى الله عليه وسلم على طريق المزاح (فى خاصرته) أى شاكلته (بعود) أى بخشب من عصا أو غيرها (فقال اصبرنى)

قال أصطبر قال ان عليك قميصا و ليس على قميص . فرفع النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم عن قميصه فاحتضنه و جعل يقبل كشحه فقال انما أردت هذا يا رسول‌الله رواه أبوداود ★ و عن الشعبي ان النبي صلى‌الله عليه‌وسلم تلقى جعفر بن أبي‌طالب فالتزمه و قبل ما بين عينيه رواه أبوداود و البيهقي فى شعب الايمان مرسلا و فى بعض نسخ المصابيح و فى شرح السنة عن البياضي متصلا ★ و عن جعفر بن أبي‌طالب فى قصة رجوعه من أرض الحبشة قال فخرجنا حتى أتينا المدينة فتلقانى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فاعتنقنى ثم قال ما أدرى أنا بفتح خيبر أفرح أم بقدوم جعفر

بفتح الهمزة و كسر الموحدة أى أقدرنى و مكنى من استيفاء القصاص حتى أطعن فى خاصرتك كما طعنت فى خاصرتى (قال أصطبر) بصيغة المتكلم أى أمكنك من القصاص و اقتص من نفسى و فى نسخة صحيحة بل قيل هى الاصح اصطبر بصيغة الامر أى استوف القصاص و الاصطبار الاقتصاص ذكره شارح و فى النهاية قوله اصبرنى أى أقدنى من نفسك قال ستقد يقال اصبر فلان من خصمه و أصطبر أى اقتص منه و أصبره الحاكم أى أقصه من خصمه قال صاحب الفائق و أصله الحبس حتى يقتل و اصبره القاضى صبارا أقصه و اصطبر أى اقتص (قال ان عليك قميصا و ليس على قميص) حكاية الحال الماضية و من الظاهر ان يقال و لم يكن على قميص (فرفع النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم عن قميصه) عداه بعن لتضمينه معنى كشف أى كشف عما ستره قميصه فرفعه عنه ذكره الطيبي و نحوه قوله تعالى و كشفت عن ساقيها (فاحتضنه) أى أعتنقه و أخذه فى حضنه وهو ما دون الابط الى الكشح (وجعل يقبل كشحه) أى جنبه قال الشارح و تبعه ابن الملك هو ما بين الخاصرة الى الضلع الاقصر من أضلاع الجنب (قال انما أردت هذا يا رسول‌الله) أى ما أردت بقولى اصبرنى الا هذا التقبيل و ما قصدت حقيقة القصاص أقول و هذا لاعماثلة فان هذا أعلى و أغلى مع ان له بطعنه أيضا من الدرجات العلى ما ينسى فى جنبه جميع نعيم الدنيا قال الطيبي و فيه اشعار باباحة المزاح اذا لم يكن فيه محذور شرعا و باستماعه أيضا قلت الظاهر أن المزاح بشرطه من باب الاستحباب لانه معدود فى شمائله و فيه أحاديث موضوعة لهذا الباب قال و بان الانبساط مع الوضيع من شيم الشريف قلت هذا غير مناسب لما اختاره من أن المازح هو أسيد ابن حضير فانه من أجلاء الصحابة و نقباء الانصار (رواه أبوداود ★ و عن الشعبي) بفتح شين معجمة و عين مهملة فموحدة فياء نسبة الى قبيلة كذا فى جامع الاصول و فى القاموس الشعب كالمنع القبيلة العظيمة و هو تابعى جليل قال المؤلف هو عامر بن شرحبيل الكوفى أحد الاعلام ولد فى خلافة عمر رضى‌الله تعالى عنه روى عن خلق كثير و روى عنه أمم قال أدركت خمسمائة من الصحابة و قال ما كتبت سوداء فى بيضاء قط و لاحدثت بحديث الا حفظته قال ابن عيينة كان ابن عباس فى زمانه و الشعبى فى زمانه و الثورى فى زمانه و قال الزهرى العلماء أربع ابن المسيب بالمدينة والشعبي بالكوفة والحسن البصرى بالبصرة و مكحول بالشام مات سنة أربع و مائة و له اثنتان و ثمانون سنة (أن النبي صلى‌الله عليه‌وسلم تلقى جعفر بن أبي‌طالب) أى استقبله حين قدم من السفر (فالتزمه) أى أعتنقه (و قبل ما بين عينيه رواه أبوداود والبيهقى فى شعب الايمان مرسلا و فى بعض نسخ المصابيح و فى شرح السنة) أى أيضا (عن البياضي) بفتح الموحدة و تخفيف تحتية و اعجام ضاد (متصلا) قيل البياضى منسوب الى بياضة بن عامر بن زريق و البياضى بلاتسمية مطلقا هو عبدالله بن جابر و قال المؤلف فى أسمائه البياضى منسوب الى بياضة واسمه عبدالله بن جابر الانصارى صحابى ★ (وعن جعفر بن أبي‌طالب فى قصة رجوعه من أرض الحبشة قال) أى جعفر (فخرجنا) أى من الحبشة (حتى أتينا المدينة فتلقانى رسول‌الله

و وافق ذلک فتح خیبر رواه فی شرح السنة ★ وعن زارع وکان فی وفد عبد القیس قال لما قدمنا المدینة فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل ید رسول الله صلی الله علیه وسلم و رجله رواه أبوداود ★ و عن عائشة قالت ما رأیت احدا کان أشبه سمتا و هدیا و دلا و فی روایة حدیثا و کلاما برسول الله صلی الله علیه وسلم من فاطمة کانت اذا دخلت علیه قام الیها فاخذ بیدها فقبلها و أجلسها فی مجلسه و کان اذا دخل علیها قامت الیه فاخذت بیده فقبلته و أجلسته فی مجلسها رواه أبوداود ★ و عن البراء قال دخلت مع أبی بکر أول ما قدم المدینة فاذا عائشة ابنته مضطجعة قد أصابها حمی فأتاها أبوبکر فقال کیف أنت یا بنیة و قبل خدها رواه أبوداود ★ و عن عائشة ان النبی صلی الله علیه وسلم أتی بصبی فقبله فقال أما انهم

صلی الله علیه وسلم فاعتنقنی ثم قال ماأدری أنابفتح خیبر أفرح أم بقدوم جعفر) الظاهر أن أفرح أفعل تفضیل خبر أنا و یحتمل أن یکون أنا تأکیدا لضمیر أدری و أفرح فعل مضارع متکلم و المعنی انه تعدد سبب فرحی فما أدری الا حظ هذا أو ذاک فکان کل واحد لاستقلال کونه سببا للفرح لایجتمع مع غیره من أسباب الفرح و قال الطیبی هذا الاسلوب من باب الذهاب الی التشابه من التشبیه مبالغة فی الحاق الناقص بالکامل اه فجعل قدوم جعفر ناقصا بالنسبة الی فتح خیبر ففیه نظر لامکان التساوی فتدبر (و وافق ذلک) أی قدوم جعفر (فتح خیبر رواه) أی البغوی (فی شرح السنة) أی باسناده ★ (و عن زارع رضی الله عنه) بزای ثم راء مکسورة و أغرب شارح و قال هو اسم رجل وقال المؤلف هو زارع بن عامر بن عبدالقیس وفد علی النبی صلی الله علیه وسلم فی وفد عبدالقیس عداده فی البصریین و حدیثه فیهم (و کان) أی زارع (فی وفد عبدالقیس) أی فیما بینهم و من جملتهم (قال) أی زارع (لما قدمنا المدینة فجعلنا نتبادر) أی فی النزول من رواحلنا (فنقبل ید رسول الله صلی الله علیه وسلم ورجله رواه أبوداود ★ و عن عائشة رضی الله تعالی عنها قالت ما رأیت أحدا کان أشبه سمتا) أی هیئة و طریقة کانت علیها من السکینة و الوقار قال شارح السمت فی الاصل القصد و المراد به هیئة أهل الخیر و التزیی بزی الصالحین (و هدیا) أی سیرة و طریقة یقال فلان حسن الهدی أی حسن المذهب فی الامور کلها (و دلا) بفتح دال و تشدید لام فسره الراغب بحسن الشمائل و أصله من دل المرأة و هو شکلها و ما یستحسن منها و الکل ألفاظ متقاربة قال التوربشتی کانها أشارت بالسمت الی ما یری علی الانسان من الخشوع و التواضع لله و بالهدی ما یتحلی به من السکینة و الوقار و الی ما یسلکه من المنهج المرضی و بالدل حسن الخلق و لطف الحدیث (و فی روایة حدیثا و کلاما) أی أشبه تحدثا و منطقا (برسول الله صلی الله علیه وسلم من فاطمة کانت) أی فاطمة (اذا دخلت علیه قام الیها) أی مستقبلا و متوجها (فأخذ بیدها فقبلها) أی بین عینیها أو رأسها و الاظهر الاول لما رواه ابن عدی و البیهقی عن ابن عباس مرفوعا من قبل بین عینی أمه کان له سترا من النار فکانه صلی الله علیه وسلم نزلها منزلة أمه تعظیما لها (و أجلسها فی مجلسه) أی تکریما لما أتاها (و کان اذا دخل علیها قامت الیه فأخذت بیده فقبلته) أی عضوا من أعضائه الشریفة و الظاهر انه الید المنیفة (و أجلسته فی مجلسها) أی موضعها المهیأ للکرامة (رواه أبوداود ★ و عن البراء) أی ابن عازب رضی الله عنهما (قال دخلت مع أبی بکر أول ما قدم المدینة) أی من غزوة (فاذا عائشة ابنته مضطجعة قد أصابها حمی) بضم الخاء و تشدید المیم مقصورا (فأتاها أبو بکر فقال کیف أنت یا بنیة) تصغیر بنت للشفقة (و قبل خدها) أی للمرحمة و المودة أو مراعاة للسنة (رواه أبوداود ★ و عن عائشة رضی الله تعالی عنها ان النبی صلی الله علیه وسلم أتی بصبی) ای جیء الیه (فقبله فقال أما) بفتح الهمزة

مبخلة مجبنة و انهم لمن ريحان الله رواه فى شرح السنة .

★ (الفصل الثالث) ★ عن يعلى قال ان حسنا و حسينا استبقا الى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فضمهما اليه و قال ان الولد مبخلة مجبنة رواه أحمد ★ و عن عطاء الخراسانى ان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال تصافحوا يذهب الغل

و تخفيف الميم للتنبيه (انهم) أى الاولاد بقرينة المقام و تقدم ذكر الصبى (مبخلة) بفتح الميم و سكون الموحدة أى مسبب و محصل للبخل ففى النهاية المبخلة مفعلة من البخل و مظنة له أى يحمل أبويه على البخل و يدعوهما اليه فيبخلان بالمال لاجله (مجبنة) بفتح ميم وسكون جيم و فتح موحدة أى باعث على الجبن و هذا يدل على كمال محبتهم و غاية مودتهم حتى يختار أكثر الناس حبهم على محامد المحاسن الرضية و الامور المامور بها فى الشريعة الحنيفية النافعة لهم فى القضايا الدينية و الدنيوية و فى الفائق معناه ان الولد موقع أباه فى الجبن خوفا من ان يقتل فى الحرب فيضيع ولده بعده و فى البخل ابقاء على ماله له و الواو فى قوله (و انهم) للحال كانه قال مع انهم (لمن ريحان الله) أى من رزق الله يقال سبحان الله و ريحانه أى أسبح له و استرزقه و هو مخفف عن ريحان فيعلان من الروح لان انتعاشه بالرزق و يجوز ان يراد بالريحان المشموم لان الشمامات تسمى ريحانا و يقال حباه بطاقة نرجس و بطاقة ريحان فيكون المعنى و انهم مما أكرم الله به الاناسى و حباهم به أو لانهم يشمون و يقبلون فكانهم من جملة الرياحين التى أنبتها الله و قال شارح أى من رزق الله أو من الطيب الذى طيب الله به قلوب الآباء و الريحان الرزق و أيضا نبت طيب الريح و قال الطيبى قوله أما انهم الخ تذييل للكلام السابق و لذلك جمع الضمير الراجع الى الصبى ليعقب الحكم الخاص بالعام و يؤكده فيدخل فيه دخولا أوليا و قوله و انهم لمن ريحان الله من باب الرجوع ذمهم أولا ثم رجع منه الى المدح قلت بل نبه أولا على ما قد يترتب على وجودهم من الامور المذمومة احتراسا عنها ثم مدحهم بانهم مع ذلك راحة للروح و بيان للرزق و الفتوح و بقاء معنوى و نظام دنيوى و أخروى و لذا قيل الولد ان عاش نفع و ان مات شفع و قد روى الحكيم الترمذى عن خولة بنت حكيم مرفوعا الولد من ريحان الجنة و روى أبو يعلى عن أبى‌سعيد مرفوعا الولد ثمر القلب و انه مجبنة مبخلة محزنة (رواه) أى البغوى (فى شرح السنة) أى باسناده

★ (الفصل الثالث) ★ (عن يعلى رضى‌الله تعالى عنه) مضارع على قال المؤلف هو يعلى بن أمية أسلم يوم الفتح و شهد حنينا و الطائف و تبوك روى عنه ابنه صفوان و عطاء و مجاهد و غيرهم قتل بصفين مع على بن أبى‌طالب (قال ان حسنا و حسينا استبقا) أى تبادرا و تسابقا (الى رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم فضمهما اليه و قال ان الولد مبخلة مجبنة) قال الطيبى هما هنا كنايتان عن المحبة على ما يقتضيه المقام فيكون مدحا و ان كان فى الحديث السابق كناية عن الذم اه و هو غريب و الصواب ما قدمنا و انما ذكرهما هنا لانهما يدلان على كمال المحبة الطبيعية و المودة العادية المورثة للبخل و الجبن لمن لم‌يكن كاملا فى المرتبة العبودية و ما يقتضيها من تقدم محبة مرضاة الرب على ما سواه لانه هو المحبوب الحقيقى و ما سواه مطلوب اضافى و قد سبق فى صدر الكتاب حديث متفق عليه لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده و ولده و الناس أجمعين (رواه أحمد) و كذا ابن ماجه و روى الحاكم عن الاسود بن خلف و الطبرانى عن خولة بنت حكيم و لفظهما ان الولد مبخلة مجبنة مجهلة محزنة ★ و عن عطاء الخراسانى) تابعى جليل قال المؤلف هو عطاء بن عبدالله سكن الشام روى

و تهادوا تحابوا و تذهب الشحناء رواه مالک مرسلا ★ و عن البراء بن عازب قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم من صلی أربعا قبل الهاجرة فكانما صلاهن فی ليلة القدر و المسلمان اذا تصافحا لم‌يبق بينهما ذنب الا سقط رواه البيهقی فی شعب الايمان

★ (باب القيام) ★ (الفصل الاول) ★ عن أبی سعيد الخدری قال لما نزلت بنوقريظة علی حكم سعد بعث رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم اليه و كان قريبا منه فجاء علی حمار فلما دنا من المسجد قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم للانصار

عنه مالک بن أنس و معمر بن راشد (ان رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم قال تصافحوا يذهب) بفتحتين و فی نسخة بضم أوله و كسر الهاء فقوله (الغل) مرفوع بالفاعلية على الاول منصوب بالمفعولية على الثانی و فاعله ضمير راجع الی التصافح الدال عليه تصافحوا و هو بكسر الغين و تشديد اللام بمعنی الحقد (و تهادوا) بفتح التاء و الدال المخففة أمر من التهادی (تحابوا) بفتح التاء و ضم الموحدة المتشددة من التحابب من باب التفاعل علی انه مضارع مجزوم علی جواب الامر حذف منه أحدی التائين (و تذهب) بالضبطين السابقين لكنه هنا مجزوم بالعطف علی ما قبله و حرك بالكسر للالتقاء و قوله (الشحناء) بفتح أوله العداوة المشحون بها القلب (رواه مالک مرسلا) و قد روی ابن عدی عن ابن عمر مرفوعا تصافحوا يذهب الغل عن قلوبكم و روی أبويعلی عن أبی‌هريرة مرفوعا تهادوا تحابوا و زاد ابن عساكر عنه و تصافحوا يذهب الغل عنكم و فی رواية لابن عساكر عن عائشة بلفظ تهادوا تزدادوا حبا و هاجروا تورثوا أبناءكم مجدا و أقيلوا الكرام عثراتهم و روی أحمد و الترمذی عن أبی‌هريرة رضی‌الله‌عنه تهادوا ان الهدية تذهب وحر الصدر و لاتحقرن جارة لجارتها و لو شق فرسن شاة و فی رواية لابن عدی عن ابن عباس تهادوا الطعام بينكم فان ذلک توسعة لارزاقكم و روی الطبرانی عن أم‌حكيم بنت وداع تهادوا فان الهدية تضعف الحب و تذهب بغوائل الصدور و روی البيهقی عن أنس تهادوا فان الهدية تذهب بالسخيمة و لو دعيت الی كراع لاجبت و لو أهدی الی كراع لقبلت ★ (و عن البرا بن عازب رضی‌الله‌عنه قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم من صلی أربعا) أی صلاة الضحی لقوله (قبل الهاجرة) أی قبل نصف النهار وهو وقت أشتداد الحر و قد يعبر بها عن الظهيرة (فكانما صلاهن فی ليلة القدر) لانه عبد ربه تطوعا مع تحمل مشقة شدة الحر فی وقت الغفلة و زمان الاستراحة (و المسلمان اذا تصافحا لم‌يبق بينهما ذنب) أی غل و شحناء علی ما سبق فی الحديث (الا سقط) أی ذلک الذنب قال الطيبی وضع الذنب موضعهما لانه مسبب عنهما (رواه البيهقی فی شعب الايمان)

★ (باب القيام) ★ (الفصل الاول) ★ (عن أبی سعيد الخدری رضی‌الله‌عنه قال لما نزلت بنوقريظة) بالتصغير وهم جماعة من اليهود (علی حكم سعد) أی ابن معاذ لكونهم من حلفاء قومه و فی المغرب المراد بالسعدين فی اصطلاح المحدثين اذا أطلقا سعد بن عبادة و سعد بن معاذ اه و قدتقدمت ترجمته (بعث) أی رسولا (رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم) أی اليه كما فی نسخه صحيحة (و كان) أی سعد (قريبا منه) أی نازلا فی موضع قريب منه صلی‌الله‌علیه‌وسلم (فجاء علی حمار) أی راكبا عليه لعذر (فلما دنا) أی قرب (من المسجد) أی المصلی ذكره ابن الملک و قال ميرک قيل أن المسجد هنا وهم فانه صلی‌الله‌علیه‌وسلم كان نازلا فی بنی‌قريظة الا أن يراد بالمسجد الذی صلی فيه صلی‌الله‌علیه‌وسلم مدة مقامه فيهم (قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم للانصار) أی مخاطبا لهم كلهم أو لقومه خاصة فانهم

قوموا الى سيدكم متفق عليه و مضى الحديث بطوله فى باب حكم الاسراء ★ و عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه و لكن تفسحوا و توسعوا

كانوا طائفتين (قوموا الى سيدكم) قيل أى لتعظيمه و يستدل به على عدم كراهته فيكون الامر للاباحة و لبيان الجواز و قيل معناه قوموا لاعانته فى النزول عن الحمار اذ كان به مرض و اثر جرح أصاب أكحله يوم الاحزاب و لو أراد تعظيمه لقال قوموا لسيدكم و مما يؤيده تخصيص الانصار و التنصيص على السيادة المضافة و ان الصحابة رضى الله عنهم ما كانوا يقومون له صلى الله عليه وسلم تعظيما له مع انه سيد الخلق لما يعلمون من كراهيته لذلك على ما سيأتى قال التوربشتى ليس هذا من القيام الذى يراد به التعظيم على ما كان يتعاهده الاعاجم فى شئى فكيف يجوز أن يأمر بما صح انه نهى عنه و عرف منه الى آخر العهد و انما كان سعد بن معاذ رضى الله عنه وجعا لما رمى فى أكحله مخوفا عليه من الحركة حذرا من سيلان العرق بالدم و قد أتى به يومئذ للحكم الذى سلمت اليه بنو قريظة اليه عند النزول على حكمه فأمرهم بالقيام اليه ليعينوه على النزول من الحمار و يرفقوا به فلا يصيبه ألم ولا يضطر الى حركة ينفجر منها العرق فكان معنى قوله قوموا اليه أى الى أعانته و نزوله من المركب و لو كان يريد به التوقير و التعظيم لقال قوموا لسيدكم و أما ما ذكر فى قيام النبى صلى الله عليه وسلم لعكرمة ابن أبى جهل عند قدومه عليه و ما روى عن عدى بن حاتم ما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قام الى أو تحرك فان ذلك مما لا يصح الاختجاج به لضعفه و المشهور عن عدى الا وسع لى و لو ثبت فالوجه فيه أن يحمل على الترخيص حيث يقتضيه الحال و قد كان عكرمة من رؤسا قريش و عدى كان سيد بنى طىء فرأى تاليفهما بذلك على الاسلام أو عرف من جانبهما تطلعا اليه على حسب ما يقتضيه حب الرياسة اه و الظاهر أن قيامه لعكرمة انما كان لكونه قادما مهاجرا كما سبق انه قال له مرحبا بالراكب المهاجر و قد تعقب الطيبى التوربشتى بان الى فى هذا المقام أفخم من اللام و أتى بما يرجع عليه الملام و خرج عن مقام المرام و قال بعض العلماء فى الحديث أكرام أهل الفضل من علم أو صلاح أو شرف بالقيام لهم اذا أقبلوا هكذا أحتج بالحديث جماهير العلماء و قال القاضى عياض القيام المنهى تمثلهم قياما طول جلوسه و قال النووى هذا القيام للقادم من أهل الفضل مستحب و قد جاءت أحاديث و لم يصح فى النهى عنه شئى صريح و قد جمعت كل ذلك مع كلام العلماء عليه فى جزء وأجبت فيه عما يوهم النهى عنه اه و تعقبه ابن الحاج المالكى فى مدخله و رد عليه ردا بليغا ثم أختلفوا فى الذين عناهم النبى صلى الله عليه وسلم بقوله قوموا الى سيدكم هل هم الانصار خاصة أم جميع من حضر من المهاجرين معهم قلت هذا وهم فانه مع صريح قوله للانصار قوموا كيف يتصور العموم الشامل للمهاجرين نعم يحتمل عموم الانصار و خصوص قومه منهم على ما قدمناه و الله أعلم و قال الامام حجة الاسلام القيام مكروه على سبيل الاعظام لا على سبيل الاكرام و لعله أراد بالاكرام القيام للتحية بمزيد المحبة كما تدل عليه المصافحة و بالاعظام التمثل له بالقيام و هو جالس على عادة الامراء الفخام و الله أعلم بكل حال و مقام (متفق عليه) و كذا رواه الإمام أبوداود و مضى الحديث بطوله فى باب حكم الاسراء ★ (و عن ابن عمر) رضى الله تعالى عنهما (عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يقيم الرجل الرجل) من الاقامة (من مجلسه) أى من مكانه الذى سبقه اليه من موضع مباح (ثم يجلس) أى المقيم (فيه) قيد واقعى غالبى (و لكن تفسحوا) أى ليفسح بعضكم عن بعض من قولهم فسح عنى أى تنح فقوله (و توسعوا) تأكيد و معناه لا تتضاموا بل يقرب بعضكم من بعض ليتسع المجلس

متفق عليه ★ و عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قام من مجلسه ثم رجع اليه فهو أحق به رواه مسلم

★ (الفصل الثانى) ★ عن أنس قال لم يكن شخص أحب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم و كانوا اذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك رواه الترمذى و قال هذا حديث حسن صحيح

★ و عن معاوية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره

قال تعالى يا أيها الذين أمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وقيل التقدير فى الحديث ولكن ليقل تفسحوا وتوسعوا قال النووى هذا النهى للتحريم فمن سبق الى موضع مباح من المسجد و غيره يوم الجمعة أو غيره لصلاة أو غيرها فهو أحق به و يحرم على غيره أقامته لهذا الحديث الا أن أصحابنا أستثنوا منه ما اذا ألف من المسجد موضعا يفتى به أو يقرئ قرآنا أو غيره من العلوم الشريعة فهو أحق به و ليس لاحد أن ينازعه فيه قلت و فيه بحث ظاهر لان مثل هذا التعليل هل يصلح لتخصيص العام المستفاد من النهى الصريح بالحديث الصحيح مع ما ورد من النهى عن أخذ مكان معين من المسجد لما يترتب عليه من الرياء المنافى للاخلاص و قد كان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما اذا قام له رجل عن مجلسه لم يجلس فيه (متفق عليه ★ و عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قام من مجلسه) أى مريدا للرجوع اليه قريبا (ثم رجع اليه) أى من قريب (فهو أحق به) و انما قيدنا بقرب الرجوع فان من أخذ مكانا فى عرفة أو منى مثلا و رجع اليه سنة أخرى فليس أحق بمن سبقه خلافا لما يتوهمه العامة قال ابن الملك أى من كان جالسا فى مجلس فقام منه ليتوضأ أو ليقضى شغلا يسيرا سواء ترك فيه خمرة و نحوها أولا فهو أحق به فاذا وجد فيه من عداه فله أن يقيمه لانه لم يبطل اختصاصه به اه و الظاهر أنه اذا لم يترك فيه شيأ بطل أختصاصه رجوعا للمباح الى أصله و يدل عليه ما سيأتى أنه صلى الله عليه وسلم اذا جلس فقام فاراد الرجوع نزع نعله الحديث و قد ذكر النووى ما سبق من غير تعميم و قال قال أصحابنا الحديث فيمن جلس الخ ثم قال و قال بعضهم هذا مستحب ولايجب والصواب الاول وانما يكون أحق به فى تلك الصلاة وحدها (رواه مسلم)

★ (الفصل الثانى) ★ (عن أنس رضى الله تعالى عنه قال لم يكن شخص أحب اليهم) أى الى الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين (من رسول الله صلى الله عليه وسلم و كانوا) أى جميعهم (اذا رأوه) أى مقبلا (لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك) أى لقيامهم تواضعا لربه و مخالفة لعادة المتكبرين و المتجبرين بل أختار الثبات على عادة العرب فى ترك التكلف فى قيامهم و جلوسهم و أكلهم و شربهم و لبسهم و مشيهم و سائر أفعالهم و أخلاقهم و لذا روى أنا و أتقياء أمتى براء من التكلف قال الطيبى و لعل الكراهية بسبب المحبة المقتضى للاتحاد الموجب لرفع التكلف و الحشمة و يدل عليه قوله لم يكن شخص أحب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم و قال الامام أبوحامد مهما تم الاتحاد خفت الحقوق بينهم مثل القيام و الاعتذار و الثناء فانها و ان كانت من حقوق الصحبة لكن فى ضمنها نوع من الاجنبية و التكلف فاذا تم الاتحاد انطوى بساط التكلف بالكلية فلايسلك به الا مسلك نفسه لان هذه الآداب الظاهرة عنوان الآداب الباطنة فاذا صفت القلوب بالمحبة أستغنت عن تكلف أظهار ما فيها و الحاصل أن القيام و تركه مختلف بحسب الازمان و الاشخاص و الاحوال و الله أعلم (رواه الترمذى و قال هذا حديث حسن صحيح ★ و عن معاوية رضى الله تعالى عنه) أى ابن أبى سفيان فانه المراد عند الاطلاق (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره) أى أعجبه و جعله مسرورا و لفظ الجامع

أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار رواه الترمذى و أبوداود ★ و عن أبى أمامة قال خرج رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم متكئا على عصا فقمنا له فقال لاتقوموا كما يقوم الاعاجم يعظم بعضها بعضا رواه أبوداود ★ و عن سعيد بن أبى الحسن قال جاءنا أبوبكرة فى شهادة فقام له رجل من مجلسه فأبى أن يجلس فيه و قال أن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم نهى عن ذا و نهى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم أن يمسح الرجل يده بثوب من لم‌يكسه رواه أبوداود

من أحب (أن يتمثل) أى ينتصب (له الرجال قياما) أى يقفون بين يديه قائمين لخدمته و تعظيمه من قولهم مثل بين يديه مثولا أى أنتصب قائما كذا ذكره بعض الشراح و الظاهر انهم اذا كانوا قائمين للخدمة لاللتعظيم فلابأس به كما يدل عليه حديث سعد قال الطيبى يجوز أن يكون قوله قياما مفعولا مطلقا لما فى الانتصاب من معنى القيام و أن يكون تمييزا لاشتراك المثول بين المعنيين (فليتبوأ) أى فليهيىء (مقعده من النار) لفظه الامر و معناه الخبر كانه قال من سره ذلك وجب له أن ينزل منزله من النار قيل هذا الوعيد لمن سلك فيه طريق التكبر بقرينة السرور للمثول و أما اذا لم‌يطلب ذلك و قاموا من تلقاء أنفسهم طلبا للثواب أو لارادة التواضع فلابأس به و قد روى البيهقى فى شعب الايمان عن الخطابى فى معنى الحديث هو أن يأمرهم بذلك و يلزمه أياهم على مذهب الكبر و الفخر قال و فى حديث سعد دلالة على أن قيام المرء بين يدى الرئيس الفاضل و الوالى العادل و قيام المتعلم للمعلم مستحب غير مكروه و قال البيهقى هذا القيام يكون على وجه البر و الاكرام كما كان قيام الانصار لسعد و قيام طلحة لكعب بن مالك و لاينبغى للذى يقام له أن يريد ذلك من صاحبه حتى أن لم‌يفعل حقد عليه أو شكاه أو عاتبه (رواه الترمذى و أبوداود) و كذا أحمد و فى شرح السنة عن أبى مجلز ان معاوية خرج و عبدالله بن عامر و عبدالله بن الزبير جالسان فقام ابن عامر و قعد ابن الزبير فقال معاوية أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال من سره أن يتمثل له عبادالله قياما فليتبوأ مقعده من النار ★ (و عن أبى أمامة رضى‌الله تعالى عنه قال خرج رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم متكئا) أى معتمدا (على عصا) أى لمرض كان به (فقمنا له) أى لتعظيمه (فقال لاتقوموا كما يقوم الاعاجم يعظم بعضها) و يروى بعضهم (بعضا) أى لماله و منصبه و انما ينبغى التعظيم للعلم والصلاح ذكره ابن الملك و كذا قال شارح من علمائنا أيضا و اذا كان القيام والتعظيم لله فحسن اه و فيه ان كلامهما لايلائم النهى لهم فانهم لاشك انهم انما قاموا لله و تعظيما لرسول‌الله و لعل الوجه أن يقال انهم قاموا متمثلين فنهاهم عن ذلك و عبر عنه بمطلق القيام للمبالغة فى المرام أو المراد بالقيام الوقوف و الله أعلم (رواه أبوداود ★ و عن سعيد بن أبى الحسن) هو أخو الحسن البصرى قال المؤلف و أسم أبى الحسن يسار البصرى تابعى روى عن ابن عباس و أبى هريرة و عنه قتادة و عوف مات قبل أخيه بسنة و ذلك سنة تسع و مائة (قال جاءنا أبوبكرة) أى الثقفى صحابى جليل تقدم ذكره (فى شهادة) أى لاداء شهادة كانت عنده (فقام له رجل من مجلسه) أى ليجلس هو فيه (فأبى ان يجلس فيه) أى فى ذلك المجلس (و قال أن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم نهى عن ذا) أى أن يقوم أحد ليجلس غيره فى مجلسه ذكره الطيبى و الاظهر أن يكون أشارة الى الجلوس فى موضع يقوم منه أحد و يمكن أن تكون الاشارة الى المعنى المفهوم من السياق و هو أن يقام أحد من مجلسه و هذا فى معناه و يؤيده ما سبق من حديث لايقيم الرجل الرجل و يوافقه ما أخرجه البخارى عن ابن عمر انه صلى‌الله‌عليه‌وسلم نهى أن يقام الرجل من مقعده و يجلس فيه آخر (و نهى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم أن يمسح الرجل يده) أى اذا

★ و عن أبي الدرداء قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس و جلسنا حوله فقام فأراد الرجوع نزع نعله أو بعض ما يكون عليه فيعرف ذلك أصحابه فيثبتون رواه أبوداود ★ و عن عبدالله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايحل لرجل أن يفرق بين أثنين الا باذنهما رواه الترمذى وأبوداود ★ و عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتجلس بين رجلين الا باذنهما رواه أبوداود

★ (الفصل الثالث) ★ عن أبي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس معنا فى المسجد يحدثنا فاذا قام قمنا قياما حتى نراه قد دخل بعض بيوت أزواجه

كانت ملوثة بطعام مثلا (بثوب من لم يكسه) بفتح الياء و ضم السين أى بثوب شخص لم يلبسه ذلك الرجل الثوب و المراد منه النهى عن التصرف فى مال الغير و التحكم على من لاولاية له عليه و قال المظهر معناه اذا كانت يدك ملطخة بطعام فلا تمسح يدك بثوب أجنبى و لكن بازار غلامك أو أبنك و غيرهما ممن ألبسته الثوب قال الطيبى لعل المراد بالثوب الازار و المنديل و نحوهما فلما أطلق عليه لفظ الثوب عقبه بالكسوة مناسبة للمعنى أى نهى أن يمسح يده بمنديل الاجنبى فيمسح بمنديل نفسه أو بمنديل وهبه من غلامه أو أبنه انتهى و الاظهر أن صاحب الثوب اذا كان راضيا يجوز له ذلك و كذلك اذا علم أن الشخص قام عن المجلس بطيب خاطره فلابأس بجلوسه كما يستفاد من قوله تعالى تفسحوا فى المجالس و كذا من قوله سبحانه و اذا قيل انشزوا فانشزوا و مما يدل عليه حديث صدر الدابة أحق بصاحبها الا اذا أذن و أمثال ذلك كثير فى الفروع كما فى باب أمام الجنازة فامتناع الصحابى من الجلوس أما لشك رضا الرجل لكونه قام بأمر بعض أو بسبب حياء و أما الاحتياط و الورع و أما يحمله الحديث على الاطلاق و الله أعلم (رواه أبوداود) و وافقه أحمد فى النهى الاخير ★ (و عن أبي الدرداء رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس و جلسنا حوله) أى بين يديه و عن يمينه و شماله لورود النهى عن الجلوس وسط الحلقة (فقام) عطف على جلس (فاراد الرجوع نزع نعله) جواب الشرط أى خلع نعله و تركها هناك قال الطيبى و لعله يمشى حافيا الى حجرة عائشة رضى الله تعالى عنها اهـ و لايبعد أن يمشى حافياً الى مكان آخر لما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يأمر أصحابه بأن يمشوا حفاة أحيانا (أو بعض ما يكون عليه) أى من رداء أو عمامة أو طاقية (فيعرف ذلك) أى أرادة رجوعه (أصحابه فيثبتون) أى فى مكانهم و لايتفرقون عنه (رواه أبوداود ★ و عن عبدالله بن عمرو) أى ابن العاص (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايحل الرجل أن يفرق) بتشديد الراء (بين اثنين) أى بان يجلس بينهما (الا باذنهما) لانه قد يكون بينهما محبة و مودة و جزيان سر و امانة فيشق عليهما التفرق بجلوسه بينهما (رواه الترمذى و أبوداود) و كذا أحمد و روى البيهقى عن ابن عمرو انه صلى الله عليه وسلم نهى أن يجلس الرجل بين الرجلين الا باذنهما ★ (وعن عمرو بن شعيب رضى الله تعالى عنه عن أبيه عن جده) أى ابن عمرو على ما صرح به الجامع (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتجلس) أى أنت و المراد به خطاب العام (بين رجلين الا باذنهما رواه أبوداود)

★ (الفصل الثالث) ★ (عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس معنا فى المسجد يحدثنا فاذا قام قمنا) أى لانفضاض المجلس لاللتعظيم لانهم ما كانوا يقومون له مقبلا فكيف يقومون له مدبرا (قياما) أى وقوفا ممتدا (حتى نراه قد دخل بعض بيوت أزواجه)

★ و عن واثلة بن الخطاب قال دخل رجل الى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و هو فى المسجد قاعد فتزحزح له رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فقال الرجل يا رسول‌الله أن فى المكان سعة فقال النبى صلى‌الله‌عليه وسلم أن للمسلم لحقا اذا رآه أخوه أن يتزحزح له رواهما البيهقى فى شعب الايمان

★ (باب الجلوس و النوم و المشى) ★ (الفصل الاول) ★ عن ابن عمر قال رأيت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم بفناء الكعبة محتبيا بيديه رواه البخارى ★ و عن عباد بن تميم عن عمه قال رأيت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فى المسجد مستلقيا واضعا أحدى قدميه على الاخرى متفق عليه

و لعلهم كانوا ينتظرون رجاء أن يظهر له حاجة الى أحد معهم أو يعرض له رجوع الى الجلوس معهم فاذا أيسوا تفرقوا و لم يقعدوا لعدم حلاوة الجلوس بعده عليه السلام ★ (و عن واثلة رضى‌الله تعالى عنه) بكسر المثلثة (ابن الخطاب) لم يذكره المؤلف فى أسمائه (قال دخل رجل الى رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم .و هو فى المسجد قاعد فتزحزح) أى تنحى عن مكان هو فيه (له) أى لذلك الرجل (رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فقال الرجل يا رسول‌الله أن فى المكان سعة) بفتح السين وسعا فلاى شئ تتعب بالتزحزح مع انى من عبيدك (فقال النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان للمسلم لحقا) اللام فى الاسم لتأكيد الحكم و فى رواية الجامع بدون اللام (اذا رآه أخوه) ظرف لقوله (أن يتزحزح له) و هو بيان لحقا أو بدل قال الطيبى و فيه أستحباب أكرام الداخل و اجلاسه صدر المجلس قلت لادلالة فى الحديث على الاجلاس المذكور بل كل أحد يجلس فى مقامه اللائق به كما فى صحيح مسلم و غيره عن عائشة رضى‌الله تعالى عنها مرفوعا أنزلوا الناس منازلهم و فى رواية الخرائطى عن ابن عباس أنزل الناس منازلهم من الخير و الشر و أحسن أدبهم على الاخلاق الصالحة (رواهما) أى الحديثين السابقين (البيهقى فى شعب الايمان) ★ (باب الجلوس و النوم و المشى) ★ و فيه ذكر الاستلقاء .

★ (الفصل الاول) ★ (عن ابن عمر رضى‌الله تعالى عنهما قال رأيت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم بفناء الكعبة) بكسر فاء و نون ممدودة أى جانبها من قبل الباب ذكره ابن حجر و قال شارح هو سعة امام البيت و قيل ما امتد من جوانبه و قيل الموضع المتسع المحاذى لبابه و فى القاموس الفناء ككساء ما اتسع من امامها (محتبيا بيديه) أى جالسا بحيث يكون ركبتاه منصوبتين و بطن قدميه على الارض و يداه موضوعتين على ساقيه و المراد به سنية الاحتباء فى الجلوس ذكره ابن الملك و الظاهر ان سنيته لاتحصل بمجرد هذا الفعل بل هو بيان الجواز و دليل الاستحباب (رواه البخارى ★ و عن عباد رضى‌الله تعالى عنه) بفتح عين مهملة فتشديد موحدة (ابن تميم عن عمه) لم يذكرهما المؤلف فى أسمائه (قال) أى عمه قال ميرك هو عبدالله بن زيد بن عاصم الانصارى المازنى أبومحمد صحابى شهير روى صفة الوضوء و غير ذلك و يقال هو الذى قتل مسيلمة الكذاب و استشهد بالحرة سنة ثلاث وستين (رأيت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم) أى رأيته (فى المسجد مستلقيا) أى حال كونه مضطجعا على ظهره (واضعا احدى قدميه على الاخرى) حال متداخلة أومترادفة و وضع القدم على القدم لايقتضى كشف العورة بخلاف وضع الرجل على الرجل فانه قد يؤدى الى ذلك و بهذا يجمع بين هذا الحديث و بين النهى الآتى عن وضع أحداهما على الاخرى و سيأتى مزيد تحقيق لذلك قال النووى يحتمل أنه صلى‌الله عليه‌وسلم فعله لبيان الجواز و أنكم اذا أردتم الاستلقاء فليكن هكذا و ان النهى الذى نهيتكم عنه ليس على الاطلاق بل المراد به الاجتناب عن كشف العورة و فيه جواز الاستلقاء فى المسجد قال القاضى عياض لعله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فعله لضرورة من تعب أو طلب راحة و الا فقد علم أن جلوسه عليه السلام

★ و عن جابر قال نهى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أن يرفع الرجل أحدى رجليه على الاخرى و هو مستلق على ظهره رواه مسلم ★ و عنه أن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال لا يستلقين أحدكم ثم يضع أحدى رجليه على الاخرى رواه مسلم ★ و عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم بينما رجل يتبختر فى بردين و قد أعجبته نفسه خسف به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة متفق عليه

★ (الفصل الثانى) ★ عن جابر بن سمرة قال رأيت النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم متكئا على وسادة على يساره رواه الترمذى

فى المجامع على خلاف هذا بل كان يجلس متربعا على الوقار و التواضع اه و قال الخطابى فيه دلالة على أن خبر النهى منسوخ و قال غيره أن هذا كان قبل النهى .و لايخفى أن مثل هذا الاحتمال لا يصح بدون معرفة تاريخ فالاعراض عنهما أولى (متفق عليه ★ وعن جابر رضى‌الله عنه قال نهى رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم أن يرفع الرجل أحدى رجليه على الاخرى و هو مستلق على ظهره) فيه تجريد أو تأكيد كما لايخفى قال المظهر وجه الجمع بين حديث عباد بن تميم و جابر أن وضع أحدى الرجلين على الاخرى قد يكون على نوعين أن تكون رجلاه ممدودتين أحداهما فوق الاخرى و لا بأس بهذا فانه لا ينكشف من العورة بهذه الهيئة و أن يكون ناصبا ساق أحدى الرجلين و يضع الرجل الاخرى على الركبة المنصوبة و على هذا فان لم يكن أنكشاف العورة بان يكون عليه سراويل أو يكون أزاره أو ذيله طويلين جاز و الا فلا اه و قال بعض علمائنا و أنما أطلق النهى لان الغالب فيهم الاتزار (رواه مسلم) و رواه أحمد عن أبى سعيد و لفظه نهى أن يضع الرجل الخ ★ (و عنه) أى عن جابر رضى‌الله تعالى عنه (أن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال لا يستلقين أحدكم ثم يضع) بالرفع أى ثم هو يضع و فى نسخة بالجزم أى ثم لا يضع (أحدى رجليه على الاخرى) فالنهى عن الاستلقاء المقيد لا لمطلق الاستلقاء كما سبق من فعله صلى‌الله‌عليه‌وسلم (رواه مسلم ★ و عن أبى هريرة رضى‌الله تعالى عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم بينما رجل) قيل هو قارون و قيل هو من أعراب فارس و قال النووى يحتمل أن هذا الرجل من هذه الامة و انه أخبار عمن قبله كما مر فى كتاب اللباس (يتبختر) أى يمشى خيلاء (فى بردين) و يفتخر و يتكبر فى لبسهما (و قد أعجبته نفسه) اى من عجب و تكبر نشأ منها (خسف) على بناء المجهول و نائبه قوله (به) و قوله (الارض) بالنصب على انه مفعول ثان ذكره سعدى جلبى فى قوله تعالى فخسفنا به و بداره الارض و قيل منصوبة بنزع الخافض أى فيها و يؤيده ما فى القاموس خسف الله بفلان الارض أى غيب فيها (فهو يتجلجل) بجيمين أى يغوص و يذهب (فيها) أى فى الارض من حيث خسف به (الى يوم القيامة) و فى النهاية الجلجلة حركة مع الصوت (متفق عليه)

★ (الفصل الثانى) ★ (عن جابر بن سمرة رضى‌الله تعالى عنه قال رأيت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم) أى أبصرته (متكئا) حال من مفعول رأيت (على وسادة) متعلق بمتكئا (على يساره) أى كائنة على جانب يساره أو متعلق بمتكئا بعد تقييده بالظرف الاول فيكون من قبيل تظريف المظروف ذكره الحنفى و قال ابن حجر أى حال كونها موضوعة على يساره و هو لبيان الواقع لا للتقييد فيجوز الاتكاء على الوسادة يمينا و يسارا و قال ابن الملك فيه ندب الاتكاء و وضع الوسادة على الجانب الايسر اه وفيه نظر لاحتمال وقوع اليسار أمرا اتفاقيا والا فمقتضى القياس أن الاضطجاع على الايمن هو المندوب و يكون هذا الحديث لبيان الجواز و الله أعلم (رواه الترمذى) أى فى جامعه و رواه فى شمائله أيضا من طريقين و قال لم يذكر وكيع على يساره و هكذا روى غير واحد عن اسرائيل نحو رواية وكيع

★ و عن أبي سعيد الخدري قال كان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا جلس في المسجد احتبى بيديه رواه رزين ★ وعن قيلة بنت مخرمة انها رأت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم في المسجد و هو قاعد القرفصاء قالت فلما رأيت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم المتخشع أرعدت من الفرق رواه أبوداود ★ و عن جابر بن سمرة قال كان النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا صلى الفجر تربع في مجلسه حتى تطلع الشمس حسناء رواه أبوداود

و لانعلم أحدا روى على يساره الا ما روى اسحق بن منصور عن اسرائيل فتبين أن رواية اسحق عن يساره انفرد بها اسحق فهو غريب في اصطلاح المحدثين ★ (و عن أبي سعيد الخدري رضي‌الله تعالى عنه قال كان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا جلس في المسجد) و في بعض نسخ الشمائل للترمذي في المجلس موضع في المسجد (احتبى بيديه رواه رزين) و كذا رواه أبوداود و البيهقي لكن بغير قيد في المسجد على ما في الجامع الصغير ★ (و عن قيلة رضي‌الله تعالى عنها) بفتح كاف و سكون تحتية (بنت مخرمة) بسكون خاء معجمة بين فتحات قال المؤلف تميمية روت عنها صفية و حبيبة ابنتا علية و كانتا من ربيبتها و هي جدة أبيهما و لها صحبة (انها رأت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم في المسجد و هو قاعد) أي جالس (القرفصاء) بالنصب على انه مفعول مطلق و هو ممدود و في نسخة مقصور قال السيوطي هو بضم القاف و الفاء بينهما راء ساكنة ثم صاد مهملة و مد جلسة المحتبي أن يدير ذراعيه و يديه على ساقيه و قال الجوهري القرفصاء ضرب من القعود يمد و يقصر فاذا قلت قعد القرفصاء فكانك قلت قعودا مخصوصا و هو أن يجلس على اليتيه و يلصق فخذيه ببطنه و يحتبي بيديه و يضعهما على ساقيه و قيل هو أن يجلس على ركبتيه منكبا و يلصق بطنه لفخذيه و يتابط كفيه و في القاموس القرفصا مثلثة القاف و الفاء مقصورة و القرفصاء بالضم و القرفصاء بضم القاف و الراء على الاتباع (قالت فلما رأيت) أي أبصرت (رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم المتخشع) أي الخاشع الخاضع المتواضع الظاهر انه حال على ما جوزه الكوفيون في قول لبيد ★ و أرسلها العراك و لم يردها ★ مع أن تأويل البصريين قد يأتي هنا أيضا بانه معرفة موضوعة موضع النكرة بمعنى أن اللام للعهد الذهني أو زائدة و انما اخترنا الحالية على الوصفية مع انه لامانع لان معنى الحال في هذا المقام أظهر فتأمل وتدبر وقال التوربشتي يجوز أن يكون نعتا لرسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم وأن يكون مفعولا ثانيا ويكون التقدير الرجل المتخشع وقال القاضي المتخشع صفة رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ولايجوز أن يجعل ثاني مفعولي رأيت لانه ههنا بمعنى أبصرت قال الطيبي سلك الشيخ التوربشتي مسلك التجريد جرد من ذاته الزكية الرجل المتخشع و جعله شخصا آخر و هو مبالغة لكمال التخشع فيه و القاء رداء الهيبة عليه و من ثم قالت (أرعدت من الفرق) و نحوه قوله تعالى فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان الكشاف قرأ عبيد بن عمير وردة بالرفع بمعنى فحصلت سماة وردة و هو من الكلام الذي يسمى التجريد كقوله

فلئن بقيت لارحلن بغزوة ★ تحوي الغنائم أو يموت كريم

و التفعل هنا ليس للتكلف بل هو لزيادة المعنى و المبالغة كما في أسماء الله تعالى نحو المتكبر اه و قولها أرعدت بصيغة المجهول أي أخذتني الرعدة و الاضطراب و الحركة من الفرق بفتحتين أي من أجل الخوف و المعنى هبته مع خضوعه وخشوعه (رواه أبوداود ★ و عن جابر بن سمرة رضي‌الله عنه قال كان النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا صلى الفجر تربع في مجلسه) أي جلس مربعا و استمر عليه (حتى تطلع الشمس) أي ترتفع (حسنا) بفتحتين على ما في الاصول المعتمدة أي طلوعا ظاهرا بينا و في بعض النسخ المصححة حسناء بفتح فسكون ممدود أي طلعة كاملة قال التوربشتي هذا خطأ و الصواب الاول

★ و عن أبى قتادة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا عرس بليل أضطجع على شقه الايمن و اذا عرس قبيل الصبح نصب ذراعه و وضع رأسه على كفه رواه فى شرح السنة و عن بعض آل أم سلمة قال كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا مما يوضع فى قبره و كان المسجد عند رأسه رواه أبوداود ★ وعن أبى هريرة قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا مضطجعا على بطنه فقال له أن هذه ضجعة لايحبها الله رواه الترمذى ★ و عن يعيش بن طخفة بن قيس الغفارى

قال القاضى قيل الصواب حسنا على المصدر أى طلوعا حسنا ومعناه انه كان يجلس متربعا فى مجلسه الى أن ترتفع الشمس و فى أكثر النسخ حسناء فعلى هذا يحتمل أن يكون صفة لمصدر محذوف والمعنى ماسبق أوحالا والمعنى حتى تطلع الشمس نقية بيضاء زائلة عنها الصفرة التى تتخيل فيها عند الطلوع بسبب ما يعترض دونها على الافق من الابخرة والادخنة وقال ميرك هو بفتح الحاء والسين و بالتنوين ورواه بعضهم بفتح الهاء وسكون السين و بالمد والنصب و رواه بعضهم حينا بكسر الحاء المهملة و سكون المثناة التحتية و بالنون أى زمانا يريد مدة جلوسه (رواه أبوداود) أى باسانيد صحيحة على ما فى الرياض و فى الجامع الصغير بلفظ كان اذا صلى الغدوة جلس فى مصلاه حتى تطلع الشمس رواه أحمد و مسلم و أبوداود و الترمذى و النسائى عنه ★ (وعن أبى قتادة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا عرس) بتشديد الراء ففى النهاية التعريس نزول المسافر آخر الليل نزوله للنوم و الإستراحة فقوله (بليل) فيه تجريد أو تأكيد والمعنى اذا نزل بليل للراحة و النوم و قال شارح أراد اذا نام بليل أى فى سفر (اصطجع على شقه الايمن و اذا عرس قبيل الصبح نصب ذراعه و وضع رأسه على كفه) أى احتراسا لئلاينام طويلا فيفوته الصبح قال الطيبى هذا القيد مشعر بان تعريسه بالليل لم يكن على هذه الهيئة اه و هو ظاهر بلامرية (رواه) أى البغوى (فى شرح السنة) أى باسناده و قد روى أحمد و أبن حبان بسند صحيح و الحاكم فى مستدركه عنه أنه صلى الله عليه وسلم اذا عرس و عليه ليل توسد يمينه و اذا عرس قبيل الصبح وضع رأسه على كفه اليمنى و أقام ساعده (و عن بعض آل أم سلمة) أى من خدمها أو أقاربها ممن كان يدخل عليها (قال كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا مما يوضع فى قبره) أى كان ما يفترشه للنوم قريبا مما يوضع فى قبره و هو معلوم عند بعض الناس و لعل العدول عن الماضى للمضارع حكاية للحال و فى رواية الجامع مما يوضع للانسان فى قبره و هو واضح و فيه أشعار بأنه كان يوضع فرش لبعض الناس فى قبرهم و المعنى انه كان شيأ خفيفا و لاطويلا و لاعريضا قال الطيبى قوله نحوا خبر كان و من قيل بيان لمحذوف أى مثل شئ مما يوضع فى قبره قيل وقدوضع فى قبره قطيفة حمراء أى كان فراشه للنوم نحوها (وكان المسجد) بكسر الجيم (عند رأسه) أى اذا نام يكون رأسه الى جانب المسجد و فى نسخة بفتح الجيم أى وكان مصلاه أو سجادته عند رأسه (رواه أبوداود ★ و عن أبى هريرة رضى الله عنه قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا مضطجعا على بطنه فقال) أى النبى صلى الله عليه وسلم له على ما هو الظاهر أو لغيره أعراضا عنه و أعتراضا عليه لكونه غير قابل للنصيحة (أن هذه) أى هذا الاضطجاع و تأنيثه لتأنيث خبره و هو قوله (ضجعة) و هى بكسر أوله للنوع (لايحبها الله) لان وضع الصدر و الوجه اللذين من أشرف الاعضاء على الارض اذلال فى غير السجود أو هذه الضجعة رقدة اللواطة فالتشبيه بهم مذموم و سيأتى فى الحديث انها ضجعة يبغضها الله و فى حديث انما هى ضجعة أهل النار (رواه الترمذى ★ و عن يعيش) بعين مهملة و شين معجمة على وزن يزيد (ابن طخفة) بكسر الطاء المهملة و سكون الخاء المعجمة و بالفاء كذا فى الاصول المصححة و هو موافق لضبط المصنف و قيل

عن أبيه وكان من أصحاب الصفة قال بينما أنا مضطجع من السحر على بطني اذا رجل يحركني برجله فقال ان هذه ضجعة يبغضها الله فنظرت فاذا هو رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم رواه أبوداود و ابن ماجه ★ و عن علي بن شيبان قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من بات على ظهر بيت ليس عليه حجاب و في رواية حجار فقد برئت منه الذمة رواه أبوداود و في معالم السنن للخطابي حجي

طهفة بالهاء بدل الخاء و في المغني بمفتوحة و بسكون معجمة ففاء و يقال بهاء و يقال بغين معجمة مكان خاء (ابن قيس الغفاري) بكسر الغين المعجمة (عن أبيه) أي طخفة (و كان) أي أبوه (من أصحاب الصفة) لم يذكره المؤلف في أسمائه بل ذكر يعيش في التابعين و قال في حرف الكاف في فصل الصحابة هو قيس بن أبي غرزة الغفاري عداده في أهل الكوفة روى عنه أبو وائل شقيق بن سلمة و ليس له الا حديث واحد في ذكر التجارة (قال) أي أبوه (بينما أنا مضطجع من السحر) بفتحتين و في نسخة بسكون الثاني و هو الرئة ففي الصحاح السحر الرئة و كذلك السحر و يحرك و في القاموس السحر و يضم و يحرك الرئة اه و قيل ما لصق بالحلقوم من أعلى البطن ذكره الطيبي و المعنى راقد من أجل داء به و بسبب وجعه (على بطني اذا رجل) أي شخص (يحركني برجله فقال ان هذه ضجعة يبغضها الله) هذا آكد و أبلغ من قوله السابق لايحبها الله (فنظرت فاذا هو) أي الرجل (رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم) و لعله عليه السلام لم يتبين له عذره أو لكونه يمكن الاضطجاع على الفخذين لدفع الوجع من غير مد الرجلين و الله أعلم (رواه أبوداود و ابن ماجه ★ و عن علي بن شيبان) بفتح معجمة و سكون تحتية فموحدة قال المؤلف في فصل الصحابة حنفي يماني روى عنه ابنه عبدالرحمن رضي‌الله عنه (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من بات) أي نام ليلا (على ظهر بيت) أي سطح له (ليس عليه) أي على أطرافه (حجاب) أي مانع من السقوط (و في رواية حجار) أي بالراء بدل الموحدة و هو جمع حجر بكسر الحاء و هو ما يحجز به من حائط و نحوه و منه حجر الكعبة (فقد برئت منه الذمة) قال القاضي معناه من نام على سطح لاتترله فقد تصدى للهلاك و أزال العصمة عن نفسه و صار كالمهدر الذي لاذمة له فلعله ينقلب في نومه فيسقط و يموت مهدرا و أيضا فان لكل من الناس عهدا من الله‌تعالى بالحفظ و الكلاءة فاذا ألقى بيده الى التهلكة انقطع عنه و قال بعضهم معناه لم يبق بيننا و بينه عهد و هذا تهديد كراهة اضطجاع الرجل في موضع مخوف و هذا من جملة تعليم الاب الناشئ عن مرحمة سيد أولي الالباب و شفقته على أمته لكونه كالأب بل أكمل و أتم و أرحم من كل من يرحم كما قال تعالى و هو أعلم العالمين و ما أرسلناك الا رحمة للعلمين (رواه أبوداود) و كذا البخاري في تاريخه لكن بلفظ حجاب على ما في الجامع (و في معالم السنن للخطابي حجي) بكسر الحاء المهملة فجيم و في نسخة بفتح أوله ففي القاموس الحجا كالى العقل و بالفتح الناحية اه و هو منون و هو مرفوع تقديرا و في النهاية حجي هكذا رواه الخطابي في معالم السنن و قال انه يروى بكسر الحاء و فتحها و معناه فيهما الستر فمن قال بالكسر شبهه بالحجر العقل لان العقل يمنع الانسان من الفساد و يحفظه من التعرض للهلاك فشبه الستر الذي يكون على السطح المانع للانسان من التردي و السقوط بالعقل المانع له من أفعال السوء المؤدية الى الردى و من رواه بالفتح فقد ذهب الى الناحية و الطرف و احجاء الشئ نواحيه و أحدها حجي بالفتح و في جامع الاصول الذي قرأته في كتاب أبي‌داود و ليس عليه حجاب و في نسخة أخرى حجار أما الحجاب بالباء فهو الذي يحجب الانسان عن الوقوع و بالراء يجوز أن يكون جمع حجر و هو ما حجر به من حائط و ذلك أيضا مما يمنع النائم على السطح من السقوط و يعضد

★ و عن جابر قال نهى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أن ينام الرجل على سطح ليس بمحجور عليه رواه الترمذى ★ و عن حذيفة قال ملعون على لسان محمد صلى‌الله‌عليه‌وسلم من قعد وسط الحلقة رواه الترمذى و أبوداود ★ و عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم خير المجالس أوسعها رواه أبوداود ★ و عن جابر بن سمرة قال جاء رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و أصحابه جلوس فقال ما لى أراكم عزين رواه أبوداود ★ و عن أبى هريرة أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال اذا كان أحدكم فى الفىء فقلص عنه الظل فصار بعضه فى الشمس و بعضه فى الظل فليقم رواه أبوداود و فى شرح السنة عنه قال اذا كان أحدكم فى الفىء

رواية الراء الحديث الذى يليه ليس بمحجور عليه اه و فى المصابيح مثل ما ذكره الخطابى حيث قال شارح له ليس عليه حجى بفتح الحاء و كسرها ★ (و عن جابر رضى‌الله تعالى عنه قال نهى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أن ينام الرجل) أى ليلا أو مطلقا (على سطح ليس بمحجور عليه) أى ليس حوله جدار مانع من الوقوع عن السطح (رواه الترمذى ★ و عن حذيفة رضى‌الله تعالى عنه قال ملعون) أى مذموم (على لسان محمد صلى‌الله‌عليه‌وسلم من قعد وسط الحلقة) بسكون السين و اللام و فى شرح السنة لعن من جلس وسط الحلقة و هو يتأول على وجهين أحدهما أن يأتى حلقة قوم فيتخطى رقابهم و يقعد وسطها و لايقعد حيث ينتهى به المجلس و الثانى أن يقعد وسط الحلقة فيحول بين الوجوه و يحجب بعضهم عن بعض فيتضررون به و قال التوربشتى المراد منه و الله أعلم الماجن الذى يقيم نفسه مقام السخرية ليكون ضحكة بين الناس و من يجرى مجراه من المتأكلين بالسمعة و الشعوذة (رواه الترمذى و أبوداود) و فى الجامع الصغير رواه أحمد و أبوداود و الترمذى و الحاكم عن حذيفة لكن بلفظ لعن الله من قعد وسط الحلقة ★ (و عن أبى سعيد الخدرى رضى‌الله عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم خير المجالس أوسعها رواه أبوداود) و كذا أحمد و البخارى فى تاريخه و الحاكم فى مستدركه و البيهقى فى شعبه عنه و رواه البزار و الحاكم و البيهقى عن أنس ★ (و جابر بن سمرة رضى‌الله عنه قال جاء رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم) أى حضر (و أصحابه جلوس) أى جالسون و الجملة حال (فقال ما لى أراكم) أى أبصركم (عزين) بكسر العين و الزاى أى متفرقين جمع عزة و الهاء عوض عن الياء و هى فرقة من الناس متميزة عن غيرها و المعنى أجلسوا فى الحلقة أو فى الصف أمرهم به كيلا يدبر بعضهم بعضا و لايؤدى الى التفرقة فيما بينهم قال تعالى و اعتصموا بحبل الله جميعا و لاتفرقوا الآية و لئلايتشبهوا بالكفار على ما حكاه سبحانه عنهم بقوله فمال الذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين و عن الشمال عزين و فى شرح السنة قال سفيان يعنى حلقا قال و روى يحيى عن الاعمش فقال دخل رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم المسجد و حلق فقال ما لى أراكم عزين أى متفرقين مختلفين لايجمعكم مجلس واحد (رواه أبوداود) و كذا أحمد و مسلم و النسائى عنه ★ (و عن أبى هريرة رضى‌الله عنه أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال اذا كان أحدكم فى الفىء) بفتح فسكون أى فى ظل (فقلص) أى ارتفع (عنه الظل) أى بعضه و فيه تفنن (فصار بعضه فى الشمس و بعضه فى الظل) بيان لما قبله (فليقم) أى فليتحول منه الى مكان آخر يكون كله ظلا أو شمسا لان الانسان اذا قعد ذلك المقعد فسد مزاجه لاختلاف حال البدن من المؤثرين المتضادين كذا قاله بعض الشراح و تبعه ابن الملك و لانه خلاف العدالة الموجبة لاختلال الاعتدال مع انه تشبه بمجلس المجانين و نظيره النهى عن لبس أحدى النعلين و الاولى أن يعلل بما علله الشارع من قوله الآتى فانه مجلس الشيطان (رواه أبوداود) أى مرفوعا

فقلص عنه فليقم فانه مجلس الشيطان هكذا رواه معمر موقوفا ★ و عن أبي أسيد الانصارى أنه سمع رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول و هو خارج من المسجد فاختلط الرجال مع النساء فى الطريق فقال للنساء استأخرن فانه ليس لكن أن تحققن الطريق عليكن بحافات الطريق فكانت المرأة تلصق بالجدار حتى أن ثوبها ليتعلق بالجدار رواه أبوداود و البيهقى فى شعب الايمان ★ و عن ابن عمر أن النبى صلى‌الله عليه‌وسلم نهى أن يمشى يعنى الرجل بين المرأتين رواه أبوداود ★ و عن جابر بن سمرة قال كنا اذا أتينا النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم جلس أحدنا حيث ينتهى رواه أبوداود و ذكر حديثا عبدالله بن عمرو فى باب القيام و سنذكر حديثى على و أبى هريرة

(و فى شرح السنة عنه) أى عن أبى هريرة (قال) أى أبو هريرة (اذا كان أحدكم فى الفىء فقلص) أى ارتفع الفىء (عنه فليقم فانه) أى ذلك المجلس (مجلس الشيطان) الظاهر انه على ظاهره و قيل انما أضافه اليه لانه الباعث عليه ليصيبه السوء فهو عدو للبدن كما هو عدو للدين و يدل عليه أطلاق قوله سبحانه أن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا و يمكن أن تكون عداوته للبدن بناء على استعانته بضعف البدن على ضعف الدين (هكذا رواه معمر موقوفا) أى على أبى هريرة لكنه فى حكم المرفوع قال التوربشتى الاصل فيه الرفع و ان لم يرد مرفوعا لان الصحابى لايقدم على التحدث بالامور الغيبية الا من قبل الرسول صلوات الله عليه و سلامه لاسيما و قد وردت به الروايات من غير هذا الوجه عنه صلى‌الله‌عليه‌وسلم و الحق الابلج فيه و فى أمثاله التسليم لنبى الله عليه‌السلام فى مقاله فانه يعلم ما لايعلم غيره و يرى ما لايرى اه و فى الجامع الصغير أنه صلى‌الله‌عليه‌وسلم نهى أن يجلس الرجل بين الضح و الظل و قال مجلس الشيطان رواه أحمد بسند حسن عن رجل مرفوعا ★ (و عن أبى أسيد) بضم همز و كسر سين و هو مالك بن ربيعة الساعدى الانصارى سبق ترجمته (أنه سمع رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول و هو) أى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم (خارج من المسجد) جملة حالية (فاختلط) قال الطيبى هو مسبب عن محذوف هو المقول أى يقول كيت و كيت فاختلط (الرجال مع النساء فى الطريق فقال للنساء) فالفاء فى فاختلط مسبب عن مقول يقول و فى فقال عن اختلط اه وقوله (استأخرن) من باب الاستفعال بمعنى التفعل فالمعنى تأخرن عن وسط الطريق و أبعدن عن حاقها الى حافتها كما يدل عليه قوله (فانه) أى الشان (ليس لكن ان تحققن الطريق) بضم القاف الأولى أى تذهبن فى حاق الطريق و الحاق بتشديد القاف الوسط (عليكن بحافات الطريق) جمع حافة بتخفيف الفاء أى باطرافها و جوانبها و فى النهاية الحافة الناحية و عينها واو بدليل تصغيرها على حويفة (فكانت المرأة) أى بعد ذلك الامر (تلصق) بفتح الصاد أى تلزق (بالجدار) و تبالغ فى لصوقها (حتى ان) بكسر الهمزة (ثوبها ليتعلق) أى أحيانا (بالجدار رواه أبوداود و البيهقى فى شعب الايمان ★ و عن ابن عمر رضى‌الله عنهما أن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم نهى أن يمشى يعنى الرجل) تفسير من بعض الرواة أى يريد النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم بفاعل يمشى الرجل و الحاصل أن لفظ الرجل ليس من أصل الحديث فالجملة معترضة بين سابقه و لاحقه و هو قوله (بين المرأتين رواه أبوداود) و لفظ الجامع نهى أن يمشى الرجل بين المرأتين رواه أبوداود و الحاكم ★ (و عن جابر بن سمرة رضى‌الله عنه قال كنا اذا أتينا النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم) أى مجلسه الشريف (جلس أحدنا حيث ينتهى) أى هو اليه من المجلس أو حيث ينتهى المجلس اليه و الحاصل أنه لايتقدم على أحد من حضاره تادبا و تركا للتكلف و مخالفة لحظ النفس من طلب العلو كما هو شان أرباب الجاه (رواه أبوداود و ذكر حديثا عبدالله

فى باب أسماء النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم و صفاته أن شاء الله تعالى

★ (الفصل الثالث) ★ عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال مر بى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و أنا جالس هكذا و قد وضعت يدى اليسرى خلف ظهرى و أتكأت على ألية يدى فقال أتقعد قعدة المغضوب عليهم رواه أبوداود ★ و عن أبى‌ذر قال مر بى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم و أنا مضطجع على بطنى فركضنى برجله و قال يا جندب انما هى ضجعة أهل النار رواه ابن ماجة

★ (باب العطاس و التثاؤب) ★

ابن عمرو فى باب القيام) كذا فى أكثر الاصول المعتمدة بلفظ التثنية و فى أصل السيد حديث عبدالله ابن عمرو بلفظ الافراد أما على الاصول فالحديثان أولهما لايحل لرجل و الآخر بعده لاتجلس بين رجلين و انما قال حديثا عبدالله مع أن الحديث الثانى منسوب فيما سبق الى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده لان المراد بجده هو عبدالله بن عمرو على الصحيح كما قدمنا الخلاف فيه و أما على نسخة السيد فيتعين أن يكون المراد به الحديث الاول و الله أعلم (و سنذكر حديثى على و أبى هريرة فى باب أسماء النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم و صفاته أن شاء الله تعالى) فالاول كان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا مشى تكفأ و الثانى ما رأيت أحدا أسرع فى مشيه

★ (الفصل الثالث) ★ (عن عمرو بن الشريد) تابعى (عن أبيه) أى شريد بن السويد الثقفى روى عنه نفر وهو صحابى مشهور (قال مر بى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و أنا جالس هكذا) المشار اليه مفسر بقوله (و قد وضعت يدى اليسرى خلف ظهرى و اتكأت على ألية يدى) أى اليمنى و الالية بفتح الهمزة اللحمة التى فى أصل الابهام (فقال) أى منكرا على (أتقعد قعدة المغضوب عليهم) القعدة بالكسر للنوع و الهيئة و الظاهر أن عكس قلد أيضا يتعلق به الانكار و كذا وضع اليدين وراء ظهره متكئا عليهما من قعد المتكبرين لكن فى أخذه من الحديث محل تردد قال الطيبى و المراد بالمغضوب عليهم اليهود و فى التخصيص بالذكر فائدتان احداهما أن هذه القعدة مما يبغضه الله تعالى و الاخرى أن المسلم ممن أنعم الله عليه فينبغى أن يجتنب التشبه بمن غضب الله عليه و لعنه اه و فى كون اليهود هم المراد من المغضوب عليهم هنا محل بحث و تتوقف صحته على أن يكون هذا شعارهم و الاظهر أن يراد بالمغضوب عليهم أعم من الكفار و الفجار المتكبرين المتجبرين ممن تظهر آثار العجب و الكبر عليهم من قعودهم و مشيهم و نحوهما نعم ورد فى حديث صحيح أن المغضوب عليهم فى سورة الفاتحة هم اليهود و قد بينا وجهه فى أول شرح حزب الفتح (رواه أبوداود ★ و عن أبى‌ذر رضى‌الله عنه قال مر بى) أى على (النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم و أنا مضطجع على بطنى) و الظاهر أنه كان ممدود الرجل على عادة أجلاف العرب (فركضنى برجله و قال يا جندب) بضم الجيم و الدال و يفتح اسم أبى ذر (انما هى) أى رقدتك هذه (ضجعة أهل النار) بكسر الضاد و هو يحتمل أن يكون المراد أن هذه عادة الكفار أو الفجار فى هذه الدار أو هذه تكون ضجعتهم حال كونهم فى النار و الله أعلم (رواه ابن ماجه) و سبق حديثان فى معناه

★ (باب العطاس و التثاؤب) ★ العطاس بضم العين من العطسة و التثاؤب تفاعل من الثوباء و هى فترة من ثقل النعاس يفتح لها فاه و منه اذا تثاءب أحدكم فليغط فاه و الهمزة بعد الالف هو الصواب و الواو غلط كذا فى المغرب و كذا ذكر شارح للمصابيح و فى القاموس تثاءب أصابه كسل و فترة كفترة النعاس اه و لم يذكره الا فى المهموز و قال النووى فى شرح مسلم وقع فى بعض النسخ

★ (الفصل الاول) ★ عن أبي هريرة عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ان الله يحب العطاس و يكره التثاؤب فاذا عطس أحدكم و حمد الله كان حقا على كل مسلم سمعه أن يقول له يرحمك الله فأما التثاؤب فانما هو من الشيطان فاذا تثاؤب أحدكم فليرده ما استطاع فان أحدكم اذا تثاءب ضحک منه الشيطان رواه البخاری و فی رواية لمسلم فان أحدكم اذا قال ها ضحک الشيطان منه

تثاءب بالمد و فی أكثرها تثاوب بالواو قال القاضی عياض قال ثابت لايقال تثاءب بالمد مخففا بل تثأب بتشديد الهمز قال ابن دريد أصله من تثأب الرجل بالتشديد اذا استرخى و كسل و قال الجوهری يقال تثاءبت بالمد مخففا على تفاعلت و لايقال تثاوبت و الاسم منه الثوباء ممدودة

★ (الفصل الاول) ★ عن أبی هريرة رضی‌الله عنه عن النبی صلی‌الله‌عليه‌وسلم قال ان الله يحب العطاس) لانه سبب خفة الدماغ و صفاء القوى الادراكية فيحمل صاحبه على الطاعة (و يكره التثاؤب) لانه يمنع صاحبه عن النشاط فی الطاعة و يوجب الغفلة و لذا يفرح به الشيطان و هو المعنى فی ضحکه الآتی قال القاضی التثاؤب بالهمز التنفس الذی يفتح عنه الفم و هو انما ينشأ من الامتلاء و ثقل النفس و كدورة الحواس و يورث الغفلة و الكسل و سوء الفهم و لذا كرهه الله و أحبه الشيطان و ضحک منه و العطاس لما كان سببا لخفة الدماغ و استفراغ الفضلات عنه و صفاء الروح و تقوية الحواس كان أمره بالعكس (فاذا عطس أحدكم) بفتح الطاء نص عليه السيوطی وجوز كسره القاموس (و حمدالله) قال الحليمی الحكمة فی مشروعية الحمد للعاطس أن العطاس يدفع الاذى من الدماغ الذی فيه قوة الفكر و منه ينشأ الاعصاب التی هی معدن الحس و بسلامته تسلم الاعضاء فهو نعمة جليلة يناسب أن تقابل بالحمد (كان حقا على كل مسلم) فيه ايذان بان التشميت فرض عين و اليه ذهب بعض و الاكثرون على أنه فرض كفاية و هو لاينافی الحديث لان المراد به انه يجب على كل أحد لكن يسقط بفعل البعض لدليل آخر أو بالقياس على رد السلام و قال الشافعی أنه سنة و حمل الحديث على الندب ثم قوله (سمعه) صفة لمسلم احترازا من حال عدم سماعه فانه حينئذ لايتوجه عليه الامر و كذلک حكم السلام و سائر فروض الكفاية من عيادة المريض و تجهيز الميت و صلاة الجنازة و نحوها و فی شرح السنة فيه دليل على انه ينبغی أن يرفع صوته بالتحميد حتى يسمع من عنده و يستحق التشميت و قوله (أن يقول) أسم كان أی يرد كل مسلم سامع (له) أی للعاطس الحامد (يرحمک الله) فهذا حكم العطاس (فاما التثاؤب فانما هو من الشيطان) أی مما يفرح به أو يبعث على الباعث الجاذب اليه فلذا لايحمد عليه قال الخطابی صار العطاس محمودا لانه يعين على الطاعات والتثاؤب مذموما لانه يثنيه ويصرفه عن الخيرات فالمحبة و الكراهية تنصرف الى الاسباب الجالبة لها و انما أضيف الى الشيطان لانه هو الذی يزين للنفس شهوتها و قيل ما تثاءب نبی قط (فاذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع) أی يكظم فمه (فان أحدكم اذا تثاؤب) أی و فتح فاه (ضحک منه الشيطان) أی فرحا بذلک (رواه البخاری) و وافقه أبوداود و الترمذی فی الجملة الاولى (و فی رواية لمسلم) الظاهر و فی رواية مسلم (فان أحدكم اذا قال ها) مقصورا أی اذا بالغ فی التثاؤب و فتح الفم و قيل هو حكاية صوت المتثائب (ضحک الشيطان منه) و فی الجامع الصغير اذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فان أحدكم اذا قال ها ضحک الشيطان منه رواه البخاری عن أنس و فی رواية لاحمد و الشيخين و أبی داود عن أبی سعيد بلفظ اذا تثاؤب أحدكم فليضع يده على فيه فان الشيطان يدخل مع التثاؤب و فی رواية لابن ماجه عن أبی هريرة اذا تثاؤب أحدكم فليضع يده على فيه و لايعوى فان الشيطان يضحک منه و فی رواية للبيهقی عن عبادة

★ و عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله و ليقل له أخوه أو صاحبه يرحمک الله فاذا قال له يرحمک الله فليقل يهديكم الله و يصلح بالكم رواه البخارى ★ وعن أنس قال عطس رجلان عند النبى صلى الله عليه وسلم فشمت أحدهما و لم يشمت الآخر فقال الرجل يا رسول الله شمت هذا و لم تشمتنى قال أن هذا حمد الله و لم تحمد الله متفق عليه ★ و عن أبى موسى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه و أن لم يحمد الله فلا تشمتوه رواه مسلم ★ و عن سلمة بن الاكوع أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم و عطس رجل عنده فقال له يرحمک الله ثم عطس أخرى فقال

ابن الصامت و غيره اذا تجشأ أحدكم أو عطس فلا يرفع بهما الصوت فان الشيطان يحب أن يرفع بهما الصوت و فى رواية للحاكم و البيهقى عن أبى هريرة اذا عطس أحدكم فليضع كفيه على وجهه و ليخفض صوته ★ (و عنه) أى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله) عده الشارع نعمة فيسن عقيبه الحمد لله (و ليقل له أخوه) أى فى الاسلام (أو صاحبه) شک من الراوى (يرحمک الله) قيل و انما شرع الترحم من جانب المشمت لانه كان قريبا من الرحمة حيث عظم ربه بالحمد على نعمته و عرف قدرها (فان قال له يرحمک الله فليقل) أى العاطس فى جوابه (يهديكم الله و يصلح بالكم) أى شانكم و حالكم لانه اذا دعا له بالرحمة شرع فى حقه دعاء بالخير له تأليفا للقلوب و لفظ العموم خرج مخرج الغالب فان العاطس قلما يخلو عند عطاسه عن أصحابه أو هو اشارة الى تعظيمه و احترامه فى الدعاء أو الى أمة محمد صلى الله عليه وسلم كلهم (رواه البخارى ★ و عن أنس رضى الله عنه قال عطس رجلان عند النبى صلى الله عليه وسلم فشمت أحدهما) بفتح الشين المعجمة و تشديد الميم و قال الجزرى بالشين المعجمة و المهملة روايتان صحيحتان قال ثعلب معناه بالمعجمة أبعدك عن الشماتة وبالمهملة من السمت و هو حسن القصد و الهدى (ولم يشمت الآخر فقال الرجل) أى الذى لم يشمت له (يا رسول الله شمت) بتشديدتين (هذا و لم تشمتنى) أى و ما الحكمة فى ذلک (فقال ان هذا) وضع موضع ذاك لجوازه فى الاستعمال و يمكن أن يكون الرجل حاضرا فالمعنى أن هذا الرجل (حمد الله) أى فأجبته (و لم تحمد الله) أى أنت فلم تستحق التشميت قال القاضى تشميت العاطس أن يقال له يرحمک الله و كان أصله أزالة الشماتة فاستعمل للدعاء بالخير لتضمنه ذلک و فى شرح السنة فيه بيان أن العاطس اذا لم يحمد الله لا يستحق التشميت قال مكحول كنت الى جنب عمر فعطس رجل من ناحية المسجد فقال يرحمک الله أن كنت حمدت الله وقال الشعبى اذا سمعت الرجل يعطس من وراء جدار فحمد الله فشمته و قيل قال ابراهيم اذا عطست فحمدت و ليس عندك أحد قل يغفر الله لى و لكم فانه يشمتک من سمعک (متفق عليه ★ و عن أبى موسى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه و ان لم يحمد الله فلا تشمتوه رواه مسلم) و كذا البخارى فى تاريخه و الامام أحمد فى مسنده ★ و عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم و عطس رجل عنده) الجملة حال من مفعول سمع (فقال له يرحمک الله) قال الطيبى الظاهر أن يقال يقول له لانه حال من النبى صلى الله عليه وسلم الكشاف فى قوله تعالى اننا سمعنا مناديا ينادى تقول سمعت زيدا يتكلم فتوقع الفعل عليه و تحذف المسموع و تجعله حالا منه فاغناك عن ذكره فاذا مقتضى الكلام أن يقال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم شمته فقال فلا اشكال حينئذ (ثم عطس أخرى) أى مرة أخرى (فقال) أى النبى صلى الله عليه وسلم

الرجل مزكوم رواه مسلم وفي رواية للترمذي أنه قال له في الثالثة أنه مزكوم ★ وعن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده على فمه فان الشيطان يدخل رواه مسلم ★ (الفصل الثاني) ★ عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا عطس غطى وجهه بيده أو ثوبه و غض بها صوته رواه الترمذي و أبوداود و قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ★ وعن أبي أيوب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(الرجل مزكوم) أي مريض فربما يكثر تعطسه و حمده و في الجواب كل مرة حرج لاسيما مع عدم تجويز التداخل في المجلس و يؤيد ما ذكرته ما سيأتي في الحديث مرفوعا فما زاد أي على ثلاث مرات وان شئت فشمته و ان شئت فلا حيث صرح بالتخيير فقول النووي يستحب أن يدعى له لكن غير دعائه للعاطس وقع في غير محله اذ حاصل الحديث أن التشميت واجب أو سنة مؤكدة على الخلاف في ثلاث مرات و ما زاد فهو مخير بين السكوت و هو رخصة و بين التشميت و هو مستحب و الله أعلم (رواه مسلم و في رواية للترمذي أنه) أي النبي عليه السلام (قال له في الثالثة) أي في المرة الثالثة و في نسخة في الثالث أي في العطاس الثالث (انه) أي الرجل (مزكوم) كذا في جميع نسخ المشكاة و قال الطيبي كذا في نسخ المصابيح و في جامع الاصول عن الترمذي أنت مزكوم قال النووي يعني أنت لست ممن يشمت بعد هذا لان هذا الذي بك مرض و يوافقه في التثليث ما رواه أبوداود عن أبي هريرة مرفوعا اذا عطس أحدكم فليشمته جليسه فان زاد على ثلاث فهو مزكوم و لايشمت بعد ثلاث أي لايجب تشميته بعد ثلاث لأنه غير جائز لما سبق و في شرح مسلم للنووي فان قيل اذا كان مريضا فكان ينبغي أن يدعى له لانه أحق بالدعاء من غيره فالجواب انه يستحب أن يدعى له لكن غير دعائه للعاطس بل دعاء المسلم للمسلم بالعافية و السلامة و نحو ذلك و لايكون من باب التشميت قلت بل انما قال ذلك ليعرف أن التشميت متى يجب و متى لم يجب فلو دعا له بالعافية و السلامة و نحوهما ربما يتوهم أن في المرة الثانية أو الثالث يدعى له بالسلامة و نحوها فيدخل تحت الوجوب و أما الدعاء بالصحة فمن المستحبات المعلومة مع أن الزكام محمود يخرج كثيرا من الاسقام ★ (و عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تثاءب أحدكم فليمسك) بضم أوله و في نسخة بفتحه (بيده) الباء للتعدية ففي القاموس مسك به و أمسك و تمسك و تماسك و استمسك احتبس و اعتصم به و في المغرب أمسك بالشئ و تمسك به واستمسك اعتصم به (على فمه) أي واضعا عليه (فان الشيطان يدخل) يحتمل أن يراد الدخول حقيقة و هو و ان كان يجري مجرى الدم من الانسان لكنه لايتمكن منه مادام منتبها و يحتمل أن يراد به التمكن منه بالوسوسة (رواه مسلم) و سبق روايات أخر في هذا المعنى

★ (الفصل الثاني) ★ (عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا عطس غطى وجهه بيده أو ثوبه) لئلايظهر تشويه صورة أو تنزيل فضلة (و غض) أي خفض أو نقص (بها) أي بالعطسة أو بالتغطية (صوته) و المعنى لم يرفعه بصيحة و الجار و المجرور متعلق بصوته قال التوربشتي هذا نوع أدب بين الجلساء و ذلك لان العاطس لايأمن عند العطاس مما يكرهه الراؤن من فضلات الدماغ (رواه الترمذي و أبوداود) و كذا الحاكم و قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح و في رواية لاحمد و الطبراني عن عبدالله بن جعفر أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا عطس حمد الله فيقال له يرحمك الله فيقول يهديكم الله ويصلح بالكم ★ (و عن أبي أيوب رضي الله عنه أن رسول الله

قال اذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله على كل حال و ليقل الذى يرد عليه يرحمك الله و ليقل هو يهديكم الله و يصلح بالكم رواه الترمذى و الدارمى ★ و عن أبى موسى قال كان اليهود يتعاطسون عند النبى صلى الله عليه وسلم يرجون أن يقول لهم يرحمكم الله فيقول يهديكم الله و يصلح بالكم

صلى الله عليه وسلم قال اذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله على كل حال) أى تصريحا بالاجمال فالزيادة من باب الاكمال (و ليقل) أى وجوبا على ما هو مذهبنا و عليه الجمهور (الذى يرد عليه يرحمك الله) خبر معناه الدعاء (و ليقل) أى ندبا (هو) أى العاطس (يهديكم الله و يصلح بالكم) البال القلب يقول فلان ما يخطر ببالى أى قلبى و البال رخاء العيش يقال فلان رخى البال أى واسع العيش و البال الحال يقول ما بالك أى حالك و البال فى الحديث يحتمل المعانى الثلاثة و الاولى أن الحمل على المعنى الثالث أنسب لعمومه المعنيين الاولين أيضا كذا فى المفاتيح و الاول أولى فانه اذا صلح القلب صلح الحال هذا و قال النووى اتفقوا على أنه يستحب للعاطس أن يقول عقيب عطاسه الحمد لله فلو زاد رب العالمين كان أحسن فلو قال الحمد لله على كل حال كان أفضل قلت و روى ابن أبى شيبة فى مصنفه عن على موقوفا من قال عند كل عطسة الحمد لله رب العالمين على كل حال ما كان لم يجد وجع ضرس و لا أذن أبدا قال العسقلانى هذا موقوف و رجاله ثقات و مثله لا يقال من قبل الرأى أى فله حكم المرفوع قال النووى و يستحب للسامع أن يقول له يرحمك الله أو يرحمكم الله أو رحمك الله أو رحمكم الله و للعاطس يهديكم الله و يصلح بالكم أو يغفر الله لنا و لكم قلت أو يغفر الله لى و لكم كما جاء فى أحاديث بينها الجزرى فى الحصن ثم قال النووى و قول السامع يرحمك الله سنة على الكفاية فلو قال بعض الحاضرين أجزأ عنهم و لكن الافضل أن يقول كل واحد منهم لظاهر قوله كان حقا على كل مسلم سمعه هذا مذهب الشافعى و مذهب مالك فى التشميت اختلاف فى أنه واجب و من جعله من جملة ما فى قوله صلى الله عليه وسلم حق المسلم على المسلم ست جعله سنة قلت ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم كان حقا على كل مسلم أما فرض عين أو كفاية و لا دلالة فيه على أنه سنة كفاية كما لا يخفى على أرباب الدراية من أصحاب البداية و النهاية و أما نقل قوله صلى الله عليه وسلم حق المسلم على المسلم ست فليس فيه لفظ حق كما سبق فى حديثين من باب السلام فى الفصل الاول بل لفظه للمسلم على المسلم ست بالمعروف و هو مجمل لان المعروف هو ما عرف فى الشرع أعم من أن يكون فرضا أو سنة (رواه الترمذى و الدارمى) و فى الجامع الصغير اذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين و ليقل له يرحمك الله و ليقل هو يغفر الله لنا و لكم رواه الطبرانى و الحاكم و البيهقى عن ابن مسعود و أحمد و أبوداود و الترمذى و النسائى و الحاكم و البيهقى عن سالم بن عبيد الاشجعى و فى رواية للطبرانى عن ابن عباس مرفوعا فقال الحمد لله قالت الملائكة رب العلمين فاذا قال رب العالمين قالت الملائكة رحمك الله ★ (و عن أبى موسى قال كان اليهود يتعاطسون) أى يطلبون العطسة من أنفسهم (عند النبى صلى الله عليه وسلم يرجون) أى يتمنون بهذا السبب (أن يقول لهم يرحمكم الله فيقول) أى النبى عليه السلام عند عطاسهم و حمدهم (يهديكم الله و يصلح بالكم) و لا يقول لهم يرحمكم الله لان الرحمة مختصة بالمؤمنين بل يدعو لهم بما يصلح بالهم من الهداية و التوفيق للايمان قال الطيبى لعل هؤلاء هم الذين عرفوه حق معرفته لكن منعهم عن الاسلام أما التقليد و أما حب الرياسة و عرفوا أن ذلك مذموم فتحروا أن يهديهم الله تعالى و يزيل عنهم ذلك ببركة دعائه عليه السلام اه و فيه بحث لانهم كانوا يرجون دعاءه بالرحمة لا بالهداية على ما سبق

رواه الترمذی و أبوداود ✱ و عن هلال بن يساف قال كنا مع سالم بن عبيد فعطس رجل من القوم فقال السلام عليكم فقال له سالم و عليک و علی أمک فکان الرجل وجد فی نفسه فقال أما انی لم أقل الا ما قال النبی صلی الله علیه وسلم اذا عطس رجل عند النبی صلی الله علیه وسلم فقال السلام عليكم فقال النبی صلی الله علیه وسلم عليک و علی أمک اذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين و ليقل له من يرد عليه يرحمک الله و ليقل يغفر الله لی و لكم

و الا فدعاؤه بالهداية لجميع أمته قد وقع فی قوله اللهم اهد قومی فانهم لايعلمون و لكن كما قال تعالی أنک لاتهدی من أحببت و لكن الله يهدی من يشاء ففی الجملة دعوته مستجابة (رواه الترمذی و أبوداود ✱ و عن هلال بن يساف) بكسر الياء و قيل بفتحها و هو نسخة و جزم به المؤلف فی أسمائه ففی القاموس هلال بن يساف بالكسر و قد يفتح تابعی كوفی اه و الياء أصلية فيتعين الصرف و فی المغنی بفتح المثناة التحتية و تخفيف السين المهملة و بالفاء أو هو بفتح ياء و كسرها و بكسر همزة مكان ياء قال المؤلف هو مولی أشجع أدرك علی بن أبی طالب و روی عن مسلم بن قيس و سمع أبا مسعود الانصاری و عنه جماعة (قال كنا مع سالم بن عبيد) بالتصغير قال المؤلف هو أشجعی من أهل الصفة و عداده فی أهل الكوفة روی عنه هلال بن يساف و غيره (فعطس رجل من القوم فقال السلام عليكم) ظنا أنه يجوز أن يقال بدل الحمد لله ذكره ابن الملک و يحتمل أنه وقع من سبق اللسان كما قد يشاهد من غيره لكن يرجح الاول حيث اعترض عليه (فقال له سالم و عليک) بالواو (و علی أمک) نبه بذلک علی حماقتها حيث سری فيه من صفاتها فافتقر الی الدعاء بالسلامة من الآفات ذكره ابن الملک و فيه انه لا وجه لنسبة الحماقة الی ذاتها الغائبة و لسريان صفاتها الی ولدها فانه غير معتبر شرعا بل انما هو دعاء لهما بالسلامة لكن علی طبق كلامه حيث وقع فی غير موقعه نعم قد يقال الاوجه فی وجه تخصيص الام انه كناية عن تربيتها أياه دون أبيه فانهن ناقصات العقل والدين
ن تفصيل الآداب بخلاف الآباء فانهم لمعاشرة العلماء يعرفون غالبا مثل هذه الاشياء (فكان الرجل) بتشديد النون (وجد) أی الكراهة أو الخجالة أو الحزن لما قال سالم (فی نفسه) لكن لم يظهره و ظهر عليه بعض آثاره و قال شارح أی غضب أو حزن من الموجدة و هو الغضب أو الوجد و هو الحزن و قال الجوهری وجد عليه فی الغضب موجدة و وجدانا أيضا و وجد فی الحزن وجدا بالفتح و فی الحديث اذا حمل علی الغضب قيل وجد عليه فی نفسه أی لم يظهر الغضب و كظم الغيظ و اذا حمل علی الحزن قيل ٧ أی أوقع الحزن فی نفسه (فقال) أی سالم (أما) بالتخفيف للتنبيه (انی لم أقل الا ما قال النبی صلی الله علیه وسلم) أی فانا متبع لا مبتدع (اذا عطس رجل عند النبی صلی الله علیه وسلم فقال السلام عليكم فقال النبی صلی الله علیه وسلم عليک) بلا واو (و علی أمک) قال التوربشتی نبه بقوله عليک و علی أمک علی بلاهته و بلاهة أمه و انها كانت محمقة فصارا مفتقرين الی السلام فيسلمان به من الآفات اه و فيه مع ما سبق أن تقدير السلام غير متعين فی المقام اذ يمكن أن يقال معناه عليک و علی أمک الملام من جهة عدم التعلم و الاعلام و ليس المراد به رد السلام بل القصد زجره عن هذا الكلام الواقع فی غير المرام قال النووی اذا قال العاطس لفظا آخر غير الحمد لله لم يستحق التشميت قلت و الظاهر انه اذا سلم كذلک لم يستحق الجواب لانه وقع سلامه فی غير صوب الصواب و الحاصل انه صلی الله علیه وسلم لما زجره و مزج من كلامه الحق بطيب حلاوة مزجه الصدق نصح و أفاد و عم العباد (فقال اذا عطس أحدكم فليقل) أی استحبابا (الحمد لله رب العالمين) أی

رواه الترمذى و أبوداود ★ و عن عبيد بن رفاعة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال شمت العاطس ثلاثا فما زاد فان شئت فشمته و ان شئت فلا رواه أبوداود و الترمذى و قال هذا حديث غريب ★ و عن أبى هريرة قال شمت أخاك ثلاثا فان زاد فهو زكام رواه أبوداود و قال لاأعلمه الا انه رفع الحديث الى النبى صلى الله عليه وسلم

★ (الفصل الثالث) عن نافع ان رجلا عطس الى جنب ابن عمر فقال الحمد لله و السلام على رسول الله قال ابن عمر و أنا أقول الحمد لله و السلام على رسول الله و ليس هكذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقول الحمد لله على كل حال رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب

مثلا (و ليقل له من يرد عليه) أى وجوبا (يرحمك الله) أى مثلا (و ليقل) أى العاطس ندبا (يغفر الله لى و لكم) أى مثلا و قيل الاولى أن يجمع بينه و بين قوله يهديكم الله و يصلح بالكم (رواه الترمذى وأبوداود ★ و عن عبيد بن رفاعة) بكسر الراء قال المؤلف هو رفاعة بن رافع يكنى أبا معاذ الزرقى الانصارى شهد بدرا واحدا و سائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم و شهد مع على الجمل و صفين مات فى أول ولاية معاوية روى عنه ابناه عبيد و معاذ و ابن أخيه يحيى بن خلاد اه و أما أبنه فتابعى مشهور روى عن أبيه و أسماء بنت عميس و عنه جماعة فالحديث أما مرسل و أبا سقط من صدر الحديث قوله عن أبيه (عن النبى صلى الله عليه وسلم قال شمت العاطس) أى الحامد (ثلاثا) أى ثلاث مرات فى مجلس واحد (فما زاد) أى عطسه عن الثلاث (فان شئت فشمته و أن شئت فلا رواه أبوداود و قال هذا حديث غريب ★ و عن أبى هريرة رضى الله عنه) أى موقوفا (قال شمت أخاك ثلاثا فان زاد) و فى نسخة فما زاد (فهو) أى العطاس (زكام) أي من أثره و علامته أو صاحبه ذوزكام و يؤيده الحديث السابق انه مزكوم (رواه أبوداود و قال) أى أبوداود حاكيا عمن يروى عن أبى هريرة أو قال أبوداود من تلقاء نفسه (لاأعلم) الضمير لابى هريرة (الا انه) أى أبا هريرة (رفع الحديث الى النبى صلى الله عليه وسلم) هذا القول أن صدر ممن روى عن أبى هريرة فمعناه أعلم رفعه لكن بحسب الظاهر كان الاولى أن يقول لا أظن الا أنه و لكنى ما أدرى بأى لفظ كان من سمعت أو قال و نحوهما و ان كان من غيره فمعناه أن هذا الموقوف فى حكم المرفوع لان مثله ما يقال من قبل الرأى و الله أعلم

★ (الفصل الثالث) ★ (عن نافع رضى الله عنه أن رجلا عطس الى جنب ابن عمر) أى منتهيا جلوسه الى جنبه (فقال) أى العاطس (الحمد لله و السلام على رسول الله) يحتمل أن يكون من جهله بالحكم الشرعى أو ظن أنه يستحب زيادة السلام عليه لانه من جملة الاذكار أو جزاء لتعليمنا آداب الابرار أو قياسا على زيادة ذكره بعد الحمدلة فى كثير من الامور كابتداء الخطبة و دخول المسجد و نحوهما لكن لما كان هذا من باب القياس مع الفارق (قال ابن عمر و أنا أقول) أى كما تقول أيضا (الحمد لله و السلام على رسول الله) لانهما ذكران شريفان كل أحد مامور بهما لكن لكل مقام مقال و هذا معنى قوله (وليس هكذا) أى ليس الادب المأمور المندوب هكذا بأن يضم السلام مع الحمد عند العطسة بل الادب متابعة الامر من غير زيادة و نقصان من تلقاء النفس الا بقياس جلى (علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقول الحمد لله على كل حال) فالزيادة المطلوبة انما هى المتعلقة بالحمدلة سواء ورد أولا و أما زيادة ذكر آخر بطريق الضم اليه فغير مستحسن لان من سمع ربما يتوهم انه من جملة المأمورات ثم لايبعد أن يتعلق قوله على كل حال بقوله نقول فالمعنى انه صلى الله عليه وسلم علمنا

★ (.باب الضحک) ★ (الفصل الاول) ★ عن عائشة قالت ما رأيت النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم مستجمعا ضاحکا حتی أری منه لهواته انما کان یتبسم رواه البخاری

قول الحمدلله عند العطسة علی کل حال من الاحوال من غیر تفاوت فی الافعال و قال الطیبی فی قوله و لیس هکذا أی و الحال أنه لیس کذلک لان شأن العاطس أن یقول الحمد لله کما علمنا رسول‌الله علیه السلام و قوله علمنا رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم مستأنف دال علی المقدر فهو من باب الرجوع الی ما هو أحق و أحری علی طریق أرخاء العنان و التساهل و الاجتناب عن التخشن خلافا لقول سالم علیک و علی أمک کما مر فی الحدیث قلت هذا جرءة عظیمة وغلظة جسیمة فی نسبة التخشن الی صاحب النبوة فان قول سالم عین قوله صلی‌الله‌علیه‌وسلم ثم ما ذکره بعد ذلک من الاعتذار دفعا لما یرد علیه من الاعتراض ذنب آخر أعظم منه حیث قال فان قلت لم زجر النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم فی حدیث هلال اذ عطس الرجل فقال السلام علیکم العاطس و سمی أمه علی سبیل الفظاظة و هو جدیر بالرفق قلت لعله قد سمع منه مرارا التشمیت و عدل منه الی ذلک فلهذا زجره و ما کان من ابن عمر ابتداء تعلیم و ارشاد فأقول لیته کان تفضض جمیع اسنانه و أقلام بنانه و لم ینسب فی تقریره و تحریره بل لم یخطر فی خاطره و ضمیره اسناد الفظاظة الیه صلی‌الله‌علیه‌وسلم و قد قال تعالی و لو کنت فظا غلیظ القلب لانفضوا من حولک فانه کفر صریح ما عنه عذر صحیح اذ أثبت له صلی‌الله‌علیه‌وسلم ما نزهه سبحانه و تعالی عنه ثم من أین له علم الغیب بأنه سمع منه مرارا و ما کان من ابن عمر ابتداء مع أن هذا غیر معقول و لا فی کتب سیر الاصحاب منقول انه صلی‌الله‌علیه‌وسلم نهی بعض أصحابه المؤمنین مرارا عن مثل هذا القول و هو عدل منه الی المنهی عنه فاحتاج الی زجره بالعدول عن رفقه اللائق به و نحن بحمد الله بینا لطافة کلامه فی تعلیم سلامه بما قدرنا علیه و صرحنا و أشرنا الیه مع الاعتراف بالعجز عن بلوغ فهم کلامه صلی‌الله‌علیه‌وسلم و شرف و کرم و عظم علی ان فرقا ظاهرا بین صاحب ابن عمر وبین صاحبه صلی‌الله‌علیه‌وسلم حیث ان الاول وضع السلام المتعارف عند اللقاء مکان حمدالله حال العطاس و الثانی زاد السلام علی رسول‌الله بعد قوله الحمدلله فالحمدلله و السلام علی رسول‌الله (رواه الترمذی و قال هذا حدیث غریب)

★ (باب الضحک) ★ هو بکسر فسکون فی الاصول و فی القاموس ضحک ضحکا بالفتح و بالکسر و بکسرتین ککتف هذا و لعل المصنف أراد بالضحک المعنی الاعم الشامل للتبسم و الا فکان أکثر ضحکه صلی‌الله‌علیه‌وسلم تبسما أو أراد بالضحک من حیث هو استدلالا علی جوازه بوقوعه منه صلی‌الله علیه‌وسلم و من أصحابه رضی‌الله عنهم و أما ما نقل البغوی فی تفسیره عند قوله تعالی لایغادر صغیرة و لاکبیرة الا أحصاها عن ابن عباس انه قال الصغیرة التبسم و الکبیرة الضحک فمحمول علی سخریة الکفار بالمؤمنین أو جهلة الفجار بالعلماء الصالحین کما أخبر الله سبحانه بقوله أن الذین أجرموا کانوا من الذین آمنوا یضحکون

★ (الفصل الاول) ★ (عن عائشة رضی‌الله عنها قالت ما رأیت النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم مستجمعا ضاحکا) أی ما أبصرته حال کونه مستجمعا من جهة الضحک فقوله ضاحکا نصب علی التمییز و ان کان مشتقا کقوله لله دره فارسا والمعنی ما رأیته یضحک تاما مقبلا بکلیته علی الضحک (حتی أری منه لهواته) بفتح اللام و الهاء جمع اللهاة و هی اللحمات فی سقف أقصی الفم مشرفة علی الحلق (انما کان یتبسم) أی غالبا وقد یضحک لکن لایصل الی الحد المذکور والاعراب السابق زبدة کلام الطیبی

★ و عن جرير قال ما حجبني النبي صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ولارآني الا تبسم متفق عليه ★ وعن جابر بن سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح حتى تطلع الشمس فاذا طلعت الشمس قام و كانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون و يتبسم صلى الله عليه وسلم رواه مسلم و في رواية للترمذي يتناشدون الشعر

و مال ابن الملك الى أن قوله ضاحكا حال أي ما رأيته مستجمعا لضحكه في حال ضحكه أي لم أره يضحك ضحكا تاما ضاحكا بجميع فمه اه و هو مأخوذ من كلام شارح سبقه و قال فكأنها قالت مستجمعا ضحكا و في المصباح استجمعت شرائط الأمامة و اجتمعت بمعنى حصلت فالفعلان على اللزوم و حينئذ لايحتاج الى تقدير مفعول و في المغرب استجمع السيل اجتمع من كل موضع و استجمعت للمرء أموره اجتمع له ما يحبه و هو لازم كما ترى و قولهم استجمع الفرس جريا نصب على التمييز و أما قول الفقهاء مستجمعا شرائط الجمعة فليس يثبت و الله أعلم (رواه البخاري) و روى أحمد و الترمذي و الحاكم عن جابر بن سمرة أنه صلى الله عليه وسلم كان لايضحك الا تبسما جعل التبسم من الضحك و استثنى منه قال التبسم من الضحك بمنزلة السنة من النوم و منه قوله تعالى فتبسم ضاحكا أي شارعا في الضحك ★ (و عن جرير) أي ابن عبدالله البجلي (قال ما حجبني النبي صلى الله عليه وسلم) أي ما منعني من مجالسته الخاصة أو من بيته حيث يمكن الدخول عليه و المقصود انى لم احتج الى الاستيذان و يحتمل أن يكون المراد ما منعني من ملتمساتي عنه بل أعطاني ما طلبته منه البتة (منذ أسلمت) و قد أسلم قبل موته صلى الله عليه وسلم بأربعين يوما (و لارآني) أي منذ أسلمت اذ الحذف من الثاني لدلالة الاول كثير و يؤيده ما في رواية للترمذي عنه بلفظ ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم و لارآني منذ أسلمت فهو متعلق بكل من الفعلين لكن قوله (الا تبسم) مرتبط بالفعل الثاني و في رواية للترمذي الاضحك و المراد به التبسم و هذا من كمال مكارم أخلاقه صلى الله عليه وسلم و لعل منشأ كثرة انبساطه عليه السلام معه انه رضي الله عنه كان من مظاهر الجمال و لذا قال عمر رضي الله عنه أن جريرا يوسف هذه الامة (متفق عليه ★ و عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايقوم من مصلاه الذي يصلي فيه) أي الصبح (حتى تطلع الشمس) أي طلوعا حسنا كما سبق (فاذا طلعت الشمس قام) أي لصلاة الاشراق و هو مبدأ صلاة الضحى أو معناه قام للانصراف قال النووي فيه استحباب الذكر بعد الصبح و ملازمته مجلسها ما لم يكن عذر قال القاضي عياض و كان السلف يواظبون على هذه السنة و يقتصرون في ذلك على الذكر و الدعاء حتى تطلع الشمس (و كانوا) أي أصحابه (يتحدثون) أي فيما بين الوقتين و هو الاظهر أو في غيره أو مطلقا غير مقيد بوقت دون وقت (فيأخذون في أمر الجاهلية) أي على سبيل المذمة أو بطريق الحكاية لما فيها من فائدة و غيره من جملته انه قال واحد ما نفع أحدا صنمه مثل ما نفعني قالوا كيف هذا قال صنعته من الحيس فجاء القحط فكنت آكله يوما فيوما و قال آخر رأيت ثعلبين جاآ و صعدا فوق رأس صنم لي و بالا عليه فقلت ★ أرب يبول الثعلبان برأسه ★ فجئتك يا رسول الله و أسلمت (فيضحكون و يتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه مسلم و في رواية للترمذي يتناشدون الشعر) أي يقرؤنه أو يطلب بعضهم من بعض قراءته في الشمائل عن جابر بن سمرة قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة و كان أصحابه يتناشدون الشعر و يتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية و هو ساكت و ربما يتبسم معهم و من المعلوم أن في مجلسه الشريف لايتناشد الا الشعر المنيف المشتمل على التوحيد و الترغيب و الترهيب و قد كان

★ (الفصل الثانی) ★ عن عبدالله بن الحارث بن جزء قال ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم رواه الترمذی

★ (الفصل الثالث) ★ عن قتادة قال سئل ابن عمر هل كان أصحاب رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم یضحکون قال نعم و الایمان فی قلوبهم أعظم من الجبل و قال بلال بن سعد أدركتهم یشتدون بین الاغراض و یضحک بعضهم الی بعض

صلی‌الله‌علیه‌وسلم یتمثل بشعر ابن رواحة و یقول

ستبدی لک الایام ما كنت جاهلا ★ و یأتیک بالاخبار من لم‌تزود

و قد قال صلی‌الله‌علیه‌وسلم و هو الصادق المصدوق. أن أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبید

الا كل شئی ما خلا الله باطل ★ و كل نعیم لامحالة زائل

أی من نعیم الدنیا لقوله بعد ذلک

نعیمک فی الدنیا غرور و حسرة ★ و عیشک فی الدنیا محال و باطل

هذا و من لطائف ما حکی عن بعض المشایخ انه قرأ بعد صلاة الصبح حزبه من القرآن ثم أنشد أحد من أصحابه شعرا فحصل له بكاء و تواجد فلما سكن قال أتلومون الناس یقولون فلان ملحد أو زندیق قرأت كذا من القرآن و لم‌یخرج لی دمعة فلما سمعت هذا الشعر كدت ان أجن أقول هذا فتح باب للسماع و ینجر الی ما وقع فیه من النزاع و یحتاج الی بیان الحكمة فی الفرق بین حالی الشیخ فی ذلک المقام مما یحتاج الی بسط فی الكلام فاعرضنا عنه شروعا فی الاهم منه من المرام

★ (الفصل الثانی) ★ (عن عبدالله بن الحارث بن جزء) بفتح جیم و سكون زای بعده همز (قال ما رأیت أحدا أكثر تبسما من رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم رواه الترمذی)

★ (الفصل الثالث) ★ (عن قتادة) من أكابر التابعین (قال سئل ابن عمر هل كان أصحاب رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم یضحکون قال نعم و الایمان) أی نعم یضحکون و الحال أن عظمة الایمان و جلالته (فی قلوبهم أعظم من الجبل) فكانوا فی غایة من الوقار و الثبات علی قواعد الآداب الشرعیة و فی نهایة من مراعاة مكارم الاخلاق الرضیة حیث لم‌یتجاوزوا فی حال الضحک و غیره عن دائرة الامور الدینیة و قال الطیبی هو من باب الرجوع و القول بالموجب أی نعم كانوا یضحکون لكن لا یتجاوزون الی ما یمیت قلوبهم و یتزلزل به أیمانهم من كثرة الضحک كما ورد أن كثرة الضحک تمیت القلوب (و قال بلال بن سعد) تابعی و لم یذكره المؤلف فی أسمائه (أدركتهم) أی كثیرا من الصحابة (یشتدون) بتشدید الدال من الشد و هو العدو أی یعدون و یجرون (بین الاغراض) جمع الغرض بفتحتین و هو الهدف زنة و معنی و المراد بالجمع هنا ما فوق الواحد لیوافق ما فی النهایة فی حدیث عقبة بن عامر تختلف بین هذین الغرضین و أنت شیخ كبیر ثم قوله (و یضحک بعضهم الی بعض) أی متوجها و ملتفتا الیه لامعرضا و مائلا عنه أو الی بمعنی مع كما نقل فی قوله تعالی و لاتأكلوا أموالهم الی أموالكم و فی قوله الی المرافق أو ضمن یضحک معنی ینبسط و أغرب الطیبی فی قوله و ضمن ضحک معنی السخریة و عداه بالی كقوله تعالی و اذا خلوا الی شیاطینهم و وجه غرابته من وجهین أما أولا فان السخریة یتعدی بمن كقوله تعالی فیسخرون منهم سخر الله منهم نعم فی قوله تعالی أن الذین أجرموا كانوا من الذین آمنوا یضحکون ضمن الضحک معنی السخریة و أما ثانیا فلان قوله تعالی و اذا خلا بعضهم الی بعض لیس فیه تضمین السخریة بل و لایصح لفظا و لامعنی بل فیه

فاذا كان الليل كانوا رهبانا رواه فى شرح السنة

★ (باب الاسامى) ★ (الفصل الأول) ★ عن أنس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم فى السوق فقال رجل يا أبا القاسم فالتفت اليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال انما دعوت هذا فقال النبى صلى الله عليه وسلم سموا باسمى و لاتكتنوا بكنيتى متفق عليه ★ و عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال سموا باسمى و لاتكتنوا بكنيتى

تأويلان أحدهما أن الى بمعنى مع كما فى قوله عزوجل من أنصارى الى الله و ثانيهما تضمين الى معنى الانضمام أو الانتهاء هذا و حاصل المعنى ان هذا كان حالهم فى النهار و فى مجالس أصحابهم الابرار (فاذا كان الليل) أى وجد أو كان الوقت زمان الليل و مقام الوحدة و مرتبة الخلوة بعد منزلة الجلوة (كانوا رهبانا) بضم الراء جمع راهب كركبان و راكب و قد يقع على الواحد و يجمع على رهابين ففى النهاية الرهبان من ترك الدنيا و زهد فيها و تخلى عنها و عزل عن أهلها و تعمد مشاقها اه فهم كما قال تعالى فيهم رجال لاتلهيهم تجارة و لابيع عن ذكر الله و أقام الصلوة و ايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب و الابصار وقال عزوجل اخبارا عنهم تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا و طمعا و مما رزقنهم ينفقون و قال سبحانه كانوا قليلا من الليل ما يهجعون و بالاسحار هم يستغفرون بل أقول انهم كانوا حال الضحك ظاهرا فى عين البكاء باطنا فانهم فرشيون باشباحهم عرشيون بأرواحهم كائنون مع الخلق بأبدانهم بائنون عنهم مع الحق بقلوبهم و جنانهم قريبون فى الظاهر مع القريب و البعيد غريبون عن الخلق فى الباطن على قدم التجريد و التفريد ملوك فى سلوك لباس الاطمار و اغنياء مع كمال فقرهم فى هذه الدار رضى الله عنهم و نفعنا ببركة ما ظهر منهم (رواه) أى البغوى (فى شرح السنة)

★ (باب الاسامى) ★ بتشديد الياء و تخفيفها فان الاسماء جمع أسم و كذا أسامى و أسام على ما فى القاموس فأسامى على وزن أفاعيل و أسام على وزن أفاعل

★ (الفصل الاول) ★ (عن أنس رضى الله عنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم فى السوق) أى قاعدا أو واقفا أو مارا (فقال رجل يا أبا القاسم فالتفت اليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال) أى الرجل (انما دعوت هذا) أى و أشار الى غيره صلى الله عليه وسلم (فقال النبى صلى الله عليه وسلم سموا باسمى) يعنى فانه لايوجب الالتباس لانكم منهيون عن دعائى باسمى لقوله تعالى لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا و للتعليم العقلى من الله تعالى لعباده حيث ما خاطبه صلى الله عليه وسلم فى كلامه الا بيا أيها النبى و نحوه بخلاف سائر الأنبياء حيث ناداهم باسمائهم و قال يا آدم و يا ابراهيم و يا موسى و يا عيسى (و لاتكتنوا) من باب الافتعال و فى نسخة و لاتكنوا بضم التاء و تشديد النون من التكنية من باب التفعيل و فى نسخة بفتح أوله و سكون ثانيه و الكل لغات و فى رواية الطبرانى عن ابن عباس و لاتكنوا (بكنيتى) لان الكنية من باب التعظيم و التوقير بخلاف الاسم المجرد فنهاهم عن ذلك لئلا يقع الالتباس حين مناداة بعض الناس ثم أعلم ان علماء العربية قالوا العلم أما أن يكون مشعرا بمدح أو ذم و هو اللقب و أما أن لايكون فاما أن يصدر باب أو ابن و هو الكنية أولا و هو الاسم فاسمه محمد صلى الله عليه وسلم و كنيته أبو القاسم و لقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم و انما كنى باكبر أولاده (متفق عليه ★ و عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال سموا باسمى و لاتكتنوا) من باب الافتعال و لفظ الجامع و لاتكنوا و هو يحتمل أن يكون مجردا وأن يكون من باب التفعيل (بكنيتى)

فانى انما جعلت قاسما أقسم بينكم متفق عليه

أى المخصوصة بى قيل مذهب العرب فى العدول عن الاسم الى الكنية هو التوقير الا أن تكون الكنية نبذا يتأذى منه المدعو به و لما كان من حق الرسول صلى‌الله‌عليه‌وسلم فيما يراد به التعظيم أن لايشاركه فيه أحد كره أن يكنى أحد بكنيته و قد قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا و بين هذا المعنى قوله (فانى انما جعلت) أى جعلنى الله (قاسما) و فى رواية الجامع انما بعثت قاسما (لاقسم بينكم) أى العلم و الغنيمة و نحوهما و قيل البشارة للصالح و النذارة للطالح و يمكن أن تكون قسمة الدرجات و الدركات مفوضة اليه صلى‌الله‌عليه‌وسلم و لامنع من الجمع كما يدل عليه حذف المفعول لتذهب أنفسهم كل المذهب و يشرب كل واحد من ذلك المشرب و هذا المعنى غير موجود حقيقة فى حقكم بل مجرد اسم لفظا و صورة فى شأنكم و شأن أولادكم و الحاصل انى لست أباالقاسم بمجرد أن ولدى كان مسمى بقاسم بل لوحظ فى معنى القاسمية باعتبار القسمة الازلية فى الامور الدينية و الدنيوية فلست كاحدكم لا فى الذات و لا فى الاسماء و الصفات فعلى هذا يكون أبوالقاسم نظير قول الصوفية الصوفى أبو الوقت أى صاحبه و ملازمه الذى لاينفك عنه فمعنى أبى القاسم صاحب هذا الوصف كما يقال أبو الفضل و ان لم يكن له ولد مسمى بالفضل و مجمله ان هذه الكنية ترجع الى معنى اللقب المحمود و الله أعلم و قيل النهى مخصوص بحياته لئلا يلتبس خطابه بخطاب غيره و هذا هو الصحيح لما تقدم من سبب ورود النهى فى الحديث المتفق عليه بالصريح و قيل النهى عن الجمع بينهما و هو أيضا ينبغى أن يكون مخصوصا بحياته عليه السلام هذا و قد قال الطيبى اختلفوا فيه على وجوه أحدها أنه لايحل التكنى بأبى القاسم أصلا سواء كان اسمه محمدا أو احمد او لم يكن له اسم لظاهر هذا الحديث و ذلك انه لما كان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يكنى أبا القاسم لانه يقسم بين الناس من قبل الله تعالى أما بوحى اليه و ينزلهم منازلهم التى يستحقونها فى الشرف و الفضل و قسم الغنائم ولم يكن أحد منهم يشاركه فى هذا المعنى منع أن يكنى به غيره بهذا المعنى و هو مذهب الشافعى و أهل الظاهر قال القاضى هذا اذا أريد به المعنى المذكور أما لو كنى به أحد للنسبة الى ابن له اسمه قاسم أو للعلمية المجردة جاز و يدلك عليه التعليل المذكور للنهى قلت لكن يابى عليك ما سبق من سبب الورود المسطور للنهى قال و ثانيها أن هذا الحكم كان فى بدء الامر ثم نسخ فيباح التكنى اليوم بابى القاسم لكل أحد سواء فيه من اسمه محمد أو غيره و علته التباس خطابه بخطاب غيره و يدل عليه نهيه عنه فى حديث أنس عقيب ما سمع رجلا يقول يا أبا القاسم فالتفت اليه صلى‌الله‌عليه‌وسلم فقال انما دعوت هذا و ما روى فى الفصل الثانى عن على رضى‌الله عنه انه قال يا رسول‌الله أن ولد لى بعدك ولد أسميه محمدا أو أكنيه بكنيتك قال نعم أقول دعوى النسخ ممنوعة لانها غير مسموعة بل ينبغى أن يقال ينتفى الحكم بانتفاء العلة و العلة فى ذلك الاشتباه و هو متعين فى حال الحياة قال و هذا مذهب مالك قال القاضى عياض و به قال جمهور السلف و فقهاء الامصار و ثالثها انه ليس بمنسوخ و انما كان النهى للتنزيه و الادب لاللتحريم و هو مذهب جرير قلت و هو خلاف الاصل فى أن النهى للتحريم لاسيما و ما يترتب عليه من الاذى له صلى‌الله‌عليه‌وسلم و لو كان فى بعض الاحيان من حياته على انه علل النهى بعلة دالة على اختصاص الاسم به حال وجوده قال و رابعها أن النهى للجمع و لابأس بالكنية وحدها لمن لايسمى واحدا من الاسمين و يدل عليه ما روى عن أبى هريرة أن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم نهى أن يجمع أحد بين أسمه و كنيته و نظيره قولهم أشرب اللبن و لاتأكل السمك أى حين شربته

★ و عن ابن عمر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أن أحب أسمائكم الى الله عبدالله و عبدالرحمن رواه مسلم ★ و عن سمرة بن جندب قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتسمين غلامك يسارا و لارباحا و لانجيحا

فيكون النهى عن الجمع بينهما و هو مذهب جماعة من السلف قلت هذا مع مخالفة ظاهر الحديثين المتفق عليهما من جواز التسمية و منع التكنية أعم من أن يكون مقارنا بالتسمية أو مفارقا لها لايلائمه سبب ورود النهى فى الحديث الاول و لايناسبه العلة المسطورة فى الحديث الثانى فتأمل و النظير لفظى لا معنوى فان الجمع بين شرب اللبن و أكل السمك مضر على قول الاطباء و أما هنا فالضرر فى التكنية وحدها أعم من أن يوجد معها اشتراك الاسم أم لا فالنظير الحقيقى هو أن يقال خالط الناس و لاتؤذ قال و خامسها انه نهى عن التكنى بأبى القاسم مطلقا و أراد المقيد و هو النهى عن التسمية بالقاسم و قد غير مروان بن الحكم اسم ابنه حين بلغه هذا الحديث فسماه عبدالملك وكان اسمه القاسم و كذا عن بعض الانصار قلت لو قيل قول سابع و هو النهى عن التكنية بأبى القاسم كما يدل عليه سبب الورود المذكور و عن التسمية بالقاسم أيضا نظرا الى التعليل المذكور لكان له وجه وجيه مع التقييد فى حال حياته تنزيها لغيره أن يكون مشاركا له فى أسمائه و صفاته و أما جواز أطلاق أبى القاسم و منع القاسم فممنوع و لا له وجه مشروع و الظاهر أن مروان غير اسم ابنه القاسم لما بلغه الحديث عن التكنى بأبى القاسم و خاف انه يكنى به و يقع المحظور فغيره تخلصا من حصول المحظور قال و سادسها أن التسمية بمحمد ممنوعة مطلقا و جاء فيه حديث عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم تسمون أولادكم محمدا ثم تلعنوهم قلت ليس فى الحديث دلالة على منع التسمية بمحمد بل فيه اشعار الى انه اذا سمى ولد بمحمد يجب تعظيمه بسبب هذا الاسم الشريف فلايعامل معه معاملة سائر الاسماء. و يؤيده ما رواه البزار عن أبى رافع مرفوعا اذا سميتم محمدا فلاتضربوه و لاتحرموه و ما رواه الخطيب عن على مرفوعا اذا سميتم الولد محمدا فاكرموه و أوسعوا له فى المجلس و لاتقبحوا له وجها قال و كتب عمر الى الكوفة لاتسموا احدا باسم النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم و سببه انه سمع رجلا يقول لمحمد بن يزيد بن الخطاب فعل الله بك يا محمد فدعاه عمر رضى‌الله عنه فقال أرى أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يسب بك و الله لاتدعى محمدا ما بقيت و سماه عبدالرحمن قلت فالنهى عنه ليس مطلقا لذاته بل مقيد بان يحصل بسببه اهانة لسميه صلى‌الله‌عليه‌وسلم من حيث انه شريكه فى اسمه قال و هذا أكثره من كلام الشيخ محى الدين النووى و قال أيضا أجمعوا على جواز التسمية باسماء الانبياء الا ما قدمناه عن عمر بن الخطاب قلت و قد قدمنا هو الصواب قال و كره مالك التسمى باسماء الملائكة كجبريل قلت و يؤيده ما رواه البخارى فى تاريخه عن عبدالله بن جرار سموا باسماء الانبياء و لاتسموا باسماء الملائكة (متفق عليه ★ و عن ابن عمر رضى‌الله‌عنهما قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أن أحب أسمائكم الى الله عبدالله وعبدالرحمن) قيل أى بعد أسماء الانبياء عليهم السلام بدليل الاضافة فدل على ان الاسمين ليسا باحب من اسم محمد فهما فى مرتبة التساوى معه أو يكون اسم محمد أحب من الاسمين أما مطلقا أو من وجه و الله سبحانه أعلم (رواه مسلم) و روى الحاكم فى الكنى و الطبرانى عن أبى زهير الثقفى مرفوعا اذا سميتم فعبدوا أى انسبوا عبوديتهم الى أسماء الله فيشمل عبدالرحيم و عبدالملك و غيرهما و لايجوز نحو عبدالحارث و لا عبدالنبى و لاعبرة بما شاع فيما بين الناس ★ (و عن سمرة بن جندب رضى‌الله عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتسمين) أى البتة أيها المخاطب بالخطاب العام (غلامك) أي صبيك

و لاأفلح فانک تقول أثم هو فلايكون فيقول لا رواه مسلم و فى رواية له قال لاتسم غلامک رباحا و لايسارا و لاأفلح و لانافعا ★ وعن جابر قال أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن ينهى عن أن يسمى بيعلى و ببركة و بأفلح و بيسار و بنافع و بنحو ذلک ثم رأيته سكت بعد عنها ثم قبض و لم ينه عن ذلک رواه مسلم ★ و عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخنى الاسماء يوم القيامة عند الله رجل يسمى

أو عبدك (يسارا) من اليسر ضد العسر (و لارباحا) بفتح الراء من الربح ضد الخسارة (و لانجيحا) من النجح و هو الظفر (و لاأفلح) من الفلاح و هو الفوز (فانك تقول) أى أحيانا (ثم) بفتح المثلثة و تشديد الميم بتقدير استفهام أى اهناك (هو) أى المسمى باحد هذه الاسماء المذكورة (فلايكون) أى فلايوجد هو فى ذلک المكان اتفاقا (فيقول) أى المجيب (لا) أى ليس هناك يسار أو لارباح عندنا أو لانجيح هناك أو لاأفلح موجود فلايحسن مثل هذا فى التفاؤل أو فيكره لشناعة الجواب فى شرح السنة معنى هذا أن الناس يقصدون بهذه الاسماء التفاؤل بحسن ألفاظها أو معانيها و ربما ينقلب عليهم ماقصدوه الى الضد اذا سألوا فقالوا أثم يسار أو نجيح فقيل لا فتطيروا بنفيه وأضمروا اليأس من اليسر و غيره فنهاهم عن السبب الذى يجلب سوء الظن و الاياس من الخير قال حميد ابن زنجويه فاذا ابتلى رجل فى نفسه أو أهله ببعض هذه الاسماء فليحوله الى غيره فان لم يفعل و قيل أثم يسار أو بركة فان من الادب أن يقال كل ما هنا يسر و بركة و الحمد لله و يوشک أن يأتى الذى تريده و لايقال ليس هنا و لاخرج و الله أعلم (رواه مسلم و فى رواية له) أى لمسلم (قال لاتسم غلامک رباحا ولا يسارا و لانافعا) فى شرح مسلم للنووى قال أصحابنا يكره التسمى بالاسماء المذكورة فى الحديث و ما فى معناها و هى كراهة تنزيه لاتحريم و العلة فيه ما نبه صلى الله عليه وسلم بقوله أثم هو فيقول لا فكره لشناعة الجواب ★ (و عن جابر رضى الله عنه قال أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن ينهى عن أن يسمى بيعلى) بالفتح مضارع على فى الشرف بالكسر (و ببركة) بعدم الصرف و كذا قوله (و بافلح) و أما قوله (و بيسار) فالياء أصلية فصرف (و بنافع و بنحو ذلک) أى و بمعنى ما ذكر من الاسماء كما سبق بعضها (ثم رأيته سكت بعد) بالضم مبنيا أى بعد أرادته النهى عن التسمية بما ذكر (عنها) اى سكت عن الاسماء المسطورة و غيرها و لم يصرح بنهى و لابجواز (ثم قبض) أى توفى (و لم ينه عن ذلک) أى عما ذكر من الاسماء قال الطيبى كانه رأى أمارات و سمع ما يشعر بالنهى و لم يقف على النهى صريحا فلذا قال ذلک و قد نهاه صلى الله عليه وسلم فى الحديث السابق لسمرة و شهادة الاثبات أثبت قلت و له وجه آخر من التأويل و هو انه أراد أن ينهى نهى تحريم ثم سكت بعد ذلک رحمة على الامة لعموم البلوى و ايقاع الحرج لاسيما و أكثر الناس ما يفرقون بين الاسماء من القبح و الحسن فالنهى المنفى محمول على التحريم و المثبت على التنزيه و قد روى أبوداود و ابن ماجه عن سمرة فانه صلى الله عليه وسلم نهى أن يسمى أربعة أسماء أفلح و يسارا و نافعا و رباحا و روى الطبرانى بسند حسن عن ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم نهى أن يسمى الرجل حربا أو وليدا أو امرأة أو الحكم أو أبا الحكم أو أفلح أو نجيحا أو يسارا و روى الطبرانى عن بريدة انه صلى الله عليه وسلم نهى أن يسمى كلب أو كليب ★ (و عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخنى الاسماء) بسكون الخاء المعجمة بعدها نون أى أقبحها و روى أخنع أى أذلها وأوضعها باعتبار مسماه (يوم القيامة عند الله) أى و ان كان اليوم عند عامة الناس أعظم الاسماء و أكرمها

ملك الاملاك رواه البخاري و في رواية مسلم قال أغيظ رجل على الله يوم القيامة و أخبثه رجل كان يسمى ملك الاملاك لاملك الا الله

(رجل) أى اسم رجل (يسمى) بصيغة المجهول من التسمية نص عليه السيد جمال الدين و هو المطابق لما في النسخ المصححة و في نسخة بفتح الفوقية و تشديد الميم ماض معلوم من التسمي مصدر من باب التفعل قال بعضهم وقع في أكثر نسخ المصابيح بصيغة المجهول من التسمية و كذا رأيته في أصل مصحح من كتاب مسلم و وقع في بعض النسخ بصيغة المعروف من التسمي ثم قوله (ملك الاملاك) منصوب على المفعولية و الاملاك جمع ملك كالملوك على ما في القاموس و قد فسره سفيان الثوري فقال هو شهنشاه يعني شاه شاهان بلسان العجم و قدم المضاف اليه ثم حذف الالف وفتح الهاء تخفيفا و هو بالعربي سلطان السلاطين (رواه البخاري و في رواية مسلم قال) أى النبي عليه السلام (أغيظ رجل) اسم تفضيل بني للمفعول أى أكثر من يغضب عليه و يعاقب فان الغيظ غضب العاجز عن الانتقام و هو مستحيل في حقه سبحانه فيكون كناية عن شدة كراهة هذا الاسم أو مجازا عن عقوبته للتسمي بالاسم الآتي وأضيف الى مفرد بمعنى الجمع أى أشد أصحاب الاسماء الكريهة عقوبة (على الله) بحذف مضاف أى بناء على حكمه (يوم القيامة و أخبثه) أى حالا و مقاما (رجل كان يسمى ملك الاملاك) و هو من التسمية بصيغة المجهول في جميع الاصول و المفهوم من كلام ابن حجر انه بصيغة الفاعل حيث قال أى يسمى نفسه بذلك فيرضى أن اسمه على ذلك (لاملك) أى لاسلطان (الا الله) و الجملة استئناف لبيان تعليل تحريم التسمية فبين ان الملك الحقيقي ليس الا هو و ملكية غيره مستعارة فمن سمى بهذا الاسم نازع الله بردائه و كبريائه وقد قال تعالى في الحديث القدسي الكبرياء ردائي و العظمة ازاري فمن نازعني فيهما قصمته و لما استنكف أن يكون عبدا لله جعل له الخزى على رؤس الاشهاد و هذا مجمل الكلام في مقام المرام و في الجامع الصغير رواه الشيخان و أبوداود و الترمذي و لفظه أخنع الاسماء عند الله يوم القيامة رجل يسمى ملك الاملاك لامالك الا الله اه و ظاهره أن الاملاك جمع الملك بالكسر فيكون بهذا المعنى أيضا مذموما على انه يمكن أن يقرأ ملك مالك كما في قوله تعالى ملك يوم الدين و هو مرسوم بحذف الالف اتفاقا و الله أعلم و قال الطيبي لابد في الحديث من الحمل على المجاز لان التقييد بيوم القيامة مع ان حكمه في الدنيا كذلك للاشعار بترتب ما هو مسبب عنه من انزال الهوان و حلول العقاب و الرواية الاخرى لمسلم أخنع اسم عند الله و قال الشيخ محيي الدين سأل أحمد بن حنبل أبا عمرو عن أخنع فقال أوضع و المعنى أشد ذلا و صغارا يوم القيامة اه و قوله رجل يسمى خبر أخنى و لابد من التأويل ليطابق الخبر المبتدأ و هو على وجهين أحدهما أن يقدر مضاف في الخبر أى اسم رجل و ثانيهما أن يراد بالاسم المسمى مجازا أى أخنى الرجال رجل كقوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى و فيه من المبالغة انه اذا قدس اسمه عما لايليق بذاته فكان ذاته بالتقديس أولى و هنا اذا كان الاسم محكوما عليه بالهوان و الصغار فكيف بالمسمى فاذا كان حكم الاسم ذلك فكيف بالمسمى و هذا اذا كان رضى المسمى بذلك الاسم و استمر عليه و لم يبدله و هذا التأويل أبلغ من الاول و اولى لانه موافق لرواية أغيظ رجل قال القاضي أى أكبر من يغضب عليه غضبا اسم تفضيل بني للمفعول كالوم و أضافه الى المفرد على ارادة الجنس و الاستغراق فيه قال الطيبي و على هنا ليست بصلة الاغيظ كما يقال اغتاظ على صاحبه و تغيظ عليه لان المعنى يأباه كما لايخفى و لكن بيان كانه لما قيل أغيظ رجل قيل على من قيل على الله كقوله تعالى

★ و عن زينب بنت أبي سلمة قالت سميت برة فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتزكوا أنفسكم الله أعلم باهل البر منكم سموها زينب رواه مسلم ★ و عن ابن عباس قال كانت جويرية

هيت لك فان لك بيان لاسم الصوت قلت التقدير ما افاد التغيير ليكون دفع الفساد بل وقع في عين ما أراد منه الشراد ثم ليس نظيره ما ذكره من الآية فان الغيظ تعديته بعلى في أصل اللغة بخلاف هيت فانه ليس بمتعد أصلا بل معناه أقبل و بادر أو تهيات والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح عند جمهور القراء كاين و اللام للتبيين كالتي في سقيا لك فالاولى ما أولناه أولا و في النهاية هذا مجاز الكلام معدول عن ظاهره فان الغيظ صفة تعترى المخلوق عند احتداده يتحرك لها و الله تعالى يتعالى عن ذلك و انما هو كناية عن عقوبته للمسمى بهذا الاسم أى أنه أشد أصحاب هذه الاسماء عقوبة عند الله سبحانه قال الطيبي ان الغيظ و الغضب من الاعراض النفسانية لها بدايات و غايات فاذا وصف الله تعالى بها يتعين حملها على الغايات من الانتقام بانزال الهوان و حلول العقاب لا على بداياتها من التغيير النفساني فعلى هذا في على معنى الوجوب أى واجب على الله تعالى على سبيل الوعيد أن يغيظ عليه و ينكل به و يعذبه أشد العذاب قلت هذا غاية كلام صاحب النهاية غايته انه زاد في معنى على انه للوجوب و هو لايصح في هذا المقام لان الله تعالى لايجب عليه شئ لذاته و انما يجب وقوع ما أخبر به اذا كان على سبيل التحتم كما في قوله تعالى ان الله لايغفر أن يشرك به فحينئذ يقال انه يجب وقوع عذاب الكفار و الا يقع الخلف في اخباره تعالى عن ذلك فهذا واجب لغيره و هو لايصح في هذا المحل لان ماعدا الشرك تحت المشيئة فلايصح أن يقال واجب عليه تعالى على سبيل الوعيد أن يعذبه فتدبر و تأمل لئلاتقع في الخلل و الخطل و قد أوضحت هذه المسئلة في رسالتي المسماة بالقول السديد في خلف الوعيد هذا و في شرح مسلم للنووى عند قوله ملك الاملاك زاد ابن أبي شيبة في روايته لامالك الا الله قال سفيان مثل شاهنشاه و قال القاضي عياض وقع في رواية شاه شاه قال و زعم بعضهم ان الاصوب شاه شاهان قلت كذلك حتى يصح الاضافة أو يقدر مضاف فيقال شاه كل شاه قال القاضي فلاينكر مجئ ما جاءت به الرواية لان كلام العجم مبني على التقديم والتاخير في المضاف والمضاف اليه قلت هذا انما يستقيم في شاهنشاه قال الطيبي فيتغير الاعتبار فيكون المعنى شاهانرا شاه قلت والتحقيق ما قدمناه فلايحتاج الى زيادة الراء على ما بيناه ثم قال القاضي عياض و منه قولهم شاه ملوك و شاهان الملوك و كذا ما يقولون قاضي القضاة قال الطيبي و مما يلحق به ملك شاه و تأول بعضهم قوله باسم ملك الاملاك أى تسمى باسم الله عزوجل كقوله الرحمن الجبار العزيز و في شرح السنة و الذى قاله سفيان أشبه و كل له وجه ★ (و عن زينب بنت أبي سلمة) و هي ربيبة النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم (قالت سميت) بصيغة المجهول أى سماني أهلي (برة) بفتح الموحدة و راء مشددة مبالغة بارة أما على الوصفية أو المصدرية (فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتزكوا أنفسكم) أى كما قال تعالى (الله أعلم باهل البر منكم) قال ابن الملك تزكية الرجل نفسه ثناؤه عليها و البر اسم لكل فعل مرضي (سموها زينب) في القاموس زنب كفرح سمن و الازنب السمين و به سميت المرأة زينب يعني اخبارا أو تفاؤلا أو من زبانا العقرب لزباناها أو من الزيب، لشجر حسن المنظر طيب الرائحة أو أصلها زين أب (رواه مسلم) و في الجامع الصغير كان صلى‌الله‌عليه‌وسلم يلاعب زينب بنت أم سلمة و يقول يا زوينب يا زوينب مرارا رواه الضياء عن أنس ★ (و عن ابن عباس رضى‌الله عنهما قال كان) و في نسخة كانت (جويرية) بجيم مضمومة تصغير جارية و هي من أمهات المؤمنين رضى‌الله عنها

اسمها برة فحول رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اسمها جويرية و كان يكره أن يقال خرج من عند برة رواه مسلم ★ و عن ابن عمر ان بنتا كانت لعمر يقال لها عاصية فسماها رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم جميلة رواه مسلم ★ و عن سهل بن سعد قال أتى بالمنذر بن أبي أسيد الى النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم حين ولد فوضعه على فخذه فقال ما اسمه قال فلان قال لا لكن اسمه المنذر متفق عليه ★ و عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لايقولن أحدكم عبدى و أمتى

(اسمها برة) أى قبل أن تدخل فى عصمته صلى‌الله‌عليه‌وسلم (فحول رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اسمها) يعنى برة (جويرية) . على نزع الخافض أى على جويرية و يمكن أن يجعل حول بمعنى صير فيصير متعديا الى مفعولين (و كان) أى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم (يكره أن يقال خرج من عند برة) الظاهر ان هذا من عند ابن عباس و يحتمل انه عليه السلام أخبره عما فى ضميره فحينئذ يصح قول النووى بين صلى‌الله‌عليه‌وسلم فى الحديثين نوعين من العلة و هما التزكية و خوف التطير قلت يعنى أن العلة فى الاول التزكية و فى الثانى التطير مع أنه لامنع من الجمع (رواه مسلم ★ و عن ابن عمر رضى‌الله عنهما أن بنتا كانت لعمر يقال لها عاصية) و لعلها سميت بها فى الجاهلية و يمكن أن لايكون من العصيان بل من العيص و هو بالكسر الشجر الكثير الملتف و يطلق على المنبت و منه عيص بن اسحق بن ابراهيم عليهما السلام و كانه لما أبدلت الياء ألفا فتحت العين و منه العاص و أبو العاص و الحاصل انها مؤنث العاص لاتانيث العاصى لكن لما كان يتبادر منه هذا المعنى غيرها (فسماها رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم جميلة) و لعله لم يسمها مطيعة مع انها ضد العاصية مخافة التزكية و الله أعلم ثم رأيت التوربشتى قال و انما كان ذلك منه فى الجاهلية فانهم كانوا يسمون بالعاص و العاصية ذهابا الى معنى الاباء عن قبول النقائص و الرضا بالضيم فلما جاء الله بالاسلام كره له ذلك و قال الطيبى كان من الظاهر أن يسمى بما يقابل اسمها و المقابل برة و هو أيضا غير جائز للعلتين السابقتين و لذلك عدل الى جميلة و هى مقابلة لها من حيث المعنى لان الجميل لايصدر منه الا الجميل و البر قلت لايلزم من التحويل المقابلة البتة فلايحتاج الى مراعاتها مع ان المقابل للعاصية انما هو المطيعة على ما قدمناه فالظاهر أن الجميلة هنا بمعنى الحسنة لا بمعنى الآتية بالجمال فانها ترجع الى معنى التزكية و الله أعلم قال النووى وفيه استحباب تغيير الاسم القبيح كما يستحب تغيير الاسامى المكروهة الى حسن (رواه مسلم ★ و عن سهل بن سعد رضى‌الله عنه) أى الساعدى الانصارى و كان اسمه حزنا فسماه النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم سهلا مات النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم و هو ابن خمس عشرة سنة و هو آخر من مات بالمدينة من الصحابة روى عنه ابنه العباس و الزهرى و أبو حازم (قال أتى) أى جيء (بالمنذر) بالكسر (ابن أبى أسيد) بالتصغير و هو الساعدى أيضا (الى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم حين ولد فوضعه على فخذه) بفتح فكسر فى القاموس الفخذ ككتف ما بين الساق و الورك مؤنث كالفخذ و يكسر (فقال) أى لمن أتى به (ما اسمه قال فلان) لم أقف على تعيينه (قال لكن) و فى نسخة لا لكن أى لاأرضى بذلك لكن (اسمه المنذر) قال الطيبى أى لاأرضى بما سميتموه و لكن أرضى له أن يكون اسمه المنذر و لعله صلى‌الله‌عليه‌وسلم تفاءل به و لمح الى معنى التفقه فى الدين فى قوله تعالى ليتفقهوا فى الدين و لينذروا قومهم (متفق عليه ★ و عن أبى هريرة رضى‌الله عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لايقولن أحدكم عبدى) أى يا عبدى أو عبدى فلان دفعا لتوهم الشركة فى العبودية أو فى حقيقة العبدية و كذا قوله (و أمتى) فى الاعراب و المعنى فان الامة هى المملوكة على ما

كلكم عبيد الله و كل نسائكم أماء الله و لكن ليقل غلامي و جاريتي و فتاي و فتاتي و لايقل العبد ربي ولكن ليقل سيدي و في رواية ليقل سيدي و مولاي و في رواية لايقل العبد لسيده مولاي فان مولاكم الله

في القاموس و لاملك في الحقيقة الا له سبحانه و تعالى (كلكم) استئناف تعليل و المعنى كل رجالكم (عبيد الله) بقرينة المقابلة بقوله (وكل نسائكم اماء الله) و يحتمل أن يكون الاول عاما على وجه التغليب و الثاني تخصيصا بعد تعميم و يؤيد التوجيه السابق قوله تعالى و أنكحوا الايامى منكم و الصالحين من عبادكم و امائكم (و لكن ليقل غلامي و جاريتي) أي بدلا عن عبدي و أمتي وكذا قوله (و فتاي و فتاتي) فالواو بمعنى أو وهما بمعنى الشاب أو الشابة بناء على الغالب في الخدم أو القوي و القوية و لو باعتبار ما كان (و لايقل العبد ربي) أي بالنداء أو الاخبار لان الانسان مربوب متعبد باخلاص التوحيد فكره المضاهاة بالاسم لئلايدخل في معنى الشرك اذ العبد و الحر فيه بمنزلة واحدة (ولكن ليقل سيدي) لان مرجع السيادة الى معنى الرياسة و حسن التدبير في المعيشة ولذلك يسمى الزوج سيدا (و في رواية ليقل سيدي) أي تارة (و مولاي) أي أخرى لكن بمعنى متصرف (و في رواية لايقل العبد لسيده مولاي) أي بمعنى الناصر والمعين فلاينافي ما سبق و لذا يطلق المولى على المعتق و المعتق و منه قوله صلى الله عليه وسلم مولى القوم من أنفسهم على ما رواه البخاري عن أنس و مولى الرجل أخوه و ابن عمه على ما رواه الطبراني عن سهل بن حنيف و الحاصل أن المولى له معان متعددة منها ما يختص به سبحانه فلايجوز استعماله في حق غيره تعالى و هو نعم المولى و لذا قال (فان مولاكم الله) أي المختص بهذا المعنى الخاص و لذا قيل في كراهة هذه الاسماء هو أن يقول ذلك على طريق التطاول على الرقيق و التحقير لشأنه و الا فقد جاء به القرآن قال الله تعالى و الصالحين من عبادكم و أمائكم و قال عبدا مملوكا لايقدر على شئ و قال اذكرني عند ربك و قال ألفيا سيدها لدى الباب و معنى هذا راجع الى البراءة من الكبر و التزام الذل و الخضوع فلم يحسن لاحد أن يقول فلان عبدي بل يقول فتاي و ان كان قد ملك فتاه ابتلاء و امتحانا من الله بخلقه كما قال تعالى و جعلنا بعضكم لبعض فتنة و على هذا امتحان الله تعالى لانبيائه و أوليائه ابتلى يوسف عليه السلام بالرق كذا في شرح السنة و في شرح مسلم للنووي قالوا انما كره للمملوك أن يقول لمالكه ربي لان فيه ايهام المشاركة لله تعالى و أما حديث حتى يلقاها ربها في الضالة فانما استعمل لانها غير مكلفة فهي كالدار و المال و لا كراهة أن يقول رب المال و الدار و أما قول يوسف عليه السلام اذكرني عند ربك و انه ربي أحسن مثواي ففيه جوابان أحدهما انه خاطبه بما يعرفه و جاز ذلك للضرورة و ثانيهما ان هذا منسوخ في شرعنا اه و الاظهر في الجواب عن قوله انه ربي أحسن مثواي ان الضمير لله تعالى أي انه خالقي أحسن منزلتي و مأواي بان عطف علي(١) القلوب فلاأعصيه و عن قوله اذكرني عند ربك أي أذكر حالي عند الملك كي يخلصني فانساه الشيطان ذكر ربه أي أنسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره و يؤيده قوله عليه السلام رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس كذا في تفسير البيضاوي و قال أبو سعيد القرشي لما قال لصاحب السجن أذكرني عند ربك نزل جبريل عليه السلام فقال الله يقرئك السلام و يقول من حببك الى أبيك من بين أخوتك و من قيض لك السيارة لتخليصك و من طرح في قلب من اشتراك من مؤدتك حتى قال أكرمي مثواه الآية و من صرف عنك وبال المعصية قال الله تعالى قال فانه يقول أنا الذي حفظتك في هذه المواضع أخشيت ان أنساك في السجن حتى استعنت بغيري و قلت اذكرني عند ربك أما كان ربك أقرب منك

(١) بتشديد الياء

رواه مسلم ★ و عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاتقولوا الكرم فان الكرم قلب المؤمن رواه مسلم و في رواية له عن وائل بن حجر قال لاتقولوا الكرم و لكن قولوا العنب و الحبلة ★ و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتسموا العنب الكرم و لاتقولوا يا خيبة الدهر فان الله هو الدهر رواه البخاري ★ و عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايسب أحدكم الدهر فان الله هو الدهر رواه مسلم ★ و عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايقولن أحدكم خبثت نفسي و لكن ليقل لقست

و أقدر على خلاصك من رب صاحب السجن لتلبثن فيه بضع سنين قال يوسف و ربي عني براض قال نعم قال لاأبالي و لو الى الساعة كذا في حقائق السلمي (رواه مسلم ★ و عنه) أي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاتقولوا) أي للعنب (الكرم) بسكون الراء و يفتح على ما في بعض النسخ (فان الكرم قلب المؤمن) قال شارح سمت العرب العنبة كرما ذهابا الى ان الخمر تورث شاربها كرما و يلتفت اليه قول القائل ★ فيا ابنة الكرم لا بل يا ابنة الكرم ★ فلما حرم الخمر نهاهم عن ذلك تحقيرا للخمر و تأكيدا لحرمتها و بين لهم ان قلب المؤمن و الكرم لانه معدن التقوى لا الخمر المؤدى الى اختلال العقل و فساد الرأى و اتلاف المال و صرفه لاعلى وجه الصواب و في الفائق أراد أن يقرر ما في قوله تعالى أن أكرمكم عند الله أتقاكم بطريق منيف و مسلك لطيف و في القاموس الكرم محركة ضد اللؤم و أرض كرم محركة أي طيبة و الكرم العنب و الكريمان الحج و الجهاد و منه خير الناس مؤمن بين كريمين و في الحديث لا تسموا العنب الكرم فان الكرم الرجل المسلم . و ليس الغرض حقيقة النهي عن تسمية العنب كرما و لكنه رمز الى أن هذا النوع بن غير الاناسي المسمى بالاسم المشتق من الكرم أنتم أحقاء بان لا تؤهلوه بهذه التسمية غيرة للمسلم التقي أن يشارك فيما سماه الله و خصه بان جعله صفته فضلا أن تسموا بالكريم من ليس بمسلم و كانه قال ان تأتى لكم أن لاتسموه مثلا باسم الكرم فلا تسموا به غيره و قوله فان الكرم أي فانما المستحق للاسم المشتق من الكرم المسلم و في شرح مسلم للنووي قال أهل اللغة رجل كرم و امرأة كرم و رجلان كرم و رجال كرم و نسوة كرم كله بفتح الراء و اسكانها بمعنى كريم وصف بالمصدر كعدل و ضيف (و في رواية له) أي لمسلم (عن وائل بن حجر) بضم حاء و سكون جيم (لاتقولوا الكرم و لكن قولوا العنب) و هو يطلق على الثمر و الشجر و المراد به هنا الشجر (و الحبلة) بفتح مهملة و باء موحدة و يسكن و هو الأصل من شجر العنب ★ (و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتسموا العنب الكرم و لاتقولوا يا خيبة الدهر) الخيبة الحرمان و الخسران و هو من اضافة المصدر الى الفاعل و كانوا في الجاهلية اذا أصابتهم مصيبة قالوا يا خيبة الدهر يريدون سب الدهر فنهوا عن ذلك بقوله (فان الله هو الدهر) أي هو مايضاف الى الدهر من الخير و الشر أو فان الله خالق الدهر و مصرفه و مقلبه و المتصرف فيه و الدهر مسخر حكمه (رواه البخاري) و في الجامع الصغير رواه الشيخان ★ (و عنه) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسب أحدكم الدهر فان الله هو الدهر) قد مر شرحه في كتاب الايمان مفصلا (رواه مسلم ★ و عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن أحدكم خبثت) بفتح خاء معجمة و ضم موحدة و فتح مثلثة و تاء ساكنة (نفسي و لكن ليقل لقست) بفتح لام فكسر قاف أي غثيت على ما في النهاية من أن اللقس الغثيان و انما كره خبثت

نفسي متفق عليه و ذكر حديث أبي هريرة يؤذيني ابن آدم في باب الايمان

★ (الفصل الثاني) ★ عن شريح بن هانئ عن أبيه أنه لما وفد الى رسول صلى الله عليه وسلم مع قومه سمعهم يكنونه بأبي الحكم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله هو الحكم واليه الحكم فلم تكنى أبا الحكم قال ان قومي اذا اختلفوا في شئ أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين بحكمي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحسن هذا فما لك من الولد

هربا من لفظ الخبث و الخبيث يعني من الاشتراك المعنوي مع التبادر الى المعنى القبيح و قال شارح لقست بالكسر و خبثت أي غثيت و العرب تستعمل كلا منهما مكان الآخر فكره النبي صلى الله عليه وسلم أن يضرب المؤمن لنفسه مثل السوء و يضيف الخبث الذي يطلق على خباثة النفس و سوء الخلق كما يطلق على الغثيان الى نفسه و لذلك أطلق على من لم يقم الصلاة الليل كسلا و تهاونا الخبث حيث قال أصبح خبيث النفس كسلانا ذما و زجرا له و قال النووي انما كره لفظ الخبث لشناعته و علمهم الادب في الالفاظ و استعمال أحسنها و هجران قبيحها فان قيل قد قال صلى الله عليه وسلم في الذي ينام عن الصلاة خبيث النفس كسلان و الجواب انه صلى الله عليه وسلم مخبر هناك عن صفة غيره و عن شخص مبهم مذموم الحال قال التوربشتي و كم مثل ذلك في السنن نهى عن لعن المسلم أشد النهي ثم قال لعن الله من تولى غير مواليه و لعن الله من سرق منار الارض و أمثال ذلك مما كان القصد فيه الوعيد والزجر لا اللعن لمسلم بعينه (متفق عليه وذكر حديث أبي هريرة يؤذيني ابن آدم في باب الايمان)

★ (الفصل الثاني) ★ (عن شريح) بالتصغير (ابن هانئ) بنون بكسورة فهمزة (عن أبيه) أي هانئ بن يزيد (انه لما وفد) أي جاء (الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعهم) أي سمع النبي صلى الله عليه وسلم (يكنونه) بتشديد النون مع ضم أوله و تخفيف مع فتح أوله (بابي الحكم) الكنية قد تكون بالاوصاف كابي الفضائل و أبي المعالي و أبي الحكم و أبي الخير وقد تكون بالنسبة الى الاولاد كابي سلمة و أبي شريح و الى ما لايلابسه (١) كابي هريرة فانه عليه السلام رآه ومعه هرة فكناه بأبي هريرة و قد تكون للعلمية الصرفة كابي بكر و أبي عمرو (فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي طلب هانئا (فقال ان الله هو الحكم) عرف الخبر و أتى بضمير الفصل فدل على الحصر و ان هذا الوصف مختص به لايتجاوز الى غيره (و اليه الحكم) أي منه يبتدأ الحكم و اليه ينتهي الحكم له الحكم و اليه ترجعون لا راد لحكمه و لايخلو حكمه عن حكمته و في اطلاق أبي الحكم على غيره يوهم الاشتراك في وصفه على الجملة و ان لم يطلق عليه سبحانه أبو الحكم لما فيه من ايهام الوالدية و الولدية و قد غير صلى الله عليه وسلم اسم عمرو بن هشام المكنى بأبي الحكم بأبي جهل و في شرح السنة الحكم هو الحاكم الذي اذا حكم لايرد حكمه و هذه الصفة لاتليق بغير الله تعالى و من اسمائه الحكم. (فلم تكنى أبا الحكم) أي فلاي شئ و بأي سبب من أنواع الكنية تكنى بأبي الحكم (قال أن قومي) استئناف تعليل (اذا اختلفوا في شئ) و صاروا فرقتين مختلفتين و كاد أن يقتتلا (أتوني فحكمت بينهم) أي بأي نوع من الحكم (فرضي كلا الفريقين بحكمي) أي لمراعاتي الجانبين و العدل بين الخصمين و حصول الصلح من الطرفين (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحسن هذا) أي الذي ذكرته من الحكم بالعدل أو من وجه التكنية وهو الاولى و أتى بصيغة التعجب مبالغة في حسنه. لكن لما كان فيه من الايهام ما سبق في الكلام أراد تحويل كنيته الى ما يناسبه في المرام فقال اذا كان الامر كذلك (فما لك من الولد) وأغرب المظهر في قوله ما للتعجب يعني الحكم بين الناس حسن و لكن هذه الكنية غير حسنة و تبعه الطيبي فقال

(١) لعل الصواب ما يلابسه.

قال لى شريح ومسلم وعبدالله قال فمن أكبرهم قال قلت شريح قال فأنت أبوشريح رواه أبوداود والنسائى ★ وعن مسروق قال لقيت عمر فقال من أنت فقلت مسروق بن الاجدع قال عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاجدع شيطان رواه أبوداود و ابن ماجه ★ و عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدعون يوم القيامة بأسمائكم و اسماء آبائكم فاحسنوا أسمائكم رواه احمد و أبوداود ★ و عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن يجمع أحد بين اسمه و كنيته و يسمى محمدا أبا القاسم رواه الترمذى

ولما لم يطابق جواب أبى شريح قال له صلى الله عليه وسلم على الطف وجه و أرشقه ردا عليه ذلك ما أحسن هذا لكن اين ذلك من هذا فاعدل عنه الى ما هو يليق بحالك من التكنى بالابناء و هو من باب الرجوع والتنبيه على ما هو أولى به و أليق بحاله (قال لى شريح و مسلم و عبدالله) ظاهر الترتيب المقتضى لعقله انه قدم الاكبر فالاكبر لكن الواو لدلالته على مطلق الجمع كان غير صريح فى المدعى (قال و من أكبرهم) فى شرح السنة فيه أن الاولى أن يكنى الرجل بأكبر بنيه فان لم يكن له ابن فبأكبر بناته و كذلك المرأة بأكبر بنيها فان لم يكن لها ابن فبأكبر بناتها (قال) أى هانى (قلت شريح) أى أكبرهم (قال فأنت أبو شريح) أى رعاية للاكبر سنا فصار ببركته صلى الله عليه وسلم أكبر رتبة و أكثر فضلا فانه من أجلة أصحاب على رضى الله عنه و كان مفتيا فى زمن الصحابة و يرد على بعضهم و قد ولاه على رضى الله عنه قاضيا و خالفه فى قبول شهادة الحسن اه و القضية مشهورة قال بعض علمائنا و أما التابعى فان ظهرت فتواه فى زمن الصحابة كشريح كان مثلهم عند البعض و لعله عد فى فصل الصحابة فى أسماء رجال المصنف لهذا المعنى أو لكونه من المخضرمين كما فعله ابن عبد البر فى الاستيعاب والله أعلم بالصواب (رواه أبوداود و النسائى ★ و عن مسروق) همدانى كوفى أسلم قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم و أدرك الصدر الاول من الصحابة كأبى بكر وعمر و عثمان و على رضوان الله تعالى عليهم أجمعين و كان أحد الاعلام و الفقهاء قال محمد بن المنتشر ان خالد بن عبدالله و كان عاملا على البصرة أهدى الى مسروق ثلاثين ألفا و هو يومئذ محتاج فلم يقبلها يقال انه سرق صغيرا ثم وجد فسمى مسروقا (قال لقيت عمر فقال من أنت قلت مسروق بن الاجدع قال عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاجدع شيطان) أى اسم شيطان من الشياطين قال الطيبى و هو استعارة من مقطوع الاطراف لمقطوع الحجة اه و هو يحتمل أن يكون مطايبة من عمر رضى الله عنه أو تنبيها على تغيير هذا الاسم عن أبيه ان كان حيا و يقال له أبو مسروق ان كان ميتا و احترازا من أن يسمى ولده باسم أبيه و يكنى بأبى الاجدع والله تعالى أعلم (رواه أبوداود و ابن ماجه) و كذا احمد و الحاكم ★ (و عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدعون) و فى رواية الجامع انكم تدعون و هو بصيغة المجهول أى تنادون أو تدعون (يوم القيامة باسمائكم و أسماء آبائكم فاحسنوا) أى أنتم و آبائكم (أسماءكم رواه أحمد و أبوداود ★ و عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن يجمع أحد بين أسمه و كنيته و يسمى) بصيغة المجهول (محمد) بالرفع (أبا القاسم) بالنصب و يؤيده ما فى بعض النسخ نهى أن يجمع بين اسمه على بناء المفعول من غير ذكر أحد و فى نسخة صحيحة يسمى بصيغة الفاعل و محمدا بالنصب و هو ظاهر مطابق لما قبله قال الطيبى محمد مرفوع على أنه مفعول أقيم مقام الفاعل كذا فى جامع الترمذى و شرح السنة و أكثر نسخ المصابيح والمعنى يسمى المسمى بمحمد أبا القاسم و فى جامع الاصول و بعض نسخ المصابيح محمدا منصوب فالفعل يكون

★ و عن جابر أن النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال اذا سميتم باسمي فلاتكتنوا بكنيتي رواه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي هذا حديث غريب و في رواية أبي‌داود قال من تسمى باسمي فلا يكتن بكنيتي و من تكنى بكنيتي فلايتسم باسمي ★ و عن عائشة أن امرأة قالت يا رسول‌الله انى ولدت غلاما فسميته محمدا و كنيته أبا القاسم فذكر لي انك تكره ذلك فقال ما الذي أحل أسمي و حرم كنيتي أو ما الذي حرم كنيتي و أحل أسمي رواه أبوداود و قال محيي السنة غريب ★ و عن محمد بن الحنفية عن أبيه قال قلت يا رسول‌الله أرأيت أن ولد لي بعدك ولد أسميه باسمك و أكنيه بكنيتك قال نعم رواه أبوداود

على بناء الفاعل اه و لايخفى انه على بناء الفاعل يكون بفتح الياء بالنصب الظاهري بخلاف ما اذا كان مفعولا فان نصبه مقدر على الالف ثم على الاول يكون تقديره و أن يسمى أحد محمدا أبا القاسم و تقدم تحقيقه و ان النهي في الحقيقة انما هو عن كنيته صلى‌الله‌عليه‌وسلم في حال حياته و لعل تخصيص اسم محمد لما كان الغالب عليهم ذلك و الله أعلم (زواه الترمذي ★ و عن جابر رضي‌الله تعالى عنه أن النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال اذا سميتم باسمي) أى فلاحرج عليكم في تسميته (فلاتكتنوا بكنيتي) أى في حياتي لئلا يلتبس في ذاتي كما يدل عليه الحديث الصحيح تسموا باسمي و لاتكتنوا بكنيتي على ما رواه أحمد و الشيخان و الترمذي و ابن ماجه عن أنس و أحمد و الشيخان و ابن ماجه عن جابر و قال ابن الملك في الحديث ان افراد الكنية جائز فانه أقل كراهة من الجمع اذ في الافراد يمكن رفع اللبس بخلاف الجمع فانه لايمكن الرفع الا بكلفة لكثرة الاشتراك سواء كان ذلك في زمانه أو بعده اه و ما قررنا سابقا أولى (رواه الترمذي و ابن ماجه و قال الترمذي هذا حديث غريب و في رواية أبي‌داود قال من تسمى باسمي فلايكتن بكنيتي و من تكنى بكنيتي فلايتسم باسمي) و هذه الرواية تؤيد قول ابن الملك لكن تخالف الحديث الصحيح السابق نعم يمكن تقييده بان هذا بعد موته صلى‌الله‌عليه‌وسلم لئلا يورث الاشتباه في ذكره أو نسبه و أما الكنية في حال حياته فمنهية مطلقا لما سبق من سبب وروده و أما وجه المنع على التعليل المتقدم فانه مع وجود الفرد الاكمل لاينبغي اطلاق الوصف على غيره والله أعلم ★ (و عن عائشة رضي‌الله تعالى عنها أن امرأة قالت يا رسول‌الله انى ولدت غلاما) أى نفسه (فسميته محمدا و كنيته أبا القاسم) أى تبركا بهما (فذكر) بصيغة المجهول أى فذكر بعض (لي انك تكره ذلك) أى كراهة تحريم كما يدل عليه ما أجاب (فقال ما الذي أحل أسمي و حرم كنيتي) بالاستفهام الانكاري (أو ما الذي حرم كنيتي و احل اسمي) شك من أحد الرواة و فيه تصريح على أن النهي عن الجمع ليس للتحريم بل للتنزيه كما سبق (رواه أبوداود و قال محيي السنة غريب) اى متنا أو اسنادا ★ (و عن محمد بن الحنفية) هو محمد بن علي بن أبي طالب يكنى أبا القاسم و أمه خولة بنت جعفر الحنفية و يقال بل كانت أمه من سبي اليمامة فصارت الى علي رضي‌الله عنه و قالت أسماء بنت أبي بكر رضي‌الله عنهما رأيت أم محمد بن الحنفية سندية سوداء و كانت أمة بني‌حنيفة روى عنه ابنه ابراهيم مات بالمدينة سنة احدى و ثمانين و له خمس و ستون سنة (عن أبيه قال) أى أبوه علي كرم الله وجهه (قلت يا رسول‌الله أرأيت) أى أخبرني (ان ولد لي بعدك) أى فرضا و تقديرا (ولد) أى من فاطمة أو غيرها (أسميه) و في نسخة و أسميه (باسمك و أكنيه) بتشديد النون (بكنيتك) أى تبركا و تذكرا (قال نعم) فيه أن النهي مقصور على زمانه صلى‌الله‌عليه وسلم فيجوز الجمع بينهما بعده لرفع الالتباس وبه قال مالك و قدحققنا البحث قبل ذلك (رواه أبوداود

★ و عن أنس قال كنانى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ببقلة كنت أجتنيها رواه الترمذى و قال هذا حديث لانعرفه الا من هذا الوجه و فى المصابيح صحيحه ★ و عن عائشة قالت أن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم كان يغير الاسم القبيح رواه الترمذى ★ و عن بشير بن ميمون عن عمه أسامة بن أخدرى أن رجلا يقال له أصرم كان فى النفر الذى أتوا رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ما اسمك قال أصرم قال بل أنت زرعة رواه أبوداود و قال و غير النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم اسم العاص و عزيز و عتلة و شيطان و الحكم و غراب

★ و عن انس رضى‌الله تعالى عنه قال كنانى) بتشديد النون الاولى أى جعلنى مكنى بابى حمزة (رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ببقلة) أى بسبب اسم بقلة خريفية فى طعمها حموضة اسمها حمزة بالحاء و الزاى (كنت أجتنيها) أى أقلعها (رواه الترمذى و قال هذا حديث لانعرفه الا من هذا الوجه) أى الحديث غريب و الغرابة تجتمع مع الصحيح و غيره و لذا قال المؤلف (و فى المصابيح صحيحه ★ و عن عائشة رضى‌الله عنها قالت أن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم كان يغير الاسم القبيح) أى غير اللائق بضده و قد تقدم بعض الامثلة و روى ان رجلا كان اسمه اسود فسماه أبيض (رواه الترمذى ★ و عن بشير بن ميمون) ذكره المؤلف فى فصل التابعين و قال صدوق روى عنه بشر بن المفضل و غيره (عن عمه أسامة بن أخدرى) بفتح همزة و سكون خاء معجمة و فتح دال مهملة و كسر راء و ياء مشددة لم يذكره المؤلف فى أسمائه و قيل فى صحبته و فى اسناد حديثه مقال له حديث واحد فى تغيير الاسماء (أن رجلا يقال له أصرم) أفعل من الصرم (كان فى النفر الذى) أفرد الموصول باعتبار لفظ النفر و جمع فى قوله (أتوا) بحسب المعنى و نحوه قوله تعالى كالذى خاضوا و فى نسخة الذين أتوا (رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فقال له رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ما أسمك قال أصرم قال بل أنت زرعة) بضم زاى و سكون راء ماخوذ من الزرع و هو مستحسن بخلاف أصرم فانه مأخوذ من الصرم و هو القطع فبادله به و غيره له (رواه أبوداود و قال) أى أبوداود بطريق التعليق (و غير النبى صلى‌الله عليه‌وسلم اسم العاص) قال شارح لانه من العصيان و فى الفائق كره العاصى لان شعار المؤمن الطاعة لكن المفهوم من القاموس أن العاص ليس من مادة العصيان حيث ذكر فى معتل العين لان الاعياص من قريش أولاد أمية بن عبد شمس الاكبر و هم العاص و أبوالعاص و العيص و أبوالعيص قال والعيص المنبت و عيص بن اسحق ابن ابراهيم عليهما السلام فلعل التبديل الاسمى لاجل الاشتباه اللفظى (و عزيز) لانه من أسماء الله تعالى فينبغى أن يقال عبد العزيز لان العبد موصوف بالذل و الخضوع و العزة لله تعالى و كذا لاينبغى أن يسمى بحميد فانه من أسمائه و صفاته على وجه المبالغة فلايقال الا عبدالحميد و كذلك الكريم و أمثاله (و عتلة) بفتحات لان معناه الغلظة و الشدة من عتلته اذا جذبته جذبا عنيفا و المؤمن موصوف بلين الجانب و خفض الجناح و قيل العتلة عمود حديد يهدم به الحيطان و قيل حديدة كبيرة يقطع بها الحجر و الشجر (و شيطان) لانه مع قطع النظر عن مسماه يتشاءم به كل من رآه و هو باعتبار اللغة أيضا مأخوذ من شاط احترق أو هلك قال صاحب القاموس و منه الشيطان فى قول أو من شطن ففى القاموس الشاطن الخبيث و الشيطان معروف و كل عات متمرد من أنس أو جن أو دابة و شيطن و تشيطن فعل فعله و الحية و فى شرح السنة لان اشتقاقه من الشطن و هو البعد من الخير (و الحكم) بفتحتين مبالغة الحاكم فان الله تعالى هو الحاكم و لاحكم الا له فاذا كان صلى‌الله‌عليه‌وسلم غير أبا الحكم على ما سبق فالحكم بالاولى كما لايخفى (و غراب) لان

و حباب و شهاب و قال تركت أسانيدها للاختصار ★ و عن أبي مسعود الانصارى قال لابي عبد الله أو قال أبو عبدالله لابى مسعود ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى زعموا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بئس مطية الرجل

معناه البعد و لانه أخبث الطيور لوقوعه على الجيف و بحثه عن النجاسات و قال شارح لان الغراب طير مذموم شرعا أو لانه من الغروب و هو غير مستحسن فى التفاؤل يعنى و كان صلى الله عليه وسلم يحب الاسم الحسن و الفال الحسن على ما ورد كما سبق (و حباب) بضم الحاء و موحدتين اسم الشيطان و يقع على الحية أو نوع منها (و شهاب) بكسر الشين المعجمة لانه شعلة نار ساقطة و النار عقاب الكفار و لانه يرجم به الشيطان و الظاهر أنه اذا أضيف الى الدين مثلا لايكون مكروها (و قال) أى أبوداود اعتذارا عن ايراد هذه الاحاديث معلقا (تركت أسانيدها للاختصار) و يمكن أن يكون قوله تركت استئناف تعليل و اعادة قال لطول الفصل هذا الذى ظهرلى فى حل هذا المحل و قال الطيبى قوله و قال تركت أسانيدها عطف على قوله قال و غير و هو قول راوى أبى داود يقول روى أبوداود أحاديث متعددة باسناده الى النبى صلى الله عليه وسلم و فيها أنه غير أسامى رجال ثم عطف أبوداود قوله و غير الخ من حيث المعنى على المذكور ثم قال ما ذكرته من التغيير ورد فى أحاديث متفرقة مسندة و انى تركت أسانيدها اختصارا كذا فى شرح السنة و فى سنن أبىداود قال أبوداود سليمان ابن الاشعث و غير النبى صلى الله عليه وسلم غير اسم العاص و لعله سهو من الناسخ اه كلام الطيبى فتأمل ★ (و عن أبى مسعود الانصارى رضى الله تعالى عنه قال لابى عبدالله) و هو كنية حذيفة عند الاطلاق فى اصطلاح المحدثين (أو قال أبو عبدالله لابى مسعود) الشك من أحد الرواة عنهما (ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى أى شئ سمعته (يقول فى زعموا) أى فى شأن هذه الكلمة أو فى حق هذا اللفظ و يمكن أن تكون ما نافية و همزة الاستفهام مقدرة أى أما سمعته صلى الله عليه وسلم يطعن و يذكر الذم فيما استعمله الناس من قولهم زعموا و ينسبون الاخبار اليهم بهذه العبارة ظنا و حسبانا لاتحقيقا و ايقانا (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بئس مطية الرجل) و هو بفتح ميم و كسر طاء مهملة و تشديد تحتية أى مركوبه و يقال له بالفارسية باركير يعنى اذا عجز عن كل شئ تعلق به ليخلص عهدته و فى القاموس مطا جد فى السير و المطية التى تمطو فى سيرها و ما أحسن مناسبة أشتقاقها بالمقام فانه شبه بها الكلام الذى لم يتوقف فى تحقيته و يتبادر فيه الى نقله و نشره ثم الجملة مفعول يقول و المخصوص بالذم محذوف للعلم به أى بئس مطية الرجل زعموا و لو رويت المطية منصوبة لكان فى بئس ضمير راجع الى زعموا قيل أراد بذلك النهى عن التكلم بكلام يسمعه من غيره و لم يعلم صحته أو عن أختراع القول باسناده الى من لايعرف فيقول زعموا أن قد كان كذا و كذا فيتخذ قوله زعموا مطية يقطع بها أودية الاسهاب و قيل سماه مطية لان الرجل يتوصل بهذا القول الى مقصوده من أثبات شئ كما أنه يتوصل الى موضع بواسطة المطية و توضيحه ما فى النهاية من أن معناه أن الرجل اذا أراد شيأ من المسير الى بلد و الظعن فى حاجة ركب مطية و سارحتى يقضى أربه فشبه ما يقدمه المتكلم امام كلامه و يتوصل به الى غرضه من قوله زعموا كذا و كذا بالمطية التى يتوصل بها الى الحاجة و انما يقال زعموا فى حديث لاسند له و لاثبت فيه و انما يحكى عن الالسن على سبيل البلاغ فذم من الحديث ما كان هذا سبيله و الزعم بالضم و الفتح الظن اه و فى الحديث مبالغة فى الاجتناب عن اخبار الناس كيلايقع فى الكذب و قد ورد فى حديث رواه أبوداود

رواه أبوداود و قال ان أبا عبدالله حذيفة ★ و عن حذيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لاتقولوا ماشاء الله و شاء فلان و لكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان رواه أحمد و أبوداود . و فى رواية منقطعا قال لاتقولوا ما شاء الله و شاء محمد و قولوا ما شاء الله وحده

و الحاكم عن ابن عمر مرفوعا كفى بالمرء اثما أن يحدث بكل ما سمع لان الرجل اذا كان مذموما مع قوله زعموا أن الامر كذا و كذا حيث أسند الى الناس و لم يجعله انشاء من تلقاء نفسه و لاجزم به بل عبر بالزعم الذى بمعنى الادعاء و الافتراء كما أخبر الله تعالى بقوله زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا فكيف لايكون مذموما اذا أسند اليهم القول على وجه التحقيق أو نسب الى نفسه من غير اسناد الى من سمعه أو كذب عليه صلى الله عليه وسلم و الحاصل من الحديث أنه ينبغى تبديل هذه اللفظة و هذه الاضافة فاما أن يحقق الكلام و ينسبه الى قائله أو يسكت كما قال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت و لعل وجه مناسبة ايراد هذا الحديث فى الباب مجرد التغيير للامر المذموم أعم من أن يكون اسما أو غيره و كذا الامر فى الحديث الآتى هذا وقال الطيبى قوله فى زعموا أى فى شأن زعموا و أمره أى هل كان يرضى به قولا أم لم يرض و لابد من هذا التأويل ليدخل فى باب تغيير الاسماء الشنيعة و لما لم يرض به صلى الله عليه وسلم قال بئس مطية الرجل يعنى ينبغى أن لايكثر الرجل فى كلامه زعم فلان و فلان كيت و كيت و يسلك الكذب الى أن يغلبه فلا يسلم الكلام الا اذا حقق و تيقن كذبه و أراد أن يحترز الناس عنه كما ورد فى كلامه تعالى زعم الذين كفروا بل زعمتم ألن لن نجعل لكم موعدا أين شركائى الذين زعمتم انهم و ليس مسلك غير ما شرحه الشراح كما قدمناه فتأمل (رواه أبوداود) أى هكذا على الشك و فى الجامع الصغير بئس مطية الرجل زعموا رواه أحمد و أبوداود عن حذيفة (و قال) أى أبوداود (ان أبا عبدالله) أى المذكور فى صدر الحديث هو (حذيفة ★ و عن حذيفة) لم يقل و عنه لئلا يرجع الضمير الى أبى مسعود (عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لاتقولوا ما شاء الله و شاء فلان) فيه حذف تقديره فهو كائن أو كان لما فيه من التسوية بين الله و بين عباده لان الواو للجمع و الاشتراك (و لكن قولوا ما شاء الله) أى كان (ثم شاء فلان) أى ثم بعد مشيئة الله شاء فلان لان ثم للتراخى وانما قدرنا كان قبل ثم شاء فلان ليندفع توهم الاشتراك فى الحكم و لو بالتراخى أيضا فتأمل فانه مسلك دقيق و بالتحقيق حقيق و حينئذ قوله ثم شاء فلان جملة مستأنفة أو معطوفة على الجملة السابقة كما أشرنا اليه و ثم لتراخى الاخبار هذا محمل ما ظهر لى فى حل هذا المحل و فى شرح السنة لما كان الواو حرف الجمع و التشريك منع من عطف أحدى المشيئتين على الاخرى و أمر بتقديم مشيئة الله و تأخير مشيئة من سواه بحرف ثم الذى هو للتراخى قال الطيبى ثم ههنا يحتمل التراخى فى الزمان و فى المرتبة فان مشيئة الله تعالى إزلية و مشيئة غيره حادثة تابعة لمشيئة الله تعالى قال تعالى وما تشاؤن الا أن يشاء الله وما شاء الله كان ومشيئة العبد لم يقع أكثرها فأين أبعدهما من الاخرى (رواه أحمد و أبوداود و فى رواية منقطعا) أى أسنادها (قال لاتقولوا ما شاء الله و شاء محمد و قولوا ما شاء الله وحده) أى شاء غيره أو لم يشأ و هو لاينافى ما سبق من جواز ما شاء الله ثم شاء فلان كما لايخفى قال الطيبى فان قلت كيف رخص أن يقول ما شاء الله ثم شاء فلان و لم يرخص فى اسمه صلى الله عليه وسلم حيث قال قولوا ما شاء الله وحده قلت فيه جوابان أحدهما قال دفعا لمظنة التهمة فى قولهم ما شاء الله و شاء محمد تعظيما له و رياء لسمعته و ثانيهما انه رأس الموحدين و مشيئته مغمورة فى مشيئة الله تعالى و مضمحلة فيها أقول أصل السؤال مدفوع

رواه فى شرح السنة ★ و عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لاتقولوا للمنافق سيد فانه أن يک سيدا فقد أسخطتم ربكم رواه أبوداود

★ (الفصل الثالث) ★ عن عبد الحميد بن جبير بن شيبة قال جلست الى سعيد بن المسيب فحدثنى ان جده حزنا قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما اسمک قال اسمى حزن قال بل أنت سهل

لانه صلى الله عليه وسلم داخل فى عموم فلان فيجوز أن يقال ما شاء الله ثم شاء محمد و لايجوز أن يقال ماشاء الله و شاء محمد فجوابه الاول خطأ فاحش لانهم لو قالوا ما شاء الله وشاء محمد لكان شركا جليا لامظنة للتهمة التى ذكرها و جوابه الثانى فى نفس الامر صحيح لكن لايفيد جواز الاتيان بالواو مع أن مشيئة غيره صلى الله عليه وسلم أيضا مضمحلة فى مشيئة الله تعالى سبحانه و أيضا ما سبق من قوله صلى الله عليه وسلم و لكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان لمجرد الرخصة و قال هنا قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد لكان أمر وجوب أو ندب و ليس الامر كذلک مع ان المشيئة المسندة الى فلان انما هى مشيئة جزئية لايجوز حملها على المشيئة الكلية كما رمزنا اليه فيما سبق من الكلام و الله سبحانه أعلم بالمرام (رواه) أى ما ذكر من الرواية المقطوعة الاسناد (فى شرح السنة) فقوله فى المصابيح و فى رواية معناه فى رواية أخرى لغير أحمد و أبى داود خلافا لما هو المتبادر من الاطلاق ★ (و عنه) أى عن حذيفة و فى بعض الحواشى عن بريدة لكن لم يظهر لى وجه صحته (عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لاتقولوا للمنافق سيد) مفهومه انه يجوز أن يقال للمؤمن سيد و هو لاينافى ما رواه أحمد والحاكم عن عبدالله بن الشخير مرفوعا السيد الله لان فى الحقيقة لاسيادة الا له و ما سواه مملوكه (فانه) أى الشأن أو المنافق (أن يک سيدا) أى سيد قوم أو صاحب عبيد و إماء و أموال (أسخطتم ربكم) أى أغضبتموه لانه يكون تعظيما له و هو ممن لايستحق التعظيم فكيف أن لم يكن سيدا بأحد من المعانى فانه مع ذلک يكون كذبا و نفاقا وقاقا و فى النهاية فانه أن كان سيدكم و هو منافق فحالكم دون حاله و الله لايرضى لكم ذلک و قال الطيبى أى أن يک سيدا لكم فتجب عليكم طاعته فاذا أطعتموه فقد أسخطتم ربكم أو لاتقولوا للمنافق سيد فانكم ان قلتم ذلک فقد أسخطتم ربكم فوضع الكون موضع القول تحقيقا له قال و فيه ان قول الناس لغير الملة كالحكماء و الاطباء مولانا داخل فى هذا النهى و الوعيد بل هو أشد لورود قوله تعالى مولانا فى التنزيل دون السيد قلت اذا كان المراد به تعظيمه فلاشک فى عدم جوازه و أما إذا أريد به أحد معانى المولى مما سبق فلايبعد جوازه لاسيما عند الحاجة و الضرورة و المخلص أن يكون على سبيل التورية و قد قال تعالى فى تجويز اطلاق المولى على غيره سبحانه فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين أى فى المسلمين و مواليكم فى غيرهم و الحاصل أن المولى و السيد على الاطلاق هو الله سبحانه و جواز اطلاقه و عدمه على غيره لايعرف الا من الشارع و لم يرد نهى عن اطلاق المولى على غيره سبحانه فيجوز على أصل الاباحة و هو المتعارف فيما بين المسلمين و ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن (رواه أبوداود) و رواه الحاكم و البيهقى عن بريدة بلفظ اذا قال الرجل للمنافق ياسيد فقد أغضب ربه ولعل هذا منشأ وهم المحشى فيما صدر عنه مما ذكرناه فى صدر الحديث

★ (الفصل الثالث) ★ (عن عبدالحميد بن جبير بن شيبة) قال المؤلف حجبى روى عن عمته صفيه و ابن المسيب و عنه ابن جريج و ابن عيينة (قال جلست الى سعيد بن المسيب) بتشديد التحتية المفتوحة و قد تكسر و هو من أكابر التابعين و قد سبق ذكره (فحدثنى ان جده حزنا) بفتح حاء و سكون زاى (قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما اسمک قال اسمى حزن قال بل أنت سهل)

قال ما أنا بمغير أسما سمانيه أبى قال ابن المسيب فمازالت فينا الحزونة بعد رواه البخارى ★ و عن أبى وهب الجشمى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسموا باسماء الانبياء و أحب الاسماء الى الله عبدالله و عبدالرحمن و أصدقها حارث و همام و أقبحها حرب و مرة رواه أبوداود

★ (باب البيان و الشعر) ★ (الفصل الاول) ★ عن ابن عمر قال قدم رجلان من المشرق فخطبا فعجب الناس لبيانهما

أى فان الحزن ضد السهل و قد ورد أن الله تعالى يحب السهل الطليق على ما رواه البيهقى و غيره عن أبى هريرة و منه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم لاسهل الا ما جعلته سهلا و أنت تجعل الحزن سهلا اذا شئت و فى القاموس الحزن ما غلظ من الارض و السهل من الارض ضد الحزن (قال ما أنا بمغير اسما سمانيه أبى) . و فى رواية أبى داود . لان السهل يوطأ و يمتهن أى لا أغير اسمى لان السهل يوطأ و يهان أى يداس بالاقدام و فيه نوع نزغة من نزغات ابليس و قياساته من التلبيس حيث لم يدر أن من تواضع لله رفعه الله و ان المرء عند الامتحان يكرم أو يهان و الحاصل انه كما قيل الاسماء تنزل من السماء يوفق ٧ اسمه حزنه الجبلية مطابقا للحزن الجبلى و ما أفاده قول الحكيم الالهى و أبعد الطيبى فى قوله بل أنت سهل أى هذا الاسم غير مناسب لك لانك حليم لين الجانب ينبغى أن تسمى سهلا فانه لو كان حليما لين الجانب لراعى أدب جانب النبوة و عمل بمقتضى أخلاق الفتوة و لو بدل اسمه السهل بالحزن فكيف و الامر بالعكس و قد أباه حتى سرى هذا الطبع فى ذريته (قال ابن المسيب فما زالت فينا) أى معشر أولاده (الحزونة) أى صعوبة الخلق على ما ذكره السيوطى (بعد) أى بعد اباء أبى اسم السهل من النبى صلى الله عليه وسلم (رواه البخارى ★ و عن أبى وهب الجشمى) بضم جيم و فتح شين معجمة قال المؤلف اسمه كنيته و له صحبة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسموا باسماء الانبياء) أى دون الملائكة لما سبق و لا باسماء الجاهلية من كلب و حمار و عبد شمس و نحوها (و احب الاسماء الى الله عبدالله و عبدالرحمن) أى و نحوهما من عبدالرحيم و عبدالكريم و أمثالهما (و أصدقها حارث و همام) . فان الاول بمعنى الكاسب و الثانى فعال من هم يهم فلا يخلو انسان عن كسب وهم بل عن هموم (و أقبحها حرب و مرة) لان الحرب يتطير بها و تكره لما فيها من القتل و الاذى و أما مرة فلان المر كريه و لان كنية ابليس أبو مرة (رواه أبوداود) و كذا النسائى فى مسنده و البخارى فى تاريخه

★ (باب البيان و الشعر) ★ فى النهاية البيان اظهار المقصود بأبلغ لفظ و هو من الفهم و ذكاء القلب و اصله الكشف و الظهور و قال الراغب الشعر معروف و شعرت أصبت الشعر و منه استعير شعرت كذا أى علمت علما فى الدقة كاصابة الشعر قيل و سمى الشاعر شاعرا لفطنته و دقة معرفته فالشعر فى الاصل اسم للعلم الدقيق فى قولهم ليت شعرى و صار فى التعارف اسما للموزون المقفى من الكلام و الشاعر للمتخصص بصناعته اه و قال بعضهم الشعر كلام مقفى موزون قصدا ليخرج ما وقع فى القرآن أو كلام النبوة قلت لكن يشكل مع هذا فى الكلام الالهى لعدم تصور نفى الارادة فيه فانه ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن اللهم الا أن يقال بان وقوعه غير مقصود بالذات كما ذكروا فى قوله صلى الله عليه وسلم و الخير بيديك و الشر ليس اليك

★ (الفصل الاول) ★ (عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قدم رجلان من المشرق) أى من جانبه قال الميدانى هما الزبرقان بن بدر و عمرو بن الاهتم و كذا عن الشيخ التوربشتى على ما سيأتى (فخطبا)

أي بكلمات محسنات جامعة للبلاغة و الفصاحة (فعجب الناس لبيانهما) أي و لفصاحة لسانهما و غرابة شأنهما (فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان من البيان لسحرا) أي في استمالة القلوب كالسحر قال التوربشتي وكان هذا القول منه صلى‌الله‌عليه‌وسلم عند قدوم وفد بني تميم وكان فيهم الزبرقان و عمرو ففخر الزبرقان فقال يا رسول‌الله أنا سيد تميم و المطاع فيهم و المجاب أمنعهم من الظلم و آخذ لهم بحقوقهم و هذا يعلم ذلك فقال عمرو انه لشديد العارضة مانع لجانبه مطاع في اذنه فقال الزبرقان و الله يا رسول‌الله لقد علم مني غير ما قال و ما منعه أن يتكلم الا الحسد فقال عمرو أنا أحسدك فوالله انك لئيم الخال حديث المال ضيق العطن حمق الولد مضيع في العيرة و الله يا رسول‌الله لقد صدقت فيما قلت أولا و ما كذبت فيما قلت آخرا و لكني رجل اذا رضيت قلت أحسن ما علمت و اذا غضبت قلت أقبح ما وجدت و لقد صدقت في الاولى و الاخرى جميعا فقال النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم أن من البيان لسحرا قال الميداني يضرب هذا المثل في استحسان المنطق و ايراد الحجة البالغة اه و الاظهر انه ذو وجهين و المعنى ان بعض البيان بمنزلة السحر في ميلان القلوب له أو في العجز عن الاتيان بمثله و هذا النوع ممدوح اذا صرف الى الحق كمذمة الخمر مثلا و مذموم اذا صرف الى الباطل كمدحها مثلا و في شرح السنة اختلفوا في تأويله فمنهم من حمله على الذم و ذلك انه ذم التصنع في الكلام و التكلف لتحسينه ليروق للسامعين قوله و ليستميل به قلوبهم و أصل السحر في كلامهم الصرف وسمي السحر سحرا لانه مصروف عن جهته فهذا المتكلم ببيانه يصرف قلوب السامعين الى قبول قوله و ان كان غير حق أو المراد من صرف الكلام فضله و ما يتكلف الانسان من الزيادة فيه من وراء الحاجة قد يدخله الرياء و يخالطه الكذب و أيضا قد يحيل الشئ عن ظاهره ببيانه و يزيله عن موضعه بلسانه أرادة التلبيس عليهم فيصير بمنزلة السحر الذي هو تخييل لا حقيقة له و قيل أراد به أن من البيان ما يكتسب به صاحبه من الاثم ما يكتسب الساحر بسحره و قيل معناه الرجل يكون عليه الحق و هو الحن بحجته من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق و شاهده قول النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم انكم تختصمون الى و لعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض الحديث و ذهب آخرون الى أن المراد منه مدح البيان و الحث على تحسين الكلام و تحبير الالفاظ لان أحدى القرينتين وهو قوله أن من الشعر حكما على طريق المدح فكذلك القرينة الاخرى و قال شارح هذا وارد للذم أي ان من البيان نوعا يحل من العقول و القلوب محل السحر فان الساحر بسحره يزين الباطل في عين المسحور حتى يراه حقا و كذا المتكلم بمهارته في البيان و تفننه في البلاغة و ترصيف النظم يسلب عقل السامع و يشغله عن التفكر فيه و التدبر له حتى يخيل اليه الباطل حقا و الحق باطلا فبين النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان جنس البيان و ان كان محمودا فان فيه ما يذم للمعنى الذي ذكرناه و ان جنس الشعر و ان كان مذموما فان فيه ما يحمد لاشتماله على الحكم و هو ما فيه موعظة و ثناء لله و رسوله و زهد في الدنيا و رغبة في الآخرة قلت و مما يدل على ان البيان في أصله محمود قوله تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان و مما يدل على ان الشعر في أصله مذموم قوله تعالى و الشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر انهم في كل واد يهيمون و انهم يقولون ما لايفعلون الآية و قد كثر الاحاديث في ذمه و من ثم سموا الادلة الكاذبة شعرا و قيل في الشعر اكذبه أحسنه و لذا قال بعض المفسرين في قول الكفار له صلى‌الله‌عليه وسلم انه شاعر يعنون أنه كاذب لان ما يأتي الشاعر أكثره كذب والله أعلم و روى عن عمر بن عبدالعزيز

★ وعن أبي بن كعب قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أن من الشعر حكمة رواه البخاري ★ وعن ابن مسعود قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم هلك المتنطعون قالها ثلاثا رواه مسلم ★ وعن أبي هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد ★ الا كل شئ ماخلا الله باطل ★ متفق عليه .

ان رجلا طلب اليه حاجة كان يتعذر عليه اسعافه بها فاستمال قلبه بالكلام فانجزها له ثم قال هذا هو السحر الحلال و قال الطيبي من للتبعيض و الكلام فيه تشبيه و حقه أن يقال أن بعض البيان كالسحر فقلب و جعل الخبر مبتدأ مبالغة في جعل الاصل فرعا و الفرع أصلا و وجه الشبه انه يتغير ارادة المدح و الذم (رواه البخاري) و كذا مالك و أحمد و أبوداود و الترمذي و رواه أحمد و أبوداود عن ابن عباس بلفظ ان من البيان سحرا و ان من الشعر حكما ★ (و عن أبي بن كعب رضي‌الله عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أن من الشعر حكمة) أى ما فيه حق و حكمة أو قولا صادقا مطابقا للحق و قيل أصل الحكمة المنع فالمعنى أن من الشعر كلاما نافعا يمنع عن السفه و الجهل و هو ما نظمه الشعراء من المواعظ و الامثال التي ينتفع به الناس فان الشعر كلام فحسنه كحسن الكلام (رواه البخاري ★ و عن ابن مسعود رضي‌الله عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم هلك المتنطعون) أى المتكلفون في الفصاحة أو المصوتون من قعر حلوقهم و المرددون لكلامهم في أفواههم رعونة في القول قال التوربشتي أراد بهم المتعمقين الغالين في خوضهم فيما لا يعنيهم من الكلام و الاصل في المتنطع الذي يتكلم بأقصى حلقه مأخوذ من النطع و هو الغار الاعلى (قالها) أى هذه الكلمة أو الجملة (ثلاثا) انما ردد القول ثلاثا تهويلا و تنبيها على ما فيه من الغائلة و تحريضا على التيقظ و التبصر دونه و كم تحت هذه الكلمة من مصيبة تعود على أهل اللسان و المتكلفين في القول الذين يرومون بسبك الكلام سبي قلوب الرجال نسأل الله العافية من الدخول في الاوحال قال الطيبي لعل المذموم من هذا ما يكون القصد فيه مقصورا على مراعاة اللفظ و مجيء المعنى تابعا للفظ و أما اذا كان بالعكس و كلام الله تعالى و كلام الرسول مصبوب في هذا القالب فيرفع الكلام الى الدرجة القصوى قال تعالى حكاية عن الهدهد و جئتك من سبأ بنبأ يقين الكشاف هذا من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع و هو من محاسن الكلام التي يتعلق باللفظ بشرط أن يجيء مطبوعا أو بصيغة عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى و سداده و لقد جاء ههنا زائدا على الصحة فحسن و بدع لفظا و معنى الا ترى أنه لو وضع مكان بنبأ بخبر لكان المعنى صحيحا و هو كما جاء أصح لما في النبأ من الزيادة التي يطابقها وصف الحال و قال أبوالحسن الهروي صاحب دلائل النبوة أعلم أن التلاؤم يكون بتلاؤم الحروف و تلاؤم الحركات و السكنات و تلاؤم المعنى فاذا أجتمعت هذه الوجوه خرج الكلام غاية في العذوبة و في حصول بعضها دون بعض انحطاط عن درجة العذوبة و كلما ظهرت الصنيعة أكثر كان الكلام أقرب الى التعسف (رواه مسلم) و كذا أحمد و أبوداود ★ (و عن أبي هريرة رضي‌الله عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أصدق كلمة) أى جملة من الكلام (قالها الشاعر) أراد به جنس الشعراء و في شمائل الترمذي أشعر كلمة تكلمت بها العرب أى أحسنها وأجودها (كلمة لبيد ★ الا كل شئ ماخلا الله باطل ★) قال النووي المراد بالباطل الفاني المضمحل و في الحديث منقبة للبيد و هو صحابي قال الطيبي و انما كان أصدق لانه موافق لاصدق الكلام و هو قوله كل من عليها فان قلت الاوثق أنه أصدق لما قال الحق كل شئ هالك الا وجهه و قد بينت وجهه

★ و عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شئ قلت نعم قال هيه فانشدته بيتا فقال هيه ثم أنشدته بيتا فقال هيه حتى أنشدته مائة بيت رواه مسلم ★ و عن جندب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في بعض المشاهد

الوجيه في شرح حزب الفتح عند قول الشيخ استغفر الله مما سوى الله و قول بعض العارفين ليس في الدار غير ديار و قول آخر سوى الله و الله ما في الوجود و أوضحت معنى التوحيد لتحصيل المريد اذا كان من أهل المزيد و أما لبيد فهو ابن ربيعة الشاعر العامري قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سنة وفد قومه بنو جعفر بن كلاب و كان شريفا في الجاهلية و الاسلام نزل الكوفة و مات بها سنة احدى و أربعين و له من العمر مائة و أربعون سنة و قيل مائة و سبع و خمسون سنة ذكره المؤلف و من جملة فضائله أنه لما أسلم لم يقل شعرا و قال يكفيني القرآن و تمام كلامه ★ و كل نعيم لا محالة زائل ★ نعيمك في الدنيا غرور و حسرة ★ و عيشك في الدنيا محال و باطل ★ (متفق عليه) و رواه ابن ماجه ★ (و عن عمرو بن الشريد رضي الله عنه) سبق ذكرهما (عن أبيه قال ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم) بكسر الدال أي ركبت خلفه و رواية الشمائل كنت رديفه يوما و هذا يدل على كمال قربه و يشعر الى كمال حفظه (فقال هل معك من شعر أمية) بالتصغير (ابن أبي الصلت) بفتح فسكون (شئ) بيانه مقدم قال شارح و انما استنشده شعر أمية لانه كان ثقفيا أدرك مبادي الاسلام و بلغه خبر المبعث لكنه لم يوفق للايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم و قال ميرك كان رجلا مترهبا غواصا في المعاني معتنيا بالحقائق مضمنا لها في اشعاره و لذا قال صلى الله عليه وسلم في شأنه كاد أن يسلم و في خبر آخر آمن لسانه و كفر قلبه (قلت نعم قال هيه) بكسر الهائين و سكون التحتية بينهما أي هات قال ابن الملك هو بمعنى ايه بكسر الهمزة فأبدلت الهمزة هاء و هو اسم فعل بمعنى الامر أي تكلم و قد ينون فتحا و كسرا للتنكير أي حدث حديثا (فانشدته بيتا) أي قرأت له بيتا من اشعار أمية فأعجبه (فقال هيه) أي زد في النهاية تقول للرجل ايه بغير تنوين اذا استزدته من الحديث المعهود بينكما فان نونته استزدته من حديث ما غير معهود للتنكير (ثم أنشدته بيتا فقال هيه حتى أنشدته مائة بيت) و الغرض أنه صلى الله عليه وسلم استحسن شعر أمية و استزاد من انشاده لما فيه من الاقرار بالوحدانية لله تعالى و البعث فقط و هذا يؤيد قول من قال من أرباب الحال أنظر الى ما قال و لا تنظر الى من قال و يوافق حديث الحكمة ضالة المؤمن و فيه استحباب انشاد الشعر المحمود المشتمل على الحكمة (رواه مسلم ★ و عن جندب) بضم الجيم و سكون النون و ضم الدال المهملة و فتحها أيضا و هو ابن عبد الله بن سفيان البجلي روى عنه جماعة مات في فتنة ابن الزبير ذكره المؤلف في فصل الصحابة (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في بعض المشاهد) أي المغازي و هو غزوة أحد على ما قاله العلامة الكرماني في شرح البخاري و وقع في صحيح مسلم كان النبي صلى الله عليه وسلم في غار فدميت أصبعه قال القاضي عياض قال أبو الوليد الباجي لعله غازيا فتصحف قلت الاظهر في التصحيف أن يقال في غاز بالزاي و التقدير في فريق غاز أي معهم ثم قال الباجي لما قال في الرواية الاخرى في بعض المشاهد و لما جاء في رواية للبخاري يعني في كتاب الادب بينما النبي صلى الله عليه وسلم يمشي اذ أصابه حجر فدميت أصبعه قال القاضي عياض و قد يراد بالغار الجيش و الجمع لا الغار الذي هو الكهف ليوافق رواية بعض المشاهد و منه قول علي كرم الله وجهه ما ظنك بامرئ جمع بين هذين الغارين أي العسكرين و قال العسقلاني وقع في رواية شعبة عن الاسود خرج الى الصلاة اخرجه الطيالسي و أحمد قلت يمكن

و قد دميت أصبعه فقال ★ هل انت الا أصبع دميت ★ و فى سبيل الله ما لقيت ★

الجمع بانه كان فى غزوة و خرج الى الصلوة فآجره مرتين أو فى سبيل الله كرتين (و قد دميت) بفتح الدال (أصبعه) بكسر الهمزة و فتح الموحدة على ما فى الاصول و فى القاموس انه مثلث الهمزة و الباء ففيه تسع لغات عاشرها اصبوع و فى الشمائل أصاب حجر أصبع النبى صلى الله عليه وسلم فدميت (فقال) أى النبى صلى الله عليه وسلم اتفاقا على مقتضى الطبع السليم السليقى من غير قصد الى وزنه كما يقع لكثير من الناس ★ (هل أنت الا أصبع دميت) ★ الاستفهام فى معنى النفى و دميت صفة أصبع و المستثنى منه أعم عام الصفة أى ما أنت يا أصبع موصوفة بشئ من الاشياء الا بان دميت كانها لما تجرحت و توجعت خاطبها على سبيل الاستعارة أو الحقيقة مسليا لها و المعنى هونى على نفسك فانك ما ابتليت بشئ من الهلاك و القطع سوى انك دميت و لم يكن ذلك هدرا بل كان فى سبيل الله و رضاه كما أفاده بقوله ★ (و فى سبيل الله ما لقيت) ★ ما موصولة أى الذى لقيته هو فى سبيل الله لا فى سبيل غيره فلايكون ضائعا فافرحى به قيل و يجوز أن يكون ما نافية أى ما لقيت شيأ تحقيرا لما لقيه فيه قلت هذا تحصيل للحاصل لانه استفيد من المصراع الاول مع ما يوهم اطلاقه من الخلل فتأمل قال السيوطى الرواية بكسر التاء فيهما و من قال انهما بالسكون فرارا من الوزن يعارضه انه مع السكون أيضا موزون من الكامل و اختلفوا هل قاله النبى صلى الله عليه وسلم منشأ أو متمثلا و بالثانى جزم الطبرى و غيره فقيل هو للوليد بن الوليد بن المغيرة و قيل لعبد الله بن رواحة قاله فى غزوة موتة و قد أصيبت أصبعه و بعده

يا نفس أن لاتقتلى تموتى ★ هذى حياض الموت قد صليت
و ما تمنيت فقد لقيت ★ ان تفعلى فعلهما هديت

أى فعل زيد بن حارثة و جعفر بن أبى طالب اه و قد جزم بعض شراح المصابيح بان الرجز الذى فى الحديث قول ابن رواحة و قد تلفظ به النبى صلى الله عليه وسلم قلت الظاهر ان ابن رواحة ضمن كلامه صلى الله عليه وسلم تبركا و صدر به شعرا صدر من صدره تيمنا لان قضية موتة متأخرة عن غزوة أحد مع احتمال التوارد و الله أعلم قال الخطابى اختلف الناس فى هذا وما أشبهه من الرجز الذى جرى على لسان النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره و أوقاته و فى تأويل ذلك مع شهادة الله تعالى بانه لم يعلمه الشعر و ما ينبغى له فذهب بعضهم الى ان الرجز ليس بشعر و ذهب بعضهم الى أن هذا و ما أشبهه و أن استوى على وزن الشعر فانه لم يقصد به الشعر اذ لم يكن صدوره عن نية له و روية فيه و انما هو اتفاق كلام يقع أحيانا فيخرج منه الشئ بعد الشئ على أعاريض الشعر وقد وجد فى كتاب الله العزيز من هذا القبيل و هذا مما لايشك فيه انه ليس بشعر و قال بعضهم معنى قول الله تعالى و ما علمناه الشعر و ما ينبغى له الرد على المشركين فى قولهم بل افتراه بل هو شاعر و البيت الواحد من الشعر لايلزمه هذا الاسم فلايخالف معنى الآية هذا مع قوله ان من الشعر لحكمة و انما الشاعر هو الذى قصد الشعر و نشبه و يصفه و يمدحه و يتصرف تصرف الشعراء فى هذه الافانين و قد برأ الله رسوله صلى الله عليه وسلم من ذلك و صان قدره و أخبر أن الشعر لاينبغى له و اذا كان مراد الآية هذا المعنى لم يضر أن يجرى على لسانه الشئ اليسير منه فلايلزمه الاسم المنفى عنه قال القاضى عياض و قد غفل بعض الناس و قال رواية - أنا النبى لا كذب بفتح الباء و أنا ابن عبد المطلب بالخفض و كذا قوله دميت من غير مد حرصا منه على انه يغير الرواية ليستغنى عن الاعتذار و انما الرواية باسكان الباء

متفق عليه ★ و عن البراء قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم قريظة لحسان بن ثابت أهج المشركين فان جبريل معك و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان أجب عني اللهم أيده بروح القدس متفق عليه ★ و عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهجوا قريشا فانه أشد عليهم من رشق النبل رواه مسلم ★ و عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان ان روح القدس لايزال يؤيدك ما نافحت عن الله و رسوله

والمد اه و سبق أن القصر مايضر بالوزن و أما ما في بعض النسخ من ضبط قوله دميت و لقيت على صيغة الغائبة و ان كان يخرجه عن حيز الوزن لكن لا أصل له أصلا (متفق عليه ★ و عن البراء) أي ابن عازب رضي الله عنه (قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم قريظة) أي يوم محاصرة بني قريظة طائفة من اليهود في أطراف المدينة (لحسان) بغير الصرف على الأصح (ابن ثابت) قال المؤلف انصاري خزرجي شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو من فحول الشعراء أجمعت العرب على ان أشعر أهل المدر حسان بن ثابت روى عنه عمر و أبو هريرة و عائشة مات في خلافة علي و له مائة و عشرون سنة عاش منها ستين سنة في الجاهلية و ستين في الاسلام (اهج المشركين) أمر بالهجو ابتداء أو جوابا (فان جبريل) بكسر الجيم و فيه أربع قرآت متواترات ذكرناها سابقا أي الروح الامين (معك) أي معين لك و ملهم اياك و الحديث الى هنا متفق عليه من حديث البراء و أما مابعده فمتفق عليه من حديث أبي هريرة كما سيأتي بيانه (و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان أجب عني) أي من قبلي و عوضا عن جانبي (اللهم أيده) أي قو حسان (بروح القدس) بضم الدال و يسكن أي بجبريل سمي به لانه كان يأتي الانبياء بما فيه حياة القلوب فهو كالمبدأ لحياة القلب كما أن الروح مبدأ حياة الجسد و القدس صفة للروح و انما أضيف اليه لانه مجبول على الطهارة و النزاهة عن العيوب و قيل القدس بمعنى المقدس وهو الله فاضافة الروح اليه للتشريف ثم تأييده امداده له بالجواب والهامه لما هو الحق والصواب قيل لما دعاه أعانه جبريل تسعين بيتا (متفق عليه) أي من حديث أبي هريرة و رواه أبوداود و النسائي أيضا من حديث أبي هريرة و قد حقق ميرك شاه رحمه الله حيث قال ظاهر ايراد المؤلف يقتضي ان قوله و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان أجب الخ من حديث البراء و ليس كذلك بل يفهم من الصحيحين ان حديث البراء ينتهي الى قوله فان جبريل معك و قوله و كان الخ من حديث أبي هريرة لا من حديث البراء ★ (و عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال) لشعراء المسلمين (اهجوا قريشا) أي مجازاة لمهاجاتهم (فانه) أي الهجو (أشد) أي أصعب (عليهم) و أكثر تأثيرا فيهم (من رشق النبل) بفتح الراء و سكون الشين المعجمة و بالقاف و النبل بفتح النون فسكون موحدة فلام أي من رمي السهم اليهم قال النووي الرشق بفتح الراء الرمي بالسهم و بالكسر النبل التي ترمى دفعة واحدة و فيه جواز هجو الكفار و اذا هم ما لم يكن لهم أمان لان الله تعالى قد أمر بالجهاد فيهم و الاغلاظ عليهم لان في الاغلاظ بيانا لنقصهم و الانتصار منهم لهجائهم المسلمين و لايجوز ابتداء لقوله تعالى و لاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم (رواه مسلم ★ و عنها) أي عن عائشة رضي الله عنها انها (قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان ان روح القدس لايزال يؤيدك) بفتح الهمزة و يجوز أبدالها واوا (ما نافحت عن الله و رسوله) أي دافعت و خاصمت و اجتهدت في الذب عن حريمهما في النهاية المنافحة المدافعة و المضاربة و المراد بمنافحته هجاء المشركين و محاربتهم

و قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هجاهم حسان فشفى و اشتفى رواه مسلم ★ وعن البراء قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل التراب يوم الخندق حتى أغبر بطنه يقول

والله لولا الله ما اهتدينا ★ و لاتصدقنا و لاصلينا

فانزلن سكينة علينا ★ و ثبت الاقدام أن لاقينا

ان الاولى قد بغوا علينا ★ اذا أرادوا فتنة أبينا

يرفع بها صوته أبينا أبينا متفق عليه ★ و عن أنس قال جعل المهاجرون و الانصار يحفرون الخندق و ينقلون التراب و هم يقولون

نحن الذين بايعوا محمدا ★ على الجهاد ما بقينا أبدا

يقول النبي صلى الله عليه وسلم و هو يجيبهم

على اشعارهم قال التوربشتي المعنى ان شعرك هذا الذى تنافح به عن الله و عن رسوله يلهمك الملك سبيله بخلاف ما تقوله الشعراء اذا اتبعوا الهوى و هاموا فى كل واد فان مادة قولهم من القاء الشيطان اليهم (و قالت) أى عائشة (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هجاهم حسان فشفى) أى المسلمين (و اشتفى) أى بنفسه قال التوربشتي و يحتمل أنه أراد بالكلمتين التأكيد أى شفى الغيظ بما أمكنه (رواه مسلم ★ وعن البراء رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل التراب) أى مع الاصحاب (يوم الخندق) أى يوم الاحزاب (حتى أغبر بطنه) أى صار ذا غبار (يقول) استئناف او بدل من ينقل أو حال من ضميره ★ (و الله) قسم (لولا الله) أى لولا هدايته أو فضله علينا معشر الاسلام بان هدانا (ما اهتدينا) ★ أى بنفسنا الى الاسلام و هو مقتبس من قوله تعالى و ما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله (و لاتصدقنا) أى على وجه الاخلاص (و لاصلينا) ★ أى صلاة الاختصاص ★ (فانزلن سكينة) أى وقارا و طمانينة (علينا) ★ و هو مستفاد من قوله سبحانه فانزل الله سكينته على رسوله و على المؤمنين (و ثبت الاقدام) أى أقدامنا (أن لاقينا) ★ أى أن رأينا الكفار و بلغنا اليهم ثبتنا على محاربتهم و انصرنا عليهم و هو مأخوذ من قوله عزوجل و ثبت أقدامنا و أنصرنا على القوم الكافرين ★ (ان الاولى) مقصور أولاء و هو لغة فيه و الاشارة الى أهل مكة و الاخزاب الذين تحزبوا معهم يومئذ (قد بغوا علينا) أى تكبروا و تجبروا و تعدوا بالظلم علينا و السبب فى ذلك انهم كما قال (اذا أرادوا فتنة) أى شركا أو قتلا و نهبا أو أضلالنا و أعادتنا فى ملتهم (أبينا) ★ أى امتنعنا عن القبول أشد الامتناع على ما فى النهاية و فيه أشارة الى قوله تعالى أن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء و يبسطوا اليكم أيديهم و ألسنتهم بالسوء و ودوا لو تكفرون (يرفع) أى النبى صلى الله عليه وسلم (بها) أى بهذه الكلمة أو بجملة أبينا (صوته) قائلا (أبينا أبينا) أى مكررا للتأكيد و التلذذ و التسميع لغيره من المسلمين و الكافرين قال الطيبى الضمير فى بها راجع الى الابيات و أبينا أبينا حال أى خصوصا أبينا أبينا و يحتمل أن يكون مفعولا مطلقا و يجوز أن يكون الضمير فى بها مبهم مفسر بقوله أبينا كقوله تعالى كبرت كلمة تخرج من أفواههم (متفق عليه ★ و عن أنس رضى الله عنه قال جعل المهاجرون و الانصار يحفرون الخندق) و هو حفرة كبيرة عريضة طويلة حاجزة بين المسلمين و الكافرين (و ينقلون التراب و هم يقولون ★ نحن الذين بايعوا محمدا) بفتح التحتية ماض من المبايعة (على الجهاد ما بقينا) بكسر القاف أى ما عشنا (أبدا يقول النبى صلى الله عليه وسلم) استئناف جوابا لما يقال فما كان يقول و قوله (و هو يجيبهم) جملة حالية معترضة بين القول

اللهم لاعيش الا عيش الآخرة ★ فاغفر للانصار و المهاجرة

متفق عليه ★ و عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لايمتلیٔ جوف رجل قيحا يريه خير من أن يمتلیٔ شعرا متفق عليه .

★ (الفصل الثانى) ★ عن كعب بن مالك أنه قال للنبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان الله تعالى قد أنزل فى الشعر ما أنزل فقال النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم .

و مقوله و هو (اللهم لاعيش الا عيش الآخرة) و هى بهاء ساكنة للوقف و فى نسخة بالتاء المخفوضة أى الحياة الهنيئة الدائمة هى حياة الآخرة و فيه تسلية للاصحاب عن تحمل مشاقهم فى مجاهدة الاحزاب كقوله تعالى و ما الحياة الدنيا الا متاع الغرور و ان الآخرة هى دار القرار و الآخرة خير و أبقى و الآخرة خير لمن اتقى و أمثال ذلك و قال النووى هو ما يسد الرمق و قال القرطبى أى ما يقربهم و يكفيهم بحيث لايشعرهم الجهد و لايرهقهم الفاقة و لاتزلهم المسئلة و الحاجة و لايكون فى ذلك أيضا فضول يخرج الى الترفه و التبسط فى الدنيا و الركون اليها و قال الطيبى يعنى انهم اذ أوفوا بما عاهدوا الله و رسوله جازاهم مجازاة ليس بعدها ولايكون ذلك الا فى الآخرة ★ (فاغفر الانصار و المهاجرة) أى فاغفر لهم الآن ليكون ذلك سببا للمطلوب اه ضمن اغفر معنى استر و فى نسخة للانصار فيقرأ بالنقل مراعاة للوزن و التاء فى المهاجرة للجمع يريد جماعة المهاجرين (متفق عليه) و رواه النسائى ★ (و عن أبى هريرة رضى‌الله عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لان يمتلیٔ) بهمز فى آخره (جوف رجل قيحا) نصبه على التمييز أى صديدا و دما و ما يسمى نجاسة (يريه) بفتح ياء و كسر راء و سكون ياء أخرى صفة قيح أى يفسده من الورى و هو داء يفسد الجوف و معناه قيحا يأكل جوفه و يفسده و قيل أى يصل الى الرئة و يفسدها و رد بان المشهور فى الرئة الهمز (خير من أن يمتلیٔ) أى ما فى جوفه من الصدر و القلب (شعرا) أى مذموما فى شرح مسلم قالوا المراد منه أن يكون الشعر غالبا عليه متوليا بحيث يشغله عن القرآن أو غيره من العلوم الشرعية و ذكر الله تعالى و هو مذموم من أى شعر كان و الا فلايضره حفظ اليسير من الشعر لان جوفه ليس ممتلئا شعرا و قيل هذا الذم مختص بمعين كما يجیٔ فى الفصل الثالث و قال السيوطى قيل خاص بشعر هجى به النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم لرواية شعرا هجيت به قلت الظاهر الاطلاق و هو يدخل فيه دخولا أوليا و لعل وجه تخصيصه بالذكر تنبيها على أنه أقبح أنواعه أو اشعارا بأن الشعر مذموم لانه قد يؤدى الى ذلك و الا فلايحتاج الى قيد الامتلاء كما لايخفى على أرباب الاملاء فان هذا النوع من الشعر و ما يلحق به من هجو مسلم أو افتراء مذموم سواء امتلأ الجوف أم لا (متفق عليه) و رواه أبوداود و الترمذى و ابن ماجه ذكره ميرك و فى الجامع الصغير رواه أحمد و الشيخان و الاربعة

★ (الفصل الثانى) ★ (عن كعب بن مالك) أنصارى خزرجى و كان أحد شعراء النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم روى عنه جماعة و مات سنة خمسين و هو ابن سبع و سبعين سنة بعد ان عمى ذكره المؤلف و قال ابن عبدالبر فى الاستيعاب عن ابن سيرين قال كان شعراء المسلمين حسان بن ثابت و عبد الله ابن رواحة و كعب بن مالك و كان كعب يخوفهن الحرب قال ابن سيرين بلغنا ان دوسا انما أسلمت فرقا من قول كعب بن مالك ثم أعلم أنه وقع فى بعض النسخ هنا عن أبيه و هو خطأ فاحش (انه قال) أى كعب (للنبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان الله تعالى قد أنزل فى الشعر) أى فى حقه (ما أنزل) أى من الذم فكأنه لما سمع قوله تعالى و الشعراء يتبعهم الغاوون أنكر على نفسه الشعر (فقال النبى صلى‌الله

ان المؤمن يجاهد بسيفه و لسانه والذى نفسى بيده لكانما ترمونهم به نضح النبل رواه فى شرح السنة و فى الاستيعاب لابن عبد البر انه قال يا رسول‌الله ما ذا ترى فى الشعر فقال ان المؤمن يجاهد بسيفه و لسانه ★ و عن أبى أمامة عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال الحياء و العى شعبتان من الايمان و البذاء و البيان شعبتان من النفاق رواه الترمذى ★ و عن أبى ثعلبة الخشنى أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ان أحبكم الى و أقربكم منى يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا

عليه‌وسلم ان المؤمن يجاهد بسيفه و لسانه و الذى نفسى بيده لكانما ترمونهم) اللام زائدة لتأكيد القسم والتقدير والذى نفسى بيده انما ترمونهم (به) أى بالشعر أو باللسان (نضح النبل) بالنصب أى نضحا مثل نضح النبل و قال الطيبى أى كنضح النبل لان أصل كان زيدا الاسد أن زيدا كالاسد فقدم حرف التشبيه اهتماما به و يدل عليه ما فى الفصل من قوله و الفصل بينه و بين الاصل انك ههنا بان كلامك على التشبيه من اول الامر و ثم بعد مضى صدره على الاثبات و قال القاضى نضح النبل رميه مستعار من نضح الماء و المعنى ان هجاءهم يؤثر فيهم تأثير النبل و قام قيام الرمى فى النكاية بهم و قال الطيبى خلاصة جوابه صلى‌الله‌عليه‌وسلم انه ليس فيه ذم الشعر على الاطلاق فان ذلك فى شأن الهائمين فى اودية الضلال و أما المؤمن فهو خارج من ذلك الحكم لانه أحدى عذتيه فى ذب الكفار من اللسان و السنان بل هو أعدى و أبلى كما قال صلى‌الله‌عليه‌وسلم فانه أشد عليهم من رشق النبل و اليه ينظر قول الشاعر

جراحات السنان لها التيام ★ و لايلتام ما جرح اللسان

(رواه فى شرح السنة) قال ميرك باسناد الصحيحين الا أحمد بن منصور فانه عالم ثبت (و فى الاستيعاب لابن عبد البر أنه قال يا رسول‌الله ما ذا ترى فى الشعر فقال ان المؤمن يجاهد بسيفه و لسانه) قلت و قد رواه أحمد و الطبرانى عن كعب بن مالك مرفوعا أن المؤمن يجاهد بسيفه و لسانه ★ (و عن أبى أمامة) أى الباهلى (عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال الحياء و العى) بكسر العين المهملة و تشديد التحتية أى العجز فى الكلام و التحير فى المرام و المراد به فى هذا المقام هو السكوت عما فيه اثم من النثر و الشعر لا ما يكون للخلل فى اللسان (شعبتان من الايمان) فان المؤمن يحمله الايمان على الحياء فيترك القبائح حياء من الله تعالى و يمنعه عن الاجتراء على الكلام شفقة عن عثرة اللسان فهما شعبتان من شعب الايمان و الحاصل أن الايمان منشؤهما و منشأ كل معروف و احسان (والبذاء) بفتح موحدة فذال معجمة فحش الكلام أو خلاف الحياء (و البيان) أى الفصاحة الزائدة عن مقدار حاجة الانسان من التعمق فى النطق و أظهار التفاصح للتقدم على الاعيان (شعبتان من النفاق) و منه قوله تعالى و من الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا و يشهد الله على ما فى قلبه و هو ألد الخصام قال القاضى لما كان الايمان باعثا على الحياء و التحفظ فى الكلام و الاحتياط فيه عدا من الايمان و ما يخالفهما من النفاق و على هذا يكون المراد بالعى ما يكون بسبب التأمل فى المقال و التحرز عن الوبال لا للخلل فى اللسان و بالبيان ما يكون سببه الاجتراء و عدم المبالاة بالطغيان و التحرز عن الزور و البهتان (رواه الترمذى) و قد قال حسن غريب لانعرفه الا من حديث محمد بن مطرف اه و رجاله رجال الصحيحين كذا نقله ميرك عن التصحيح و قد رواه الامام أحمد فى مسنده و الحاكم فى مستدركه ★ (و عن أبى ثعلبة الخشنى) رضى‌الله عنه مر ذكره (أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ان أحبكم الى) أى فى الدنيا (و أقربكم منى يوم القيامة) أى منزلة (أحاسنكم أخلاقا) نصبه على التمييز وجمعه

و أن أبغضكم الى و أبعدكم منى مساويكم أخلاقا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون رواه البيهقى فى شعب الايمان و روى الترمذى نحوه عن جابر و فى روايته قالوا يا رسول‌الله قد علمنا الثرثارون و المتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون

لارادة الانواع أو لمقابلة الجمع بالجمع (و ان أبغضكم الى) أى فى الدنيا (وأبعدكم منى) أى فى العقبى (مساو يكم أخلاقا) بفتح الميم وكسر الواو جمع مسوأ بفتح الميم والواو كمحاسن فى جمع محسن و هو أمامصدر وصف به و أما اسم مكان أى محال سوء الاخلاق و يروى أساويكم وهو جمع أسوأ كاحاسن جمع أحسن وهو مطابق لما فى اصل المصابيح هذا مجمل الكلام فى مقام المرام وقال القاضى أفعل التفضيل اذا أضيف على معنى ان المراد به زائد على المضاف اليهم فى الخصلة التى هو وهم مشتركون فيها جاز الافراد و التذكير فى الحالات كلها و تطبقها لما هو وصف له لفظا و معنى و قد جمع الوجهان فى الحديث فافرد أحب و أبغض وجمع أحاسن و أساوى فى رواية من روى أساويكم بدل مساويكم و هو جمع مسوأ كمحاسن فى جمع محسن و هو أما مصدر ميمى نعت به ثم جمع أو اسم مكان بمعنى الامر الذى فيه السوء فاطلق على المنعوت به مجازا وقال الدارقطنى أراد بأبغضكم بغيضكم و بأحبكم التفضيل فلايكون المخاطبون بأجمعهم مشتركين فى البغض و المحبة و قال الحاجبى تقديره أحب المحبوبين منكم و أبغض المبغوضين منكم و يجوز اطلاق العام و أرادة الخاص للقرينة قال الطيبى اذا جعل الخطاب خاصا بالمؤمنين فكما لايجوز أبغضكم لايجوز بغيضكم لاشتراكهم فى المحبة فالقول ما ذهب اليه ابن الحاجب لان الخطاب عام يدخل فيه البر و الفاجر و الموافق و المنافق فاذا أريد به المنافق الحقيقى فالكلام ظاهر و اذا أريد به غير الحقيقى كما سبق فى باب علامات النفاق فمستقيم أيضا كما يدل عليه قوله (الثرثارون) الخ و هو أما بدل من مساويكم أخلاقاً فيلزم أن تكون هذه الاوصاف أسوأ الأخلاق لان المبدل كالتمهيد و التوطئة و أما رفع على الذم فانه خبر مبتدأ محذوف فيكون أشنع و أبلغ و فى النهاية الثرثارون هم الذين يكثرون الكلام تكلفا و خروجا عن الحق من الثرثرة و هى كثرة الكلام و ترديده (المتشدقون) أى المتوسعون فى الكلام من غير احتياط و احتراز و قيل أراد بالمتشدق المستهزئ بالناس يلوى شدقه لهم و عليهم وقيل هم المتكلفون فى الكلام فيلوى به شدقيه و الشدق جانب الفم (المتفيهقون) أى الذين يملؤن أفواههم بالكلام و يفتحونها من الفهق و هو الامتلاء و الاتساع قيل و هذا من التكبر و الرعونة و الحاصل أن كل ذلك راجع الى معنى الترديد فى الكلام ليميل بقلوب الناس و اسماعهم اليه قال الطيبى و زاد فى الفائق و النهاية على هذا أى على هذا الحديث أو على هذا الوصف المعهود المحمود الموطؤن اكنافا الذين يألفون و يؤلفون قال و هذا مثل و حقيقته من التوطئة و هى التمهيد و التذليل و فراش وطىء لايؤذى جنب النائم و الاكناف الجوانب أراد الذين جوانبهم وطيئة يتمكن فيها من يصاحبهم و لايتأذى (رواه البيهقى فى شعب الايمان و روى الترمذى نحوه) أى مثله معنى لا لفظا (عن جابر) قال ميرك و لم يقل فيه مساويكم أخلاقا بل قال و أبعدكم منى مجلسا يوم القيامة الثرثارون الخ (و فى روايته) أى رواية جابر و الترمذى (قالوا يا رسول‌الله قد علمنا الثرثارون و المتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون) أى المظهرون للكبرياء و العظمة فى أقوالهم و أفعالهم قال النووى فى الاذكار يكره التقعر فى الكلام بالتشدق و تكلف السجع و الفصاحة و التصنع بالمقدمات التى يعتادها المتفاصحون من زخارف القول فكل ذلك من التكلف المذموم و كذلك التحرى فى دقائق الاعراب و وحشى اللغة فى حال مخاطبة

✱ وعن سعد بن أبي وقاص قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتقوم الساعة حتى يخرج قوم يأكلون بألسنتهم كما تأكل البقرة بالسنتها رواه أحمد ✱ وعن عبد الله بن عمر أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال أن الله يبغض البليغ من الرجال الذى يتخلل بلسانه كما يتخلل الباقرة بلسانها رواه الترمذى وأبوداود وقال الترمذى هذا حديث غريب ✱ وعن أنس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم مررت ليلة أسرى بى بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من النار فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ما لايفعلون رواه الترمذى وقال هذا

العوام بل ينبغى أن يقصد فى مخاطبته أياهم لفظا يفهمونه فهما جليا ولايدخل فى الذم تحسين القادر للخطب والمواعظ اذا لم يكن فيها افراط واغراب لان المقصود منها تهييج القلوب الى طاعة الله تعالى ولحسن اللفظ فى هذا أثر ظاهر ✱ (وعن سعد بن أبي وقاص رضى‌الله عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتقوم الساعة حتى يخرج قوم يأكلون بألسنتهم كما تأكل البقرة) بفتحتين وفى نسخة الباقرة وهى جماعة البقرة (بألسنتها) أى يجعلون ألسنتهم وسائل أكلهم كالبقرة تأخذ العلف بلسانها قال التوربشتى ضرب للمعنى مثلا يشاهده الراؤن من حال البقر ليكون أثبت فى الضمائر وذلك أن سائر الدواب تأخذ من نبات الارض باسنانها فضرب بها المثل لمعنيين أحدهما انهم لايهتدون من المآكل الا الى ذلك سبيلا كما أن البقرة لاتتمكن من الاحتشاش الا بلسانها والآخر انهم فى مغزاهم ذلك كالبقرة التى لاتستطيع أن تميز فى رعيها بين الرطب والشوكة وبين الحلو والمر بل تلف الكل بلسانها لفا فكذلك هؤلاء الذين يتخذون ألسنتهم ذريعة الى مآكلهم لايميزون بين الحق والباطل ولابين الحلال والحرام سماعون للكذب أكلون للسحت (رواه أحمد) ورواه محيى السنة فى شرح السنة باسناده ذكره ميرك وفى الحلية لابى نعيم عن أبي هريرة مرفوعا لاتقوم الساعة حتى يكون الزهد رواية والورع تصنعا ✱ (وعن عبد الله بن عمر رضى‌الله عنهما ان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال أن الله يبغض البليغ) أى المبالغ فى فصاحة الكلام وبلاغته (من الرجال) أى مما بينهم وخصوا لانه الغالب فيهم (الذى) صفة البليغ (يتخلل بلسانه) أى يأكل بلسانه أو يدير لسانه حول أسنانه مبالغة فى أظهار بلاغته وبيانه (كما يتخلل الباقرة بلسانها) أى البقرة كانه أدخل التاء فيها على أنه واحد من الجنس كالبقرة من البقر واستعمالها مع التاء قليل قال القاضى شبه أدارة لسانه حول الاسنان والفم حال التكلم تفاصحا بما تفعل البقرة بلسانها والباقرة جماعة البقرة وفى النهاية هو الذى يتشدق فى الكلام ويفخم به لسانه ويلفه كما تلف البقرة بلسانها لفا اه فالمرضى من الكلام ما يكون قدر الحاجة يوافق ظاهره باطنه على منوال الشريعة (رواه الترمذى وأبوداود) وكذا الامام أحمد (وقال الترمذى هذا حديث غريب) وذكر الحاكم فى تاريخه عن أبي هريرة مرفوعا أن الله يبغض كل عالم بالدنيا جاهل بالآخرة ✱ (وعن أنس رضى‌الله عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم مررت ليلة أسرى بى) بنى الليلة على الفتح لاضافتها الى الجملة وفى نسخة بالتنوين فالتقدير ليلة أسرى بى فيها وقوله (بقوم) متعلق بمررت (تقرض) بصيغة المجهول أى تقطع (شفاههم) بكسر أوله جمع الشفة بالفتح (بمقاريض) جمع مقراض (من النار فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء) اشارة تحقير ولذا أعيد (خطباء أمتك) أى علماءهم ووعاظهم أو شعراؤهم (الذين يقولون ما لايفعلون) قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لاتفعلون كبر مقتا عندالله أن تقولوا ما لاتفعلون وقال عزوجل أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون (رواه الترمذى وقال هذا

حديث غريب ★ و عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من تعلم صرف الكلام ليسبي به قلوب الرجال أو الناس لم‌يقبل الله منه يوم القيامة صرفا و لاعدلا رواه أبوداود ★ و عن عمرو بن العاص أنه قال يوما وقام رجل فاكثر القول فقال عمرو لو قصد في قوله لكان خيرا له سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول لقد رأيت أو أمرت أن أتجوز في القول فان الجواز هو خير رواه أبوداود ★ و عن صخر بن عبد الله بن بريدة عن أبيه عن جده قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول أن من البيان سحرا و أن من العلم جهلا

حديث غريب ★ وعن أبي هريرة رضي‌الله‌عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من تعلم صرف الكلام) أي أيراده على وجوه مختلفة و قيل أي الزيادة من القول و التصرف فيه كيف شاء و الصرف الفضل (ليسبي) بكسر الموحدة أي ليسلب و يستميل (به) أي بصرف الكلام (قلوب الرجال أو الناس) أي عامتهم و أو للشك من الراوي (لم‌يقبل الله منه يوم القيامة صرفا و لاعدلا) في النهاية الصرف التوبة أو النافلة و العدل الفدية أو الفريضة (رواه أبوداود) و قد روى الترمذي عن ابن عمر مرفوعا من تعلم علما لغير الله فليتبوأ مقعده من النار ★ (و عن عمرو بن العاص رضي‌الله عنه أنه قال) أي عمرو (يوما) أي من الايام (و قام) أي و قد قام (رجل) أي خطيبا و واعظا (فاكثر القول) أي أطال الكلام أظهارا للفصاحة و البلاغة حتى حصل للسامعين الملالة (فقال عمرو) كذا في جميع نسخ المشكاة قال الطيبي كذا في سنن أبي‌داود و بعض نسخ المصابيح و هو تكرار لطول الكلام لان قوله (لو قصد في قوله لكان خيرا له) هو المقول لقوله قال يوما و قوله و قام رجل حال فلما وقع بينهما طال الكلام فأعاد قال عمرو و نظيره قول الحماسي و أن امرأ دامت مواثيق عهده ★ على مثل هذا أنه لكريم فقوله لكريم خبر أن الاولى و أعاد أنه لطول الكلام و قال التوربشتي قوله قصد أي لو أخذ في كلامه الطريق المستقيم و القصد ما بين الافراط و التفريط (سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم يقول لقد رأيت) أي علمت (أو أمرت) شك من الراوي (أن أتجوز في القول) أي أسرع فيه و أخفف المؤنة عن السامع من قولهم تجوز في صلاته أي خفف ذكره التوربشتي (فان الجواز) بفتح الجيم و هو الاقتصار على قدر الكفاية (هو خير) قال شارح التجوز في القول و الجواز فيه الاقتصار لانه أسراع و انتقال من التكلم الى السكوت (رواه أبوداود) قال ميرك و في سنده محمد بن اسمعيل ابن عباس عن أبيه و فيهما مقال اه و في الجامع الصغير بلفظ لقد أمرت أن أتجوز في القول فان الجواز في القول هو خير رواه أبوداود و البيهقي عن عمرو بن العاص ★ (و عن صخر بن عبد الله بن بريدة) تابعي يروي عن أبيه عن جده و عن عكرمة و عنه حجاج بن حسان و عبد الله بن ثابت (عن أبيه) أي عبد الله بن بريدة و هو قاضي مرو تابعي من مشاهير التابعين وثقاتهم سمع أباه و غيره من الصحابة و روى عنه ابنه سهل و غيره مات بمرو و له أحاديث كثيرة (عن جده) أي بريدة بن الحصيب الاسلمي أسلم قبل بدر و لم يشهدها و بايع بيعة الرضوان و كان من ساكني المدينة ثم تحول الى البصرة ثم خرج منها الى خراسان غازيا فمات بمرو زمن يزيد بن معاوية سنة اثنتين و ستين روى عنه جماعة و الحصيب تصغير الحصب ذكره المؤلف (قال) أي بريدة (سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول أن من البيان سحرا) مر بيانه (و أن من العلم جهلا) أي لكونه علما مذموما و الجهل به خير منه أو لكونه علما بما لايعنيه فيصير جهلا بما يعنيه في النهاية قيل هو أن يتعلم من العلوم ما لايحتاج اليه كالنجوم و علم الاوائل و يدع ما يحتاج اليه في دينه من علم القرآن و السنة فالاشتغال به يمنعه

و ان من الشعر حكما و ان من القول عيالا رواه أبوداود

★ (الفصل الثالث) ★ عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ينافح و يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه البخارى ★ و عن أنس قال كان للنبى صلى الله عليه وسلم حاد

عن تعلم ما هو محتاج اليه فيكون جهلا له قال الازهرى و قيل هو أن لايعمل بعلمه فيكون ترك العمل بالعلم جهلا و مصداقه قوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا قلت و يؤيده أيضا قوله تعالى أنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ففى معالم التنزيل قال قتادة أجمع أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم على أن كل ما عصى به الله فهو جهالة عمدا كان أو لم يكن و كل من عصى الله فهو جاهل (و ان من الشعر حكما) بضم فسكون أى حكمة كما سبق و لقوله تعالى و آتيناه الحكم صبيا أى الحكمة (و أن من القول) أى الكلام (عيالا) بكسر أوله و فى رواية لغير أبى داود عيلا بفتح فسكون أى ثقلا و وبالا عليك أو ثقلا على سامعك لانه عالم به أو جاهل لايفهمه ففى النهاية هو عرضك حديثك و كلامك على من لايريده و ليس من شأنه (رواه أبوداود) قال ميرك و فى أسناده أبوعبيدة يحيى بن واضح الانصارى وثقه ابن معين و أبوحاتم قال و أدخله البخارى فى الضعفاء قال أبوحاتم تحول من هنالك اه و وهم أبوحاتم فيه بل البخارى احتج به

★ (الفصل الثالث) ★ (عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما) أى قياما ففى المفصل قد يرد المصدر على وزن اسم الفاعل نحو قمت قائما (يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى لاجله و من قبله (أو ينافح) بنون ثم فاء فحاء مهملة أى يدافع عنه صلى الله عليه وسلم و يخاصم المشركين و يهجوهم مجازاة لهم و أو تحتمل الشك و التنويع و يؤيد الاول ما فى الشمائل أو قال أى الراوى و فى نسخة أو قالت (و يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله يؤيد حسان) و فى بعض نسخ الشمائل حسانا (بروح القدس) بضم الدال و يسكن و المراد به جبريل عليه السلام كما يدل عليه حديث ان جبريل مع حسان ما نافح عنى و أضافته الى القدس و هو الطهارة لأنه خلق منها على ما ذكره فى النهاية و قيل المراد به القدس و هو الله تعالى و الاضافة فيه للتشريف كبيت الله و تسميته بالروح لانه يأتى الانبياء بما فيه الحياة الابدية و الطهارة السرمدية (ما نافح أو فاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) و فى الشمائل ما ينافح أو يفاخر أى مادام مشتغلا بتأييد دين الله و تقوية رسول الله صلى الله عليه وسلم و قد تقدم بعض ما يتعلق به من المعانى فى الحديث المتفق عليه (رواه البخارى ★ و عن أنس رضى الله تعالى عنه قال كان للنبى صلى الله عليه وسلم حاد) اسم فاعل من حدا الابل وبها حدوا و حداء وحداء (١) زجرها وساقها ذكره صاحب القاموس و فى أساس البلاغة حدا بها اذا غنى بها قال صاحب القاموس و أصل الحداء فى دى (٢) دى و قال فيه ما كان للناس حداء فضرب اعرابى غلامه و عض أصابعه فمشى و هو يقول دى دى أراد يايدى (٣) فسارت الابل على صوته فقال له الزمه و خلع عليه فهذا أصل الحداء اه و له تاثير بليغ فى سرعة مشى الابل و تأثير الغناء فيهن و مما حكى فيه أن شخصا صار ضيفا لاعرابى فرأى عبدا اسود مسلسلا مقيدا و بين يديه بعير واحد فقال له أشفع لى عند سيدى فانه لايرد شفاعة الضيف فتكلم فى حقه فقال أن هذا عمل ذنبا كبيرا فانه كان لى عشرة من الابل فحدا بهن ليلة حتى سرن فيها مسافة ليالى فلما وصلن الى المنزل لم يبق

---

(١) الاول بضم الحاء و الثانى بكسرها (٢) بفتح الدال (٣) صحح

يقال له أنجشة و كان حسن الصوت فقال له النبي صلى الله عليه وسلم رويدك يا أنجشة لاتكسر القوارير قال قتادة يعني ضعفة النساء متفق عليه ★ و عن عائشة قالت ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو كلام فحسنه حسن و قبيحه قبيح رواه الدارقطني و روى الشافعي عن عروة مرسلا ★ وعن أبي سعيد الخدري قال بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرج اذ عرض شاعر ينشد فقال

الا هذا الابل لكني قبلت شفاعتك فقال اذا تأمره أن يسمعني بعض حدياته و هنياته فأمر به فلما أبدى بعض الكلمات قامت الابل و نفرت وحشية الى الصحراء وقام الرجل مجنونا أو مجذوبا لايدرى أين يذهب في البيداء (يقال له) أي للحادي (أنجشة) بفتح همز و سكون نون و جيم و شين معجمة مفتوحتين مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما في القاموس و قال السيوطي هو غلام للنبي صلى الله عليه وسلم حبشي يكنى أبامارية. (و كان) أي أنجشة (حسن الصوت) أي و كان يحدو ابل بعض النساء (فقال له النبي صلى الله عليه وسلم رويدك) أي أمهل أمهالك ومنه قوله تعالى أمهلهم رويدا فهو مصدر منصوب بفعله المقدر و الكاف في محل جر و قيل اسم فعل و الكاف حرف خطاب (يا أنجشة لاتكسر القوارير) بالجزم على جواب الامر و القوارير جمع قارورة سميت بها لاستقرار الشراب فيها و هي الزجاجة كنى بها عن النساء لما فيهن من الرقة و اللطافة و ضعف البنية أمره أن يغض من صوته الحسن خشية أن يقع من قلوبهن موقعا لضعف عزائمهن و سرعة تأثرهن كسرعة الكسر الى القوارير و في النهاية شبههن بالقوارير لانه يسرع اليها الكسر وكان أنجشة يحدو و ينشد القريض و الرجز فلم يأمن أن يصيبهن أو يقع في قلوبهن حداؤه فأمره بالكف عن ذلك و في المثل الغناء رقية الزنا و قيل أراد أن الابل اذا سمعت الحداء أسرعت في المشي و اشتدت فازعجت الراكب و أتعبته فنهاه عن ذلك لان النساء يضعفن عن شدة الحركة قلت و هذا المعنى أظهر كما لايخفى فانه ناشيء عن الرحمة و الشفقة و ذاك عن سوء ظن لايليق بمنصب النبوة (قال قتادة) تابعي جليل يروى عن أنس و غيره (يعني) أي يريد النبي صلى الله عليه وسلم (بالقوارير ضعفة النساء) وهو من أضافة الصفة الى الموصوف (متفق عليه ★ و عن عائشة رضي الله عنها قالت ذكر) بصيغة المجهول (عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر) فكانه ذمه بعض و مدحه بعض على أطلاقه أو ذكر بالذم فقط و منه قوله تعالى حكاية قالوا سمعنا فتى يذكرهم (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو كلام) أي كسائر الكلام أو هو نوع من الكلام فانه قول موزون (فحسنه حسن و قبيحه قبيح) و المعنى أن الحسن و القبح انما يدوران مع المعنى و لاعبرة باللفظ سواء كان موزونا أو غيره عربيا أو غيره (رواه الدارقطني) و كذا أبويعلى الموصلي باسناد حسن ذكره ميرك و في الجامع الصغير الشعر بمنزلة الكلام فحسنه كحسن الكلام و قبيحه كقبيح الكلام رواه البخاري في الادب و الطبراني في الاوسط عن ابن عمر و عبدالرزاق في الجامع عن عائشة و روى في نسخة و رواه الشافعي عن عروة مرسلا و هو لايضر لكون المرسل حجة عند الجمهور و كذا عند الشافعي اذا اعتضد و قد تقدم من طرق انه أسند ★ (و عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال بينا نحن) أي معشر الصحابة (نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرج) بفتح فسكون في القاموس العرج بالفتح بلد باليمن و واد بالحجاز و نخيل و موضع ببلاد هذيل و منزل بطريق مكة و قال النووي هو بفتح العين المهملة و أسكان الراء و بالجيم قرية جامعة من عمل الفرع على نحو ثمانية و سبعين ميلا من المدينة (اذ عرض) أي ظهر (شاعر ينشد) بضم أوله أي يقرأ شعره أو شعر غيره (فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا الشيطان أو امسكوا الشيطان لان يمتلىء جوف رجل قيحا خير له من أن يمتلىء شعرا رواه مسلم ✶ و عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء الزرع رواه البيهقى فى شعب الايمان ✶ و عن نافع قال كنت مع ابن عمر فى طريق فسمع مزمارا فوضع أصبعيه فى أذنيه وناء عن الطريق الى الجانب الآخر ثم قال لى بعد أن بعد يا نافع هل تسمع شيأ قلت لا فرفع أصبعيه من أذنيه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع صوت يراع فصنع مثل ما صنعت قال نافع و كنت اذ ذاك صغيرا رواه أحمد و أبو داود

رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا الشيطان أو أمسكوا الشيطان) شك من الراوى أى أمنعوه من انشاده و لعله صلى الله عليه وسلم لما رآه ينشد الشعر متعرضا غير ملتفت اليهم و مبال بهم مستهترا بانشاد الشعر عرف ان الغالب عليه هو قرض الشعر و أنه مسلوب الحياء معزول عن الادب و لذلك أطلق عليه اسم الشيطان و أتبعه بقوله (لان يمتلىء جوف رجل قيحا خير له من أن يمتلىء شعرا) و قد مر بيانه (رواه مسلم ✶ و عن جابر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغناء) بكسر الغين ممدودا أى التغنى (ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء الزرع) يعنى الغناء سبب النفاق و مؤد اليه فاصله و شعبته كما قال البذاء و البيان شعبتان من النفاق و فى شرح السنة قيل الغناء رقية الزنا و قال الشافعى ولو كان يديم الغناء ويغشاه المغنون معلنا فهذا سفه يرد شهادته و ان كان يقل لاترد شهادته و قال النووى فى الروضة غناء الانسان بمجرد صوته مكروه وسماعه مكروه و ان كان سماعه من الاجنبية كان أشد كراهة و الغناء بآلات مطربة هو من شعار شاربى الخمر كالعود و الطنبور و الصنج و المعازف و سائر الاوتار حرام و كذا سماعه حرام و فى اليراع الوجهان صحح البغوى الحرمة و الغزالى الجواز و هو أقرب و ليس المراد من اليراع كل قصب بل المزمار العراقى و ما يضرب به من الاوتار حرام بلاخلاف ثم قال الاصح أو الصحيح حرمة اليراع و هى هذه المزمارة التى تسمى الشبابة و قد صنف الامام أبو القاسم الدولقى كتابا فى تحريم اليراع مشتملا على نفائس و أطنب فى دلائل تحريمه (رواه البيهقى فى شعب الايمان) و رواه ابن أبى الدنيا فى ذم الملاهى عن ابن مسعود لكن لفظه البقل بدل الزرع ✶ (و عن نافع رضى الله عنه قال كنت مع ابن عمر فى طريق فسمع مزمارا فوضع اصبعيه فى أذنيه وناء) بهمز بعد الالف أى بعد (عن الطريق الى الجانب الآخر) أى مما هو أبعد منه (ثم قال لى بعد أن بعد) بفتح فضم أى صار بعيدا بعض البعد عن مكان صاحب المزمار (يا نافع هل تسمع شيأ) اى من صوت المزمار (قلت لا فرفع أصبعيه من أذنيه قال) استئناف بيان و تعليل بالدليل (كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع صوت يراع) بفتح أوله أى قصب (فصنع مثل ماصنعت) أى من وضع الاصبعين فى الاذنين فقط أو جميع ما سبق من البعد عن الطريق و مراجعة السؤال و الله أعلم (قال نافع و كنت اذ ذاك صغيرا) و لعل ابن عمر أيضا كان صغيرا فيتم به الاستدلال و الله أعلم بالحال مع أنه قد يقال أنه أيضا كان واضعا أصبعيه فى أذنيه فلما سأله رفع أصبعيه فأجاب و ليس حينئذ محذور فانه لم يتعمد السماع و مثله يجوز للشخص أن يفعل أيضا بنفسه اذا كان منفردا بل التحقيق ان نفس الوضع من باب الورع و التقوى و مراعاة لاولى و الا فلايكلف المرء الا بانه لم يقصد السماع لا بانه يفقد السماع و الله أعلم و قال الطيبى هذا جواب سؤال مقدر يعنى ليس لقائل أن يقول سماع اليراع مباح و المنع ليس للتحريم بل للتنزيه لانه لو كان حراما لمنع أيضا نافعا عن الاستماع والجواب أن نافعا لم يبلغ مبلغ التكليف و اليه الاشارة بقوله و كنت اذ ذاك صغيرا و لو لم يذهب الى هذه الفائدة

★ (باب حفظ اللسان و الغيبة و الشتم) ★ (الفصل الاول) ★ عن سهل بن سعد قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من يضمن لى ما بين لحييه و ما بين رجليه أضمن له الجنة رواه البخاري ★ و عن ابى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالا يرفع الله بها درجات

لكان وصفه لنفسه بالصغر ضحكة للساخرين كما فى قولك الميت اليهودى لا يبصر هذا و ذكر الحديث بعيد السابق مشعر بان أستماع الغناء و المزمار و اليراع من واد واحد أى فى الجملة و فى شرح السنة اتفقوا على تحريم المزامير و الملاهى و المعازف و كان الذى سمع ابن عمر صفارة الرعاة و قد جاء مذكورا فى الحديث و الا لم يكن يقتصر فيه على سد المسامع دون المبالغة فى الرد و الزجر و قد رخص بعضهم فى صفارة الرعاة اه و لعله كان صاحب اليراع يهوديا من أهل الذمة أو بعيدا عن المواجهة هذا و فى فتاوى قاضى خان أما أستماع صوت الملاهى كالضرب بالقضيب و نحو ذلك حرام و معصية لقوله عليه‌السلام أستماع الملاهى معصية و الجلوس عليها فسق و التلذذ بها من الكفر انما قال ذلك على وجه التشديد و أن سمع بغتة فلا اثم عليه و يجب عليه أن يجتهد كل الجهد حتى لا يسمع لما روى أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أدخل أصبعه فى أذنيه و أما قراءة أشعار العرب ما كان فيها من ذكر الفسق و الخمر و الغلام مكروه لانه ذكر الفواحش (رواه أحمد و أبوداود)

★ (باب حفظ اللسان و الغيبة و الشتم) ★ حفظ اللسان من باب أضافة المصدر الى مفعوله و المراد منه حفظه عما لا يعنيه فعطف الغيبة و الشتم على الحفظ من باب التخصيص بعد التعميم و الغيبة بكسر الغين أن تذكر أخاك بما يكره فى الغيبة بالفتح بشرط أن يكون موجودا فيه و الا فهو بهتان و الشتم السب و اللعن وهو يشمل الحاضر و الغائب و الحى و الميت

★ (الفصل الاول) ★ (عن سهل بن سعد) أى الساعدى (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من يضمن) بالجزم على أن من شرطية (لى ما بين لحييه) بفتح اللام منبت الاسنان أى من يكفل لى محافظة ما بينهما من اللسان و الفم عن تقبيح الكلام و أكل الحرام (و ما بين رجليه) أى من الفرج عن الزنا و نحوه (أضمن له الجنة) أى دخولها أولا أو درجاتها العالية قال الطيبى و عن بعضهم من يضمن لى لسانه أى شر لسانه و بوادره و حفظه عن التكلم بما لا يعنيه و يضره مما يوجب الكفر و الفسوق و فرجه بأن يصونه أضمن له دخول الجنة و لحييه بفتح اللام تثنية لحى و هما العظمان اللذان ينبت عليهما الاسنان علوا و سفلا (رواه البخارى) و رواه أحمد و الحاكم عن أبى موسى بلفظ من حفظ ما بين فقميه و رجليه دخل الجنة و الفقم بالضم و الفتح اللحى على ما فى النهاية و رواه الترمذى و ابن حبان و الحاكم عن أبى هريرة مرفوعا و لفظه من وقاه الله شر ما بين لحييه و شر ما بين رجليه دخل الجنة و فى رواية للبيهقى عن أنس من وقى شر لقلقه و قبقبه و ذبذبه فقد وجبت له الجنة و اللقلق اللسان و القبقب البطن و الذبذب الذكر كذا فى مختصر النهاية للسيوطى ★ (و عن أبى هريرة رضى‌الله عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله) بكسر أوله و يضم و من بيانية حال من الكلمة أى من كلام فيه رضاه (لا يلقى) بضم الياء و كسر القاف أى لا يرى (لها) أى لتلك الكلمة (بالا) أى شأنا أو بأسا (يرفع الله) أى له (بها) أى بتلك الكلمة (درجات) و المعنى ان العبد لا يعرف قدرها و يظنها هينة قليلة الاعتبار و هى عند الله عظيمة الاقتدار و الجملة مستأنفة بيان للموجب كان قائلا يقول ما ذا يستحق

و أن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم رواه البخارى و فى رواية لهما يهوى بها فى النار أبعد ما بين المشرق و المغرب ★ و عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سباب المسلم فسوق و قتاله كفر متفق عليه

بعد قيل له يرفع الله بها درجات و فى بعض النسخ بفتح الياء و القاف و المعنى لايجد لها عظمة عنده و لايلتفت عاقبتها عند ربه و الجملة حال من ضمير يتكلم فى النهاية أى لايستمع اليها و لايجعل قلبه نحوها اه و فيه حث على التدبر و التفكر عند التكلم و فى شرح المشارق أنه بفتحهما و رفع البال فالبال على هذا بمعنى الحال و الظاهر أنه فى المصابيح كذلك فانه قال شارحه زين العرب أى لايلحقه بأس و تعب فى قولها أولا و لايحضر باله أى قلبه لما يقوله منها أو هو من قولهم ليس هذا من بالى أو مما أباليه و المعنى أنه يتكلم بكلمة الحق يظنها قليلة و هى عند الله جليلة فيحصل له رضوان الله و قد يتكلم بسوء و لايعلم أنه كذلك و هو عند الله ذنب عظيم فيحصل له السخط من الله و هذا معنى قوله (و أن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله) أى مما يوجب غضبه (لا يلقى لها بالا يهوى) بكسر الواو أى يخوض و يقع و يسقط (بها) أى بتلك الكلمة (فى جهنم رواه البخارى) و كذا الامام أحمد (و فى رواية لهما) أى الشيخين ذكره السيد جمال الدين (يهوى بها فى النار أبعد ما بين المشرق و المغرب) أى هويا أبعد من البعد الذى بينهما قال الطيبى الظاهر أنه صفة مصدر محذوف أى هويا بليغا بعيد المبتدأ و المنتهى و فى الجامع الصغير و ان العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها فى النار أبعد ما بين المشرق و المغرب رواه أحمد و الشيخان عنه ★ (و عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سباب المسلم) بكسر أوله أى شتمه و هو من باب أضافة المصدر الى مفعوله (فسوق) لان شتمه بغير حق حرام قال الاكمل الفسوق لغة الخروج زنة و معنى و شرعا هو الخروج عن الطاعة (و قتاله) أى محاربته لاجل الاسلام (كفر) كذا قاله شارح لكن بعده لايخفى لان هذا من معلوم الدين بالضرورة فلايحتاج الى بيانه بل المعنى مجادلته و محاربته بالباطل كفر بمعنى كفران النعمة و الاحسان فى أخوة الاسلام و أنه ربما يؤول الى الكفر أو أنه فعل الكفرة أو أراد به التغليظ و التهديد و التشديد فى الوعيد كما فى قوله صلى الله عليه وسلم من ترك صلاة متعمدا فقد كفر نعم قتاله مع استحلال قتله كفر صريح ففى النهاية السب الشتم يقال سبه يسبه سبا و سبابا قيل هذا محمول على من سب أو قاتل مسلما من غير تأويل و قيل انما ذلك على جهة التغليظ لا أنه يخرجه الى الفسق و الكفر و فى شرح السنة اذا استباح دمه من غير تأويل و لم ير الاسلام عاصما له فهو ردة و كفر قال الطيبى معنى الحديث راجع الى قوله صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده و قد تقرر أن المراد بالمسلم هنا الكامل فى الايمان المؤدى لحقوقه بحسب استطاعته فالنسبة الى الكفر فى هذا الحديث أشارة الى نقصان أيمانه تغليظا اه و هو منه وهم حيث ظن أن الاضافة من باب أضافة المصدر الى فاعله و ليس كذلك كما قدمناه لان سب المسلم و قتاله فسق و كفران سواء يكون كامل الاسلام أم لا هذا و فى شرح السنة فيه دليل على المرجئة الذين لايرون الطاعة من الايمان و يقولون أن الايمان لا يزيد بالطاعة و لاينقص بالمعصية فانه صلى الله عليه وسلم أشار بقوله قتاله كفر الى أن ترك القتال من الايمان و أن فعله ينقص الايمان قلت قد سبق فى أول الكتاب ما هو فصل الخطاب فى هذا الباب من أن القول الصواب هو أن الاعمال ليست من أصل الايمان بل من كماله و أن حقيقة الايمان و هو التصديق غير قابل للزيادة و النقصان نعم

★ و عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما رجل قال لاخيه كافر فقد باء بها أحدهما متفق عليه ★ و عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرمى رجل رجلا بالفسوق و لا يرميه بالكفر الا ارتدت عليه أن لم يكن صاحبه كذلك رواه البخارى ★ و عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا رجلا بالكفر أو قال عدو الله

قد يحصل له قوة بحسب معرفة الدليل و ضعف بفقده و قد يثمر ثمرته من ظهور الطاعات و قد لا يثمر فيقع صاحبه فى السيآت و الله أعلم بالحالات و المقامات (متفق عليه) و رواه أحمد و الترمذى و النسائى و ابن ماجه عن ابن مسعود و رواه ابن ماجه عن أبى هريرة وعن سعد و الطبرانى عن عبدالله ابن مغفل و عن عمرو بن النعمان بن مقرن و الدارقطنى فى الافراد عن جابر و زاد الطبرانى فى رواية عن ابن مسعود و حرمة ماله كحرمة دمه ★ (و عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما رجل قال لاخيه كافر) بضم الراء على البناء فانه منادى حذف حرف ندائه كما ذكره ميرك و يؤيده ما جاء فى رواية بالنداء و فى بعض النسخ بتنوينه على أنه خبر محذوف تقديره أنت أو هو (فقد باء بها) أى رجع باثم تلك المقالة (أحدهما) و فى النهاية التزمها و رجع بها اه و فى بعض نسخ المصابيح به أى بالكفر و هو أولى ذكره ابن الملك وفيه بحث بل الاولى ان معناه رجع باثم ذلك القول المفهوم من قال أحدهما أما القائل أن اعتقد كفر المسلم بذنب صدر منه أو الآخر أن صدق القائل كذا ذكره بعض الشراح من علمائنا و قال الطيبى لانه اذا قال القائل لصاحبه يا كافر مثلا فان صدق رجع اليه كلمة الكفر الصادر منه مقتضاها و ان كذب و اعتقد بطلان دين الاسلام رجعت اليه هذه الكلمة و قال النووى هذا الحديث مما عده بعض العلماء من المشكلات من حيث أن ظاهره غير مراد و ذلك ان مذهب أهل الحق أنه لا يكفر المسلم بالمعاصى كالقتل و الزنا و قوله لاخيه كافر من غير اعتقاد بطلان دين الاسلام و اذا تقرر ما ذكرناه فقيل فى تأويل الحديث أوجه أحدها أنه محمول على المستحل لذلك فعلى هذا معنى باء بها أى بكلمة الكفر أى رجع عليه الكفر و ثانيها أن معناه رجعت عليه نقيصته و معصية تكفيره و ثالثها أنه محمول على الخوارج المكفرين للمؤمنين و هذا ضعيف لان المذهب الصحيح المختار الذى قاله الاكثرون أن الخوارج كسائر أهل البدع لا تكفر قلت و هذا فى غير حق الرافضة الخارجة فى زماننا فانهم يعتقدون كفر أكثر الصحابة فضلا عن سائر أهل السنة و الجماعة فهم كفرة بالاجماع بلا نزاع قال و خامسها (١) معناه فقد رجع اليه تكفيره و ليس الراجع حقيقة الكفر بل التكفير لكونه جعل اخاه المؤمن كافرا فكانه كفر نفسه أما لانه كفر من هو مثله و أما لانه كفر من لا يكفره الا كافر يعتقد بطلان دين الاسلام (٢) و قال الطيبى و فى أكثر الوجوه أحدهما محمول على القائل (متفق عليه) و فى الجامع الصغير اذا قال الرجل لاخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما رواه البخارى عن أبى هريرة و رواه أحمد و البخارى عن ابن عمر ★ (وعن أبى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرمى رجل رجلا بالفسوق و لا يرميه) أى رجل رجلا (بالكفر الا ارتدت) أى رجعت تلك الكلمة من نسبة الفسق أو الكفر (عليه) أى على القائل أو على أحدهما و الظاهر الاول لقوله (أن لم يكن صاحبه) أى المقول له (كذلك) أى مثل ما قيل له من الفسوق أو الكفر (رواه البخارى ★ و عنه) أى عن أبى ذر رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا رجلا بالكفر) أى بان قال له يا كافر (أو قال عدو الله)

(١) و الرابع معناه أن ذلك يؤل به الى الكفر و ذلك كما قالوا أن المعاصى بريد الكفر - (٢) صحح نظرا الى النووى على المسلم ص ٧٧ - ج ١

و ليس كذلك الا حار عليه متفق عليه ★ و عن أنس و أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المستبان ما قالا فعلى البادئ ما لم يعتد المظلوم رواه مسلم ★ و عن ابي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينبغي لصديق أن يكون لعانا رواه مسلم ★ و عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أن اللعانين لا يكونون شهداء و لاشفعاء

بالنصب أي يا عدو الله و في نسخة عدو الله أي هو أو أنت عدو الله (و ليس كذلك) أي و الحال أنه ليس مثل ما ذكر من كونه كافرا أو عدوا لله بل هو مسلم محب لله (الا حار عليه) بالحاء المهملة و الراء أي رجع عليه ما نسب اليه كذا في النهاية و قال الطيبي المستثنى منه محذوف دال على جواب الشرط أي من دعا رجلا بالكفر باطلا فلا يلحقه من قوله ذلك شئ الا الرجوع عليه و يجوز أن يكون من استفهامية و فيه معنى الانكار أي ما يفعل أحد هذه الفعلة في حالة من الأحوال الا في هذه الحالة (متفق عليه ★ وعن أنس و أبي هريرة رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المستبان) بتشديد الموحدة تثنية اسم الفاعل من باب التفاعل (؟) أي المتشاتمان و هما اللذان سب كل منهما الآخر لكن الآخر أراد رد الآخر أو قال شيأ من معايبه الموجودة فيه و هو مبتدأ خبره جملة (ما قالا) أي أي اثم قولهما (فعلى البادئ) أي على المبتدئ فقط و الفاء أما لكون أما شرطية أو لانها بموصولة متضمنة للشرط ثم البادئ بالهمز و انما كان الاثم كله عليه لانه كان سببا لتلك المخاصمة وقيل اثم ما قالا للبادئ أكثر مما يحصل للمظلوم (ما لم يعتد المظلوم) فان جاوز الحد بان أكثر المظلوم شتم البادئ و ايذاءه صار اثم المظلوم أكثر من اثم البادئ و قيل اذا تجاوز فلا يكون الاثم على البادئ فقط بل يكون الآخر آثما أيضا باعتدائه و حاصل الخلاف يرجع الى خلاف الاعتداء قال الطيبي يجوز أن تكون ما شرطية و قوله فعلى البادئ جزاؤه أو موصولة فعلى البادئ خبره و الجملة مسببة و معناه اثم ما قالاه على البادئ اذا لم يعتد المظلوم فاذا تعدى يكون عليهما نعم الا اذا تجاوز غاية الحد فيكون اثم القولين عليه اه و فيه بحث ظاهر و في شرح السنة من أربى الربا من يسب سبتين بسبة (رواه مسلم) و في الجامع الصغير بلفظ المستبان ما قالا فعلى البادئ منهما حتى يعتدى المظلوم رواه أحمد و مسلم و أبوداود و الترمذي عن أبي هريرة من غير ذكر أنس و في رواية لاحمد و البخاري في الادب عن عياض بن حمار المستبان شيطانان يتهاتران و يتكاذبان و التهاتر التعالج في القول ★ (وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينبغي) أي لا يجوز (لصديق) بكسر فتشديد أي مبالغ في الصدق و المراد به المؤمن لقوله تعالى و الذين آمنوا بالله و رسله أولئك هم الصديقون و لرواية لا ينبغي للمؤمن (أن يكون لعانا) أي كثير اللعن و هو الطرد و المراد به هنا الدعاء بالبعد عن رحمة الله تعالى و أنما أتى بصيغة المبالغة لان الاحتراز عن قليله نادر الوقوع في المؤمنين قال ابن الملك و في صيغة المبالغة ايذان بان هذا الذم لا يكون لمن يصدر منه اللعن مرة أو مرتين و قال الطيبي قوله ولا ينبغي لصديق حكم مرتب على الوصف المناسب وذلك أن هذه الصفة تالية صفة النبوة و قال تعالى أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و الانبياء أنما بعثوا رحمة للخلق و المقربين للبعيد و الطريد الى الله و رحمته و اللاعن طارد لهم و طالب لبعدهم منها فاللعنة منافية له اه و فيه أن مفهوم المخالف المختلف جوازه المعتبر عنده يخالفه (رواه مسلم ★ و عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أن اللعانين لا يكونون شهداء) أي على الناس و هم الامم السالفة بان رسلهم بلغوا الرسالة اليهم فيحرمون عن هذه

يوم القيامة رواه مسلم ★ و عن أبي هريرة قال قال رسول صلى الله عليه وسلم اذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم رواه مسلم ★ و عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون شر الناس يوم القيامة ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه و هؤلاء بوجه متفق عليه ★ و عن حذيفة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة قتات متفق عليه

المرتبة الشريفة المختصة بهذه الامة كما قال تعالى و كذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس قال الطيبى المراد بالوسط العدل و اللعنة سالبة للعدالة و قال شارح لايكونون شهداء لصيرورتهم فاسقين باللعن على الناس (و لاشفعاء) أى و لاتكون لهم مرتبة الشفاعة لانهم باللعنة أسقطوا مرتبتهم تلك من مراتب الانبياء و الشهداء (يوم القيامة) ظرف لهما (رواه مسلم ★ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال الرجل هلك الناس) أى استوجبوا النار بسوء أعمالهم (فهو أهلكهم) بضم الكاف و يفتح ففى النهاية يروى بفتح الكاف وضمها فمن فتحها كان فعلا ماضيا و معناه أن الغالين الذين يؤيسون الناس من رحمة الله يقولون هلك الناس فاذا قال الرجل ذلك فهو الذى أوجبه لهم لا الله تعالى يعنى و لاعبرة بايجابه لهم فان فضل الله واسع و رحمته تعمهم ثم قال أو هو الذى لما قال لهم ذلك و آيسهم حملهم على ترك الطاعة و الانهماك فى المعاصى فهو الذى أوقعهم فى الهلاك و أما الضم فمعناه أنه اذا قال لهم فهو أهلكهم أى أكثرهم هلاكا و هو الرجل يولع بعيب الناس و يذهب بنفسه عجبا و يرى له فضلا عليهم و زاد فى شرح السنة أنه روى معنى هذا عن مالك حيث قال اذا قال ذلك عجبا بنفسه و تصاغرا للناس فهو المكروه الذى نهى عنه و أما اذا قال ذلك تحزنا أو تحذيرا لما يرى فى الناس من أمر دينهم فلا أرى به بأسا اه و قيل المراد به أهل البدع الذين يؤيسون الناس من رحمة الله و يوجبون الخلود بذنوبهم اذا قالوا ذلك فى أهل السنة و الجماعة فهم أهلكهم أى هم بهذا الاعتقاد الفاسد أنجس من المؤمن الفاسق (رواه مسلم ★ و عنه) أى عن أبى هريرة رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون شر الناس يوم القيامة ذا الوجهين) أى بقصد الفساد (الذى يأتى هؤلاء) أى طائفة (بوجه و هؤلاء بوجه) أى بوجه آخر كالمنافقين و النمامين و قد قال تعالى مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء و لا الى هؤلاء و من يضلل الله فلن تجد له سبيلا أن المنافقين فى الدرك الاسفل من النار (متفق عليه) هذا مختصر من حديث رواه أحمد و الشيخان عنه و لفظه تجدون الناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا و تجدون خير الناس فى هذا الشأن أشدهم له كراهية قبل أن يقع فيه و تجدون شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين الحديث ★ (و عن حذيفة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لايدخل الجنة) أى مع الفائزين (قتات) بفتح القاف و تشديد التاء أى نمام و النميمة نقل الكلام على وجه الفساد فلايحتاج الى ما قاله ابن الملك من أن هذا اذا لم يكن للاصلاح فلو كان له جاز لانه حينئذ يكون مصلحا و قد قال تعالى لاخير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو أصلاح بين الناس و من يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما و فى النهاية القتات هو النمام يقال قت الحديث اذا زوره و هيأه و سواه و قيل النمام هو الذى يكون مع القوم يتحدث فيهم و عليهم و القتات هو الذى يتسمع على القوم و هم لايعلمون ثم ينم قال الشيخ أبوحامد قيل النميمة مبنية على الكذب و الحسد و النفاق و هى أثافى الذل فينبغى أن يبغض النمام و لايوثق به و بصداقته حكى أن حكيما زاره أحد و أخبره عن غيره بخبر فقال ابطلت زيارتى ثم

و فى رواية لمسلم نمام ★ و عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالصدق فان الصدق يهدى الى البر و أن البر يهدى الى الجنة و مايزال الرجل يصدق و يتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا و أياكم و الكذب فان الكذب يهدى الى الفجور و أن الفجور يهدى الى النار و مايزال الرجل يكذب و يتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا متفق علية و فى رواية لمسلم قال أن الصدق بر و أن البر يهدى الى الجنة و أن الكذب فجور و أن الفجور يهدى الى النار ★ و عن أم كلثوم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الكذاب

أتيتنى بثلاث جنايات بغضت الى أخى و شغلت قلبى الفارغ و اتهمت نفسك الامينة (متفق عليه و فى رواية مسلم) الاولى و فى رواية لمسلم كما فى نسخة (نمام ★ و عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالصدق) أى ألزموا الصدق و هو الاخبار على وفق ما فى الواقع (فان الصدق) أى على وجه ملازمته و مداومته (يهدى) أى صاحبه (الى البر) بكسر الباء و هو جامع الخيرات من أكتساب الحسنات و أجتناب السيئات و يطلق على العمل الخالص الدائم المستمر معه الى الموت (و أن البر يهدى) أى يوصل (صاحبه الى الجنة) أى مراتبها العالية و درجاتها الغالية (و مايزال الرجل) أى الشخص (يصدق) أى فى قوله و فعله (و يتحرى الصدق) أى يبالغ و يجتهد فيه (حتى يكتب) أى يثبت (عند الله صديقا) بكسر الصاد و تشديد الدال أى مبالغا فى الصدق ففى القاموس الصديق من يتكرر منه الصدق حتى يستحق أسم المبالغة فى الصدق و فى الحديث أشعار بحسن خاتمته و أشارة الى أن الصديق يكون مامون العاقبة و قيل المراد بالكتابة الحكم عليه بذلك و أظهاره للملأ الاعلى و القاء ذلك فى الارض (و أياكم و الكذب) بفتح فكسر و فى نسخة بكسر فسكون و الاول هو الافصح (فان الكذب يهدى الى الفجور) بضم الفاء أى الميل عن الصدق و الحق و الانبعاث فى المعاصى و هو أظهر للمقابلة بالبر و فى القاموس فجر فسق و كذب و كذب (١) وعصى وخالف (وأن الفجور يهدى الى النار و مايزال الرجل يكذب و يتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا) قال النووى و معنى يكتب هنا يحكم له بذلك و يستحق الوصف بمنزلة الصديقين و ثوابهم أو صفة الكذابين و عقابهم و المراد أظهار ذلك للمخلوقين و أما بان يكتب أسمه بخط المصنفين حتى يوضع له القبول أو البغضاء بقدرة الله سبحانه و تعالى (متفق عليه) و فى الجامع الصغير رواه أحمد و البخارى فى الادب و مسلم فى صحيحه و الترمذى عن ابن مسعود (و فى رواية لمسلم قال أن الصدق بر و أن البر يهدى الى الجنة و أن الكذب فجور و ان الفجور يهدى الى النار) و فى الجامع الصغير أن الصدق يهدى الى البر و أن البر يهدى الى الجنة و أن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا و أن الكذب يهدى الى الفجور و أن الفجور يهدى الى النار و أن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا رواه الشيخان عن ابن مسعود ★ (و عن أم كلثوم) بضم الكاف و قد صرح به المغنى و فى نسخة بفتحها ففى القاموس أم كلثوم كزنبور بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اه و المراد بها هنا بنت عقبة بن أبى معيط أسلمت بمكة و هاجرت ماشية و بايعت و لم يكن لها بمكة زوج فلما قدمت المدينة تزوجها زيد بن حارثة فقتل عنها فى غزوة موتة فتزوجها الزبير بن العوام ثم طلقها فتزوجها عبد الرحمن بن عوف فولدت له ابراهيم و حميدا و مات عنها فتزوجها عمرو بن العاص فمكثت عنده شهرا و ماتت و هى أخت عثمان بن عفان لامه روى عنها ابنها حميد (قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الكذاب) بالرفع على أنه اسم ليس و فى نسخة بالنصب على أنه خبرها مقدم على أسمها

(١) الاول بتخفيف الذال و الثانى بتشديدها

الذى يصلح بين الناس و يقول خيرا و ينمى خيرا متفق عليه ★ و عن المقداد بن الاسود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب رواه مسلم

و هو أظهر دراية لانه المحكوم به و المحكوم عليه قوله (الذى يصلح بين الناس) ثم الظاهر أن الفعال هنا للنسبة كلبان و تمار أى ذى كذب كما قيل فى قوله تعالى و ما ربك بظلام أى بذى ظلم اذ لا يلزم من نفى المبالغة أنتفاء أصل الفعل و المعنى من كذب ليصلح بين الناس لايكون كاذبا مذموما (و يقول خيرا) أى قولا متضمنا للخير دون الشر بان يقول للاصلاح مثلا بين زيد و عمرو يا عمرو يسلم عليك زيد و يمدحك و يقول أنا أحبه و كذلك يجيء الى زيد و يبلغه من عمرو مثل ما سبق (و ينمى خيرا) أى يبلغه و يرفعه اليه هذا و أغرب الطيبى فى قوله اللام فى الكذاب أشارة الى الكذاب المعهود الذى فى الحديث السابق و نحوه يعنى الكذاب المذموم عند الله تعالى الممقوت عند المسلمين ليس من يصلح ذات البين فانه محمود عند الله تعالى و عندهم فعلى هذا يجب أن يكون الكذاب مرفوعا على أنه أسم ليس و قوله الذى يصلح خبره خلافا لمن زعم أن الكذاب خبر ليس و الذى أسمه اه و وجه غرابته أنه لايلزم من سبق الحديث السابق فى الكتاب صدوره من صدر صدر الانبياء أولا فى هذا الباب أو وقوعه عند هذا الخطاب و الله أعلم بالصواب ثم فى النهاية يقال نميت الحديث و أنميته اذا بلغته على وجه الاصلاح و طلب الخير فاذا بلغته على وجه الافساد و النميمة قلت نميته بالتشديد هكذا قال أبو عبيد و ابن قتيبة و غيرهما من العلماء قلت فقوله خيرا أى حديث خير للتأكيد أو على أرادة التجريد و قال الحربى نمى مشددة و أكثر المحدثين يقولها مخففة و هذا لايجوز و رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يلحن و من خفف لزمه أن يقول خير بالرفع قال صاحب النهاية و هذا ليس بشئ فانه ينتصب بنما كما أنتصب بقال و كلاهما على زعمه لازمان و انما نما متعد يقال نميت الحديث أى رفعته و أبلغته اه و فى القاموس نما ينمو زاد كنمى ينمى نميا و أنمى و نمى الحديث أرتفع و نميته و نميته رفعته و عزوته و أنماه أذاعه على وجه النميمة (متفق عليه) و لفظ الجامع ليس الكذاب بالذى يصلح بين الناس فينمى خيرا ويقول خيرا رواه أحمد و الشيخان و أبوداود و الترمذى عن أم كلثوم بنت عقبة و الطبرانى عن شداد بن أوس ★ (و عن المقداد بن الاسود رضى الله عنه) قال المؤلف هو مقداد بن عمرو الكندى و ذلك أن أباه حالف كندة فنسب اليها و أنما سمى ابن الاسود لانه كان حليفه أو لانه كان فى حجره و قيل بن كان عبدا فتبناه و كان سادسا فى الاسلام روى عنه على و طارق بن شهاب و غيرهما مات بالجرف على ثلاثة أميال من المدينة فحمل على رقاب الناس و دفن بالبقيع سنة ثلاث و ثلاثين و هو ابن سبعين سنة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المداحين) أى المبالغين فى المدح متوجهين اليكم طمعا سواء يكون نثرا أونظما (فاحثوا) بهمزة وصل و ضم مثلثة أى أرموا (فى وجوههم) و فى نسخة فى أفواههم (التراب) قيل يؤخذ التراب و يرمى به فى وجه المداح عملا بظاهر الحديث و قيل معناه الامر بدفع المال اليهم اذ المال حقير كالتراب بالنسبة الى العرض فى كل باب أى أعطوهم أياه و أقطعوا به ألسنتهم لئلا يهجوكم وقيل معناه أعطوهم عطاء قليلا فشبهه لقلته بالتراب و قيل المراد منه أن يخيب المادح و لايعطيه شيأ لمدحه و المراد زجر المادح و الحث على منعه من المدح لانه يجعل الشخص مغرورا و متكبرا قال الخطابى المداحون هم الذين أتخذوا مدح الناس عادة و جعلوه بضاعة يستأكلون به الممدوح فأما من مدح الرجل على الفعل الحسن و الامر المحمود يكون منه ترغيبا له فى أمثاله و تحريضا للناس على

★ وعن أبي بكرة قال أثنى رجل على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ويلك قطعت عنق أخيك ثلاثا من كان منكم مادحا لامحالة فليقل أحسب فلانا والله حسيبه أن كان يرى أنه كذلك ولا يزكى على الله أحدا متفق عليه

الاقتداء فى أشباهه فليس بمداح وفى شرح السنة قد استعمل المقداد الحديث على ظاهره فى تناول عين التراب وحثيه فى وجه المادح وقد يتأول على أن يكون معناه الخيبة والحرمان أى من تعرض لكم بالثناء والمدح فلاتعطوه وأحرموه كنى بالتراب عن الحرمان كقولهم ما فى يده غير التراب وكقوله صلى الله عليه وسلم اذا جاءك يطلب ثمن الكلب فاملأ كفه ترابا وفى الجملة المدح والثناء على الرجل مكروه لانه قلما يسلم المادح عن كذب يقوله فى مدحه وقلما يسلم الممدوح من عجب يدخله (رواه مسلم) ورواه أحمد فى مسنده والبخارى فى الادب وأبوداود والترمذى عن المقداد والطبرانى والبيهقى عن ابن عمر والحاكم فى الكنى عن أنس ولفظ الجامع الصغير أحثوا التراب فى وجوه المداحين رواه الترمذى عن أبى هريرة وابن عدى فى الكامل وأبونعيم فى الحلية عن ابن عمر وفى رواية ابن ماجه عن المقداد أحثوا فى أفواه المداحين التراب وكذلك رواه ابن حبان عن ابن عمر وكذا ابن عساكر عن عبادة بن الصامت ★ (وعن أبى بكرة) أى الثقفى (قال اثنى رجل على رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم) أى بالغ فى مدحه (فقال ويلك) الويل بمعنى الهلاك أى هلكت هلاكا وأهلكت أهلاكا وفى نسخة ويحك وهو للشفقة والمرحمة بخلاف الاول فانه للزجر فى الموعظة (قطعت عنق أخيك) بضم عين ونون فى جميع النسخ المصححة والاصول المعتمدة وفى القاموس العنق بالضم وبضمتين وكامير وصرد الجيد ويؤنث وأنما كره ذلك لئلا يغتر المقول له فيستشعر الكبر والعجب وذلك جناية عليه فيصير كانه قطع عنقه فأهلكه قال النووى هذه أستعارة من قطع العنق الذى هو القتل لاشتراكهما فى الهلاك لكن هذا الهلاك فى الدين وقد يكون من جهة الدنيا (ثلاثا) أى قاله ثلاث مرات (من كان منكم) استئناف لبيان المدح الممدوح (مادحا) أى لاحد (لامحالة) بفتح الميم أى البتة وفى نسخة بضمها ففى القاموس لامحالة منه بالفتح أى لابد والمحال بالضم من الكلام ما عدل عن وجهه وفى الصحاح لامحالة بالضم بمعنى لابد اى لافراق وبالفتح بمعنى لااحتيال (فليقل أحسب فلانا) بكسر السين وفتحها أى أظنه كذا وكذا يعنى رجلا صالحا مثلا (والله حسيبه) أى محاسبه ومجازيه على أعماله وهو عالم به ومطلع على أحواله والجملة حال من المفعول وبقية المقول (أن كان) شرط لاباحة القول المسطور أى فليفل ما ذكر أن كان القائل المادح (يرى) بضم الياء أى يظن وفى نسخة بفتحها أى يعلم (أنه) أى الممدوح (كذلك) أى مثل ما مدحه (ولا يزكى) أى والحال أن المادح لايزكى (على الله) أى على حكمه من قضائه وقدره (أحدا) والمعنى لايقطع بتقوى أحد ولابتزكيته عند الله فان ذلك غيب وقيل عداه بعلى لتضمنه معنى الغلبة لان من جزم على تزكية أحد عند الله فكانه غلب عليه فى معرفته هذا ما ظهر لى فى حل هذا المحل وقال الاشرف والله حسيبه جملة أعتراضية وقوله أن كان يرى متعلق بقوله أحسب فلانا وقوله ولايزكى على الله أحدا منع عن الجزم وهو عطف على قوله فليقل اه وفيه أن لايزكى جاء باثبات الياء فيحتاج على هذا بأن يقال أخبار فى معنى النهى أى ولايكن منكم التزكية على الله وقد أبعد بعضهم حيث قال ولايزكى عطف على يرى وهو الصواب وأنت لايخفى عليك أنه هو الخطأ منه فى هذا الباب ثم لايخلو كلام الطيبى من الاغراب أيضا فى الاعراب حيث قال أن كان يرى الجملة الشرطية

★ و عن أبي هريرة أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال أتدرون ما الغيبة قالوا الله و رسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أفرأيت ان كان في أخي ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته و ان لم‌يكن فيه ما تقول فقد بهته رواه مسلم و في رواية اذا قلت لاخيک ما فيه فقد اغتبته و اذا قلت ما ليس فيه فقد بهته ★ وعن عائشة أن‌رجلا استأذن على‌النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم فقال ائذنوا له فبئس أخو العشيرة

وقعت حالا من فاعل فليقل و على في على الله فيه معنى الوجوب و الله أعلم (متفق عليه ★ و عن أبي هريرة رضي‌الله تعالى عنه أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال أتدرون ما الغيبة) بكسر الغين المعجمة قيل أي أتعلمون ما جواب هذا السؤال (قالوا الله و رسوله أعلم) و الاظهر أن يقال أتدرون ما الغيبة التي ذكرها الله في قوله و لايغتب بعضكم بعضا قالوا الله و رسوله أعلم يعني و لو علمنا بعض العلم لكن يستفاد منک حقيقة العلم بكل شئ فضلا عن الغيبة و نحوها (قال ذكرك) أي أيها المخاطب خطابا عاما (أخاك) أي المسلم (بما يكرهه) أي بما لو سمعه لكرهه قال النووي أعلم أن الغيبة من أقبح القبائح و أكثرها انتشارا في الناس حتى لا يسلم منها الا القليل من الناس و ذكرك فيه بما يكرهه عام سواء كان في بدنه أو دينه أو دنياه أو نفسه أو خلقه أو ماله أو ولده أو والده أو زوجه أو خادمه أو ثوبه أو مشيه و حركته و بشاشته و عبوسته و طلاقته أو غير ذلک مما يتعلق به سواء ذكرته بلفظک أو كتابک أو رمزت أو أشرت اليه بعينک أو يدك أو رأسک و نحو ذلک و ضابطه أن كل ما أفهمت به غيرك نقصان مسلم فهو غيبة محرمة و من ذلک المحاكاة بان يمشي متعارجا أو مطاطئا أو على غير ذلک من الهيئات مريدا حكاية هيئة من ينتقصه بذلک (قيل) أي قال بعض الصحابة (أفرأيت) أي فأخبرني (أن كان في أخي) أي موجودا (ما أقول) أي من المنقصة و المعنى أيكون حينئذ ذكره بها أيضا غيبة كما هو المتبادر من عموم ذكره بما يكره (قال ان كان فيه ما تقول) أي من العيب (فقد أغتبته) أي لامعنى للغيبة الا هذا و هو أن تكون المنقصة فيه (و ان لم‌يكن فيه ما تقول فقد بهته) بفتح الهاء المخففة و تشديد التاء على الخطاب أي قلت عليه البهتان و هو كذب عظيم يبهت فيه من يقال في حقه (رواه مسلم) و كذا الثلاثة ذكره السيد جمال الدين و المراد بهم الترمذي و أبوداود و النسائي و لفظهما قيل يا رسول‌الله ما الغيبة قال ذكرك أخاك بما يكره و ذكراه بتمامه على ما حرره ميرك (و في رواية) المتبادر منه أنها رواية لمسلم و ليس كذلک بل رواية للبغوي في شرح السنة على ما بينه السيد (اذا قلت لاخيک ما فيه فقد اغتبته و اذا قلت ما ليس فيه فقد بهته) قال ميرك هذه الرواية ليست في واحد من الصحيحين و أنما رواها صاحب المصابيح في شرح السنة باسناده عن أبي هريرة اه و فيه تلويح الى الاعتراض على صاحب المصابيح حيث ذكر هذه الرواية في الصحاح و مر مرارا الاعتذار عنه بان ذلک الالتزام أنما هو في الاصول لا في معتضدات الفصول ★ (و عن عائشة رضي‌الله تعالى عنها أن رجلا) قيل هو عيينة الفزاري و قيل مخرمة بن نوفل و يمكن الجمع بتعدد الواقعة (استأذن على النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم) أي في الدخول عليه (فقال ائذنوا) بهمزة ساكنة وصلا و يجوز أبدالها ياء لكن اذا ابتدئ به يقرأ بهمزة مكسورة و ياء ساكنة و الذال مفتوحة مطلقا أي أعطوا الاذن (له) أو اعلموه بالاذن (فبئس أخو العشيرة) أي بئس هو من قومه و في رواية للبخاري بئس أخو العشيرة و بئس ابن العشيرة من غير شک و في الشمائل بئس ابن العشيرة أو أخو العشيرة على الشک فقيل يحتمل أن يكون الشک من‌سفيان فان جميع أصحاب المنكدر رووه عنه بدون الشک قال الطيبي العشيرة القبيلة أي بئس هذا الرجل من

فلما جلس تطلق النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم فی وجهه و انبسط الیه فلما انطلق الرجل قالت عائشة یا رسول الله قلت له کذا و کذا ثم تطلقت فی وجهه و انبسطت الیه فقال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم متی عاهدتنی فحاشا أن شر الناس عندالله منزلة یوم القیامة من ترکه الناس اتقاء شره و فی روایة اتقاء فحشه متفق علیه

هذه العشیرة کما یقال یا أخا العرب لرجل منهم قال النووی و أسم هذا الرجل عیینة بن حصن و لم یکن أسلم حینئذ و ان کان قد أظهر الاسلام فأراد النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم أن یبین حاله لیعرفه الناس و لایغتر به من لم یعرف بحاله و کان منه فی حیاة النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم و بعده ما دل علی ضعف أیمانه و وصف النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم بانه بئس أخو العشیرة من أعلام النبوة لانه ظهر کما وصف (فلما جلس) أی بعد دخوله (تطلق النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم فی وجهه) أی أظهر له طلاقة الوجه و بشاشة البشرة (و انبسط الیه) أی تبسم له و ألان القول له کما فی روایة و قال شارح أی جعلة قریبا من نفسه قال النووی و أنما الان له القول تألفا له و لامثاله علی الاسلام و فیه مداراة من یتقی فحشه و جواز غیبة الفاسق و فی شرح السنة فیه دلیل علی أن ذکر الفاسق بما فیه لیعرف أمره فیتقی لایکون من الغیبة و لعل الرجل کان مجاهرا بسوء أفعاله و لاغیبة لمجاهر قال النووی و من الذین یجوز لهم الغیبة المجاهر بفسقه أو بدعته فیجوز ذکره بما یجهر به و لایجوز بغیره (فلما أنطلق الرجل) أی ذهب (قالت عائشة) لعل هذا نقل بالمعنی و یدل علیه روایة الشمائل عن عروة عن عائشة قالت استأذن رجل علی رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم و أنا عنده فقال بئس ابن العشیرة أو أخو العشیرة ثم أذن له فالان له القول فلما خرج قلت (یا رسول‌الله قلت له کذا و کذا) و فی الشمائل قلت له ما قلت (ثم تطلقت فی وجهه و انبسطت الیه) أی ألنت له القول علی ما فی الشمائل (فقال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم متی عاهدتنی) أی وجدتنی و رأیتنی (فحاشا) أی ذا فحش یعنی قائلا للفحش و أصل الفحش زیادة الشئی علی مقداره و هذا أنکار علی قولها انک خالفت بین الغیب و الحضور فلم لم تذمه فی الحضور کما ذممته فی الغیب (أن شر الناس عند الله منزلة یوم القیامة) استئناف کالتعلیل لقوله متی عاهدتنی فحاشا (من ترکه الناس) و فی روایة ودعه الناس کقراءة ما ودعک فی الشوذ بالتخفیف و فیه رد لقول الصرفیین أماتوا ماضی یدع الا أن یریدوا باماتته ندرته فهو شاذ استعمالا صحیح قیاسا و المعنی من ترک الناس التعرض له (اتقاء شره) کیلایؤذیهم بلسانه و فیه رخصة المداراة لدفع الضرر (و فی روایة) أی للشیخین و غیرهما (اتقاء فحشه) و هو مجاوزة الحد قولا و فعلا و قیل المعنی أنما ألنت له القول لانی لو قلت له فی حضوره ما قلته فی غیبته لترکنی اتقاء فحشی فأکون أشر الناس قیل ذلک الرجل کما وصفه النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم فانه ارتد بعد موته صلی‌الله‌علیه‌وسلم مع المرتدین و جیء به أسیرا الی أبی بکر رضی‌الله عنه و فی فتح الباری أن عیینة ارتد فی زمن الصدیق و حارب ثم رجع و أسلم و کان یقال له الاحمق المطاع کذا فسره به القاضی عیاض و القرطبی و النووی و أخرج عبد الغنی من طریق أبی عامر الخزاعی عن عائشة قالت جاء مخرمة ابن نوفل یستأذن فلما سمع النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم صوته قال بئس أخو العشیرة الحدیث ذکره القسطلانی فی المواهب و قد جمع هذا الحدیث کما قاله الخطابی علما و أدبا و لیس قوله علیه السلام فی أمته بالامور التی یسمهم بها و یضیفها الیهم من المکروه غیبة و انما یکون ذلک من بعضهم فی بعض بل الواجب علیه صلی‌الله‌علیه‌وسلم أن یبین ذلک و یفصح به و یعرف الناس أمورهم فان ذلک من باب النصیحة و الشفقة علی الامة و لکنه لما جبل علیه من الکرم و أعطیه من حسن الخلق أظهرله

★ و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل أمتي معافى الا المجاهرون و أن من المجانة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح و قد ستره الله فيقول يا فلان عملت البارحة كذا و كذا و قد بات يستره ربه و يصبح يكشف ستر الله عنه متفق عليه

البشاشة و لم يجبه بالمكروه و ليقتدى به أمته فى اتقاء شر من هذا سبيله و فى مداراته ليسلموا من شره و غائلته و قال القرطبى فيه جواز غيبة المعلن بالفسق أو الفحش و نحو ذلك مع جواز مداراتهم اتقاء شرهم ما لم يؤد ذلك الى المداهنة ثم قال تبعا للقاضى حسين و الفرق بين المداراة و المداهنة أن المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين أو هما معا و هى مباحة و ربما استحسنت و المداهنة بذل الدين لصلاح الدنيا اه و هذه فائدة جليلة ينبغى حفظها و المحافظة عليها فان أكثر الناس عنها غافلون و بالفرق بينهما جاهلون (متفق عليه) و فى الجامع الصغير أن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ترك اتقاء فحشه رواه الشيخان و أبوداود و الترمذى و فى رواية الطبرانى فى الاوسط عن أنس بلفظ من يخاف الناس شره ★ (و عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل أمتى معافى) هكذا فى جميع نسخ المشكاة وهو اسم مفعول من عافاه الله أى أعطاه الله العافية و السلامة من المكروه و قال النووى فى شرح مسلم معافاة بالهاء فى آخره هكذا هو فى معظم النسخ و الاصول المعتمدة قال الطيبى و فى نسخ المصابيح معافى بلاهاء و على هذا ينبغى أن يكتب ألفه بالياء فيكون مطابقا للفظ كل كما ورد كلكم راع و كلكم مسؤل عن رعيته (الا المجاهرون) بالرفع فى جميع نسخ المشكاة قال التوربشتى كتب مرفوعا فى نسخ المصابيح و حقه النصب على الاستثناء قال الاشرف هو مستثنى من قوله معافى و هو فى معنى النفى أى كل أمتى لا ذنب عليهم الا المجاهرون و أورد الحافظ أبوموسى فى مجموعه المغيث الا المجاهرين بالنصب على الاصل و هكذا أورده فى النهاية قال الطيبى و الاظهر أن يقال كل أمتى يتركون عن الغيبة الا المجاهرون كما ورد من القى جلباب الحياء فلاغيبة له و العفو بمعنى الترك و فيه معنى النفى و نحوه قوله تعالى و يأبى الله الا أن يتم نوره و المجاهرون هم الذين جاهروا بمعاصيهم و أظهروها و كشفوا ما ستر الله عليهم منها فيتحدثون يقال جهر و جاهر و أجهر أقول قول الاشرف كل أمتى لاذنب عليهم لايصح على أطلاقه بل المعنى كل أمتى لا يؤاخذون أو لا يعاقبون عقابا شديدا الا المجاهرون و أما ما ذكره الطيبى من التقييد بالغيبة فلادلالة للحديث عليه و لاعبرة بعنوان الباب كما لايخفى على أولى الالباب بل فى نفس الحديث ما يؤيد ما ذكرناه و هو قوله صلى الله عليه وسلم على طريق الاستئناف البيانى (و أن من المجانة) بفتح الميم و خفة الجيم مصدر مجن يمجن من باب نصر وهى أن لايبالى الانسان بما صنع و لابما قيل له من غيبة و مذمة و نسبة الى فاحشة (أن يعمل الرجل بالليل) أى مثلا (عملا) أى من أعمال المعصية (ثم يصبح) بالنصب و فى نسخة بالرفع أى ثم هو يدخل فى الصباح (و قد ستره الله) أى عمله عن الناس أو ستره و لم يعاقبه فى ليله حتى عاش الى النهار (فيقول) بالنصب و يرفع أى فينادى صاحبا له (يا فلان عملت البارحة) أى فى الليلة الماضية (كذا و كذا) أى من الاعمال السيئة (و قد بات) أى و الحال أن الرجل العاصى دام فى ليله (يستره ربه) أى عن غيره و لم يكشف حاله بالعقوبة (و يصبح) أى الرجل مع ذلك (يكشف) خبر يصبح أى يرفع و يزيل (ستر الله عنه) و هو بكسر السين بمعنى السترة و الحجاب و فى نسخة بفتحها و هو مصدر و المقصود غاية الاستغراب و لذا وقع فى الكلام نوع من الاطناب (متفق عليه) و فى الجامع الصغير بلفظ كل أمتى معافى الا المجاهرون و أن من الجهار أن يعمل الرجل

و ذكر حديث أبي هريرة من كان يؤمن بالله في باب الضيافة

★ (الفصل الثاني) ★ عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الكذب و هو باطل بني له قصر في ربض الجنة و من ترك المراء و هو محق بني له في وسط الجنة و من حسن خلقه بني له في أعلاها رواه الترمذي و قال هذا حديث حسن و كذا في شرح السنة و في المصابيح قال غريب

★ و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون

الحديث لكن بدون يا فلان رواه الشيخان عنه و رواه الطبراني في الاوسط عن أبي قتادة و لفظه كل أمتي معافى الا المجاهر الذي يعمل العمل بالليل فيستره ربه ثم يصبح فيقول يا فلان أني عملت البارحة كذا و كذا فيكشف ستر الله عزوجل قال المؤلف (و ذكر حديث أبي هريرة من كان يؤمن بالله) أي و اليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت (في باب الضيافة) أي في حديث طويل ذكر فيه و سببه أن صدره مناسب لذلك الباب فيكون أسقاطه هنا للتكرير فكلامه للاعتذار لكنه متضمن لنوع من الاعتراض ★ (الفصل الثاني) ★ (عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الكذب) أي وقت مرائه كما يدل عليه القرينة الآتية و يحتمل الاطلاق و الله أعلم (و هو باطل) جملة معترضة بين الشرط و الجزاء للتنفير عن الكذب فان الاصل فيه أنه باطل أو جملة حالية من المفعول أي و الحال أنه باطل لامصلحة فيه من مرخصات الكذب كما في الحرب أو أصلاح ذات البين و المعاريض أو حال من الفاعل أي و هو ذو باطل بمعنى صاحب بطلان (بني له) بصيغة المجهول و له نائبه أي بني الله له قصرا (في ربض الجنة) بفتح الراء و الموحدة أي نواحيها و جوانبها من داخلها لا من خارجها و أما قول شارح هو ما حولها خارجا عنها تشبيها بالابنية التي حول المدن و تحت القلاع فهو صريح اللغة لكنه غير صحيح المعنى فانه خلاف المنقول و يؤدي الى المنزلة بين المنزلتين حسا كما قاله المعتزلة معنى فالصواب أن المراد به أدناها كما يدل عليه قوله (و من ترك المراء) بكسر الميم أي الجدال (و هو محق) أي صادق و متكلم بالحق (بني له في وسط الجنة) بفتح السين و يسكن أي في أوسطها لتركه كسر قلب من يجادله و دفعه رفعة نفسه و أظهار نفاسة فضله و هذا يشعر بان معنى صدر الحديث أن من ترك المراء و هو مبطل فوضع الكذب موضع المراء لانه الغالب فيه أو المعنى أن من ترك الكذب و لو لم يترك المراء بني له في ربض الجنة لانه حفظ نفسه عن الكذب لكن ما صانها عن مطلق المراء فلهذا يكون أحط مرتبة منه (و من حسن) بتشديد السين أي أحسن بالرياضة (خلقه) بضمتين و يسكن اللام أي جميع أخلاقه التي من جملتها المراء و ترك الكذب (بني له في أعلاها) أي حسا و معنى و هذا يدل على أن الخلق مكتسب و ان كان أصله غريزيا و منه خبر صحيح اللهم حسن خلقي كما حسنت خلقي و كذا خبر مسلم اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لايهدي لاحسنها الا أنت قال الامام حجة الاسلام حد المراء الاعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه أما لفظا أو معنى أو في قصد المتكلم و ترك المراء بترك الانكار و الاعتراض فكل كلام سمعته فان كان حقا فصدق به و ان كان باطلا و لم يكن متعلقا بامور الدين فاسكت عنه (رواه الترمذي و قال هذا حديث حسن) و تمامه لايعرف الا من حديث سلمة بن وردان قال ميرك نقلا عن التصحيح و سلمة تكلم فيه لكن حسن حديثه الترمذي و للحديث شواهد اه فالحديث حسن لذاته أو لغيره (و كذا في شرح السنة) أي حسن (و في المصابيح غريب) أي أسنادا لما سبق و هو لاينافي كونه حسنا كما قررناه ★ (و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون

أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله و حسن الخلق أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس النار الاجوفان الفم و الفرج رواه الترمذى و ابن ماجه ★ و عن بلال بن الحارث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الرجل ليتكلم بالكلمة من الخير ما يعلم مبلغها يكتب الله له بها رضوانه الى يوم يلقاه و أن الرجل ليتكلم بالكلمة من الشر ما يعلم مبلغها يكتب الله بها عليه سخطه الى يوم يلقاه

ما أكثر ما يدخل الناس الجنة) أى ما أكثر أسباب أدخالهم الجنة مع الفائزين (تقوى الله) و أقلها التقوى عن الشرك و أعلاها عن خطور ما سوى الله (و حسن الخلق) أى مع الخلق و أدناه ترك أذاهم و أعلاه الاحسان الى من أساء اليه منهم و فيه مبادرة الى الجواب حيث يعلم جهل أهل الخطاب و فائدة أيراد السؤال أولا ابهام و تفصيل و هما يوجبان أيقاع الكلام و تأثيره فى النفوس أكثر (أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس النار الاجوفان) أى المجوفان أو المعتلان الوسط علة معنوية (الفم و الفرج) لان المرء غالبا بسببهما يقع فى مخالفة الخالق و ترك المخالفة مع المخلوق و به يظهر الارتباط بين القرينتين من الكلام و الله أعلم بحقيقة المرام و قال الطيبى قوله تقوى الله أشارة الى حسن المعاملة مع الخالق بان يأتى جميع ما أمره به و ينتهى عما نهى عنه و حسن الخلق أشارة الى حسن المعاملة مع الخلق و هاتان الخصلتان موجبتان لدخول الجنة و نقيضهما النار فاوقع الفم و الفرج مقابلا لهما أما الفم فمشتمل على اللسان و حفظ ملاك أمر الدين كله و أكل الحلال رأس التقوى كله و أما الفرج فصونه من أعظم مراتب الدين قال تعالى و الذين هم لفروجهم حافظون لان هذه الشهوة أغلب الشهوات على الانسان و أعصاها على العقل عند الهيجان و من ترك الزنا خوفا من الله تعالى مع القدرة و أرتفاع الموانع و تيسر الاسباب لاسيما عند صدق الشهوة وصل الى درجة الصديقين قال تعالى و أما من خاف مقام ربه و نهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى و قصة الرشيد فى تعليق طلاق زبيدة مع الامام أبى يوسف مشهورة و معنى الأكثرية فى القرينتين أن أكثر أسباب السعادة الابدية الجمع بين هاتين الخلتين و أن أكثر أسباب الشقاوة السرمدية الجمع بين هاتين الخصلتين (رواه الترمذى و ابن ماجه ★ و عن بلال بن الحارث) قال المؤلف فى فصل الصحابة هو أبو عبدالرحمن المزنى سكن بالاستمراء وراء المدينة روى عنه ابنه الحارث و علقمة بن الوقاص مات سنة ستين و له ثمانون سنة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الرجل ليتكلم بالكلمة من الخير) من بيانية (ما يعلم) أى الرجل (مبلغها) أى قدر تلك الكلمة و مرتبتها عند الله و الجملة حال أى و الحال أنه يظن أنها يسيرة قليلة و هى عند الله عظيمة جليلة (يكتب الله) أى يثبت و يديم (له بها رضوانه) بكسر الراء و يضم أى رضاه و هو يحتمل أن يكون من باب أضافة المصدر الى فاعله أو مفعوله و الاول أظهر لمقابلة القرينة الآتية (الى يوم يلقاه) بكسر الميم فى أكثر النسخ و بفتحها فى بعضها و بالتنوين فى بعضها و الضمير البارز فى يلقاه يحتمل أن يكون الى اليوم و المستتر الى الرجل و يمكن عكسه تجوزا و يمكن أن يكون أحد الضميرين الى الله و الآخر الى الرجل فتأمل (و أن الرجل ليتكلم بالكلمة من الشر ما يعلم مبلغها يكتب الله بها سخطه) أى غضبه (الى يوم يلقاه) قال ابن عيينة هى الكلمة عند السلطان فالاولى ليرده بها عن ظلم و الثانية ليجره بها الى ظلم و قال ابن عبد البر لاأعلم خلافا فى تفسيرها بذلك نقله السيوطى قال الطيبى فان قلت ما معنى قوله يكتب الله له بها رضوانه و ما فائدة التوقيت الى يوم يلقاه قلت معنى كتبه رضوان الله توفيقه لما يرضى الله تعالى من الطاعات و المسارعة الى الخيرات فيعيش فى الدنيا حميدا و فى البرزخ يصان من عذاب

رواه فی شرح السنة و روی مالک و الترمذی و ابن ماجه نحوه ★ و عن بهز بن حکیم عن أبیه عن جده قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم ویل لمن یحدث فیکذب لیضحک به القوم ویل له و یل له رواه أحمد و الترمذی و أبوداود و الدارمی ★ و عن أبی هریرة قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم أن العبد لیقول الکلمة لایقولها الا لیضحک به الناس یهوی بها أبعد مما بین السماء و الارض و أنه

القبر و یفسح له قبره و یقال له نم کنومة العروس الذی لایوقظه الا أحب أهله الیه و یحشر یوم القیامة سعیدا و یظله الله تعالی فی ظله ثم یلقی بعد ذلک من الکرامة و النعیم المقیم فی الجنة ثم یفوز بلقاء الله ما کل ذلک دونه و فی عکسه قوله یکتب الله بها علیه سخطه و نظیره قوله تعالی لابلیس أن علیک لعنتی الی یوم الدین (رواه فی شرح السنة) أی بهذا اللفظ (و روی مالک و الترمذی و ابن ماجه نحوه) أی بمعناه و فی الجامع الصغیر رواه مالک و أحمد و الترمذی و النسائی و ابن ماجه و ابن حبان و الحاکم عن بلال بن الحارث مرفوعا و لفظه أن الرجل لیتکلم بالکلمة من رضوان الله تعالی ما یظن أن تبلغ ما بلغت فیکتب الله له بها رضوانه یوم القیامة و أن الرجل لیتکلم بالکلمة من سخط الله ما یظن أن تبلغ ما بلغت فیکتب الله علیه بها سخطه الی یوم القیامة و فی الاحیاء و کان علقمة یقول و کم من کلام منعنیه حدیث بلال بن الحارث ★ (و عن بهز) بفتح موحدة و سکون هاء فزای (ابن حکیم) تابعی قال المصنف قد اختلف العلماء فیه روی عنه جماعة و لم یخرج البخاری و مسلم فی صحیحیهما شیأ منه و قال ابن عدی و لم أر حدیثه منکرا (عن أبیه) أی حکیم بن معاویة القشیری البصری قال البخاری فی صحبته نظر روی عنه ابن أخیه معاویة بن حکیم و قتادة (عن جده) أی معاویة بن حیدة بفتح حاء مهملة فسکون تحتیة و دال مهملة لم یذکره المؤلف (قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم ویل) أی هلاک عظیم أو واد عمیق فی جهنم (لمن یحدث) أی لمن یخبر الناس (فیکذب) أی لایصدق فی تحدیثه و أخباره (لیضحک) بضم أوله و کسر حائه (به) أی بسبب تحدیثه أو الکذب (القوم) بالنصب علی أنه مفعول ثان هکذا فی النسخ و یجوز فتح الیاء و الحاء و رفع القوم ثم المفهوم منه أنه اذا حدث بحدیث صدق لیضحک القوم فلابأس به کما صدر مثل ذلک من عمر رضی الله عنه مع النبی صلی الله علیه وسلم حین غضب علی بعض أمهات المؤمنین قال الغزالی و حینئذ ینبغی أن یکون من قبیل مزاح رسول الله صلی الله علیه وسلم فلایکون الا حقا و لا یؤذی قلبا و لایفرط فیه فان کنت أیها السامع تقتصر علیه أحیانا و علی الندور فلاحرج علیک و لکن من الغلط العظیم أن یتخذ الانسان المزاح حرفة و یواظب علیه و یفرط فیه ثم یتمسک بفعل رسول الله صلی الله علیه وسلم فهو کمن یدور مع الزنوج أبدا لینظر الی رقصهم و یتمسک بان رسول الله صلی الله علیه وسلم أذن لعائشة رضی الله عنها فی النظر الیهم و هم یلعبون (ویل له ویل له) أنما أعاده مرتین للتأکید أو أولها للبرزخ و ثانیها للموقف و ثالثها للنار (رواه أحمد و الترمذی) أی و قال حسن اه و قد تکلم بعضهم فی بهز و وثقه جماعة ذکره میرک (و أبوداود و الدارمی) و کذا النسائی و الحاکم ★ (و عن أبی هریرة رضی الله تعالی عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم أن العبد) أی الشخص (لیقول الکلمة) أی الکاذبة (لایقولها الا لیضحک به الناس) أی یتلفظها أو المراد بها الکلام علی أنها کلمة لغویة و المستثنی من أعم عام الغرض (یهوی) بفتح الیاء و کسر الواو أی یسقط فی جهنم (بها) أی بسببها (أبعد) أی هویا و سقوطا أبعد (مما بین السماء و الارض) و فی نسخة أبعد ما بین السماء و الارض و قیل معناه یبعد بها عن الخیر و الرحمة بعدا أبعد ما بینهما (و انه)

ليزل عن لسانه أشد مما يزل عن قدمه رواه البيهقي في شعب الايمان ★ وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صمت نجا رواه أحمد و الترمذي و الدارمي و البيهقي في شعب الايمان ★ و عن عقبة بن عامر

أي العبد و المراد به الجنس فلا يرد أن المعرفة اذا أعيدت تكون عين الاول . فتأمل (ليزل) بفتح اللام و الياء و كسر الزاي و تشديد اللام أي ليعثر و يزلق و يخطأ (عن لسانه) أي عن جهته و من قبله و بسببه (أشد) أي زللا أقوى و أكثر (مما يزل عن قدمه) و المعنى أن صدور الكذب و نحوه عن لسانه أضر عليه من ضرر سقوطه عن رجله على وجهه فان الضرر البدني أهون من الضرر الديني قال الطيبي قوله و أنه ليزل عن لسانه تمثيل بعد تمثيل مثل أولا مضرته منها في جاهه و سقوطه من منزلته عند الله تعالى بمن سقط من أعلى مكان الى أدناه ثم مثل ثانيا مضرته بها في نفسه و ما يلحقه من المشقة و التعب بمن يتردد في وحل عظيم فيدحض قدماه في تلك المزالق قلما يتخلص منها (رواه البيهقي في شعب الايمان) قال ميرك ناقلا عن التصحيح و رواه أحمد في مسنده من طريق مكحول عن أبي هريرة و رواه صاحب المصابيح في شرح السنة بهذا اللفظ من طريق يحيى بن أبي عبيد عن أبيه عن أبي هريرة قلت و في الجامع الصغير بلفظ ان العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق و المغرب رواه احمد و الشيخان عن أبي هريرة و في رواية للترمذي و ابن ماجه و الحاكم عنه بلفظ أن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا يهوي بها سبعين خريفا في النار و في رواية أحمد عن أبي سعيد و لفظه ان الرجل ليتكلم بالكلمة لا يريد بها بأسا ليضحك بها القوم و أنه ليقع بها أبعد من السماء ★ (و عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صمت) أي سكت عن الشر (نجا) أي فاز و ظفر بكل خير أو نجا من آفات الدارين قال الراغب الصمت أبلغ من السكوت لانه قد يستعمل فيما لا قوة له للنطق و فيما له قوة النطق و لهذا قيل لما لا نطق له الصامت و المصمت و السكوت يقال لما له نطق فيترك استعماله و قال الغزالي أعلم ان ما ذكره صلى الله عليه وسلم من فصل الخطاب و جوامع الكلم و جواهر الحكم و لا يعرف أحد ما تحت كلماته من بحار المعاني الا خواص العلماء و ذلك ان خطر اللسان عظيم و آفاته كثيرة من الخطأ و الكذب و النميمه و الغيبة و الرياء و السمعة و النفاق و الفحش و المراء و تزكية النفس و الخوض في الباطل و غيرها و مع ذلك النفس مائلة اليها لانها سباقة الى اللسان لا تثقل عليه ولها حلاوة في النفس وعليها بواعث من الطبع والشيطان فالخائض فيها قلما يقدر على أن يزم اللسان فيطلقه بما يحب و يكفه عما لا يحب ففي الخوض خطر و في الصمت سلامة مع ما فيه من جمع الهم و دوام الوقار و الفراغة للفكر و العبادة و الذكر و السلامة من تبعات القول في الدنيا و من حسابه في العقبى وقد قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ويدلك على لزوم الصمت أمر وهو أن الكلام أربعة أقسام قسم هو ضرر محض وقسم هو نفع محض وقسم فيه ضرر و منفعة و قسم لا ضرر فيه و لا منفعة أما الذي هو ضرر محض فلابد من السكوت عنه و كذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران ظاهرا فلا يبقى الا القسم الرابع و فيه خطر اذ قد يمتزج به ما فيه اثم من دقائق الرياء و التصنع و الغيبة و تزكية النفس و فضول الكلام امتزاجا يخفى مدركه فيكون الانسان به مخاطرا اه و حاصله ان آفات اللسان غير محصورة و في الصمت خلاص منها و قد قيل اللسان جرمه صغير و جرمه كبير و كثير (رواه أحمد و الترمذي و الدارمي و البيهقي في شعب الايمان ★ وعن عقبة بن عامر)

قال لقيت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فقلت ما النجاة فقال أملك عليك لسانك و ليسعك بيتك و ابك على خطيئتك رواه أحمد و الترمذى ★ و عن أبى سعيد رفعه قال اذا أصبح ابن آدم فان الاعضاء كلها تكفر اللسان فتقول اتق الله فينا فانما نحن بك فان استقمت استقمنا و أن أعوججت أعوججنا رواه‌الترمذى

أى الجهنى (قال لقيت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فقلت ما النجاة) أى ما نجاة هذا الامر حتى نتعلق به أو ما الخلاص عن الآفات حتى احترس به (فقال أملك عليك لسانك) بفتح الهمزة وكسر اللام أى احفظ لسانك عما ليس فيه خير كما قاله شارح و الاظهر أن معناه أمسك لسانك حافظا عليك أمورك مراعيا لاحوالك ففيه نوع من التضمين و فى النهاية أى لاتجره الا بما يكون لك لاعليك اه و هو حاصل المعنى كما لايخفى و عن بعضهم أى اجعل لسانك مملوكا لك فيما عليك وباله و تبعته فامسكه عما يضرك و أطلقه فيما ينفعك اه و هو ناظر الى أن الصيغة من الثلاثى المجرد ففى القاموس ملكه يملكه ملكا مثلثة احتواه قادرا على الاستبداد به و أملكه الشئ وملكه أياه تمليكا بمعنى لكن النسخ المصححة و الاصول المعتمدة بصيغة المزيد مضبوطة نعم كتب ميركشاه على هامش كتابه الظاهر أملك بكسر الهمزة من الثلاثى المجرد فانه متعد لكن فى الاصل صحح من الثلاثى المزيد فيه و ليس بظاهر تأمل قلت لعل الزيادة لزيادة المبالغة فى التعدية فتدبر هذا و قد قال الطيبى هذا الجواب من أسلوب الحكيم سئل عن حقيقة النجاة فأجاب عن سببه لانه أهم بحاله و أولى وكان الظاهر أن يقول حفظ اللسان فأخرجه على سبيل الامر الذى يقتضى الوجوب مزيدا للتقرير و الاهتمام اه و ما فيه من التكلف لايخفى بل من التعسف فى حق الصحابى فانه جعل العدول عن معرفته حقيقة النجاة بالنسبة اليه أولى فالصواب أن تقدير السؤال ما سبب النجاة بقرينة الجواب و قد أشرنا فيما تقدم الى تقرير تقدير آخر و الله أعلم (و ليسعك) بكسر اللام و يسكن (بيتك) بأن تسكن فيه و لاتخرج منه الا لضرورة و لاتضجر من الجلوس فيه بل تجعله من باب الغنيمة فانه سبب الخلاص من الشر و الفتنة و لذا قيل هذا زمان السكوت و ملازمة البيوت و القناعة بالقوت الى أن يموت قال الطيبى الامر فى الظاهر وارد على البيت و فى الحقيقة على المخاطب أى تعرض لما هو سبب للزوم البيت من الاشتغال بالله و المؤانسة بطاعته و الخلوة عن الاغيار (و ابك على خطيئتك) أى ابك أن تقدر و الا فتباك نادما على معصيتك فيما سبق من أيام حياتك قال الطيبى ضمن بكى معنى الندامة و عداه بعلى أى اندم على خطيئتك باكيا (رواه أحمد و الترمذى) و روى ابن قانع و الطبرانى عن الحارث بن هشام صدر الحديث فقط و هو أملك عليك لسانك ★ (و عن أبى سعيد) أى الخدرى (رفعه) أى أسند الحديث الى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم و أنما أبهمه الراوى لانه شك فى كيفية رفعه أنه هل هو بصيغة السمع أو القول و نحوهما (قال اذا أصبح ابن آدم) أى دخل فى الصباح و هو مفتاح باب النجاح لان آفات اللسان انما هى بمعاشرة الاخوان و هى فى النهار أكثر باعتبار أغلب الازمان (فان الاعضاء) أى التى يتأتى منها العصيان أو مطلقها فان لها تعلقا ما فى الحركات و السكنات للانسان و يؤيده تأكيدها بقوله (كلها تكفر) بتشديد الفاء المكسورة أى تتذلل و تتواضع (اللسان) من قولهم كفر اليهودى اذا خضع مطأطأ رأسه و انحنى لتعظيم صاحبه كذا قاله شارح و فى النهاية التكفير هو أن ينحنى الانسان و يطأطأ رأسه قريبا من الركوع كما يفعل من يريد تعظيم صاحبه (فتقول) أى الاعضاء له (اتق الله فينا) أى فى حفظ حقوقنا (فانما نحن بك) أى نتعلق و نستقيم و نعوج بك (فان استقمت استقمنا و أن أعوججت أعوججنا) قال الطيبى فان قلت كيف التوفيق بين هذا الحديث و بين قوله صلى الله

★ و عن علي بن الحسين قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لايعنيه

عليه‌وسلم أن في الجسد لمضغة اذا صلحت صلح الجسد كله و اذا فسدت فسد الجسد كله ألا و هي القلب قلت اللسان ترجمان القلب و خليفته في ظاهر البدن فاذا أسند اليه الامر يكون على سبيل المجاز في الحكم كما في قولك شفى الطبيب المريض قال الميداني في قوله المرء بأصغريه يعني بهما القلب و اللسان أي يقوم و يكمل معانيه بهما و أنشد لزهير

و كائن ترى من صامت لك معجب ★ زيادته أو نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف و نصف فؤاده ★ فلم يبق الا صورة اللحم و الدم

اه و لايخفى ظهور توقف صلاح الاعضاء و فسادها على القلب بحسب صلاحه و فساده فانه معدن الاخلاق الكريمة كما أنه منبع الاحوال الذميمة و نظيره الملك المطاع . و الرئيس المتبع فانه اذا صلح المتبوع صلح التبع و قد قال بعض أكابر الصوفية أن البطن عضو ان جاع هو شبع سائر الاعضاء يعني سكن فلايطالبك بشئ و أن شبع هو جاع سائر الاعضاء و بيانه على ما في منهاج العابدين أن في كثرة الاكل فتنة الاعضاء و انبعاثها للفضول و الفساد فالرجل اذا كان شبعان بطرا اشتهت عينه النظر الى ما لايعنيه من حرام أو فضول و الاذن الاستماع اليه و اللسان التكلم به و الفرج الشهوة و الرجل المشي اليه و اذا كان جائعا فتكون الاعضاء كلها ساكنة هادية لاتطمع الى شئ من هذا و لاتنشط له و جملة الامر أن أفعال الرجل و أقواله على حسب طعامه و شرابه أن دخل الحرام خرج الحرام وأن دخل الفضول خرج الفضول كان الطعام بذر الافعال و الافعال نبت يبدو منه فهذا المعنى ظاهر جدا في أمر القلب و البطن و أما تعلق الاعضاء جميعها باللسان فلم يظهر لي مدة من الزمان حتى ألهمني الله تعالى ببركة الصلاة على نبيه صلى‌الله‌عليه‌وسلم و هو أن اللسان من أعضاء الانسان آلة البيان للكفر و الايمان فمع أستقامته تنفعه أستقامة سائر الاعضاء و مع اعوجاجه تبطل أحوالها سواء تكون مستقيمة أو معوجة في أفعالها والله الملهم بالصواب و اليه المرجع والمآب (رواه الترمذي) وكذا ابن خزيمة و البيهقي ★ (و عن علي بن الحسين) أي ابن علي بن أبي طالب رضي‌الله عنهم و هو الامام زين العابدين . و قد سبق بعض مناقبه من جملة محاسن مراتبه (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من حسن اسلام المرء) أي من جملة محاسن اسلام الشخص و كمال أيمانه (تركه ما لايعنيه) أي ما لايهمه و لايليق به قولا و فعلا و نظرا و فكرا فحسن الاسلام عبارة عن كماله و هو أن تستقيم نفسه في الاذعان لاوامر الله تعالى و نواهيه و الاستسلام لاحكامه على وفق قضائه و قدره فيه و هو علامة شرح الصدر بنور الرب و نزول السكينة على القلب و حقيقة ما لايعنيه ما لايحتاج اليه في ضرورة دينه و دنياه و لاينفعه في مرضاة مولاه بأن يكون عيشه بدونه ممكنا و هو في استقامة حاله بغيره متمكنا و ذلك يشمل الافعال الزائدة و الاقوال الفاضلة فينبغي للمرء أن يشتغل بالامور التي يكون بها صلاحه في نفسه في أمر زاده باصلاح طرق معاشه و معاده و بالسعي في الكمالات العلمية والفضائل العملية التي هي وسيلة الى نيل السعادات الابدية و الفوز بالنعم السرمدية و لعل الحديث مقتبس من قوله تعالى و الذين هم عن اللغو معرضون قال الغزالي و حد ما لايعنيك أن تتكلم بكل ما لو سكت عنه لم تأثم و لم تتضرر في حال و لامآل و مثاله أن تجلس مع قوم فتحكي معهم أسفارك و ما رأيت فيها من جبال و أنهار و ما وقع لك من الوقائع وما استحسنته من الاطعمة و الثياب و ما تعجبت منه من مشايخ البلاد و وقائعهم فهذه أمور لو سكت عنها لم تأثم و لم تتضرر و اذا بالغت في الاجتهاد حتى لم يمتزج

بحكايتك زيادة و لا نقصان و لا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الاحوال العظيمة و لا اغتياب لشخص و لامذمة لشئ مما خلقه الله تعالى فانت مع ذلك كله مضيع زمانك و محاسب على عمل لسانك اذ تستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير لانك لو صرفت زمان الكلام فى الذكر و الفكر ربما ينفتح لك من نفحات رحمة الله تعالى ما يعظم جدواه و لو سبحت الله بنى لك بها قصر فى الجنة و من قدر على أن يأخذ كنزا من الكنوز فاخذ بدله بدرة لاينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا و هذا على فرض السلامة من الوقوع فى كلام المعصية و انى تسلم من الآفات التى ذكرناها و ذكر أن بعض العارفين مر على غرفة بنيت فقال مذكم بنيت هذه ثم أقبل على نفسه و قال يا نفسي المغرورة تسألين عما لايعنيك و عاقبها بصوم سنة اه و قد ورد فى الحديث ليس يتحسر أهل الجنة الا على ساعة مرت بهم و لم يذكروا الله فيها على ما رواه الطبرانى عن معاذ مرفوعا فطوبى لمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و لتنظر نفس ما قدمت لغد و اتقوا الله أن الله خبير بما تعملون و لاتكونوا كالذين نسوا الله فانساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون قال الاوزاعى كتب الينا عمر ابن عبد العزيز أما بعد فان من أكثر ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير و من عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لايعنيه و قيل ما تكلم الربيع بن خيثم بكلام الدنيا عشرين سنة و كان اذا أصبح وضع قرطاسا نقيا و قلما فكلما تكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند المساء هذا و عن بعضهم من فى قوله من حسن اسلام المرء تبعيضية و يجوز أن تكون بيانية اه و بيانه أن تركه ما لايعنيه هو حسن اسلام المرء و كماله فيه و تقديم الخبر ليكون التركيب من باب على التمرة مثلها زبدا قال الطيبى و على أن تكون تبعيضية أشارة الى قوله صلى الله عليه وسلم الاحسان أن تعبد الله كانك تراه الحديث بعد الايمان و الاسلام و أنت تعلم أن التحلية مسبوقة بالتخلية فالترك بعض من الاحسان فيكون أشارة الى الانسلاخ عما يشغله عن الله فاذا أخذ السالك فى السلوك تجرد بحسب أحواله و مقاماته شيأ فشيأ مما لايعنيه الى أن يتجرد عن جميع أوصافه و يتوجه بكليته الى الله سبحانه و اليه يلمح قوله تعالى بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن و قول ابراهيم عليه السلام اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين قال النووى هذا أحد الاحاديث التى عليها مدار الاسلام قال أبوداود و هى أربعة الاول حديث نعمان ابن بشير الحلال بين و الحرام بين و بينهما مشتبهات لايعلمهن الثانى من حسن اسلام المرء تركه ما لايعنيه الثالث لايكون المؤمن مؤمنا حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه الرابع الاعمال بالنيات و قيل بدل الثالث ازهد فى الدنيا يحبك الله و ازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس و أنشد الامام الشافعى رضى الله عنه فى معناه

عمدة الخير عندنا كلمات ★ أربع قالهن خير البريه
اتق الشبهات و ازهد و دع ما ★ ليس يعنيك و اعملن بنيه

قلت مدار الاربعة السنية على تصحيح النية فانه اذا عمل بالنية المرتبطة بحسن الطوية يورث له اتقاء الشبهات أكلا و ترك ما لايعنيه قولا و فعلا و يترتب عليها الزهد فى الدنيا و الزهد فيما فى أيدى الناس بالاولى فيحب المؤمنين و يحبونه لله تعالى فنية المؤمن خير من عمله كما ورد فى حديث و قد جعلت فى شرحه رسالة تعين مبانيه و تبين معانيه (رواه مالك و أحمد) أى عن على بن الحسين (و رواه ابن ماجه عن أبى هريرة و الترمذى) أى فى جامعه (و البيهقى فى شعب الايمان عنهما) أى عن على

★ و عن أنس قال توفى رجل من الصحابة فقال رجل أبشر بالجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لاتدرى فلعله تكلم فيما لايعنيه أو بخل بما لاينقصه رواه الترمذى

و أبي هريرة معا أما في حديث واحد أو في حديثين و الله أعلم و في الجامع الصغير رواه أحمد و الطبرانى عن الحسين بن علي و الترمذى و ابن ماجه عن أبي هريرة و الحاكم في الكنى عن أبي بكر و الشيرازى عن أبي ذر و الحاكم في تاريخه عن على بن أبي طالب و الطبرانى في الصغير عن زيد بن ثابت و ابن عساكر عن الحارث بن هشام قال المؤلف هو على بن الحسين بن على بن أبي طالب يكنى أبا الحسن المعروف بزين العابدين من أكابر سادات أهل البيت و من أجلة التابعين و أعيانهم اه فكان حقه أن يقول في آخر الحديث أو أوله مرسلا و يمكن أن يكون عن أبيه ساقطا أو وقع تغيير بتقديم و تأخير من أحد من الرواة أو المصنفين و أصله عن الحسين بن على على ما نقلناه عن الجامع و الله أعلم ثم رأيت كلام ميرك حيث قال حديث من حسن اسلام المرء تركه ما لايعنيه رواه ابن ماجه و الترمذى من حديث أبي هريرة و قال غريب لانعرفه الا من هذا الوجه قال و حدثنا قتيبة عن مالك عن الزهرى عن على بن الحسين عن النبى صلى الله عليه وسلم أن من حسن اسلام المرء الخ قال و هكذا روى غير واحد من أصحاب الزهرى عنه عن على بن الحسين نحو حديث مالك قال و هذا عندنا أصح من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة اه كلام الترمذى و طريقه عن أبي سلمة عن أبي هريرة جيدة و قال النووى حديث حسن قال الشيخ الجزرى و قال جماعة من الحفاظ الصواب أنه عن على بن الحسين عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسل كذا قاله أحمد و ابن معين و البخارى و غيرهم و كذا رواه مالك عن الزهرى عن على بن الحسين ذكره المنذرى و الله أعلم ★ (و عن أنس رضى الله عنه قال توفى رجل من الصحابة فقال رجل أبشر بالجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لاتدرى) بفتح الواو على انها عاطفة على محذوف أى تبشر و لاتدرى أو أتقول هذا و لاتدرى ما تقول أو على أنها للحال أى و الحال أنك لاتدرى و في نسخة بسكونها و هى رواية فاو عاطفة على مقدر أيضا أى أتدرى أنه من أهلها أو لاتدرى و المعنى بأى شئى علمت ذلك أو كيف دريت ما لم يدر غيرك (فلعله تكلم فيما لايعنيه) أى فيما يضره و لاينفعه (أو بخل بما لاينقصه) أى مما لايغنيه فيما يجب عليه بذله من العبادات المالية أو المسائل العلمية أو أعطاء الماعون بالعارية و الضمير المنصوب للرجل و المرفوع لما قال الغزالى و في حديث آخر أن النبى صلى الله عليه وسلم فقد كعبا فسأل عنه فقالوا مريض فخرج يمشى حتى أتاه فلما دخل عليه قال أبشر يا كعب فقالت أمه هنيأ لك الجنة يا كعب فقال من هذه المتألية على الله قال هى أمى يا رسول الله قال و ما يدريك يا أم كعب لعل كعبا قال ما لايعنيه أو منع ما لايغنيه و معناه أنه أنما تتهنأ الجنة لمن لايحاسب و لايعاتب و من تكلم فيما لايعنيه حوسب عليه و ان كان مباحا فلاتتهنأ له الجنة مع المناقشة في الحساب فانه نوع من العذاب (رواه الترمذى) و رجاله رجال الصحيحين الا سليمان بن عبد الجبار البغدادى شيخ الترمذى و قد ذكره ابن حبان في الثقات كذا في التصحيح و قال المنذرى رواه الترمذى و قال غريب اه و رواته ثقات و روى ابن أبي الدنيا و أبو يعلى عن أنس أيضا قال استشهد منا رجل يوم أحد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت أمه التراب عن وجهه و قالت هنيأ لك يا بنى الجنة فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما يدريك لعله كان يتكلم فيما لايعنيه و يمنع ما لايضره و روى أبو يعلى أيضا و البيهقى عن أبي هريرة قال قتل رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيدا فبكت عليه أمه و قالت واشهيداه فقال النبى صلى الله عليه

★ و عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله ما أخوف ما تخاف على قال فأخذ بلسان نفسه و قال هذا رواه الترمذي و صححه ★ و عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كذب العبد تباعد عنه الملك ميلا من نتن ما جاء به رواه الترمذي ★ و عن سفيان بن أسد الحضرمي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كبرت خيانة أن تحدث أخاك

وسلم ما يدريك أنه شهيد لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه أو يبخل بما لا ينقصه وفقنا الله لما يعنينا و عن سوى مرضاته يغنينا ★ (وعن سفيان بن عبدالله) أى ابن ربيعة (الثقفي) قال المؤلف يكنى أباعمرو يعد في أهل الطائف له صحبة و كان عاملا لعمر بن الخطاب على الطائف و قال الجزرى وقع فى بعض نسخ المصابيح سعيد بن عبد الله الثقفى و الصواب سفيان بن عبد الله (قال قلت يا رسول الله ما أخوف ما تخاف على) ما الاولى استفهامية مبتدأ خبره أخوف و هو أسم تفضيل بنى للمفعول نحو أشهد و ألوم و أشغل و ما الثانية مضاف اليه لاخوف و هى موصولة و العائد محذوف أى أى شئى أخوف أشياء تخاف منها على و قال الطيبى ما فى ما تخاف يجوز أن تكون موصولة أو موصوفة و أن تكون مصدرية على طريقة جد جده و جن جنونه وخشيت خشيته (قال) أى سفيان (فأخذ) أى النبى صلى الله عليه وسلم (بلسان نفسه) الباء زائدة لمزيد التعدية (و قال هذا) هو مبتدأ أو خبر و المعنى هذا أكثر خوفى عليك منه قال فى الاحياء و انما أسند صلى الله عليه وسلم شدة خوفه على أمته فى سائر الاخبار الى اللسان لانه أعظم الاعضاء عملا اذ ما من طاعة و معصية الا و له فيها مجال فمن أطلق عذبة اللسان و أهمله مرخى العنان سلك به الشيطان فى كل ميدان و ساقه الى شفا جرف هار الى أن يضطره الى البوار و لا يكب الناس على مناخرهم فى النار الا حصائد ألسنتهم و لا ينجى من شره الا أن يقيد بلجام الشرع و علم ما يحمد أطلاق اللسان فيه أو يذم غامض عزيز و العمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير لكن على ما يسره الله يسير (رواه الترمذى و صححه) قال ميرك و رواه النسائى و ابن ماجه و ابن حبان فى صحيحه و الحاكم و قال صحيح الاسناد ★ (و عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كذب العبد تباعد عنه الملك) أى الحفظة و فى بعض النسخ لفظ عنه مؤخر (ميلا) و هو ثلث الفرسخ أو قطعة من الارض أو مد البصر ذكره ابن الملك (من نتن ما جاء به) أى عفونته و هو بفتح النون و سكون التاء فى القاموس هو ضد الفرح و المعنى من نتن شئى جاء ذلك الشئى بالنتن أى من نتن الكذب أو جاء العبد به و الباء للتعدية (رواه الترمذى) و فى الجامع الصغير بلفظ اذا كذب العبد كذبة الخ رواه الترمذى و أبو نعيم فى الحلية ★ (و عن سفيان بن أسد) بفتحتين و فى نسخة صحيحة بل هى الاصح أسيد بفتح فكسر فتحتية ساكنة (الحضرمى) زاد المؤلف فى أسمائه الشامى روى عنه جبير بن نفير حديثه فى الحمصيين ذكره المؤلف فى الصحابة و قال أسيد بفتح الهمزة و كسر السين و هو الاكثر و الثانية بضم الهمزة و الثالثة بفتح الهمزة و السين و حذف الياء (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كبرت) بضم الموحدة أى عظمت (خيانة) تمييز (أن تحدث أخاك) فاعل كبرت قال شارح انثه باعتبار التمييز اذ هو فاعل معنى و قيل بتأويل الخصلة أو الفعلة و قال الطيبى أنث الفعل له باعتبار المعنى لانه يعنى التحديث نفس الخيانة و فيه معنى التعجب كما فى قوله تعالى كبر مقتا عند الله الكشاف هذا من أفصح الكلام و أبلغه فى معناه فانه قصد فى كبر التعجب من غير لفظه و معنى التعجب تعظيم الامر فى قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شئى خارج عن نظائره و أشكاله اه كلامه و المعنى جناية عظيمة منك اذا حدثت أخاك

حديثا هو لـك به مصدق و أنت به كاذب رواه أبوداود ★ و عن عمار قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم من كان ذا وجهين فى الدنيا كان له يوم القيامة لسان من نار رواه الدارمى ★ و عن ابن مسعود قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ليس المؤمن بالطعان و لا باللعان و لا الفاحش و لا البذى رواه الترمذى و البيهقى فى شعب الايمان و فى أخرى له و لا الفاحش البذى و قال الترمذى هذا حديث غريب ★ و عن ابن عمر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لايكون المؤمن لعانا و فى رواية لاينبغى للمؤمن أن يكون لعانا رواه الترمذى ★ و عن سمرة بن جندب قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتلاعنوا بلعنة الله و لا بغضب الله و لا بجهنم و فى رواية و لا بالنار رواه الترمذى و أبوداود

المسلم (حديثا هو لـك به مصدق و أنت به) أى له كما فى رواية (كاذب) أى بحديث كذب و هو يعتمد عليك و يثق بقولـك و ظن بك أنك مسلم لاتكذب فيصدقك و الحال أنك كاذب (رواه أبوداود) و كذا البخارى فى الادب عنه و رواه أحمد و الطبرانى عن النواس ★ (و عن عمار) أى ابن ياسر (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من كان ذا وجهين فى الدنيا) قيل المراد به من يرى نفسه عند شخص أنه من جملة محبيه و ناصحيه و هو يحدث فى غيبته بمساويه و قيل المعنى من كان مع كل واحد من عدوين كانه صديقه و يظن أنه ناصر له و يذم هذا عند ذلـك و ذلـك عند هذا (كان له يوم القيامة لسانان من نار رواه الدارمى) و كذا رواه أبوداود لـكن بلفظ من كان له وجهان الخ و قال ميرك نقلا عن المنذرى حديث عمار رواه أبوداود و ابن حبان فى صحيحه و قال العراق حديث عمار من كان له وجهان البخارى فى كتاب الادب المفرد و أبوداود بسند حسن ★ (و عن ابن‌مسعود رضى‌الله عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ليس المؤمن) أى الـكامل (بالطعان) أى عيابا للناس (و لاباللعان) و لعل اختيار صيغة المبالغة فيها لان الـكامل قل أن يخلو عن المنقصة بالـكلية (و لاالفاحش) أى فاعل الفحش أو قائله و فى النهاية أى من له الفحش فى كلامه و فعاله قيل أى الشاتم و الظاهر أن المراد به الشتم القبيح الذى يقبح ذكره (و لاالبذى) بفتح موحدة و كسر ذال معجمة و تشديد تحتية و فى نسخة بسكونها و همزة بعدها و هو الذى لا حياء له كما قاله بعض الشراح و فى النهاية البذاء بالمد الفحش فى القول و هو بذى اللسان و قد يقال بالهمز و ليس بكثير اه فعلى هذا يخص الفاحش بالفعل لئلايلزم التكرار أو يحمل على العموم و الثانى يكون تخصيصا بعد تعميم لزيادة الاهتمام به لانه متعد و قد يقال عطف تفسير و لازائدة و يؤيده الرواية الآتية (رواه الترمذى) أى فى جامعه (و البيهقى فى شعب الايمان و فى أخرى) أى و فى رواية أخرى للبيهقى (و لاالفاحش البذى وقال الترمذى هذا حديث غريب) قال ميرك و رجاله رجال الصحيحين سوى محمد بن يحيى شيخ الترمذى وثقه ابن حبان و الدارقطنى و فى الجامع الصغير رواه أحمد و البخارى فى تاريخه و ابن حبان فى صحيحه و الحاكم فى مستدركه ★ (و عن ابن عمر رضى‌الله تعالى عنهما قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لايكون المؤمن) أى الـكامل (لعانا) أى كثير اللعن و ان كان قد يتبادر منه أحيانا (و فى رواية لاينبغى للمؤمن) أى مطلقا (أن يكون لعانا رواه الترمذى ★ و عن سمرة بن جندب رضى‌الله عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتلاعنوا) بحذف أحدى التائين (بلعنة الله) أى لايلعن بعضكم بعضا فلايقل أحد لمسلم معين عليك لعنة الله مثلا (و لابغضب الله) بأن يقول غضب الله عليك (ولا بجهنم) بأن يقول لـك جهنم أو مأواك (و فى رواية و لابالنار) بان يقول أدخلـك الله النار أو النار مثواك و قال الطيبى أى لاتدعوا الناس بما يبعدهم الله من رحمته أما صريحا كما تقولون لعنة الله

★ و عن أبي الدرداء قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول أن العبد اذا لعن شيأ صعدت اللعنة الى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط الى الارض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينا و شمالا فاذا لم‌تجد مساغا رجعت الى الذى لعن فان كان لذلك أهلا و الا رجعت الى قائلها رواه أبوداود ★ و عن ابن عباس أن رجلا نازعته الريح رداءه فلعنها فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتلعنها فانها مأمورة و أنه من لعن شيأ ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه رواه الترمذى و أبوداود ★ وعن ابن‌مسعود قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لايبلغنى أحد من أصحابى عن أحد شيأ فانى أحب أن أخرج اليكم و أنا سليم الصدر رواه أبوداود

عليه أو كناية كما تقولون عليه غضب الله أو أدخله الله النار فقوله لاتلاعنوا من باب عموم المجاز لانه فى بعض أفراده حقيقة و فى بعضه مجاز و هذا مختص بمعين لانه يجوز اللعن بالوصف الاعم كقوله لعنة الله على الكافرين أو بالاخص كقوله لعنة الله على اليهود أو على كافر معين مات على الكفر كفرعون و أبى جهل (رواه الترمذى و أبوداود) وكذا الحاكم و لفظهم و لا بالنار على ما فى الجامع ★ (و عن أبى الدرداء رضى‌الله عنه قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول أن العبد اذا لعن شيأ صعدت) بكسر العين أى طلعت اللعنة و كانها تتجسد (الى السماء) أى جهة العلو (فتغلق أبواب السماء) بصيغة المجهول من الاغلاق لان غلق الباب لثغة أو لغة رديئة فى أغلقه على ما فى القاموس نعم يجوز تشديد لامه و منه قوله تعالى و غلقت الابواب (دونها) أى قدام اللعنة (ثم تهبط) بكسر الموحدة أى تنزل (الى الارض) أى جهة السفل (فتغلق أبوابها) أى أبواب طبقاتها (دونها) أى عند ظهور اللعنة (ثم تاخذ يمينا و شمالا) أى تميل الى جهتى اليمين و اليسار مما بين السماء و الارض فيمنعان دونها قال ابن الملك صعود اللعنة و هبوطها و أخذها يمينا و شمالا تصوير أن فعله ههنا كالمتردد الذى لايجد سبيلا (فاذا لم‌تجد مساغا) بفتح الميم أى مدخلا و طريقا من ساغ الشراب فى الحلق دخل فيه بسهولة (رجعت الى الذى لعن) بصيغة المجهول (فان كان) أى الملعون (لذلك) أى لما ذكر من اللعنة (أهلا) جزاء الشرط محذوف تقديره لحقته و نفذت فيه (و الا) أى و أن لم‌يكن أهلا لها بان كان مظلوما (رجعت الى قائلها) فانه المستحق لها و أهلها (رواه أبوداود) أى و سكت عليه و أقره المنذرى و رجاله موثوقون نقله ميرك عن التصحيح ★ (و عن ابن عباس رضى‌الله عنهما أن رجلا نازعته الريح) أى جاذبته (رداءه فلعنها فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم لاتلعنها فانها مأمورة) أى بأمر ما أو المنازعة من خاصيتها و لوازم وجودها عادة أو فانها مأمورة حتى بهذه المنازعة أيضا ابتلاء لعباده و هو الاظهر (و أنه) أى الشان (من لعن شيا ليس) أى ذلك الشئ (له) أى اللعن (بأهل) أى بمستحق (رجعت اللعنة عليه) أى على اللاعن لان اللعنة وكذا الرحمة تعرف طريق صاحبها (رواه الترمذى و أبوداود) وكذا ابن حبان فى صحيحه ذكره ميرك ★(وعن ابن مسعود رضى‌الله عنهما قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم لا يبلغنى) بتشديد اللام و يخفف و هو نفى بمعنى النهى و فى نسخة بالجزم أى لايوصلنى (أحد من أصحابى) بيان لاحد (عن أحد) أى عن قبل أحد منهم أو من غيرهم من المسلمين (شيأ) أى مما أكرهه و أغضب عليه و هو عام فى الافعال و الاقوال بان شتم أحدا و آذاه أو قال فيه خصلة سوء (فانى أحب أن أخرج اليكم) أى من البيت و ألاقيكم (و أنا سليم الصدر) أى من مساويكم جملة حالية قال ابن الملك و المعنى أنه صلى‌الله‌عليه‌وسلم يتمنى أن يخرج من الدنيا و قلبه راض عن أصحابه من غير سخط على أحد

★ و عن عائشة قالت قلت للنبي صلى الله عليه وسلم حسبک من صفية كذا و كذا تعني قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزج بها البحر لمزجته رواه أحمد و الترمذي و أبوداود

منهم و هذا تعليم للامة أو من مقتضيات البشرية (رواه أبوداود ★ و عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت للنبي صلى الله عليه وسلم حسبک من صفية) أي من عيوبها البدنية (كذا و كذا) كناية عن ذكر بعضها و هو كذا في جميع نسخ المشكاة و قيل هذا تحريف في كتاب المصابيح و الصواب حسبک من صفية انها كذا و كذا (تعني) أي تريد عائشة بقولها كذا و كذا (قصيرة) أي كونها قصيرة قال شارح قولها كذا أشارة الى شبرها قلت الظاهر من تكرار كذا تعدد نعتها فلعلها قالت بلسانها أنها قصيرة و أشارت بشبرها أنها في غاية من القصر فارادت التأكيد بالجمع بين القول و الفعل و الله أعلم (فقال لقد قلت كلمة) أي طويلة عريضة و مرّة نتنة عند أرباب الحواس الكاملة (لو مزج) بصيغة المجهول أي لو خلط (بها) أي على فرض تجسيدها و تقدير كونها مائعا (البحر) أي ماؤه (لمزجته) أي غلبته و غيرته قال القاضي المزج الخلط و التغيير بضم غيره اليه و المعنى أن هذه الغيبة لو كانت مما يمزج بالبحر لغيرته عن حاله مع كثرته و غزارته فكيف باعمال نذرة خلطت بها و قال التوربشتي قد حرفت ألفاظ هذا الحديث في المصابيح و الصواب لو مزجت بالبحر لمزجته قال الطيبي قد ورد هذا الحديث كما في المصابيح و المتن في نسخة مصححة من سنن أبي داود و لعل التخطئة من أجل الدراية لا الرواية اذ لا يقال مزج بها البحر بل مزجت بالبحر و يمكن أن يقال أن المزج و الخلط يستدعيان الامتزاج و الاختلاط وكل من الممتزجين يمتزج بالآخر يعني مع قطع النظر عن الكثرة و القلة و المائعية و الجامدية و ان كان الاصل هو الفصل عند أرباب الفضل ثم قال قال تعالى فاختلط به نبات الارض قال الكشاف و كان حق اللفظ فاختلط بنبات الارض و وجه صحته أن كل واحد منهما موصوف بصفة صاحبه على أن هذا التركيب أبلغ لانه حينئذ من باب عرضت الناقة على الحوض أقول فيه أبحاث أما أولا فينبغي أن تكون الدراية تابعة للرواية فتخطئة المحدثين ليس من شأن أرباب العناية فلابد من تنبيه نبيه و توجيه وجيه بعد ثبوت هذا اللفظ ممن أوتي جوامع الكلام و بدائع الحكم و أما ثانيا فقوله يقال مزجت بالبحر لا مزج بها سببه أنه ينسب القليل الى الكثير لاعكسه عرفا و عادة و ان جاز لغة فانه يقال اختلط اللبن بالماء و عكسه تفاضلا و تساويا فنقول في الحديث الشريف أشارة لطيفة الى أن هذه الكلمة منک و لو كانت صغيرة و قليلة عندک فهي عند الله كبيرة و كثيرة بحيث لو مزج بها البحر باجناسها و أصنافها و أنواعها و وسعها من طولها و عرضها و عمقها لغلبته و هذا من البلاغة غاية مبلغها و في البليغ من الزجر نهاية حدها و منتهاها و أما ثالثا فقول الكشاف في قوله تعالى فاختلط به نبات الارض حق اللفظ فاختلط نبات الارض خطأ فاحش لانه ليس المعنى على أنه اختلط بالماء نبات الارض اذ ليس تحته طائل بل الصواب أن الباء للسببية و أن المختلط هو بعض نبات الارض ببعضه و توضيحه أن المطر سابق وجوده على تحقق النبات على ما أشار اليه فاء التعقيبية في قوله تعالى أنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض الآية فكيف يتصور أختلاطهما و أما رابعا فقوله أنه من باب عرضت الناقة على الحوض ممنوع و مدفوع بان العرض انما يكون على أرباب التمييز فبهذه القرينة يعرف أن الكلام مقلوب بخلاف ما نحن فيه فان بكل من الطرفين قابلية الخلط على ما بيناه فان قلت لعل صاحب الكشاف أراد اختلاط أثر ماء المطر بما ينبت به الارض من الحبة مثلا قلت الظاهر أن هذا مطمح نظره و مطلع فكره لكنه يرده قوله تعالى فاختلط به نبات الارض

★ و عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان الفحش فى شئ الا شانه و ما كان الحياء فى شئ الا زانه رواه الترمذى ★ و عن خالد بن معدان عن معاذ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله يعنى من ذنب قد تاب منه رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب و ليس أسناده بمتصل لان خالدا لم يدرك معاذ بن جبل ★ و عن واثلة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتظهر الشماتة

فأصبح هشيما تذروه الرياح اذ تعقيبية الاصباح المذكور أنما هو عند حصول أختلاط النبات بعضها ببعض لا حين أختلاط الماء بالحب و النوى كما لايخفى و مما يدل صريحا على كون الباء للسببية قوله تعالى و هو الذى أنزل من السما ماء فاخرجنا به نبات كل شئ ثم رأيت الكشاف أختار ما أخترناه و حرر ما حررناه حيث قال فالتف بسببه و تكاثف حتى خالط بعضه بعضا ثم قال و قيل نجع فى النبات الماء فاختلط به حتى روى و رف رفيفا و كان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الارض و وجه صحته أن كلا من المختلطين موصوف بصفة صاحبه اه كلامه فالاعتراض يحول الى ما قيل و يتوجه عليه أيضا من جهة تحريره و توجيهه و تقريره و يبين أن نقل الطيبى محمول على تقصيره ثم لايخفى ما فيه من الدسيسة الاعتزالية فى قوله و حق اللفظ مع سوء الادب بالنسبة الى الآية القرآنية و الله ولى دينه و ناصر نبيه (رواه أحمد و الترمذى و أبوداود ★ و عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان الفحش) أى القبيح من الكلام (فى شئ) أى فى أمر من الامور (الا شانه) أى عيبه الفحش و الاظهر أن المراد بالفحش العنف لما فى رواية عبد بن حميد و الضياء عن أنس أيضا ما كان الرفق فى شئ الا زانه و لانزع من شئ الا شانه (و ما كان الحياء فى شئ الا زانه) أى زينه قال الطيبى قوله فى شئ فيه مبالغة أى لو قدر أن يكون الفحش أو الحياء فى جماد لزانه أو شانه فكيف بالانسان اه و يمكن أن يكون المراد بشئ شئ يتصور فيه الفحش و الحياء فكانه قال ما كان فى أحد (رواه الترمذى) قال ميرك و أسناده صحيح و فى الجامع الصغير رواه أحمد و البخارى فى الادب و الترمذى و ابن ماجه لكن بزيادة قط بعد كل من قوله فى شئ ★ (و عن خالد بن معدان) بفتح ميم و سكون عين فدال مهملتين يكنى أبا عبد الله الشامى الكلاعى من أهل حمص قال لقيت سبعين رجلا من الصحابة و كان من ثقات الشاميين مات بالطرطوس سنة أربع و مائة كذا ذكره المؤلف (عن معاذ) بضم ميم و هو ابن جبل عند الاطلاق (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عير) بتشديد التحتية أى و بخ و لام (أخاه) أى المسلم (بذنب) أى صدر منه سابقا أو على طريق الشماتة (لم يمت حتى يعمله) أى مثل ذنبه (يعنى) أى يريد النبى صلى الله عليه وسلم التعيير (من ذنب قد تاب منه) قال ميرك هذا التفسير منقول عن الامام أحمد (رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب و ليس أسناده بمتصل لان خالدا لم يدرك معاذ بن جبل) قلت و كان معاذا ليس من السبعين الذين أدركهم و لعل سببه أنه مات سنة ثمانى عشرة و الا فالمعاصرة تكفى فى صحة الاتصال عند الجمهور و اعتبار اللقى انما هو عند البخارى و من تبعه و فى الاحياء قال اعرابى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصنى فقال عليك بتقوى الله و أن امرؤ عيرك بشئ يعلمه فيك فلاتعيره بشئ تعلمه فيه يكن وباله عليه و أجره لك قال العراقى رواه أحمد و الطبرانى باسناد جيد من حديث أبى جرى الهجيمى قيل اسمه جابر بن سليم و قيل سليم بن جابر ★ (و عن واثلة) بكسر المثلثة و هو ابن الاسقع الليثى أسلم و النبى صلى الله عليه وسلم متوجه الى تبوك و يقال أنه خدم النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين و كان من أهل الصفة و مات

لاخيك فيرحمه الله و يبتليك رواه الترمذی و قال هذا حديث حسن غريب ★ و عن عائشة قالت قال النبی صلى الله عليه وسلم ما أحب انی حكيت أحدا و ان لی كذا و كذا رواه الترمذی و صححه ★ وعن جندب قال جاء اعرابی فاناخ راحلته ثم عقلها ثم دخل المسجد فصلی خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سلم أتی راحلته فاطلقها ثم ركب ثم نادی اللهم ارحمنی و محمدا و لاتشرك فی رحمتنا أحدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتقولون هو أضل أم بعيره ألم تسمعوا الی ما قال قالوا بلی رواه أبوداود وذكر

ببيت المقدس و هو ابن مائة سنة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتظهر الشماتة) أی الفرح ببلية عدوك (لاخيك) أی لاجل أخيك المسلم الذی وقع فی بلية دينية أو دنيوية بدنية أو مالية (فيرحمه الله) بالنصب علی جواب النهی و فی نسخة بالرفع وهو الملائم لمراعاة السجع فی عطف قوله و يبتليك و المعنی يرحمه رغما لانفك (و يبتليك) حيث زكيت نفسك و رفعت منزلتك عليه و نحوه قوله صلى الله عليه وسلم فی قول من قال لصاحبه و الله لايغفر الله لك أبدا فقال الله تعالی للمذنب أدخل الجنة برحمتی و قال للآخر تستطيع أن تحظر عن عبدی رحمتی الحديث (رواه الترمذی و قال هذا حديث حسن غريب) و فی الاحياء بلفظ فيعافيه الله و يبتليك قال العراقی أخرجه الترمذی من حديث واثلة بن الاسقع و فی رواية ابن أبی الدنيا فيرحمه الله ★ (و عن عائشة رضی الله تعالی عنها قالت قال النبی صلى الله عليه وسلم ما أحب) أی ما أود (أنی حكيت أحدا) أی فعل أحد و المعنی ما أحب ان أتحدث بعيب أحد قوليا أو فعليا (و أن لی كذا و كذا) أی و لو أعطيت كذا و كذا من الاشياء بسبب ذلك الحديث كذا قاله شارح أو حكيت بمعنی حاكيت ففی النهاية أی فعلت مثل فعله يقال حكاه و حاكاه و أكثر ما يستعمل فی القبيح المحاكاة قلت فيحمل حكيت علی الحسن فيفيد المبالغة قال الطيبی و ان لی كذا و كذا جملة حالية واردة علی التتميم و المبالغة أی ما أحب ان أحاكی أحدا و لو أعطيت كذا و كذا من الدنيا اه و فيه ان الاصول المعتمدة علی فتح أن و الظاهر أنه معطوف علی ما سبق من قوله انی و المعنی انی ما أحب الجمع بين المحاكاة و حصول كذا و كذا من الدنيا و ما فيها بسبب المحاكاة فانها أمر مذموم قال النووی و من الغيبة المحرمة المحاكاة بأن يمشی متعارجا أو مطأطئا رأسه أو غير ذلك من الهيآت كما مر (رواه الترمذی و صححه) و فی الجامع الصغير عنها بلفظ ما أحب انی حكيت انسانا الخ رواه أبوداود والترمذی ★ (وعن جندب) مر ذكره رضی الله عنه (قال جاء اعرابی) أی واحد من الاعراب و هم سكان البادية من العرب (فاناخ راحلته ثم عقلها) أی قيدها (ثم دخل المسجد فصلی خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سلم) أی من الصلاة أو عليه عليه السلام (أتی راحلته فاطلقها ثم ركب ثم نادی) أی رفع صوته بقوله (اللهم ارحمنی و محمدا و لاتشرك فی رحمتنا أحدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتقولون) فی النهاية أی أتظنون (هو أضل أم بعيره) أی اجهل (ألم تسمعوا الی ما قال) فيه تنبيه علی أنه يستحق أن يقال فی حقه ما قال (قالوا بلی) و قال الطيبی أيدور هذا الترديد فی ظنكم و لايقول ما قال الا جاهل بالله و سعة رحمته حيث يحجر الواسع (رواه أبوداود) و رجاله رجال الصحيحين الا أبا عبدالله الجشمی الراوی عن جندب لم يرو له غير أبی داود و لم يتكلم فيه أحد كذا نقله ميرك عن التصحيح و فی الحصن للجزری و من جملة آداب الدعاء أن لايتحجر رواه البخاری و أبوداود و ابن ماجه قال ميرك كلهم من حديث أبی هريرة ان اعرابيا دخل المسجد فصلی فيه ثم دعا فقال اللهم ارحمنی و محمدا و لاترحم معنا أحدا فقال النبی صلى الله عليه وسلم لقد تحجرت واسعا قال صاحب النهاية أی ضيقت ما وسعه الله فخصصت به نفسك دون غيرك (و ذكر

حديث أبي هريرة كفى بالمرء كذبا في باب الاعتصام في الفصل الاول

★ (الفصل الثالث) ★ عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مدح الفاسق غضب الرب تعالى و اهتز له العرش رواه البيهقي في شعب الايمان ★ و عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطبع المؤمن على الخلال كلها الا الخيانة و الكذب رواه أحمد

حديث أبي هريرة كفى بالمرء كذبا) تمامه أن يحدث بكل ما سمع (في باب الاعتصام في الفصل الاول) كان الاولى أن يقول في الفصل الاول من باب الاعتصام ثم في تحويله من هذا الباب المناسب له أيضا بل الانسب فانه يفيد المعنى الاعم من كون الكذب في حديثه صلى الله عليه وسلم أو في حديث غيره بكل ما سمع من غير تثبت خلاف الصواب كما لا يخفى على أولى الباب فالاعتذار المتضمن للاعتراض مردود عليه ★ (الفصل الثالث) ★ (عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مدح الفاسق) بان قال له يا سيد مثلا (غضب الرب تعالى) أى على المادح (و اهتز له) أى لاجل مدحه و في رواية لذلك (العرش) أى و كاد أن يتحرك و يندك من هيبة أثر عظمة سخطه سبحانه و نظيره قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه و تنشق الارض و تخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا و قال الطيبي اهتزاز العرش عبارة عن وقوع أمر عظيم و داهية دهياء لان فيه رضا بما فيه سخط الله و غضبه بل يقرب أن يكون كفرا لانه يكاد ان يفضي الى استحلال ما حرمه الله تعالى و هذا هو الداء العضال لاكثر العلماء و الشعراء و القراء المرائين في زماننا هذا و اذا كان هذا حكم من مدح الفاسق فكيف بمن مدح الظالم و ركن اليه ركونا و قد قال تعالى و لا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار الكشاف النهي متناول للانحطاط في هواهم و الانقطاع اليهم و مصاحبتهم و مجالستهم و زيارتهم و مداهنتهم و الرضا باعمالهم و التشبه بهم و التزيي بزيهم و مد العين الى زمرتهم و ذكرهم بما فيه تعظيم لهم و لما خالط الزهري السلاطين كتب اليه أخ له في الدين عافانا الله و اياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك و يرحمك أصبحت شيخا كبيرا و قد أثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه و علمك من سنة نبيه و ليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء قال الله تعالى لتبيننه للناس و لا تكتمونه و اعلم ان أيسر ما ارتكبت و أخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم و سهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا و لم يترك باطلا حين أدناك اتخذوك قطبا يدور عليك رحى باطلهم و جسرا يعبرون عليك الى بلائهم و سلما يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء و يقتادون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما أخربوا عليك و ما أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك من دينك فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة و اتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فانك تعامل من لا يجهل و يحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله السقم و هيئ زادك فقد حضر السفر البعيد و ما يخفى على الله من شيء في الارض و لا في السماء و السلام (رواه البيهقي في شعب الايمان) و كذا رواه أبو يعلى الموصلي و ابن أبي الدنيا في الصمت و اسناده ضعيف ذكره ميرك و كذا رواه ابن عدي عن بريدة ★ (و عن أبي امامة) أى الباهلي (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطبع المؤمن) بصيغة المفعول أى يخلق و يجبل (على الخلال) أى الخصال زنة و معنى (كلها) أى جميع الاخلاق الذميمة لان الكلام فيها أو الاعم منها (الا الخيانة و الكذب) بنصبهما أى غيرهما فان المؤمن يخلق و يجبل على الصدق و الامانة كما هو مقتضى التصديق و الايمان و لذا قال تعالى بصيغة الحصر انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون

و رواه البيهقى فى شعب الايمان عن سعد بن ابى وقاص ★ وعن صفوان بن سليم انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أيكون المؤمن جبانا قال نعم فقيل له أيكون المومن بخيلا قال نعم فقيل له أيكون المؤمن كذابا قال لا رواه مالك و البيهقى فى شعب الايمان مرسلا ★ و عن ابن مسعود قال ان الشيطان ليتمثل فى صورة الرجل فيأتى القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب فيتفرقون فيقول الرجل منهم سمعت رجلا اعرف وجهه و لا ادرى ما اسمه يحدث رواه مسلم ★ و عن عمران بن حطان قال اتيت اباذر فوجدته فى المسجد .

بآيات الله و أولئك هم الكاذبون أى الكاملون فى الكذب أو المجبولون عليه و قال صلى الله عليه وسلم لا ايمان لمن لا أمانة له على ما رواه أحمد و البيهقى عن أنس فما يصدر عن المؤمن من الكذب و الخيانة فهو من الامور العارضة لطبيعته لا من اصل خلقته و جبلته و يمكن أن يراد به المبالغة فى نفى المؤمن عنهما قال فى النهاية قوله يطبع عليها أى يخلق و الطباع ما ركب فى الانسان من جميع الاخلاق التى لايكاد يزاولها من الخير و الشر قال الطيبى و انما كانت الخيانة و الكذب منافيين بحاله فان الايمان افعال من الامن و حقيقته أمنه التكذيب و المخالفة و لانه حامل أمانة الله تعالى فينبغى أن يكون امينا لاخائنا (رواه أحمد) أى عن أبى أمامة (و البيهقى) و الاظهر ما فى نسخة و رواه البيهقى (فى شعب الايمان عن سعد بن أبى وقاص) و فى الجامع الصغير يطبع المؤمن على كل خلق ليس الخيانة و الكذب رواه البيهقى فى شعب الايمان عن ابن عمر ★ (وعن صفوان بن سليم) بالتصغير تابعى كبير روى عن أنس بن مالك و نفر من التابعين و كان من خيار عباد الله الصالحين يقال انه لم يضع جنبه على الارض أربعين سنة و يقولون أن جبهته ثقبت من كثرة السجود و كان لا يقبل جوائز السلاطين و مناقبه كثيرة روى عنه ابن عيينة كذا ذكره المؤلف (انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أيكون المؤمن جبانا) أى بالطبع أو مطلقا و هو بفتح الجيم و تخفيف الموحدة ضد الشجاع (قال نعم) أى يكون ولا ينافى الايمان (فقيل له) أى لرسول الله صلى الله عليه وسلم (أيكون المؤمن بخيلا) أى بالطبع كما قال تعالى و كان الانسان قتورا لو باخراج ما يجب عليه من المال لميله على وجه الكمال (قال نعم) أى يكون و لاينافيه مطلق الايمان أو كماله (فقيل) أى له (أيكون المؤمن كذابا) أى كثير الكذب مبالغا فيه أو ذا كذب بحسب الطبع و الخلقة (قال لا رواه مالك و البيهقى فى شعب الايمان مرسلا) قيد لهما ★ (و عن ابن مسعود رضى الله عنه قال ان الشيطان ليتمثل فى صورة الرجل) أى احيانا (فيأتى القوم) أى جماعة (فيحدثهم بالحديث من الكذب فيتفرقون فيقول الرجل منهم سمعت رجلا اعرف وجهه) أى رسمه (و لاادرى ما اسمه) أى و وصفه (يحدث) أى كذا و كذا و ظاهره انه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه من اقبح انواع الكذب حتى عد كفرا فلهذا يعتنى به رئيسهم و يتصور بصورة حسية تقوية للوسوسة الداخلية المعنوية فكان الانسب ايراده فى باب الاعتصام و لايبعد ان يراد به مطلق خبر الكذب او ما يتفرع عليه الفساد من نحو البهتان و القذف و امثالهما و المراد بالشيطان واحد من الجنس قال الطيبى و فيه تنبيه على التحرى فيما يسمع من الكلام و ان يتعرف من القائل أهو صادق يجوز النقل عنه او كاذب يجب الاجتناب عن نقل كلامه على ما ورد كفى بالمرء كذبا ان يحدث بكل ما سمع (رواه مسلم ★ و عن عمران ابن حطان) بكسر الحاء و تشديد الطاء المهملتين و بالنون دوسى خزرجى سمع عائشة و ابن عباس و أباذر و روى عنه محمد بن سيرين و يحيى بن ابى كثير و غيرهما (قال اتيت أباذر فوجدته فى المسجد

مجتبيا بكساء أسود وحده فقلت يا أباذر ما هذه الوحدة فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوحدة خير من جليس السوء و الجليس الصالح خير من الوحدة و املاء الخير خير من السكوت و السكوت خير من املاء الشر ★ و عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مقام الرجل بالصمت عند الله أفضل من عبادة ستين سنة ★ وعن أبي ذر قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث بطوله الى ان قال قلت يا رسول الله أوصني قال أوصيك بتقوى الله فانه ازين لامرك كله قلت زدني قال عليك بتلاوة القرآن وذكر الله عزوجل فانه ذكر لك في السماء و نور لك في الارض

مجتبيا بكساء اسود وحده) أي منفردا ليس احد عنده (فقلت يا أباذر ما هذه الوحدة) أي التي تورث الوحشة و المعنى ما سببها و باعثها (فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوحدة خير من جليس السوء) بفتح السين و يضم أي السيء الطالح (و الجليس الصالح خير من الوحدة) يعني و الجليس الصالح قليل في هذا الزمان (و املاء الخير خير من السكوت و السكوت خير من املاء الشر) يعني و مما يعين على السكوت العزلة و الوحدة في الجامع الصغير رواه البيهقي و الحاكم ★ (و عن عمران بن حصين رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مقام الرجل) بفتح الميم و يضم أي ثباته (بالصمت) أي بمداومة سكوته عن الشر و قال الطيبي أي منزلته عند الله (أفضل من عبادة ستين سنة) أي مع كثرة الكلام و عدم التثبت في المقام قال الطيبي لان في العبادة آفات يسلم عنها بالصمت كما ورد من صمت نجا و في الجامع الصغير رواه الطبراني و الحاكم عن عمران لكن لفظه مقام الرجل في الصف في سبيل الله اه و لعل الصمت وقع فيه تصحيف فراجع في الاصول ★ (و عن أبي ذر رضي الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر) أي أبوذر أو راويه (الحديث بطوله) قال الطيبي و لعله أراد مثل ما ذكر في حديث أنس التالي لهذا الحديث و فيه انه لا دلالة له على هذا مع انه لو كان هو المراد لجمع بينهما في حديث واحد ثم رأيت الحديث في الجامع الصغير و فيه طول لكن في اثنائه و أواخره على ما سنورده (الى ان قال) أي أبوذر (قلت يا رسول الله أوصني قال أوصيك بتقوى الله) وهو وصية الله للاولين و الآخرين كما قال تعالى و لقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم و اياكم ان اتقوا الله (فانه) أي الاتقاء أو ما ذكر من التقوى (أزين) أي غاية من الزين و نهاية من الحسن (لامرك) أي لامور دينك الاعتقادي و القولي و العملي بل ولامور دنياك التي هي معاشك المقتضية لحسن معادك (كله) لان التقوى بجميع مراتبها من ترك شرك الجلي و الخفي و أجتناب الكبائر و الصغائر و الاحتراز عن الشبهات و التورع في المباحات و التنزه عن الشهوات و التخلي عن خطور ما سوى الله بالبال من شيم ارباب الكمال في الاحوال قال الطيبي نسب الزينة الى التقوى كما نسب اليه تعالى اللباس في قوله و لباس التقوى ذلك خير بعد قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد فكما أن السماء مزينة بزينة الكواكب كذلك قلوب العارفين مزينة بالمعارف و التقوى قال تعالى فانها من تقوى القلوب اه و فيه انه غير مذكور بعد قوله خذوا زينتكم بل قبله بعد قوله يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم و ريشا (قلت زدني) أي في الوصية بالعمل الصالح (قال عليك بتلاوة القرآن) أي فانها مجلبة للتقوى و مورثة للدرجات العلى (و ذكر الله عزوجل) تعميم و تتميم (فانه) أي ما ذكر لك من التلاوة و الذكر (ذكر لك في السماء و نور لك في الارض) و هو يحتمل أن يكون باعتبار كل واحد و أن يكون بطريق اللف و النشر المرتب فان ما بينهما من الفرق كما بين السماء و الارض على ما أشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله فضل

قلت زدنى قال عليك بطول الصمت فانه مطردة للشيطان و عون لك على أمر دينك قلت زدنى قال اياك و كثرة الضحك فانه يميت القلب و يذهب بنور الوجه قلت زدنى قال قلْ الحق و ان كان مرا قلت زدنى قال لاتخف فى الله لومة لائم قلت زدنى قال ليحجزك عن الناس ما تعلم من نفسك ★ وعن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أباذر الا أدلك على خصلتين هما اخف على الظهر واثقل فى الميزان

كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه و يمكن أن يكون ضمير فانه راجع الى أقرب مذكور و هو الذكر . فيعرف مرتبة التلاوة بالاولى على أن التلاوة مناجاة مع الرب سبحانه و تعالى (قلت زدنى) أى فى الوصية بما يعنينى على ما ذكرت (قال) و فى نسخة فقال (عليك بطول الصمت) أى بدوامه (فانه مطردة للشيطان) أى لرئيسهم أو لجنسهم و يؤيده ما فى نسخة للشياطين (و عون) أى معين (لك على أمر دينك) أى استقامته (قلت زدنى قال اياك و كثرة الضحك فانه) أى اكثاره و قيل ما ذكر من كثرة الضحك أو الضحك الكثير (يميت القلب) و فى نسخة القلوب أى يورث قساوة القلب و هى مفضية الى الغفلة و ليس موت القلب الا الغفلة عن الذكر (و يذهب بنور الوجه) أى بهائه و حسنه فى قوله سبحانه سيماهم فى وجوههم من أثر السجود (قلت زدنى قال قل الحق و ان كان) أى و ان كان قول الحق على النفس أو عند أهل الباطل المتلهين بالحلويات النفسانية (مرا) أى صعب المذاق و شديد المشاق و أنشد ★ لن تبلغ المجد حتى تبلع الصبرا ★ قال الطيبى شبه الامر بالمعروف و النهى عن المنكر فيمن يأباهما بالصبر فانه مر المذاق لكن عاقبته محمودة (قلت زدنى قال لاتخف فى الله) أى فى حقه و طريق عبادته (لومة لائم) أى ملامة أحد و فيه قطع تعلقه عن الخلق بالكلية فيما يأتى و يذر و ثباته على الحق من غير نظر الى مذمة الناس و مدحهم قال تعالى و تبتل اليه تبتيلا و قال الطيبى أى كن صلبا فى دينك اذا شرعت فى انكار منكر أو أمر بمعروف امض فيه كالمسامير المحماة لايرعك قول قائل و لااعتراض معترض اه و لايخفى ان هذا المعنى فهم من قوله قل الحق و لو كان مرا و الحمل على التأسيس أولى من التأكيد (قلت زدنى قال ليحجزك) بكسر اللام و فتح الياء و سكون الحاء المهملة و ضم الجيم و سكون الزاى أى ليمنعك (عن الناس) أى عيوبهم (ما تعلم من نفسك) أى من عيوبها كما ورد عن أنس أخرجه الديلمى طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس قال ميرك حديث المتن رواه أحمد و الطبرانى و ابن حبان و الحاكم و اللفظ له و قال صحيح الاسناد و فى الجامع الصغير روى عبد بن حميد فى تفسيره و الطبرانى فى الكبير عن أبى ذر مرفوعا أوصيك بتقوى الله تعالى فانه رأس الامر كله عليك بتلاوة القرآن و ذكر الله فانه ذكر لك فى السماء و نور لك فى الارض عليك بطول الصمت الا من خير فانه مطردة للشيطان عنك و عون لك على أمر دينك اياك و كثرة الضحك فانه يميت القلب و يذهب بنور الوجه عليك بالجهاد فانه رهبانية أمتى أحب المساكين و جالسهم انظر الى من تحتك و لاتنظر الى من فوقك فانه أجدر أن لاتزدرى نعمة الله عندك صل قرابتك و ان قطعوك قل الحق و ان كان مرا لاتخف فى الله لومة لائم ليحجزك عن الناس ما تعلم من نفسك و لاتجد عليهم فيما تأتى و كفى بالمرء غيبا أن يكون فيه ثلاث خصال أن يعرف من الناس ما يجهل من نفسه و يستحيى لهم مما هو فيه و يؤذى جليسه يا أباذر لا عقل كالتدبير و لا ورع كالكف و لا حسب كحسن الخلق ★ (وعن أنس رضى الله عنه عن رسول الله) و فى نسخة ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم قال يا أباذر الا أدلك على الخصلتين هما اخف على الظهر) أى ظهر المكلف و بدنه أو على ظهر اللسان (و أثقل فى الميزان) قال الطيبى تشبيه للمعقول

قال قلت بلى قال طول الصمت وحسن الخلق والذى نفسى بيده ماعمل الخلائق بمثلهما ★ وعن عائشة قالت مر النبى صلى الله عليه وسلم بأبى بكر و هو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه فقال لعانين و صديقين كلا و رب الكعبة فاعتق أبوبكر يومئذ بعض رقيقه ثم جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لاأعود روى البيهقى الاحاديث الخمسة فى شعب الايمان ★ وعن أسلم قال ان عمر دخل يوما على أبى بكر الصديق و هو يجبذ لسانه فقال عمر مه غفر الله لك فقال له أبو بكر أن هذا أوردنى الموارد رواه مالك

بالمحسوس فى تأتيه بالسهولة كما فى قوله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان (قال قلت بلى قال طول الصمت) أى المتضمن للتفكر (و حسن الخلق) أى المشتمل على الصبر و الشكر و هو أعم من المعاملة مع الحق أو الخلق (و الذى نفسى بيده ما عمل الخلائق بمثلهما) الباء زائد أى ما عمل الخلائق عملين مثل عملهما أو عمل بمعنى أتى أى ما أتوا بمثلهما من الاعمال قال ميرك نقلا عن المنذرى أخرجه ابن أبى الدنيا و البزار و الطبرانى و أبو يعلى و رواته ثقات و رواه البيهقى و رواه أبو الشيخ ابن حبان من حديث أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئك بأمرين خفيف أمرهما عظيم أجرهما لم تلق الله عزوجل بمثلهما طول الصمت و حسن الخلق و رواه ابن أبى الدنيا أيضا عن صفوان بن سليم مرسلا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأيسر العبادة و أهونها على البدن الصمت و حسن الخلق ★ (و عن عائشة رضى الله عنها قالت مر النبى صلى الله عليه وسلم بأبى بكر و هو يلعن بعض رقيقه فالتفت) أى النبى صلى الله عليه وسلم كما فى نسخة (اليه) أى الى أبى بكر أو فالتفت أبو بكر اليه صلى الله عليه وسلم (فقال) أى النبى عليه السلام (لعانين و صديقين) بتقدير همزة الاستفهام فى صدر الكلام أى هل رأيت لعانين و صديقين أى جامعين بين هاتين الصفتين و العطف لتغاير الصفة و يمكن أن يكون الجمع لارادة تعظيم الصديق (كلا و رب الكعبة) قال الطيبى أى هل رأيت صديقا يكون لعانا كلا و الله لاتتراءى نارا هما قالواو للجمع أى لايجتمعان أبدا و فى الكلام معنى التعجب (فاعتق أبو بكر يومئذ بعض رقيقه) أى كفارة لما صدر عنه من غير شعوره (ثم جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم) أى للاعتذار (فقال لاأعود) أى فى لعن أحد الحديث أخرجه ابن أبى الدنيا فى الصمت و شيخه بشار بن موسى الخفاف و ضعفه الجمهور وكان أحمد حسن الرأى فيه ذكره العراق (روى البيهقى الاحاديث الخمسة فى شعب الايمان ★ و عن أسلم) هو مولى عمر بن الخطاب كنيته أبو خالد كان حبشيا اشتراه عمر بمكة سنة احدى عشرة سمع عمر بن الخطاب و روى عنه زيد بن أسلم و غيره مات فى ولاية مروان و له مائة و أربع عشرة سنة (قال ان عمر دخل يوما على أبى بكر الصديق و هو يجبذ) بكسر الموحدة أى يجذب (لسانه) و يمده و يجره فى المغرب الجبذ بمعنى الجذب و كلاهما من باب ضرب قال الطيبى و فى النهاية الجبذ لغة فى الجذب و قيل هو مقلوب منه اه و فى القاموس الجبذ الجذب و ليس مقلوبه بل لغة صحيحة و وهم الجوهرى و غيره (فقال عمر مه) بفتح ميم و سكون هاء اسم فعل بمعنى اكفف و امتنع عن ذلك (غفر الله لك) دعاء أو اخبار عما سمع فى حقه (فقال له أبو بكر ان هذا) أى اللسان و الاشارة للتعظيم أو التحقير (أوردنى الموارد) أى أدخلنى المهالك (رواه مالك) و كذا ابن أبى الدنيا و البيهقى و فى لفظ البيهقى قال ان هذا أوردنى شر الموارد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شئ من الجسد الا يشكو الى الله ذرب اللسان على حدته كذا نقله ميرك عن المنذرى و قال العراق حديث ابن عمر اطلع على أبى بكر و هو يمد لسانه فقال ما تصنع يا خليفة رسول الله فقال ان هذا

★ و عن عبادة بن الصامت أن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال أضمنوا لى ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة أصدقوا اذا حدثتم و أوفوا اذا وعدتم و أدوا اذا ائتمنتم و أحفظوا فروجكم و غضوا أبصاركم و كفوا أيديكم ★ و عن عبد الرحمن بن غنم و أسماء بنت يزيد أن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال خيار عباد الله الذين اذا رؤا ذكر الله و شرار عباد الله المشاؤن

أوردنى الموارد أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ليس شئ من الجسد الا يشكو الى الله اللسان على حدته ابن أبى الدنيا فى الصمت و أبو يعلى فى مسنده و الدارقطنى فى العلل و البيهقى فى الشعب من رواية أسلم مولى عمر و قال الدارقطنى أن المرفوع وهم على الدراوردى قال و روى هذا الحديث عن قيس ابن أبى‌حازم عن أبى بكر و لاعلة له قال الغزالى و فى الآثار روى عن الصديق انه كان يضع حصاة فى فيه يمنع بها نفسه من الكلام و كان يشير الى لسانه و يقول هذا الذى أوردنى الموارد ★ (وعن عبادة بن الصامت رضى‌الله عنه أن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال اضمنوا لى) بفتح الميم أى تكفلوا لاجلى (ستا) أى من الخصال (من أنفسكم) أى من خصالها أو من أجل منفعتها (أضمن لكم الجنة) أى دخولها مع الفائزين أو وصولها الى أعلى درجات المقربين (اصدقوا) بضم الدال أى تكلموا بالصدق (اذا حدثتم) أى أخبرتم (و أوفوا اذا وعدتم) أى و عهدتم (و أدوا) أى أدوا الامانة و أعطوا الشهادة (اذا ائتمنتم) بصيغة المجهول (و احفظوا فروجكم) أى عن الزنا و نحوه (و غضوا أبصاركم) بضم الغين أى غمضوها عن النظر الى ما لايجوز (و كفوا أيديكم) بضم الكاف و تشديد الفاء أى أمسكوا أنفسكم عن الظلم قال ميرك حديث عبادة رواه أحمد و ابن أبى‌الدنيا و ابن حبان فى صحيحه و الحاكم و البيهقى كلهم من رواية المطلب بن عبد الله بن حنطب عنه و قال الحاكم صحيح الاسناد اه و قال المنذرى المطلب لم‌يسمع من عبادة و فى الجامع الصغير اضمنوا لى ست خصال أضمن لكم الجنة لاتظالموا عند قسمة مواريثكم و انصفوا الناس من أنفسكم و لاتجبنوا عند قتال عدوكم و لاتغلوا غنائمكم و امنعوا ظالمكم من مظلومكم رواه الطبرانى عن أبى أمامة مرفوعا اه ★ (و عن عبد الرحمن بن غنم) بفتح الغين المعجمة و سكون النون على ما ضبطه المغنى و نص عليه المؤلف و قال هو أشعرى شامى أدرك الجاهلية و الاسلام و أسلم على عهد رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و لم‌يره و لازم معاذ بن جبل منذ بعثه النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم الى اليمن الى ان مات معاذ و كان أفقه أهل الشام روى عن قدماء الصحابة مثل عمر بن الخطاب و معاذ بن جبل اه فكان حقه أن يقول فى آخر الحديث مرسلا تنبيها على ذلك (و أسماء بنت يزيد) أى‌ابن السكن و لم‌يذكرها المؤلف فى الاسماء (ان النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال خيار عباد الله الذين اذا رؤا ذكر الله) بصيغة المفعول فيهما أى يتذكر برؤيتهم ذكر الله و فيه ايماء الى حديث المؤمن مرآة المؤمن على أحد معانيه قال الطيبى يحتمل وجهين أحدهما أنهم فى الاختصاص بالله بحيث اذا رؤا خطر ببال من رآهم مولاهم لما فيهم من سيما العبادة و ثانيهما أن من رآهم يذكر الله تعالى كما روى ابن الاثير فى النهاية عن عمران بن حصين قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم النظر الى وجه على عبادة قلت و قد رواه الطبرانى و الحاكم عن أبى‌مسعود و عن عمران بن‌حصين بلفظ النظر الى على عبادة و نظيره ما روى أبو الشيخ عن عائشة مرفوعا النظر الى الكعبة عبادة ثم قيل معناه أن عليا كرم الله وجهه كان اذا برز قال الناس لااله الا الله ما أكرم هذا الفتى ما أشجع هذا الفتى ما أعلم هذا الفتى ما أحلم هذا الفتى فكانت رؤيته تحملهم على كلمة التوحيد (و شرار عباد الله المشاؤن) بصيغة المبالغة للنسبة أى الذين يمشون

بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون البراء العنت رواهما أحمد و البيهقي في شعب الايمان ★ وعن ابن عباس أن رجلين صليا صلاة الظهر أو العصر و كانا صائمين فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة قال أعيدوا وضوءكما و صلاتكما و امضيا في صومكما و أقضياه يوما آخر قالا لم يا رسول الله قال اغتبتم فلانا ★ و عن أبي سعيد و جابر قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغيبة أشد من الزنا قالوا يا رسول الله و كيف الغيبة أشد من الزنا

(بالنميمة) أي على وجه الفساد كما بينه بقوله (المفرقون بين الاحبة الباغون) أي الطالبون (البراء) بفتح الموحدة و الراء بمعنى البرئ مصدر وصف به للمبالغة ففي القاموس أنت برئ والجمع بريؤن و كفقهاء و كرام و أشراف و انصباء و رجال و أنا براء منه لايثنى و لايجمع و لايؤنث برئ قال الطيبي و هو و قوله (العنت) منصوبان مفعولان للباغين يقال بغيت فلانا خيرا و بغيتك الشئ طلبته لك و بغيت الشئ طلبته اه و حاصله أن العنت مفعول ثان للباغون و في رواية للبراء العنت و هو بفتح العين المهملة و النون المشقة و الفساد و الهلاك و الأثم و الخطأ و الغلط و الزنا كل ذلك قد جاء و أطلق العنت عليه و الحديث يحتمل كلها فان الموجود في نسخة صحيحة بضم الموحدة في البراء و هو جمع برئ كما سبق و في نسخة بضم موحدة و فتح راء و همزة ممدودة قال النووي في شرح مسلم هو على وزن فضلاء جمع برئ اه و الحديث في الجامع الصغير بلفظ خياركم الذين اذا رؤا ذكر الله بهم و شرارهم المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون البراء العنت رواه البيهقي عن ابن عمر لكن قال المؤلف (رواهما) أي الحديثين السابقين و سبق الكلام على السابق منهما (أحمد و البيهقي في شعب الايمان) و في الجامع الصغير رواه أحمد عن عبد الرحمن بن غنم و الطبراني عن عبادة بن الصامت بلفظ خيار أمتي الذين اذا رؤا ذكر الله و شرار أمتي المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون البراء العنت ★ (و عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلين صليا صلاة الظهر أو العصر) أي معه صلى الله عليه وسلم (و كانا صائمين) عطف أو حال (فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة) أي فرغ عن أدائها (قال) أي النبي صلى الله عليه وسلم للرجلين (أعيدوا) بصيغة الجمع على أن الاثنين أقله بقرينة ما بعده و في نسخة أعيدا (وضوءكما و صلاتكما و أمضيا) بهمز وصل و كسر ضاد أي أنفذا في صومكما يعني لاتقطعاه بالافطار من مضى في أمره اذا نفذ فيه و لم يتوقف (و أقضياه) أي صومكما (يوما آخر) قال الطيبي و هذا في الصوم ظاهر لقوله تعالى أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا و أما في الصلاة فلانه شرب دم أخيه و لحمه فحمل النجاسة اه و حاصله أن الاتيان بالمعصية قبل الطاعة ينقص كمالها كما أن الحسنة بعد السيئة توجب زوالها فان قوله تعالى أن الحسنات يذهبن السيآت ورد فيمن قبل امرأة أجنبية و لعله صلى الله عليه وسلم هنا أظهر الزجر الشديد و التغليظ و الوعيد لما يتعلق بالغيبة من حق العباد و ربما تذهب العبادة بالكلية حيث يعطى لصاحب الغيبة النافلة الطوية فيبقى المذنب بلاصوم و صلاة فلهذا أمرهما باعادتهما و قضائه و هذا من قبيل فتوى الخاصة لا من قبيل أحكام العامة و في مسند الفردوس للديلمي عن ابن عمر مرفوعا الغيبة تنقض الوضوء و الصلاة (قالا) و في نسخة فقالا (لم يا رسول الله) أي لاى سبب (قال اغتبتم فلانا) أي قبل الصلاة و بعد الطهارة و مباشرة الصوم ★ (و عن أبي سعيد و جابر رضي الله تعالى عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغيبة أشد من الزنا) أي أصعب منه لتعلقها بحق العباد البتة بخلافه (قالوا) أي بعض الصحابة و يمكن أن يكون هما المراد بهم (و كيف الغيبة أشد من الزنا) أي

قال أن الرجل ليزنى فيتوب الله عليه و فى رواية فيتوب الله فيغفر الله له و أن صاحب الغيبة لايغفر له حتى يغفرها له صاحبه و فى رواية أنس قال صاحب الزنا يتوب و صاحب الغيبة ليس له توبة روى البيهقى الاحاديث الثلاثة فى شعب الايمان ★ و عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته تقول اللهم اغفر لنا و له

و الحال أن الزنا ذنب كبير و قد وقع عليه وعيد كثير و تعلق به الحد و الرجم و نحو ذلك قال الطيبى أشد من الزنا مبتدأ على سبيل حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم و كيف خبره أى كيف قولك هذا (قال أن الرجل ليزنى فيتوب) أى بينه و بين الله (فيتوب الله عليه) أى فيقبل توبته و يوفقه على ثباته (و فى رواية فيتوب فيغفر الله له و أن صاحب الغيبة) عطف على ما سبق (لايغفر له) أى و لو تاب بينه و بين ربه (حتى يغفرها له) أى لصاحب الغيبة (و فى رواية أنس قال صاحب الزنا يتوب) أى يتصور منه التوبة أو يتوب غالبا لانه ذنب عظيم عنده (و صاحب الغيبة ليس له توبة) أى غالبا لانه يحسبه هينا و هو عند الله عظيم لكن البلية اذا عمت طابت أو ليس له توبة مستقلة لتوقف صحتها على رضا صاحبها (روى البيهقى الاحاديث الثلاثة) أى حديث ابن عباس و أبى سعيد و أنس (فى شعب الايمان) قال ميرك نقلا عن المنذرى أن حديث أبى سعيد و جابر رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الغيبة و الطبرانى فى الاوسط و روى البيهقى حديث أنس عن رجل لم يسم عنه و رواه عن سفيان بن عيينة غير مرفوع و هو الاشبه ★ (و عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من كفارة الغيبة) أى بعد تحقق التوبة (أن تستغفر) أى أنت أيها المخاطب خطابا عاما (لمن اغتبته تقول) بدل أو بيان أو حال (اللهم اغفر لنا) أى اذا كانوا جماعة أو لنا معشر المسلمين عموما (و له) أى لمن اغتبته خصوصا و الظاهر أن هذا اذا لم تصل الغيبة اليه و أما اذا وصلت اليه فلابد من الاستحلال بان يخبر صاحبها بما قال فيه و يتحللها منه فان تعذر ذلك فليعزم على أنه متى وجده تحلل منه فاذا حلله سقط عنه ما وجب عليه له من الحق فان عجز عن ذلك كله بان كان صاحب الغيبة ميتا أو غائبا فليستغفر الله تعالى و المرجو من فضله و كرمه أن يرضى خصمه من أحسانه فانه جواد كريم رؤف رحيم و فى روضة العلماء سألت محمدا فقلت له اذا تاب صاحب الغيبة قبل وصولها الى المغتاب عنه هل تنفعه توبته قال نعم تنفعه توبته فانه تاب قبل أن يصير الذنب ذنبا يعنى ذنبا يتعلق به حق العبد قال لانها تصير ذنبا اذا بلغت اليه قلت فان بلغت اليه بعد توبته قال لاتبطل توبته بل يغفر الله لهما جميعا المغتاب بالتوبة و المغتاب عنه بما لحقه من المشقة قلت أو بما حصل له من المغفرة قال لانه كريم و لايحمل كرمه رد توبته بعد قبولها بل يعفو عنهما جميعا قلت فيه أنه يحتمل أن يكون قبل توبته موقوفا على عدم تحقق وصولها اليه و حصول مشقته و الله أعلم و قال الفقيه أبو الليث قد تكلم الناس فى توبة المغتابين هل تجوز من غير أن يستحل من صاحبه قال بعضهم تجوز و قال بعضهم لاتجوز و هو عندنا على وجهين أحدهما ان كان ذلك القول قد بلغ الى الذى اغتابه فتوبته أن يستحل منه و أن لم يبلغ فيستغفر الله و يضمر أن لايعود لمثله اه و هل يكفيه أن يقول اغتبتك فاجعلنى فى حل أم لابد أن يبين ما أغتاب قال بعض علمائنا فى الغيبة لايعلمه بها بل يستغفر الله له أن علم ان أعلامه يثير فتنة و يدل عليه ما هو المقرر فى الاصول أن الابراء عن الحقوق المجهولة جائز عندنا ثم أعلم أنه يستحب لصاحب الغيبة أن يبرئه منها ليخلص أخاه من المعصية و يفوز هو بوظيم ثواب الله فى العفو و فى القنية تصافح الخصمين لاجل العذر استحلال و قال النووى

رواه البيهقى فى الدعوات الكبير و قال فى هذا الاسناد ضعف

★ (باب الوعد) ★ (الفصل الاول) ★ عن جابر قال لما مات رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و جاء أبابكر مال من قبل العلاء بن الحضرمى فقال أبوبكر من كان له على النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم دين أو كانت له قبله عدة فليأتنا قال جابر فقلت وعدنى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أن يعطينى هكذا و هكذا و هكذا فبسط يديه ثلاث مرات قال جابر فحثا لى حثية فعددتها فاذا هى خمسمائة وقال خذ مثليها متفق عليه

★ (الفصل الثانى) ★ عن أبى جحيفة قال رأيت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أبيض

رأيت فى فتاوى الطحاوى أنه يكفى الندم و الاستغفار فى الغيبة و أن بلغت فالطريق أن يأتى المغتاب و يستحل منه فان تعذر لموته أو لغيبته البعيدة استغفر الله تعالى و لا اعتبار بتحليل الورثة و اذا اغتاب أحدا فهل يكفى أن يقول قد اغتبتك فاجعلنى فى حل أم لابد أن يبين ما اغتابه به فيه وجهان لاصحاب الشافعى أحدهما يشترط فان أبرأه من غير بيانه لم يصح كما لو أبرأه عن مال مجهول وثانيهما لا يشترط لان هذا مما يتسامح فيه بخلاف المال و الاول أظهر لان الانسان قد يسمح بالعفو عن غيبة دون غيبة و قال الشيخ أبوحامد سبيل المعتذر أن يبالغ فى الثناء عليه و التودد اليه و يلازم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطب قلبه كان اعتذاره و تودده حسنة محسوبة له فتقابل بها سيئة الغيبة فى القيامة (رواه البيهقى فى الدعوات الكبير) اسم كتاب له (و قال فى هذا الاسناد ضعف) قلت و ما يضر فان فضائل الاعمال يكفيها الحديث الضعيف للعمل و الله أعلم ثم رأيت فى الجامع الصغير ما يعضده و هو ما رواه ابن أبى الدنيا فى الصمت عن أنس أيضا و لفظه كفارة من اغتبت أن تستغفر له

★ (باب الوعد) ★ الوعد يستعمل فى الخير و الشر يقال وعدته خيرا و وعدته شرا فاذا أسقطوا الخير و الشر قالوا فى الخير الوعد و العدة و فى الشر الايعاد و الوعيد و منه قول القائل

و انى و ان أوعدته أو وعدته ★ لمخلف ميعادى و منجز موعدى

★ (الفصل الاول) ★ (عن جابر رضى‌الله تعالى عنه قال لما مات رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم وجاء أبابكر مال من قبل العلاء بن الحضرمى) بكسر القاف و فتح الموحدة أى من جهته و هو بفتح العين و اسمه عبدالله من حضرموت و كان عامل رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم على البحرين و أقره أبوبكر وعمر رضى‌الله عنهما عليها الى ان مات العلاء سنة أربع عشرة روى عنه السائب بن يزيد و غيره (فقال أبوبكر من كان له على النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم دين أو كانت له قبله) بكسر ففتح أى عنده (عدة) بكسر فتخفيف دال أى وعد (فليأتنا) قال الاشرف و غيره من علمائنا فيه استحباب قضاء دين الميت و انجاز وعده لمن يخلفه بعده و أنه يستوى فيه الوارث و الاجنبى اه و فيه أشعار بان الوعد ملحق بالدين كما ورد عنه صلى‌الله‌عليه‌وسلم العدة دين على ما رواه الطبرانى فى الاوسط عن على و ابن مسعود (قال جابر فقلت وعدنى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أن يعطينى هكذا وهكذا وهكذا) أى ثلاثا و فى نسخة مرتين و الاول هو الظاهر لقوله (فبسط يديه ثلاث مرات) بيانا لهكذا (قال جابر فحثا لى حثية) أى فملأ أبوبكر كفيه من الدراهم وصبها فى ذيلى (فعددتها) أى ما فيها (فاذا هى خمسمائة و قال خذ مثليها) أى مثلى ما فى الحثية من العدد لئلا يزيد و لا ينقص (متفق عليه)

★ (الفصل الثانى) ★ (عن أبى جحيفة) بضم جيم فحاء مهملة مفتوحة فياء ساكنة بعدها قال المؤلف ذكر أن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم توفى و لم يبلغ الحلم لكنه سمع و روى عنه مات بالكوفة سنة أربع و سبعين روى عنه ابنه عون و جماعة من التابعين (قال رأيت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أبيض) أى

قد شاب و كان الحسن بن علي يشبهه و أمر لنا بثلاثة عشر قلوصا فذهبنا نقبضها فأتانا موته فلم يعطونا شيأ فلما قام أبوبكر قال من كانت له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة فليجيء فقمت اليه فاخبرته فامر لنا بها رواه الترمذى ★ و عن عبد الله بن أبي الحمساء قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث و بقيت له بقية فوعدته ان آتيه بها فى مكانه فنسيت فذكرت بعد ثلاث فاذا هو فى مكانه فقال لقد شققت على أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك رواه أبوداود ★ وعن زيد بن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا وعد الرجل أخاه و من نيته أن يفى

أبيض اللون مائلا الى الحمرة و منه قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة يا حميراء (قد شاب) أى بعض لحيته أو ظهر فيه شيب (و كان الحسن بن على يشبهه) و المشهور أنه شبيهه فى النصف الاعلى و الحسين فى النصف الآخر (و أمر لنا) أى لاجلنا أو لاعطائنا و هو كذا فى جامع الاصول و فى سائر نسخ المصابيح أمر له و الاول أنسب لاتفاق الضمائر التالية (بثلاثة عشر قلوصا) بفتح فضم أى ناقة شابة (فذهبنا نقبضه) أى فشرعنا فى الذهاب الى المأمور لنقبض العطاء المذكور (فاتانا موته) أى خبر موته (صلى الله عليه وسلم) بالقدر المقدور (فلم يعطونا شيأ) فيه دليل على أن الهبة و العطية و الصدقة لا تملك الا بالقبض (فلما قام أبوبكر) أى خطيبا أو قام بامر الخلافة (قال من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة فليجيء) أى فليأت الينا فان وفاءه علينا و لعل الاكتفاء بها و عدم ذكر الدين هنا لانه يلزم منها بالاولى و يمكن أن يكون أقتصارا من الراوى لاسيما و كلامه فى العدة (فقمت اليه) أى متوجها (فاخبرته) أى بما سبق (فأمر لنا بها) أى بالقلوص الموعودة (رواه الترمذى) قال فى جامع الاصول اتفق البخارى ومسلم والترمذى على الفصل الاول من حديث أبى جحيفة واتفق البخارى والترمذى على الفصل الثانى و انفرد الترمذى بذكر أبى بكر و أعطائه أياهم كذا قاله الشيخ الجزرى فى تصحيح المصابيح قال ميرك ولذا قال المؤلف فى آخر مجموع الحديث رواه الترمذى ★ (و عن عبد الله بن أبى الحمساء) بفتح الحاء المهملة و اسكان الميم و بالسين المهملة ذكره الشيخ الجزرى فى التصحيح وهو كذلك فى القاموس و زاد المغنى وهو بالمد (قال بايعت النبى صلى الله عليه وسلم) أى بعت منه بمعنى اشتريت فهو من البيع لا من المبايعة قاله الطيبى و فيه أنه غير مستقيم بحسب القاعدة الصرفية فالظاهر أنه محمول على بيع المقابضة و المعاوضة فتكون الصيغة من المفاعلة على بابه (قبل أن يبعث) أى للرسالة (و بقيت له) أى للنبى صلى الله عليه وسلم (بقية) أى شئ من ثمن ذلك المبيع (فوعدته أن آتيه بها) أى أجيئه بتلك البقية (فى مكانه) أى المعين أو النسبى (فنسيت) أى ذلك الوعد (فذكرت بعد ثلاث) أى ثلاث ليال (فجئت ذلك المكان فاذا هو) أى النبى صلى الله عليه وسلم ينتظرنى (فى مكانه) أى فى ذلك المكان أو فى مكانه الموعود وفاء بما وعد من لزوم المكان حتى اجيئه بما بقى من الثمن و فيه أرشاد الى ندب تصديق الوعد و الوفاء بالعهد (فقال لقد شققت) بقافين أى حملت المشقة (على) و أوصلتها الى (انا ههنا منذ ثلاث انتظرك) و كان انتظاره صلى الله عليه وسلم لصدق وعده لا لقبض ثمنه قال الطيبى وأعلم أن الوعد أمر مأمور الوفاء به فى جميع الاديان حافظ عليه الرسل المتقدمون قال تعالى و ابراهيم الذى وفى و مدح ابنه اسمعيل يعنى جد نبينا عليهم السلام بقوله عزوجل أنه كان صادق الوعد يقال أنه وعد انسانا فى موضع فلم يرجع اليه فأقام عليه حتى حال الحول قلت و ذلك بحوله و قوته (رواه أبوداود ★ و عن زيد بن أرقم) يكنى أباعمرو الانصارى الخزرجى سكن الكوفة و مات بها سنة ثمان و سبعين و هو ابن خمس و ثمانين روى عنه

له فلم يف و لم يجيء للميعاد فلا اثم عليه رواه أبوداود و الترمذي ★ وعن عبد الله بن عامر قال دعتني أمي يوما و رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في بيتنا فقالت ها تعال أعطيك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أردت أن تعطيه. قالت أردت أعطيه تمرا فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انك لو لم تعطيه شيأ كتبت عليك كذبة رواه أبوداود و البيهقي في شعب الايمان

عطاء بن يسار و غيره (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا وعد الرجل أخاه و من نيته أن يفي) بفتح فكسر و أصله أن يوفي (له) أي للرجل (فلم يف) أي بعذر (و لم يجيء للميعاد) أي لمانع (فلا اثم عليه) قال الإشرف هذا دليل على أن النية الصالحة يثاب الرجل عليها و ان لم يقترن معها المنوي و تخلف عنها اه و مفهومه أن من وعد و ليس من نيته أن يفي فعليه الاثم سواء وفى به أو لم يف فانه من أخلاق المنافقين و لاتعرض فيه لمن وعد و نيته أن يفي و لم يف بغير عذر فلادليل لما قيل من انه دل على أن الوفاء بالوعد ليس بواجب اذ هو أمر مسكوت عنه على ما حررته و سيجيء بسط الكلام على هذا المرام في آخر باب المزاح (رواه أبوداود و الترمذي ★ و عن عبد الله بن عامر) قال المؤلف قرشي خال عثمان بن عفان. ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فاتي به فتفل عليه و عوذه و رأى النبي صلى الله عليه وسلم. و له ثلاث عشرة سنة و قيل أنه لم يرو عن النبي صلى الله عليه وسلم شيأ و لا حفظ عنه و مات سنة تسع و خمسين. ولاه عثمان البصرة و خراسان و أقام عليها الى أن قتل عثمان فلما أفضى الامر الى معاوية رد اليه ذلك. و كان سخيا. كريما كثير المناقب و هو افتتح خراسان و قتل كسرى في ولايته. و لم يختلفوا أنه افتتح أطراف فارس و عامة خراسان و أصفهان و كرمان و حلوان و هو الذي شق نهر البصرة (قال دعتني أمي يوما) أي نادتني و طلبتني و أنا صغير (و رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في بيتنا) الجملة حالية (فقالت ها) للتنبيه أو اسم فعل بمعنى خذ قد بها (تعال) بفتح اللام بلا ألف تأكيد (أعطيك) أي أنا فهو مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف و في نسخة أعطك بغير ياء على انه مجذوم قال الطيبي هو بالجزم في بعض نسخ المصابيح جوابا للامر و في بعضه باثبات الياء و هو الرواية في سنن أبي داود و شعب الايمان على انه استئناف كقوله تعالى فهب لي من لدنك وليا يرثني بالرفع اه و في الآية الوجهان متواتران على أنه يمكن أن الياء حصل من الاشباع فلاينافي الجزم على أن اثبات الياء في المجزوم لغة كقوله تعالى أنه من يتقي و يصبر و نحوه كثير (فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اردت) أى شيء نويت (أن تعطيه) بسكون التحتية لان الصيغة للمخاطبة و علامة نصبها حذف النون و وقع في أصل السيد و بعض النسخ هنا بفتح الياء وهو من زلة القلم أو زلة القدم (قالت أردت أن أعطيه تمرا) أي واحدا أو شيأ من التمر فانه اسم جنس قال الطيبي قوله فقال لها ما أردت أن تعطيه قالت أردت أن أعطيه تمرا ليس في المصابيح فكانه سقط من النساخ و الله أعلم (فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أما) بالتخفيف للتنبيه (انك لو لم تعطيه) بالياء فانها ضمير الكلمة لا لامها أي لو لم تنوى باعطائه شيأ (كتبت عليك كذبة) بفتح الكاف و سكون الذال أي مرة من الكذب و في بعض النسخ بكسر فسكون أي نوع من الكذب و أما ما في بعض النسخ المصححة على زعم صاحبه من ضبطه بفتح الكاف و كسر الذال فغير صحيح لما سبق تحقيقه من نقل اللغة. و كلام الائمة فكانه غير كلام ابن الملك حيث قال بفتح الكاف ثم السكون و بفتحهما مع كسر الذال و الباء الموحدة اه و هو غير صحيح لان الفتح مع كسر الذال لم يوجد مع التاء لغة وقد نص النووي ان الذال ساكنة فيهما فكلام ابن الملك مخالف للرواية و الدراية

★ (الفصل الثالث) ★ عن زيد بن أرقم ان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال من وعد رجلا فلم يأت أحدهما الى وقت الصلاة و ذهب الذى جاء ليصلى فلا اثم عليه رواه رزين

★ (باب المزاح) ★ (الفصل الاول) ★ عن أنس قال ان كان النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم ليخالطنا حتى يقول لاخ لى صغير يا أباعمير ما فعل النغير

(رواه أبوداود و البيهقى فى شعب الايمان)

★ (الفصل الثالث) ★ (عن زيد بن أرقم رضى‌الله عنه ان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال من وعد رجلا) أى مثلا و المعنى ان الرجل وعده أيضا فى مكان و زمان معينين (فلم يأت أحدهما الى وقت الصلاة) أى قيامها و قد أتى الآخر (و ذهب الذى جاء ليصلى فلا اثم عليه) أى على الجائى لوعده و الذاهب لصلاته فى غيبته لحضور الصلاة لانه من ضرورات الدين و الظاهر انه كذلك اذا ذهب لضرورات أمر البدن من أكل و شرب و قضاء حاجة و نحوها (رواه رزين) .

★ (باب المزاح) ★ بضم الميم و يكسر قال شارح المزاح بالضم اسم المزاح بالكسر و قيل بالضم اسم من مزح يمزح و بالكسر مصدر مازح و فى القاموس مزح كمنع مزحا و مزاحة و مزاحا دعب و مازحه ممازحة و مزاحا بالكسر و تمازحا ثم المزاح انبساط مع الغير من غير ايذاء فان بلغ الايذاء يكون سخرية ثم أعلم انه ورد عنه صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتمار أخاك و لاتمازحه و أخرجه الترمذى فى جامعه من حديث ابن عباس و قال هذا حديث غريب لانعرفه الا من هذا الوجه و قال الجزرى اسناده جيد فقد رواه زياد بن أيوب عن عبد الرحمن بن محمد البخارى عن ليث بن أبى سليم عن عبد الملك ابن أبى بشر عن عكرمة عن ابن عباس و هذا اسناد مستقيم و ليث بن أبى سليم و ان كان فيه ضعف من قبل حفظه فقد روى له مسلم مقرونا و كان عالما ذا صلوة و صيام ذكره ميرك و الحديث له تتمة على ما فى الجامع الصغير و هى لاتعده موعدا فتخلفه . و الحديث سيأتى فى أصل الكتاب قال النووى أعلم ان المزاح المنهى عنه هو الذى فيه افراط و يداوم عليه فانه يورث الضحك و قسوة القلب و يشغل عن ذكر الله و الفكر فى مهمات الدين و يؤل فى كثير من الاوقات الى الايذاء و يورث الاحقاد و يسقط المهابة و الوقار فاما ما سلم من هذه الامور فهو المباح الذى كان رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم يفعله على الندرة لمصلحة تطييب نفس المخاطب و مؤانسته و هو سنة مستحبة فاعلم هذا فانه مما يعظم الاحتياج اليه اه و قال الحنفى لكن لايلائمه ما روى عن عبد الله بن الحارث قال ما رأيت أحدا أكثر مزاحا من رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قلت يلائمه من حيث ان غيره ما كان يتمالك من نفسه مثله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فكان ترك المزاح بالنسبة الى غيره أولى و قد روى الترمذى فى الشمائل عن أبى هريرة قال قالوا يا رسول‌الله انك تداعبنا قال انى لا أقول الا حقا و المعنى لايقاس الملوك بالحدادين و الحاصل أن غيره صلى‌الله‌عليه‌وسلم داخل تحت نهيه الا اذا كان متمكنا فى الاستقامة على حده و عدم العدول عن جادته

★ (الفصل الاول) ★ (عن أنس رضى‌الله عنه قال ان) مخففة من المثقلة و اسمها ضمير الشان أى انه (كان النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم ليخالطنا) بفتح اللام و تسمى لام المفارقة و فى نسخة للشمائل ليخاطبنا و المعنى ليخالطنا غاية المخالطة و يعاشرنا نهاية المعاشرة و يجالسنا و يمازحنا (حتى يقول لاخ لى) أى من أمى و أبوه أبوطلحة زيد بن سهل الأنصارى (صغير يا أباعمير) بالتصغير و اسمه كبشة (ما فعل) بصيغة الفاعل أى ما صنع (النغير) بضم ففتح تصغير نغر بضم النون و فتح الغين

و كان له نغير يلعب به فمات متفق عليه

★ (الفصل الثانى) ★ عن أبى هريرة قال قالوا يا رسول‌الله انك تداعبنا

المعجمة طائر يشبه العصفور أحمر المنقار وقيل هو العصفور وقيل هو الصعو صغير المنقار أحمر الرأس وقيل أهل المدينة يسمونه البلبل والمعنى ماجرى له حيث لم أره معک و فى هذا تسلية له على فقده بموته بينه بقوله (كان له نغير يلعب به فمات) أى النغير وحزن الولد لفقده على عادة الصغار قال الطيبى حتى غاية قوله يخالطنا و ضمير الجمع لانس و أهل بيته أى انتهت مخالطته لاهلنا كلهم حتى الصبى و حتى الملاعبة معه و حتى السؤال عن فعل النغير و فى مسلم انه صلى‌الله‌عليه‌وسلم كان لايدخل على أحد من النساء الا على أزواجه ألا أم سليم فانه كان يدخل عليها و أم سليم أم أنس بن مالک و قال الراغب الفعل التأثير من جهة مؤثرة و العمل كل فعل يكون من الحيوان بقصد و هو أخص من الفعل لان الفعل قد ينسب الى الحيوانات التى يقع منها بغير قصد و قد ينسب الى الجمادات اه كلامه فالمعنى ما حاله و شانه ذكره الطيبى و لو روى بصيغة المفعول لكان له وجه وجيه و تنبيه نبيه و صار المعنى ما فعل به و فى شرح السنة فيه فوائد منها أن صيد المدينة مباح بخلاف صيد مكة قلت لو ثبت هذا لارتفع الخلاف فى ان المدينة لها حرم أم لا لكن للشافعية أن يقولوا ليس نص فى الحديث على انه من صيد المدينة لاحتمال انه صيد من خارجها و أدخل فيها و حينئذ لايضر فان الصيد لو أخذ خارج مكة ثم أدخل فى الحرم و ذبح كان حلالا عندهم فكذا هذا و الله أعلم قال و انه لا بأس أن يعطى الصبى الطير ليلعب به من غير أن يعذبه قلت هذا فرع آخر على المسئلة السابقة اذ لو ثبت حرمية المدينة لوجب أرسال الصيد ان أخذ منها و كذا عندنا بعد دخوله فى حرم مكة قال و اباحة تصغير الاسماء قلت لانه مبنى على اللطف و الشفقة لاسيما و فيه مراعاة السجع و هو مباح الكلام اذا لم يكن مقرونا بالتكلف قال و اباحة الدعابة ما لم يكن اثما قلت بل استحبابه اذا كان تطييبا و مطايبة قال و جواز تكنى الصبى و لا يدخل ذلک فى باب الكذب قلت لانه قصد به التفاؤل قال و قد نقل عن الشيخ نجم الدين الكبير غير ذلک من الفوائد و هى أن يجوز للرجل أن يدخل فى بيت فيه امرأة أجنبية اذا امن على نفسه الفتنة قلت فيه بحث لانه ان أراد جواز الخلوة مع الاجنبية فهو لايجوز بالاجماع و ان أراد الدخول عليها مع وجود غيرها فهو أمر ظاهر لاشبهة فى جوازه حتى مع عدم الامن عن الفتنة أيضا كما فى مسئلة تحمل الشهادة و نحوها و ليس فى الحديث دلالة على الخلوة مع انها لو ثبت لكان جوازه من خصوصياته صلى‌الله‌عليه‌وسلم مع كونه معصوما مع أنه أب للامة و ليس لغيره ذلک و لو كان وليا فان الحفظ مرتبة دون العصمة و لذا لما سئل الجنيد ايزنى العارف فاطرق رأسه مليا ثم قال و كان أمر الله قدرا مقدورا و أنما أطلت هذا المبحث لئلايتعلق به بعض الزنادقة و الملاحدة و المباحية مع انا لانشک فى جلالة الشيخ قدس سره حيث اثر نظره فى الكلب قال و أن يجوز للرجل أن يسأل عما هو عالم به تعجبا منه قلت هذا يتوقف على تقدم علمه صلى‌الله‌عليه‌وسلم بموت النغير لاحتمال صدور هذا القول بمجرد فقده و هو أعم من حصول موته قال و فيه كمال خلق النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم و ان رعاية الضعفاء من مكارم الاخلاق و انه يستحب استمالة قلوب الصغار و ادخال السرور فى قلوبهم قلت كيف لا و قد قال تعالى فى وصفه الكريم فى كلامه القديم و انک لعلى خلق عظيم (متفق عليه).

★ (الفصل الثانى) ★ (عن أبى هريرة رضى‌الله عنه قال قالوا يا رسول‌الله) أى بعض الصحابة (انک تداعبنا) من الدعابة أى تمازحنا و كانهم استبعدوه منه فلذلک أكدوا الكلام بان و باللام

قال انى لاأقول الا حقا رواه الترمذى ★ و عن أنس أن رجلا استحمل رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فقال انى حاملك على ولد ناقة فقال ما أصنع بولد الناقة فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و هل تلد الابل الا النوق رواه الترمذى و أبوداود ★ و عنه أن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال له يا ذا الاذنين رواه أبوداود و الترمذى ★ و عنه عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال لامرأة عجوز انه لاتدخل الجنة عجوز فقالت و ما لهن و كانت تقرأ القرآن فقال لها أما تقرئين القرآن أنا أنشأناهن أنشاء فجعلناهن أبكارا رواه رزين و فى شرح السنة

أيضا على ما فى بعض النسخ من قوله لتداعبنا و الاظهر ان منشأ سؤالهم انه صلى‌الله‌عليه‌وسلم نهاهم عن المزاح كما قدمناه (قال انى لاأقول الا حقا) أى عدلا و صدقا و لاكل أحد منكم قادر على هذا الحصر لعدم العصمة فيكم (رواه الترمذى ★ و عن أنس رضى‌الله عنه أن رجلا) قيل و كان به بله (استحمل رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم) أى سأله الحملان و المعنى طلبه أن يحمله على دابة و المراد به أن يعطيه حمولة يركبها (فقال انى حاملك على ولد ناقة) قاله مباسطا له بما عساه أن يكون شفاء لبلهه بعد ذلك (فقال) أى يا رسول‌الله كما فى الشمائل (ما أصنع بولد الناقة) حيث توهم أن الولد لايطلق الا على الصغير و هو غير قابل للركوب (فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم هل تلد الابل) أى جنسها من الصغار و الكبار (الا النوق) بضم النون جمع الناقة و هى أنثى الابل والمعنى انك لو تدبرت لم‌تقل ذلك ففيه مع المباسطة له الاشارة الى ارشاده و ارشاد غيره بانه ينبغى لمن سمع قولا أن يتأمله و لايبادر الى رده الا بعد أن يدرك غوره (رواه الترمذى و أبوداود ★ و عنه) أى عن أنس رضى‌الله عنه (ان النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال له يا ذا الاذنين) معناه الحض و التنبيه على حسن الاستماع لما يقال له لان السمع بحاسة الاذن و من خلق الله له الاذنين و غفل و لم يحسن الوعى لم يعذر و قيل ان هذا القول من جملة مداعباته صلى‌الله‌عليه‌وسلم و لطيف أخلاقه قاله صاحب النهاية و قال شارح الاظهر انه حمده على ذكائه و فطنته و حسن استماعه و يحتمل انه قال ذلك على سبيل الانبساط اليه و المزاح معه قلت لامنافاة بينهما حتى يجعل قولان فى معناه فان مزحه الصورى اللفظى لاينفك عن مزح حقه المعنوى على أنه يمكن أن يكون فى أذنه نوع طول أو قصر أو تصور فأشار بذلك (رواه أبوداود و الترمذى ★ و عنه) أى عن أنس رضى‌الله عنه (عن النبى صلى‌الله‌عليه وسلم قال لامرأة عجوز) بفتح أوله و أما العجوز بالضم فهو الضعف و فى القاموس و لاتقل عجوزة أو هى لغة رديئة ثم قيل هى صفية بنت عبدالمطلب أم الزبير بن العوام عمة النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم و سيأتى انها غيرها و يمكن الجمع بتعدد الواقعة و الله أعلم (انه) أى الشان (لاتدخل الجنة عجوز فقالت و ما لهن) أى و أى مانع للعجائز من دخولها و هن من المؤمنات أى الداخلات فى عموم المؤمنين من أهل الجنة (و كانت تقرأ القرآن) أى و لذا سألته مستغربة لمعنى كلامه صلى‌الله‌عليه‌وسلم (فقال لها أما تقرئين القرآن) أى و قد قال تعالى (انا أنشأناهن أنشاء) الضمير لما دل عليه سياق السباق فى الآية و هو فرش مرفوعة و المراد النساء أى أعدنا انشاءهن انشاء خاصا و خلقناهن خلقا غير خلقهن (فجعلناهن أبكارا) أى عذارى كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا و فى الحديث هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى متعشقات على ميلاد واحد أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة و من يكون لها أزواج فتختار أحسنهم خلقا الحديث فى الطبرانى و الترمذى مطولا (رواه رزين) أى بهذا اللفظ الذى ذكر فى المشكاة (و فى شرح السنة)

بلفظ المصابيح ★ و عنه ان رجلا من أهل البادية كان اسمه زاهر بن حرام و كان يهدى للنبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم من البادية فيجهزه رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا أراد

أى للبغوى باسناده (بلفظ المصابيح) و هو روى انه صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال لعجوز ان الجنة لايدخلها العجز بضمتين جمع عجوز ذكره شارح فولت تبكى قال اخبروها انها لاتدخلها و هى عجوز ان الله تعالى قال أنا أنشأناهن أنشاء فجعلناهن أبكارا اه و رواه الترمذى فى الشمائل عن الحسن البصرى مرسلا قال أتت عجوز النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم فقالت يا رسول‌الله ادع الله أن يدخلنى الجنة فقال يا أم فلان أن الجنة لاتدخلها عجوز قال فولت تبكى فقال أخبروها انها لاتدخلها و هى عجوز ان الله تعالى يقول أنا أنشأناهن أنشاء فجعلناهن أبكارا و فى نسخة زيادة عربا أترابا و العرب بضمتين و يسكن الثانى جمع عروب كرسل و رسول أى عواشق و متحببات الى أزواجهن و قيل العروب الملقة و الملق الزيادة فى التودد و منه التملق و قيل الغنجة و الغنج فى الجارية تكسر و تذلل و قيل الحسنة الكلام و الاتراب المستويات فى السن و المراد هنا بنات ثلاثين أو ثلاث وثلاثين كازواجهن على ما فى المدارك و هذا أكمل أسنان أبناء الدنيا و قد أخرج أبوالشيخ ابن حبان فى كتاب أخلاق النبى صلى‌الله‌عليه وسلم من طريق محمد بن عثمان بن كرامة حدثنا عبيدالله بن موسى عن حسن عن ليث عن مجاهد قال دخل النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم على عائشة و عندها عجوز فقال من هذه قالت هى عجوز من أخوالى فقال النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان العجز لايدخلن الجنة فشق ذلك على المرأة فلما دخل النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قالت له عائشة فقال ان الله عزوجل ينشئهن خلقا غير خلقهن و أخرج ابن الجوزى فى كتاب الوفاء من طريق الزبير بن بكار قال حدثنى رجل قال حدثنا الفضل بن خالد النحوى ثنا خارجة بن مصعب عن سعيد بن أبى‌عروبة عن قتادة عن أنس ان عجوزا دخلت على رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فسألته عن شئ فقال لها و مازحها انه لايدخل الجنة عجوز فخرج النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم الى الصلاة فبكت بكاء شديدا حتى رجع النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم فقالت عائشة يا رسول‌الله ان هذه المرأة تبكى لما قلت لها انه لايدخل الجنة عجوز فضحك و قال أجل لايدخل الجنة عجوز و لكن قال الله تعالى أنا أنشأناهن أنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا و هن العجائز الرمص قال ميرك هو جمع الرمصاء و الرمص وسخ العين يجتمع فى الموق هذا وجعل بعض المفسرين ضمير أنشأناهن للحور العين على ما يفهم من السياق أيضا فالمعنى خلقناهن من غير توسط ولادة ثم يحتمل أن المراد ثم ربيناهن حتى وصلن لحد التمتع و يحتمل و هو الظاهر انهن خلقن ابتداء كاملات من غير تدريج فى التربية و السن لكن وجه المطابقة بين الحديث و الآية غير ظاهر على هذا فالصواب أن يجعل الضمير الى نساء الجنة بأجمعهن و حاصله أن أهل الجنة كلهم أنشأهم الله تعالى خلقا آخر يناسب الكمال و البقاء و الدوام و ذلك يستلزم كمال الخلق و توفر القوى البدنية و انتفاء صغار النقص عنها و الله سبحانه أعلم ★ (و عنه) أى عن أنس رضى‌الله عنه (أن رجلا من أهل البادية) فى الاستيعاب انه كان حجازيا يسكن البادية و قال ابن حجر أشجعى شهد بدرا (كان اسمه زاهر بن حرام) أى ضد حلال و لم يذكره المؤلف فى أسمائه (و كان يهدى) بضم الياء و كسر الدال (للنبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم) أى لاجله أو اليه و فى الشمائل الى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم هدية (من البادية) أى حاصلة مما يوجد فى البادية من الثمار و النبات و الرياحين و الادوية و نحوها (فيجهزه رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم) بتشديد الهاء و فى نسخة بالتخفيف على ما فى الشمائل أى يعد له و يهيىء له أسبابه و يعوضه ما يحتاج اليه فى البادية من أمتعة البلدان (اذا أراد)

أن يخرج فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان زاهرا باديتنا و نحن حاضروه و كان النبي صلى الله عليه وسلم يحبه و كان دميما فأتى النبي صلى الله عليه وسلم يوما و هو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه و هو لايبصره فقال أرسلني من هذا فالتفت فعرف النبي صلى الله عليه وسلم فجعل لايألو ما ألزق ظهره بصدر النبي صلى الله عليه وسلم حين عرفه و جعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول من يشترى العبد فقال يا رسول الله اذا و الله تجدنى كاسدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لكن عند الله لست بكاسد رواه

أى زاهر (أن يخرج) أى من المدينة الى البادية (فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان زاهرا باديتنا) أى ساكن باديتنا أوصاحبها أو أهلها و فى بعض نسخ الشمائل بادينا من غيرتاء و البادى المقيم بالبادية و منه قوله تعالى سواء العاكف فيه و الباد و هو فى المعنى أظهر من الاول (و نحن حاضروه) من الحضور و هو الاقامة فى المدن و القرى قال الطيبى معناه انا نستفيد منه ما يستفيد الرجل من باديته من أنواع النباتات و نحن نعد له ما يحتاج اليه من البلد اه و صار المعنى كانه باديته و قيل تاؤه للمبالغة و قيل من اطلاق اسم المحل على الحال (و كان النبي صلى الله عليه وسلم يحبه) أى حبا شديدا (و كان) مع حسن سيرته (رجلا دميما) بالدال المهملة أى قبيح المنظر كريه الصورة (فأتى النبي صلى الله عليه وسلم) بالرفع أى فجاءه أو مر عليه النبي (يوما و هو) أى زاهر (يبيع متاعه) أى فى سوق أو فضاء (فاحتضنه) و فى الشمائل بالواو أى أخذه من حضنه و هو مادون الابط الى الكشح (من خلفه) أى من جهة ورائه و حاصله انه عانقه من خلفه بان أدخل يديه تحت ابطى زاهر و أخذ عينيه بيديه لئلايعرفه و قيل معناه انه أخذ من عقبه من غير أخذ عينيه ذكره النووى (وهو لايبصر) جملة حالية و فى الشمائل و لايبصر و فى نسخة و لايبصره (فقال ارسلنى) أى أطلقنى (من هذا) أى المعانق و فى الشمائل من هذا ارسلنى (فالتفت) أى زاهر فرآه بطرف عينه (فعرف النبي صلى الله عليه وسلم فجعل) أى شرع و طفق (لايألو) بسكون الهمز و يبدل و ضم اللام أى لايقصر (ما الزق ظهره) و فى الشمائل ما ألصق بالصاد و هو بمعناه و ما مصدرية منصوبة المحل على نزع الخافض أى فى الزاق ظهره (بصدر النبي صلى الله عليه وسلم) أى تبركا حين عرفه قيل ذكره ثانيا اهتماما بشانه و تنبيها على ان منشأ هذا الالزاق ليس الا معرفته (وجعل) بالواو و فى الشمائل فجعل (النبي صلى الله عليه وسلم يقول من يشترى العبد) و فى بعض نسخ الشمائل هذا العبد و وجه تسميته عبدا ظاهر فانه عبد الله و وجه الاستفهام عن الاشتراء الذى يطلق لغة على مقابلة الشئ بالشئ تارة و على الاستبدال أخرى أنه أراد من يقابل هذا العبد بالاكرام أو من يستبدله منى بأن يأتينى بمثله و يمكن أن يكون من قبيل التجريد و المعنى من يأخذ هذا العبد (فقال يا رسول الله اذا) بالتنوين جواب و جزاء أى ان بعتنى أو عرضتنى للبيع أو الاخذ اذا (و الله تجدنى كاسدا) أى رخيصا أو غير مرغوب فيه و فى بعض نسخ الشمائل اذا تجدنى و الله كاسدا بتأخير كلمة القسم عن الفعل أى متاعا كاسدا لما فيه من الدمامة و تجد بالرفع فى أكثر النسخ و فى بعضها بالنصب و هو ظاهر فانه نحو ★ اذا و الله نرميهم بحرب ★ ولعل وجه الرفع هوأن يراد بالفعل معنى الحال دون الاستقبال قال ميرك و فى بعض نسخ الشمائل تجدونى بلفظ الجمع و يحتاج الى تكلف قلت صيغة الجمع قد تأتى للتعظيم فيكون الضمير له أو له و لاصحابه (فقال النبي صلى الله عليه وسلم لكن عند الله لست بكاسد) تقديم الظرف على متعلقه و عامله للاهتمام و الاختصاص و فى الشمائل أو قال أنت عند الله غال و الشك من الراوى و لايبعد أن يكون أو بمعنى بل و فى نسخة لكن عند الله غال و فيه زيادة منقبة لاتخفى (رواه) أى صاحب المصابيح

فى شرح السنة ★ و عن عوف بن مالك الاشجعى قال أتيت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فى غزوة تبوك و هو فى قبة من أدم فسلمت فرد على و قال أدخل فقلت أكلى يا رسول‌الله قال كلك فدخلت قال عثمان بن أبى العاتكة انما قال أدخل كلى من صغر القبة رواه أبوداود ★ و عن النعمان بن بشير قال استاذن أبوبكر على النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم فسمع صوت عائشة عاليا فلما دخل تناولها ليلطمها و قال لاأراك ترفعين صوتك على رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم

(فى شرح السنة) أى باسناده و كذا الترمذى فى الشمائل و ابن حبان و صححه هذا و نظير هذا الحديث ما روىٰ أبويعلى أن رجلا كان يهدى اليه صلى‌الله‌عليه‌وسلم العكة من السمن أو العسل فاذا طولب بالثمن جاء بصاحبه فيقول للنبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم أعطه متاعه أى ثمنه فما يزيد صلى‌الله‌عليه‌وسلم على أن يتبسم و يأمربه فيعطى و فى رواية انه كان لايدخل المدينة طرفة الا اشترىٰ ثم جاءبها فقال يارسول‌الله هذاهدية لك فاذا طالبه صاحبه بثمنه جاء به فقال اعط هذا الثمن فيقول المتهدى لى فيقول ليس عندى فيضحك و يأمر لصاحبه بثمنه قلت فكانه رضى‌الله عنه من كمال محبته للنبى صلى‌الله‌عليه وسلم كلما رأى طرفة أعجبت نفسه اشتراها و آثره صلى‌الله‌عليه‌وسلم بها وأهداها اليه على نية اداء ثمنها اذا حصل لديه فلما عجز و صار كالمكاتب رجع الى مولاه و أبدى له صنيع ما أولاه فان المكاتب عبد ما بقى عليه درهم فترجع المطالبة الى سيده ففعله هذا حق ممزوج بمزاج صدق و الله أعلم ★ (و عن عوف بن مالك الاشجعى رضى‌الله عنه) . قال المؤلف أول مشاهده خيبر و كان مع راية أشجع يوم الفتح سكن الشام و مات بها سنة ثلاث و سبعين روى عنه جماعة من الصحابة و التابعين (قال أتيت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و هو فى قبة) أى خيمة صغيرة (من أدم) بفتحتين أى جلد (فسلمت) أى سلام الاستئذان أو سلام الملاقاة (فرد على) أى السلام (و قال ادخل فقلت أكلى يا رسول‌الله قال كلك) بالرفع و ينصب قال الطيبى يجوز فيه الرفع و النصب و التقدير أيدخل كلى فقال كلك يدخل أو أدخل كلى فقال أدخل كلك (فدخلت قال عثمان بن أبى العاتكة) أحد رواة الحديث (انما قال ادخل كلى) بمتكلم ثلاثى و فى نسخة من المزيد قال الطيبى الظاهر انه مضموم الهمزة على انه من باب الافعال و لو ذهب الى الفتح فوجهه أن يحمل كلى على انه تأكيد و هو بعيد (من صغر القبة) و يمكن من كبر عوف لاسيما مع صغرها أو من كثرة الناس فيها و هذا من مزاح أصحابه معه صلى‌الله‌عليه‌وسلم و طى لبساط الادب عند انبساط الحب و ترك التكلف فى مقام القرب (رواه أبوداود ★ و عن النعمان) بضم أوله (ابن بشير) قيل مات النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم و له ثمان سنين و سبعة أشهر و لابويه صحبة ذكره المؤلف فى فصل الصحابة و قد سبق زيادة فى ترجمته (قال استأذن أبوبكر على النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم فسمع) أى أبوبكر (صوت عائشة عاليا فلما دخل) أى بعد الاذن (تناولها) أى أخذها (ليلطمها) بكسر الطاء و يجوز ضمها من اللطم و هو ضرب الخد و صفحة الجسد بالكف مفتوحة على ما فى القاموس (و قال لاأراك) أى بعد هذا و هو نفى بمعنى النهى من قبيل لاأرينك ههنا أو على لغة اثبات حرف العلة مع الجازم و منه قول الجزرى

ألا قولوا لشخص قد تقوى ★ على ضعفى و لم يخشى رقيبه

و قول غيره ★ ألم يأتيك و الانباء تنمى ★ و عليه وردت رواية قنبل عن ابن كثير فى قوله تعالى انه من يتقى ويصبر (ترفعين صوتك على رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم) الجملة مفعول ثان لارى و لايبعد أن يكون لاأراك دعاء و همزة الانكار مقدرة على قوله ترفعين و قال الطيبى أى لاتتعرضى لما يؤدى

فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يحجزه و خرج أبوبكر مغضبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج أبوبكر كيف رأيتني أنقذتك من الرجل قال فمكث أبوبكر أياما ثم استأذن فوجدهما قد اصطلحا فقال لهما أدخلاني في سلمكما كما ادخلتماني في حربكما فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلنا قد فعلنا رواه أبوداود ★ و عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاتمار أخاك و لاتمازحه و لاتعده موعدا فتخلفه

الى رفع صوتك فالنهي وارد على المتكلم و الالف في لاأراك للاشباع و يجوز أن تحمل على النفي الواقع موقع النهي أي لاينبغي لي أن أراك على هذه الحالة (فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يحجزه) بضم الجيم و الزاي أي يمنع أبابكر من لطمها و ضربها (و خرج أبوبكر مغضبا) بفتح الضاد أي غضبان عليها (فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج أبوبكر كيف رأيتني) أي أبصرتني أو عرفتني (أنقذتك من الرجل) أي خلصتك من ضربه و لطمه و قال الطيبي الظاهر أن يقال من أبيك فعدل الى الرجل أي من الرجل الكامل في الرجولية حين غضب لله و لرسوله (قالت فمكث) قيل هكذا وجد في أصل أبي داود و قال الطيبي و هذا يدل على أن النعمان سمع هذا الحديث من عائشة قلت فيكون من مراسيل الصحابة و هي مقبولة اجماعا ثم هو بضم الكاف و يفتح أي فلبث (أبوبكر أياما) أي لم يدخل فيها عندهم و الظاهر انه ثلاثة ايام للنهي عن الهجران فوقها قال الطيبي قولها فمكث أبوبكر بدل أبي لما حدث في سجيتها من غضبه عليها فجعلته كانه اجنبي اذ في الأبوة استعطاف قلت هذا يبعد منها كل البعد مع كمال عقلها و فهمها و أدبها و علمها بمرتبة النبوة و الولاية و أن يكون غضب أبيها في باطنها بعد مدة بمجرد قصده أن يلطمها أو مع تحقق لطمها رعاية لاجل رسول الله صلى الله عليه وسلم و تأديبا لها و قد وقع نظيره كثيرا في الصحابة أن يذكروا آباءهم باسماءهم و هذا من عدم تكلفاتهم التي استحدثت بعدهم و ان كان ذكره بوصف الابوة أولى و أنسب نعم نداءه باسمه خلاف الادب على ان الظاهر ان في الحديث تصرفا من الراوي حيث انه نقل بالمعنى و لذا قال (ثم استأذن فوجدهما قد اصطلحا فقال لهما) فان حق الكلام من عائشة فوجدنا قد اصطلحنا فقال لنا (أدخلاني في سلمكما) بكسر السين و يفتح أي في صلحكما (كما أدخلتماني في حربكما) أي في شقاقكما و خناقكما و اسناد الادخال اليهما في الثاني من المجاز السببي أو من قبيل المشاكلة و الا فالمعنى كما دخلت في حربكما (فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلنا) مفعوله محذوف أي فعلنا ادخالك في السلم أو نزل الفعل منزلة اللازم أي أوقعنا هذا الفعل و قد للتحقيق و قوله ثانيا (قد فعلنا) للتأكيد أو ثانيهما عوض عن عائشة أو على لسانها (رواه أبوداود ★ و عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاتمار) بضم أوله من المماراة أي لاتجادل و لاتخاصم (أخاك) أي المسلم (ولاتمازحه) أي بما يتأذى منه (و لاتعده موعدا) اى وعدا أو زمان وعد أو مكانه (فتخلفه) من الاخلاف و هو منصوب و في بعض النسخ بالرفع قال الطيبي ان روى منصوبا كان جوابا للنهي على تقدير فيكون مسببا عما قبله فعلى هذا التنكير في موعدا لنوع من الموعد و هو ما يرضاه الله تعالى بان يعزم عليه قطعا و لايستثني فيجعل الله ذلك سببا للاخلاف أو ينوي في الوعد كالمنافق فان آية النفاق الخلف في الوعد كما ورد اذا وعد أخلف و يحتمل أن يكون النهي عن مطلق الوعد لانه كثيرا ما يفضي الى الخلف و لو روى مرفوعا كان المنهي الوعد المستعقب للاخلاف أي لاتعده موعدا فانت تخلفه على انه جملة خبرية معطوفة على انشائية و على هذا يتفرع عليه مسائل قال النووي أجمعوا على أن من وعد انسانا شيأ ليس بمنهي عنه فينبغي أن يفي بوعده و هل ذلك واجب أو مستحب فيه خلاف ذهب الشافعي

رواه الترمذي و قال هذا حديث غريب

★ (باب المفاخرة و العصبية) ★ (الفصل الاول) ★ عن أبي هريرة قال سئل رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم أي الناس أكرم قال أكرمهم عند الله أتقاهم قالوا ليس عن هذا نسألك قال فاكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله .

و أبوحنيفة و الجمهور الى انه مستحب فلو تركه فاته الفضل و ارتكب المكروه كراهة شديدة و لايأثم يعني من حيث هو خلف و ان كان يأثم ان قصد به الاذى قال و ذهب جماعة الى انه واجب منهم عمر بن عبدالعزيز و بعضهم الى التفصيل و يؤيد الوجه الاول ما أورده في الاحياء حيث قال و كان صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا أوعد وعدا قال عسى و كان ابن مسعود لايعد وعدا الا و يقول ان شاء الله تعالى و هو الاولى ثم اذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلابد من الوفاء الا أن يتعذر فان كان عند الوعد عازما على أن لايفي به فهذا هو النفاق اه و هذا كله يؤيد الوجوب اذا كان الوعد مطلقا غير مقيد بعسى أو بالمشيئة و نحوهما مما يدل على انه جازم في وعده فقوله و هو الاولى محل بحث كما لايخفى (رواه الترمذي و قال هذا حديث غريب) و قد سبق ما تعلق به

★ (باب المفاخرة و العصبية) ★ الفخر و يحرك التمدح بالخصال كالافتخار و فاخره مفاخرة عارضه بالفخر كذا في القاموس و في النهاية العصبي هو الذي يغضب لعصبته و يحامي عنهم و العصبة الاقارب من جهة الاب لانهم يعصبونه و يعتصب بهم أي يحيطون به و يشتد بهم و منه ليس منا من دعا الى عصبية أو قاتل عصبية قلت لانها من حمية الجاهلية و القواعد الشرعية انهم يكونون قوامين بالقسط شهداء لله و لو على أنفسكم أو الوالدين و الاقربين ولعل وجه الجمع بين المفاخرة و العصبية أن بينهما تلازما غالبيا و منه قوله تعالى الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر أي شغلكم التباهي و التفاخر بالكثرة حتى وصلتم الى ذكر أهل المقابر روى ان بني عبد مناف و بني أسهم تفاخروا بالكثرة فكثر بنوسهم بني عبد مناف فقال بنوسهم ان البغي أهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثر بنوسهم ★ (الفصل الاول) ★ (عن أبي هريرة رضي‌الله عنه قال سئل رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أي الناس) أي من بين أنواعهم أو أوصافهم (أكرم) أي أشرف و أعظم قال الطيبي يحتمل أن يراد به أكرم عند الله تعالى مطلقا من غير نظر الى النسب و لو كان عبدا حبشيا و أن يراد به الحسب مع النسب و أن يراد به الحسب فحسب و كان سؤالهم عن هذا لقوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فعن معادن العرب أي عن أصولهم التي ينسبون اليها و كان جوابهم فسلك على ألطف وجه حيث جمع بين الحسب و النسب و قال اذا فقهوا قلت لما أطلقوا السؤال و كان المناسب صرفه عليه الصلاة والسلام الى الفرد الاكمل و الوصف الافضل (قال أكرمهم عند الله أتقاهم) و هو مقتبس من قوله تعالى أن أكرمكم عند الله أتقاكم بعد قوله تعالى يا أيها الناس أنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا و قد نبه سبحانه و تعالى ان معرفة الانساب انما هو للتعارف بالوصلة و ان الكرم لايكون الا بالتقوى لان العاقبة للمتقين و العبرة بما في العقبى ثم يحتمل انه علم غرضهم و لكن عدل عنه الى أسلوب الحكيم (قالوا ليس عن هذا نسألك) تنزيل للفعل منزلة المصدر قال الطيبي تقديره ليس سؤالنا عن هذا على منوال قوله ★ فقالوا ما تشاء فقلت الهوى اه فلما تبين له صلى‌الله‌عليه‌وسلم انهم لم يسألوه عن الكرم المطلق و ظن أن مرادهم الجمع بين النسب و الحسب (قال فاكرم الناس) أي من حيثية جمعية النسب و الحسب النبوية (يوسف نبي الله ابن نبي الله) أي يعقوب (ابن نبي الله)

ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألونى قالوا نعم قال فخياركم فى الجاهلية خياركم فى الاسلام اذا فقهوا متفق عليه ★ و عن ابن عمر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم رواه البخارى ★ و عن البراء بن عازب قال فى يوم حنين كان أبوسفيان بن الحارث

أى اسحق (ابن خليل الله) باثبات ألف ابن فى المواضع الثلاثة و المراد بالخليل ابراهيم عليه السلام فقد اجتمع شرف النبوة و العلم و كرم الآباء و العدل و الرياسة فى الدنيا و الدين فى يوسف و هو قد يهمز و يثلث سينه على ما فى القاموس و الضم هو المشهور (قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب) أى قبائلهم (تسألونى) بتشديد النون و تخفيفه (قالوا نعم قال فخياركم فى الجاهلية خياركم) أى هم خياركم (فى الاسلام) أى فى زمنه (اذا فقهوا) بضم القاف و يكسر أى اذا علموا آداب الشريعة و احكام الاسلام بعد دخولهم فيه ففى القاموس الفقه بالكسر العلم بالشئ و الفطنة له و غلب على علم الدين لشرفه و فقه ككرم و فرح فهو فقيه و لعله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أراد بهذا أخراج المنافقين و المؤلفة قلوبهم و يحتمل أن يراد به التنبيه على ان استواء النسب انما يكون عند استواء الحسب بان يكونوا مستوين فى الفقه و أما من زاد فى الفقه فهو أعلى و من لم يفقه فهو فى مرتبة الادنى و المراد بالفقه هو العلم المقرون بالعمل و هو حاصل التقوى فرجع الامر الى قوله تعالى أن أكرمكم عند الله أتقاكم لكن كما قال عزوجل لاتزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى و قال صلى‌الله عليه‌وسلم التقوى ههنا و أشار الى صدره الشريف موميا الى انحصارها فيه بحسب كمالها و فى شرح السنة يريد ان من كانت له مأثرة و شرف اذا أسلم و فقه فقد حاز الى ذلك ما استفاده بحق الدين و من لم يسلم فقد هدم شرفه و ضيع نسبه و فى شرح مسلم للنووى قالوا لما سئل صلى‌الله‌عليه‌وسلم أى الناس أكرم أجاب بأكملهم و أعمهم و قال أتقاهم لله لان أصل الكرم كثرة الخير و من كان متقيا كان كثير الخير و كثير الفائدة فى الدنيا و صاحب الدرجات العلى فى الاخرى و لما قالوا ليس عن هذا نسألك قالوا يوسف جمع النبوة و النسب و ضم مع ذلك شرف علم الرؤيا و الرياسة و تمكنه فيها و سياسة الرعية بالسيرة الحميدة و الصورة الجميلة (متفق عليه ★ و عن ابن عمر رضى‌الله تعالى عنهما قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم) قال ابن الملك فى شرح المصابيح كتب ابن فى الثلاثة بدون الالف و صوابه أن يكتب بها لوقوعها بين الصفات (يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم رواه البخارى) و كذا الامام أحمد عنه و عن أبى هريرة أيضا ★ (و عن البراء بن عازب رضى‌الله عنهما) صحابيان جليلان (قال فى يوم حنين) ظرف مقدم و الجملة هى المقول (كان أبوسفيان بن الحارث) أى ابن عبد المطلب ابن عم رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم و كان أخاه من الرضاعة أرضعتهما حليمة بنت أبى ذؤيب السعدية و كان من الشعراء المطبوعين و كان سبق له هجاء فى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و أجابه حسان بن ثابت ثم أسلم فحسن اسلامه و يقال انه ما رفع رأسه الى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم حياء منه و كان اسلامه عام الفتح و قال له على كرم‌الله وجهه ائت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من قبل وجهه فقل له ما قال اخوة يوسف تالله لقد آثرك الله علينا و ان كنا لخاطئين ففعل ذلك أبوسفيان فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين و قبل منه و اسلم وكان سبب موته انه حج فلما حلق الحلاق رأسه قطع أثلولا فى رأسه فلم يزل مريضا منه حتى مات بعد مقدمه من الحج بالمدينة سنة عشرين و دفن

آخذا بعنان بغلته يعني بغلة رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فلما غشيه المشركون نزل فجعل يقول أنا النبي لا كذب ★ أنا ابن عبد المطلب قال فما رؤي من الناس يومئذ أشد منه متفق عليه

في دار عقيل بن أبي طالب و صلى عليه عمر رضي‌الله عنه و الحاصل انه يوم حنين (كان آخذا بعنان بغلته يعني) هو كلام بعض الرواة أي يريد البراء بقوله بغلته (بغلة رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم) احترازا من رجع الضمير الى أبي سفيان (فلما غشيه) بفتح فكسر (المشركون) أي أتوه من جميع جوانبه (نزل) أي عن بغلته ((فجعل يقول أنا النبي لا كذب ★ أنا ابن عبد المطلب) بسكون الباء فيهما على الصواب و قيل بفتحها في الاول و كسرها في الثاني و قد تقدم الكلام عليه من جهة انه شعر أم لا قال التوربشتي ليس لاحد أن يحمل هذا على المفاخرة و الشيخ يعني صاحب المصابيح لم يرد في ايراد هذا الحديث في هذا الباب و لاشك انه تبع بعض أصحاب الحديث في مصنفاتهم و لم يصيبوا أولئك أيضا و قد نفى نبي الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم عن نفسه أن يذكر الفضائل التي خصه الله بها فخرا بل شكرا لانعمه فقال أنا سيد ولد آدم و لافخر الحديث و ذم العصبية في غير موضع فاني لاحد أن يعد هذا الحديث من أحد القبيلين و كيف يجوز على نبي الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أن يفتخر بمشرك و كان ينهى الناس أن يفتخروا بآباءهم و انما وجه ذلك أن تقول تكلم بذلك على سبيل التعريف فان الله تعالى قد أرى قوما قبل ميلاده ما قد كان علما لنبوته و دليلا على ظهور أمره و أظهر علم ذلك على الكهنة حتى شهد به غير واحد منهم فالنبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم ذكرهم بذلك و عرفهم انه ابن عبد المطلب الذي روى فيه ما روى و ذكر فيه ما ذكر قال الطيبي الجواب ما ذكره في شرح السنة من قوله الافتخار و الاعتزاز المنهي عنه ما كان في غير جهاد الكفار و قد رخص النبي صلى‌الله عليه‌وسلم الخيلاء في الحرب مع نهيه عنها في غيرها و روى أن عليا رضي‌الله عنه بارز مرحبا يوم خيبر فقال أنا الذي سمتني أمي حيدرة قلت حاصله يرجع الى تأويل التوربشتي انه للتعريف لا للافتخار ثم قال الطيبي و كانه صلى‌الله‌عليه‌وسلم يرى الكفار شدة جاشة و شجاعته مع كونه مؤيدا من عند الله تعالى حين قل شوكة المسلمين و هو السكينة التي أنزلها الله عليه يوم حنين و على المسلمين و تلخيص الجواب ان المفاخرة نوعان مذمومة و محمودة فالمذموم منها ما كان عليها الجاهلية من الفخر بالآباء و الانساب للسمعة و الرياء و المحمود منها ما ضم مع النسب الحسب في الدين لا رياء بل اظهارا لانعمه تعالى عليه فقوله لا فخر احترازا عن المذموم منها و كفى به شاهدا قوله في الحديث السابق خياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا و قوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم حين جاءه عباس و كانه سمع شيأ فقام على المنبر فقال من أنا فقالوا أنت رسول‌الله قال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم فرقة ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا فانا خيرهم نفسا و خيرهم بيتا قلت و هذا كله تعريف لنسبه الشريف المنضم بحسبه المنيف و ليس فيه الافتخار بآبائه الكفار لما سيأتي في أول الفصل الثاني مع أنه لو أراد الافتخار لافتخر بأجداده الابرار و قال أنا ابن اسمعيل أو ابراهيم عليهما السلام و قد قال في الاحياء كان افتخاره صلى‌الله‌عليه‌وسلم بالله تعالى و بقربه لا بكونه مقدما على ولد آدم كما أن المقبول عند الملك قبولا عظيما انما يفتخر بقبوله أياه و به يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه (قال) أي الراوي (فما رؤي) بصيغة المجهول أي ما عرف (من الناس) أي أحد منهم (يومئذ أشد منه) أي أقوى و أشجع من النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم و مما يدل عليه اختياره البغلة التي لاتصلح للعزة بالمرة

★ وعن أنس قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا خير البرية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك ابراهيم رواه مسلم

ثم زاد عليه بانه نزل منها وعرف الناس به باظهار نسبه و حسبه المتضمن لكمال التعريف المنافى عادة لمقام التخويف وما ذاك الا لقوة قلبه و توكله على ربه و اعتماده على عصمته بمقتضى وعده حيث قال تعالى و الله يعصمك من الناس و بموجب حكمه حيث قال هو الذى أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله (متفق عليه ★ و عن أنس رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا خير البرية) بتشديد الياء و يجوز تسكينها و همز بعدها و معناها الخليقة ففى النهاية يقال برأه الله يبرأ برأ أى خلقه و يجمع على البرايا و البريات من البرى و هو التراب اذا لم يهمز و من ذهب الى ان أصله الهمزة أخذه من برأ الله الخلق يبرأهم أى خلقهم ثم ترك فيها الهمز تخفيفا و لم تستعمل مهموزة قلت بل المهموزة مشهورة متواترة قرأ بها الامام نافع و ابن ذكوان عن ابن عامر على الاصل و الباقون بابدال الهمزة ياء و ادغامها فى الياء تخفيفا (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى تواضعا لربه و أدبا مع جده (ذاك) أى المشار اليه الموصوف بخير البرية (هو ابراهيم) قال النووى فيه وجوه أحدها أنه قال هذا تواضعا و احتراما لابراهيم عليه السلام لخلته و ابوته و الا فنبينا صلى الله عليه وسلم كما قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم و لافخر و ثانيها أنه قال هذا قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم فان الفضائل يمنحها الله تعالى لمن يشاء فاخبر بفضيلة ابراهيم عليه السلام الى أن علم تفضيل نفسه فاخبر به قلت و فيه أنه يحتاج الى معرفة تاريخ ليدفع التعارض به و ثالثها أن المراد به أنه أفضل برية عصره فأطلق العبارة الموهمة للعموم لانه أبلغ فى التواضع قلت و مآل هذا يرجع الى الاول مع أن كون كل منهما أفضل برية عصره ليس فيه مزيد مزية قال و فيه جواز التفاضل بين الانبياء عليهم السلام قلت لا دلالة عليه فى كل من الوجوه الثلاثة نعم أفضلية نبينا ثابتة بادلة صحيحة صريحة كاد أن تكون المسألة قطعية بل اجماعية منها حديث مسلم و أبى داود أنا سيد ولد آدم يوم القيامة و أول من ينشق عنه القبر و أول شافع و أول مشفع و منها حديث الامام أحمد و الترمذى و ابن ماجه عن أبى سعيد أنا سيد ولد آدم يوم القيامة و لافخر و بيدى لواء الحمد و لافخر و ما من نبى يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائى و أنا أول من تنشق عنه الارض و لافخر و أنا أول شافع و أول مشفع و لافخر و منها حديث الترمذى عن أبى هريرة أنا أول من تنشق عنه الارض فاكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى و أمثال ذلك من الاحاديث كثيرة صحيحة شهيرة و مما يدل على سيادته و زيادته فى سعادته و فى الاحاديث المسطورة أشعار بتأخير قوله أنا سيد ولد آدم عن قوله ذاك ابراهيم لان الاوصاف المذكورة يوم القيامة لاتتصور أن تكون فى المفضول مع أن النسخ لايوجد فى الاخبار هذا و قد قال بعض الشراح من علمائنا يحمل الحديث على أنه صلى الله عليه وسلم قاله تواضعا ليوافق الاحاديث الدالة على فضله على سائر البشر أو على أن ابراهيم كانه يدعى بهذا النعت حتى صار علما له كالخليل فقال ذاك ابراهيم أى المدعو بهذه التسمية ابراهيم اجلالا له يعنى من التشريك فيكون معنى خير البرية راجعا الى من خلق دون من لم يخلق بعده و لم يكن ذكر البرية على العموم فلم يدخل النبى صلى الله عليه وسلم فى غمارهم اه و حاصله أنه صلى الله عليه وسلم مستثنى منهم أما بطريق النقل و هو ما ذكرنا و أما بطريق العقل فان المتكلم عند بعض الاصوليين غير داخل فى أمره و نهيه و الله أعلم (رواه مسلم) .

★ و عن عمر قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم لاتطرونی کما أطرت النصاری ابن مریم فانما أنا عبده فقولوا عبد الله و رسوله متفق علیه ★ و عن عیاض بن حمار المجاشعی أن رسول‌الله صلی‌الله‌علیه وسلم قال أن الله أوحی الی أن تواضعوا حتی لایفخر أحد علی أحد و لا یبغی أحد علی أحد رواه مسلم ★ (الفصل الثانی) ★ عن أبی هریرة عن النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم قال لینتهین .

★ (و عن عمر رضی‌الله عنه قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم لاتطرونی) بضم أوله و أصله لاتطریون من الاطراء و هو المبالغة فی المدح و الغلو فی الثناء (کما أطرت النصاری ابن مریم) أی مثل أطرائهم أیاه مفهومه أن اطراءه من غیر جنس اطرائهم جائز ولله در صاحب البردة حیث قال

دع ما ادعته النصاری فی نبیهم ★ و احکم بما شئت مدحا فیه و احتکم

و فی شرح السنة و ذلک ان النصاری أفرطوا فی مدح عیسی علیه‌السلام و اطرائه بالباطل و جعلوه ولدا لله تعالی فمنعهم النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم. أن یطروه بالباطل قال الطیبی و فی العدول عن عیسی و المسیح الی ابن مریم تبعیدا له عن الالوهیة یعنی بالغوا فی المدح و الاطراء و الکذب بان جعلوا من جنس النساء الطوامث الاها أو ابنا له اه و لکون الیهود بالغوا فی قدح المسیح و النصاری فی مدحه قال تعالی یا أهل الکتاب لاتغلوا فی دینکم غیر الحق فالحق هو الوسط العدل کما بینه سبحا بقوله انما المسیح عیسی بن مریم رسول‌الله. و المعنی أنه عبد الله و رسوله لان کونه ابن مریم یدل علی أنه عبده و ابن أمته کما أشار الیه بقوله کانا یأکلان الطعام أی یبولان و یغوطان و یحتاجان الی الاکل و الشرب فلایصلحان للالوهیة و لامناسبة لهما بالربوبیة و انما شأنهما العبودیة (فانما أنا عبده) أی الخاص فی مقام الاختصاص و هو فی الحقیقة أفضل مدح عند الفاضل الکامل کما قال‌القائل

لاتدعنی الا بیا عبدها ★ فانه أفضل أسمائیا

و لذا ذکره الله سبحانه فی مواضع من کتابه بهذا الوصف المنیع و الفضل البدیع منها فی مقام الاسراء سبحان الذی أسری بعبده و منها فی مقام أنزال الکتاب تبارک الذی نزل الفرقان علی عبده و الحمد لله الذی أنزل علی عبده الکتاب و فیه أشارة لطیفة و بشارة شریفة أن العنایة الربوبیة باعتبار غایة العبودیة (فقولوا عبد الله و رسوله) أی لتمیزه به عن بقیة عبیده و فی ذکرهما أیضا ایماء الی مبدأ حالته و منتهی غایته و کان ایاس الخاص أخذ حظ من هذا الاختصاص و شرحه یطول و لایرضی به الملول (متفق علیه) قال میرک رواه البخاری. و الترمذی فی الشمائل کذا قاله الشیخ الجزری فتأمل فی قول المصنف متفق علیه ★ (و عن عیاض بن حمار) بکسر أولهما (المجاشعی) بضم المیم یعد فی البصریین و کان صدیقا لرسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم قدیما روی عنه جماعة (أن رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم قال أن الله أوحی الی أن تواضعوا) ان هذه مفسرة لما فی الایحاء من معنی القول. و تواضعوا أمر من التواضع تفاعل من الضعة بالکسر و هی الذل و الهوان و الدناءة (حتی لایفخر) متعلق باوحی و هو بفتح الخاء من الفخر و هو ادعاء العظمة و الکبریاء و الشرف أی کی لایتعاظم (أحد علی أحد ولایبغی) بکسر الغین أی و لایظلم (أحد علی أحد) و فی الجمع بینهما أشعار بان الفخر و البغی نتیجتا الکبر لان المتکبر هو الذی یرفع نفسه فوق کل أحد و لاینقاد لاحد (رواه مسلم) أی فی حدیث طویل فی آخر صحیحه ذکره میرک و کذا رواه أبوداود و ابن ماجه عنه و روی البخاری فی الادب المفرد وابن‌ماجه عن‌أنس ولفظه أن‌الله‌تعالی أوحی الی أن تواضعوا ولا یبغی بعضکم علی‌بعض ★ (الفصل الثانی) ★ (عن أبی هریرة رضی‌الله تعالی عنه عن النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم قال لینتهین)

أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا انما هم فحم من جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذى يدهده الخراء بانفه أن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية و فخرها بالآباء

بلام مفتوحة فى جواب قسم مقدر أى و الله ليمتنعن عن الافتخار (اقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا) أى على الكفر و هذا الوصف بيان للواقع لامفهوم له و لعل وجه ذكره أنه أظهر فى توضيح التقبيح و يؤيده ما رواه أحمد عن أبى ريحانة مرفوعا من انتسب الى تسعة آباء كفار يريد بهم عزا و كرما كان عاشرهم فى النار (و انما هم) أى آباؤهم (فحم من جهنم) حالا و مآلا قال الطيبى حصر آبائهم على كونهم فحما من جهنم لايتعدون ذلك الى فضيلة يفتخر بها (أو ليكونن) بضم النون الاولى عطفا على لينتهين و الضمير الفاعل العائد الى أقوام و هو واو الجمع محذوف من ليكونن و المعنى أو ليصيرن (أهون) أى أذل (على الله) أى عنده و فى حكمه (من الجعل) بضم جيم و فتح عين و هو دويبة سوداء تريد الغائط يقال لها الخنفساء فقوله (الذى يدهده الخراء) أى يدحرجه (بانفه) صفة كاشفة له و الخرا بفتح الخاء و الراء مقصورا و فى نسخة بالمد و فى نسخة مصححة بكسر الخاء ممدودا و هو العذرة و يحتمل أن يكون بالفتح المصدر و بالكسر الاسم ففى لباب الغريبين أن الخرء العذرة و جمعه خروء كجند و جنود و فى القاموس خرى كفرح خراء أو خراءة و يكسر و الاسم منه الخراء بالكسر و فى شرح المصابيح أن الخرء بفتح الخاء و ضمها واحد الخروء مثل قرء و قروء و القرء بفتح القاف و ضمها الحيض و كتب الخرء فى الحديث بالالف أما لانها مفتوحة فكتبت بحرف حركتها و أما لانه نقلت حركتها الى الراء و قلبت الفا على لفظ العصا و الحاصل أنه صلى الله عليه وسلم شبه المفتخرين بآبائهم الذين ماتوا فى الجاهلية بالجعل و آبائهم المفتخر بهم بالعذرة و نفس افتخارهم بهم بالدهدهة بالانف و المعنى أن أحد الامرين واقع البتة أما الانتهاء عن الافتخار أو كونهم أذل عند الله تعالى من الجعل الموصوف و أغرب القاضى حيث قال أو ههنا للتخيير و التسوية و المعنى أن الامرين سواء فى أن يكون حال آبائهم الذين يفتخرون بهم و أنت مخير فى توصيفهم بايهما شئت اه و الصواب ما قدمناه و قد راعى الادب معه الطيبى حيث قال الظاهر أنه عطف على قوله لينتهين و الضمير فيه ضمير القوم لان اللام فى المعطوف و المعطوف عليه لام الابتداء على نحو قوله تعالى لنخرجنك يا شعيب و الذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا كانه صلى الله عليه وسلم حلف على أن أحد الامرين كائن لامحالة ثم أغرب الطيبى فى سوء سؤاله حيث قال فان قلت هب أنه صلى الله عليه وسلم عرف أنه تعالى يعذبهم بسبب المفاخرة بآبائهم فاقسم عليه فبم عرف انتهاءهم عنها قلت لما نظمهما بأو فى الحكم الذى هو الحلف آل كلامه الى قولك ليكونن أحد الامرين يعنى ان كان الانتهاء لم تكن المذلة و ان لم تكن كانت كذا حققه صاحب الكشاف فى النمل فكانه قيل أحد الامرين لابد منه أما الانتهاء عما هم فيه أو أنزال الصغار و الهوان عليهم من الله تعالى اه و هو ظاهر المرام لكن وقع بسط فى الكلام ثم أنه صلى الله عليه وسلم استأنف لبيان علة الانتهاء عن الافتخار بعد زوال زمان الجاهلية و كمال القواعد الاسلامية بقوله (أن الله قد أذهب) أى ازال و رفع (عنكم عبية الجاهلية) بضم العين المهملة و كسرها و كسر موحدة فتحتية مشددتين أى نخوتها و كبرها (و فخرها) أى و افتخار أهل الجاهلية فى زمانهم (بالآباء) قال التوربشتى يقال رجل فيه عبية بضم العين المهملة و كسرها أى كبر و تجبر و المحفوظ عن أهل الحديث تشديد الياء و ذكر أبو عبيد الهروى انه من العبء بمعنى الحمل الثقيل ثم قال و قال الازهرى بل هو مأخوذ من العبء و هو النور و الضياء يقال

أنما هو مؤمن تقى أو فاجر شقى الناس كلهم بنو آدم و آدم من تراب رواه الترمذى و أبوداود ★ و عن مطرف بن عبد الله بن الشخير

هذا عب الشمس و أصله عبوء الشمس و على هذا فالتشديد فيه كما فى الذرية من الذرء بالهمز و الجوهرى أدخله فى باب المضاعف قلت و كذا فعل صاحب القاموس حيث قال العبية و بالكسر الكبر و الفخر و النخوة و قال أيضا عب الشمس و يخفف ضوءها و ذكره فى المهموز أيضا و قال العبء بالفتح ضياء الشمس (أنما هو) أى المفتخر المتكبر بالآباء لايخلو عن أحد الوصفين فاما هو (مؤمن تقى) فلاينبغى له أن يتكبر على أحد لان مدار الايمان على الخاتمة و الله سبحانه و تعالى أعلم بمن اتقى (أو فاجر) أى منافق أو كافر (شقى) أى غير سعيد فهو ذليل عند الله و الذليل لايناسبه التكبر و لايلائمه التجبر فالتكبر لايليق بالمخلوق فانه صفة خاصة للخالق و لذا قال الكبرياء ردائى و العظمة ازارى فمن نازعنى فيهما قصمته ثم أشار صلى‌الله‌عليه‌وسلم الى دليل آخر ينتفى به التكبر عن الانسان بقوله (الناس كلهم بنو آدم و آدم من تراب) أى فلايليق بمن أصله التراب النخوة و التجبر أو اذا كان الاصل واحدا فالكل اخوة فلاوجه للتكبر لان بقية الامور عارضة لاأصل لها حقيقة نعم العاقبة للمتقين و هى مبهمة فالخوف أولى للسالك من الاشتغال بهذه المسالك هذا ما اخترناه فى هذا المقام من خلاصة المرام و تكلف الطيبى فقال فى ضمير هو وجوه أحدها أن فى الكلام تقديما و تأخيرا فقوله الناس كلهم بنو آدم مقدم لانه مجمل و ذاك تفصيله على نحو قوله

الناس من جهة التمثال اكفاء ★ أبوهم آدم و الام حواء
فان يكن لهم فى أصلهم شرف ★ يفاخرون به فالطين و الماء
ما الفخر الا لاهل العلم انهم ★ على الهدى لمن استهدى ادلاء

و وحد الضمير نظرا الى الجنس أو على تأويل الانسان و ثانيها أنه ضمير مبهم يفسره الخبر كذا قرر صاحب الكشاف فى قوله تعالى و قالوا ما هى الا حياتنا الدنيا و قولهم هى العرب تقول ما شاءت و ثالثها أن يكون بمعنى اسم الاشارة فيرجع الى المذكور السابق منطوقا و مفهوما و بيانه أن قوله أقوام من باب سوق المعلوم مساق غيره و هم قوم مخصوصون نكرهم و جعلهم غائبين ثم التفت من الغيبة الى الخطاب فى قوله قد أذهب عنكم و هذا يشعر بغضب شديد و سخط متتابع كان اناسا من المسلمين تفاخروا باسلافهم الذين ماتوا على الكفر كالعباس بن مرداس و اضرابه حتى قال قائلهم

فما كان حصن و لاحابس ★ يفوقان مرداس فى مجمع

فوبخهم و زجرهم و سفه رأيهم و المعنى ليتنه من شرفه الله و خلع عليه حلل الاسلام و رفعه من حضيض الكفر الى يفاع الايمان عن هذه الشنعاء و الا فيحطه من تلك المنزلة و يرده الى أسفل السافلين من الكفر و الذل فان تشبيههم باخس الحيوانات فى أخس أحواله يدل عليه فالمعنى ما ذاك العزيز الكريم عند الله الا رجل تقى و ما ذاك الذليل الدنىء عنده الا فاجر شقى ثم رجع صلى‌الله‌عليه‌وسلم من ذاك العنف الى اللطف و من التوبيخ الى اسماع الحق قائلا و الناس كلهم بنو آدم لقوله تعالى يا أيها الناس أنا خلقناكم من ذكر و أنثى الى قوله أن أكرمكم عند الله أتقاكم و فى ذكر التراب أشارة الى نقصانهم و انهم فيه سواء طف الصاع بالصاع (رواه الترمذى و أبوداود) و روى البزار بسند حسن عن حذيفة مرفوعا كلكم بنو آدم و آدم خلق من تراب لينتهين قوم يفتخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان ★ (وعن مطرف) بتشديد الراء المكسورة (ابن عبدالله بن الشخير)

قال أنطلقت فى وفد بنى عامر الى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فقلنا أنت سيدنا فقال السيد الله فقلنا و أفضلنا فضلا و أعظمنا طولا فقال قولوا قولكم أو بعض قولكم و لا يستجرينكم الشيطان رواه أحمد وأبوداود

بكسر فتشديد خاء معجمة و فى نسخة بالتعريف قال المؤلف فى فصل التابعين مطرف عامرى بصرى روى عن أبى‌ذر و عثمان بن أبى العاص وقد أبوه على النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم فى بنى عامر روى عنه ابناه مطرف و يزيد (قال) أى قال أبى (انطلقت) كما فى سنن أبى‌داود ذكره السيد جمال الدين و هو المفهوم من أسماء الرجال (فى وفد بنى عامر الى رسول‌الله) أى قاصدين و متوجهين اليه (صلى‌الله‌عليه وسلم فقلنا) أى بعد ما وصلنا (أنت سيدنا فقال السيد الله) و فى نسخة السيد هو الله بزيادة ضمير الفصل لمزيد تأكيد أفادة الحصر مبالغة فى تعظيم ربه و تواضع نفسه فحول الامر فيه الى الحقيقة مراعاة لآداب الشريعة و الطريقة أى الذى يملك نواصى الخلق و يتولاهم و يسوسهم هو الله سبحانه و هذا لاينافى سيادته المجازية الاضافية المخصوصة بالافراد الانسانية حيث قال أنا سيد ولد آدم و لافخر أى لاأقول افتخارا بل تحدثا بنعمة الله و أخبارا بما أمرنى الله و الا فقد روى البخارى عن جابر أن عمر كان يقول أبوبكر سيدنا و أعتق سيدنا يعنى بلالا اه و هو بالنسبة الى بلال تواضع و الله أعلم (فقلنا و أفضلنا فضلا) أى مزية و مرتبة و نصبه على التمييز (و أعظمنا طولا) أى عطاء للاحباء و علوا على الاعداء و الواو الاولى استئنافية لربط الكلام أو من قبيل العطف على التوهم (فقال قولوا قولكم) أى بمجموع ما قلتم أوهذا القول و نحوه (أو بعض قولكم) أى أقتصروا على أحدى الكلمتين من غير حاجة الى المبالغة بهما و يمكن أن تكون أو بمعنى بل أى بل قولوا بعض ما قلتم مبالغة فى التواضع و قيل قولوا قولكم الذى جئتم لاجله و قصدتموه و دعوا غيركم مما لايعنيكم و نظيره قوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لجويريات يضربن بالدف و يندبن من قتل من آبائهن يوم بدر اذ قالت احداهن ★ وفينا نبى يعلم ما فى‌غد ★ دعى هذه وقولى ماكنت تقولين أو قولوا قولكم المعتاد المسترسل فيه على السجية دون المستعمل للاطراء و التكلف لمزيد الثناء وحاصله لاتبالغوا فى مدحى فضلا عن غيرى (و لا يستجرينكم الشيطان) أى لايتخذنكم جريا بفتح الجيم و كسر الراء و تشديد التحتية أى كثير الجرى فى طريقه و متابعة خطواته و قيل هو من الجراءة بالهمزة أى لايجعلنكم ذوى شجاعة على التكلم بما لايجوز و فى النهاية أى لايغلبنكم فيتخذكم جريا أى رسولا و وكيلا و ذلك أنهم كانوا مدحوه فكره لهم المبالغة فى المدح فنهاهم عنه والمعنى تكلموا بما يحضركم من القول و لاتتكلفوه كانكم وكلاء الشيطان و رسله تنطقون على لسانه هذا زبدة الكلام فى مقام المرام و قد تكلف الطيبى حيث قال و أفضلنا عطف على قوله سيدنا كانهم قالوا أنت سيدنا و أفضلنا فضلا و أعظمنا طولا فكره رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم الكل و خص الرد بالسيد فادخل الراوى كلامه بين المعطوف و المعطوف عليه و الذى يدل على كراهة الكل قوله قولوا قولكم أى بقول أهل ملتكم وما هو من شعار المسلمين و ذلك قولهم رسول‌الله و نبى الله و قال المظهر قوله قولوا قولكم يعنى قولوا هذا القول أو أقل منه و لاتبالغوا فى مدحى بحيث تمدحوننى بشئى يليق بالخالق و لايليق بالمخلوق و قال الخطابى أراد صلى‌الله‌عليه‌وسلم بقوله قولوا بقول أهل دينكم أو ملتكم و أدعونى نبيا و رسولا كما سمانى الله فى كتابه و لاتسمونى سيدا كما تسمون رؤساءكم و عظماءكم لانى لست كاحد منهم اذ كانوا يسودونكم فى أسباب الدنيا و أنا أسودكم بالرسالة و النبوة فسمونى رسولا و نبيا و قال التوربشتى سلك القوم فى الخطاب معه مسلكهم مع رؤساء القبائل فانهم

★ و عن الحسن عن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسب المال و الكرم التقوى رواه الترمذي و ابن ماجه ★ و عن أبي بن كعب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من تعزى بعزاء الجاهلية فاعضوه بهن أبيه و لاتكنوا

يخاطبونهم بنحو هذا الخطاب فكره ذلك لانه كان من حقه أن يخاطبوه بالنبي و الرسول فانها المنزلة التي لامنزلة وراءها لاحد من البشر (رواه أبوداود) و في نسخة صحيحة رواه أحمد و أبوداود
★ (و عن الحسن) أي البصري فانه المراد عند الاطلاق على أصطلاح المحدثين لكن لم يظهر وجه ذكره فان مقتضى العادة هو الاكتفاء بذكر الصحابي الا لسبب عارض في الاسناد محوج الى ذكر التابعي (عن سمرة) بفتح و ضم (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسب) بفتحتين (المال) أي مال الدنيا الحاصل به الجاه غالبا (و الكرم) أي الكرم المعتبر في العقبى المترتب عليه الاكرام بالدرجات العلى (التقوى) لقوله تعالى أن أكرمكم عند الله أتقاكم و فيه تنبيه نبيه على أن الدنيا فانية و الاخرى باقية فآثروا ما يبقى على ما يفنى فان من أحب آخرته أضر بدنياه و من أحب دنياه أضر بعقباه فهما ضدان لايجتمعان فمثالهما كفتا الميزان و نعم ما قال بعض أرباب الحال

زيادة المرء في دنياه نقصان ★ و ربحه غير محض الخير خسران

قال شارح الحسب ما يعده الرجل من مفاخر آبائه و الكرم ضد اللؤم فقيل معناه الشئ الذي يكون به الرجل عظيم القدر عند الناس هو المال و الشئ الذي يكون به عظيم القدر عند الله التقوى و الافتخار بالآباء ليس بشئ منهما و بهذا المعنى يظهر مناسبة أيراد هذا الحديث بعنوان الباب و قيل معناه أن الغني يعظم كما يعظم الحسيب و أن الكريم هو المتقي لا من يجود بماله و يخطر بنفسه ليعد جوادا شجاعا و قال الطيبي الحسب ما يعده من مآثره و مآثر آبائه و الكرم الجمع بين أنواع الخير و الشرف و الفضائل و هذا بحسب اللغة فردهما صلى الله عليه وسلم الى ما هو المتعارف بين الناس و عند الله أي ليس ذكر الحسب عند الناس للفقير حيث لايوقر و لايحتفل به بل كل الحسب عندهم من رزق الثروة و وقر في العيون و منه حديث عمر رضي الله عنه من حسب الرجل انقاء ثوبيه أي أنه يوقر لذلك من حيث أنه دليل الثروة و ذو الفضل و الشرف عند الناس و لايعد كريما عند الله و أنما الكريم عنده من ارتدى برداء التقوى و أنشد

كانت مودة سلمان له نسبا ★ و لم يكن بين نوح و ابنه رحم

(رواه الترمذي و ابن ماجه) و قال الترمذي حسن صحيح لانعرفه الا من هذا الوجه ذكره ميرك و كذا رواه أحمد و الحاكم ★ (و عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من تعزى) أي أنتسب (بعزاء الجاهلية) بفتح العين أي نسب أهلها و افتخر بآبائه و أجداده (فأعضوه) بتشديد الضاد و المعجمة من اعضضت الشئ جعلته يعضه و العض أخذ الشئ بالاسنان أو باللسان على ما في القاموس (بهن أبيه) بفتح الهاء و تخفيف النون و في النهاية الهن بالتخفيف و التشديد كناية عن الفرج أي قولوا له اعضض بذكر أبيك أو أيره أو فرجه (و لاتكنوا) بفتح أوله و ضم النون أي لاتكنوا بذكر الهن عن الاير بل صرحوا له بآلة أبيه التي كانت سببا فيه تأديبا و تنكيلا و قيل معناه من انتسب و انتمى الى الجاهلية باحياء سنة أهلها و ابتداع سنتهم في الشتم و اللعن و التعيير و مواجهتكم بالفحشاء و التكبر فاذكروا له قبائح أبيه من عبادة الاصنام و الزنا و شرب الخمر و نحو ذلك مما كان يعير به من لؤم و رذالة صريحا لا كناية كي يرتدع عن التعرض

رواه فى شرح السنة ★ و عن عبد الرحمن بن أبى عقبة عن أبى عقبة و كان مولى من أهل فارس قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا فضربت رجلا من المشركين فقلت خذها منى و أنا الغلام الفارسى فالتفت الى فقال هلا قلت خذها منى و أنا الغلام الانصارى رواه أبوداود ★ و عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من نصر قومه على غير الحق فهو كالبعير الذى ردى فهو ينزع بذنبه رواه أبوداود ★ و عن واثلة بن الاسقع قال قلت يا رسول الله ما العصبية قال أن تعين قومك على الظلم رواه أبوداود ★ و عن سراقة بن مالك بن جعشم

لاعراض الناس (رواه) أى صاحب المصابيح (فى شرح السنة) أى باسناده ★ (و عن عبد الرحمن ابن أبى عقبة) بضم أوله هو مولى جبير بن عتيق (عن أبى عقبة) قال ميرك اسمه رشد بضم الراء و فتح الشين المعجمة مولى الانصار و يقال مولى بنى هاشم . و قال المؤلف هو صحابى من أبناء فارس و ابنه عبد الرحمن تابعى روى عن أبيه و عن داود بن الحصين (و كان) أى أبو عقبة (مولى من أهل فارس قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا) بضمتين أى حضرته (فضربت رجلا من المشركين) أى برمى أو برمح أو بسيف (فقلت خذها) أى الضربة أو الطعنة (منى و أنا الغلام الفارسى) بكسر الراء و الجملة حال و هذا على عادتهم فى المحاربة أن يخبر الضارب المضروب باسمه و نسبة أظهارا بشجاعته (فالتفت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هلا قلت) أى لم لا قلت (خذها منى و أنا الغلام الانصارى) أى اذا أفتخرت عند الضرب فانتسب الى الانصار الذين هاجرت اليهم و نصرونى و كان فارس فى ذلك الزمان كفارا فكره صلى الله عليه وسلم الانتساب اليهم و أمره بالانتساب الى الانصار ليكون منتسبا الى أهل الاسلام و فيه أشعار بان الصحابة مما عدا المهاجرين قد يطلق عليهم الانصار و ليسوا بمخصوصين باهل المدينة كما يتوهم و بهذا يحصل العموم و الشمول للصحابة فى قوله تعالى من المهاجرين و الانصار (رواه أبوداود ★ و عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من نصر قومه على غير الحق) أى على باطل أو مشكوك (فهو كالبعير الذى ردى) بفتح الدال مخففة و فى نسخة بكسرها و فتح الياء و فى نسخة صحيحة بضم الراء و كسر الدال مشددة و فتح الياء أى تردى و سقط فى البئر و قيل بمعناه هلك (فهو) أى البعير اذا وقع فيها (ينزع) بصيغة المفعول أى يعالج و يخرج (عنها بذنبه) أى يجر من ورائه قيل المعنى أوقع نفسه فى الهلكة بتلك النصرة الباطلة حيث أراد الرفعة بنصرة قومه فوقع فى حضيض بئر الاثم و هلك كالبعير فلاينفعه كما لا ينفع البعير نزعه عن البئر بذنبه و قيل شبه القوم ببعير هالك لان من كان على غير حق فهو هالك و شبه ناصرهم بذنب هذا البعير فكما أن نزعه بذنبه لايخلصه من الهلكة كذلك هذا الناصر لايخلصهم عن بئر الهلاك التى وقعوا فيها (رواه أبوداود) و أما ما رواه البيهقى و الضياء عن أنس مرفوعا من نصر أخاه بظهر الغيب نصره الله فى الدنيا و الآخرة فمحمول على نصرة الحق و ان كان اللفظ مطلقا ★ (و عن واثلة بن الاسقع رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله ما العصبية) أى الجاهلية (قال أن تعين قومك على الظلم) يعنى أن الواجب عليك متابعة الحق من غير نظر الى ملاحظة الخلق و لهذا قال صلى الله عليه وسلم على ما رواه الدارمى و ابن عساكر عن جابر مرفوعا انصر أخاك ظالما أو مظلوما أن يك ظالما فاردده عن ظلمه و أن يك مظلوما فانصره (رواه أبوداود) و كذا ابن ماجه ★ (و عن سراقة) بضم أوله (ابن مالك بن جعشم) بضم جيم و سكون عين مهملة و ضم شين معجمة قال المؤلف مدلجى كنانى كان ينزل قديدا و يعد فى أهل المدينة روى عنه

قال خطبنا رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فقال خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأثم رواه أبوداود ★ و عن جبير بن مطعم أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ليس منا من دعا الى عصبية و ليس منا من قاتل عصبية و ليس منا من مات على عصبية رواه أبوداود ★ و عن أبي الدرداء عن النبي صلى‌الله‌عليه وسلم قال حبك الشئ يعمى و يصم رواه أبوداود

★ (الفصل الثالث) ★ عن عبادة بن كثير الشامي من أهل فلسطين عن امرأة منهم يقال لها فسيلة أنها قالت سمعت أبي

جناعة و كان شاعرا مجيدا مات سنة أربع و عشرين (قال خطبنا رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فقال خيركم المدافع عن عشيرته) أي أقاربه المعاشر معهم (ما لم يأثم) أي ما لم يظلم على المدفوع فانه حينئذ يكون جامعا بين نصرة المظلوم و وصلة الاقارب ثم أعلم أنه لو قدر على دفع الظلم عن قومه بكلام لم يجز له الضرب و لو قدر بالضرب لم يجز له القتل لانه من باب الامر بالمعروف و النهي عن المنكر فيجب مراعاة الترتيب قال تعالى أدع الى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالتي هي أحسن الى قوله و ان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الآية (رواه أبوداود ★ و عن جبير ابن مطعم رضى‌الله عنه) مر ذكره (أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ليس منا) أى من أهل ملتنا أو من أصحاب طريقتنا (من دعا) أى الناس (الى عصبية) أى الى اجتماع عصبية فى معاونة ظالم و فى الحديث ما بال دعوى الجاهلية قال صاحب النهاية هو قولهم يا آل فلان كانوا يدعون بعضهم بعضا عند الامر الحادث (و ليس منا من قاتل عصبية) أى بالباطل (و ليس منا من مات على عصبية) أى على طريقتهم من حمية الجاهلية (رواه أبوداود ★ و عن أبي الدرداء رضى‌الله تعالى عنه عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال حبك) من أضافة المصدر الى فاعله و مفعوله (الشئ) و هو مبتدأ خبره (يعمى و يصم) بضم أولهما و كسر عينهما أى يجعلك أعمى عن رؤية معايب الشئ المحبوب بحيث لاتبصر فيه عيبا و يجعلك أصم عن سماع قبائحه بحيث لاتسمع فيه كلامه قبيحا لاستيلاء سلطان المحبة على فؤادك كما قال

و عين الرضا عن كل عيب كليلة ★ و لكن عين السخط تبدى المساويا

و حاصله أنك ترى القبيح منه حسنا و تسمع منه الخنا قولا جميلا كما قيل

و يقبح من سواك الفعل عندى ★ فتفعله فيحسن منك ذاكا

و قال الاستاذ أبوعلى حبك الشئ يعمى عن الغير غيرة وعن المحبوب هيبة قال الطيبى و مورد الحديث فى الذم و ذكر العصبية يستدعى أن يقال أنه صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال فيمن يتعصب لغيره و يحاميه بالباطل و حبه أياه يعميه عن أن يبصر الحق فى قضيته و يصمه عن أن يسمع الحق فى قصته و الا فالحديث ذووجهين (رواه أبوداود) و كذا أحمد و البخارى فى تاريخه عنه و الخرائطى فى اعتلال القلوب عن أبى برزة و ابن عساكر عن عبد الله بن أنيس و الله أعلم

★ (الفصل الثالث) ★ (عن عبادة بن كثير الشامي) لم يذكره المصنف فى أسمائه (من أهل فلسطين) بكسر ففتح فسكون فنون مفتوحة و فى المغنى فلسطون و فلسطين بكسر أولهما و فى القاموس و قد يفتح فاؤهما كورة بالشام تقول فى حال الرفع بالواو و بالنصب و الجر بالياء أو تلزمها الياء فى كل حال (عن امرأة منهم) أى من أهل فلسطين (يقال لها فسيلة) بفتح فاء فكسر سين مهملة و فى نسخة بالتصغير ولم يذكرها المؤلف فى التابعيات (أنها قالت سمعت ابى) ليس له ذكر فى أسماء المؤلف

يقول سألت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فقلت يا رسول‌الله أ من العصبية أن يحب الرجل قومه قال لا و لكن من العصبية أن ينصر الرجل قومه على الظلم رواه أحمد و ابن ماجه ★ و عن عقبة بن عامر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أنسابكم هذه ليست بمسبة على أحد كلكم بنو آدم طف الصاع بالصاع لم تملؤه ليس لاحد على أحد فضل الا بدين و تقوى كفى بالرجل أن يكون بذيا فاحشا بخيلا رواه أحمد و البيهقى فى شعب الايمان

★ (باب البر و الصلة) ★

(يقول) أى أبوفسيلة (سألت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فقلت يا رسول‌الله أ من العصبية أن يحب الرجل قومه) أى حبا بليغا (قال لا و لكن من العصبية أن ينصر الرجل قومه على الظلم) أى على ظلمهم أو مع ظلمهم أو على وجه الظلم (رواه أحمد و ابن ماجه ★ و عن عقبة بن عامر رضى‌الله عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أنسابكم هذه) أى المعروفة المشهورة كامر محسوس يشار اليه (ليست بمسبة) بفتحتين و تشديد موحدة أى محل سب و سبب عار (على أحد) أى منكم (كلكم بنو آدم) أى جميعكم أولاد آدم و حواء (طف الصاع بالصاع) بفتح طاء و تشديد فاء و هو مرفوع و منصوب و الثانى أظهر على أنه بنزع الخافض و رفعه على الخبرية و بنو آدم بيان أو بدل أو مبتدأ ثان فيكون من التشبيه البليغ أى كلكم متساوون فى النسبة الى أب واحد متقاربون كتقارب ما فى الصاع أوتساويه للصاع اذا لم يملأ ملأ تاما حتى يزداد عليه وهذا معنى قوله (لم تملؤه) أى و الحال انكم لم تملؤه و فى النهاية أى قريب بعضكم من بعض يقال هذا طف المكيال أى ما قرب من ملئه و المعنى كلكم فى الانتساب الى أب واحد بمنزلة واحدة فى النقص و التقاصر عن غاية التمام شبههم فى نقصانهم بالمكيل الذى لم يبلغ المكيال ثم أعلم أن التفاضل ليس بالنسب و لكن بالتقوى حيث قال (ليس لاحد) أى على أحد كما فى نسخة ضعيفة (فضل) أى زيادة مرتبة (الا بدين) أى من الاديان الحقة (و تقوى) بالقصر و فى نسخة بالتنوين أى باجتناب من الشرك الجلى و الخفى و احتراز من الكبائر و الصغائر و الحاصل أن أفراد الانسان كلهم فى مرتبة النقصان و الخسران الا ذوى التقوى و الكمال من أهل الايمان كما أشار اليه سبحانه و تعالى بقوله و العصر أن الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات هذا و قال الطيبى قوله طف الصاع يجوز نصبه على أنه حال مؤكدة نحو زيد أبوك عطوفا فان ذكر بنى آدم يدل على النقصان لكونهم من التراب و بالرفع على أنه بدل أو خبر بعد خبر و الباء فى بالصاع للحال أى طف الصاع مقابلا بمثله من النقصان و المراد التسوية بينهم فى النقصان (كفى بالرجل) الجار و المجرور فاعل كفى و التمييز محذوف أى مسبة و عارا أو نقصانا (أن يكون بذيا) بيان للتمييز كقوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم كفى بالمرء اثما أن يحدث بكل ما سمع و هو فعيل من البذاء بمعنى الكلام القبيح فقوله (فاحشا) عطف بيان له و فى القاموس البذى كرضى الرجل الفاحش (بخيلا) أى جامعا بين اطالة اللسان و تقصير الاحسان (رواه أحمد و البيهقى فى شعب الايمان)

★ (باب البر و الصلة) ★ فى النهاية البر بالكسر الاحسان و هو فى حق الابوين و الاقربين ضد العقوق و هو الاساءة اليهم و التضييع لحقهم يقال بر يبر فهو بار و جمعه بررة و جمع البر ابرار و صلة الرحم كناية عن الاحسان الى الاقربين من ذوى النسب و الاصهار و التعطف عليهم و الرفق بهم و الرعاية لاحوالهم و قطع الرحم ضد ذلك يقال وصل رحمه يصلها وصلا وصلة و الهاء فيها

★ (الفصل الاول) ★ عن أبي هريرة قال قال رجل يا رسول‌الله من أحق بحسن صحابتي قال أمک قال ثم من قال أمک قال ثم من قال أمک قال ثم من قال أبوك و في رواية قال أمک ثم أمک ثم أمک ثم أباك ثم أدناك أدناك متفق عليه ★ و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم رغم أنفه رغم أنفه رغم أنفه قيل من يا رسول‌الله قال من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كلاهما

عوض عن الواو المحذوفة فكأنه بالاحسان اليهم قد وصل ما بينه و بينهم من علاقة القرابة و الصهر ★ (الفصل الاول) ★ (عن أبي هريرة رضي‌الله عنه قال قال رجل يا رسول‌الله من أحق) أي أولى و أليق (بحسن صحابتي) بفتح أوله و يكسر أي باحسان مصاحبتي في معاشرتي قال الجوهري صحبه يصحبه صحبة بالضم و صحابة بالفتح و في القاموس صحبه كسمعه صحابة و يكسر و صحبة عاشره و قال النووي هو بفتح الصاد هنا بمعنى الصحبة (قال أمک) بالرفع كذا في الاصول المعتمدة و النسخ المصححة هنا و فيما بعده الى آخر الرواية الاولى و في نسخة بالنصب و هو خطأ كما سنذكر وجهه (قال ثم من قال أمک قال ثم من قال أمک قال ثم من قال أبوك و في رواية قال) قال ميرك هذه الرواية من أفراد مسلم فتأمل في قوله متفق عليه قلت أراد المتفق عليه معنى (أمک) بالنصب على الاغراء أي الزم أمک أي أحسن صحبتها أو رعاية معاشرتها أو على نزع الخافض أي أحسن اليها أو على المفعول به و التقدير بر أمک و هو الاظهر (ثم أمک ثم أمک ثم أباك ثم أدناك) أي أقربک (أدناك) بحذف العاطف أو أعيد للتأكيد قال الطيبي قوله أمک الخ جاء مرفوعا في رواية و في أخرى منصوبا أما الرفع فظاهر و النصب على معنى أحق من أبر و يدل عليه رواية بهز بن حكيم من أبر اه و هو موهم أن أمک في الروايتين جاء مرفوعا و منصوبا و ليس كذلک بل الرفع متعين في الاول لقوله أبوك هناك و النصب متعين هنا لقوله أباك فاياك و اياك أن تخلط الرواية فتحرم الدراية و في شرح مسلم للنووي فيه الحث على بر الاقارب و أن الأم أحقهم بذلک ثم بعدها الاب ثم الاقرب فالاقرب قالوا و سبب تقديم الام كثرة تعبها عليه و شفقتها و خدمتها قلت و في التنزيل اشارة الى هذا التأويل في قوله تعالى حملته أمه كرها و وضعته كرها وحمله و فصاله ثلاثون شهرا فالتثليث في مقابلة ثلاثة أشياء مختصة بالام و هي تعب الحمل و مشقة الوضع و محنة الرضاع (متفق عليه ★ و عنه) أي عن أبي هريرة رضي‌الله عنه (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم رغم) بفتح فكسر أي لصق بالرغام و هو التراب المختلط بالرمل (أنفه) و المراد به الذل و هو اخبار أو دعاء و الضمير مبهم سيبينه و القصد من الابهام ثم التبيين كونه أوقع في نفس السامع و كذا تاكيده باعادته مرتين (رغم أنفه رغم أنفه قيل من) أي من هو أو هو من أو تعني من أو أنف من (يا رسول‌الله قال من أدرك والديه) فيه تغليب (عند الكبر) خص به لانه أحوج الاوقات الى حقوقهما قال المظهر هو ظرف في موضع الحال و الظرف اذا كان في موضع الحال يرفع ما بعده فقوله (أحدهما) مرفوع بالظرف و قوله (أو كلاهما) معطوف على أحدهما اه فهما فاعلان في المعنى و قال الاشرف يجوز أن يكون أحدهما خبرا لمبتدأ محذوف أي مدركه أحدهما أو كلاهما فان من أدرك شيأ فقد أدركه ذلک الشئ و هذه الجملة بيان لقوله من أدرك والديه و في شرح المصابيح قوله من أدرك والديه الكبر أحدهما أو كلاهما الكبر فاعل أدرك و أحدهما مفعوله قلت الظاهر أنه بدل من مفعوله و هو والديه قال الطيبي قوله عند الكبر بالاضافة و أحدهما أو كلاهما مرفوعان هكذا هو في جميع روايات مسلم و في كتاب الحميدي و جامع الاصول و بعض نسخ المصابيح و غير في بعضها الى قوله عنده بالهاء و الكبر بالرفع

ثم لم يدخل الجنة رواه مسلم ★ و عن اسماء بنت أبي بكر قالت قدمت على امي و هي مشركة في عهد قريش فقلت يا رسول‌الله ان امي قدمت علي و هي راغبة أ فاصلها قال نعم صليها متفق عليه ★ و عن عمرو بن العاص قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول ان آل ابي ليسوا لي باولياء انما وليي الله و صالح المؤمنين

و أحدهما أو كليهما بالنصب. نعم هو في الترمذي كذا عن أبي هريرة أنه قال صلى‌الله‌عليه‌وسلم رغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة اه ثم عطف على أدرك أي (ثم) بعد ادراكه ما ذكر و امهاله مدة يسع فيها قضاء حقوقهما و اداء برهما (لم يدخل الجنة) بصيغة المعلوم من الدخول أي لم يدخلها بسبب عقوقهما و التقصير في حقوقهما و قال النووي معناه أن برهما عند كبرهما و ضعفهما بالخدمة و النفقة و غير ذلك سبب لدخول الجنة فمن قصر في ذلك فاته دخول الجنة وقال الطيبي ثم في قوله ثم لم يدخل الجنة استبعادية يعني ذل و خاب و خسر من أدرك تلك الفرصة التي هي موجبة للفلاح و الفوز بالجنة ثم لم ينتهزها و انتهازها هو ما اشتمل عليه قوله تعالى و بالوالدين احسانا أما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما الى قوله و قل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا فانه دل على الاجتناب عن جميع الاقوال المحرمة و الاتيان بجميع كرائم الاقوال و الافعال من التواضع و الخدمة و الانفاق عليهما ثم الدعاء لهما في العاقبة (رواه مسلم) و في الجامع الصغير رغم انفه ثم رغم أنفه ثم رغم أنفه من أدرك أبويه عنده الكبر أحدهما أو كلاهما ثم لم يدخل الجنة رواه أحمد و مسلم عن أبي هريرة و رواه الترمذي و الحاكم عنه بلفظ رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي و رغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له و رغم أنف رجل أدرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة ★ (و عن اسماء بنت أبي بكر) أي الصديق الاكبر (رضي‌الله عنهما قالت قدمت على أمي) أي من مكة الى المدينة (و هي مشركة) أي ما اسلمت بعد (في عهد قريش) متعلق بقدمت أي كان ذلك القدوم في المدة التي كان عهد المصالحة بينه صلى‌الله‌عليه‌وسلم و بين قريش على ترك قتالهم فيها (فقلت يارسول‌الله ان أمي قدمت علي) أي نزلت عندي (وهي راغبة) بالموحدة أي معرضة (عن الاسلام) أو مائلة فيه أو راغبة في صلتي أو راغبة في الاشراك و في نسخة صحيحة راغمة بالميم أي كارهة اسلامي و هجرتي أو ذليلة محتاجة الى عطائي و قيل أي هاربة من قومها قال التوربشتي قد روي بالباء و كذلك هو في المصابيح والصواب راغمة بالميم بدل الباء وقال النووي في شرح هذا الحديث قدمت على أمي و هي راغبة أو راهبة و في الرواية الاخرى راغبة بلاشك وهي مشركة قال القاضي عياض الصحيح راغبة بلاشك و في رواية أبي داود راغبة في عهد قريش و هي راغمة مشركة قيل معناه راغبة عن الاسلام أو كارهة له وقيل طامعة فيما اعطيها حريصة عليه ومعنى راغمة بالميم كارهة للاسلام ساخطة له قال الطيبي تحريره ان قوله راغبة اذا اطلقت من غير تقييد يقدر راغبة عن الاسلام لاغير و اذا قرنت بقوله وهي مشركة أو في عهد قريش يقدر راغبة في صلتي ليطابق ماروأه أبوداود وهي راغمة (أفاصلها قال نعم صليها) أي و اعطيها ما يرضيها قال النووي و فيه جواز صلة القريب المشرك (متفق عليه ★ وعن عمرو بن العاص رضي‌الله عنه قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول ان آل أبي) أي أبي فلان كما في نسخة صحيحة فقيل هو كناية من بعض الرواة خوفا من الفتنة و المكني عنه هو أبو سفيان بن حرب و قيل هو الحكم بن العاص و الاظهر أنه على العموم من طوائف قريش أو بني هاشم أو اعمامه و هو ظاهر الحديث أي اهل أبي (ليسوا لي باولياء) لانه كما قال تعالى ان اولياؤه الا المتقون واشار

و لكن لهم رحم أبلها ببلالها متفق عليه ★ و عن المغيرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم عليكم عقوق الامهات و وأد البنات و منع و هات و كره

اليه بقوله (انما وليى الله) و فى نسخة بياء واحدة مشددة مفتوحة و روى مكسورة (و صالح المؤمنين) أى صلحاؤهم و المراد بالصالح الجنس و لذلك عم بالاضافة و هو مقتبس من قوله تعالى فان الله هو مولاه و جبريل و صالح المؤمنين و كذلك فى قوله تعالى ان وليى الله الذى نزل الكتاب و هو يتولى الصالحين ايماء الى هذا المعنى و فى رواية الطبرانى عن أنس مرفوعا آل محمد كل تقى و قيل المراد بصالح المؤمنين الانبياء و قيل أبوبكر و عمر و قيل على و الصحيح العموم قال التوربشتى المعنى انى لاأوالى أحدا بالقرابة و انما احب الله سبحانه و أوالى من والى بالايمان و الصلاح و اراعى لذوى الرحم حقهم بصلة الرحم و هذا معنى قوله (و لكن لهم) أى لآل أبى (رحم) أى قرابة أعم من ذي محرم أو غيره (أبلها) بضم الموحدة و اللام المشددة أى اصلها (ببلالها) بكسر الموحدة الثانية و بفتح أى بصلتها و الاحسان اليها والاصل فى معناه أن يقال أنديها بما يجب ان تندى لئلاتنقطع و أصلها بما ينبغى ان توصل به يقال الوصل بلل يوجب الالتصاق و الاتصال و الهجر يبس يفضى الى التفتت و الانفصال فالبلال بالكسر ما يبل به الحلق من الماء و اللبن و المراد به ههنا ما يوصل به الرحم من الاحسان و قال بعض الشراح يروى بفتح الباء على المصدر و بكسرها جمع بلل مثل جمل و جمال و قيل الكسر أوجه و منه قوله عليه السلام على ما رواه البزار عن ابن عباس و الطبرانى عن أبى الطفيل و البيهقى عن أنس و سويد بن عمر مرفوعا بلوا أرحامكم و لو بالسلام أى ضلوها و ندوها و العرب تقول للقطعية اليبس شبه قطعية الرحم بالحرارة تطفا بالماء و تندى بالصلة (متفق عليه ★ و عن المغيرة) أى ابن شعبة الثقفى أسلم عام الخندق و قدم مهاجرا مات بالكوفة و هو أميرها لمعاوية (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم عليكم عقوق الامهات) أى مخالفتهن من العق و هو القطع و الشق المراد صدور ما يتأذى به أحد الوالدين من ولده عرفا بقول أو فعل و خص الامهات بالذكر للاهتمام بشأنهن و ضعفهن و يمكن أن يكون من قبيل الاكتفاء بذكر أحد الشيئين من الآخر كقوله تعالى و سرابيل تقيكم الحر أى و البرد و قال الخطابى لم يخص الامهات بالعقوق فان عقوق الآباء محرم أيضا و لكن نبه باحدهما عن الآخر فان بر الام مقدم على بر الاب الا ان لعقوق الامهات مزية فى القبح و حق الاب مقدم فى الطاعة و حسن المتابعة لرأيه و النفوذ لامره و قبول الادب منه (و وأد البنات) بسكون الهمز و يبدل أى دفنهن حيات قيل قدم حقوق الامهات لانهن الاصول و عقبه بوأد البنات لانهن الفروع فكان ذلك تنبيها على ان اكبر الكبائر قطع النسل الذى هو موجب لخراب العالم (و منع) بسكون النون و يفتح و بفتح العين على انه مصدر أو ماض و فى رواية الجامع الصغير و منعا بالتنوين (و هات) بكسر التاء و هو اسم فعل بمعنى اعط و عبر بهما عن البخل و السؤال أى كره أن يمنع الرجل ما عنده و يسأل ما عند غيره قيل و لم ينون على رواية المصدر لان المضاف اليه محذوف منه مرادا أى كره منع ما عنده و قول هات و فى النهاية أى حرم عليكم منع ما عليكم عطاؤه و طلب ما ليس لكم أخذه اه و قيل نهى عن منع الواجب من امواله و اقواله و أفعاله و اخلاقه من الحقوق اللازمة فيها و نهى عن استدعاء ما لايجب عليهم من الحقوق و تكليفه اياهم بالقيام بما لايجب عليهم فكانه ينصف و لاينتصف و هذا من أسمج الخلال (و كره) بكسر الراء و فى نسخة بتشديدها مع فتحها فى القاموس كرهه كسمعه و كرهه اليه تكريها صيره كريها

لكم قيل وقال و كثرة السؤال و اضاعة المال متفق عليه ★ و عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر شتم الرجل والديه

(لكم) أى لاجلكم (قيل و قال) بصيغتي المجهول و المعلوم للماضي فى الفائق نهى عن فضول ما يتحدث به المجالسون من قولهم قيل كذا و قال كذا و بناؤهما على كونهما فعلين محكيين متضمنين للضمير و الاعراب على اجرائهما مجرى الاسماء خاليين من الضمير و منه قوله انما الدنيا قال و قيل و ادخال حرف التعريف عليهما لذلك فى قولهم يعرف القال من القيل و فى النهاية و هذا النهى انما يصح فى قول لايصح و لايعلم حقيقته فاما من حكى ما يصح و يعرف حقيقته و أسنده الى ثقة صادق فلا وجه للنهى عنه و لاذم و قال ابو عبيد فيه تجوز عربية و ذلك انه يجعل كلا من القيل والقال مصدرا كأنه نهى عن قيل و قول يقال قلت قولا و قالا و قيلا و هذا التأويل على انهما اسمان و قيل أراد النهى عن كثرة الكلام مبتدئا و مجيبا و قيل هذا الكلام يتضمن بعمومه حرمة النميمة و الغيبة فان تبليغ الكلام من أقبح الخصال و الاصغاء اليها من أفحش الفعال و قال شارح قوله قيل و قال اما مصدران أتى بهما للتأكيد و حذف التنوين لارادة المضاف اليه المحذوف اى كره لكم قيل و قال ما لافائدة فيه او ماضيان و فيه تنبيه على ترك الخوض فى اخبار الناس و تتبع أحوالهم و حكاية اقوالهم و أفعالهم و قال السيوطى المراد بها كثرة الكلام لانها تؤل الى الخطأ فى المرام و قيل حكاية أقاويل الناس و البحث عنها ليخبر بها و يقول قال فلان كذا و قيل له كذا و النهى اما للزجر عن الاستكثار منه أو لشئ مخصوص و هو ان يكرهه المحكى عنه ثم هما فعلان ذكرا على الحكاية و قيل اسمان مصدران بمعنى القول و للكشميهنى قيل و قال بالتنوين (و كثرة السؤال) بالهمز و يبدل و فيه وجوه أحدها ما فى الفائق السؤال عن أمور الناس و كثرة البحث عنها و ثانيها مسألة الناس أموالهم قال التوربشتى و لا أرى حمله على هذا فان ذلك مكروه و ان لم يبلغ حد الكثرة و ثالثها كثرة السؤال فى العلم للامتحان و اظهار المراء و قيل بلاحاجة أو مطلقا فانه قد يفضى به الى ما لايعنيه و رابعها كثرة سؤال النبى صلى الله عليه وسلم قال تعالى لاتسالوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم (و اضاعة المال) فى الفائق هو انفاقه فى غير طاعة الله و السرف قال الطيبى قيل و التقسيم الحاصر فيه الحاوى بجميع أقسامه ان تقول ان الذى يصرف اليه المال اما أن يكون واجبا كالنفقة و الزكاة و نحوهما فهذا لاضياع فيه و هكذا ان كان مندوبا اليه و أما ان يكون مباحا و لااشكال الا فى هذا القسم اذ كثير من الامور يعده بعض الناس من المباحات و عند التحقيق ليس كذلك كتشييد الابنية و تزيينها و الاسراف فى النفقة و التوسع فى لبس الثياب الناعمة و الاطعمة الشهية اللذيذة و أنت تعلم ان قساوة القلب و غلظ الطبع يتولد من لبس الرقاق و أكل الرقاق و سائر أنواع الارتفاق و يدخل فيه تمويه الاوانى و السقوف بالذهب و الفضة و سوء القيام على ما يملكه من الرقيق و الدواب حتى تضيع و تهلك و قسمة ما لاينتفع الشريك به كاللؤلؤة و السيف يكسران و كذا احتمال الغبن الفاحش فى البياعات و ايتاء المال صاحبه و هو سفيه حقيق بالحجر و هذا الحديث أصل فى معرفة حسن الخلق الذى هو منبع الاخلاق الحميدة و الخلال الجميلة قلت و هو من جوامع الكلم و بدائع الحكم و مما يدل على جواز السجع حيث لاتكلف (متفق عليه ★ و عن عبدالله بن عمرو) أى ابن العاص رضى الله عنهما (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر) أى من جملتها أو بعضها (شتم الرجل والديه) أى سبه اياهما

قالوا يا رسول‌الله و هل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب أباالرجل فيسب أباه و يسب أمه فيسب أمه متفق عليه ★ و عن ابن عمر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولى

أو أحدهما و لو تسببا (قالوا يا رسول‌الله و هل يشتم) بكسر عينه و يضم أى يسب (الرجل والديه) أى هل يقع ذلک (قال نعم) أى يقع حقيقة تارة و هو نادر و مجازا أخرى و هو كثير لكن ما تعرفونه ثم بينه بقوله (يسب أبا الرجل فيسب) أى الرجل (أباه) أى أبا من سبه (و يسب) أى تارة أخرى و قد يجمع و يسب أيضا (أمه) أى أم الرجل (فيسب) أى الرجل (أمه) أى ام سابه و فى الجمع بين الشتم و السب تفنن ففى القاموس شتمه يشتمه و يشتمه سبه و قد يفرق بينهما و يقال السب أعم فانه شامل للعن أيضا بخلاف الشتم و أصل السب على ما فى القاموس سبه قطعه و طعنه فى السبة أى الاست و شتمه و السبة بالضم العار قيل و انما يصير ذلک من الكبائر اذا كان الشتم مما يوجب حدا كما اذا شتمه بالزنا و الكفر و قال له أبوك زان أو كافر أو نحوهما فقال فى جوابه بل أبوك كافر أو زان أما اذا شتمه بما دون ذلک بان قال له أبوك أحمق أو جاهل أو نحوهما فلايكون من الكبائر قلت اذا كان بعض افراده كبيرة فيصدق عليه انه من الكبائر قال الطيبى و يمكن ان يقال انه من الكبائر مطلقا لان سبب السب سب فكانه واجه أباه بقوله أنت أحمق أو جاهل و لاشک ان هذا من الكبائر و قد قال تعالى و لا تقل لهما أف و لا تنهرهما و نحوه قوله تعالى و لا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم قلت السب لايصح ان يكون كبيرة لاسيما اذا وجد من غير قصد الا ترى انه من سب رافضيا أو خارجيا فسب أحدهما بعض الصحابة لايعد الاول سابا و كذا اذا سب أحد بعض الكفار فيسبوا الله فانه لايصير كافرا نعم ما يتوسل به الى الحرام حرام لكن بشرط قصده و علمه قال النووى و فيه قطع بتحريم الوسائل و الذرائع فيؤخذ منه النهى عن بيع العصير لمن يتخذ الخمر و السلاح ممن يقطع الطريق و نحو ذلک قلت و يؤخذ هذا الحكم من قوله و تعاونوا على البر و التقوى و لا تعاونوا على الاثم و العدوان (متفق عليه) و روى ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب عن أبى هريرة مرفوعا من الكبائر استطالة الرجل فى عرض رجل مسلم و من الكبائر السبتان بالسبة ★(و عن ابن عمر رضى‌الله عنهما قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان من أبر البر) أى أفضله بالنسبة الى والده و كذا الوالدة أوهى بالاولى (صلة الرجل أهل ود ابيه) بضم الواو أى أصحاب مودته و محبته و فى القاموس الود الحب و المحب و يثلث اه و ارادة المعنى الثانى أبلغ هنا كما لايخفى (بعد أن يولى) بتشديد اللام المكسورة أى يدبر و يغيب بسفر أو موت و هو الاظهر لكونه أبعد من الرياء و السمعة فيكون أخلص فأجره أكثر و لما رواه أبو يعلى فى مسنده و ابن حبان فى صحيحه من أحب أن يصل أباه فى قبره فليصل اخوان أبيه من بعده قال التوربشتى هذه الكلمة مما يتخبط الناس فيها و الذى أعرفه هو ان الفعل مسند الى أبيه أى بعد ان يغيب أبوه أو يموت من ولى يولى و يؤيده حديث أبى أسيد الساعدى يعنى الآتى انفاذ عهدهما من بعدهما و صلة الرحم التى لا توصل الابهما و اكرام صديقهما قال الطيبى و هكذا صحح فى جامع الاصول و مشارق الانوار ان يولى بضم الياء و فتح الواو و كسر اللام المشددة قلت و لعل الخبط جاء من قبيل الضبط بان ضبط يولى مجهولا أو معلوما من التولى أو من قبل الاسناد حيث أسند الى أهل ود أبيه و الله أعلم ثم المعنى ان من جملة المبرات الفضلى مبرة الرجل

رواه مسلم ★ و عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب ان يبسط له فى رزقه و ينسأ له فى أثره فليصل رحمه متفق عليه ★ و عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله الخلق فلما فرغ منه

من احباء أبيه فان مودة الآباء قرابة الابناء و خلاصته أنه اذا غاب الاب أو مات يحفظ أهل وده و يحسن اليهم فانه من تمام الاحسان الى الاب و انما كان أبر لأنه اذا حفظ غيبته فهو بحفظ حضوره أولى و اذا راعى أهل وده فكان مراعاة أهل رحمه أحرى (رواه مسلم ★ و عن أنس رضى الله عنه من أحب أن يبسط) بصيغة المجهول أى يوسع (له فى رزقه) أى فى دنياه أو آخرته (و ينسأ) بضم فسكون ففتح فنصب فهمزة أى يؤخر له (فى أثره) بفتحتين أى أجله (فليصل رحمه) فى النهاية النسأ التأخير يقال نسأت الشئ انسا و انسأته انساء اذا أخرته و النساء الاسم و يكون فى العمر والدين و الاثر و الاجل و يسمى به لانه يتبع العمر قال زهير

يسعى الفتى لامور ليس يدركها ★ و النفس واحدة و الهم منتشر

و المرء ما عاش ممدود له أمل ★ لاينتهى العمر حتى ينتهى الاثر

و أصله من أثر مشيه فى الارض فان من مات لايبقى له أثر فلايرى لاقدامه فى الارض أثر قال النووى فى تأخير الاجل سؤال مشهور و هو ان الآجال و الارزاق مقدرة و لاتزيد و لاتنقص فاذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة و لايستقدمون و أجاب العلماء بوجوه أحدها ان الزيادة بالبركة فى العمر بسبب التوفيق فى الطاعات و عمارة أوقاته بما ينفعه فى الآخرة و صيانتها عن الضياع و غير ذلك و ثانيها انه بالنسبة الى ما يظهر للملائكة فى اللوح المحفوظ و نحو ذلك فيظهر لهم فى اللوح ان عمره ستون سنة الا ان يصل رحمه فان وصلها زيد له أربعون و قد علم الله تعالى ما سيقع له من ذلك و هو من معنى قوله تعالى يمحو الله ما يشاء و يثبت فبالنسبة الى علم الله تعالى و ما سبق قدره لا زيادة بل هى مستحيلة و بالنسبة الى ما ظهر للمخلوقين يتصور الزيادة و هو مراد الحديث و ثالثها ان المراد بقاء ذكره الجميل بعده فكانه لم يمت و هو ضعيف اه و انما قال فى القول الاوسط انه مراد الحديث لان الاول أيضا يرجع اليه فان بركة العمر و توفيق العمل من جملة المقدرات التى لاتزيد و لاتنقص فى الحقيقة و كذا الاخير و انما ضعفه لانه من جملة الصيت المشتمل على الرياء و السمعة غالبا فلايصح ان يكون مراد الحديث و ان كان له وجه فى الجملة على انه ورد فى غير حديث ان صلة الرحم تزيد فى العمر فارادة غير الاجل المتعارف خلاف الحقيقة و العدول منها الى المجاز غير جائز بلاضرورة و قد غفل الطيبى عن هذا المعنى فتعقب النووى على غير المبنى فقال و كان هذا الوجه أظهر فان أثر الشئ حصول ما يدل على وجوده فمعنى يؤخر فى أثره أى يؤخر ذكره الجميل بعد موته أو يجرى له ثواب عمله الصالح بعد موته قال تعالى و نكتب ما قدموا و آثارهم قلت و فيه ان المعنى الثانى عام غير مخصوص بواصل الرحم بقى الاول قال وعليه كلام صاحب الفائق حيث قال يجوز ان يكون المعنى ان الله يبقى أثر واصل الرحم فى الدنيا طويلا فلايضمحل سريعا كما يضمحل أثر قاطع الرحم قلت كيف يجوز ما عبر عنه الفائق بيجوز ان يكون هو الاظهر فى مراد الحديث و الله اعلم (متفق عليه) و رواه أبوداود و النسائى عن أنس و أحمد و البخارى أيضا عن أبى هريرة ★(و عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله الخلق) أى قدر المخلوقات فى العلم السابق على ما هو عليه وقت وجودهم (فلما فرغ منه)

قامت الرحم فأخذت بحقوى الرحمن فقال مه قالت هذا مقام العائذبك من القطيعة قال ألا ترضين أن أصل من وصلك و أقطع من قطعك قالت بلى يا رب قال فذاك متفق عليه ✱ و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم الرحم شجنة من الرحمن

أى لما صح ذلك و وقع ما هنالك قال التوربشتى أى قضاه و أتمه أو نحو ذلك مما يشهد بانه مجاز القول فانه سبحانه و تعالى لايشغله شان عن شان حتى يطلق عليه الفراغ الذى هو ضد الشغل (قامت الرحم) أى قيام صورة مصورة أو معنوية مقدرة (فأخذت بحقوى الرحمن) أى بكتفى رحمته العامة و الخاصة و الحقو بفتح الحاء و سكون القاف الازار و الخصر و معقد الازار فى اللغة و المراد به هنا و الله أعلم الاستعارة عن الاستغاثة و الاستعانة كما يقال أخذت بذيل الملك حتى أنصفنى و توضيحه انه لما كان من شأن المستجير ان يستمسك بحقوى المستجار به و هما جانباه الايمن و الايسر استعير الاخذ بالحقو فى اللياذ بالشئ تقول العرب عذت بحقو فلان أى استجرت و اعتصمت به و الحاصل ان الرحم استعاذت بلسان القال أو ببيان الحال و التجات و عاذت بعزة الله و عظمته من ان يقطها أحد و وجه تخصيص الرحمن لايخفى من مناسبة المبنى و المعنى و لايبعد ان يقال التقدير بحقوى عرش الرحمن أى بطرفيه أو أطراف ذيله مترددة من جانب الى جانب كما يدل عليه حديث عائشة الآتى الرحم معلقة بالعرش (فقال مه) بفتح ميم و سكون هاء اسم فعل أى اكففى و امتنعى عن هذا الالتجاء فان حاجتك مقضية و الاظهر ان يكون استفهاما و قلبت الالف هاء و يمكن حذف ألف الاستفهام ثم اتيان هاء السكت و المعنى ما يقول و المراد منه الامر باظهار الحاجة ليعلم الاعتناء بها لا الاستعلام فانه يعلم السر و أخفى (قالت هذا) أى مقامى هذا (مقام العائذ) أى المستعيذ بك (من القطيعة) أى قطيعتى و المعنى أن سبب عياذى و باعث لياذى بذيل رحمتك التى وسعت كل شئ أن يقطعنى أحد فيقع فى غضبك و سخطك (قال ألا ترضين) بفتح الضاد أى ألاتحبين (أن أصل من وصلك و أقطع من قطعك قالت بلى يا رب) أى أرضى بذلك فانك الرب تربى من تشاء بما تشاء و تعطى من تشاء ما تشاء (قال فذاك) بكسر الكاف مبتدأ و خبره محذوف أى لك و المعنى أفعل ما قلت من الوصل و القطع قال النووى الرحم التى توصل و تقطع انما هى معنى من المعانى و المعانى لايتأتى منها القيام و لا الكلام فيكون المراد تعظيم شأنها و فضيلة واصلها و عظم اسم قاطعها و لاخلاف ان صلة الرحم واجبة فى الجملة و قطيعتها معصية كبيرة و للصلة درجات بعضها أرفع من بعض و أدناها ترك المهاجرة وصلتها بالكلام و لو بالسلام و يختلف ذلك باختلاف القدرة و الحاجة فمنها واجب و منها مستحب و لو وصل بعض الصلة و لم يصل غايتها و لايسمى قاطعا و لو قصر عما يقدر عليه و ينبغى له أن يفعله لايسمى واصلا ✱(و عنه) أى عن أبى هريرة رضى‌الله عنه (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم الرحم) قال السيوطى أى رحم الاقارب كيف كانوا (شجنة) بكسر الشين المعجمة و يضم و سكون الجيم فنون و فى القاموس انها مثلثة و ضبط فى النهاية بالكسر و الضم و بعض الشراح بالكسر و الفتح و هى فى الاصل عروق الشجر المشتبكة و المراد منها هنا انها مشتقة (من الرحمن) أى من الرحم المشتق من اسم الرحمن فكانها مشتبكة به اشتباك العروق و قيل فى وجه الشجنة ان حروف الرحم موجود فى اسم الرحمن و متداخلة فيه كتداخل العروق لكونهما من أصل واحد و المعنى انها أثر من آثار رحمته مشتبكة بها فالقاطع منها قاطع من رحمة الله و الواصل فيها واصل الى رحمته تعالى كما بينه

فقال الله من وصلک وصلته و من قطعک قطعته رواه البخاری ✱ و عن عائشة قالت قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنی وصله الله و من قطعنی قطعه الله متفق علیه ✱ و عن جبیر بن مطعم قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم لایدخل الجنة قاطع متفق علیه ✱ وعن ابن عمرو قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم لیس الواصل بالمکافئ و لکن الواصل الذی اذا قطعت رحمه وصلها رواه البخاری

صلی‌الله‌علیه‌وسلم بقوله (فقال الله من وصلک) أی أیها الرحم بالصلة (وصلته) أی بالرحمة (و من قطعک قطعته) أی عنها (رواه البخاری) و کذا أبوداود و لکن عن عائشة ✱(و عن عائشة رضی‌الله عنها قالت قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم الرحم معلقة بالعرش) أی مستمسکة بعرش الرحمن متعلقة بذیله مستجیرة من القطیعة مخبرة عن حکم الصلة (تقول) أی بطریق الاخبار بداية . و رواية و حكاية و تلذذا بما سمعت من الله تعالى أو على سبيل الدعاء (من وصلني وصله الله) أى بحسن رعايته و بجميل حمايته (و من قطعني قطعه الله) أى عن عين عنايته و من كمال رحمته و رأفته فالوصل كناية عن الاقبال اليه و القبول منه و القطع عبارة عن الغضب عليه و الاعراض عنه قال النووى اختلفوا فى حد الرحم التى يجب صلتها فقيل فى كل رحم محرم بحيث لو كان أحدهما ذكرا و الآخر أنثى حرمت مناكحتهما فعلى هذا لايدخل أولاد الاعمام و أولاد الاخوال و احتج هذا القائل بتحريم الجمع بين المرأة و عمتها أو خالتها فى النكاح و نحوه و جواز ذلك فى بنات الاعمام و قيل هو عام فى كل رحم من ذوى الأرحام فى الميراث يستوى المحرم و غيره و يدل عليه قوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ثم أدناك ثم أدناك قلت و هذا هو الصحيح لقوله تعالى و أولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله و أما ما قاله القائل الاول فانما هو تعريف ذى رحم محرم لامطلق الرحم و الله أعلم (متفق عليه) و فى الجامع أسنده الى مسلم و الله أعلم ✱(و عن جبير بن مطعم) مر ذكره (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لايدخل الجنة قاطع) أى للرحم أو للطريق و يدل على الاول ايراده فى هذا الباب مع انه يمكن أن يكون باعتبار أحد معنييه قال النووى قدسبق نظائره مما حمل تارة على من يستحل القطيعة بلاسبب و لاشبهة مع علمه بتحريمها و أخرى لايدخلها مع السابقين قلت و أخرى لايدخلها مع الناجين من العذاب (متفق عليه) و رواه أحمد و أبوداود و الترمذى ✱(وعن ابن عمرو) بالواو و فى نسخة بلاواو قال ميرك الصحيح ان راوى هذا الحديث عبدالله بن عمرو بن العاص لا ابن عمر و الله أعلم قلت و كذا أسنده السيوطى فى الجامع الصغير الى ابن عمرو (قال قال رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم ليس الواصل) أى واصل الرحم (بالمكافئ) بكسر فاء فهمز أى المجازى لاقاربه ان صلة فصلة و ان قطعا فقطع و المراد به نفى الكمال (و لكن الواصل) بتشديد النون و فتح اللام و فى نسخة بتخفيف النون و كسرها للالتقاء و رفع اللام أى و لكن الواصل الكامل (الذى اذا قطعت) بصيغة المجهول (رحمه) بالرفع على نيابة الفاعل و يؤيده رواية الجامع اذا انقطعت رحمه و فى نسخة بصيغة الخطاب و نصب رحمه على المفعولية (وصلها) أى قرابته التى تقطع عنه و هذا من باب الحث على مكارم الاخلاق كقوله تعالى ادفع بالتى هى أحسن السيئة و فى آية أخرى و لاتستوى الحسنة و لا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك و بينه عداوة كانه ولى حميم و مايلقاها الا الذين صبروا و ما يلقاها الا ذو حظ عظيم و منه قوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم على ما رواه البخارى عن على صل من قطعك و أحسن الى من أساء اليك و قل الحق و لو على نفسك هذا و قد قال الطيبى

★ و عن أبي هريرة أن رجلا قال يا رسول الله ان لي قرابة أصلهم و يقطعوني و أحسن اليهم و يسيؤن الي و أحلم عنهم و يجهلون على فقال لئن كنت كما قلت فكانما تسفهم المل و لايزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك رواه مسلم

★ (الفصل الثاني) ★ عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايرد القدر الا الدعاء و لايزيد في العمر

التعريف في الواصل للجنس أي ليس حقيقة الواصل و من يعتد بوصله من يكافئ صاحبه بمثل فعله و نظيره قولك هو ليس بالرجل بل الرجل من يصدر منه المكارم و الفضائل و الرواية في لكن بالتشديد و ان جاز التخفيف (رواه البخاري) و كذا أحمد و أبوداود و الترمذي و ابن حبان ★(و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رجلا قال يا رسول الله ان لي قرابة) أي ذوي قرابة (أصلهم و يقطعوني) بتشديد النون و يخفف و كانه أراد بالوصل المأتي اليهم و بالقطع ضده و لذا قال (و أحسن اليهم) أي بالبر و الوفاء (و يسيؤن الي) أي بالجور و الجفاء (و احلم عنهم) أي بالعفو و التحمل (و يجهلون على) أي بالسب و الغضب و كان لفظة على ساقطة في أصل الطيبي قال قوله و يجهلون متعلقة بمحذوف أي على يعني يغضبون ثم هذا كما قال بعض الشعراء

و ان الذي بيني و بين بني أبي ★ و بين بني عمي لمختلف جدا

اذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم ★ و ان هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

و ان ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم ★ و ان هم هووا غي هويت لهم رشدا

(فقال) أي النبي صلى الله عليه وسلم (لئن كنت كما قلت) أي ان كان مقولك كما قلت أو ان كنت ..ل ما قلت من الاوصاف الجميلة و الاخلاق الجزيلة (فكانما) بالفاء (تسفهم) بضم فكسر فتشديد .. من باب الافعال مأخوذ من السفوف بالفتح يقال سففته بالكسر أسفه و أسففته غيري أي تلقي .. وجوههم (المل) بفتح الميم و تشديد اللام أي الرماد الحار الذي يدفن فيه الخبز لينضج أي يجعل الملة لهم سفوفا يسفونه و المعنى اذا لم يشكروا فان عطاءك اياهم حرام عليهم و نار في بطونهم و قال النوربشتي أي احسانك اليهم اذا كانوا يقابلونه بالاساءة يعود وبالا عليهم حتى كانك في احسانك اليهم مع اساءتهم اياك أطعمتهم النار اه و قيل انك بالاحسان اليهم تخزيهم و تحقرهم في أنفسهم فصاروا كمن سف المل و قيل احسانك اليهم كالمل يحرق أحشاءهم و قيل يجعل وجوههم كلون الرماد هذا و قال الطيبي قوله فكانما في المصابيح و مسلم و كتاب الحميدي و جامع الاصول بالفاء و الظاهر باللام لان اللام في قوله لئن كنت موطئة للقسم و هذه جوابه سد مسد جواب الشرط اللهم الا أن يعكس و يجعل جزاء الشرط سادا مساد جواب القسم و قد ورد في شرح السنة لكانما (و لايزال معك من الله) أي من عنده (ظهير عليهم) أي معين لك عليهم و دافع عنك أذاهم (ما دمت على ذلك) أي ما ذكرت من احسانك و اساءتهم فالجملة عطف على قوله لئن قلت و ان عطفت على فكانما فقوله ما دمت واقع موقع التأكيد و اشعار بأن هذا هو المسلك السديد و ان كان على النفس لشديد (رواه مسلم)

★ (الفصل الثاني) ★ (عن ثوبان) أي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايرد القدر) بفتح الدال و قد يسكن أي القضاء المعلق (الا الدعاء) أي المستجاب المحقق (و لايزيد في العمر) بضمتين و هو الافصح و بضم فسكون أي أيام الحياة

الا البر و ان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه رواه ابن ماجه ✤ و عن عائشة قالت قا
رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم دخلت الجنة فسمعت فيها قراءة فقلت من هذا قالوا حارثة بن النعمان
كذلكم البر كذلكم البر

الفانية التي خلقت لعمارة الحياة الباقية (الا البر) كما روى أن الدنيا مزرعة الآخرة فالدنيا معبر
و الآخرة معبر قال التوربشتي يحتمل أن يكون المراد بالقدر أمر لولا الدعاء لكان مقدرا و با
ما لولا البر لكان قصيرا و هو القضاء المعلق فى اللوح المحفوظ المكشوف لملائكته و بعد
خلص عباده من أنبيائه و أوليائه لا من القضاء المبرم المتعلق به علم الله المعبر عنه بأم الكتاب
فى قوله تعالى يمحو الله ما يشاء و يثبت و عنده أم الكتاب فيكون الدعاء و البر سببين من أسباب
ذلك و هما مقدران أيضا كتقدير حسن الاعمال و سيئها اللذين من أسباب السعادة و الشقاوة
مع انهما مقدران أيضا أو المراد برد القدر تسهيل للامر المقدور عليه حتى يصير كانه قد رد
و المراد بزيادة العمر البركة فيه ففى شرح السنة ذكر أبو حاتم السجستانى فى معنى الحديث ان
دوام المرء على الدعاء يطيب له ورود القضاء فكانما رده و البر يطيب له عيشه فكانما زيد فى عمره
و الذنب يكدر عليه صفاء رزقه اذا فكر فى عاقبة أمره فكانما حرمه (و ان الرجل ليحرم) بصيغة
المفعول و قوله (الرزق) بالنصب على انه مفعول ثان و المعنى ليصير محروما من الرزق (بالذنب)
أي بسبب ارتكابه (يصيبه) أى حال كونه يصيب الذنب و يكتسبه قال المظهر له معنيان أحدهما
أن يراد بالرزق ثواب الآخرة و ثانيهما أن يراد به الرزق الدنيوى من المال و الصحة و العافية
و على هذا اشكال فانا نرى الكفار و الفساق أكثر مالا و صحة من الصلحاء و الجواب ان الحديث
مخصوص بالمسلم يريد الله به أن يرفع درجته فى الآخرة فيعذبه بسبب ذنبه الذى يصيبه فى الدنيا
قلت و هذا أيضا من القضاء المعلق لان الآجال و الآمال و الاخلاق و الارزاق كلها بتقديره
و تيسيره (رواه ابن ماجه) و كذا ابن حبان و الحاكم فى صحيحيهما و البغوى فى شرح السنة ذكره
ميرك و فى الجامع الصغير لايرد القضاء الا الدعاء و لايزيد فى العمر الا البر رواه الترمذى
و الحاكم عن سلمان و فى الحصن لايرد القضاء الا الدعاء و لايزيد فى العمر الا البر رواه الترمذى
و ابن ماجه و ابن حبان و الحاكم فى مستدركه قال ميرك رواه الترمذى و ابن ماجه عن سلمان
و الباقيان عن ثوبان لكن فى روايتهما لايرد القدر كما نقله صاحب السلاح عنهما و فى الترغيب للمنذرى
عن ثوبان كما فى أصل المشكاة وقال رواه ابن‌حبان والحاكم و اللفظ له و قال صحيح الاسناد و الله أعلم
✤(و عن عائشة رضى‌الله عنها قالت قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم دخلت الجنة) أى فى عالم المنام
لماسيأتى(فسمعت فيها قراءة)أى صوت قراءة يقرؤها أحد أو قراءة قارئ على أن التنوين عوض من المضاف
اليه (فقلت من هذا) أى القارئ لها (قالوا حارثة بن النعمان) بضم أوله شهد بدرا واحدا و المشاهد
كلها و كان من فضلاء الصحابة روى أنه قال مررت على رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و معه جبريل
جالس بالمقاعد فسلمت عليه و جزت فلما رجعت و انصرف النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال لى هل رأيت
الذى كان معى قلت نعم قال فانه جبريل و قد رد عليك السلام و كان قد كف بصره هذا و لما
قص عليهم الرؤيا كما ورد فى رواية أخرى عن الزهرى قال نمت فرأيتنى فى الجنة الخ خاطبهم
بقوله (كذلكم البر) جزاؤه أو أريد به المبالغة حيث جعل جزاء البر برا (كذلكم البر) كرره
للتقرير و التوكيد قال الطيبى المشار اليه ما سبق و المخاطبون الصحابة فانه صلى‌الله‌عليه‌وسلم رأى

و كان أبر الناس بأمه رواه فى شرح السنة و البيهقى فى شعب الايمان و فى روايته قال نمت فرأيتنى فى الجنة بدل دخلت الجنة ★ و عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم رضا الرب فى رضا الوالد و سخط الرب فى سخط الوالد رواه الترمذى ★ و عن أبى الدرداء ان رجلا أتاه فقال ان لى امرأة و ان أمى تأمرنى بطلاقها فقال له أبو الدرداء سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول الوالد أوسط أبواب الجنة فان شئت فحافظ على الباب أو ضيع رواه الترمذى و ابن ماجه

هذه الرؤيا و قص على أصحابه فلما بلغ الى قوله حارثة بن النعمان نبههم على سبب نيل تلك الدرجة فقال كذلكم البر أى مثل تلك الدرجة تنال بسبب البر اه و لايبعد أن يكون كذلكم البر من جملة مقول الملائكة و الخطاب له صلى‌الله‌عليه‌وسلم و جمع تعظيما أو أريد هو و أصحابه تغليبا (و كان أبر الناس بأمه) هذا من كلام الراوى و يحتمل أن يكون من كلامه صلى‌الله‌عليه‌وسلم (رواه فى شرح السنة و البيهقى فى شعب الايمان و فى روايته) أى رواية البيهقى (قال نمت فرأيتنى الجنة بدل دخلت الجنة) و قال الجزرى فى التصحيح بعد الرواية الاولى(رواه الحاكم فى صحيحه و قال صحيح على شرط الشيخين و أقره الذهبى و رواه البيهقى فى شعبه و رواه محيى السنة فى شرح السنة من طريقين ★(و عن عبدالله بن عمرو) أى ابن العاص (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم رضا الرب فى رضا الوالد) و كذا حكم الوالدة بل هى أولى (و سخط الرب فى سخط الوالد رواه الترمذى) أى من طريق يعلى بن عطاء عن أبيه عن عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعا و موقوفا قال و الموقوف أصح و أخرجه ابن حبان فى صحيحه مرفوعا و لفظه رضا الله فى رضا الوالد وسخط الله فى سخط الوالد كذا فى التصحيح و فى الجامع الصغير رواه الترمذى و الحاكم عن ابن عمرو و البزار عن ابن عمر و رواه الطبرانى عن ابن عمرو و لفظه رضا الرب فى رضا الوالدين و سخطه فى سخطهما و قال المنذرى فى حديث الاصل رواه الحاكم و قال صحيح الاسناد على شرط مسلم و رواه الطبرانى من حديث أبى هريرة الا أنه قال طاعة الله طاعة الوالد و معصية الله معصية الوالد رواه البزار من حديث ابن عمر أو ابن عمرو و لايحضرنى الآن أيهما و لفظه قال رضا الرب تبارك و تعالى فى رضا الوالدين وسخط الرب تبارك و تعالى فى سخط الوالدين ★(وعن أبى الدرداء) كان حق المؤلف انه يذكر التابعى لتستقيم روايته (ان رجلا أتاه) أى أبا الدرداء (فقال ان لى امرأة و ان أمى تأمرنى بطلاقها فقال له أبو الدرداء سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول الوالد أوسط أبواب الجنة) قال القاضى أى خير الابواب و أعلاها و المعنى ان أحسن ما يتوسل به الى دخول الجنة و يتوصل به الى وصول درجتها العالية مطاوعة الوالد و مراعاة جانبه و قال غيره ان للجنة أبوابا و أحسنها دخولا أوسطها و ان سبب دخول ذلك الباب الاوسط هو محافظة حقوق الوالد اه فالمراد بالوالد الجنس أو اذا كان حكم الوالد هذا فحكم الوالدة أقوى و بالاعتبار أولى (فان شئت فحافظ على الباب) أى داوم على تحصيله (أو ضيع) حصول الباب بترك المحافظة عليه و هذا كلام أبى الدرداء و المعنى فاختر خيرهما (رواه الترمذى و ابن ماجه) و كذا ابن حبان فى صحيحه و أبوداود الطيالسى و الحاكم فى مستدركه و صححه و أقره الذهبى و البيهقى فى شعبه و صححه الترمذى نقله ميرك عن التصحيح و قال المنذرى رواه الترمذى و غيره و اللفظ له و قال ربما قال سفيان ان أمى أو ربما قال أبى قال و هذا حديث صحيح رواه ابن حبان فى صحيحه و لفظه ان رجلا أتى أبا الدرداء فقال ان أبى لم يزل بى حتى زوجنى و انه الآن يأمر بطلاقها قال ما أنا بالذى آمرك أن تعق والدك و لابالذى آمرك أن تطلق امرأتك

★ و عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال قلت يا رسول‌الله من أبر قال أمک قلت ثم من قال أمک قلت ثم من قال أمک قلت ثم من قال أباك ثم الاقرب فالاقرب رواه الترمذی و أبو داود

★ و عن عبدالرحمن بن عوف قال سمعت رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم يقول قال الله تبارك و تعالی أنا الله و أنا الرحمن خلقت الرحم و شققت لها من اسمی فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته رواه أبوداود

غير انک ان شئت حدثتک ما سمعت من رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم سمعته يقول الوالد أوسط أبواب الجنة فحافظ علی ذلک ان شئت أو دع قال فاحسب عطاء قال فطلقها قلت و سيأتی فی الفصل الثالث انه صلی‌الله‌علیه‌وسلم قال لابن عمر طلقها لان عمر كان يكرهها و فی الجامع الصغير الوالد أوسط أبواب الجنة رواه أحمد و الترمذی و ابن ماجه و الحاكم عن أبی الدرداء ★(و عن بهز) بفتح موحدة و سكون هاء فزای (ابن حكيم) أی ابن معاوية بن حيدة القشيری البصری قد اختلف العلماء فيه و قد روی عن أبيه عن جده و لم‌يخرج البخاری و مسلم فی صحيحيهما شيأ و قال ابن‌عدی لم‌أر له حديثا منكرا ذكره المؤلف فی فصل التابعين (عن أبيه) أی حكيم قال المؤلف اعرابی حسن الحديث روی عن أبيه و سمع منه ابنه بهز و الجريری (عن جده) أی جد بهز و هو معاوية بن حيدة لم‌يذكره المؤلف لا فی الصحابة و لا فی التابعين و الظاهر أنه صحابی (قال قلت يارسول‌الله من أبر) بفتح الموحدة و تشديد الراء علی صيغة المتكلم أی من أحسن اليه و من أصله (قال أمک) بالنصب أی بر أمک وصلها أولا (قلت ثم من) أی أبر (قال أمک قلت ثم من قال أمک) و تقدمت حكمة هذا الحكم (قلت ثم من قال أباك ثم الاقرب فالاقرب) أی الی آخر ذوی الارحام (رواه الترمذی و أبوداود) و فی التصحيح أن اللفظ للترمذی و قال حسن و فی بعض النسخ حسن صحيح و رواه أبوداود بلفظ من أبر قال أمک ثم أمک ثم أمک ثم الاقرب فالاقرب و رواه الحاكم و قال صحيح و فی الجامع الصغير أمک ثم أمک ثم أمک ثم أباك ثم الاقرب فالاقرب رواه أحمد و أبوداود و الترمذی و الحاكم عن معاوية بن حيدة و ابن ماجه عن ابی هريرة قلت و تقدم الحديث المتفق عليه فی هذا المعنی أول الباب ★(و عن عبدالرحمن بن عوف رضی‌الله عنه) أحد العشرة المبشرة (قال سمعت رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم يقول قال الله تبارك و تعالی أنا الله) أی المعبود الواجب الوجود و كان هذا توطئة للكلام حيث ذكر العلم الخاص ثم ذكر الوصف المشتق من مادة الرحم فقال (و أنا الرحمن) أی المتصف بهذه الصفة (خلقت الرحم) أی قدرتها أو صورتها مجسدة (و شققت) أی أخرجت و أخذت اسما (لها) أی للرحم (من اسمی) أی الرحمن و فيه ايماء الی أن المناسبة الأسمية واجبة الرعاية فی الجملة و ان كان المعنی علی انها أثر من آثار رحمة الرحمن و يتعين علی المؤمن التخلق باخلاق الله تعالی و التعلق بأسمائه و صفاته ولذا قال (فمن وصلها وصلته) أی الی رحمتی أو محل كرامتی (و من قطعها بتته) بتشديد الفوقية الثانية أی قطعته من رحمتی الخاصة (رواه أبوداود) و كذا الترمذی و كلاهما من رواية أبی سلمة عنه و قال الترمذی حسن صحيح قال المنذری فی تصحيحه له نظر فان أبا سلمة بن عبدالرحمن لم‌يسمع من رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم شيأ قاله ابن معين و غيره نقله ميرك و فی الجامع الصغير بلفظ قال الله تعالی أنا الرحمن أنا خلقت الرحم و شققت لها اسما من اسمی فمن وصلها وصلته و من قطعها قطعته و من بتها بتته فهو للتأكيد و المراد بالبت القطع الكلی و منه طلاق البت و كذا قولهم البتة و الله أعلم رواه أحمد و البخاری فی الادب المفرد و أبوداود و الترمذی و الحاكم عن عبدالرحمن بن عوف

✱ وعن عبدالله بن أبي أوفى قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول لاتنزل الرحمة على قوم فيهم قاطع رحم رواه البيهقي في شعب الايمان ✱ و عن أبي بكرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ما من ذنب أحرى أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي و قطيعة الرحم رواه الترمذي و أبوداود ✱ وعن عبدالله بن عمرو قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لايدخل الجنة منان و لاعاق و لا مدمن خمر رواه النسائي و الدارمي ✱ و عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فان صلة الرحم محبة

و الحاكم أيضا عن أبي هريرة ✱(و عن عبدالله بن أبي أوفى) جهني أنصاري شهد أحدا و ما بعدها (قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول لاتنزل الرحمة) بصيغة الفاعل (على قوم فيهم) و في نسخة فيه و افراده باعتبار لفظ القوم (قاطع رحم) قال التوربشتي يحتمل أنه أراد بالقوم الذين يساعدونه على قطيعة الرحم و لاينكرون عليه و يحتمل أن يراد بالرحمة المطر أي يحبس عنهم المطر بشؤم القاطع (رواه البيهقي في شعب الايمان ✱ و عن أبي بكرة) أي الثقفي (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ما من ذنب) ما نافية و من زائدة للاستغراق (أحرى) أي أحق و أولى (أن يعجل الله) صلة أحرى على تقدير الباء أي بتعجيله سبحانه (لصاحبه) أي لمرتكب الذنب (العقوبة) مفعول يعجل و ظرفه قوله (في الدنيا مع ما يدخر) بتشديد الدال المهملة و كسر الخاء المعجمة أي مع ما يؤجل من العقوبة (له) أي لصاحب الذنب (في الآخرة من البغي) أي من بغي الباغي و هو الظلم أو الخروج على السلطان أو الكبر و من تفصيلية (و قطيعة الرحم) أي و من قطع صلة ذوى الارحام (رواه الترمذي و أبوداود) قال ميرك و قال الترمذي حسن صحيح و رواه الحاكم و قال صحيح الاسناد اه و في الجامع الصغير رواه أحمد و البخاري في الادب المفرد و أبوداود و الترمذي و ابن ماجه و ابن حبان و الحاكم عن أبي بكرة و رواه الطبراني عنه أيضا و لفظه ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من قطيعة الرحم و الخيانة و الكذب و ان أعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم حتى ان أهل البيت ليكونوا فجرة فتنمو أموالهم و يكثر عددهم اذا تواصلوا ✱(و عن عبدالله بن عمرو) بالواو (قال قال رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم لايدخل الجنة منان) قيل هو من المنة أي من يمن على الناس بما يعطيهم و ذلك مذموم قال تعالى لاتبطلوا صدقاتكم بالمن و الاذى و قيل من المن بمعنى القطع قال تعالى و ان لك لاجرا غير ممنون و منه المنية أي قاطع الرحم و قاطع الطريق و الظاهر ان الصيغة للنسبة أي صاحب المن (و لاعاق) أي عاص بأحد والديه (و لا مدمن خمر) أي شاربها من غير توبة و أما ما قيل من أن المعنى من يداوم على شرب الخمر فله مفهوم غير صحيح قال التوربشتي محمل هذا انه لايدخل مع الفائزين أو لايدخل حتى يعاقب بما اجترحه من الاثم بكل واحد من الاعمال الثلاثة قلت لابد من تقييده بالمشيئة لقوله تعالى و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء أي بشفاعة أو بغيرها (رواه النسائي و الدارمي ✱ و عن أبي هريرة رضي‌الله عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم تعلموا من أنسابكم) أي من أسماء آبائكم و أجدادكم و أعمامكم و أخوالكم و سائر أقاربكم (ما) أي قدر ما (تصلون به أرحامكم) و فيه دلالة على أن الصلة تتعلق بذوى الارحام كلها لا بالوالدين فقط كما ذهب اليه البعض على ما سبق و المعنى تعرفوا أقاربكم من ذوى الارحام ليمكنكم صلة الرحم و هي التقرب لديهم و الشفقة عليهم و الاحسان اليهم (فان صلة الرحم محبة) بفتحات

فى الاهل مثراة فى المال منسأة فى الاثر رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب ★ و عن ابن عمر ان رجلا أتى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم فقال يا رسول‌الله انى أصبت ذنبا عظيما فهل لى من توبة قال هل لـك من أم قال لا قال و هل لـك من خالة قال نعم قال فبرها رواه الترمذى ★ و عن أبى أسيد الساعدى قال بينا نحن عند رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذ جاءه رجل من بنى سلمة فقال يا رسول‌الله هل بقى من بر أبوي شئ أبرهما به بعد موتهما قال نعم الصلاة عليهما و الاستغفار لهما و انفاذ عهدهما من بعدهما و صلة الرحم التى لاتوصل الا بهما

و تشديد موحدة مفعلة من الحب مصدر المبنى للمفعول و فى نسخة بكسر الحاء أى مظنة للحب و سبب للود (فى الاهل) أى فى أهل الرحم و فى نسخة بضم الميم ففى القاموس أحبه و هو محبوب على غير قياس و محب قليل و حببته احبه بالكسر شاذ و حببت اليه ككرم صرت حبيبا (مثراة فى المال) أى سبب لكثرة المال و هو خبر ثان و فى النهاية هى مفعلة من الثرى و هو الكثرة (منسأة) بفتح الهمزة مفعلة من النسأ و هو التأخير (فى الاثر) بفتحتين أى الاجل و المعنى انها سبب لتأخير الاجل و موجب لزيادة العمر و قيل باعث دوام و استمرار فى النسل و المعنى أن يمن الصلة يفضى الى ذلـك (رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب) أى من هذا الوجه على ما فى الجامع و رواه الحاكم و قال صحيح ذكره ميرك ★(و عن ابن عمر رضى‌الله تعالى عنهما أن رجلا أتى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم فقال يا رسول‌الله انى أصبت) أى فعلت (ذنبا عظيما) أى قوليا او فعليا (فهل لى من توبة) أى رجعة بطاعة فعلية بعد الندامة القلبية تداركا للمعصية العظيمة (قال هل لـك من أم) أى ألـك أم فمن زائدة (قال لا قال و هل لـك من خالة) يحتمل أن تكون من زائدة أو تبعيضية (قال نعم قال فبرها) بفتح الموحدة و تشديد الراء أمر من بررت فلانا بالـكسر أبره بالفتح أى أحسنت اليه فأنا بار به و بر به و المعنى ان صلة الرحم من جملة الحسنات التى تذهبن السيآت أو تقوم مقامها من الطاعات و هو أحد معنى قوله تعالى الا من تاب و آمن و عمل عملا صالحا فأولئـك يبدل الله سيآتهم حسنات قال المظهر يجوز أنه أراد عظيما عندى لان عصيان‌الله تعالى عظيم و ان كان الذنب صغيرا و يجوز أن يكون ذنبه كان عظيما من الـكبائر و أن هذا النوع من البر يكون مكفرا له و كان مخصوصا بذلـك الرجل علمه النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم من طريق الوحى اه و تبعه ابن الملـك و فيه انه لادلالة على أن الرجل مصر غير تائب من ذلـك الذنب ليكون من خصوصياته (رواه الترمذى ★ و عن أبى أسيد) بالتصغير (الساعدى) قال المؤلف أنصارى شهد المشاهد كلها روى عنه خلق كثير مات سنة ستين و له ثمان و سبعون سنة بعد ان ذهب بصره و هو آخر من مات من البدريين (قال بينا نحن عند رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذ جاءه رجل من بنى سلمة) بكسر اللام بطن من الانصار ليس فى العرب سلمة غيرهم (فقال يا رسول‌الله هل بقى من بر أبوى) أى والدى و فيه تغليب (شئ) أى من البر (أبرهما) بفتح الموحدة أى أصلهما و أحسن اليهما (به) أى بذلـك الشئ من البر الباقى (بعد موتهما قال نعم الصلاة عليهما) أى الدعاء و منه صلاة الجنازة (و الاستغفار) أى طلب المغفرة لهما و هو تخصيص بعد تعميم (و انفاذ عهدهما) أى امضاء وصيتهما (من بعدهما) أى من بعد موتهما و لو من بعد عهدهما (وصلة الرحم) أى و احسان الاقارب (التى لاتوصل الابهما) أى تتعلق بالاب و الام فالموصول صفة كاشفة للرحم قال الطيبى الموصول ليس بصفة للمضاف اليه بل للمضاف أى الصلة الموصوفة فانها خالصة بحقهما

و اكرام صديقهما رواه أبوداود و ابن ماجه ✻ و عن أبي الطفيل قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقسم لحما بالجعرانة اذ أقبلت امرأة حتى دنت الى النبي صلى الله عليه وسلم فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هي فقالوا هي أمه التي أرضعته رواه أبوداود

✻ (الفصل الثالث) ✻ عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر فمالوا الى غار في الجبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فاطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض انظروا أعمالا عملتموها لله صالحة

و رضاهما لا لأمر آخر و نحوه قلت يرجع المعنى الى الاول فتدبر و تأمل و أما اعتبار خلوص النية و تصحيح الطوية فمعتبر في كل قضية غير منحصر في جزئية مع أن ما ذكره مضاف لما نقله عن الامام في الاحياء و أن العباد أمروا بان لايعبدوا الا الله و لايريدوا بطاعتهم غيره و كذلك من يخدم أبويه لاينبغي أن يخدم لطلب منزلة عندهما الا من حيث ان رضا الله في رضا الوالدين و لايجوز له أن يرائي بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فان ذلك معصية في الحال و سيكشف الله عن ريائه فتسقط منزلته من قلبهما أيضا اه فنقله كلام الحجة حجة عليه لا علينا (و اكرام صديقهما رواه أبوداود و ابن ماجه ✻ وعن أبي الطفيل) بالتصغير و هو آخر من مات من الصحابة على وجه الارض (قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقسم لحما بالجعرانة) بكسر جيم فسكون عين و بتخفيف راء و قد يكسر و يشدد الراء على ما في بعض النسخ (اذ أقبلت امرأة) و هي حليمة (حتى دنت) أي قربت (الى النبي صلى الله عليه وسلم فبسط لها رداءه فجلست عليه) اما لعدم التكلف على ما هو دأب العرب أو لوجود أمر هناك قيل فيه اشارة الى وجوب رعاية الحقوق القديمة و لزوم اكرام من له صحبة سابقة (فقلت) أي لبعضهم (من هي فقالوا هذه) و في نسخة هي (أمه التي أرضعته) في المواهب اللدنية أما أمه في الرضاعة فحليمة بنت أبي ذؤيب من هوازن و هي التي أرضعته حتى أكملت رضاعه و جاءته عليه السلام يوم حنين فقام اليها و بسط رداءه لها فجلست عليه و كذا ثويبة جارية أبي لهب أيضا و اختلف في اسلامها كما اختلف في اسلام حليمة و زوجها و الله أعلم و كانت ثويبة تدخل عليه صلى الله عليه وسلم بعد ان تزوج خديجة فكانت تكرمها و أعتقها أبو لهب و كان عليه السلام يبعث اليها من المدينة بكسوة وصلة حتى ماتت بعد فتح خيبر ذكره أبوعمرو (رواه أبوداود)

✻ (الفصل الثالث) ✻ (عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينما) بالميم (ثلاثة نفر) بالاضافة البيانية (يتماشون) بفتح الشين أي يسيرون في طريق (أخذهم المطر) أي جاءهم بكثرة (فمالوا الى غار في الجبل فانحطت) أي نزلت و وقعت (على فم غارهم صخرة) أي حجر كبير من الجبل (فأطبقت) أي الصخرة (عليهم) و أغلقت عليهم باب الغار و غطتهم (فقال بعضهم لبعض انظروا) أي تفكروا و تذكروا (أعمالا عملتموها لله صالحة) صفة أخرى لاعمالا أي خالصة لوجهه لارياء و لاسمعة فيها يدل عليه قوله ابتغاء وجهك فيما بعد كذا قاله الطيبي و قال السيد جمال الدين الاظهر أن يقال صالحة صفة لاعمالا و في العبارة تقديم و تأخير أي انظروا أعمالا صالحة لله فأخرج بالقيد الاول الاعمال الغير الصالحة و بالثاني الغير الصالحة لله و يؤيده ما وقع في رواية للبخاري انظروا أعمالا عملتموها صالحة لله قلت لاشك ان كلا من صالحة و لله صفة لاعمالا سواء أخرت احداهما أو قدمت و انما حمل الطيبي الثانية على انها صفة مؤكدة لان الاعمال التي عملت لله لاتكون الا صالحة لكن قوله يدل عليه قوله ابتغاء وجهك فيما بعد

فادعوا الله بها لعله يفرجها فقال أحدهم اللهم انه كان لى والدان شيخان كبيران ولى صبية صغار كنت أرعى عليهم فاذا رحت عليهم فحلبت بدأت بوالدى أسقيهما قبل ولدى و انه قد نأى بى الشجر فما أتيت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقمت عند رؤسهما اكره أن أوقظهما و أكره أن أبدأ بالصبية قبلهما و الصبية يتضاغون عند قدمى فلم يزل ذلك دأبى و دأبهم حتى طلع الفجر فان كنت تعلم انى فعلت ذلك ابتغاء وجهك

مستدرك لانه فهم من قوله لله نعم كلام السيد له وجه وجيه و تنبيه نبيه لكن على روايته التى ذكرها فانه لايلزم من الاعمال الصالحة أن تكون خالصة لله ولذا قيل الخلق كلهم هلكى الا العالمون و العالمون كلهم هلكى الا العاملون و العاملون كلهم هلكى الا المخلصون و المخلصون على خطر عظيم(فادعوا الله بها) أى بتلك الاعمال الصالحة و بجعلها شفيعة و وسيلة الى اجابة الدعوة (لعله) أى على رجاء انه تعالى أو لكى (يفرجها) بتشديد الراء المكسورة و فى نسخة بفتح أوله و تخفيف الراء أى يزيل الصخرة أو يكشف الكربة ففى القاموس فرج الله الغم يفرجه كشفه كفرجه (فقال أحدهم اللهم انه) أى الشان (كان لى والدان شيخان كبيران ولى صبية) .بكسر فسكون جمع صبى أى ولى أيضا أطفال (صغار كنت أرعى عليهم) قال ابن الملك أى أرعى ماشيتهم قال الجوهرى يقال فلان يرعى على أبيه أى يرعى غنمه اه و التحقيق ما ذكره الطيبى من ان الرعى ضمن معنى الانفاق فعدى بعلى أى أنفق عليهم راعيا الغنيمات و كذا قوله (فاذا رحت عليهم) ضمن معنى رددت أى اذا رددت الماشية من المرعى الى موضع مبيتهم (فحلبت) عطف على رحت و قوله (بدأت بوالدى) جواب اذا و قوله (أسقيهما) بفتح الهمزة و يضم (قبل ولدى) بفتحتين و بضم الواو و يسكن اللام أى أولادى اما حال أو استئناف بيان للعلة (و انه) أى الشان (قد نأى بى الشجر) أى بعد بى طلب المرعى (يوما) و فى نسخة ناء بهمز بعد الالف و هو كرواية ابن ذكوان عن ابن عامر فى قوله تعالى و نأى بجانبه قال النووى و فى بعض نسخ مسلم نأى بجعل الهمزة قبل الالف و به قرأ اكثر القراء السبعة و هما لغتان أى صحيحتان (فما أتيت) أى اليهم لبعد المرعى عنهم (حتى أمسيت) أى دخلت فى المساء جدا (فوجدتهما قد ناما) أى من الضعف أو من غلبة الانتظار و كثرة الابطاء (فحلبت كما كنت أحلب) بضم اللام و يجوز كسره على ما فى القاموس (فجئت) أى اليهما (بالحلاب) بكسر أوله و هو الاناء الذى يحلب فيه قيل و قد يراد بالحلاب هنا اللبن المحلوب ذكره الطيبى فيكون مجازا بذكر المحل و ارادة الحال و الاظهر انه أتى بالحلاب الذى فيه المحلوب استعجالا (فقمت) أى وقفت (على رؤسهما) أى عند رؤسهما كما فى نسخة صحيحة (أكره أن أوقظهما) استئناف بيان أو حال (و أكره) يعنى أيضا (أن أبدأ بالصبية قبلهما) أى مع انهم غير نائمين لاجل الجوع (و الصبية يتضاغون) بفتح الغين المعجمة أى يضجون و يصيحون من الجوع (عند قدمى) بفتح الميم و تشديد الياء و فى نسخة بالكسر و التخفيف و الجملة حالية (فلم يزل ذلك) أى ما ذكر من الوقوف و غيره (دأبى و دأبهم) بالنصب و فى نسخة بالرفع أى عادتى و عادتهم و الضمير للوالدين و الصبية (حتى طلع الفجر) انشق الصبح و ظهر نوره و المعنى انه حينئذ سقيتهما أولا ثم سقيتهم ثانيا تقديما لاحسان الوالدين على المولودين لتعارض صغرهم بكبرهما فان الرجل الكبير يبقى كالطفل الصغير و من لم يصدق بذلك أبلاه الله بما هنالك (فان كنت) أى يا الله (تعلم انى فعلت ذلك ابتغاء وجهك) و الترديد فى ان عمله ذلك هل اعتبر

فافرج لنا فرجة نرى منها السماء ففرج الله لهم حتى يرون السماء قال الثانى اللهم انه كانت لى بنت عم أحبها كاشد ما يحب الرجال النساء فطلبت اليها نفسها فابت حتى آتيها بمائة دينار فسعيت حتى جمعت مائة دينار فلقيتها بها فلما قعدت بين رجليها قالت يا عبدالله اتق الله و لاتفتح الخاتم فقمت عنها اللهم فان كنت تعلم انى فعلت ذلک ابتغاء وجهک فافرج لنا منها ففرج لهم فرجة و قال الآخر اللهم انى كنت استأجرت أجيرا بفرق ارز

عند الله لاخلاص فيه أولا لعدمه (فافرج) بهمز وصل و ضم راء و فى نسخة بهمز قطع و كسر راء قال ميرك بهمزة الوصل و ضم الراء من الفرج و يجوز بهمز القطع و كسر الراء من الافراج أى اكشف لنا (فرجة) بضم الفاء و يفتح (نرى منها السماء ففرج) بتخفيف الراء و يكسر أى كشف (الله لهم حتى يرون السماء) باثبات النون كما فى بعض نسخ شرح السنة ليكون حكاية حال ماضية كقولک شربت الابل حتى يخرج بطنه و فى بعضها باسقاطه و حينئذ يضم الواو وصلا للالتقاء (قال الثانى اللهم انه) أى الشان (كانت لى بنت عم أحبها) قال الطيبى ذكر ضمير الشان و المذكور فى التفسير مؤنث و هذا يدل على جواز ذلک اه و قال العسقلانى وقع فى كلام الاول اللهم انه و الثانى اللهم انها والثالث اللهم انى و هو من التفنن و انه فى الاول ضمير الشان و فى الثانى للقصة و ناسب ذلک أن القصة فى امرأة اه فهذا الكلام يدل على أن رواية البخارى وقعت انها فى كلام الثانى خلاف المشكاة ذكره ميرك و الظاهر أن عبارة المشكاة مأخوذة من مسلم لفظا و يكون قوله متفق عليه معنى (كاشد ما يحب الرجال النساء) أى حبا شديدا نحو قوله تعالى يحبونهم كحب الله و الذين آمنوا أشد حبا لله قال الطيبى صفة مصدر محذوف و ما مصدرية أى أحبها حبا مثل أشد حب الرجال النساء أو حالا أى أحبها مشابها حبى أشد حب الرجال النساء و نظيره قوله تعالى يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية فان قوله تعالى أشد خشية حال على تقدير مشبهين أشد خشية من أهل خشية الله (فطلبت اليها نفسها) فيه تضمين معنى الارسال أى أرسلت اليها طالبا نفسها (فأبت حتى آتيها) بالنصب و فى نسخة بالسكون على حكاية الحال الماضية أى أجيئها (بمائة دينار فسعيت حتى جمعت مائة دينار فلقيتها) أى أتيتها (بها فلما قعدت بين رجليها قالت ياعبدالله) يحتمل الاسمية والوصفية (اتق الله) أى عذابه أو مخالفته (و لاتفتح الخاتم) بفتح التاء و هو كناية عن البكارة (فقمت عنها) أى معرضا عن تعرضها (اللهم) فيه زيادة تضرع (فان كنت) قال الطيبى عطف على مقدر أى اللهم فعلت ذلک فان كنت (تعلم انى فعلت) و يجوز أن يكون اللهم مقحمة بين المعطوف و المعطوف عليه لتأكيد الابتهال و التضرع الى الله تعالى فلايقدر معطوف عليه و هو الوجه و يدل عليه القرينة السابقة و اللاحقة و انما كرر اللهم فى هذه القرينة دون أختيها لان هذا المقام أصعب المقامات و أشقها فانه ردع لهوى النفس فرقا من الله تعالى و مقامه قال تعالى و أما من خاف مقام ربه و نهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى قال الشيخ أبو حامد شهوة الفرج أغلب الشهوات على الانسان و أصعبها عند الهيجان على العقل فمن ترك الزنا خوفا من الله تعالى مع القدرة و ارتفاع الموانع و تيسر الاسباب لاسيما عند صدق الشهوة حاز درجة الصديقين قوله (ذلک) أى ما ذكر (ابتغاء وجهک فافرج لنا) أى زيادة (فرجة منها) أى من هذه الكربة أو الصخرة و يمكن أن تكون من للتبعيض أى بعض الفرجة (ففرج) أى الله (لهم فرجة) أى أخرى (و قال الآخر) بفتح الخاء و فى نسخة بكسرها و مآلهما واحد و الثانى أدل على المقصود (اللهم انى كنت استأجرت أجيرا بفرق ارز) بفتح همز

فلما قضى عمله قال اعطنى حقى فعرضت عليه حقه فتركه و رغب عنه فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرا و راعيها فجاءنى فقال اتق الله و لاتظلمنى و اعطنى حقى فقلت اذهب الى ذلك البقر و راعيها فقال اتق الله و لاتهزأ بى فقلت انى لا أهزأ بك فخذ ذلك البقر و راعيها فاخذه فانطلق بها فان كنت تعلم انى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج ما بقى ففرج الله عنهم .

و ضم راء و تشديد زاى و فى القاموس الارز كاشد و عتل و قفل و طنب و رز و رنز و آرز كسكابل و ارز كعضد اه ففيه لغات بعدد أوله و آخره و الفرق بكسر الراء و يسكن قال الطيبى الفرق بفتح الراء مكيال يسع ستة عشر رطلا و فى القاموس الفرق مكيال بالمدينة يسع ثلاثة آصع و يحرك أو هو أفصح أو يسع ستة عشر رطلا أو أربعة أرباع و فى النهاية الفرق بالتحريك مكيال يسع ستة عشر رطلا و بالسكون مائة و عشرون رطلا ثم قيل و فى رواية بفرق ذرة فيجمع بان الفرق كان من صنفين (فلما قضى عمله) أى عمل عمله و انتهى أجله (قال اعطنى حقى فعرضت عليه حقه فتركه و رغب عنه) أى أعرض عن أخذه لمانع أو باعث (فلم أزل أزرعه) أى الارز (حتى جمعت منه) أى من ذلك الارز أو من زرعه (بقرا و راعيها) أى قيمتهما فاشتريتهما و هذا يدل على جواز تصرف الفضولى فى مال الغير على وجه النصيحة و طريق الامانة و ارادة الشفقة حيث استحسن ذلك منه صلى‌الله‌عليه‌وسلم فهو فى حكم التقرير لايقال لعل هذا شرع من قبلنا فانه قد ورد نظيره فى زمانه صلى‌الله‌عليه‌وسلم حيث دفع قيمة كبش لبعض أصحابه فاشتراه بها فباعه بضعف ثمنه و اشترى كبشا آخر و أتى به مع قيمته فدعا له صلى‌الله‌عليه‌وسلم بالبركة (فجاءنى فقال اتق الله و لاتظلمنى و أعطنى حقى) ظاهر كلامه عنف لكن باطنه حق و لطف (فقلت اذهب الى ذلك البقر و راعيها) قال الطيبى ذلك اشارة الى البقر باعتبار السواد المرئى كما يقال ذلك الانسان أو الشخص فعل كذا و أنث الضمير الراجع الى البقر باعتبار الجنس (فقال اتق الله و لاتهزأ بى) بالباء و فى نسخة بالنون و لعله توهم انه حصل له من كلامه لاتظلمنى جزع مع ايهام قوله اذهب الى ذلك (فقلت انى لا أهزأ بك فخذ ذلك البقر و راعيها فأخذه) أى مجموع ما ذكر و فى نسخة فاخذها أى كلها (فانطلق) قال ميرك عند قوله حتى جمعت بقرا و راعيها وقع فى رواية الصحيح فثمرت أجره حتى كثرت منه الاموال و فيها فقلت له كل ما ترى من الابل و البقر و الغنم و الرقيق من أجرك و فيها فاستاقه فلم يترك شيأ فدلت هذه الرواية على ان قوله فى الرواية المذكورة فى المشكاة جمعت بقرا انه لم يرد جمع البقر فقط و انما كان الاكثر الاغلب فلذلك اقتصر عليه و وقع فى بعض الروايات انه دفع اليه عشرة آلاف درهم و هو محمول على انها كانت قيمة الاشياء المذكورة قلت و لابدع أن الدراهم من زوائد الفوائد منضمة اليها فان البركة توافى (فان كنت تعلم انى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج ما بقى) أى من اطباق الباب (ففرج الله عنهم) فان قلت رؤية الاعمال نقصان عند أهل الكمال فما بال هذه الاحوال قلت فكانهم توسلوا بما وقع له تعالى معهم من توفيق العمل الصالح المقرون بالاخلاص على أنه ينجيهم من مضيق الهلاك الى فضاء الخلاص فكانهم قالوا كما أنعمت علينا بمعروفك أولا فاتم علينا فضلك ثانيا فانا لانستغنى عن كرمك أبدا قال النووى استدل أصحابنا بهذا على أنه يستحب للانسان أن يدعو فى حال كربه و فى الاستسقاء و غيره و يتوسل بصالح عمله الى الله تعالى فان هؤلاء فعلوه و استجيب لهم و ذكره النبى صلى‌الله عليه‌وسلم فى معرض الثناء عليهم و جميل فضائلهم و فيه فضل بر الوالدين و ايثارهما على من

متفق عليه ★ وعن معاوية بن جاهمة ان جاهمة جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أردت ان اغزو و قد جئت استشيرك فقال هل لك من ام قال نعم قال فالزمها فان الجنة عند رجلها رواه احمد والنسائى والبيهقى فى شعب الايمان ★ وعن ابن عمر قال كانت تحتى امرأة أحبها وكان عمر يكرهها فقال لى طلقها فابيت فاتى عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم

سواهما من الاهل و الولد و فيه فضل العفاف و الانكفاف عن المحرمات لاسيما بعد القدرة عليها و فيه اثبات كرامات الأولياء و هو مذهب أهل الحق قلت لاخلاف فى جواز استجابة الدعاء للولى و غيره ماعدا الكافر فان فيه خلافا لكنه ضعيف لاستجابة دعاء ابليس و الاستدلال بقوله تعالى و ما دعاء الكافرين الا فى ضلال غير صحيح لانه ورد فى دعاء الكفار فى النار بخلاف الدنيا فانه ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال اتق دعوة المظلوم و ان كان كافرا فانه ليس دونه حجاب على ما رواه أحمد و غيره عن أنس فمثل هذا لايعد من كرامات الاولياء لان الكرامة من أنواع خوارق العادة قال و تمسك به أصحاب أبي حنيفة و غيرهم ممن يجوز بيع الانسان مال غيره و التصرف فيه بغير اذنه اذا اجازه المالك بعد ذلك و أجاب أصحابنا بان هذا اخبار عن شرع من قبلنا و فى كونه شرعا لنا خلاف فان قلنا انا متعبدون به فهو محمول على انه استأجره فى الذمة و لم يسلم اليه بل عرضه عليه فلم يقبضه فلم يتعين و لم يصر بملكه فالمستأجر قد تصرف فى ملك نفسه ثم تبرع بما اجتمع منه من البقر و الغنم و غيرهما قلت و فيه ان قوله استأجره فى الذمة غير صحيح لما فى الحديث التصريح بخلافه حيث قال استأجرت أجيرا بفرق أرز و لابد من تعيينه و الا فالاجارة المجهولة غير صحيحة عندهم و كذا يرد عليه قوله فعرضت عليه حقه لانه لو فرض انه فى الذمة من غير تعيين لايسمى حقه فالحق أحق أن يتبع و لايوصل تقليد و يفرع (متفق عليه ★ و عن معاوية بن جاهمة) بجيم ثم هاء مكسورة سلمى عداده فى الحجازيين روى عن أبيه و عنه طلحة بن عبيد الله كذا ذكره المؤلف فى فصل الصحابة و لم يذكر أباه ((أن جاهمة) قيل هو ابن العباس بن مرداس السلمى (جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أردت أن أغزو و قد جئت أستشيرك فقال هل لك من أم قال نعم قال فالزمها) أى التزم خدمتها و مراعاة أمرها (فان الجنة) أى و ان ورد انها تحت ظلال السيوف على ما رواه الحاكم عن أبى موسى فهى حاصلة (عند رجلها) لكونها سببا لحصولها على ما ورد من رواية الخطيب فى الجامع عن أنس أيضا الجنة تحت أقدام الامهات قال الطيبى قوله عند رجلها كناية عن غاية الخضوع و نهاية التذلل كما فى قوله تعالى و اخفض لهما جناح الذل من الرحمة و لعله صلى الله عليه وسلم عرف من حاله و حال أمه حيث ألزمه خدمتها و لزومها ان ذلك أولى به (رواه أحمد و النسائى و البيهقى فى شعب الايمان) قال المنذرى رواه ابن ماجه و النسائى و اللفظ له و الحاكم و قال صحيح الاسناد و رواه الطبرانى باسناد جيد و لفظه قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم أستشيره فى الجهاد فقال النبى صلى الله عليه وسلم ألك والدان قلت نعم قال الزمهما فان الجنة تحت أرجلهما اه و لعل الاقتصار فى الرواية الاولى للاشعار بان خدمة الوالدة هى الاولى و لهذا اقتصر فى حديث آخر على الام حيث قال الجنة تحت أقدام الامهات مع ان خدمة الوالد أيضا سبب لدخول الجنة بلامرية و سيأتى فى الحديث هما جنتك و نارك ★ (و عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كانت تحتى امرأة أحبها و كان عمر يكرهها فقال لى طلقها فابيت) أى امتنعت لاجل محبتى فيها (فاتى عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم

طلقها رواه الترمذى و أبوداود ✱ و عن أبى امامة أن رجلا قال يا رسول‌الله ما حق الوالدين على ولدهما قال هما جنتك و نارك رواه ابن ماجه ✱ و عن أنس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان العبد ليموت والداه أو أحدهما و انه لهما لعاق فلايزال يدعو لهما و يستغفر لهما حتى يكتبه الله بارا ✱ و عن ابن عباس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من أصبح مطيعا لله فى والديه أصبح له بابان مفتوحان من الجنة و ان كان واحدا فواحدا و من أصبح عاصيا لله فى والديه أصبح له بابان مفتوحان من النار ان كان واحدا فواحدا قال رجل و ان ظلماه قال و ان ظلماه و ان ظلماه و ان ظلماه ✱ و عنه أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ما من ولد بار ينظر

طلقها) أمر ندب أو وجوب ان كان هناك باعث آخر (رواه الترمذى و أبوداود) و كذا النسائى و ابن ماجه و ابن حبان فى صحيحه و قال الترمذى حديث صحيح نقله ميرك عن المنذرى ✱(و عن أبى امامة) أى الباهلى رضى‌الله تعالى عنه (أن رجلا قال يا رسول‌الله ما حق الوالدين على ولدهما قال هما جنتك و نارك) أى أسبابهما و المعنى ان حقهما رضاهما الموجب لدخول الجنة و ترك عقوقهما المقتضى لدخول النار و لاينحصر فى حق دون حق على ما يفهم من السؤال فالجواب له مطابقة مع المبالغة قال الطيبى الجواب من أسلوب الحكيم أى حقهما البر و الاحسان اليهما و ترك العقوق الموجبان لدخول الجنة وعدا و ترك الاحسان و العقوق الموجبان لدخول النار وعيدا فاوجز كما ترى و قوله جنتك و نارك على الخطاب العام لان سؤاله عام فيدخل فيه السائل دخولا أوليا (رواه ابن ماجه ✱ و عن أنس رضى‌الله عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان العبد ليموت والداه أو أحدهما و انه لهما) أى لاجلهما الصادق لهما أو لاحدهما (لعاق) اللام فيه للتأكيد و لهما متعلق بعاق قدم عليه للاختصاص (فلايزال) أى العاق فى حياتهما التائب بعد موتهما (يدعو لهما) أى بالرحمة و نحوها (و يستغفر لهما) أى لذنوبهما (حتى يكتبه الله) أى فى ديوان عمله بامر الحفظة (بارا) فان الحسنات يذهبن السيآت و التائب من الذنب كمن لاذنب له و انما قيدنا بالتوبة فان العقوق من حقوق الله أيضا فلابد منها حتى يصير بارا ✱(و عن ابن عباس رضى‌الله عنهما قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من أصبح مطيعا لله فى والديه) أى فى حقهما و فيه ان طاعة الوالدين لم تكن طاعة مستقلة بل هى طاعة الله التى بلغت توصيتها من الله تعالى بحسب طاعتهما لطاعته و كذلك العصيان و الاذى و هو من باب قوله تعالى ان الذين يؤذون الله و رسوله ذكره الطيبى قلت و يؤيده و انه ورد لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق بل من أطاعهما و لم‌ينو رضا الله تعالى لايكون بارا و فى نسخة والده و كانه أراد به الجنس مع قطع النظر عن وصف الذكورة و الانوثة و قيل انه من صيغ النسب كتامر و لابن فيشمل الاب و الام قلت و مع هذا لابد أن يراد به الجنس ليستقيم قوله (أصبح له بابان مفتوحان من الجنة) يجوز أن يكون صفة أخرى لقوله بابان و أن يكون حالا من الضمير فى مفتوحان ذكره الطيبى (و ان كان) و فى نسخة فان كان أى الوالد المطاع (واحدا فواحدا) أى فكان الباب المفتوح واحدا الى هنا رواه ابن عساكر عن ابن عباس (و من اصبح عاصيا لله تعالى فى والديه أصبح له بابان مفتوحان من النار و ان كان واحدا فواحدا قال رجل و ان ظلماه) قال الطيبى يراد بالظلم ما يتعلق بالامور الدنيوية لا الاخروية (قال و ان ظلماه و ان ظلماه و ان ظلماه) ثلاث مرات للتأكيد و المبالغة ✱(و عنه) أى عن ابن عباس رضى‌الله عنه (أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ما من ولد بار ينظر

الى والديه نظرة رحمة الا كتب الله له بكل نظرة حجة مبرورة قالوا و ان نظر كل يوم مائة مرة قال نعم الله أكبر و أطيب ★ و عن أبى بكرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم كل الذنوب يغفر الله منها ما شاء الا عقوق الوالدين فانه يعجل لصاحبه فى الحياة قبل الممات ★ و عن سعيد ابن العاص قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم حق كبير الاخوة على صغيرهم حق الوالد على ولده روى البيهقى الاحاديث الخمسة فى شعب الايمان

الى والديه) أى او أحدهما (نظر رحمة) أى محبة و شفقة (الا كتب الله له بكل نظرة حجة مبرورة) أى ثواب حجة نافلة مقبولة (قالوا و ان نظر كل يوم مائة مرة) أى أيكون كذلك (قال نعم الله أكبر) أى أعظم مما يتصور و خيره أكثر مما يحصى و يحصر (و أطيب) أى أطهر من أن ينسب الى قصور فى قدرته و نقصان فى مشيئته و ارادته قال الطيبى رد لاستبعاده من أن يعطى الرجل بسبب النظرة حجة و ان نظر مائة مرة يعنى الله أكبر مما فى اعتقادك من انه لايكتب له تلك الاعداد الكثيرة و لايثاب عليه ما هو أطيب اه و فيه ان قوله أطيب صفة لله لا للثواب و الله أعلم بالصواب ★(و عن أبى بكرة) بالهاء رضى‌الله عنه (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم كل الذنوب) أى جميع أنواع المعاصى ماعدا الشرك (يغفر الله منها) أى من جملتها (ما شاء) فمن تبعيضية و الاظهر انها مبينة مقدمة (الا عقوق الوالدين فانه) أى اليه (؟) (يعجل) أى الله (لصاحبه) أى لمرتكب العقوق جزاء ذنبه (فى الحياة قبل الممات) أى فلايؤخر الى يوم القيامة و اللام عوض عن المضاف اليه أى فى حياة العاق قبل مماته و يمكن أن يكون التقدير فى حياة الوالدين قبل مماتهما ثم يحتمل أن يكون فى معناهما سائر حقوق العباد و لان مثل هذا الوعيد أيضا ورد فى حق أهل الظلم و البغى بغير الحق هذا و قال الطيبى ان من تبعيضية منصوبة المحل مفعول يغفر مجازا و ما شاء بدل منه و يجوز ان يتعلق بيغفر و تكون ابتدائية و ما شاء مفعول و معنى الشمول فى الكل الاستغراق يعنى كل فرد فرد من أفراد الذنوب مغفور اذا تعلقت مشيئة الله تعالى به الا عقوق الوالدين و هذا وارد على سبيل التغليظ و التشديد و مفعول يعجل محذوف أى العقوبة يدل عليه سياق الكلام اه و تبعه ابن الملك لكن فى عبارتهما خطأ فاحش اذ مفهومه ان مغفرة عقوق الوالدين مستثنى و لو تعلقت بها مشيئة الله تعالى و ليس كذلك فايراد ما شاء فى الحديث انما هو لاخراج الشرك فقط قال تعالى ان الله لايغفر ان يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء فالصواب ان معناه كل فرد من أفراد الذنوب التى قد يتعلق به مشيئة الله تعالى مغفور الا عقوق الوالدين فان الغالب أن لايتعلق به مشيئة المغفرة و فى هذا أوفى زجر و تهديد و لايصح ان يقال التقدير الا عقوقهما فانه لايتعلق به المشيئة مطلقا و حينئذ يكون واردا على سبيل الوعيد و التشديد لان كلامه صلى‌الله‌عليه‌وسلم لايحمل على ما يكون ظاهره مناقضا لكلامه سبحانه و قد أخبر بان مشيئته تتعلق بما عدا الشرك ★(و عن سعيد بن العاص) هو أخو عمرو بن العاص ولد عام الهجرة و كان أحد أشراف قريش و هو أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان و استعمله عثمان على الكوفة و غزا بالناس طبرستان فافتتحها و مات سنة تسع و خمسين ذكره المؤلف فى فصل الصحابة (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم حق كبير الاخوة على صغيرهم حق الوالد على ولده) أى كحقه عليهم فهو من التشبيه البليغ مبالغة (روى البيهقى الاحاديث الخمسة فى شعب الايمان) و لفظ الجامع كحق الوالد على ولده و الله أعلم

★ (باب الشفقه و الرحمة على الخلق) ★

★ (الفصل الاول) ★ عن جرير بن عبدالله قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم لایرحم الله من لایرحم الناس متفق علیه ★ و عن عائشة قالت جاء اعرابی الی رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم فقال أتقبلون الصبیان فما نقبلهم فقال النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم أو أملک لک ان نزع الله من قلبک الرحمة متفق علیه ★ و عنها قالت جاءتنی امرأة و معها ابنتان لها تسألنی فلم‌تجد عندی غیر تمرة واحدة فاعطیتها أیاها فقسمتها بین ابنتیها و لم‌تأکل منها

★ (باب الشفقة و الرحمة على الخلق) ★

الشفقة الاسم من الاشفاق و هو الخوف و الشفقة عناية مختلطة بخوف لان المشفق يحب المشفق عليه و يخاف ما يلحقه من المشقة الدنيوية و الاخروية و فى القاموس أشفق أى حاذر

★ (الفصل الاول) ★ (عن جرير بن عبدالله) أى البجلى (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لايرحم الله من لايرحم الناس) أى من لايتعطف عليهم و لايرأف بهم و الظاهر انه اخبار و يحتمل أن يكون دعاء و المعنى أنه لايكون من الفائزين بالرحمة الكاملة و السابقين الى دار الرحمة و الا فرحمته وسعت كل شئ قال الطيبى الرحمة الثانية محمولة على الحقيقة و الاولى على المجاز لان الرحمة من الخلق التعطف و الرقة وهو لايجوز على الله و الرحمة من الله الرضا عمن رحمه لان من رق له القلب فقد رضى عنه أو الانعام و ارادة الخير لان الملك اذا عطف على رعيته و رق لهم أصابهم بمعروفه و انعامه (متفق عليه) و رواه أحمد و الشيخان و أبوداود و الترمذى عن أبى هريرة و الشيخان عن جرير أيضا بلفظ من لايرحم لايرحم و فى رواية لاحمد و الشيخين و الترمذى عن جرير و لاحمد و الترمذى أيضا عن أبى سعيد بلفظ من لايرحم الناس لايرحمه الله و فى رواية للطبرانى عن جرير من لايرحم من فى الارض لايرحمه من فى السماء و فى أخرى له عنه أيضا من لايرحم لايرحم و من لايغفر لايغفر له و من لايتب لايتب عليه كذا فى الجامع الصغير و لم‌يذكر فيه لفظ المشكاة و الله أعلم ★ (و عن عائشة رضى‌الله عنها قالت جاء اعرابى الى رسول الله) و فى نسخة الى النبى (صلى‌الله عليه‌وسلم فقال أتقبلون الصبيان) أى الصغار والهمزة للانكار (فما نقبلهم) أى ان كنتم تقبلونهم فما نقبلهم و هو أما للاستكبار أو للاستحقار قال الطيبى الفاء استبعادية أى أتفعلون ذلك و هو مستبعد عندنا قلت الظاهر ان الاستبعاد مفهوم من الاستفهام لا من الفاء لانه غير معروف فى معانيها (فقال النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم أو أملك لك) بفتح الهمزة الاستفهامية الانكارية و واو العاطفة أو الرابطة (أن نزع الله من قلبك الرحمة) بفتح همزة أن فان مع الفعل مصدر وقع موقع الظرف و فى نسخة بكسرها فان شرطية دل على جزائها ما قبلها قال الاشرف يروى ان بفتح الهمزة فهى مصدرية و يقدر مضاف أى لاأملك لك دفع نزع الله من قلبك الرحمة أو لاأملك لك أن أضع فى قلبك ما نزعه الله منه من الرحمة و يروى بكسرها فتكون شرطية و الجزاء محذوف من جنس ما قبله أى ان نزع الله من قلبك الرحمة لاأملك لك دفعه و منعه (متفق عليه ★ و عنها) أى عن عائشة رضى‌الله عنها (قالت جاءتنى امرأة و معها ابنتان لها تسألنى) أى عطية (فلم‌تجد عندى غير تمرة واحدة فاعطيتها اياها) أى التمرة و لم‌تستحقرها لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره و لقوله عليه السلام اتقوا النار و لو بشق تمرة (فقسمتها بين ابنتيها و لم‌تأكل منها) أى مع جوعها

ثم قامت فخرجت فدخل النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم فحدثته فقال من ابتلى من هذه البنات بشئ فاحسن اليهن كن له سترا من النار متفق عليه ★ و عن أنس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا و هو كذلك و ضم أصابعه رواه مسلم ★ و عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم الساعى على الارملة و المسكين كالساعى فى سبيل الله

اذيستبعد أن تكون شبعانة مع جوع ابنتيها (ثم قامت فخرجت فدخل النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم فحدثته) أى بما جرى (فقال من ابتلى) بصيغة المجهول أى امتحن لان الناس يكرهونهن غالبا (من هذه البنات بشئ) متعلق بابتلى و من بيانية مع مجرورها حال من شئ و الاشارة الى الجنس و قال شارح للمصابيح قوله من بلى من البلاء من هذه البنات شيأ أى بشئ و فى كتاب مسلم من ابتلى من هذه البنات بشئ و هو الصواب و روى لفظ المصابيح يلى من الولاية لمكان شيأ و ليس بشئ و قال التوربشتى قوله من ابتلى من هذه البنات بشئ هذه الرواية هى الصواب و الرواية التى اختارها صاحب المصابيح يتخبط الناس فيها لمكان قوله شيأ و روى يلى بالياء من الولاية و ليس بشئ و الصواب فيه من بلى من هذه البنات بشئ اه و حاصل كلامه ان الرواية الثانية أما ابتلى كما فى المشكاة و أما بلى كما فى المصابيح و ان الصواب فيهما بشئ و ان شيأ بالنصب خطأ و كذا يلى من الولاية بل هو تصحيف و تحريف و الله أعلم قال الطيبى الرواية فى البخارى و الحميدى و البيهقى و شرح السنة من ابتلى من هذه البنات بشئ و لم نقف على ما فى المصابيح و هو من بلى من هذه البنات شيأ فى الاصول اه (فاحسن اليهن) قيل بتزويجهن الاكفاء و الاحسن أن يعم الاحسان (كن له) أى للمبتلى (سترا) بكسر أوله أى حجابا دافعا (من النار) أى دخولها و لعل وجه تخصيصهن ان احتياجهن الى الاحسان يكون أكثر من الصبيان فمن سترهن بالاحسان عن لحوق العار يجازى بالستر عن النار جزاء وفاقا و اختلف فى المراد بالابتلاء هل هو نفس وجودهن أو الابتلاء بما صدر منهن أو الانفاق عليهن و كذا اختلف فى المراد بالاحسان هل يقتصر على قدر الواجب أو ما زاد عليه و الظاهر الثانى ثم شرط الاحسان أن يوافق الشرع و الظاهر ان الثواب المذكور انما يحصل لفاعله إذا استمر عليه الى أن يحصل استغناؤهن عنه بزوج أو غيره (متفق عليه) و رواه أحمد و الترمذى بلفظ المشكاة على ما فى الجامع الصغير ★ (و عن أنس رضى‌الله عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من عال جاريتين) أى أنفق عليهما و قام بمؤنتهما (حتى تبلغا) أى تدركا البلوغ أو تصلا الى زوجهما (جاء يوم القيامة أنا و هو كذلك) جملة حالية بغير واو أى جاء مصاحبا لى (و ضم أصابعه) أى أصبعيه (رواه مسلم) و فى الجامع الصغير بلفظ من عال جاريتين حتى تدركا دخلت أنا و هو الجنة كهاتين رواه مسلم و الترمذى عن أنس و روى أبوداود بسند حسن عن أبى سعيد و لفظه من عال ثلاث بنات فأدبهن و زوجهن و أحسن اليهن فله الجنة ★ (و عن أبى هريرة رضى‌الله عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم الساعى على الارملة) بفتح الميم التى لا زوج لها قيل سواء كانت غنية أو فقيرة و فيه بعد و ان كان ظاهر اطلاق الحديث يعمهما (و المسكين) و فى معناه الفقير بل بالاولى عند بعضهم (كالساعى فى سبيل الله) أى ثواب القائم بأمرهما و اصلاح شأنهما و الانفاق عليهما كثواب الغازى فى جهاده فان المال شقيق الروح و فى بذله مخالفة النفس و مطالبة رضا الرب قال النووى المراد بالساعى الكاسب لهما العامل لمؤنتهما و الارملة من لا زوج لها سواء تزوجت قبل

و أحسبه قال كالقائم لايفتر و كالصائم لايفطر متفق عليه ★ و عن سهل بن سعد قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أنا و كافل اليتيم له و لغيره فى الجنة هكذا و أشار بالسبابة و الوسطى و فرج بينهما شيأ رواه البخارى

ذلك أم لا و قيل التى فارقها زوجها قال ابن قتيبة سميت ارملة لما يحصل لها من الارمال و هو الفقر و ذهاب الزاد بفقد الزوج يقال أرمل الرجل اذا فنى زاده قلت و هذا مأخذ لطيف فى اخراج الغنية من عموم الارملة قال الطيبى و انما كان معنى الساعى على الارملة ما قاله النووى لانه صلى‌الله‌عليه‌وسلم عداه بعلى مضمنا فيه معنى الانفاق (و أحسبه) بكسر السين و فتحها أى أظنه (قال كالقائم) قيل قائله عبد الله بن سلمة القعنبى شيخ البخارى و مسلم الراوى عن مالك كما صرح به فى البخارى و معناه أظن ان مالكا قال كالقائم و ظاهر المشكاة ان قائله أبو هريرة فالتقدير أحسب النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال أيضا كالقائم أو وقع له الشك فى التشبيه الاول و الثانى و يؤيده ما فى الجامع الصغير برواية أحمد و الشيخين و الترمذى و النسائى و ابن ماجه بلفظ الساعى على الارملة و المسكين كالمجاهد فى سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار على انه يمكن أن تكون أو بمعنى بل و الله أعلم فقوله كالقائم أى بالليل للعبادة (لايفتر) من الفتور و هو الملل و الكسل و هو من باب نصر كما فى المفاتيح و من باب ضرب أيضا على ما فى القاموس و أكثر النسخ على الاول فهو المعول و المعنى لايضعف عن العبادة (و كالصائم لايفطر) أى فى نهاره بل يصوم الدهر كله قال الاشرف الالف و اللام فى كالقائم و الصائم غير معرفين و لذلك وصف كل واحد بجملة فعلية بعده كقول الشاعر ★ ولقد أمر على اللئيم يسبنى ★ و قال الطيبى هما عبارتان عن الصوم بالنهار و القيام بالليل كقولهم نهاره صائم و ليله قائم يريدون الديمومة (متفق عليه) و تقدم رواية غيرهما ★ (و عن سهل بن سعد) أى الساعدى رضى‌الله عنه (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أنا و كافل اليتيم) أى الذى مات أبوه و هو صغير يستوى فيه المذكر و المؤنث أى مربيه (له) أى كائنا لذلك الكافل كولد ولده و ان سفل أو ابن أخيه و نحوه (و لغيره) الواو بمعنى أو أى أو كائنا لغيره فيكون اجنبيا منه (فى الجنة) خبر أنا و معطوفه (هكذا) اشارة الى كمال القرب (و أشار بالسبابة) أى المسبحة (و الوسطى و فرج) بالتشديد أى فرق (بينهما شيأ) أى قليلا لعدم تصور الكثير و كانه أشار بذلك الى علو مرتبة النبوة و ان تلوها رتبة الفتوة و المروة هذا و فى النهاية الكافل هو القائم بأمر اليتيم المربى له و هو من الكفيل بمعنى الضمين و الضمير فى له و لغيره راجع الى الكافل أى ان اليتيم سواء كان للكافل من ذوى رحمه و انسابه أو كان اجنبيا لغيره و تكفل به قال الطيبى قوله فى الجنة خبر انا و هكذا نصب على المصدر من متعلق الخبر و أشار بالسبابة و الوسطى أى أشار بهما الى ما فى ضميره عليه السلام من معنى الانضمام و هو بيان هكذا اه و الظاهر انه صلى‌الله‌عليه‌وسلم ضم أصبعيه عند قوله هكذا فعبر الراوى عن فعله صلى‌الله‌عليه‌وسلم بقوله و أشار اذ الاشارة عما فى ضميره عليه السلام غير متصور للراوى قيل اليتيم من الناس من مات أبوه و من الدواب من مات أمه و كافل اليتيم من يقوم بامره و يعوله و يربيه و ينفق عليه و لو من مال اليتيم و الله أعلم (رواه البخارى) و فى الجامع الصغير أنا و كافل اليتيم فى الجنة هكذا رواه أحمد و البخارى و أبوداود و الترمذى عن سهل بن سعد اه و ظاهره ان قوله فى المشكاة له و لغيره من كلام سهل

★ وعن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ترى المؤمنين فى تراحمهم و توادهم و تعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى عضوا تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى متفق عليه ★ و عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنون كرجل واحد ان اشتكى عينه اشتكى كله و ان اشتكى رأسه اشتكى كله رواه مسلم ★ و عن أبى موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبك بين أصابعه متفق عليه

أو من بعده أدرج فى الحديث أو هو رواية أخرى و فيها زيادة مقبولة و أما قوله و أشار فهو من كلام سهل و لعله تركه صاحب الجامع اختصارا و الله أعلم ★ (و عن النعمان بن بشير) مر ذكرهما (رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ترى المؤمنين) أى الكاملين (فى تراحمهم) أى فى رحم بعضهم بعضا باخوة الايمان لا بسبب رحم و نحوه (و توادهم) بتشديد الدال المكسورة أى تواصلهم الجالب للمحبة كالتزاور و التهادى (و تعاطفهم) أى باعانة بعضهم بعضا (كمثل الجسد) أى جنسه (الواحد) المشتمل على أنواع الاعضاء (اذا اشتكى) أى الجسد (عضوا) لعدم اعتدال حال مزاجه و نصبه على التمييز و المعنى اذا تألم الجسد من جهة ذلك العضو و فى نسخة اذا اشتكى عضو بالرفع أى اذا تألم عضو من أعضاء جسده (تداعى له) أى لذلك العضو (سائر الجسد) أى باقى أعضائه (بالسهر) بفتحتين أى عدم الرقاد (و الحمى) أى بالحرارة و التكسر و الضعف ليتوافق الكل فى العسر كما كانوا فى حال الصحة متوافقين فى اليسر ثم أصل التداعى ان يدعو بعضهم بعضا ليتفقوا على فعل شئ فالمعنى انه كما أن عند تألم بعض أعضاء الجسد يسرى ذلك الى كله كذلك المؤمنون كنفس واحدة اذا أصاب واحدا منهم مصيبة ينبغى أن يغتم جميعهم و يهتموا بازالتها عنه و فى النهاية كان بعضه دعا بعضا و منه قولهم تداعت الحيطان أى تساقطت أو كادت و وجه الشبه هو التوافق فى المشقة و الراحة و النفع و الضر (متفق عليه ★ و عنه) أى عن النعمان رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنون كرجل) أى كأعضاء رجل (واحد) لانهم على دين واحد (ان اشتكى عينه) بالرفع و فى نسخة بالنصب و كذا فيما بعده (اشتكى كله و ان اشتكى رأسه اشتكى كله رواه مسلم) و كذا الامام أحمد ★(و عن أبى موسى) أى الاشعرى (رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال المؤمن للمؤمن) التعريف للجنس و المراد بعض المؤمن للبعض ذكره الطيبى و يمكن أن يكون للاستغراق أى كل مؤمن لكل مؤمن و الاظهر انه للعهد الذهنى فى الاول و للجنس فى الثانى أى المؤمن الكامل لمطلق المؤمن (كالبنيان) أى البيت المبنى (يشد بعضه) أى بعض البنيان (بعضا) و الجملة حال أو صفة أو استئناف بيان لوجه الشبه و هو الاظهر ثم لاشك ان القوى هو الذى يشد الضعيف و يقويه و حاصل معناه ان المؤمن لايتقوى فى أمر دينه أو دنياه الابمعونة أخيه كما ان بعض البناء يقوى بعضه (ثم شبك) أى النبى صلى الله عليه وسلم أو أبوموسى (بين أصابعه) أى ادخل أصابع احدى يديه بين أصابع اليد الاخرى قال الطيبى قوله ثم شبك كالبيان لوجه الشبه أى شدا مثل هذا الشد (متفق عليه) قال ميرك اختص البخارى بذكر التشبيك و بدونه رواه الترمذى و النسائى قلت و فى الجامع الصغير بدون التشبيك أسنده الى الشيخين و الترمذى و النسائى و هذا يؤيد ان ضمير شبك الى أبى موسى فمن رواه انما رواه مدرجا و الله أعلم قال النووى فيه تعظيم حقوق المسلمين بعضهم لبعض و حثهم على التراحم

★ و عنه عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم انه كان اذا أتاه السائل أو صاحب الحاجة قال اشفعوا فلتؤجروا و يقضى الله على لسان رسوله ما شاء متفق عليه ★ و عن أنس قال قال رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم أنصر أخاك ظالما أو مظلوما فقال رجل يا رسول‌الله أنصره مظلوما فكيف أنصره ظالما قال تمنعه من الظلم فذلك نصرك اياه متفق عليه

و الملاطفة و التعاضد فى غير اثم و لامكروه و فيه جواز التشبيه و ضرب الامثال لتقريب المعانى الى الافهام ★(و عنه) أى عن أبى موسى الاشعرى رضى‌الله‌عنه (عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم انه كان اذا أتاه السائل) أى للعطية (أو صاحب الحاجة) أى اليه أو الى غيره و هو أعم من السؤال فاو للتنويع (قال اشفعوا) أى له (فلتؤجروا) بسكون الهمزة و يبدل و هو أمر المخاطب باللام نحو قوله تعالى قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا بالخطاب فى رواية يعقوب من العشرة بناء على الاصل المرفوض و قد روى مرفوعا و يويده انه قرئ فافرحوا و الفاء بمعنى الشرط كانه قيل ان شفعتم فتؤجرا و فى المغنى ان اللام الطلبية قد تخرج عن الطلب الى غيره كالتى يراد بها أو بمصحوبها الخبر نحو قوله تعالى قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا اتبعوا سبيلنا و لنحمل خطايا كم أى فيمد و نحمل اه و خلاصة المعنى اشفعوا تؤجروا كما فى رواية ابن عساكر عن معاوية و كذا فى هذا الحديث على ما سيأتى ثم رأيت الطيبى قال الفاء فى فلتؤجروا أو اللام مقحمة للتأكيد بل كلاهما مؤكدان لانه لو قيل تؤجروا جوابا للامر تم كلامه و لايخفى ما سبق من التحقيق و الله ولى التوفيق قال المظهر و المعنى اذا عرض صاحب حاجة حاجته على اشفعوا له الى فانكم ان شفعتم له حصل لكم بتلك الشفاعة أجر سواء قبلت شفاعتكم أو لم تقبل و قوله (و يقضى الله على لسان رسوله) أى يجرى على لسانى (ما شاء) أى ان قضيت حاجته من شفاعتكم له فهو بتقدير الله و ان لم أقض فهو أيضا بتقدير الله اه و قوله على لسان رسوله يحتمل أن يكون نقلا بالمعنى و أن يكون فيه نوع التفات و هو ظاهر كلام المظهر و فى زيادة المضاف افادة أن غيره فى هذا المعنى بطريق الاولى و قال الطيبى هو من باب التجريد اذ الظاهر ان يقال على لسانى كانه قال اشفعوا لى و لاتقولوا ما ندرى أيقبل رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم شفاعتنا أم لا فانى و ان كنت رسول‌الله و نبيه و صفيه لا أدرى أيضا أقبل شفاعتكم أم لا لان الله تعالى هو القاضى فان قضى لى أن أقبل أقبل و الا فلا و هو من قوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اعملوا فكل ميسر لما خلق له قلت و فيه تلميح و تلويح الى قوله ما أدرى ما يفعل بى و لا بكم قال النووى أجمعوا على تحريم الشفاعة فى الحدود بعد بلوغها الى الامام و أما قبله فقد أجاز الشفاعة فيه أكثر العلماء اذا لم يكن المشفوع فيه صاحب شر و أذى للناس و أما المعاصى التى لاحد فيها و الواجب التعزير فيجوز الشفاعة و التشفع فيها سواء بلغت الامام أم لا ثم الشفاعة فيها مستحبة اذا لم يكن المشفوع فيه مؤذيا و شريرا (متفق عليه) و رواه أبوداود و الترمذى و النسائى ذكره ميرك و فى الجامع الصغير اشفعوا تؤجروا و يقضى الله على لسان نبيه ما شاء رواه الشيخان و الثلاثة ★(و عن أنس رضى‌الله عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أنصر أخاك) أى المسلم (ظالما) حال من المفعول (أو مظلوما) تنويع (فقال رجل يا رسول‌الله أنصره) أى أنا (مظلوما) أى حال كونه مظلوما و هو ظاهر المبنى (فكيف أنصره ظالما) فانه خفى المعنى (قال تمنعه من الظلم) أى الذى يريد فعله (فذلك) أى منعك اياه منه (نصرك اياه) أى على شيطانه الذى يغويه أو على نفسه التى تطغيه (متفق عليه)

★ و عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم أخو المسلم لايظلمه و لايسلمه و من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته و من فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة

قال ميرك فيه نظر فان الحديث بهذا السياق من افراد البخارى من حديث أنس و رواه الترمذى أيضا كما صرح به الشيخ الجزرى أيضا نعم أخرجه مسلم من حديث جابر فى اثناء حديث بلفظ و لينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوما ان كان ظالما فلينهه فانه له نصر و ان كان مظلوما فلينصره قلت و ينصره صنيع صاحب الجامع الصغير حيث أورد الحديث بلفظ أنصر أخاك ظالما أو مظلوما قيل كيف أنصره ظالما قال تحجزه عن الظلم فان ذلك نصره رواه أحمد و البخارى و الترمذى عن أنس ثم قال و فى رواية الدارمى و ابن عساكر عن جابر أنصر أخاك ظالما أو مظلوما ان يك ظالما فاردده عن ظلمه و ان يك مظلوما فانصره ★(و عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم أخو المسلم) فيه اشعار بان المسلم و المؤمن واحد لقوله تعالى انما المؤمنون اخوة و هو مجمل تفصيله ما بعده و لهذا ورد منقطعا عما بعده على ما رواه أبوداود عن سويد بن حنظلة و ابن عساكر عن واثلة و حاصله أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده و الاخ لايضر أخاه بل ينفعه فى كل ما يراه و يمكن أن يكون التركيب من قبيل التشبيه البليغ مبالغة كما ورد لايؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه (لايظلمه) نفى بمعنى النهى و المعنى لاينبغى له أن يظلمه و فى حكم المسلم الذمى و المستأمن ثم انه لامفهوم له فان الظلم لايتصور فى حق الكافر و هو استئناف بيان للموجب أو لوجه الشبه فان الظالم ينحط أولا عن رتبة النبوة لاينال عهدى الظالمين و ثانيا عن درجة الولاية ألا لعنة الله على الظالمين و ثالثا عن مزيد السلطنة لبيت الظالم خراب و لو بعد حين و رابعا عن نظر الخلائق جبلت القلوب على حب من أحسن اليها و بغض من أساء اليها و خامسا عن حفظ نفسه و لكن كانوا أنفسهم يظلمون (شعر)

لاتظلمن اذا ما كنت مقتدرا ★ فالظلم آخره يأتيك بالندم

نامت عيونك والمظلوم منتبه ★ يدعو عليك و عين الله لم تنم

(و لايسلمه) بضم أوله و كسر اللام أى لايخذله بل ينصره ففى النهاية يقال أسلم فلان فلانا اذا القاه الى التهلكة و لم يحمه من عدوه و هو عام فى كل من أسلمته الى شئ لكن دخله التخصيص و غلب عليه الالقاء فى الهلكة و قال بعضهم الهمزة فيه للسلب أى لايزيل سلمه و هو بكسر السين و فتحها الصلح (و من كان فى حاجة أخيه) أى ساعيا فى قضائها (كان الله فى حاجته) هذا من قبيل المشاكلة و قد ورد فى رواية مسلم عن أبى هريرة و لفظه و الله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه و فيه تنبيه نبيه على فضيلة عون الاخ على أموره و اشارة الى ان المكافأة عليها بجنسها من العناية الالهية سواء كان بقلبه أو بدنه أو بهما لدفع المضار أو جذب المنافع اذ الكل عون (و من فرج) بتشديد الراء و يخفف و فى رواية من نفس بتشديد الفاء و المعنى واحد أى أزال و كشف (عن مسلم كربة) أى من كرب الدنيا كما فى نسخة و هى كذلك فى رواية مسلم عن أبى هريرة و الكربة بضم الكاف فعلة من الكرب و هى الخصلة التى يحزن بها و جمعها كرب بضم ففتح و التنوين فيها للافراد و التحقير أى هما واحدا من همومها أى هم كان صغيرة أو كبيرة عرضه و عرضه عدده و عدده و قوله من كرب الدنيا أى بعض كربها أو كربة مبتدأة من كربها (فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة) بضم الكاف و الراء و فى رواية من كرب

و من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة متفق عليه ★ و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لايظلمه و لايخذله و لايحقره التقوى ههنا و يشير الى صدره ثلاث مرار بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام

يوم القيامة أى التى لاتحصى لان الخلق كلهم عيال الله و تنفيس الكرب احسان لهم و قد قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان و ليس هذا منافيا لقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها لما ورد من انها تجازى بمثلها و ضعفها الى عشرة الى مائة الى سبعمائة الى غير حساب على ان كربة من كرب يوم القيامة تساوى عشرا أو أكثر من كرب الدنيا و يدل عليه تنوين التعظيم و تخصيص يوم القيامة دون يوم آخر و الحاصل أن المضاعفة أما فى الكمية أو فى الكيفية (و من ستر مسلما) أى بدنه أو عيبه بعدم الغيبة له و الذب عن معايبه و هذا بالنسبة الى من ليس معروفا بالفساد و الا فيستحب أن ترفع قصته الى الوالى فاذا رآه فى معصية فينكرها بحسب القدرة و ان عجز يرفعها الى الحاكم اذا لم يترتب عليه مفسدة كذا فى شرح مسلم للنووى (ستره الله يوم القيامة) و فى رواية ستره الله فى الدنيا و الآخرة و فيه أشارة خفية صوفية صفية الى أن من وقف على شئى من مقامات أهل العرفان و كرامات ذوى الايقان أن يحفظ سره و يكتم أمره فان كشف الاسرار على الاغيار يسد باب العناية و يوجب الحرمان و الغواية

من أطلعوه على سر فباح به ★ لم يأمنوه على الاسرار ما عاش

(متفق عليه) و هو مختصر من حديث طويل ذكره الامام النووى فى أربعينه مسندا الى مسلم عن أبى هريرة و قد سبق ذكره فى الكتاب ★ (و عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لايظلمه و لايخذله) بضم الذال المعجمة من الخذلان و هو ترك النصرة و الاعانة (و لايحقره) بكسر القاف و فتح أوله أى لايحتقره بذكر المعايب و تنابز الالقاب و الاستهزاء و السخرية اذا رآه رث الحال أو ذاعاهة فى بدنه أو غير لائق فى محادثته فلعله أخلص ضميرا و أتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله (التقوى ههنا) و قال المظهر يعنى لايجوز تحقير المتقى من الشرك و المعاصى و التقوى محله القلب و ما كان محله القلب يكون مخفيا عن أعين الناس و اذا كان مخفيا فلايجوز لاحد أن يحكم بعدم تقوى مسلم حتى يحقره و يحتمل أن يكون معناه محل التقوى هو القلب فمن كان فى قلبه التقوى فلايحقر مسلما لان المتقى لايحقر المسلم قال الطيبى و القول الثانى أوجه و النظم له ادعى لانه صلى الله عليه وسلم انما شبه المسلم بالاخ لينبه على المساواة و أن لايرى أحد لنفسه على أحد من المسلمين فضلا و مزية و يحب له ما يحب لنفسه و تحقيره أياه مما ينافى هذه الحالة و ينشأ منه قطع وصلة الاخوة التى أمر الله بها أن توصل و مراعاة هذه الشريطة أمر صعب لانه ينبغى أن يسوى بين السلطان و أدنى العوام و بين الغنى و الفقير و بين القوى و الضعيف و الكبير و الصغير و لايتمكن من هذه الخصلة الا من امتحن الله قلبه للتقوى و أخلصه من التكبر و الغش و الحقد و نحوها اخلاص الذهب الابريز من خبثه و نقاه منها فيؤثر لذلك أمر الله تعالى على متابعة الهوى و كذلك جاء قوله صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا (و يشير الى صدره ثلاث مرار) معترضا بين قوله و لايحقره و بين قوله (بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم) فان كلا منهما متضمن للنهى عن الاحتقار و أنت عرفت أن موقع الاعتراض بين الكلام موقع التأكيد و قوله (كل المسلم على المسلم حرام

دمه و ماله و عرضه) هو الغرض الاصلي و المقصود الاولى و السابق كالتمهيد و المقدمة له فجعل المسلم و عرضه جزأ منه تلويحا الى معنى ما روى حرمة مال المسلم كحرمة دمه و المال يبذل للعرض قال

أصون عرضي بمالي لاأدنسه ★ لا بارك الله بعد العرض فى المال

و لما أن التقوى تشتد من عقد هذه الاخوة و تستوثق من عراها قال الله تعالى انما المؤمنون أخوة فاصلحوا بين أخويكم و اتقوا الله يعنى انكم ان اتقيتم لم تحملكم التقوى الا على التواصل و الائتلاف و المسارعة الى اماطة ما يفرط منه و ان مستقر التقوى و مكانها المضغة التى اذا صلحت صلح الجسد كله و اذا فسدت فسد الجسد كله قال تعالى أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى و لذلك كرر صلى الله عليه وسلم هذه الكلمة و أشار الى صدره ثلاثا و انما عدل الراوى عن الماضى الى المضارع استحضارا لتلك الحالة فى مشاهدة السامع و اهتماما بشأنها و هذا الحديث من جوامع الكلم و فصل الخطاب الذى خص به هذا النبى المكرم صلى الله عليه وسلم الى هنا كلام الطيبى قد تم فلنرجع الى بعض ما يتعلق بالحديث الشريف من زوائد فوائد شرحه المنيف منها قوله التقوى ههنا قال بعض العارفين معناه أن حقيقة التقوى فى صدرى و فروعها فى قلوب جميع الخلق لانه محل عين الجمع و مرآة كشوف الغيب كما قال أنا أعلمكم بالله و أخوفكم منه بين ان من زاد معرفته زاد خشيته و تقواه و ليس فى الكونين أعرف منه و قد ورد انه قال لكل شئ معدن و معدن التقوى قلوب العارفين لان العارف غائب فى عظمة الله تعالى شائق الى لقائه هائم فى محبته تجرى عين التقوى من بحار معرفته من روحه الى قلبه و من قلبه الى قالبه و سره معدن التوحيد لان الحق تجلى فيه بنعت القدم و روحه معدن المعرفة لان الحق تجلى بوصف البقاء فيها و قلبه معدن الخشية و التقوى لانه تجلى بوصف الكبرياء و العظمة فالتوحيد من عين القدم و المعرفة من عين البقاء و التقوى من عين الكبرياء و قوله ثلاث مرار براء فى آخره فى الاصول المعتمدة و فى بعض النسخ بالتاء الفوقية ثم قوله بحسب امرئ مبتدأ و الباء فيه زائدة و قوله أن يحقر أخاه خبره أى حسبه و كافيه من خلال الشر و رذائل الاخلاق تحقير أخيه المسلم كذا ذكره الطيبى و هو موهم ان قوله يحقر من باب التفعيل و ليس كذلك بل هو بفتح الياء و كسر القاف فى الاصول قال بعض المحققين و حسب يستوى فيه الواحد و الجمع و التثنية و المذكر و المؤنث لانه مصدر قال النحاة اذا كان ما بعده معرفة فرفعه على الخبرية و الاضافة لفظية أو على الابتداء و ان كان نكرة فرفعه على الابتداء فقط و الاضافة معنوية ثم المراد بالعرض ما يجب أو يستحب شرعا حمايته لا العصبية و الحمية الجاهلية التى اعتادها كثير من الناس فيصرفون المال لطلب الجاه و المنزلة فى قلوب الخلق اذ هو من الهوى المتبع المهلك لكثير من الناس فما أهلك الناس الا الناس و لو أنصف العلماء لعلموا ان أكثر ما هم فيه من العلوم و العبادات فضلا عن العادات ما يحملهم عليها الا مراعاة الخلق قال يحيى بن معاذ الرياسة ميادين ابليس ينزل هو و جنوده و قيل آخر شئ يخرج من رأس الصديقين محبة الجاه هذا و زبدة الحديث انه يجب على كل مسلم أن لا يقع فى عرض أخيه بالغيبة و الطعن و القذف و الشتم و الغمز و اللمز و التجسس عن عوراته و افشاء اسراره فان من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته فيفضحه و لو فى جوف بيته و لايماريه و يرى الفضل

✱ و عن عياض بن حمار قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق و رجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى و مسلم و عفيف متعفف ذو عيال و أهل النار خمسة الضعيف الذى لا زبر له

لكل أحد على نفسه أما الصغير فلانه لم يعص الله و هو قد عصى و الكبير فلانه أكثر عبادة و العالم لعلمه و الجاهل لانه قد عصى الله بجهله فحجة الله على العالم أوكد ولذا ورد ويل للجاهل مرة و ويل للعالم سبع مرات و أما الكافر فلان حسن العاقبة غير معلومة و المدار على خاتمتها ختم الله لنا بالحسنى و بلغنا المقام الاسنى (رواه مسلم) و هو أيضا بعض من الحديث الذى رواه الامام النووى فى أربعينه و أسنده الى مسلم عن أبى هريرة مرفوعا لاتحاسدوا و لاتناجشوا و لا تباغضوا و لا تدابروا و لايبع بعضكم على بيع بعض و كونوا عباد الله اخوانا المسلم أخو المسلم الحديث ✱(و عن عياض بن حمار) و هو اسم الحيوان المعروف و العرب ما كانوا يتحاشون عن مثل هذه الاسماء حتى كانوا يسمون أولادهم كلبا و كلابا قال المؤلف هو عياض ابن حمار التيمى المجاشعى يعد فى البصريين و كان صديقا لرسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أسلم قديما روى عنه جماعة رضى‌الله‌عنه (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أهل الجنة ثلاثة) أى ثلاثة أجناس من الاشخاص (ذو سلطان) أى حكم قال الطيبى أى سلطان لانه ذو قهر و غلبة من السلاطة و هى التمكن من القهر قال تعالى و لو شاء الله لسلطهم و منه سمى السلطان و قيل ذو حجة لانه يقام الحجج به (مقسط) بالرفع صفة المضاف أى عادل يقال اقسط فهو مقسط اذا عدل و قسط فهو قاسط اذا جار فالهمزة فيه للسلب كما يقال شكا اليه فاشكاه (متصدق) أى محسن الى الناس (موفق) أى الذى هيئ له أسباب الخير و فتح له أبواب البر (و رجل رحيم) أى على الصغير و الكبير (رقيق القلب لكل ذى قربى) خصوصا (و مسلم) أى لكل مسلم عموما قال الطيبى مفسر لقوله رحيم أى يرق قلبه و يرحم لكل من بينه و بينه لحمة القرابة أو صلة الاسلام اه و الظاهر ان يراد بالرحيم صفة فعلية يظهر وجودها فى الخارج و بالرقيق صفة قلبية سواء ظهر أثرها أم لا و الثانى أظهر فيكون باعتبار القوة و الاول باعتبار الفعل و يمكن ان تتعلق رحمة الرحيم الى المعنى الاعم من الانسان و الحيوان الشامل للمؤمن و الكافر و الدواب فيكون الثانى أخص و الحاصل ان التأسيس أولى من التأكيد (و عفيف) بالرفع على انه الثالث من الثلاثة أى مجتنب عما لايحل (متعفف) أى عن السؤال متوكل على الملك المتعال فى أمره و أمر عياله مع فرض وجودهم فانه أصعب و لهذا قال (ذو عيال) أى لايحمله حب العيال و لاخوف رزقهم على ترك التوكل بارتكاب سؤال الخلق و تحصيل المال الحرام و الاشتغال بهم عن العلم و العمل مما يجب عليه و يحتمل انه أشار بالعفيف الى ما فى نفسه من القوة المانعة عن الفواحش و بالمتعفف الى ابراز ذلك بالفعل و استعمال تلك القوة و اظهار العفة عن نفسه قال الطيبى و اذا استقريت أحوال العباد على اختلافها لم تجد أحدا يستاهل ان يدخل الجنة و يحق له ان يكون من أهلها الا و هو مندرج تحت هذه الاقسام غير خارج عنها (و أهل النار خمسة) اشارة الى كثرتهم (الضعيف الذى لا زبر له) بفتح الزاى و سكون الموحدة أى لا رأى له و لا عقل كاملا يعقله و يمنعه عن ارتكاب ما لاينبغى و قد ورد الدنيا دار من لادار له و مال من لامال له و لها يجمع من لاعقل له و فى القاموس الزبر العقل و الكمال و الصبر و الانتهار و المنع و النهى اه

الذين هم فيكم تبع لايبغون أهلا و لا مالا و الخائن الذى لايخفى له طمع

و لكل وجه فى المعنى و فى شرح السنة أى لاعقل له و فى الغريبين يقال ماله زبر أى عقل قال التوربشتى المعنى لايستقيم عليه لان من لاعقل له لاتكليف عليه فكيف يحكم بأنه من أهل النار و أرى الوجه فيه ان يفسر بالتماسك فان أهل اللغة يقولون لازبر له أى لاتماسك له و هو فى الاصل مصدر و المعنى لاتماسك له عند مجىء الشهوات فلايرتدع عن فاحشة و لايتورع عن حرام قلت التماسك انما هو من كمال العقل و حاصل بالصبر فيحمل على أحدهما و أغرب الطيبى فى قوله لعل الشيخ ذهب الى ان قوله (الذين هم فيكم تبع) قسم آخر من الاقسام الخمسة و لذلك فسره بقوله يعنى به الخدام الذين يكتفون بالشبهات و المحرمات و عليه كلام القاضى حيث قال الذين هم فيكم تبع يريد به الخدام الذين لامطمح لهم و لامطمع الا ما يملؤن به بطونهم من أى وجه كان و لاتتخطى هممهم الى ما وراء ذلك من أمر دينى أو دنيوى أقول و الظاهر أن الضعيف وصف باعتبار لفظه تارة بالمفرد و باعتبار الجنس أخرى بالجمع أو الموصول الثانى بيان أو بدل مما قبله لعدم العاطف كما فى الاصول المشهورة و عليه كلام الاشرف حيث قال الذى فى قول الذى لا زبر له بمعنى الذين للجمع و هو الذى جوز جعل قوله الذين هم فيكم تبع بدلا من قوله الذى لا زبر له اه كلامه و على هذا لايتوجه الاشكال الذى أورده الشيخ التوربشتى ؤ يتعين تقسيم الاقسام الخمسة أحدها الضعيف و ثانيها الخائن و ثالثها رجل و رابعها البخيل و خامسها الشنظير ثم كلام الطيبى و وجه غرابته انه ليس فى كلام الشيخ و القاضى ما يدل على جعله قسما آخر و هما أعقل من أن يخالفا النص على الخمس بالزيادة عليه لاسيما عند عدم وجود العاطف على ما فى الاصول المشهورة و لادلالة لتفسيريهما على ما توهم الفاضل اذ لامنافاة بين الوصف السابق و اللاحق بل الثانى مميز للاول و حاصله أن القسم الاول هو جنس الضعيف فى أمر دينه الناقصون فى عقولهم الذين هم فيكم تبع (لايبغون أهلا) أى لايطلبون زوجة و لاسرية فاعرضوا عن الحلال و ارتكبوا الحرام (و لا مالا) أى و لايطلبون مالا حلالا من طريق الكد و الكسب الطيب فقيل هم الخدم الذين يكتفون بالشبهات و المحرمات التى سهل عليهم مأخذها عما أبيح لهم و ليس لهم داعية الى ما وراء ذلك من أهل و مال و قيل هم الذين يدورون حول الامراء و يخدمونهم و لايبالون من أى وجه يأكلون و يلبسون أمن الحلال أم من الحرام ليس لهم ميل الى أهل و لا الى مال بل قصروا أنفسهم على المأكل و المشرب ثم الاشكال الذى أورده الشيخ على معنى لا زبر له لاتعلق له بأن يكون ما بعده قسما آخر أولا و الله أعلم ثم قوله تبع هو الاصل و فى نسخة بالنصب و هو بفتحتين جمع تابع كخدم جمع خادم قال الطيبى تبع فى بعض نسخ المصابيح مرفوع كما فى صحيح مسلم على انه فاعل الظرف أو مبتدأ خبره الظرف و الجملة خبرهم و فى بعضها منصوب كما فى الحميدى و جامع الاصول و هو حال من الضمير المستتر فى الخبر اه و قوله لايبغون بفتح الياء و تسكين الموحدة و ضم الغين المعجمة فى النسخ المصححة المعتمدة و فى بعضها بفتح الياء و تشديد الفوقية و كسر الموحدة و العين المهملة من الاتباع و فى نسخة بضم الياء و سكون الفوقية و كسر الموحدة و العين المهملة قال النووى لايتبعون بالعين المهملة يخفف و يشدد من الاتباع و فى بعض النسخ يبغون بالغين المعجمة (و الخائن الذى لايخفى له طمع) مصدر بمعنى المفعول قال القاضى أى لايخفى عليه شئ مما يمكن أن يطمع فيه

و ان دق الا خانه و رجل لايصبح و لايمسى الا و هو يخادعك عن أهلك و مالك و ذكر البخل أو الكذب و الشنظير الفحاش رواه مسلم ★ و عن أنس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و الذى نفسى بيده لايؤمن عبد حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه

(و ان دق) بحيث لايكاد أن يدرك (الا خانه) أى الا و هو يسعى فى التفحص عنه و التطلع عليه حتى يجده فيخونه و هذا هو الاغراق فى الوصف بالخيانة قلت بل هو اغراق فى وصف الطمع و الخيانة تابعة له و المعنى انه لايتعدى عن الطمع و لو احتاج الى الخيانة و لهذا قال الحسن البصرى الطمع فساد الدين و الورع صلاحه قال و يحتمل أن يكون خفى من الاضداد و المعنى لايظهر له شئ يطمع فيه الا خانه و ان كان شيأ يسيرا قلت لا خفاء فى أن المعنى الاسبق أبلغ و أنسب بقوله و ان دق فهو بالاعتبار أولى و أحق و ان كان تعدية خفى باللام فى معنى الاظهار أظهر فانه يقال خفى له أى ظهر و خفى عليه الامر أى استتر على ما ذكره بعض الشراح لكن فى القاموس خفاه يخفيه أظهره و خفى كرضى لم يظهر اه فالمعنى الاول هو المعول بفتح الفاء فى لايخفى الا ان ثبت الرواية بكسرها كما لايخفى و الله أعلم (و رجل لايصبح و لايمسى الا و هو يخادعك عن أهلك و مالك) أى بسببهما فعن بمعنى الباء كما فى قوله تعالى و ما ينطق عن الهوى على ما فى القاموس الكشاف فى قوله فازلهما الشيطان عنها أى حملهما الشيطان على الزلة بسببها (و ذكر) أى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان كان الشك الآتى من الصحابى أو ذكر عياض ان كان من التابعى و هلم جرا (البخل) أى فى القسم الرابع (أو الكذب) قال التوربشتى أى البخيل و الكذاب أقام المصدر مقام الفاعل و قال الطيبى و لعل الراوى نسى ألفاظا ذكرها صلى‌الله‌عليه وسلم فى شأن البخيل أو الكذاب فعبر بهذه الصيغة و الا كان يقول و البخيل أو الكذاب قلت المعنى كما قال الشيخ سواء كان هناك صفة أخرى لهما أم لا هذا و روى بالواو و حينئذ أما أن يجعل اثنين من الخمسة فيكون قوله (و الشنظير) منصوبا عطفا على الكذب تتمة له و أما أن يجعلا واحدا فيكون الشنظير مرفوعا كذا قاله شارح لكن قوله تتمة له غير صحيح لان التعدد المفهوم من الواو و هو الذى فر منه واقع فيه و لايصح أن يكون الشنظير عطف تفسير للكذب لما بينهما من التباين فالصواب أن الواو بمعنى أو كما يدل عليه الاصول المعتمدة و النسخ المصححة ثم الشنظير بكسر الشين و الظاء المعجمتين بينهما نون ساكنة السيىء الخلق و هو مرفوع على التصحيح كما سبق قوله (الفحاش) نعت له و ليس بمعنى له أى المكثر للفحش و المعنى أنه مع سوء خلقه فحاش فى كلامه لما بينهما من التلازم الغالبى هذا و فى شرح مسلم للنووى فى أكثر النسخ أو الكذب بأو و فى بعضها بالواو و الاول هو المشهور فى نسخ بلادنا و قال القاضى عياض روايتنا عن جميع شيوخنا بالواو الا ابن أبى جعفر عن الطبرى و قال بعض الشيوخ و لعله الصواب و به تكون المذكورات خمسة قال الطيبى فعلى هذا قوله و الشنظير مرفوع فيكون عطفا على رجل كما سبق و على تأويل الواو ينبغى أن يكون منصوبا من تتمة الكذب أو البخل أى البخيل السيىء الخلق الفحاش أو الكذاب السيىء الخلق الفحاش اه و ما قدمناه هو التحقيق و أن خفى على بعض أرباب التدقيق و الله ولى التوفيق (رواه مسلم ★ و عن أنس رضى‌الله عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و الذى نفسى بيده لايؤمن عبد) أى أيمانا كاملا (حتى يحب لاخيه) أى المسلم (ما يحب لنفسه) أى مثل جميع ما يحبه العبد لنفسه و فى شرح مسلم للنووى قالوا

متفق عليه ★ و عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و الله لايؤمن و الله لايؤمن و الله لايؤمن قيل من يا رسول‌الله قال الذى لايأمن جاره بوائقه متفق عليه ★ و عن أنس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لايدخل الجنة

لايؤمن الايمان التام و الا فاصل الايمان يحصل لمن لم‌يكن بهذه الصفة و المراد يحب لاخيه من الطاعات و المباحات يدل عليه ما جاء فى رواية النسائى فى هذا الحديث حتى يحب لاخيه من الخير و قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح و هذا قد يعد من الصعب الممتنع و ليس كذلك اذ معناه لايكمل ايمان أحدكم حتى يحب لاخيه فى الاسلام مثل ما يحب لنفسه و القيام بذلك يحصل بان يحب له حصول مثل ذلك من جهة لايزاحمه فيها و ذلك سهل على القلب السليم اه و تحقيق ذلك ان المؤمنين متحدون بحسب الارواح متعددون من حيث الاجسام و الاشباح كنور واحد فى مظاهر مختلفة أو كنفس واحدة فى ابدان متفرقة بحيث لو تألم الواحد تأثر الجميع كما لوح الى هذا المعنى قوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم المؤمنون كرجل واحد ان اشتكى عينه اشتكى كله و ان اشتكى رأسه اشتكى كله و كما روى عن بعض المشايخ النقشبندية انه أحس بالبرودة فقال زملونى زملونى فغطوه فجاء مريد له وقع فى ماء بارد فى شتاء شديد فقال الشيخ أدفؤه فلما دفئ المريد قام الشيخ مستدفئا و نظيره ان ليلى افتصدت فخرج الدم من يد العامرى فأنشد

أنا من أهوى و من أهوى أنا ★ نحن روحان حللنا بدنا

لكن الاظهر ان يقول نحن روح واحد تعلق بها بدنان فيكون اشارة الى الابدان المكتسبة الواقعة للسادة الصوفية و الا فهو موهم للحلول ثم بل لو تمكنوا فيه صح ذلك لهم بالنسبة الى جميع الاشياء كما روى عن بعضهم انه ضرب عبده حماراً فتألم الشيخ بحيث رؤى ألم الضرب فى عضوه الذى بازاء العضو المضروب للحمار و ذلك لان ايمانهم من أثر نور الهداية شرعا و طريقة و من أثر نور الله حقيقة و هو نور التوحيد من عكس نور الفردانية من نور الذات فارواحهم اتحدت بذلك النور المقتضى للالفة و الرحمة فان حزن واحد حزنوا و ان فرح واحد فرحوا و هذا مقام الجمع بالروح و هو ان يجتمع عند تجلى الروح الاعظم عن تفرقة الطبيعة و تتحد الارواح و هناك مقام أعلى يقال له جمع الجمع و هو ان يجتمع عند تجلى الحق له عن تفرقة الغير روحانيا و نفسانيا ملكيا و ملكوتيا فلايرى غير الله لاختفاء جميع الاشياء فى نور التوحيد كاختفاء النجوم عند اشراق الشمس و هذا رشحة من رحيق مختوم ختامه مسك (متفق عليه) أى معنى فلفظ البخارى لايؤمن أحدكم و فى نسخة عبد و فى أخرى أحد من غير قسم و لفظ مسلم و الذى نفسى بيده لايؤمن عبد حتى يحب لجاره أو قال لاخيه ما يحب لنفسه فلم‌يذكر المؤلف لفظ واحد منهما و رواه الترمذى و النسائى و ابن ماجه ذكره ميرك فالمتفق عليه لفظا هو لايؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه كما رواه النووى فى أربعينه و قال رواه البخارى و مسلم و كذا فى الجامع الصغير و قال رواه أحمد و الشيخان و الثلاثة ★(و عن أبى هريرة رضى‌الله‌عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و الله) قسم خبره (لايؤمن) أى ايمانا كاملا أو ايمانا مطابقا لمبناه و معناه (و الله لايؤمن و الله لايؤمن) كرره ثلاثا للتأكيد و هو بلا عاطفة للتأكيد (قيل من يا رسول‌الله قال الذى لايأمن جاره بوائقه) جمع بائقة بالهمز و هى الداهية أى غوائله و شروره على ما فى النهاية و ذلك لان كمال الايمان هو العمل بالقرآن و من جملته قوله تعالى و الجار ذى القربى و الجار الجنب (متفق عليه

من لايأمن جاره بوائقه رواه مسلم ★ و عن عائشة و ابن عمر عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه متفق عليه ★ وعن عبدالله بن مسعود قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا كنتم ثلاثة فلايتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل ان يحزنه

★(و عن أنس رضي‌الله‌عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لايدخل الجنة) أى مع الناجين (من لايأمن جاره بوائقه) و فيه مبالغة حيث جعل عدم الامن من وقوع الضرر سببا لنفى دخول الجنة فكيف اذا تحقق لحوق الضرر و الشر (رواه مسلم ★ و عن عائشة رضي‌الله عنها و ابن‌عمر رضي‌الله‌عنهما عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال مازال جبريل) تقدم فيه أربع قراآت (يوصيني بالجار) أى يأمرنى بحفظ حقه من الاحسان اليه و دفع الاذى عنه (حتى ظننت انه) أى جبريل (سيورثه) أى الجار و هو بتشديد الراء و يجوز تخفيفه على ما فى القاموس ورث أباه و منه بكسر الراء يرثه كيعده و أورثه جعله من ورثته أى سيشركه جبريل فى الميراث كما قال شارح و المعنى انه يحكم بميراث أحد الجارين من الآخر (متفق عليه) قال المنذرى و رواه الترمذى أيضا من حديثهما و رواه أبوداود و ابن ماجه من حديث عائشة وحدها و ابن ماجه أيضا و ابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة ذكره ميرك و فى الجامع الصغير رواه أحمد و الشيخان و أبوداود و الترمذى عن ابن عمر و رواه أحمد و الشيخان و الاربعة عن عائشة و رواه البيهقى بسند حسن من حديث عائشة بلفظ مازال يوصيني جبريل بالجار حتى ظننت انه يورثه و ما زال يوصيني بالمملوك حتى ظننت انه يضرب له أجلا أو وقتا اذا بلغه عتق ★(و عن عبدالله بن‌مسعود رضي‌الله‌عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا كنتم ثلاثة) أى فى المصاحبة سفرا أو حضرا (فلايتناجى اثنان) أى لايتكلما بالسر (دون الآخر) أى مجاوزين عنه غير مشاركين له لئلايتوهم ان نجواهما لشر متعلق به (حتى تختلطوا) أى جميعكم (بالناس) و فيه ايذان بان النهى محله ان يكونوا فى موضع لايأمن الواحد فيه على نفسه (من أجل ان يحزنه) بفتح الياء و ضم الزاى و فى نسخة بضم أوله و كسر ثالثه و هما لغتان فصيحتان و الاولى أشهر و غلبها الاكثر و أما ما ضبط بفتح الياء و الزاى فخطأ لانه لازم و هنا الفعل متعد و ضمير الفاعل للتناجى و ضمير المفعول للآخر قال الطيبى يجوز أن يكون علة للنهى أى لاتناجوا لئلايحزن صاحبك و ان يكون علة للفعل المنهى عنه أى لاينبغى أن يصدر منكم تناج هو سبب للحزن فعلم ان هناك تناجيا غير منهى عنه و الاول هو المعول لرواية فان ذلك يحزنه قال الخطابى و انما يحزنه ذلك لاحد معنيين أحدهما انه ربما يتوهم ان نجواهما لتبييت رأى فيه أو دسيس غائلة له أو الاحزان لاجل الاختصاص بالكرامة و هو يحزن صاحبه قلت و يرد القول الآخر قوله حتى يختلطوا و قد قال أبوعبيد هذا فى السفر و فى الموضع الذى لايأمن الرجل فيه صاحبه على نفسه فأما فى الحضر و بين ظهرانى العمارة فلاباس به و قيل قيد بالثلاثة لانهم لو كانوا أربعة فتناجى اثنان فلاباس و قال شارح ان تناجى اثنان اذا كثر الناس فلاباس لانه لايظن الثالث انهما يذكران منه قبيحا قلت و لو ظنه أيضا لايبالى حيث انه مختلط بالناس و فى شرح السنة قد صح عن عائشة انا كنا أزواج النبي صلى‌الله عليه‌وسلم عنده يوما فاقبلت فاطمة فلما رآها رحب ثم سارها ففيه دليل على ان المسارة فى الجمع حيث لاريبة جائزة قال النووى هذا النهى عن تناجى اثنين بحضرة ثالث و كذا ثلاثة و أكثر بحضرة واحد هو نهى تحريم فيحرم على الجماعة المناجاة دون واحد منهم الاباذنه و هذا مذهب

متفق عليه ★ و عن تميم الداري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدين النصيحة ثلاثا قلنا لمن قال لله و لكتابه

ابن عمر و مالك و أصحابنا و جماهير العلماء و هو عام في كل الازمان حضرا و سفرا (متفق عليه) و في الجامع الصغير بلفظ اذا كنتم ثلاثة فلايتناجى رجلان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس فان ذلك يحزنه رواه أحمد و الشيخان و الترمذي و ابن ماجه عن ابن مسعود ★(و عن تميم الداري) منسوب الى جد له اسمه دار عند الجمهور و مروياته ثمانية عشر حديثا و ليس له في الصحيحين الا هذا قال المؤلف هو تميم بن أوس الداري كان نصرانيا أسلم سنة تسع و كان يختم القرآن في ركعة و ربما ردد الآية الواحدة كلها الى الصباح قال محمد بن المنكدر ان تميما الداري نام ليلة و لم يقم للتهجد فيها حتى أصبح فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع سكن المدينة ثم انتقل الى الشام بعد قتل عثمان و أقام بها الى أن مات و هو أول من أسرج السراج في المسجد روى عنه النبي صلى الله عليه وسلم قصة الدجال و الجساسة و عنه أيضا جماعة (ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدين) أي أعماله و أفضل أعماله أو الامر المهم في الدين (النصيحة) و هي تحري قول أو فعل فيه صلاح لصاحبه أو تحري اخلاص الود له و الحاصل انها ارادة الخير للمنصوح له و هو لفظ جامع لمعان شتى قال الخطابي النصيحة كلمة جامعة يعبر بها عن جملة هي ارادة الخير و ليس يمكن أن يعبر عن هذا المعنى بكلمة وجيزة يحصرها و يجمع معناها غيرها كما قالوا في الفلاح ليس في كلامهم كله أجمع لخير الدنيا و الآخرة منه فقوله عليه الصلاة والسلام الدين النصيحة يريد عماد الدين و قوامه إنما هو النصيحة و بها ثباته كقوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنية و كما في قوله الحج عرفة فالحصر ادعائي و هو مبني على ما اشتهر من أن هذا الحديث أحد ارباع الاسلام و أما على ما اختاره النووي من أنه عليه مدار الاسلام كما سيأتي فالحصر حقيقي و هي مأخوذة من نصحت العسل اذا صفيته من الشمع شبهوا تخليص القول و الفعل من الغش بتخليص العسل من الشمع (ثلاثا) أي ذكرها ثلاثا للتأكيد بها و الاهتمام بشانها و ليس له ذكر في الاربعين للنووي ثم لما كانت النصيحة من الامور الاضافية استفصلت فقال الراوي (قلنا) أي معشر الصحابة و المراد بعضهم (لمن) أي النصيحة لمن (قال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (لله) أي بالايمان و صحة الاعتقاد في وحدانيته و ترك الالحاد في صفاته و اخلاص النية في عبادته و بذل الطاقة فيما أمر به و نهي عنه و الاعتراف بنعمته و الشكر له عليها و موالاة من أطاعه و معاداة من عصاه و حقيقة هذه الاضافة راجعة الى العبد في نصيحة نفسه لله و الله غني عن نصح كل ناصح كذا ذكره الخطابي و خلاصته أن النصيحة لله هي التعظيم لامره و الشفقة على خلقه و قال بعض المحققين هي الايمان بوجوده بان يعلم أن وراء المتحيزات موجودا خالقا و بصفاته الثبوتية و السلبية و الاضافية و بافعاله بان يعلم أن كل ماسواه المسمى بالعالم فانما حدث بقدرته و هو من العرش الى الثرى بالنسبة الى العظمة الالهية أقل من خردلة بالنسبة الى جميع العالم و باحكامه بان يعلم انها غير معللة بغرض و أن المقصود من شرعها منافع عائدة الى العباد و أن له الحكم كيف يشاء و لايجب عليه شئ ان أثاب فبفضله وان عذب فبعدله و بأسمائه بان يعلم بانها توقيفية ثم باخلاص العبادة و اجتناب معاصيه و الحب له و البغض فيه (و لكتابه) أي و النصيحة

لكتابه بالايمان به و بأنه كلام الله و وحيه و تنزيله لايقدر على مثله أحد من المخلوقين و أقامة حروفه فى التلاوة و التصديق بوعده و وعيده و الاعتبار بمواعظه و التفكر فى عجائبه و العمل بمحكمه و التسليم بمتشابهه ذكره الخطابى و قيل هو أن يكرمه و يبذل مجهوده فى الذب عنه من تأويل الجاهلين و ابتهال المبطلين و قال بعض المدققين المراد بالكتاب القرآن لان الايمان به يتضمن الايمان بجميع الكتب أو جنس الكتب السماوية اذ الجنس المضاف يفيد العموم كما تقرر فى الاصول على أن صاحب المفتاح صرح بان استغراق المفرد اشمل من استغراق الجمع و لذا قال ابن عباس الكتاب أكثر من الكتب لتناوله وحدان الجنس بخلاف الكتب لكن حقق بعض الافاضل أن الجمع المحلى باللام يشمل كل فرد فرد مثل المفرد قلت و لو سلم فليس شمول الجمع مثل شمول المفرد ثم وقوع الكتاب فى جواب من على سبيل التغليب (و لرسوله) بالتصديق لنبوته و قبول ما جاء به و دعا اليه و بذل الطاعة له فيما أمر به و نهى عنه و الانقياد له و ايثاره بالمحبة فوق نفسه و ولده و والده و الناس أجمعين و المراد محمد صلى الله عليه وسلم أو الجنس ليشمل الملك أيضا اذ هم رسل الى الانبياء كما قال تعالى جاعل الملائكة رسلا و قال الله يصطفى من الملائكة رسلا و من الناس (و لائمة المسلمين) بان ينقاد لطاعتهم فى الحق و لايخرج عليهم اذا جاروا و يذكرهم برفق و لطف و يعلمهم بما غفلوا عنه و لم يبلغهم من حقوق المسلمين و يؤلف قلوب الناس لطاعتهم و من النصيحة لهم الصلاة خلفهم و الجهاد معهم و أداء الصدقات اليهم و أن لايغرهم بالثناء الكاذب عليهم و أن يدعو لهم بالصلاح هذا كله على أن المراد بالائمة الخلفاء و غيرهم ممن يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولاية و يحمل معنى الامام من له خلافة الرسول فى أقامة الدين بحيث يجب اتباعه على الكل وقد يتناول ذلك الائمة الذين هم علماء الدين و أن من نصيحتهم قبول ما رووه و تقليدهم فى الاحكام و احسان الظن بهم (و عامتهم) أى و لعامة المسلمين و لعل حكمة ترك اعادة العامل هنا أشارة الى حط مرتبتهم بسبب تبعيتهم للخواص من أئمتهم بخلاف ما قبله فان كلا من المعمولات مستقل فى قصد النصيحة ثم نصيحة العامة بارشادهم الى مصالحهم الدينية و الدنيوية و كف الاذى عنهم و تعليمهم ما ينفعهم فى دينهم و دنياهم و أعانتهم عليه قولا و فعلا و ستر عوراتهم و سد خلاتهم و دفع المضار عنهم و جلب المنافع لهم و أمرهم بالمعروف و نهيهم عن المنكر برفق و توقير كبيرهم و رحم صغيرهم و تخولهم بالموعظة الحسنة و ترك غيبتهم و حسدهم و الذب عن أموالهم و أعراضهم و غير ذلك من أحوالهم و مجمله أن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير و يكره لهم ما يكره لنفسه من الشر قال الطيبى و جماع القول فيه أن النصيحة هى خلوص المحبة للمنصوح له و التحرى فيما يستدعيه حقه فلايبعد أن يدخل فيه نفسه بان ينصحها بالتوبة النصوح و أن يأتى بها على طريقتها متداركة للفرطات ماحية للسيآت و يجعل قلبه محلا للنظر و الفكر و روحه مستقرا للمحبة و سره منبعا للمشاهدة و على هذا أعمال كل عضو من العين بان يحملها على النظر الى الآيات النازلة و الاحاديث الواردة و اللسان على النطق بالحق و تحرى الصدق و المواظبة على ذكر الله و ثنائه قال تعالى أن السمع و البصر و الفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا (رواه مسلم) و روى البخارى فى تاريخه صدر الحديث فقط ه هو قوله الدين النصيحة عن ثوبان و البزار عن ابن عمر

★ و عن جرير بن عبد الله قال بايعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم على أقام الصلاة و أيتاء الزكاة و النصح لكل مسلم متفق عليه

★ (الفصل الثانى) ★ عن أبى هريرة قال سمعت أبا القاسم الصادق المصدوق صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول لاتنزع الرحمة الا من شقى رواه أحمد و الترمذى ★ و عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن

قال النووى هذا حديث عظيم الشان و عليه مدار الاسلام و الايمان و أما ما قيل من أنه أحد أرباع الاسلام أى أحد الاحاديث الاربعة التى تجمع أمور الاسلام فليس كما قالوا بل المدار على هذا وحده و قال بعضهم فيه أن النصيحة تسمى دينا و اسلاما و ان الدين يقع على العمل كما يقع على القول و قالوا النصيحة فرض كفاية اذا قام به واحد سقط عن الباقين و النصيحة لازمة على قدر الطاقة اذا علم الناصح أنه تقبل نصيحته و يطاع أمره و أمن على نفسه المكروه و أن خشى أذى فهو فى سعة و الله سبحانه و تعالى أعلم ★ (و عن جرير) أى ابن عبد الله كما فى نسخة و هو البجلى (قال بايعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم على اقام الصلاة) أى أقامتها و أدامتها و حذف تاء الاقامة عند الاضافة للاطالة (و أيتاء الزكاة) أى أعطائها و تمليكها لمستحقيها قال النووى و انما اقتصر على الصلاة و الزكاة لكونهما امى العبادات المالية و البدنية و هما أهم أركان الاسلام بعد الشهادتين و اظهارها اه لايقال لعل غيرهما من الصوم و الحج لم‌يكونا واجبين حينئذ لانه أسلم عام توفى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم كما سبق فى ترجمته و لان الصوم من جملة العبادات البدنية و من أقام على محافظة الصلوات و مداومتها فبالاولى أن يقيم بالصوم بخلاف عكسه كما هو مشاهد فى أهل الزمان و الحج مركب من العبادات المالية و البدنية فمن قام بهما قام به لاسيما و محله فى العمر مرة بخلاف الصلاة فان لها أوقاتا فى كل يوم و ليلة و الزكاة واجبة فى كل سنة (و النصح) بضم فسكون أى و بالنصيحة (لكل مسلم) أى من خاصة المسلمين وعامتهم قال النووى روى أن جريرا رضى‌الله عنه اشترى له فرس بثلاثمائة درهم فقال جرير لصاحب الفرس فرسك خير من ثلاثمائة درهم أتبيعه بأربعمائة قال ذالك اليك يا عبد الله فقال فرسك خير من ذلك أتبيعه بخمسمائة ثم لم‌يزل يزيده مائة مائة حتى بلغ ثمانمائة فاشتراه بها فقيل له فى ذلك فقال بايعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم على النصح لكل مسلم (متفق عليه)

★ (الفصل الثانى) ★ (عن أبى هريرة رضى‌الله‌تعالى‌عنه قال سمعت أبا القاسم الصادق) أى فى أقواله و أفعاله (المصدوق) أى المشهود بصدقه فى قوله تعالى و ما ينطق عن الهوى (صلى‌الله‌عليه وسلم) قال المظهر الصادق من صدق فى قوله و تحراه بفعله و المصدوق من صدقه غيره اه و هو بتخفيف الدال و معناه أنه قال له صدقت و أما بتشديد الدال فالمفعول منه مصدق لامصدوق فافهم و الله أعلم (يقول لاتنزع الرحمة) بصيغة المجهول أى لاتسلب الشفقة على خلق الله و منهم نفسه التى هى أولى بالشفقة و المرحمة عليها من غيرها بل فائدة شفقته على غيره راجعة اليها لقوله تعالى أن أحسنتم أحسنتم لانفسكم و لان شفقته على خلق الله سبب لرحمته تعالى عليه لما سيأتى أن الراحمون يرحمهم الرحمن (الا من شقى) أى كافر أو فاجر يتعب فى الدنيا و يعاقب فى العقبى (رواه أحمد و الترمذى) قال ميرك و أبوداود و قال الترمذى حسن قلت و رواه ابن حبان فى صحيحه و الحاكم فى مستدركه ★ (و عن عبد الله بن عمرو) بالواو (رضى‌الله عنهما

ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء رواه أبوداود و الترمذى ★ و عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يرحم صغيرنا و لم يوقر كبيرنا و يأمر بالمعروف و ينه عن المنكر رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب ★ و عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكرم شاب شيخا من أجل سنه الا قيض الله له عند سنه من يكرمه

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن) لانهم مظاهره و متخلقون باخلاقه (ارحموا من فى الارض) قال الطيبى أتى بصيغة العموم ليشمل جميع أصناف الخلق فيرحم البر و الفاجر و الناطق و البهم و الوحوش و الطير اه و فيه اشارة الى أن ايراد من لتغليب ذوى العقول لشرفهم على غيرهم أو للمشاكلة المقابلة بقوله (يرحمكم من فى السماء) و هو مجزوم على جواب الامر و فى نسخة بالرفع أى من ملكه الواسع و قدرته الباهرة فى السماء أو من أمره نافذ فى السماء و الارض فهو من باب الاكتفاء و خص السماء بالذكر تشريفا أو لان الارض تفهم بالاولى أو لان السماء محيطة بها و هى كحلقة بجنبها فى وسطها فلاتذكر معها لحقارتها و قيل المراد من سكن فيها و هم الملائكة فانهم يستغفرون للذين آمنوا و يقولون ربنا وسعت كل شئ رحمة و علما فاغفر للذين تابوا الآية قال المظهر اختلف فى المراد بقوله من فى السماء فقيل هو الله سبحانه أى ارحموا من فى الارض شفقة يرحمكم من فى السماء تفضلا و تقدير الكلام يرحمكم من فى السماء ملكه و قدرته و انما نسب الى السماء لانها أوسع و أعظم من الارض أو لعلوها و ارتفاعها أو لانها قبلة الدعاء و مكان الارواح القدسية الطاهرة و قيل المراد منه الملائكة أى يحفظكم الملائكة من الاعداء و المؤذيات بأمر الله و يستغفروا لكم الرحمة من الله الكريم قلت المعنى الاول هو المدار عليه كما أشار صدر الحديث اليه و لان رحمة الملائكة فرع رحمته تعالى (رواه أبوداود و الترمذى) و زاد فيه الرحم شجنة من الرحمن من وصلها وصله الله و من قطعها قطعه و قال حسن صحيح اه كلام الترمذى و هذا هو الحديث المسلسل بالاولية ذكره ميرك و بينا طريقه فى بحث المسلسل من شرحنا على شرح النخبة و فى الجامع الصغير رواه أحمد و أبوداود و الترمذى و الحاكم عن ابن عمر و زاد أحمد و الترمذى و الحاكم و الرحم الخ ★(و عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا) أى من خواصنا و هو كناية عن التبرئة (من لم يرحم صغيرنا و يوقر) بالجزم و فى نسخة و لم يوقر أى لم يعظم (كبيرنا) و هو شامل للشاب و الشيخ (و يأمر بالمعروف) بالجزم عطفا على المجزوم و كذا قوله (و ينه عن المنكر) و هو بحذف الالف و أما اثباته على ما فى نسخة فغير صحيح رواية و ان كان له وجه دراية فتأمل (رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب) و فى نسخة حسن غريب و رواه البخارى فى الادب المفرد و أبوداود فى سننه عن ابن عمر أيضا لكن بلفظ من لم يرحم صغيرنا و يعرف حق كبيرنا فليس منا ★(و عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكرم) أى ما عظم و وقر (شاب شيخا من أجل سنه) أى كبر عمره لان الغالب عليه زيادة علم و عمل مع سبق ايمانه (الا قيض الله) بتشديد التحتية و منه قوله تعالى و من يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين أى قدر (له) أى للشاب (عند سنه) أى حال كبره (من يكرمه) أى قرينا يعظمه و يخدمه لان من خدم خدم و فيه اشارة الى طول عمر الشاب المعظم للشيخ المكرم وقد حكى ان بعض المريدين خرج من خراسان لملازمة شيخ من أهل مصر فاجتمع به و كان معه مدة فعناه

رواه الترمذی ✱ و عن أبی موسی قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم ان من اجلال الله اکرام ذی الشیبة المسلم و حامل القرآن غیر الغالی فیه و لا الجافی عنه و اکرام السلطان المقسط رواه أبو داود و البیهقی فی شعب الایمان

جماعة من الاکابر لزیارة الشیخ فاشار الی المرید انه یمسک دوابهم فخرج المرید الی الخدمة لکن خطر بباله انه مع طول مدة السفر و اجتماعه سنین مع الشیخ فی الحضر هذا نتیجته فلما خرج الاکابر و دخل المرید عند الاستاذ فقال یا ولدی سیأتیک الاکابر و یقدر الله لک من یخدمهم قال شیخ الاسلام و ندیم الباری عبدالله الانصاری صاحب منازل السائرین نفعنا الله من برکاتهم أجمعین فکان کما قال الشیخ حیث انه لم‌یوجد زمان الا علی بابه بغل أو فرس لکثرة زیارة الاکابر هذا و راوی هذا الحدیث ممن وفقه الله لهذا المنصب الجلیل و هو القائم بخدمة الحبیب و عمره عشر سنین و قد أطال الله عمره و أکثر ماله و ولده فهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة و له من العمر مائة و ثلاث سنین و ولد له مائة ولد و روی عنه خلق کثیر (رواه الترمذی) قال میرک و قال الترمذی حدیث غریب ✱(و عن أبی موسی رضی‌الله‌عنه قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم ان من اجلال الله) أی تعظیمه و تکریمه و المصدر مضاف الی الفاعل أو المفعول قاله ابن الملک و الظاهر هو الثانی کما هو متعین فی قوله (اکرام ذی الشیبة المسلم و حامل القرآن) أی و اکرام قارئه و حافظه و مفسره (غیر الغالی فیه) بالجر أی غیر المجاوز عن الحد لفظا و معنی کالموسوسین و الشکاکین أو المرائین أو الخائن فی لفظه بتحریفه کاکثر العوام بل و کثیر من العلماء أو فی معناه بتأویله الباطل کسائر المبتدعة (و لا الجافی عنه) أی و غیر المتباعد عنه المعرض عن تلاوته و احکام قراءته و اتقان معانیه و العمل بما فیه و قیل الغلو المبالغة فی التجوید او الاسراع فی القراءة بحیث یمنعه عن تدبر المعنی و الجفاء أن یترکه بعد ما علمه لاسیما اذا کان نسیه فانه عد من الکبائر فی النهایة و منه الحدیث اقرؤا القرآن و لا تجفوا عنه أی تعاهدوه و لاتبعدوا عن تلاوته بأن تترکوا قراءته و تشتغلوا بتفسیره و تأویله ولذا قیل اشتغل بالعلم بحیث لایمنعک عن العمل و اشتغل بالعمل بحیث لایمنعک عن العلم و حاصله أن کلا من طرفی الافراط و التفریط مذموم و المحمود هو الوسط العدل المطابق لحاله صلی‌الله‌علیه‌وسلم فی جمیع الاقوال و الافعال (و أکرام السلطان المقسط) أی العادل و أقله أن یغلب عدله جوره خلافا لمن کان عکسه فان البعد عنه أفضل ولذا قال بعض علمائنا من قال فی هذا الزمان سلطاننا عادل فهو کافر مع انه لایخلو کل سلطان عن نوع عدل و تحقیقه مبنی علی الفرق بین من یعدل و بین العادل فان الثانی یطلق عرفا علی من کان موصوفا بالعدل علی طریق الدوام کما یقال فلان المصلی و فلان الذی یصلی هذا و فی شرح السنة قال طاوس من السنة أن توقر أربعة العالم و ذا الشیبة و السلطان و الوالد قلت و فی معناه الوالدة و المراد بالعالم هو الجامع بین العلم و العمل کما هو مستفاد من قوله حامل القرآن و لعل عدم ذکر الوالد فی الحدیث لظهوره و عمومه أو لان الکلام فی الاجانب فاذا کان الاب شیخا و حاملا للقرآن و سلطانا ظاهریا أو باطنیا فیزاد فی اجلاله لانه یجب تعظیمه من وجوه کثیرة (رواه أبوداود و البیهقی فی شعب الایمان) و روی الخطیب فی الجامع عن أنس ان من الاجلال توقیر الشیخ من أمتی و لعله من جوامع الکلم فان الشیخ یطلق علی ذی الشیبة و العالم و الرئیس و منه ما روی الشیخ فی قومه

★ و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه و شر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه رواه ابن ماجه ★ و عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسح رأس يتيم لم يمسحه الا لله كان له بكل شعرة يمر عليها يده حسنات و من أحسن الى يتيمة أو يتيم عنده كنت أنا و هو في الجنة كهاتين و قرن بين أصبعيه رواه أحمد و الترمذى و قال هذا حديث غريب ★ و عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آوى يتيما

كالنبي في أمته ★(و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير بيت في المسلمين) أي فيما بين بيوتهم (بيت فيه يتيم يحسن اليه) بصيغة المفعول (و شر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه) أي يوذى بالباطل فان ضربه للتأديب و تعليم القرآن جائز فهما داخلان في الاحسان معنى و ان كان في الصورة اساءة و العكس عكس (رواه ابن ماجه) زاد في الجامع أنا و كافل اليتيم في الجنة هكذا و قال رواه البخارى في الادب المفرد و ابن ماجه و أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة ★(و عن أبي أمامة) أي الباهلي (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسح رأس يتيم) و كذا حكم اليتيمة بل هي الاولى بالحنية لضعفها ثم التنكير يفيد العموم فيشمل القريب و الاجنبي يكون عنده أو عند غيره (لم يمسحه) حال من فاعل مسح أي و الحال انه لم يمسح رأس اليتيم (الا لله) أي لا لغرض سواه (كان له) أي للماسح (بكل شعرة) بسكون العين و يفتح أي بكل واحدة من شعر رأسه (يمر) بالتذكير و يؤنث من المرور أي يأتي (عليها) و كذا حكم محاذيها (يده) و في نسخة من الامرار ففاعله ضمير الماسح و يده مفعوله (حسنات) بالرفع على اسم كان و الظاهر أن الحسنات مختلفة كمية و كيفية باعتبار تحسين النيات قال الطيبي مسح رأس اليتيم كناية عن الشفقة و التلطف اليه و لما لم تكن الكناية منافية لارادة الحقيقة لامكان الجمع بينهما كما تقول فلان طويل النجاد و تريد طول قامته مع طول علاقة سيفه رتب عليه قوله بكل شعرة يمر عليه يده (و من أحسن الى يتيمة أو يتيم) قيل أو للتنويع و قدم اليتيمة لانها أحوج و الظاهر أنه شك من أحد الرواة وقع في غير محله لان حكم اليتيم قد علم مما سبق ففي هذه الفقرة جبر اليتيمة باللطف اللهم الا أن يخص الاحسان بالانعام و الانفاق و نحوهما مما يغاير معنى مطلق الاحسان الشامل للمسح فاو للتنويع حينئذ مع احتمال الشك لان الاحكام الشرعية غالبا يستوى فيها المذكر و المؤنث مع احتمال أن يكون كل فصل من الحديث على حدة سمعه الراوى فجمعهما في الاداء ثم قوله (عنده) أعم من أن يكون اليتيم له أو لغيره (كنت أنا و هو) أي المحسن و أتى بضمير الفصل ليصح العطف على الضمير (في الجنة) خبر كان فيجب أن يقدر متعلقه خاصا يوافق قوله (كهاتين) أي متقارنين في الجنة اقترانا مثل هاتين الاصبعين و يجوز أن يكون كهاتين حال من الضمير المستقر في الخبر و أن يكون هو الخبر و في الجنة ظرف لكنت كذا حققه الطيبي (و قرن بين أصبعيه) أي المسبحة و الوسطى و في الحديث اشارة الى بشارة حسن الخاتمة (رواه أحمد و الترمذى و قال هذا حديث غريب) و في الجامع الصغير من أحسن الى يتيم أو يتيمة كنت أنا و هو في الجنة كهاتين رواه الحكيم عن أنس و في رواية الطبرانى عن ابن عباس بلفظ من آوى يتيما أو يتيمين ثم صبر و احتسب كنت أنا و هو في الجنة كهاتين ★(و عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آوى) بمد الهمزة و يقصر ففي النهاية آوى و أوى بمعنى واحد و المقصور منهما لازم و متعد أي ضم (يتيما) و اليتيمة بالاولى أو هو

الی طعامه و شرابه أوجب الله له الجنة البتة الا ان يعمل ذنبا لايغفر ومن عال ثلث بنات أو مثلهن من الاخوات فادبهن و رحمهن حتی يغنيهن الله أوجب الله له الجنة فقال رجل يا رسول‌الله و اثنتين قال أو اثنتين حتی لو قالوا أو واحدة لقال واحدة ومن أذهب الله بكريمتيه

من باب الاكتفاء* (الی طعامه و شرابه) أی سواء أكل معه أم لا و الضميران لمن و يحتمل ان يكونا لليتيم و الی بمعنی مع فيكون أبلغ فی الترغيب و يفهم الاول بالاولی (أوجب) أی أثبت (الله له الجنة) أو أوجب الله سبحانه علی نفسه بمقتضی وعده (البتة) أی ايجابا قاطعا بلاشك و شبهة (الا أن يعمل ذنبا لايغفر) المراد منه الشرك لقوله تعالی ان الله لايغفر ان يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء كذا ذكره الطيبی و هو ظاهر و قال شارح و تبعه ابن الملك أی الشرك و قيل مظالم الخلق قلت و الجمع هو الاظهر للاجماع علی أن حق العباد لايغفر بمجرد ضم اليتيم البتة مع أن من جملة حقوق العباد أكل مال اليتيم نعم يكون تحت المشيئة فالتقدير الا أن يعمل ذنبا لايغفر الا بالتوبة أو بالاستحلال و نحوه و حاصله أن سائر الذنوب التی بينه و بين الله تغفر أن شاء الله تعالی (و من عال ثلاث بنات) أی تعهدهن و قام بمؤنتهن (أو مثلهن) أی فی العدد (من الاخوات فادبهن) أی البنات أو الاخوات و كذا قوله (و رحمهن) أی أشفق عليهن و أحسن اليهن (حتی يغنيهن الله) أما بمال أو بزوج أو بموت (أوجب الله له الجنة فقال رجل يا رسول‌الله أو اثنتين) قال الطيبی عطف تلقين أی قل أو اثنتين و لذلك قال (أو اثنتين) قلت و او للتنويع أو بمعنی بل أو بمعنی الواو للتشريك فی الحكم و كان الحكم الالهی كان عاما أو مطلقا مفوضا اليه فاختار الاكثر بالذكر ترغيبا فلما قيل تهوينا للامر أو اثنتين قال أو اثنتين (حتی لو قالوا) أی بعض الصحابة أعم من ذلك القائل (أو واحدة) بالنصب (لقال واحدة) أی أو واحدة قال الطيبی حتی غاية الموافقة أی لم يزل يوافقه فی التنزل حتی لو قال أو واحدة لوافقه اه و يمكن انه صلی‌الله‌عليه‌وسلم أخبر عن حكم الثلاث . و قال رجل أو اثنتين فقال بوحی جديد أو اثنتين حتی لو قالوا أو واحدة لوافقهم بناء علی عادة الله الجارية للامة المرحومة من كمال لطفه و كرمه اليهم ببركته صلی‌الله‌عليه‌وسلم و نظيره اللهم ارحم المحلقين قالوا و المقصرين الحديث استدعی أن يشمل الرحمة للمقصرين أيضا و انما وقع الالتماس التلقينی هنا لانه ربما لاتوجد عند شخص ثلاثة أو اثنتين فيصير محروما من الثواب و هم حريصون علی تحصيله من كل باب كما ورد فی البخاری عن أبی سعيد انه صلی‌الله‌عليه‌وسلم قال ما منكن امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة الا كن لها حجابا من النار فقالت امرأة منهن يا رسول‌الله أو اثنين فاعادتها مرتين ثم قال واثنين واثنين و فی رواية لاحمد عن معاذ ما من مسلمين يتوفی لهما ثلاثة الا أدخلهما الله الجنة بفضل رحمته اياهما فقالوا يا رسول‌الله أو اثنان قال أو اثنان قالوا أو واحد قال أو واحد وجاء فی بعض الروايات و من لم يكن له فرط فانا فرطه فانهم لن يصابوا بمثلی وحاصله أن حكم البنت و الاخت الواحدة كذلك لكنها فی المرتبة الادنی و من لم يكن له بنت أو أخت فليتعهد يتيمة من الاقارب أو الاجانب و من لم يقدر علی ذلك فنية المؤمن خير من عمله (و من أذهب الله كريمتيه) أی عينيه و المراد نورهما و هو بان خلق أكمه أو حدث له فی الصغر أو الكبر و فی النهاية أی جارحتيه الكريمتين عليه و كل شئ يكرم عليك فهو كريمك و كريمتك و فی القاموس الكريمان الحج و الجهاد و منه خير الناس مؤمن بين كريمين

وجبت له الجنة قيل يا رسول‌الله و ما كريمتاه قال عيناه رواه فى شرح السنة ★ و عن جابر ابن سمرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لان يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع رواه الترمذى وقال هذا حديث غريب و ناصح الراوى ليس عند أصحاب الحديث بالقوى ★ وعن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ما نحل والد ولده من نحل أفضل من أدب حسن

أو معناه بين فرسين يغزو عليهما أو بعيرين يستقى عليهما و أبوان كريمان مؤمنان و كريمتك ابنتك و كل جارحة شريفة كالاذن و الكريمتان العينان اه فتأمل و فى نسخة صحيحة بكريمتيه فالباء زائدة فيها للمبالغة فى التعدية و المعنى فصبر على فقدهما و شكر ربه على سائر نعمه (وجبت له الجنة) و فى نسخة الا أوجب الله له الجنة (قيل يا رسول‌الله و ما كريمتاه قال عيناه) و الظاهر أن أيراد التثنية لارادة كمال الثواب و الا فقد واحدة أيضا لايخلو عن المثوبة (رواه) أى البغوى (فى شرح السنة) أى باسناده و نقل ميرك عن التصحيح أن الحديث رواه الطبرانى بجملته و روى الترمذى منه الى قوله الا أن يعمل ذنبا لايغفر و رواه المصنف يعنى صاحب المصابيح فى شرح السنة بتمامه أيضا الا قوله الا أن يعمل ذنبا لايغفر اه فالصواب أن ينسب الحديث الى الطبرانى فيتوجه الاعتراض على صاحب المشكاة فى قصور تتبعه و فى الجامع الصغير من عال ثلاث بنات فادبهن و زوجهن و أحسن اليهن فله الجنة رواه أبوداود عن أبى سعيد و فيه أيضا من ذهب بصره فى الدنيا جعل الله له نورا يوم القيامة ان كان صالحا رواه الطبرانى فى الاوسط عن ابن مسعود ★ (وعن جابر بن سمرة) رضى‌الله عنه مر ذكره (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لان يؤدب الرجل) أى و الله لتأديب الرجل بقول أو فعل (ولده) أى تأديبا واحدا ليلائم قوله (خير له) أى للرجل (من أن يتصدق بصاع) و انما يكون خيرا له لان الاول واقع فى محله لامحالة بخلاف الثانى فانه تحت الاحتمال أو لان الاول افادة علمية حالية و الثانى عملية مالية أو لان أثر الثانى سريع الفناء و نتيجة الاول طويلة البقاء أو لان الرجل بترك الاول قد يعاقب و بترك الثانى لم‌يعاقب و أمثال ذلك (رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب و ناصح الراوى ليس عند أصحاب الحديث بالقوى) أى و لم‌يعرف هذا الحديث الا من هذا الوجه اه ذكره ميرك و على تقدير ضعفه يعمل به فى فضائل الاعمال اجماعا و لاشك أن المراد بالتاديب هنا تعليم الآداب الشرعية و هذا المعنى مستفاد من الادلة القرآنية و الحديثية و قد روى الطبرانى بسند حسن عن أبى رافع مرفوعا لان يهدى الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت و مما يؤيده الحديث الآتى مما يليه ★ (و عن أيوب بن موسى) أموى تابعى روى عن عطاء و مكحول و طبقتهما و عنه شعبة و غيره و كان أحد الفقهاء (عن أبيه) أى موسى بن عمر و لم‌يذكره المصنف (عن جده) أى عمرو بن سعيد أو سعيد بن العاص و سياتى بيانه و سعيد بن العاص ولد عام الهجرة و كان أحد أشراف قريش و هو أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان و استعمله عثمان على الكوفة و غزا بالناس طبرستان فافتتحها و مات سنة تسع و خمسين ذكره المصنف فى فصل الصحابة (ان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ما نحل) أى ما أعطى (والد ولده من نحل) بضم النون و يفتح أى عطية أو أعطاء ففى النهاية النحل العطية و الهبة ابتداء من غير عوض و لا استحقاق يقال نحله ينحله نحلا بالضم والنحلة بالكسر العطية و فى القاموس النحل الشئ المعطى

رواه الترمذي و البيهقي في شعب الايمان و قال الترمذي هذا عندي حديث مرسل ★ و عن عوف ابن مالک الاشجعي قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أنا و امرأة سفعاء الخدين كهاتين يوم القيامة و أومأ يزيد بن زريع الى الوسطى و السبابة امرأة آمت من زوجها ذات منصب و جمال حبست نفسها على يتاماها

و بالضم مصدر نحله أعطاه و الاسم النحلة بالكسر و يضم (أفضل من أدب حسن) و هو المطابق للعرف الموافق للشرع قال الطيبي جعل الادب الحسن من جنس المال و العطيات مبالغة كما جعل الله القلب السليم من جنس البنين و المال في قوله يوم لاينفع مال و لابنون الا من أتى الله بقلب سليم قلت الصحيح في الآية أن الاستثناء منقطع أي و لكن سلامة من اتى الله بقلب سليم تنفعه أو متصل و المعنى الا مال من هذا شانه و بنوه حيث أنفق ماله من البر و أرشد بنيه الى الحق و قيل الاستثناء مما يدل عليه المال و البنون أي لاينفع غنى الاغنياء هذا و لم يظهر وجه المبالغة لا في الحديث و لا في الآية مع ان الحديث مستغن عن التكلف فانه اذا قيل الادب خير من الذهب أو البشر خير من الملک فالمعنى ان هذا الجنس أحسن من هذا الجنس و لايحتاج الى جعل أحدهما من جنس الآخر اذ معنى الكلام تام بدونه (رواه الترمذي و البيهقي في شعب الايمان و قال الترمذي هذا حديث عندي مرسل) قال الطيبي قوله عندي يدل على اختلاف فيه و ذلک ان قوله عن جده يوهم الاتصال و الارسال فانه يحتمل أن يكون جد أيوب و هو عمرو فيكون مرسلا و أن يكون جد أبيه و هو سعيد صحابي فيكون متصلا قال الطيبي روى البخاري الحديث في تاريخه و قال انه لم يصح سماع جد أيوب فوافق الترمذي البخاري و قال هذا عندي مرسل و في جامع الاصول اشعار بانه متصل حيث روى عن سعيد بن العاص عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم قلت و في الجامع الصغير اشارة الى انه مرسل حيث قال رواه الترمذي و الحاكم عن عمرو بن سعيد بن العاص هذا و كلام البخاري أنه لم يصح له سماع جد ايوب ان أراد به جده الكبير فلايضر الحديث لانه حينئذ من مراسيل الصحابة و هو مقبول عند الكل و ان أراد به جده بلا واسطة فهو المرسل المتعارف لكنه حجة عند الجمهور على ان الحديث من فضائل الإعمال والله أعلم بالحال ★ (وعن عوف بن مالک الاشجعي رضي‌الله تعالى عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أنا وامرأة سفعاء الخدين) بضم الهمزة و يفتح بتقدير هي أو أعني أي متغيرة لون الخدين لما يكابدها من المشقة و الضنک صفة كاشفة باعتبار غالب حالها ليصح الاطلاق في رواية أحمد و مسلم و أبي‌داود و الترمذي عن سهل بن سعد أنا و كافل اليتيم هكذا (كهاتين) أي من الاصبعين (يوم القيامة و أومأ) بهمز في آخره من ومأ اليه أشار كأومأ كذا في القاموس و لم يذكر فيه مادة و م ى فما في بعض النسخ أومى بالياء لايظهر له وجه الا أن يقال بالابدال و ابدال الهمز المتحرك ضعيف عند قوم و الله أعلم و الحاصل أنه أشار (يزيد بن زريع) بضم زاي و فتح راء أحد رواة الحديث (الى الوسطى و السبابة) أي بيانا لهاتين (امرأة) أي هي فهي خبرها محذوف (آمت) بمد همزة وتخفيف ميم أي صارت ايما بان فارقت (من زوجها) بموت أوطلاق (ذات منصب) بكسر الصاد أي صاحبة نسب أو حسب (و جمال) أي كمال صورة و سيرة و هي صفة لامرأة و أريد بها كما الثواب و ليست للاحتراز و المعنى انها مع هذه الصفة المرغوبة المطلوبة لكل أحد (حبست نفسها) فالجملة استئناف أو صفة أخرى أوحال بتقدير قد أو بدونه أي منعتها عن الزواج صابرة أو شفقة (على يتاماها)

حتى بانوا أو ماتوا رواه أبوداود ★ و عن ابن عباس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من كانت له أنثى فلم يئدها و لم يهنها و لم يؤثر ولده عليها يعنى الذكور أدخله الله الجنة رواه أبوداود ★ و عن أنس عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال من اغتيب عنده أخوه المسلم و هو يقدر على نصره فنصره نصره الله فى الدنيا و الآخرة فان لم ينصره و هو يقدر على نصره أدركه الله به فى الدنيا و الآخرة رواه فى شرح السنة ★ و عن أسماء بنت يزيد قالت قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من ذب عن لحم أخيه بالمغيبة

و قال شارح أى اشتغلت بخدمة الاولاد و عملت لهم فكانها حبست نفسها أى وقعت عليهم و فى نسخة على ايتامها (حتى بانوا) أى الى ان كبروا و حصلت لهم الابانة أو وصلوا الى مرتبة كمالهم فان البين من الاضداد بمعنى الفصل و الوصل و قال شارح أى حتى فضلوا و زادوا قوة و عقلا و استقلوا بأمرهم من البون و هو الفضل و المزية (أو ماتوا) أى أو ماتت فاو التنويع و قال القاضى قوله امرأة آمت الخ بدل مجرى مجرى البيان و التفسير و آمت المرأة أيمة و أيوما اذا صارت بلازوج و قوله حتى بانوا أى استقلوا بأمرهم و انفصلوا عنها و قال الطيبى التنكير فى امرأة للتعظيم و قوله سفعاء الخدين نصب أو رفع على المدح و هو معترض بين المبتدأ و الخبر (رواه أبوداود ★ و عن ابن عباس رضى‌الله عنهما قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من كانت له أنثى) أى بنت أو أخت (فلم يئدها) على وزن يعدها أى لم يدفنها حية كما هو عادة الجاهلية للفرار عن الفقر أو لعار (و لم يهنها) من الاهانة و فيه اشارة الى قوله تعالى و اذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا و هو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب فالمعنى و لم يمسكها على هوان و مذلة و حقارة و مشقة (و لم يؤثر) من الايثار أى لم يختر (ولده) أى صبيه اذا كان له (عليها) أى الانثى و لما كان الولد فى اللغة يطلق على الابن و البنت قال ابن عباس (يعنى) أى يريد النبى عليه السلام بالولد (الذكور) و يحتمل ان يكون التفسير لغير ابن عباس فتأمل ثم تفسير الولد بالذكور على صيغة الجمع لان الولد اسم جنس أو الجنسية هنا مستفادة من الاضافة و لعل العدول فى التفسير عن الذكر الى الذكور تحاشيا عن ذكر الذكر فتدبر (أدخله الله الجنة) أى مع السابقين قال الطيبى فى وضع الانثى موضع البنت تحقير لشأنها كما وضع الولد مكان الابن تعظيما له ايذانا بمخالفة عظيمة لهوى النفس و ايثار رضا الله على رضاه و لذلك رتب عليه دخول الجنة (رواه أبوداود ★ و عن أنس رضى‌الله تعالى عنه عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال من اغتيب) يجوز كسر النون و ضمها وصلا أى من تكلم بالغيبة (عنده أخوه المسلم و هو يقدر على نصره) الجملة حال من ضمير من (فنصره) عطف على الشرط أى فمنعه و دفعه و جزاؤه (نصره الله فى الدنيا و الآخرة فان لم ينصره و هو يقدر على نصره أدركه الله) أى عاقبه (به) أى بسبب عدم نصره عند وجود قدرته (فى الدنيا و الآخرة رواه فى شرح السنة) و فى سنده ضعف لكن له شواهد يقوى بها نقله ميرك عن التصحيح ★(و عن أسماء بنت يزيد) أى ابن السكن (قالت قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من ذب) أى دفع (عن لحم أخيه) كناية عن غيبته على طبق الآية و المعنى من دفع أو بن منع مغتابا عن غيبة أخيه (بالمغيبة) أى فى زمان كون أخيه غائبا و هو مصدر أو اسم زمان أو مكان قال الطيبى كأنه قيل من ذب عن غيبة أخيه فى غيبته و على هذا بالمغيبة ظرف و يجوز أن يكون حالا و فى هذه الكناية من المبالغة انه جعل

كان حقا على الله ان يعتقه من النار رواه البيهقى فى شعب الايمان ✱ و عن أبى الدرداء قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول ما من مسلم يرد عن عرض أخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا و كان حقا علينا نصر المؤمنين رواه فى شرح السنة

الغيبة كاكل لحم الانسان و لم يقتصر عليه بل جعلها كلحم أخيه لانه أشد نفارا من لحم الاجانب و زاد فى المبالغة حيث جعل الاخ ميتا (كان حقا على الله) أى ثابتا عنده أو واجبا عليه بمقتضى وعده (أن يعتقه من النار) و هو اما فى أول وهلة قبل دخولها أو بعده قبل استيفاء العقوبة (رواه البيهقى فى شعب الايمان) و فى التصحيح رواه الطبرانى و محيى السنة و فى سنده ضعيف و قال الحافظ المنذرى فى الترغيب رواه أحمد بسند حسن و ابن أبى الدنيا و الطبرانى و غيرهم نقله ميرك و فى الجامع الصغير بلفظ من ذب عن عرض أخيه بالمغيبة كان حقا على الله أن يقيه من النار رواه أحمد و الطبرانى فى الكبير عن أسماء بنت يزيد ✱(و عن أبى الدرداء رضى‌الله‌عنه قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول ما من مسلم يرد عن عرض أخيه) أى يمنع عن غيبة أخيه مثلا (الا كان حقا على الله أن يرد) أى يصرف (عنه) أى عن الراد (نار جهنم يوم القيامة ثم تلا) أى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم استشهادا و يحتمل انه قرأ أبوالدرداء اعتضادا (و كان حقا علينا نصر المؤمنين) قال الطيبى قوله و كان حقا علينا الخ استشهاد لقوله الا كان حقا على الله ان يرد عنه و الضمير فى عنه راجع الى المسلم الذاب عن عرض أخيه أتى بالعام فيدخل فيه من سيق له الكلام دخولا أوليا كما فى قوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين و هو أبلغ من لو قيل عليهم لموقع الكناية اه و لاخفاء ان ما فى صدر الحديث نافية و من مزيدة لاستغراق النفى فالحكم عام شامل و ليس فى الحديث ما يقال على ان هناك من سيق له الكلام ليدخل دخولا أوليا و أما الآية فالظاهر ان حكمة العدول عن عليهم الى على الكافرين ليخرج من سيؤمن منهم و يدخل فيهم غيرهم من سائر الكفار مع ما فيه من تنبيه نبيه على ان لعن الاحياء من الكفار غير جائز اذا كانوا قوما محصورين لان المدار على الخاتمة و أما قول الطيبى و فيه ان مفهوم المسلم و المؤمن واحد كما فى قوله تعالى فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ففيه ان الصواب كون مفهومهما لغة و شريعة متغايرين على ما يشهد له قوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا و لكن قولوا أسلمنا و يدل عليه حديث جبريل كما سبق فى أول الكتاب من تغاير تعريف الايمان و الاسلام نعم ما صدقهما واحد فى اعتبار عرف الفقهاء و المتكلمين بحيث يطلق كل موضع الآخر لان انقياد الظاهر بدون انقياد الباطن غير صحيح و كذا العكس فلابد من تحققهما ثم لايلزم من ترك عمل من أعمال الاسلام عدم انقياد الظاهر للفرق بين تركه كسلا و اعراضا فمن ترك صلاة متعمدا أو قتل نفسا غير معتقد وجوب الاول و حرمة الآخر كان كافرا و هذا هو المذهب الفارق بين مذهب أهل الحق من أهل السنة و الجماعة و بين مشرب المعتزلة و الخوارج و سائر أهل الضلالة و البدعة (رواه فى شرح السنة) و قال المنذرى أخرجه الترمذى بلفظ من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة و قال حديث حسن و رواه ابن أبى الدنيا و أبو الشيخ فى كتاب التوبيخ و لفظه قال من ذب عن أخيه رد الله عنه عذاب النار يوم القيامة و تلا رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و كان حقا علينا نصر المؤمنين نقله ميرك و فى الجامع الصغير بلفظ من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار

★ و عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من امرئ مسلم يخذل امرأ مسلما في موضع ينتهك فيه حرمته و ينتقص فيه من عرضه الا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته و ما من امرئ مسلم ينصر مسلما في موضع ينتقص من عرضه و ينتهك فيه من حرمته الا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته رواه أبو داود ★ و عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى عورة فسترها كان كمن أحيى موؤدة

يوم القيامة رواه أحمد و الترمذي عن أبي الدرداء و روى البيهقي عن أبي الدرداء أيضا بلفظ من رد عن عرض أخيه كان له حجابا من النار ★(و عن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من امرئ مسلم يخذل) بضم الذال (امرأ مسلما في موضع ينتهك) بصيغة المجهول أي يتناول بما لايحل (فيه) أي في ذلك الموضع (حرمته) أي احترامه و بعض اكرامه و رواية الجامع الصغير من حرمته و لعله هو الصواب في الرواية كما تقتضي الدراية من حسن المقابلة الا أن في الجامع ينتقص فيه من عرضه و ينتهك فيه من حرمته و لايخفى ان ترتيبه أيضا هو الانسب ليكون تعميما بعد تخصيص و هو المطابق لما سيأتي في الفقرة الثانية فعكس في ترتيب المشكاة هنا بقوله (و ينتقص فيه من عرضه) بصيغة المجهول من الانتقاص و هو لازم و متعد و المعنى ليس أحد يترك نصرة مسلم مع وجود القدرة عليه بالقول أو الفعل عند حضور غيبته أو اهانته أو ضربه أو قتله و نحوها (الا خذله الله تعالى في موطن يحب) أي ذلك الخاذل (فيه) أي في ذلك الموطن (نصرته) أي اعانته سبحانه و يجوز أن تكون اضافته الى المفعول و ذلك شامل لمواطن الدنيا و مواقف الآخرة (و ما من امرئ مسلم ينصر مسلما في موضع ينتقص من عرضه و ينتهك) أي فيه كما في نسخة مطابقة لرواية الجامع (من حرمته) أي من بعض احترامه من لوازم اكرامه (الا نصره الله في موطن) فيه تفنن بالعبارة و رواية الجامع في الموضعين بلفظ موطن (يحب فيه نصرته) و لعل هذا مقتبس من قوله تعالى جزاء وفاقا و قوله عزوجل و من يعمل سوأ يجز به (رواه أبو داود) و كذا أحمد و الضياء عن جابر و أبي طلحة بن سعد ★(و عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى عورة) و هي ما يكره الانسان ظهوره فالمعنى من علم عيبا أو أمرا قبيحا في مسلم (فسترها) أو رأى عورة مسلم مكشوفة فسترها بثوبه أو من عنده و قال الطيبي أي من رأى خللا من هتك ستر أو وقع في عرض و نحوهما لان الناس يختل حالهم عندها (كان كمن أحيا) أي كان ثوابه كثواب من أحيا (موؤدة) بان رأى أحد أحدا يريد وأد بنت فمنع أو سعى في خلاصها و لو بحيلة و قال المظهر بان رأى حيا مدفونا في قبر فاخرج ذلك المدفون من القبر كيلا يموت و وجه تشبيه الستر على عيوب الناس باحياء الموؤدة ان من انتهك ستره يكون من الخجالة كميت اذ يحب الموت منها فاذا ستر أحد على عيبه فقد دفع عنه الخجالة التي هي عنده بمنزلة الموت اه و يمكن أن يقال وجه المشابهة هو المناسبة الضدية فان بالشئ يذكر ضده و المعنى من ستر ما شرع الله ستره كان كمن رفع الستر عما لم يشرع ستره أو وجه الشبه هو اصلاح الفساد في القرينتين فلا اشكال و الله أعلم بالحال و قال الطيبي يمكن أن يقال ان وجه الشبه الأمر العظيم يعني من ستر على مسلم فقد ارتكب أمرا عظيما كمن أحيا موؤدة فانه أمر عظيم فيدل على فخامة تلك الشنعاء نحو قوله تعالى و من أحياها فكانما أحيا الناس جميعا الكشاف فيه تعظيم قتل النفس و احيائها في القلوب ليستمر

رواه أحمد و الترمذی و صححه ★ و عن أبی هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان أحدكم مرآة أخيه فان رأى به أذى فليمط عنه

الناس على الجسارة عليها . و يتراغبوا فی المحاماة على حرمتها لان المتعرض لقتل النفس اذا تصور قتلها بصورة قتل جميع الناس عظم ذلک عليه فثبطه و كذلک الذی أراد احياءها اه كلامه فكذا من أراد أن يستر عيب مؤمن و عرضه اذا تصور انه احياء الموؤدة عظم عنده ستر عورة المؤمن فيتحرى فيه و يبذل جهده قلت و هذا المعنى لاينافيه اعتبار وجه الشبه فيما سبق نعم فی الآية لما عظم على صاحب الكشاف وجه شبه قتل نفس واحدة بقتل الانفس جميعها و كذا احياؤها باحيائها اعتبر معنى العظمة المشتملة على المناسبة للمشابهة بين الكمية و الكيفية مع ان فی الآية معانی أخر أظهر من قول الكشاف فقال بعضهم أی من استحل دم مسلم فكانما استحل دماء الناس لانه لافرق عنده بين نفس ونفس وهذا قول ابن عباس أولانه يقتل قصاصا كما لوقتل جميع الناس وجزاءه جهنم كما لوقتل الجميع وهذا قول مجاهد أو كما قتل الناس جميعا وزرا واثما و هذا قول قتادة وهو تعظيم للقتل ولايصح الا على طريق الوعيد والتهديد وقال البيضاوی فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان قتل الواحد و الجمع سواء فی استجلاب غضب الله و العذاب العظيم أی فی أصل الاستجلاب و الله أعلم بالصواب (رواه أحمد و الترمذی و صححه) و نقل ميرك عن التصحيح انه رواه أحمد وأبوداود و فيه قصة و قد جاء من عدة طرق اه و فی الجامع الصغير بلفظ من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موؤدة من قبرها رواه البخاری فی الادب المفرد و أبوداود و الحاكم عن عقبة ابن عامر ★ (و عن أبی هريرة رضی‌الله عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان أحدكم مرآة أخيه) بكسر ميم و مد همز أی آلة لاراءة محاسن أخيه و معايبه لكن بينه و بينه فان النصيحة فی الملأ فضيحة و أيضا هو يرى من أخيه ما لايراه من نفسه كما يرسم فی المرآة ما هو مختف عن صاحبه فيراه فيها أی انما يعلم الشخص عيب نفسه باعلام أخيه كما يعلم خلل وجهه بالنظر فی المرآة (فان رأى) أی أحدكم (به) أی باخيه (أذى) أی عيبا مما يؤذيه أو يؤذی غيره (فليمط) أی فليمطه كما فی رواية الجامع الصغير من الاماطة و المعنى فليزل ذلک الاذى (عنه) أی عن أخيه أما باعلامه حتى يتركه أو بالدعاء له حتى يرفع عنه و هذا وجه قول عمر رضی‌الله عنه رحم الله امرأ أهدى الى بعيوب نفسی و فی اتيانه بصيغة الجمع اشارة الى ان النفس معدن العيوب و منبعها و لذا قيل ★ وجودك ذنب لايقاس به ذنب ★ و فی شرح الطيبی قيل المؤمن فی اراءة عيب أخيه كالمرآة المجلوة التی تحكی كل ما يرسم فيها من الصور و لو كان أدنى شئ فالمؤمن اذا نظر الى أخيه يستشف من وراء أقواله و أفعاله و أحواله تعريفات و تلويحات من الله الكريم فای وقت ظهر من أحد المؤمنين المجتمعين فی عقد الاخوة عيب قادح فی اخوته ثاروه لان ذلک يظهر بظهور النفس من تضييع حق الوقت فعلموا منه خروجه بذلک عن دائرة الجمعية فنافروه ليعود الى دائرة الجمعية قال رويم لايزال الصوفية بخير ما تنافروا فاذا اصطلحوا هلكوا و هذا اشارة منه الى حسن تفقد بعضهم أحوال البعض اشفاقا من ظهور النفس يقول اذا اصطلحوا و رفع التنافر بينهم يخاف أن يخامر البواطن المساهلة و المرآة و مسامحة البعض البعض فی اهمال دقيق آدابهم و بذلک تظهر النفوس و تتولى و تصدأ مرآة القلب فلايرى فيها الخلل و العيب قال عمر رضی‌الله عنه فی مجلس فيه المهاجرون و الانصار أرأيتم لو ترخصت

رواه الترمذی و ضعفه و فی روایة له و لابی‌داود المؤمن مرآة المؤمن و المؤمن أخو المؤمن یکف عنه ضیعته و یحوطه من ورائه

فی بعض الامور ما ذا کنتم فاعلین مرتین أو ثلاثا فلم‌یجیبوا قال بشیر بن سعد لو فعلت ذلک قومناک تقویم القدح قال عمر انتم اذا انتم کذا فی کتاب العوارف (رواه الترمذی و ضعفه و فی روایة له و لابی‌داود) و کذا للبخاری فی الادب المفرد (المؤمن مرآة المؤمن و المؤمن أخو المؤمن یکف عنه ضیعته) أی یمنع عن أخیه تلفه و خسرانه فهو مرة من الضیاع و قیل ضیعة الرجل ما یکون منه معاشه أی یجمع علیه معیشته (و یحوطه) أی یحفظه و ینصره و یضمه الیه (من ورائه) أی فی غیبته نفسا و مالا و عرضا بان لایسکت اذا اغتیب عنده و قدر علی دفعه هذا و صدر الحدیث و هو قوله المؤمن مرآة المؤمن حدیث مستقل أیضا و رواه الطبرانی فی الاوسط و الضیاء عن أنس و للطائفة الصوفیة الصفیة تعلق بهذا الحدیث من حیث تصویر الجمع بین الکثرة و الوحدة تارة بوجود مرآة واحدة و مراء متعددة و تارة بالعکس فی الانعکاس و جعلوا أحد المؤمنین عبارة عن المؤمن المهیمن المتعال و هو تمثال علی وجه الکمال و لله المثل الاعلی و الصفة الاعلی من حجة دلالته علی تنزیه الرائی و المرئی من المحب و المحبوب و الطالب و المطلوب و من حیثیة کون المرآة مظهرا و مظهرُ المتعالی عن الحلول و الاتحاد و الانفصال و الاتصال خلاف ما تصوره أهل الضلال و أیضا فیه اشارة الی أن تجلیات الظهور الربانی و تجلیات العوارف الصمدانی انما هو بقدر صفاء المرآة عن صداء الذنوب و تخلیات الشهوات و سائر العیوب مما یحجب القلوب عن مطالعة الغیوب لکن اذا کان الرائی متوجها الی مرآة القلب لامعرضا عنها و الا فیکون وجه المرآة و قفاؤها مستویین عنده و کذا اذا تراکم الصدأ و الرین وارتفع العین بسبب الغین فیکون محجوبا فی البین فانظر التفاوت بین الفریقین فانه بون بین و لذا قال ندیم الباری خواجه عبد الله الانصاری صاحب منازل السائرین و مقامات الطائرین آه آه من تفاوت سالکی طریق الاله مع ان الکل من حدید واحد فی کیر وارد فیصاغ من قطعة مرآة یری بها وجه المحبوب و یصنع من أخری نعل یوضع تحت رجل المرکوب مشیرا الی قوله تعالی أولئک کالانعام بل هم أضل أولئک هم الغافلون أی الکافرون الکاملون فی الغفلة بخلاف المؤمنین الکاملین فی مرتبة الحضور دائما کالانبیاء أو غالبا کالاولیاء و تارة و تارة کسائر المؤمنین الذین خلطوا عملا صالحا و آخر سیأ فان الغفلة کفر کما بینته فی شرح حزب الفتح للشیخ أبی الحسن البکری قدس الله سره السری هذا و کان صاحب المنازل أراد باحدهما مثل آدم و موسی و الخاتم و بالآخر ابلیس و فرعون و أبا جهل لکن عندی أن یقال نبینا الرئیس بمقابلة ابلیس فان سیدنا محمد اعظم مظاهر الجمال و ابلیس أقوی مظاهر الجلال و کذا ما یترتب علی متابعتهما من الجنة و الثواب و النار و العقاب و أبوجهل یقابل بآدم الذی هو أبو العلم و لکل فرعون موسی و هنا یفتح أبواب بحث القضاء و القدر و یدخل أسباب التحیر فی أمر القوی و القدر و الجواب المحمدی لایسأل عما یفعل ثم هذان الامران باقتضاء صفتی الجمال و الجلال من صاحب الکمال و بسطهما یوجب کلال أرباب الملال مع انه غایة ذوق أصحاب الحال فقد مزجت لک الاشارة الصوفیة الباطنیة بالعبارة العلمیة الظاهریة لعلک تعترف بالجهل من هذا المذهب و تغترف بالعلم من هذا المشرب و لو کان ممزوجا لعدم حصوله صرفا کما أشار الیه سبحانه و دل علیه کلامه و برهانه

★ و عن معاذ بن أنس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من حمى مؤمنا من منافق بعث الله ملكا يحمى لحمه يوم القيامة من نار جهنم و من رمى مسلما بشئ يريد به شينه حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال رواه أبوداود ★ و عن عبدالله ابن عمرو قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم خير الاصحاب عندالله خيرهم لصاحبه و خير الجيران عند الله خيرهم لجاره رواه الترمذى و الدارمى و قال الترمذى هذا حديث حسن غريب ★ و عن ابن مسعود قال قال رجل للنبى صلى‌الله عليه‌وسلم يارسول‌الله كيف لى أن اعلم اذا أحسنت و اذا أسأت فقال النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد أحسنت و اذا سمعتهم يقولون قد أسأت فقد أسأت رواه ابن ماجه

حيث قال أن الابرار لفى عليين الى ان قال يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك و فى ذلك فليتنافس المتنافسون و مزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون و قد قال العارف ابن الفارض

عليك بها صرفا و أن شئت مزجها ★ فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

اذا قنا الله من كأس مشربهم و رزقنا سلوك مذهبهم و حسن مطلبهم ★(و عن معاذ بن أنس رضى‌الله‌عنه) أى الجهنى روى عنه ابنه سهل ذكره المؤلف فى فصل الصحابة (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من حمى) أى حرس (مؤمنا) أى عرضه (من منافق) أى مغتاب و انما سمى منافقا لانه لايظهر عيب أخيه عنده ليتدارك بل يظهر عنده خلاف ذلك أو لانه يظهر النصيحة و يبطن الفضيحة (بعث الله ملكا يحمى لحمه) أى لحم حامى المؤمن (يوم القيامة من نار جهنم و من رمى) أى قذف (مسلما) فيه تفنن و اشعار بصحة اطلاق كل موضع الآخر (بشئ) أى من العيوب (يريد به شينه) أى عيبه و الجملة حال من الضمير للاحتراز عمن يريد به زجره أو احتراس غيره عنه و نحو ذلك من المجوزات الشرعية (حبسه الله) أى وقفه (على جسر جهنم) و هو صراط ممدود بين ظهرانيها أدق من الشعر و أحد من السيف (حتى يخرج مما قال) أى من عهدته و المعنى حتى ينقى من ذنبه ذلك بارضاء خصمه أو بشفاعة أو بتعذيبه بقدر ذنبه (رواه أبوداود) أى من طريق سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه ذكره ميرك ★(و عن عبدالله بن عمرو) بالواو (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم خير الاصحاب) أى أكثرهم ثوابا (عند الله) أى فى حكمه الذى هو المعتبر عند الكل (خيرهم لصاحبه) أى أكثرهم احسانا و لو بالنصيحة (و خير الجيران عند الله خيرهم لجاره) أى و لو برفع الاذى عنه (رواه الترمذى و الدارمى) و كذا أحمد و الحاكم فى مستدركه (و قال الترمذى هذا حديث حسن غريب) قال ميرك و اسناده جيد رجاله رجال الصحيح و فى الجامع الصغير خير الاصحاب صاحب اذا ذكرت الله أعانك و ان نسيت ذكرك رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الاخوان عن الحسن مرسلا ★(و عن ابن مسعود رضى‌الله‌عنه قال قال رجل للنبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم كيف لى أن أعلم اذا أحسنت أو اذا أسأت) و فى نسخة بالواو بمعنى أو و المعنى كيف يحصل لى العلم باحسانى أو اساءتى اذا صدر منى عمل غير معروف حسنه و قبحه شرعا (فقال النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا سمعت جيرانك) أى جميعهم لعدم اجتماعهم على الضلالة غالبا (يقولون قد أحسنت فقد أحسنت و اذا سمعتهم يقولون قد أسأت فقد أسأت) و فيه اشارة الى أن ألسنة الخلق أقلام الحق (رواه ابن ماجه) و كذا ابن حبان فى صحيحه و أحمد فى مسنده و الطبرانى و رجال ابن ماجه رجال الصحيحين الا شيخه محمد بن يحيى قد أخرج له البخارى دون مسلم كذا فى التصحيح و فى الجامع رواه أحمد و ابن ماجه و الطبرانى عن ابن مسعود و ابن ماجه

★ و عن عائشة ان النبی صلی‌اللهعلیه‌وسلم قال انزلوا الناس منازلهم رواه أبوداود
★ (الفصل الثالث) ★ عن عبدالرحمن بن أبی قراد ان النبی صلی‌اللهعلیه‌وسلم توضأ یوما فجعل أصحابه یتمسحون بوضوئه فقال لهم النبی صلی‌اللهعلیه‌وسلم ما یحملکم علی هذا قالوا حب الله و رسوله فقال النبی صلی‌اللهعلیه‌وسلم من سره أن یحب الله و رسوله أو یحبه الله و رسوله فلیصدق حدیثه اذا حدث و لیؤد أمانته اذا أؤتمن

أیضا عن کلثوم الخزاعی ★(و عن عائشة رضی‌الله عنها ان النبی صلی‌اللهعلیه‌وسلم قال أنزلوا الناس) أمر من الانزال و قوله (منازلهم) منصوب بنزع الخافض قیل أی مقاماتهم المعینة المعلومة لهم قال تعالی حکایة عن الملائکة و ما منا الا له مقام معلوم و لکل بأحد مرتبة و منزلة لایتخطاها الی غیرها فالوضیع لایکون فی موضع الشریف و لا الشریف فی منزل الوضیع فاحفظوا علی کل أحد منزلته و لا تسووا بین الخادم و المخدوم و السائد و المسود و أکرموا کلا علی حسب فضله و شرفه و قد قال تعالی و رفعنا بعضهم فوق بعض درجات و قال عز من قائل یرفع الله الذین آمنوا منکم و الذین أوتوا العلم درجات و هذا الحدیث مبدأ فهم أقوال العلماء فی تفاضل الانبیاء و تفضیل البشر علی الملک و تفضیل الخلفاء و أمثال ذلک من المباحث کما أنه منشأ هم الاغنیاء والاغبیاء و المتکبرین من الامراء والوزراء علی ما هو مشاهد فی مجالس الحوادث قد علم کل اناس مشربهم و فهم کل فریق مذهبهم یضل به کثیرا و یهدی به کثیرا (رواه أبوداود) أی من طریق میمون بن أبی شعیب عن عائشة و قال میمون بن شعیب لم‌یدرک عائشة اه و سئل أبو بکر الرازی میمون عن عائشة متصل قال لا نقله میرک عن التصحیح و فی الجامع الصغیر رواه مسلم و أبوداود عن عائشة فالاعتراض متوجه علی صاحب المصابیح و کذا علی صاحب المشکاة فی غفلة الاول بایراده فی الفصل الثانی و فی تقصیر الثانی بقصور التتبع بل و علی صاحب التصحیح ان کان نقل الجامع هو الصحیح هذا و رواه الخرائطی فی مکارم الاخلاق بلفظ انزل الناس منازلهم من الخیر و الشر و أحسن أدبهم علی الاخلاق الصالحة
★ (الفصل الثالث) ★ (عن عبدالرحمن بن أبی قراد) بضم القاف قال المؤلف صحابی أسلمی یعد فی أهل الحجاز روی عنه أبو جعفر الخطمی و غیره (ان النبی صلی‌اللهعلیه‌وسلم توضأ یوما فجعل أصحابه یتمسحون بوضوئه) بفتح الواو و أبعد من ضمها و قدر الماء (فقال لهم النبی صلی‌الله علیه‌وسلم ما یحملکم علی هذا) أی التمسح و کان هذا من المعلوم الواضح عنده انه للتبرک الناشئ عن حسن الاعتقاد فی الله و رسوله فالسؤال لاظهار ما یترتب علی الجواب (قالوا حب الله و رسوله) أی الحامل أو حملنا (فقال النبی صلی‌اللهعلیه‌وسلم من سره أن یحب الله و رسوله) أی علی وجه الکمال (أو یحبه الله و رسوله) أو للتنویع أو بمعنی بل و هو الاظهر و یحتمل شک الراوی (فلیصدق) بضم الدال (حدیثه) بالنصب أی فی حدیثه ففی القاموس الصدق بالکسر والفتح ضد الکذب أو بالفتح مصدر و بالکسر الاسم و صدق فی الحدیث و صدق فلانا الحدیث أو القتال و صدقه تصدیقا ضد کذبه (اذا حدث) أی متی تکلم و تحدث (و لیؤد أمانته اذا اؤتمن) بسکون الهمز و یبدل ألفا حال الوصل و هو علی بناء المفعول و یکتب بالواو لان حالة الابتداء به بعد الوقف علی ماقبله یجب قلب الهمزة الثانیة واوا و لایغرک کتابته فی أکثر النسخ اذا ائتمن بالیاء فانه نشأ من قلة الاطلاع علی الرسم و آداب الوقف و الوصل و هو علم مستقل بل علمان

و ليحسن جوار من جاوره ✶ و عن ابن عباس رضي‌الله عنهما قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم يقول ليس المؤمن بالذى يشبع و جاره جائع الى جنبه رواهما البيهقى فى شعب الايمان ✶ و عن أبى هريرة رضي‌الله عنه قال قال رجل يا رسول‌الله ان فلانة تذكر من كثرة صلاتها و صيامها و صدقتها غير انها تؤذى جيرانها بلسانها قال هى فى النار قال يا رسول‌الله فان فلانة تذكر قلة صيامها و صدقتها و صلاتها و انها تصدق بالاثوار من الاقط

غير ما يتعلق بالكلمة من القواعد الصرفية و النحوية و سائر علوم العربية و من هذا القبيل قوله تعالى فليؤد الذى اؤتمن أمانته (و ليحسن) من الاحسان أى ليكرم (جوار من جاوره) بكسر الجيم أى مجاورة جيرانه و معاشرة أصحابه و اخوانه فان هذه الاوصاف من أخلاق المؤمنين و أضدادها من علامات المنافقين فالمدار على الافعال الباطنة دون الاحوال الظاهرة فكأنه صلى‌الله‌عليه‌وسلم نبههم على أن جملة همتهم يجب أن تكون على أمثال هذه الاخلاق دون الاكتفاء بظواهر الامور المشترك فيها المؤمن و المنافق و المخالف و الموافق و الله الموفق و خلاصة معناه ما ذكره الطيبى من قوله يريد ان ادعاء كم محبة الله و محبة رسوله لايتم و لا يستتب بمسح الوضوء فقط بل بالصدق فى المقال و باداء الامانة و بالاحسان الى الجار ✶(و عن ابن عباس رضي‌الله‌عنهما قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول ليس المؤمن) أى الكامل (بالذى) الباء زائدة قد تدخل فى خبر ليس و فى نسخة صحيحة الذى (يشبع و جاره جائع الى جنبه) الجملة حال من ضمير يشبع أى و هو عالم بحال اضطراره و قلة اقتداره و فى ذكر الجنب اشعار بكمال غفلته عن تعهد جاره (رواهما) أى الحديثين (البيهقى فى شعب الايمان) و الاول رواه الطبرانى باسناد ضعيف ذكره ميرك و الثانى رواه البخارى فى الادب المفرد و الطبرانى فى الكبير بسند صحيح و ابن حبان فى صحيحه و البيهقى فى شعبه على ما فى الجامع الصغير ✶(و عن أبى هريرة رضي‌الله‌عنه قال قال رجل يا رسول‌الله ان فلانة) بفتح آخرها و هى كناية عن اسم امرأة (تذكر) بصيغة المجهول مسندا الى ضمير فلانة و المعنى انها تذكر فيما بين الناس بطريق الشهرة (من كثرة صلاتها و صيامها و صدقتها) أى من أجل هذه النوافل و من تعليلية متعلقة بتذكر (غير انها) أى الا أنها (تؤذى) قال الطيبى الاستثناء منقطع يعنى لكن تؤذى (جيرانها بلسانها) و لعل وجه التقييد باللسان انه أغلب ما يؤذى به و أقوى ما يتأذى به الانسان كما قال الشاعر

جراحات السنان لها التئام ✶ و لايلتام ما جرح اللسان

(قال هى فى النار) أى لارتكاب النفل المباح تركه و اكتساب الاذى المحرم فى الشرع و فى نظيره كثير من الناس واقعون حتى عند دخول البيت الشريف و استلام الركن المنيف و من هذا القبيل عمل الظلمة من جمع مال الحرام و صرفه فى بناء المساجد و المدارس و اطعام الطعام (قال) أى الرجل (يا رسول‌الله ان فلانة) أى غيرها (تذكر) أى على ألسنة الناس (قلة صيامها و صدقتها و صلاتها) و فى نسخة من قلة صيامها قال الطيبى القرينة الثانية ليست فيها من و قلة نصب على نزع الخافض اه و كأنه ثبت عنده رواية النصب كما تقتضى مراعاة المناسبة بين القرينتين و الا فلو روى أو قرئ بالرفع فوجهه ظاهر و الله أعلم (و انها) بالكسر (تصدق) بحذف احدى التاءين و ضم القاف و الجملة حال و ان روى بفتح ان عطفا على انها معمول تذكر فله وجه فتذكر و المعنى انها تتصدق (بالاثوار من الاقط) أى بقطع منه جمع ثور بالمثلثة و هو قطعة من الاقط ذكره الجوهرى

و لاتؤذى بلسانها جيرانها قال هى فى الجنة رواه أحمد و البيهقى فى شعب الايمان ★ و عنه قال ان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم وقف على ناس جلوس فقال ألا أخبركم بخيركم من شركم قال فسكتوا فقال ذلك ثلاث مرات فقال رجل بلى يا رسول‌الله أخبرنا بخيرنا من شرنا فقال خيركم من يرجى خيره و يؤمن شره و شركم من لايرجى خيره و لايؤمن شره رواه الترمذى و البيهقى فى شعب الايمان و قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح

ففى الكلام تجريد أو توكيد و فى ذكره اشارة الى أن صدقتها بالنسبة لتلك المرأة قليلة جدا ثم فى القرينة الثانية توسطت العبادة المالية بين عبادتى البدنية لعلها بسبب طرفيها تنجبر قلتها (و لاتؤذى بلسانها جيرانها) عطف على تصدق أو حال من ضميره (قال هى فى الجنة) لان مدار أمر الدين على اكتساب الفرائض و اجتناب المعاصى اذ لا فائدة فى تحصيل الفضول و تضييع الاصول كما هو واقع فيه أكثر العلماء و كثير من الصلحاء حيث لم‌يقم الاولون بما يجب عليهم من العمل و لم‌يحصل الآخرون ما يجب عليهم من العلم و أما الصوفية الجامعون بين العلم و العمل المقرونين بالاخلاص فهم يقدمون رعاية الاحتماء على اعطاء الدواء سالكين سبيل الحكماء فيقولون التخلية مقدمة على التحلية و لذا جعلوا التوبة أول منازل السائرين و مقامات الطائرين و فى كلمة التوحيد اشارة الى هذا المعنى بطريق النفى و الاثبات دائما الى أن الصفات السلبية مقدمة على النعوتية الثبوتية فكانه يلزم من الاولى حصول الثانية بخلاف العكس و الله أعلم (رواه أحمد و البيهقى فى شعب الايمان) و كذا البزار و ابن حبان فى صحيحه و الحاكم و قال صحيح الاسناد و ابن أبى شيبة باسناد صحيح ذكره ميرك ★ (و عنه) أى عن أبى هريرة رضى‌الله عنه (قال ان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم وقف على ناس جلوس) أى جالسين أو ذوى جلوس (فقال ألا أخبركم بخيركم من شركم) أى مميزا منه حال من المتكلم (قال) أى الراوى (فسكتوا) أى متوقفين فى ان السؤال أولى أو السكوت أحرى خوفا من أن يكون من باب لاتسألوا عن أشياء أن تبد لكم تسؤكم و عملا بقوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و سكت عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان فلاتبحثوا عنها (فقال ذلك) أى الكلام السابق (ثلاث مرات) فلما أفاد التكرار انه لابد من الاختيار أجاب بعضهم (فقال رجل) أى كل الرجل شديد القلب فتنوينه للتعظيم (بلى يا رسول‌الله أخبرنا بخيرنا من شرنا) و فيه بسط الكلام بمقتضى انبساط المقام (فقال) أى بطريق الابهام احترزا من فضيحة الانام (خيركم من يرجى خيره) فخير الاول بمعنى الاخير و الثانى مفرد الخيور أى من يرجو الناس منه احسانه اليهم (و يؤمن شره) أى من يأمنون عنه من اساءته عليهم (و شركم من لايرجى خيره و لايؤمن شره) و ترك ذكر من يأتى منه الخير و الشر و نقيضه فانهما ساقطا الاعتبار حيث تعارضا تساقطا و نظيره ما أشار اليه صلى‌الله‌عليه‌وسلم فى حديث آخر ما معناه أن من الناس من هو سريع الغضب سريع الفىء فهذا بذاك و منهم بطىء الغضب بطىء الفىء فكذلك و خيرهم من يكون بطىء الغضب سريع الرجوع و شرهم عكس ذلك هذا و قال الطيبى و لما توهموا معنى التمييز و تخوفوا من الفضيحة سكتوا حتى كرر ثلاثا ثم أبرز البيان فى معرض العموم لئلايفضحوا فقال خيركم و التقسيم العقلى يقتضى أربعة أقسام ذكر منها اثنين ترغيبا و ترهيبا و ترك قسمين لانه ليس فيها ترغيب و ترهيب (رواه الترمذى و البيهقى فى شعب الايمان و قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح) و فى الجامع الصغير خيركم من يرجى خيره الحديث رواه

★ و عن ابن مسعود قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان الله تعالى قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم ان الله تعالى يعطى الدنيا من يحب و من لايحب و لايعطى الدين الا من أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه و الذى نفسى بيده لايسلم عبد حتى يسلم قلبه و لسانه و لايؤمن حتى يأمن جاره بوائقه

أبويعلى فى مسنده عن أنس وأحمد و الترمذى عن أبى هريرة و رواه أحمد و الترمذى و ابن‌حبان عن أبى هريرة بلفظ ألا أخبركم بخيركم من شركم خيركم من يرجى خيره الخ و روى ابن عساكر عن معاذ بلفظ ألا أنبئكم بشر الناس من أكل وحده ومنع رفده و سافر وحده و ضرب عبده ألا أنبئكم بشر من هذا من يبغض الناس و يبغضونه ألا أنبئكم بشر من هذا من يخشى شره و لايرجى خيره ألا أنبئكم بشر من هذا من باع آخرته بدنيا غيره ألا أنبئكم بشر من هذا من أكل الدنيا بالدين ★ (وعن ابن مسعود رضى‌الله عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان الله تعالى قسم) بالتخفيف و يجوز تشديده ففى القاموس قسمه و قسمه جزأه و المعنى قدر بمقدار معين (بينكم أخلاقكم) أى أعمالكم و أحوالكم (كما قسم بينكم أرزاقكم) أى أموالكم سواء حرامكم و حلالكم كما قال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا الى ان قال و رحمة ربك خير مما يجمعون اللهم فحسن أخلاقنا و طيب أرزاقنا (ان الله يعطى الدنيا) أى الارزاق الدنيوية الدنية (من يحب) أى من يحبه من الانبياء و الاولياء كسليمان و عثمان (و من لايحب) أى و يعطيها أيضا من لايحبه كفرعون و هامان قال تعالى كلا نمد هؤلاء و هؤلاء من عطاء ربك و ما كان عطاء ربك محظورا أى ممنوعا أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض و للآخرة أكبر درجات و أكبر تفضيلا (و لايعطى الدين) أى الاخلاق الحسنة و الآداب المستحسنة (الا من أحب) قال بعض العارفين التصوف هو الخلق فمن زاد عليك بخلق حسن فقد زاد عليك فى التصوف (فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه) أى سواء أعطاه الدنيا أم لا و لايتوهم ان من جمع له بين الارزاق الدنيوية و الاخلاق الدينية انه أفضل ممن اقتصر له على الدين مع قدر كفايته من الدنيا كما يتبادر الى فهم أرباب العقول الناقصة فانه ثبت عنه صلى‌الله‌عليه‌وسلم أنه قال من أحب آخرته أضر بدنياه و من أحب دنياه أضر بآخرته فآثروا ما يبقى على ما يفنى و فى رواية قال أجوعكم فى الدنيا أشبعكم فى الآخرة و ورد ان سليمان عليه‌السلام يدخل الجنة بعد الانبياء بخمسمائة عام و عبد الرحمن بن عوف مع كونه من العشرة المبشرة يدخل الجنة حبوا و حاصل المسئلة يرجع الى القول بان الفقير الصابر أفضل أم الغنى الشاكر و اجماع الصوفية و أكثر العلماء على الاول بل قال بعضهم الفقير الشاكر أفضل و قال بعضهم التفويض و التسليم أكمل و هو كذلك لكن ليس له دخل فى البحث بل فيه اشارة الى قوله تعالى ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا و قد بسطت فى الجملة هذه المسئلة فى شرح حزب الفتح للشيخ أبى الحسن البكرى و العاقل يكفيه الاشارة و لايحتاج الى تطويل العبارة و من أراد الاستقصاء فعليه بكتاب الاحياء (و الذى نفسى بيده لايسلم عبد) أى اسلاما كاملا مطابقا اسمه لمسماه من العبودية و موافقا وصفه لمأخذه من الاسلام و السلامة و حاصله ان مدار الخلق الحسن على ترك الاساءة و احسان القلب و اللسان اذ هما منبع الاخلاق و أحدهما ترجمان الآخر فان الاناء يترشح بما فيه (حتى يسلم قلبه و لسانه) و فى نسخة يسلم بفتحتين بمعنى ينقاد (و لايؤمن) أى عبد ايمانا تاما (حتى يأمن جاره) أى خصوصا أو مثلا (بوائقه)

★ و عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال المؤمن مألف و لاخير فيمن لايألف و لايؤلف رواهما أحمد و البيهقي في شعب الايمان و عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضى لاحد من أمتي حاجة يريد أن يسره بها فقد سرني و من سرني فقد سر الله و من سر الله أدخله الله الجنة ★ و عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا و سبعين مغفرة واحدة فيها صلاح أمره كله و ثنتان و سبعون له درجات يوم القيامة

أي شروره قال الطيبي قوله ان الله تعالى يعطي الدنيا كالنشر لما لف قبله و أشار بالدنيا الى الارزاق و بالدين الى الاخلاق ليشعر بان الرزق الذي يقابل الخلق هو الدنيا و ليس من الدين في شئ و ان الاخلاق الحميدة ليست غير الدين قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم ثم أتى بما يفضل الدين من الاعمال الخارجة و الداخلة من الانقياد و التصديق كما في حديث جبريل عليه السلام أتاكم يعلمكم أمر دينكم بعد ذكر الاسلام و الايمان و فسرهما بما ينبئ عن الاخلاق و خص القلب و اللسان بالذكر لان مدار الانسان عليهما كما ورد في المثل المرء باصغريه فاسلام اللسان كفه عما فيه آفاته و هي لاتكاد تنحصر و اسلام القلب تطهيره عن العقائد الباطلة و الآراء الزائغة و الاخلاق الذميمة ثم تحليتهما بما يخالفهما ★(و عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال المؤمن مألف) بفتح اللام مصدر ميمي استعمل في معنى الفاعل و المفعول أي يألف و يؤلف كما في رواية و يؤيده آخر الحديث أيضا و قال الطيبي يحتمل أن يكون مصدرا على سبيل المبالغة كرجل عدل يعني اذا لم يألف صاحبه ألف معه و اذا ائتلف ائتلف أو اسم مكان أي يكون مكان الالفة و منشؤها و منه انشاؤها و اليه مرجعها (و لاخير فيمن لايألف و لايؤلف) لان التألف سبب الاعتصام بالله و بحبله و به يحصل الاجتماع بين المسلمين و بضده يحصل التفرقة بهم و هو بتوفيق الله و تأليفه و اليه أشار تعالى بقوله و اعتصموا بحبل الله جميعا و لاتفرقوا و اذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا (رواهما) أي الحديثين (أحمد و البيهقي في شعب الايمان) و في الجامع الصغير روى الحديث الثاني أحمد عن سهل بن سعد و رواه الدارقطني في الافراد و الضياء عن جابر و لفظه المؤمن يألف و يؤلف و لاخير فيمن لايألف و لايؤلف و خير الناس أنفعهم للناس ★(و عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضى لاحد من أمتي) أي أمة الاجابة (حاجة) أي دينية أو دنيوية (يريد أن يسره) أي أحد أمتي (بها) أي بقضاء حاجته (فقد سرني) أي فاني أسر بسرور جميع أمتي (و من سرني فقد سر الله) أي أرضاه (و من سر الله أدخله الله الجنة) أي و أحسن مثواه و في الجامع الصغير من قضى لاخيه المسلم حاجة كان له من الاجر كمن حج أو اعتمر رواه الخطيب عن أنس و من قضى لاخيه المسلم حاجة كان له من الاجر كمن خدم الله عمره رواه أبو نعيم في الحلية عن أنس أيضا ★(و عنه) أي عن أنس رضي الله تعالى عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أغاث ملهوفا) أي ضعيفا متحيرا و في النهاية مكروبا (كتب الله له ثلاثا و سبعين مغفرة) حكمة العدد مفوض الى صاحب الوحي و لعل فيه اشارة الى أن مثوبته مزيدة بوصف الجمعية على العدد المشهور في الكثرة و يمكن أن يكون بالنظر الى صاحب الحساب عدد الثلاث مأخوذ من الثلاثة الحروف في آخر الملهوف و عدد السبعين من مجموع الميم و اللام و هذا من أنواع التعمية و الابهام و الله أعلم بالمرام (واحدة فيها صلاح أمره كله) أي في الدنيا (و ثنتان و سبعون له درجات يوم القيامة) فيه اشارة خفية الى

✱ و عنه و عن عبدالله قالا قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم الخلق عيال الله فأحب الخلق الى الله من أحسن الى عياله روى البيهقى الاحاديث الثلاثة فى شعب الايمان ✱ و عن عقبة بن عامر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أول خصمين يوم القيامة جاران رواه أحمد ✱ و عن أبى هريرة ان رجلا شكا الى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قسوة قلبه قال امسح رأس اليتيم و اطعم المسكين

بشارة جلية و هى ان المغفرة لواحدة تعم جميع ذنوبه فى الدنيا و يعوض عن سائر أعداد المغفرة بالدرجات العلى فى العقبى و لعل هذا الحديث مأخذ ما قاله بعض العلماء كالنووى و غيره أن المكفرات اذا اجتمعت فتتوجه أولا الى محو الصغائر ثم الى تخفيف الكبائر من السيآت ثم تكون سببا لرفع الدرجات العاليات و قال الطيبى فيه ان غفران الذنوب مقدمة على فتح باب رحمة الله تعالى فى الدنيا و العقبى و من ثم قدمها فى قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك و ما تأخر الى قوله و يتم نعمته عليك و يهديك لان التحلية بعد التخلية اه فتامل يظهر لك ما لايخفى ✱(و عنه) أى عن أنس رضى‌الله تعالى عنه (و عن) بالعاطف مع اعادة العامل ليصح العطف على الضمير المجرور على القول المشهور (عبدالله) أى ابن مسعود (قالا) أى كلاهما (قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم الخلق عيال الله) عيال المرء بكسر العين من يعوله و يقوم برزقه و انفاقه و هو بالنسبة الى غيره مجاز صورة و الا فهو الرزاق كما أنه هو الخلاق و قد قال تعالى و ما من دابة فى الارض الا على الله رزقها و يعلم مستقرها و مستودعها (فأحب الخلق الى الله من أحسن الى عياله) أى من هيئ و وفق الى الاحسان الى خلقه تعالى كما ورد خير الناس أنفعهم للناس و فى الجامع الصغير الخلق كلهم عيال الله فاحبهم الى الله أنفعهم لعياله و قال رواه أبو يعلى فى مسنده و البزار عن أنس و الطبرانى عن ابن مسعود (روى البيهقى الاحاديث الثلاثة فى شعب الايمان) ولعله عدل عن الضمير بان يقول رواها الى الاسم الظاهر تنصيصا على العدد لئلا يلتبس بالتثنية لفظا أو معنى ثم الحديث الثانى منها أسنده فى الجامع الصغير الى البخارى فى تاريخه عنه أيضا ✱(و عن عقبة بن عامر رضى‌الله‌عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أول خصمين) أى متخاصمين بعد خصام أهل الدار (يوم القيامة جاران) أى فيما حصل من الاذى أو وقع تقصير من حقوق واجب الاداء و قال السيوطى ورد أول ما يحاسب به العبد صلاته و ورد أول ما يقضى بين الناس الدم و لاتنافى لان ذلك بالنسبة الى المظالم كذا فى الزجاجة حاشية على ابن ماجه و حاصله ان أول ما يحاسب العبد فيما بينه و بين ربه هو الصلاة لفضلها على سائر العبادات و أول ما يقضى من حقوق العباد قتل النفس فانه أكبر الخطيئات و أما هذا الحديث فمقيد باختصام خصمين وقع الذنب من كل منهما نوع تقصير و ان فرض ان التقصير من أحدهما و اطلاق الخصمين على التغليب أو المشاكلة كقوله تعالى و جزاء سيئة سيئة مثلها فالاول اضافية و لعل المراد منه الصغائر دون الكبائر و الله أعلم (رواه أحمد) و كذا الطبرانى عنه ✱(و عنه) أى عن أبى هريرة رضى‌الله عنه (ان رجلا شكا) ينبغى ان يكتب بالالف كدعا و عفا و يجوز كتابتها بالياء أيضا لان شكيت لغة فى شكوت (الى النبى صلى‌الله عليه‌وسلم قسوة قلبه) أى قساوته و شدته و قلة رقته و عدم الفته و رحمته (قال امسح رأس اليتيم) لتتذكر الموت فتغتنم الحياة فان القسوة منشؤها الغفلة (و اطعم المسكين) لترى آثار نعمة الله عليك حيث أغناك و أحوج اليك سواك فيرق قلبك و يزول قسوته و لعل وجه تخصيصهما بالذكر ان الرحمة على الصغير و الكبير موجبة لرحمة الله تعالى على عبده المتخلق ببعض صفاته

رواه أحمد ★ و عن سراقة بن مالک ان النبی صلی‌اللہ‌علیہ‌وسلم قال ألا أدلکم على أفضل الصدقة ابنتک مردودة الیک لیس لها کاسب غیرك رواه ابن ماجه

★ (باب الحب فی الله و من الله) ★ ★ (الفصل الاول) ★ عن عائشة قالت قال رسول‌الله صلی‌اللہ‌علیہ‌وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف

فینزل علیه الرحمة و یرتفع عنه القسوة و حاصله انه لابد من ارتکاب أسباب تحصیل الاخلاق بالمعالجة العلمیة أو بالعملیة أو بالمعجون المرکب منهما على ما بینه فی الاحیاء و قال الطیبی خصهما بالذکر تلمیحا الى قوله تعالى أو اطعام فی یوم ذی مسغبة یتیما ذا مقربة أو مسکینا ذا متربة و مراعاتهما من اقتحام العقبة الشاقة لما فی ذلک من معاناة المشقة و مجاهدة النفس فمن اقتحم تلک العقبة یرق قلبه و تسمح نفسه فی تعاطی کل خیر و فیه ان من ابتلی بداء من الاخلاق الذمیمة یکون تدارکه بما یضاده من الدواء فالتکبر یداوی بالتواضع و البخل بالسماحة و قاسی القلب بالتعطف و الرقة (رواه أحمد ★ و عن سراقة) بضم السین (ابن مالک) أی ابن جعشم المدلجی صحابی مشهور (ان النبی صلی‌اللہ‌علیہ‌وسلم قال ألا أدلکم على أفضل الصدقة ابنتک) بالرفع أی هو صدقتها (مردودة) بالنصب على الحالیة أی مطلقة (راجعة الیک لیس لها کاسب) أی منفق علیها (غیرك) بالرفع على الوصفیة و فی نسخة بالنصب على الاستثناء لکنه ضعیف لان الصحیح فی ذی الحال أن یکون معرفة هذا و فی النهایة المردودة هی التی تطلق و ترد الى بیت أبیها و أراد ألا أدلک على أفضل أهل الصدقة فحذف المضاف قال الطیبی و یمکن أن تقدر صدقة تستحقها ابنتک فی حال ردها الیک و لیس لها کاسب غیرك و هما حالان اما مترادفان أو متداخلتان و الله أعلم (رواه ابن ماجه)

★ (باب الحب فی الله و من الله) ★

الحب فی الله أی فی ذات الله وجهته لایشوبه الریاء و الهوى و من الله أی من جهة الله أی اذا أحب عبدا أحبه لاجل الله و سببه و من ههنا کما فی قوله تعالى تفیض من الدمع و فی کما فی قوله تعالى و الذین جاهدوا فینا و هو أبلغ من حیث جعل المحبة مظروفا کذا حققه الطیبی و فیه ان مآلهما الى معنى واحد و الظاهر ان مراده من عنوان الباب فضیلة الحب لله و ما یترتب علیه من الحب من جانب الله کما سیصرح الاحادیث الآتیة بهذا المعنى فالصواب ان یقال ان فی تعلیلیة و من ابتدائیة و المعنى حب العبد العبد لاجل رضا الرب و الحب الکائن من الله للعبد و الثانی نتیجة الاول کما فی الشریعة أو مقدمة له کما فی الطریقة أو هو محفوف بهما کما فی الحقیقة على ما حقق فی قوله تعالى یحبهم و یحبونه و قوله تعالى ان کنتم تحبون الله فاتبعونی یحببکم الله والله أعلم

★ (الفصل الاول) ★ (عن عائشة قالت قال رسول‌الله صلی‌اللہ‌علیہ‌وسلم الارواح) أی أرواح الانسان (جنود) جمع جند أی جموع (مجندة) بفتح النون المشددة أی مجتمعة متقابلة أو مختلطة منها حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون و منها حزب الشیطان ألا ان حزب الشیطان هم الخاسرون و فی قوله تعالى و لله جنود السموات و الارض اشارة الى الجندین حیث أحدهما علوی الهمة و الآخر سفلی النهمة (فما تعارف منها) التعارف جریان المعرفة بین اثنین و التناکر ضده أی فما تعرف بعضها من بعض قبل حلولها فی الابدان (ائتلف) بهمزة وصل ثم همزة ساکنة تبدل ألفا فی الوصل جوازا و تبدل یاء حال الابتداء وجوبا أی حصل بینهما الالفة و الرأفة حال

و ما تناكر منها اختلف رواه البخاري و رواه مسلم عن أبي هريرة ★ و عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان الله اذا أحب عبدا دعا جبريل

اجتماعهما بالاجساد في الدنيا (و ما تناكر منها) أي في عالم الارواح (اختلف) أي في عالم الاشباح و الافراد و التذكير في الفعلين باعتبار لفظ ما و المراد منه بطريق الاجمال و الله أعلم بحقية الحال ان الارواح البشرية التي هي النفوس الناطقة مجبولة على مراتب مختلفة و شواكل متباينة و كل ما شاكل منها في عالم الامر في شاكلته تعارفت في عالم الخلق و ائتلفت و اجتمعت و كل ما كان على غير ذلك في عالم الامر تناكرت في عالم الخلق فاختلفت و افترقت فالمراد بالتعارف ما بينهما من التناسب و التشابه و بالتناكر ما بينهما من التنافر و التباين فتارة على وجه الكمال و تارة على وجه النقصان اذ قد يوجد كل من التعارف و التناكر بادنى مشاكلة بينهما اما ظاهرا و اما باطنا و تحقيقه بطول و نخاف من اعراض الملول و اعتراض الفضول هذا و قيل هذا الاجتماع كان يوم الميثاق فمن تقابل منهم اثنان يومئذ يأتلفان في الدنيا غاية المؤالفة و من تدابر منهم شخصان يختلفان في نهاية المخالفة و من وقع في الاجتناب له مشاركة من مشاكلة كل باب كالمنافقين و أشباههم مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء و لا الى هؤلاء ثم لايمنع من هذا التعارف و التناكر وصلة الاجانب و شحنة الاقارب

كانت مودة سلمان له نسبا ★ و لم‌يكن بين نوح و ابنه رحم
و لايدفعه بعد الدار و لايجمعه قرب المزار
مناسبة الارواح بيني و بينها ★ و الا فاين الترك من ساكني نجد

قال حكيم أقرب القرب مودة القلب و ان تباعد جسم أحدهما من الثاني و أبعد البعد تنافر التداني و في النهاية قوله جنود مجندة أي مجموعة كما يقال الوف مؤلفة و قناطير مقنطرة و معناه الاخبار عن مبدأ كون الارواح و تقدمها الاجساد أي انها خلقت أول خلقتها على قسمين من ائتلاف و اختلاف كالجنود المجندة المجموعة اذا تقابلت و تواجهت و معنى تقابل الارواح ما جعلها الله عليها من السعادة و الشقاوة و الاخلاق في مبدأ الخلق يقول ان الاجساد التي فيها الارواح تلتقي في الدنيا فتأتلف و تختلف على حسب ما خلقت عليه و لهذا ترى الخير يحب الاخيار و يميل اليهم و الشرير يحب الاشرار و يميل اليهم اه و فيه الاشارة الى المناسبة بين الحديث و عنوان الباب لاسيما و هو صدر الخطاب و في شرح السنة فيه دليل على ان الارواح ليست باعراض و على انها كانت موجودة قبل الاجساد في الخلقة (رواه البخاري) أي عن عائشة (و رواه مسلم عن أبي هريرة) و في الجامع الصغير رواه البخاري عن عائشة و رواه أحمد و مسلم و أبوداود عن أبي هريرة و الطبراني عن ابن مسعود و رجاله رجال الصحيح و زاد فيه تلتقي فتشام كما تشام الخيل قال البيهقي سألت الحاكم عن معناه فقال المؤمن و الكافر لايسكن قلبه الا الى شكله و رواه مسلم عن أبي هريرة أيضا بلفظ الارواح جنود مجندة فما تعارف منها في الله ائتلف و ما تناكر منها في الله اختلف ★(و عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان الله اذا أحب عبدا) أي اذا أراد اظهار محبته لعبد من عباده و هي اما من صفات الذات فمعناها ارادة الخير أو من صفات الافعال فهي بمعنى اكرامه له و احسانه به و انعامه عليه (دعا جبريل) يدل على جلالته من حيث خصه من بين افراد الملائكة فيكون أفضل من اسرافيل و ميكائيل و سائر حملة العرش والملائكة

فقال انى أحب فلانا فاحبه قال فيحبه جبريل ثم ينادى فى السماء فيقول ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الارض و اذا أبغض عبدا دعا جبريل فيقول انى أبغض فلانا فابغضه قال فيبغضه جبريل ثم ينادى فى أهل السماء ان الله يبغض فلانا فابغضوه قال فيبغضونه ثم يوضع له البغضاء فى الارض رواه مسلم

المقربين و يحتمل أن يكون وجه تخصيصه لكونه سفيرا بين الله و رسله المبعوثين الى المخلوقين (فقال) أى الله (انى أحب فلانا) و فى عدم ذكر سبب لمحبته من أوصاف عبده اشارة الى أن أفعاله تعالى مبرآة عن الاغراض و العلل بل يترتب على محبته تعالى محبة العبد أياه بسلوك سبيله واتباع رسله و دوام اشتغاله بذكره و دعائه و ثنائه و الشوق الى رضائه و لقائه (فأحبه) أى أنت أيضا زيادة لاكرام العبد و الا فكفى بالله محبا و محبوبا و طالبا و مطلوبا و حامدا و محمودا (قال) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم (فيحبه جبريل) أى ضرورة عدم عصيانه أمر ربه فيحبه لحبه و هذا من المحبة فى الله أى لايحبه لغرض سوى مرضاة مولاه و محبة جبريل دعاؤه و استغفاره له و الميل الى الاجتماع به و نحو ذلك (ثم ينادى) أى جبريل بأمر الملك الجليل (فى السماء) أى فى أهل السماء كما فى قرينته الآتية و المعنى بحيث يصل بسماع كلامه الى أهلها كلهم (فيقول ان الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء) اى جميعهم (ثم يوضع له القبول) و هو من آثار المحبة ثم هذا الوضع ابتداء من جبريل أو غيره (فى الارض) أى فى قلوب أهلها من أهل المحبة فلايرد ان كثيرا من الاولياء ليس لهم قبول عند أهل الدنيا لان العبرة بخواص الانام لابالعوام كالانعام (و اذا أبغض عبدا دعاجبريل فيقول انى أبغض فلانا فابغضه قال فيبغضه جبريل) قال النووى محبة الله العبد هى ارادة الخير له و هدايته و انعامه عليه و رحمته و بغضه ارادة عقوبته و شقاوته و نحو ذلك و حب جبريل و الملائكة يحتمل وجهين أحدهما استغفارهم له و ثناؤهم عليه و دعاؤهم له و ثانيهما ان محبتهم على ظاهرها المعروفة من المخلوقين و هو ميل القلب اليه و اشتياقه الى لقائه قلت هذا هو الاظهر لانه متى صح حمل اللفظ على معناه الحقيقى فلاوجه للعدول عنه الى المجاز مع ان المعنى الاول متفرع على الثانى قال و سبب حبهم اياه كونه مطيعا لله محبوبا له قلت كونه مطيعا اما سابقا أو لاحقا كما حقق فى مرتبتى السالك و المجذوب و المريد و المراد قال و معنى يوضع له القبول فى الارض الحب فى قلوب الناس و رضاهم عنه فتميل اليه القلوب و ترضى عنه و قد جاء فى رواية فتوضع له المحبة قال الطيبى و الكلام فى المحبة و بيان اشتقاقها مضى مستوفى فى أسماءالله الحسنى قلت و بقى كثير محله كتاب الاحياء (ثم ينادى) أى جبريل (فى أهل السماء ان الله) بالكسر على اضمار القول عند البصريين و عند الكوفيين على ان فى النداء معنى القول ذكره ابن الملك و يحتمل أن يكون بالفتح كما فى بعض النسخ على اضمار الباء كما ذكره المفسرون فى قوله تعالى فنادته الملائكة و هو قائم يصلى فى المحراب ان الله فان جمهور القراء فيه على الفتح و قد يفرق بينهما بان ان اذا كانت مكسورة تكون من جملة المنادى بخلاف ما اذا كانت مفتوحة و حاصله انه سبحانه (يبغض فلانا فابغضوه) و فيه اشعار بان الملا الاعلى ليس لهم شعور بمحبوبة تعالى و مبغوضه الا باعلامه اياهم ثم مثل هذا المحبوب و المبغوض لاينقلب حكمه لئلايلزم خلف فى اخباره تعالى (قال فيبغضونه ثم يوضع له البغضاء فى الارض رواه مسلم) و فى الدر المنثور عند قوله تعالى ان الذين آمنوا و عملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا أخرج

★ و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لاظل الاظلى رواه مسلم ★ و عنه عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان رجلا زار أخا له فى قرية أخرى فارصد الله له على مدرجته ملكا

الحكيم الترمذى و ابن مردويه عن على قال سألت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم عن قوله سيجعل لهم الرحمن ودا ما هو قال المحبة فى صدور المؤمنين و الملائكة المقربين يا على ان الله أعطى المقت و المحبة و الحلاوة و المهابة فى صدور الصالحين و أخرج ابن أبى شيبة و عبد بن حميد و هناد و ابن المنذر و ابن أبى حاتم عن ابن عباس سيجعل لهم الرحمن ودا قال يحبهم و يحببهم و أخرج عبد بن حميد و البخارى و مسلم و الترمذى و ابن المنذر و ابن أبى حاتم و ابن مردويه و البيهقى فى الاسماء و الصفات عن أبى هريرة ان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال اذا أحب الله عبدا نادى جبريل عليه السلام انى قد أحببت فلانا فاحبه فينادى فى السماء ثم تنزل له المحبة فى أهل الارض فذلك قول الله تعالى ان الذين آمنوا و عملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا و اذا أبغض‌الله عبدا نادى جبريل انى قد أبغضت فلانا فينادى فى أهل السماء ثم ينزل له البغضاء فى الارض اه فحديث المشكاة متفق عليه فى المعنى ★(و عنه) أى عن أبى هريرة (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم ان الله تعالى يقول يوم القيامة) أى على رؤس الاشهاد تعظيما لبعض العباد من العباد (أين المتحابون بجلالى) أى بسبب عظمتى و لاجل تعظيمى أو الذين يكون التحابب بينهم لاجل رضا جنابى و جزاء ثوابى قال الطيبى الباء فيه بمعنى فى و فيه ما فيه قال و خص الجلال بالذكر لدلالته على الهيبة و السطوة أى المنزهون عن شائبة الهوى و النفس و الشيطان فى المحبة فلايتحابون الا لاجلى و لوجهى قلت و يمكن أن يكون من باب الاكتفاء و التقدير بجلالى و جمالى أى المتحابون لى أى فى حالتى القبض و البسط و الخوف و الرجاء و المحنة و المنحة فيفيد دوام تحاببهم (اليوم) قال شارح ظرف متعلق باين قلت الاظهر انه ظرف لقوله (أظلهم فى ظلى) أى أدخلهم فى ظل حمايتى أو أريحهم من حرارة الموقف راحة من استظل أو اظلهم فى ظل عرشى و هو الاظهر فتدبر و يؤيده ما رواه الطبرانى فى الكبير عن أيوب المتحابون فى الله على كراسى من ياقوت تحت العرش و قوله (يوم لاظل الاظلى) بدل من اليوم المتقدم كما قاله الطيبى أو منصوب بتقدير أعنى و هو الاظهر و فى شرح مسلم للنووى قال القاضى الظاهر انه فى ظل الله عن الحر و وهج الموقف و قال عيسى بن دينار هو كناية عن كونه فى كنفه و ستره و منه قولهم السلطان ظل الله فى الارض و يحتمل أن يكون عبارة عن الراحة و التنعم يقال هو فى عيش ظليل أى طيب ذكره الطيبى و أوسط الاقوال هو الاوسط اذ لايصح اسناد الظل حقيقة الى الله تعالى فيتعين تأويله بارتكاب المجاز أو بحذف المضاف و ما أبعد الاحتمال الاخير اذ يصير التقدير أنعمهم فى نعمتى و لكن التقليد متغلب على الامى و حب الشئى يصم و يعمى (رواه مسلم) و كذا أحمد ★(وعنه) أى عن أبى هريرة (عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان رجلا زار أخا له) أى أراد زيارة أخيه المسلم أو متؤاخيه فى الله و هو أعم من أن يكون أخاه حقيقة أو مجازا (فى قرية أخرى) أى غير مكان الزائر (فارصد الله له على مدرجته) أى أعد وهيأ او أقعد فى طريقه (ملكا) و فى النهاية أى وكله بحفظ مدرجته يقال رصدته اذا قعدت له على طريقه تترقبه اه فقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد فيه تجريد و المعنى انه مراقب للعباد قال المدرجة بفتح الميم و الراء هى الطريق سمى بذلك لان

قال أين تريد قال أريد أخا لى فى هذه القرية قال هل لک عليه من نعمة تربها قال لا غير أنى أحببته فى الله قال فانى رسول الله اليک بأن الله قد أحبک كما أحببته فيه

الناس يدرجون عليها أى يمضون و يمشون اه و الاظهران المدرجة من الطريق مكان مرتفع يمشى فيه درجة درجة فى الطلوع و النزول و منه مدرجة منى التى هى وصلة الى منى يعرفها من ذهب فى طريق المعرفة الى عرفات الهنا من هنا (قال) استئناف جواب لمن قال و ما بعد ذلک قال أى الملک للزائر (أين تريد) الظاهران هذا من باب تجاهل العارف مع ما فيه من التورية حيث ان مقصوده الاصلى من تريد و لما كان من القواعد المقررة ان من أحب شيأ أكثر ذكره و الاناء يترشح بما فيه (قال) أى الزائر (أريد أخا) أى زيارة أخ (لى) أى مختصا لى (فى هذه القرية) و لعل تعيينها علم بالاشارة و أطنب فى الكلام ليتضمن المرام على نوع من أسلوب الحكيم فكأنه قال له لاتسأل عن المحل و اكتف بالسؤال عن الحال فان هذا طريق أرباب الحال بلامحال قال الطيبى فان قلت كيف طابق هذا سؤاله بقوله أين تريد قلت من حيث ان السؤال متضمن لقوله أين تتوجه و من تقصد و لما كان قصده الاولى الزيارة ذكره و ترك ما لايهمه قلت هذا انما يتم لو لم يقل فى هذه القرية و نظيره قوله و ما أعجلک عن قومک يا موسى قال هم أولاء على أثرى و عجلت اليک رب لترضى لما كان الغرض من السؤال فى استعجاله انكار تركه القوم وراءه و تقدمه عليهم قدمه فى الجواب و أخر ما وقع السؤال عنه قلت فى كونه نظيرا له نظر بل مثال له بحسب المعنى و توضيحه ما ذكره البيضاوى من ان قوله تعالى و ما أعجلک عن قومک يا موسى سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها من حيث انها نقيصة فى نفسها انضم اليها اغفال القوم و ايهام التعظيم عليهم فلذلک أجاب موسى عن الامرين و قدم جواب الانكار لانه أهم قال هم أولاء على اثرى أى ما تقدم عنهم الا بخطا يسيرة لايعتد بها عادة و ليس بينى و بينهم الامسافة قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم بعضا و عجلت اليک رب لترضى فان المسارعة الى امتثال أمرك و الوفاء بوعدك يوجب مرضاتک اه (قال) أى الملک للزائر (هل لک عليه) أى على المزور (من نعمة تربها) بضم الراء و الموحدة المشددة أى تقوم باصلاحها و اتمامها أى هل هو مملوكک أو ولدك أو غيرهما ممن هو فى نفقتک و شفقتک لتحسن اليه من رب فلان الضيعة أى أصلحها و أتمها و فى بعض النسخ هل له عليک من نعمة تربها أى تقوم بشكرها ثم قيل نعمة مبتدأ و من زائدة و لک خبره و عليه متعلق بحال محذوف أى هل لک نعمة داعية على زيارته.تربها أى تحفظها و تستزيدها بالقيام على شكرها و قال الطيبى أى هل أوجبت عليه شيأ من النعم الدنيوية تذهب اليها فتربها أى تملكها منه و تستوفيها (قال لاغير أنى أحببته فى الله) أى ليس لى داعية الى زيارته الا محبتى اياه فى طلب مرضاة الله (قال) أى الملک (فانى رسول الله اليک بان الله قد أحبک كما أحببته فيه) و لعل وجه التشبيه انه كما أحبه من غير سبب دنيوى كذلک الحق أحبه من غير باعث آخر من عمل أخروى و يمكن أن تكون الكاف للتعليل كقوله تعالى و اذكروه كما هداكم قال النووى فيه فضل المحبة فى الله و أنها سبب لحب الله و فضيلة زيارة الصالحين و ان الانسان قد يرى الملائكة قلت رؤية غير الانبياء و الرسل من المؤمنين للملائكة على صور البشر أمر واضح ثبت فى صدر الكتاب فى حديث جبريل و غيره و انما يقال هنا فيه دليل على ارسال الله الملائكة الى الاولياء و مخاطبته اياهم بتبليغ المرام

رواه مسلم ★ وعن ابن مسعود قال جاء رجل الى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم فقال يا رسول‌الله كيف تقول فى رجل أحب قوما و لم‌يلحق بهم فقال المرء مع من أحب متفق عليه ★ و عن أنس أن رجلا قال يا رسول‌الله متى الساعة قال ويلك و ما أعددت لها قال ما أعددت لها الا انى أحب الله و رسوله قال أنت مع من أحببت قال أنس فما رأيت المسلمين فرحوا بشئ بعد الاسلام فرحهم بها

زيادة على مرتبة الالهام و الظاهر أن هذا من خصائص الامم السابقة تحقيقا لختم النبوة و الله سبحانه أعلم (رواه مسلم ★ و عن ابن مسعود قال جاء رجل الى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم فقال يا رسول‌الله كيف تقول فى رجل أحب قوما) أى من العلماء أو الصلحاء (و لم‌يلحق بهم) أى بالصحبة أو العلم أو العمل أو بمجموعهما أى لم‌يصاحبهم و لم‌يعامل معاملاتهم و قيل أى لم‌يرهم (فقال المرء مع من أحب) أى يحشر مع محبوبه و يكون رفيقا لمطلوبه قال تعالى و من يطع الله و الرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم الآية و ظاهر الحديث العموم الشامل للصالح و الطالح و يؤيده حديث المرء على دين خليله كما سيأتى ففيه ترغيب و ترهيب و وعد و وعيد (متفق عليه) و فى الجامع الصغير المرء مع من أحب رواه أحمد و الشيخان و أبوداود و الترمذى و النسائى عن أنس و الشيخان أيضا عن ابن مسعود و فى رواية للترمذي عن أنس المرء مع من أحب و له ما اكتسب ★(و عن أنس أن رجلا قال يا رسول‌الله متى الساعة) أى وقت قيام القيامة و لما كان السؤال محتملا لان يكون تعنتا و انكارا لها و أن يكون تصديقا بها و اشفاقا منها و اشتياقا للقاء ربها (قال) امتحانا له (ويلك و ما أعددت لها) و الا لو تحقق عنده صلى‌الله‌عليه‌وسلم ايمانه بها و ايقانه لها لقال له ويحك بدل ويلك (قال ما أعددت لها الا انى أحب‌الله و رسوله) و لم‌يذكر غيره من العبادات القلبية و البدنية و المالية لانها كلها فروع للمحبة مترتبة عليها و لان المحبة هى أعلى منازل السائرين و أغلى مقامات الطائرين فانها باعثة لمحبة الله أو نتيجة لها قال تعالى يحبهم و يحبونه و قال ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله فكان من المعلوم الواضح عندهم أن المحبة المجردة من غير المتابعة ليس لها كثير فائدة و لا كبير عائدة (قال أنت مع من أحببت) أى ملحق بمن غلب محبته على محبة غيره من النفس و الاهل و المال و مدخل فى زمرته و من علامة المحبة الصادقة أن يختار أمر المحبوب و نهيه على مراد غيره ولذا قالت رابعة العدوية

تعصى الاله و أنت تظهر حبه ★ هذا لعمرى فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ★ ان المحب لمن يحب مطيع

و قال الطيبى سلك مع السائل طريق الاسلوب الحكيم لانه سأل عن وقت الساعة فقيل له فيم أنت من ذكراها و انما يهمك أن تهتم باهبتها و تعتنى بما ينفعك عند ارسالها من العقائد الحقة و الاعمال الصالحة فاجاب بقوله ما أعددت لها الا انى أحب الله و رسوله اه و بعده من المبنى و المعنى لايخفى (قال أنس فما رأيت المسلمين فرحوا بشئ بعد الاسلام) أى بعد فرحهم به أو دخولهم فيه (فرحهم) بفتحات أى كفرحهم (بها) أى بتلك الكلمة و هى أنت مع من أحببت قال الخطابى الحقه عليه السلام بحسن النية من غير زيادة عمل بأصحاب الاعمال الصالحة اه و لايخلو عن ايهام و ابهام و التحقيق انهم حسبوا أن لاتحصل الدعية بمجرد المحبة مع وجود المتابعة بل تتوقف على كثرة العبادات و زيادة الرياضات و المجاهدات و يدل عليه ما أورده

متفق عليه ★ و عن أبى موسى قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم مثل الجليس الصالح و السوء كحامل المسک و نافخ الكير فحامل المسک اما أن يحذيک و اما أن تبتاع منه و اما أن تجد منه ريحا طيبة و نافخ الكير اما أن يحرق ثيابک و اما أن تجد منه ريحا خبيثة متفق عليه

عماد الدين ابن كثير فى تفسيره باسناده الى عائشة قال جاء رجل الى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم فقال يا رسول‌الله انک لاحب الى من نفسى و أحب الى من أهلى و أحب الى من ولدى و انى لا كون فى البيت فاذكرك فما أصبر حتى آتيک فانظر اليک و اذا ذكرت موتى و موتک عرفت أنک اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين و ان دخلت الجنة خشيت أن لا أراك فلم يرد عليه النبى صلى‌الله عليه‌وسلم حتى نزلت و من يطع الله و الرسول فاولئک مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن أولئک رفيقا فتبين بهذا أن المراد بالمعية هنا معية خاصة و هى أن تحصل فيها الملاقاة بين المحب و المحبوب لا انهما يكونان فى درجة واحدة لانه بديهى البطلان و قد روى مالک عن أبى هريرة أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال أن أهل الجنة ليتراؤن فى الجنة كما تراؤن أو ترون الكوكب الدرى الغارب فى الافق الطالع فى تفاضل الدرجات قالوا يا رسول‌الله أولئک النبيون قال بلى و الذى نفسى بيده أقوام آمنوا بالله و صدقوا المرسلين يعنى و انهم عملوا بمقتضى ايمانهم و تصديقهم ما يدل على ايقانهم و تحقيقهم ثم جاء فى حديث بيان كيفية الملاقاة المذكورة و هو ما ذكره ابن كثير فى تفسيره عن ابن جرير حدثنا المثنى حدثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله تعالى و من يطع الله و الرسول الآية قال أن أصحاب رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قالوا قد علمنا أن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم له فضل على من آمن به فى درجات الجنات و على من اتبعه و صدقه و كيف لهم اذا اجتمعوا فى الجنة أن يرى بعضهم بعضا فانزل الله فى ذلک يعنى هذه الآية فقال يعنى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان الاعلين ينحدرون الى من هو أسفل منهم فيجتمعون فى رياضها فيذكرون ما أنعم الله عليهم و يثنون عليه و ينزّل لهم أهل الدرجات فيسعون عليهم بما يشتهون و ما يدعون به فهم فى روضة يحبرون و يتنعمون ثم الظاهر أن هذه المعية و المواجهة و المجاملة تختلف باختلاف حسن المعاملة و الله أعلم (متفق عليه

★ و عن أبى موسى قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم مثل الجليس) أى المجالس (الصالح و السوء) بفتح السين و يضم أى و الجليس الطالح (كحامل المسک) ناظر الى الاول (و نافخ الكير) بكسر الكاف زق ينفخ فيه الحداد و أما المبنى من الطين فكور كذا فى القاموس (فحامل المسک اما أن يحذيک) من الاحذاء أى يعطيک مجانا (و أما أن تبتاع منه) أى تشترى (و اما أن تجد منه رائحة طيبة) و هذا بيان أقل المنفعة (و نافخ الكير اما أن يحرق ثيابک) من الاحراق أى يكون سببا للاحراق أو التقدير يحرق بناره ثيابک و لعله وقع اختصارا حيث لم يقل اما أن يحرق أعضاءك أو ثيابک (و اما أن تجد منه ريحا خبيثة) أى دخانه و هذا أقل المضرة و المعنى فعليک بمحبة الاول و مصاحبته و اياك و مودة الثانى و مرافقته قيل فيه ارشاد الى الرغبة فى صحبة الصلحاء و العلماء و مجالستهم فانها تنفع فى الدنيا و الآخرة و الى الاجتناب عن صحبة الاشرار و الفساق فانها تضر دينا و دنيا قيل مصاحبة الاخيار تورث الخير و مصاحبة الاشرار تورث الشر كالريح اذا هبت على الطيب عبقت طيبا و ان مرت على النتن حملت نتنا و قيل اذا جالست الحمقى علق بک من حماقتهم ما لايعلق بک من العقل اذا جالست العقلاء لان الفساد

★ الفصل الثاني) ★ عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى وجبت محبتي للمتحابين في و المتجالسين في و المتزاورين في و المتباذلين في رواه مالك و في رواية الترمذي قال يقول الله تعالى المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون و الشهداء

أسرع الى الناس و أشد اقتحاما في الطبائع و الحاصل أن الصحبة تؤثر ولذا قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و كونوا مع الصادقين وقال بعض العارفين كونوا مع الله فان لم تقدروا أن تكونوا مع الله فكونوا مع من يكون مع الله و تفصيل هذه المسئلة و تفصيل الخلطة و العزلة في الاحياء بطريق الاستقصاء (متفق عليه) و في الجامع الصغير مثل الجليس الصالح و الجليس السوء كمثل صاحب المسك و كير الحداد لايعديك من صاحب المسك اما تشتريه أو تجد ريحه و كير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة رواه البخاري عن أبي موسى مثل الجليس الصالح مثل العطار أن لم يعطك من عطره أصابك من ريحه رواه أبوداود و الحاكم عن أنس مثل المؤمن كمثل العطار ان جالسته نفعك وان ماشيته نفعك و أن شاركته نفعك رواه الطبراني عن ابن عمر و الله أعلم

★ (الفصل الثاني) ★ (عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى وجبت) أي ثبتت أو تقدمت (محبتي للمتحابين في) بتشديد التحتية أي لاجلي (و المتجالسين في) أي في حبي أو سبيلي (و المتزاورين في) بان يزور بعضهم بعضا لعيادة و نحوها (والمتباذلين) أي بأن يبذل بعضهم لبعض المال (في) أي في رضائي (رواه مالك) و في الجامع الصغير رواه أحمد و الطبراني و الحاكم و البيهقي عن معاذ (و في رواية الترمذي) بالاضافة (قال يقول الله تعالى المتحابون في جلالي) أي لاجل اجلالي و تعظيمي أوهو من باب الاكتفاء كما سبق (لهم منابر من نور يغبطهم النبيون و الشهداء) بكسر الموحدة من الغبطة بالكسر و هي تمني نعمة على أن لاتتحول عن صاحبها بخلاف الحسد فانه تمني زوالها عن صاحبها فالغبطة في الحقيقة عبارة عن حسن الحال كذا قيل و في القاموس الغبطة حسن الحال و المسرة فمعناها الحقيقي مطابق للمعنى اللغوي بمعنى الحديث يستحسن أحوالهم الانبياء و الشهداء و بهذا يزول الاشكال الذي تحير فيه العلماء و في الجامع الصغير المتحابون في الله على كراسي من ياقوت حول العرش رواه الطبراني عن أبي أيوب و قال القاضي كل ما يتحلى به الانسان أو يتعاطاه من علم و عمل فان له عند الله منزلة لايشاركه فيه صاحبه ممن لم يتصف بذلك و ان كان له من نوع آخر ما هو أرفع قدرا و أعز ذخرا فيغبطه بان يتمنى و يحب أن يكون له مثل ذلك مضموما الى ماله من المراتب الرفيعة و المنازل الشريفة و ذلك معنى قوله يغبطهم النبيون و الشهداء فان الانبياء قد استغرقوا فيما هو أعلى من ذلك من دعوة الخلق و اظهار الحق و اعلاء الدين و ارشاد العامة و الخاصة الى غير ذلك من كليات أشغلتهم عن العكوف على مثل هذه الجزئيات و القيام بحقوقها و الشهداء و ان نالوا رتبة الشهادة و فازوا بالفوز الاكبر فلعلهم لم يعاملوا مع الله معاملة هؤلاء فاذا رأوهم يوم القيامة في منازلهم و شاهدوا قربهم و كرامتهم عند الله ودوا لو كانوا ضامين خصالهم فيكونون جامعين بين الحسنتين فائزين بالمرتبتين هذا و الظاهر انه لم يقصد في ذلك الى اثبات الغبطة لهم على حال هؤلاء بل بيان فضلهم و علو شأنهم و ارتفاع مكانهم و تقريرها على آكد وجه و أبلغه و المعنى أن حالهم عند الله يوم القيامة بمثابة لو غبط النبيون و الشهداء يومئذ مع جلالة قدرهم

★ و عن عمر قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم ان من عباد الله لاناسا ما هم بانبياء و لاشهداء يغبطهم الانبياء و الشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله قالوا يا رسول‌الله تخبرنا من هم قال هم قوم تحابوا بروح الله

و نباهة أمرهم حال غيرهم لغبطوهم و قال الطيبي يمكن أن تحمل الغبطة هنا على استحسان الامر المرضي المحمود فعله لانه لايغبط الا في الامر المحبوب المرضي كان الانبياء و الشهداء يحمدون اليهم فعلهم و يرضون عنهم فيما اتجروا من المحبة في الله و يعضده ما رويناه في صحيح مسلم عن المغيرة بن شعبة انه غزا مع رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم بتبوك قال فتبرز رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم قبل صلاة الفجر للوضوء و حملت معه اداوة ثم أقبلنا حتى نجد الناس قدموا عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم فادرك رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم أحدى الركعتين فصلى مع الناس الركعة الاخيرة فلما سلم عبد الرحمن قام رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم يتم صلاته فافزع ذلك المسلمين فاكثروا التسبيح فلما قضى رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم أقبل عليهم ثم قال أحسنتم أو قال أصبتم يغبطهم ان صلوا الصلاة لوقتها فقوله يغبطهم الخ كلام الراوى تفسيرا و بيانا لقوله صلی‌الله‌علیه‌وسلم أحسنتم أو أصبتم قال و أيضا لايبعد أن هذه الحالة في المحشر قبل دخول الناس في الجنة أو النار لقوله يعني في الحديث الآتي لايخافون اذا خاف الناس و التعريف للاستغراق فيحصل لهؤلاء الامن و الفراغ في بعض الاوقات ما لايحصل لغيرهم لاشتغالهم بحال أنفسهم أو حال أمتهم فيغبطونهم لذلك اه وقوله فيحصل لهؤلاء الامن ما لايحصل لغيرهم غير صحيح لقوله تعالى الذين آمنوا و لم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن و أيضا تصور أمن المتحابين و خوف الانبياء على أنفسهم خطأ فاحش لانه يلزم منه تفضيل الاولياء على الانبياء كما يشعر به ظاهر الحديث و العلماء عاملون في تأويله بوجه يزيل الاشكال و الله أعلم بالحال و كذا قول بعض الشراح يغبطهم وقت الحساب قبل دخولهم الجنة يعني هم على المنابر و الخلق في الحساب اه و هو بظاهره عدول عن صوب الصواب ★ (و عن عمر قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم ان من عباد الله) أي الكاملين في الايمان العاملين بالاحسان (لاناسا) أي جماعة عظيمة من الاولياء (ما هم بانبياء و لاشهداء يغبطهم الانبياء) أي ممن فاتهم التزاور و الا فالتحابب و التجالس لله بين كل نبي و أمته حاصل بلاشبهة اللهم الا أن يراد بالتحابب و نحوه وجود الفعل بين المتماثلين (و الشهداء) أي ممن فاتهم المجالسة و نحوها (يوم القيامة بمكانهم) أي بمنزلة الاولياء المتحابين و مكانتهم و مرتبتهم الزائدة على غيرهم (من الله) أي من قربه سبحانه (قالوا يا رسول‌الله تخبرنا) بهمزة مقدرة و هو أقرب الى الادب أو خبر معناه الامر بمعنى الالتماس أي أخبرنا (من هم قال هم قوم تحابوا) اقتصر عليه لان ما سبق من التجالس و التزاور و التباذل فرع التحابب و المعنى تحابب بعضهم بعضا (بروح الله) بضم الراء و هو ما يحيابه الخلق و يكون حياة لهم و في بعض النسخ بفتحها ففي النهاية الروح بفتح الراء نسيم الريح فالمعنى انه باذن الله او بنفحة من نفحاته ومنه ما روى اني لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن و ان لله في أيام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها ففيه ايماء الى ان هذه النعمة لم‌تحصل لكل أحد و لاتوجد في كل وقت لانها تتوقف على جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين فالتحابب سبب التجاذب و أما رواية الضم فقال القاضي الروح بضم الراء قيل أراد به هنا القرآن لقوله تعالى و كذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا سمي بذلك لانه يحيابه

على غير ارحام بينهم و لا أموال يتعاطونها فوالله أن وجوههم لنور و انهم لعلى نور لايخافون اذا خاف الناس و لايحزنون اذاحزن الناس وقرأ هذهالآية ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون رواه أبوداود و رواه فى شرح السنة عن أبى مالك بلفظ المصابيح مع زوائد وكذا فى شعب الايمان

القلب كما يحيا بالروح البدن و المعنى انهم يتحابون بداعية الإسلام و متابعة القرآن و ما حثهم عليه من موالاة المسلمين و مصادقتهم اه وخلاصته ان السبب الداعى الى تحابيهم هو الوحى المنزل الهادى الى سواء السبيل لا شئى آخر من الاغراض و قيل المراد من الروح المحبة فانه يقال أنت روحى أى محبوبى كالروح أى تحابوا بما ألقى الله فى قلوبهم من المحبة الخالصة لله عزوجل و أما قول الطيبى و منه قوله تعالى فارسلنا اليها روحنا فبعيد جدا اذ المراد به جبريل باتفاق المفسرين و سمى روحا لان الدين يحيابه و وحيه (على غير ارحام) أى حال كون تحابيهم على غير ارحام (بينهم) أى بغير سبب نسب صورى بل لاجل قرب معنوى (و لا أموال) أى و لا اشتراك أموال (يتعاطونها) أى بالمعاملة أو المجاملة و لما كانت الاغراض الفاسدة فى المحبة منحصرة فى انها أما أن تكون للقرابة على ما هو مركوز فى الطبائع أو للمال من حيث انه مطمح الأطماع اقتصر عليهما و المقصود تحسين النية و تزيين الطوية (فوالله ان وجوههم لنور) أى منورة أو ذات نور أو هى نفس النور مبالغة كرجل عدل (و انهم لعلى نور) أى على منابر من نور كما جاء فى حديث آخر قال القاضى و هو تمثيل لمنزلتهم و محلهم مثلها بما هو أعلى ما يجلس عليه فى المجالس و المحافل على أعز الاوضاع و أشرفها من جنس ما هو أبهى و أحسن ما يشاهد ليدل على ان رتبتهم فى الغاية القصوى من العلاء و الشرف و البهاء اه و عبر عنها بالنور مبالغة فهم نور على نور فى غاية من الظهور و لهم سرور على سرور (لايخافون اذا خاف الناس و لايحزنون اذا حزن الناس) بكسر الزاى (و قرأ) أى النبى صلىاللهعليهوسلم استشهادا للفقرة الاخيرة من الحديث أو قرأ الصحابى اعتضادا (هذه الآية الا) للتنبيه (ان أولياء الله) أى المتقون الاعم من المتحابين (لاخوف عليهم) أى يوم القيامة من لحوق عقاب (و لاهم يحزنون) من فوت ثواب (رواه أبوداود) أى عن عمر بلفظ المشكاة (و رواه) أى البغوى (فى شرح السنة) أى باسناده (عن أبى مالك) قال المؤلف فى فصل الصحابة هو كعب بن عاصم الاشعرى كذا قاله البخارى فى التاريخ و غيره روى عنه جماعة مات فى خلافة عمر (بلفظ المصابيح مع زوائد) أى مع كلمات زائدة أو مع زوائد فوائد على حديث أبى داود (و كذا) أى مثل حديث المصابيح (فى شعب الايمان) أى للبيهقى و لفظ المصابيح هكذا عن أبى مالك الاشعرى انه قال كنت عند النبى صلىاللهعليهوسلم اذ قال ان لله عزوجل عبادا ليسوا بانبياء و لاشهداء يغبطهم النبيون و الشهداء بقربهم و مقعدهم من الله يوم القيامة فقال اعرابى حدثنا من هم فقال هم عباد من عباد الله من بلدان شتى و قبائل شتى لم يكن بينهم ارحام يتواصلون و لا دنيا يتباذلون بها يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا و يجعل لهم منابر من نور قدام عرش الرحمن قال ابن مالك فى شرحه هذا عبارة عن قرب المنزلة من الله عزوجل و قال شارح آخر قوله قدام الرحمن أى قدام عرش الرحمن يفزع الناس و لايفزعون و يخاف الناس و لايخافون قال ابن الملك الفرق بين الفزع و الخوف ان الفزع أشد أنواع الخوف و قيل الفزع خوف مع جبن و الخوف غم يلحق الانسان بسبب أمر مكروه سيقع اه و الاظهر فى الفرق أن المراد بالفزع هنا الاستغاثة على ما فى القاموس

★ و عن ابن عباس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لابى‌ذر يا أباذر أى عرى الايمان أوثق قال الله و رسوله أعلم قال الموالاة فى الله و الحب فى الله رواه البيهقى فى شعب الايمان ★ و عن أبى هريرة ان النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال اذا عاد المسلم أخاه أو زاره قال‌الله تعالى طبت وطاب ممشاك و تبوأت من الجنة منزلا رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب ★ و عن المقدام بن معديكرب عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال اذا أحب الرجل أخاه فليخبره انه

و هى تنشأ من خوف العقوبة و قد تكون من طمع تعلية الدرجة و الله أعلم هذا و كان حق المؤلف أن يصدر الحديث بقوله عن ابى مالك و يأتى بالحديث على ما فى المصابيح بمقتضى أصله فيقول رواه البيهقى فى الشعب و كذا رواه فى شرح السنة ثم يقول و رواه أبوداود نحوه مع تغيير يسير لكن من رواية عمر لان التصنيف منهما أمكن حقه أن لايغير ★ (و عن ابن عباس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لابى ذر يا أبا ذر أى عرى الايمان) بضم عين و فتح راء جمع عروة و هى فى الاصل ما يتعلق به من طرف الدلو و الكوز و نحوهما فاستعير لما يتمسك به فى أمر الدين و يتعلق به من شعب الايمان و قوله (أوثق) أى أحكم (قال الله و رسوله أعلم) ولعل الحكمة فى السؤال بأن يقع الجواب فى حال التوجه اليه و اقبال الفكر عليه فهو بمنزلة التأكيد لديه (قال الموالاة فى الله) أى المعاونة و المحابة من الطرفين (و الحب فى الله) أى لاجله و لو من طرف واحد كحبنا لبعض أولياء الله ممن لم يرنا و لانراه (و البغض فى الله) أى فى سبيله قال تعالى لاتجد قوما يؤمنون بالله و اليوم الآخر يوادون من حاد الله و رسوله و لو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان و أيديهم بروح منه الآية (رواه البيهقى فى شعب الايمان) و رواه الطبرانى عن ابن عباس مرفوعا بلفظ أوثق عرى الايمان الموالاة فى الله و المعاداة فى الله والحب فى الله و البغض فى الله عزوجل و روى أبوداود و الضياء عن أبى أمامة مرفوعا من أحب لله و أبغض لله و أعطى لله و منع لله فقد استكمل الايمان و فى رواية فقد استكمل ايمانه ★ (وعن أبى هريرة ان النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال اذا عاد المسلم أخاه) أى مريضا (أو زاره) أى صحيحا فأو للتنويع و يحتمل أن تكون للشك بناء على تغليب أحدهما أو نظرا لاصل المعنى اللغوى لان العيادة و الزيارة متقاربان فى المعنى الا ان العيادة تستعمل غالبا فى المرض و الزيارة فى الصحة و الاظهر ان الزيارة أعم من العيادة كما ان كلا منهما أخص من العبادة (قال الله تعالى) أى بلاواسطة أو على السنة بعض الملائكة (طبت) بكسر الطاء أى صرت طيب العيش فى الآخرة أو حصل لك طيب عيش فيها و هو اخبار و يحتمل الدعاء (و طاب ممشاك) أى صار مشيك سبب طيب عيشك فيها كذا ذكره بعض الشراح و لابعد فى تعميم طيب العيش ليشمل طيب الحياة فى الدنيا بالقناعة و الرضاء و بركة الرزق وسعة القلب و حسن الخلق و توفيق العلم و العمل و يمكن أن يكون الطيب كناية عن قبول نيته و شكر سعيه (و تبوأت من الجنة منزلا) أى هيأت منها بهذه العيادة منزلة عظيمة و مرتبة جسيمة فان ادخال السرور فى قلب المؤمن أفضل من عبادة الثقلين لاسيما و العيادة فرض كفاية و فيها موعظة و عبرة و تذكرة و تنبيه على استغنام الصحة و الحياة و رفع الهموم الزائدة نسأل الله العفو و العافية و حسن الخاتمة . (رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب ★ و عن المقدام ابن معدى كرب) مر ذكره (عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال اذا أحب الرجل أخاه فليخبره انه

يحبه رواه أبوداود و الترمذى ★ و عن أنس قال مر رجل بالنبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم و عنده ناس فقال رجل ممن عنده انى لاحب هذا لله فقال النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم أعلمته قال لا قال قم اليه فاعلمه فقام اليه فاعلمه قال أحبك الذى أحببتنى له قال ثم رجع فسأله النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم فاخبره بما قال فقال النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم أنت مع من أحببت و لك ما احتسبت رواه البيهقى فى شعب الايمان و فى رواية الترمذى المرء مع من أحب و له ما اكتسب ★ وعن أبى سعيد أنه سمع النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول لاتصاحب الا مؤمنا و لا يأكل طعامك الا تقى

يحبه) أى ليحبه أيضا أو ليدعوه لمحبة الله له كما سيأتى فيكونا من المتحابين قال الخطابى معناه الحث على التودد و التألف و ذلك انه اذا أخبر أنه يحبه استمال قلبه و اجتلب به وده و فيه انه اذا علم أنه محب له قبل نصحه و لم يرد عليه قوله فى عيب ان أخبره به نفسه (رواه أبوداود و الترمذى) و قال حسن صحيح قال ميرك و رواه النسائى فى اليوم و الليلة اه و فى الجامع الصغير اذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه انه يحبه رواه أحمد و البخارى فى تاريخه و أبوداود و الترمذى و الحاكم و ابن حبان عن المقدام و ابن حبان أيضا عن أنس و فى رواية لاحمد و الضياء عن أبى‌ذر بلفظ اذا أحب أحدكم صاحبه فليأته فى منزله فليخبره انه يحبه لله و رواه البيهقى و أبونعيم فى الحلية اذا أحببت رجلا فلاتماره و لاتشاره و لاتسأل عنه أحدا فعسى أن توافى له عدوا فيخبرك بما ليس فيه فيفرق ما بينك و بينه ★ و عن أنس قال رجل بالنبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم و عنده ناس) جملة حالية (فقال رجل ممن عنده انى لاحب هذا لله فقال النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم أعلمته) بهمزة مقدرة محققة أو مسهلة و يجوز أن يقرأ بهمزة ممدودة على ان الثانية منقلبة (قال لا قال قم اليه) أى مبادرة (فاعلمه فقام اليه فاعلمه فقال) أى الرجل الاول (أحبك) أى الله كما فى نسخة (الذى أحببتنى له قال) أى الراوى (ثم رجع) أى الرجل الثانى (فسأله النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم) أى عما جرى بينهما أو عما أجاب له (فاخبره بما قال فقال النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم أنت مع من أحببت) أى دنيا و أخرى (و لك ما احتسبت) أى أجر ما احتسبت و الاحتساب طلب الثواب و أصل الاحتساب بالشئ الاعتداد به و لعله مأخوذ من الحساب أو الحسب و احتسب بالعمل اذا قصد به مرضاة ربه (رواه البيهقى فى شعب الايمان و فى رواية الترمذى المرء مع من أحب و له ما اكتسب) قال التوربشتى و كلا اللفظين قريب من الآخر فى المعنى المراد منه قال الطيبى و ذلك لان معنى ما اكتسب كسب كسبا يعتد به و لايرد عليه سبب الرياء و السمعة و هذا هو معنى الاحتساب لان الافتعال للاعتمال فى النهاية الاحتساب من الحسب كالاعتداد من العدد و انما قيل لمن ينوى بعمله وجه الله احتسبه لان له حينئذ أن يعتد عمله فجعل فى مباشرة الفعل كانه معتد به و الحسبة اسم من الاحتساب كالعدة من الاعتداد هذا و فى حصن الجزرى و اذا قال له انى أحبك و فى رواية فى الله قال أحبك الذى احببتنى له رواه النسائى و أبوداود و ابن ماجه و ابن السنى فى عمل اليوم و الليلة ★ (و عن أبى سعيد) أى الخدرى (انه سمع النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول لاتصاحب) أى لاتقصد فى المصاحبة (الا مؤمنا) أى كاملا بل مكملا أو المراد منه النهى عن مصاحبة الكفار و المنافقين لان مصاحبتهم مضرة فى الدين فالمراد بالمؤمن جنس المؤمنين (و لا يأكل طعامك الا تقى) أى مؤمن أو متورع يصرف قوة الطعام الى عبادة الله الملك العلام و النهى و ان نسب الى التقى ففى الحقيقة مسند الى صاحب الطعام فهو من قبيل لأرينك

رواه الترمذي و أبوداود و الدارمي ★ و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل رواه أحمد و الترمذي و أبوداود و البيهقي في شعب الايمان و قال الترمذي هذا حديث حسن غريب و قال النووي اسناده صحيح

ههنا فالمعنى لاتطعم طعامك الا تقيا و في رواية بزيادة و لا تأكل الا طعام تقي فان طعامه غالبا يكون حلالا مؤثرا في تحصيل العبادة و قال الخطابي هذا انما جاء في طعام الدعوة دون طعام الحاجة و ذلك انه تعالى قال و يطعمون الطعام على حبه مسكينا و يتيما و أسيرا و معلوم أن أسراءهم كانوا كفارا غير مؤمنين و انما حذر من صحبة من ليس بتقي و زجر عن مخالطته و مؤاكلته لان المطاعم توقع الالفة و المودة في القلوب قال الطيبي فان قلت المؤمن يجوز أن يراد به العام و أن يراد به الخاص الذي يقابله الفاسق كقوله تعالى أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا فيكون المعنى لاتصاحب الا صالحا قلت المراد بالفاسق الكافر باتفاق المفسرين و يدل عليه ما بعده من قوله تعالى لايستوون أما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون و أما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها قال البيضاوي هذا عبارة عن خلودهم و في تفسير السيد معين الدين الصفوي نزلت في علي رضي الله عنه و الوليد بن عقبة ابن أبي معيط و كان بينهما تنازع فقال لعلي انك صبي و أنا و الله أبسط لسانا و احد سنانا و أشجع منك جنانا فقال له علي اسكت فانك فاسق هكذا قاله عطاء بن يسار و السدي و غيرهما فالفاسق ههنا معناه الخارج عن الايمان الثابت على الكفر فلايشكل بان الوليد أسلم آخر عمره قال الطيبي و لايأكل نهي للغير التقي أن يأكل طعامه و المراد نهيه عن أن يتعرض لما لايأكل التقي طعامه من كسب الحرام و تعاطي ما ينفر عنه التقي فالمعنى لاتصاحب الا مطيعاً و لا تخالل الا تقيا اه و هو في غاية من البهاء غير انه لايستقيم به وجه الحصر فالصواب ما قدمناه و الله أعلم (رواه الترمذي و أبوداود و الدارمي) و كذا أحمد و ابن حبان و الحاكم عنه ★ (و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله) أي غالبا والخلة الحقيقية لاتتصور الا في الموافقة الدينية أو الخلة الظاهرة قد تفضي الى حصول ما غلب على خليله من الخصلة الدينية و يؤيده قوله (فلينظر أحدكم من يخالل) قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و كونوا مع الصادقين و قال الغزالي مجالسة الحريص و مخالطته تحرك الحرص و مجالسة الزاهد و مخالته تزهد في الدنيا لان الطباع مجبولة على التشبه و الاقتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لايدري هذا و في النهاية الخليل الصديق فعيل بمعنى فاعل و قد يكون بمعنى مفعول و الخلة بالضم الصداقة و المحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله أي في باطنه اه و اختلف في ان المحبة أولى أو الخلة أعلى و الظاهر الاول و بسطه يطول فيتعين العدول (رواه أحمد و الترمذي و أبوداود و البيهقي في شعب الايمان و قال الترمذي هذا حديث حسن غريب و قال النووي) و في نسخة بزيادة ألف (اسناده صحيح) قال الطيبي ذكره في رياض الصالحين و غرض المؤلف من ايراده و الاطناب فيه دفع الطعن في هذا الحديث و رفع توهم من توهم انه موضوع قال السيوطي هذا الحديث أحد الاحاديث التي انتقدها الحافظ سراج الدين القزويني على المصابيح و قال انه موضوع و قال الحافظ ابن حجر يعني العسقلاني في رده عليه قد حسنه الترمذي و صححه الحاكم ★ (وعن يزيد بن نعامة) بفتح النون و العين المهملة ضبي روى عنه سعيد بن سليمان و كان قد شهد حنينا مشركا ثم أسلم بعد ذلك

★ وعن يزيد بن نعامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا آخى الرجل الرجل فليسأله عن اسمه و اسم أبيه و ممن هو فانه أوصل للمودة رواه الترمذي

★ (الفصل الثالث) ★ عن أبي ذر قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أ تدرون أي الاعمال أحب الى الله تعالى قال قائل الصلاة و الزكاة و قال قائل الجهاد قال النبي صلى الله عليه وسلم أن أحب الاعمال الى الله تعالى الحب في الله و البغض في الله

قال الترمذي لا يعرف له سماع من النبي صلى الله عليه وسلم ذكره المؤلف في فصل الصحابة و سيأتي في آخر الحديث ان صحبته مختلف فيها (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا آخى الرجل الرجل) بمد الهمزة من المؤاخاة أي إذا اتخذه أخا في الله (فليسائله) من باب المفاعلة و في نسخة فصيحة فليسأل (عن اسمه و اسم أبيه و ممن هو) أي و يسأله من أي قبيلة و قوم هو (فانه) أي السؤال عما ذكر (أوصل) أي أ كثر وصلة (للمودة) أي للمحبة في الاخوة و في شرح للمصابيح أوصل أي للمودة (رواه الترمذي) و كذا ابن سعد و البخاري في تاريخه عنه و قال الترمذي غريب لانعرف ليزيد سماعا عن النبي صلى الله عليه وسلم اه و رجال اسناده موثقون و يزيد بن نعامة بفتح النون أبو مردود الضبي ذكره ابن عبد البر في الصحابة و حكى عن البخاري انه قال ان له صحبة و قال ابن عبد البر شهد حنينا مشركا ثم أسلم بعد اه و الجمهور على انه تابعي ثقة قال ابن أبي حاتم لا صحبة له و سئل أبي عنه فقال صالح الحديث و قال في تهذيب الكمال الصواب انه يرسل وهو صدوق روى عن أنس و روى عنه أبو خلدة و سلام بن مسكين نقله ميرك عن التصحيح و خلاصة الخلاف أن الصحبة السابقة على الاسلام هل هي معتدة أم لا و الصحيح الثاني مع اتفاقهم على جواز تحمل الحديث في حال الكفر و تاديته حال الاسلام فان صحت له الصحبة و السماع فبها و نعمت و ان ثبتت الصحبة و لم يصح سماعه فالحديث من مراسيل الصحابة و هو حجة عند الكل و الا فالحديث من مراسيل التابعي و هو غير مضر لانه حجة عند الجمهور و علية مذهبنا المنصور هذا و قد اعتضد الحديث برواية ابن عمر على ما أخرجه البيهقي في شعب الايمان و لفظه اذا أحببت رجلا فاسأله عن اسمه و اسم أبيه فان كان غائبا حفظته و ان كان مريضا عدته و ان مات شهدته و هذا الحديث كالتفسير للسابق و الله أعلم بالحقائق

★ (الفصل الثالث) ★ (عن أبي ذر قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي من الحجرة الشريفة (قال) استئناف بيان جوابا لسؤال مقدر (أ تدرون أي الاعمال) أي أي نوع من أنواعها (أحب الى الله) أي أفضل و أما ما قيل من أن الاحبية لاتستلزم الافضلية ففي هذا المقام غير مستقيمة نعم يتصور بالنسبة الى المخلوق لان ولده أحب اليه و ليس يلزم منه أنه أفضل و كذلك على رضي الله عنه أحب الى السيد السني مع أنه ليس أفضل من الشيخين و كذا قد تكون مطالعة علم أو مباشرة عمل أحب عند أحد مع انه ليس بافضل عنده أيضا (قال قائل الصلاة و الزكاة) الظاهر ان الواو بمعنى أو و التقدير و قال قائل الزكاة (قال) و في نسخة و قال (قائل الجهاد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان أحب الاعمال الى الله الحب في الله و البغض في الله) و يؤيده غبطة الانبياء و الشهداء و لعل وجه كونه أفضل من أركان الاسلام و عموده أن هذا أمر زائد بعد حصول الفرائض نعم يلزم منه أن يكون أفضل من نوافل العبادات و هو كذلك و لامحذور فيه و حاصله أن بعد ارتكاب المأمورات الشرعية و اجتناب المحظورات المنهية الحب في الله و البغض

رواه أحمد و روى أبوداود الفصل الاخير ★ و عن أبي أمامة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم ما أحب عبد عبدا لله الا أكرم ربه عزوجل رواه أحمد ★ و عن أسماء بنت يزيد انها سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول ألا أنبئكم بخياركم قالوا بلى يا رسول‌الله قال خياركم الذين اذا رؤا ذكر الله رواه ابن ماجه ★ و عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لو ان عبدين تحابا فى الله عزوجل واحد فى المشرق و آخر فى المغرب لجمع الله بينهما يوم القيامة يقول هذا الذى كنت تحبه فى ★ و عن أبى رزين انه قال له رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم الا

لله أفضل العبادات و أكمل الطاعات فعليكم بهما ؛ من الواضح المعلوم انه ليس المراد انهما أفضل من نحو الصلاة و الزكاة بمعنى انهما يختاران عليهما أو ثوابهما أكثر من ثوابهما مطلقا و يؤيده ما رواه الطبرانى عن ابن عباس أحب الاعمال الى الله بعد الفرائض ادخال السرور فى قلب المؤمن و رواه أيضا عن الحكيم بن عمير بلفظ أحب الاعمال الى الله من أطعم مسكينا من جوع أو دفع عنه مغرما أو كشف عنه كربا اه و الكل من باب الحب فى الله و لاشك أن العبادة المتعدية أفضل من النوافل القاصرة و قال الطيبى فان قلت كيف يكون الحب فى الله أحب الى الله من الصلاة و الزكاة و الجهاد قلت من أحب فى الله يحب انبياء و أولياءه و من شرط محبتهم أن يقفو أثرهم و كذلك من أبغض فى الله أبغض أعداءه و بذل جهده فى المجاهدة معهم بالسنان و اللسان اه و هو جواب غير شاف كما لايخفى و لامناسبة بينهما فى المبنى و المعنى (رواه) أى مجموع الحديث (أحمد و روى أبوداود الفصل الاخير) أى قوله ان أحب الاعمال الخ و فى الجامع الصغير رواه أحمد عن ابىذر بلفظ أحب الاعمال الحب فى الله و البغض فى الله ★ (وعن أبى‌أمامة) أى الباهلى (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ما أحب عبد عبدا لله) أى لابتغاء مرضاته (الا أكرم ربه) أى عظمه (عز) أى بهاؤه (وجل) أى ثناؤه أو ذاته و صفاته أو عزيز و جليل بغير اعزاز و اجلال و اكرام من مخلوق كما قال فى آية العز و قل الحمد لله الذى لم‌يتخذ ولدا و لم‌يكن له شريك فى الملك و لم‌يكن له ولى من الذل و كبره تكبيرا (رواه أحمد ★ و عن اسماءبنت يزيد) أى ابن‌السكن (انهاسمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول ألا أنبئكم بخياركم) جمع خير بمعنى أخير أى افاضلكم (قالوا بلى يا رسول‌الله قال خياركم الذين اذا رؤا) بصيغة المفعول و كذا قوله (ذكر الله رواه أحمد) و سبق الحديث مستوفى بطريق مبانيه و بيان معانيه فى أواخر الفصل الثالث من باب حفظ اللسان و فى الجامع الصغير بلفظ ألا أنبئكم بخياركم خياركم الذين اذا رؤا ذكر الله رواه أحمد و ابن ماجه عنها ★ (و عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم لو ان عبدين تحابا فى الله) أى تحابا لله (عز) أى فضله (و جل) أى عدله (واحد) بكسر الحاء و يجوز فتحها و فى نسخة واحدهما (فى المشرق و آخر فى المغرب) أى مثلا (لجمع الله بينهما يوم القيامة) أى لشفاعة أحدهما للآخر أو فى الجنة على سبيل المصاحبة و المزاورة و المجاورة (يقول) أى سيقول أو يقال ليس عند الله صباح و لامساء والاظهر انه حال من الفاعل وهو يحتمل أن يقول على لسان ملك أو بغير واسطة لكل واحد منهما (هذا الذى كنت تحبه فى) أى لاجلى ★ (وعن أبى رزين) بفتح الراء و كسر الزاى قال المؤلف هو لقيط بن عامر بن صبرة العقيلى صحابى‌مشهور روى‌عنه ابنه‌عاصم وابن‌عمر وغيرهما (أنه قال‌له رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم ألا) للتنبيه أو الهمزة للاستفهام الانكارى و لا للنفى و نفى النفى اثبات الا أنه ما اتى ببلى فى جوابه وهو غير لازم وعلى كل

أدلک علی ملاك هذا الامر الذی تصیب به خیر الدنیا و الآخرة علیک بمجالس أهل الذکر و اذا خلوت فحرك لسانک ما استطعت بذکر الله و أحب فی الله و ابغض فی الله یا أبا رزین هل شعرت

فی الکلام تنبیه علی التنبه فالمعنی تنبه لقولی (أدلک علی ملاك هذا الامر) الملاك بکسر المیم ما یتقوم به الشئ و المشار الیه ما فی الذهن و هو مبهم بینه وصفه بقوله (الذی تصیب به خیر الدنیا و الآخرة علیک بمجالس أهل الذکر) أی الزمها جمیعها لانها ریاض الجنة علی ما رواه الترمذی من حدیث أنس مرفوعا اذا مررتم بریاض الجنة فارتعوا قالوا یا رسول‌الله و ما ریاض الجنة قال الذکر و المعنی اذا مررتم بجماعة یذکرون الله تعالی فاذکروا الله أنتم أیضا موافقة لهم فانهم فی ریاض الجنة و فی روایة له من حدیث أبی هریرة مرفوعا بلفظ اذا مررتم بریاض الجنة فارتعوا قلت و ما ریاض الجنة قال المساجد قلت و ما الرتع یا رسول‌الله قال سبحان‌الله و الحمد لله و لا اله الا الله و الله أکبر قال بعض شراح الحدیث الحدیث مطلق فی المکان و الذکر فیحمل المطلق علی المقید ذکره میرك و الصحیح أن المساجد و الاذکار المذکورة ذکرها علی سبیل المثال نعم المساجد خیر المجالس فیحمل علی أنه خصها لکونها أفضل و الاذکارهن الباقیات الصالحات و هن من القرآن ولذا نص علیها و الا فمجالس الذکر تشمل مجالس العلماء و محافل الوعاظ و الاولیاء ممن یکون مجالسهم مشحونة بذکرالله و بما یتعلق به من معرفة العقائد الحقیة و الشرائع الدینیة من العبادات البدنیة و المالیة و ما یتعلق بالحلال و الحرام و الترغیب و الترهیب و أمثال ذلک و الله أعلم (و اذا خلوت فحرك لسانک ما استطعت بذکر الله) و محصله أنه لاتغفل عن ذکر الله لا فی الملأ و لا فی الخلاء و قد روی البزار باسناد صحیح من حدیث ابن عباس مرفوعا قال قال الله تبارك و تعالی یا ابن آدم اذا ذکرتنی خالیا ذکرتک خالیا و اذا ذکرتنی فی ملأ ذکرتک فی ملأ خیر من الذی ذکرتنی فیهم و فی حدیث رواه الجماعة الا أباداود یقول الله أنا عند ظن عبدی بی و أنا معه اذا ذکرنی فان ذکرنی فی نفسه ذکرته فی نفسی و ان ذکرنی فی ملأ ذکرته فی ملأ خیر منهم فقوله فی نفسه ظاهران المراد به الذکر القلبی لمقابلته بالذکر النفسی الذی هو من جملة الکلام النفسی ففیه اشارة الی بیان الافضل من نوعی الذکر الخفی و قوله فحرك لسانک محمول علی المبتدئ حیث احتاج الی أنه یذکر الله بجنانه باستعانة لسانه کما حقق فی بحث النیة أو اشارة الی أن الجمع بینهما أکمل و ان کان أحدهما أفضل لما روی أبو یعلی عن عائشة قالت قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم لفضل الذکر الخفی الذی لایسمعه الحفظة سبعون ضعفا اذا کان یوم القیامة و جمع الله الخلائق لحسابهم و جاءت الحفظة بما حفظوا و کتبوا قال لهم انظروا هل بقی له من شئ فیقولون ما ترکنا شیأ مما علمناه و حفظناه الا و قد أحصیناه و کتبناه فیقول الله ان لک عندی حسنا لاتعلمه و أنا أجزیک به و هو الذکر الخفی اه و فی قوله لاتعلمه اشارة خفیة الی ما قالت الصوفیة من فناء الذاکر فی الذکر و بقائه بالمذکور کما فی قوله تعالی و اذکر ربک اذا نسیت أی نسیت نفسک أو ذکرها أیضا بل الشعور عنها و الشعور عن عدم الشعور هو المقام المعبر عنه بفناء الفناء رزقناالله البقاء و اللقاء (و أحب فی الله) أی من یعینک علی ذکر الله (و ابغض فی الله) أی من یشغلک عن الله (یا أبا رزین) تکرار النداء المستطاب لزیادة الاقتراب و رفع الحجاب (هل شعرت) بفتح العین و یجوز ضمه ففی القاموس شعر به کنصر و کرم علم به و فطن له و المعنی هل علمت

ان الرجل اذا خرج من بيته زائرا أخاه شيعه سبعون ألف ملك كلهم يصلون عليه و يقولون ربنا أنه وصل فيك فصله فان استطعت أن تعمل جسدك فى ذلك فافعل ★ و عن أبى هريرة قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة لعمدا من يا قوت عليها غرف من زبرجد لها أبواب مفتحة تضىء كما يضىء الكوكب الدرى فقالوا يا رسول الله من يسكنها قال المتحابون فى الله والمتجالسون فى الله و المتلاقون فى الله روى البيهقى الاحاديث الثلاثة فى شعب الايمان

★ (باب ما ينهى عنه من التهاجر و التقاطع و اتباع العورات) ★

★ (الفصل الاول) ★ عن أبى أيوب الانصارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايحل للرجل أن يهجر أخاه

(ان الرجل اذا خرج من بيته زائرا أخاه) أى حال كونه مريدا زيارة أخيه فى الله (شيعه سبعون ألف ملك كلهم يصلون عليه) أى يدعون له و يستغفرون له أو يثنون عليه (و يقولون ربنا أنه وصل) أى أخاه (فيك) أى لاجلك (فصله) أى بوصلك المعبر عن قربك جزاء وفاقا أو صله بصلة من عندك (فان استطعت) أى دائما (أن تعمل جسدك) من الاعمال أى ان قدرت أن تبذل جهدك و تستفرغ طاقتك (فى ذلك) أى فى مجموع ما ذكر أو فى الحب فى الله و البغض فيه أو فى زيارة الاخ لله (فافعل) أى و لاتمل فى حصول العمل رجاء لوصول الامل ★(و عن أبى هريرة قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى وحدى ليترتب فائدة على ذكر الجملة الكونية (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة لعمدا) بضمتين جمع عمود بمعنى الاسطوانة و فى نسخة بفتحهما و قرىء بالوجهين فى عمد ممددة و فى القاموس العمود معروف و الجمع أعمدة و عمد و عمد (من ياقوت و عليها) أى على العمد (غرف) بضم ففتح جمع غرفة (من زبرجد) بفتحتين فسكون ففتح (لها) أى للغرف (أبواب مفتحة) اشارة الى كمال الامن أو ايماء الى انتظار مقدم صاحبها (تضىء) أى الابواب أو الغرف بما فيها و أضاء لازم و متعد (كما يضىء الكوكب الدرى) بضم الدال و بكسر و تشديد الراء و التحتية و فى القاموس يثلث قال البيضاوى فى قوله تعالى كأنها كوكب درى أى مضىء متلألىء كالزهرة فى صفائه و زهرته منسوب الى الدر أو فعيل كمريق أى العصفر من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه أو بعض ضوئه بعضا من لمعانه الا أنه قلب همزته ياء و يدل عليه قراءة حمزة و أبى بكر على الاصل و قراءة أبى عمرو و الكسائى درى كشريب أى كثير الشرب و قد قرىء به مقلوبا أى بكسر الدال و قلب همزته ياء لكنه شاذ قرأ به الزهرى (فقالوا يا رسول الله من يسكنها) أى هذه الغرف (قال المتحابون فى الله و المتجالسون فى الله و المتلاقون) أى المتزاورون أو المتصافحون (فى الله روى البيهقى الاحاديث الثلاثة فى شعب الايمان) و روى الحديث الاخير ابن أبى الدنيا فى كتاب الاخوان

★ (باب ما ينهى عنه من التهاجر و التقاطع و اتباع العورات) ★

الهجر ضد الوصل و التهاجر أخص من التقاطع و الاتباع بمعنى التتبع و التجسس و العورة ما فى المرء من عيب و خلل

★ (الفصل الاول) ★ (عن أبى أيوب الانصارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايحل لرجل أن يهجر) بضم الجيم (أخاه) أى المسلم و هو أعم من اخوة القرابة و الصحابة قال الطيبى و تخصيصه بالذكر اشعار بالعلية و المراد به أخوة الاسلام و يفهم منه أنه ان خالف هذه الشريطة

فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا و يعرض هذا و خيرهما الذى يبدأ بالسلام متفق عليه
★ و عن أبى هريرة قال

و قطع هذه الرابطة جاز هجرانه فوق ثلاثة اه و فيه انه حينئذ يجب هجرانه و قوله (فوق ثلاث ليال) أى بايامها و انما جاز الهجر فى ثلاث و ما دونه لما جبل عليه الآدمى من الغضب فسومح بذلك القدر ليرجع فيها و يزول ذلك العرض ذكره السيوطى و قال أكمل الدين من أئمتنا فى الحديث دلالة على حرمة هجران الاخ المسلم فوق ثلاثة أيام و أما جواز هجرانه فى ثلاثة أيام فمفهوم منه لامنطوق فمن قال بحجية المفهوم كالشافعية جاز له أن يقول باباحته و من لا فلا اه و فيه أن الاصل فى الاشياء الاباحة و الشارع انما حرم المهاجرة المقيدة لا المطلقة مع أن فى اطلاقها حرجا عظيما حيث يلزم منه أن مطلق الغضب المؤدى الى مطلق الهجر ان يكون حراما قال الخطابى رخص للمسلم أن يغضب على أخيه ثلاث ليال لقلته و لايجوز فوقها الا اذا كان الهجران فى حق من حقوق الله تعالى فيجوز فوق ذلك و فى حاشية السيوطى على الموطأ قال ابن عبدالبر هذا مخصوص بحديث كعب بن مالك و رفيقيه حيث أمر صلى‌الله‌عليه‌وسلم أصحابه بهجرهم يعنى زيادة على ثلاث الى أن بلغ خمسين يوما قال و أجمع العلماء على أن من خاف من مكالمة أحد و صلته ما يفسد عليه دينه أو يدخل مضرة فى دنياه يجوز له مجانبته و بعده و رب صرم جميل خير من مخالطة تؤذيه و فى النهاية يريد به الهجر ضد الوصل يعنى فيما يكون بين المسلمين من عتب و موجدة أو تقصير يقع فى حقوق العشرة و الصحبة دون ما كان من ذلك فى جانب الدين فان هجرة أهل الاهواء و البدع واجبة على مر الاوقات ما لم يظهر منه التوبة و الرجوع الى الحق فانه صلى‌الله‌عليه‌وسلم لما خاف على كعب بن مالك و أصحابه النفاق حين تخلفوا عن غزوة تبوك أمر بهجرانهم خمسين يوما و قد هجر نساءه شهرا و هجرت عائشة ابن الزبير مدة و هجر جماعة من الصحابة جماعة منهم و ماتوا متهاجرين و لعل أحد الامرين منسوخ بالآخر قلت الاظهر أن يحمل نحو هذا الحديث على المتؤاخيين أو المتساويين بخلاف الوالد مع الولد والاستاذ مع تلميذه و عليه يحمل ما وقع من السلف و الخلف لبعض الخلف و يمكن أن يقال الهجرة المحرمة انما تكون مع العداوة و الشحناء كما يدل عليه الحديث الذى يليه فغيرها اما مباح أو خلاف الاولى (يلتقيان) أى يتلاقيان و هو مع ما عطف عليه من قوله (فيعرض هذا) أى وجهه عنه (و يعرض هذا) استئناف لبيان كيفية الهجران أو حال من فاعل يهجر و مفعوله فيفيد انه اذا لم يحصل التلاقى و الاعراض فلابأس بالهجران المطلق و هل يعتبر التثليث أم لا محل بحث أو توقف (و خيرهما) عطف على لايحل و قال الطيبى عطف على يلتقيان من حيث المعنى لما يفهم منها ان ذلك الفعل ليس بخير اه و تكلفه بل تعسفه لايخفى و المعنى أفضلهما فى طريق الاخلاق و حسن المعاشرة (الذى يبدأ بالسلام). أى ثم الذى يرده و فيه ايماء الى أن من لم يرده ليس فيه خير أصلا فيجوز هجرانه بل يجب لانه بترك رد السلام صار فاسقا و انما يكون البادئ خيرهما لدلالة فعله على انه أقرب الى التواضع و أنسب الى الصفاء و حسن الخلق و للاشعار بانه معترف بالتقصير و للايماء الى حسن العهد و حفظ المودة القديمة أو كانه بادئ فى المحبة و الصحبة و الله أعلم قال الاكمل و فيه حث على ازالة الهجران و انه يزول بمجرد السلام اه و فيه ايماء بانه لاينبغى لمسلم أن يبدأ بالكلام قبل السلام كما ورد فيما سبق (متفق عليه ★ و عن أبى هريرة قال

قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ايا كم و الظن فان الظن أكذب الحديث و لا تحسسوا و لا تجسسوا و لا تناجشوا و لا تحاسدوا و لا تباغضوا

قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ايا كم و الظن) أى احذروا اتباع الظن فى أمر الدين الذى مبناه على اليقين قال تعالى و ما يتبع أكثرهم الا ظنا ان الظن لايغنى من الحق شيأ قال القاضى التحذير عن الظن فيما يجب فيه القطع أو التحدث به عند الاستغناء عنه أو عما يظن كذبه اه أو اجتنبوا الظن فى التحديث و الاخبار و يؤيده قوله (فان الظن) فى موضع الظاهر زيادة تمكين فى ذهن السامع حثا على الاجتناب (أكذب الحديث) و يقويه حديث كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع وقيل أى أكذب حديث النفس لانه يكون بالقاء الشيطان أو اتقوا سوء الظن بالمسلمين قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن و هو ما يستقر عليه صاحبه دون ما يخطر بقلبه ان بعض الظن و هوأن يظن و يتكلم اثم فلاتجسسوا وهو الملائم لقوله (و لا تحسسوا و لا تجسسوا) بحاء مهملة فى الاول و بالجيم فى الثانى فقال ابن الملك أى لاتطلبوا التطلع على خير أحد و لا على شره و كلاهما منهى عنه لانه لو اطلعت على خير أحد ربما يحصل لك حسد بان لايكون ذلك الخير فيك و لو اطلعت على شره تعيبه و تفضحه و قد ورد طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس و فى شرح مسلم للنووى قال بعض العلماء التحسس بالحاء الاستماع لحديث القوم عن بواطن الامور و أكثر ما يقال فى الشر و قيل بالجيم التفتيش عن بواطن الامور و قيل هما بمعنى و هو طلب معرفة الاخبار الغائبة و الاحوال قلت و هذا أقرب الاقوال لكن الانسب أن يقيد بالاخبار التى تفضى الى سوء الظن كما يفيده الآية الشريفة وقد قرئ فيها بالحرفين لكن الحاء شاذ قال البيضاوى أى لاتبحثوا على عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمس و قرئ بالحاء من الحس الذى هو اثر الجس و غايته و لذلك قيل للحوس الجواس اه و قيل بالجيم التفتيش عن بواطن الامور بتلطف و منه الجاسوس و بالحاء تطلب الشئ بالحاسة كاستراق السمع و ابصار الشئ خفية و قيل الاول التفحص عن عورات الناس و بواطن أمورهم بنفسه أو غيره و الثانى بنفسه و قيل الاول مخصوص بالشر و الثانى أعم (و لاتناجشوا) من النجش بالجيم و المعجمة قيل المراد به طلب الترفع و العلو على الناس و هو المناسب لسابقه و لاحقه و قيل أن يغرى بعض بعضا على الشر و الخصومة و هو من نتائج التجسس و قيل هو الزيادة فى الثمن بغير رغبة فى السلعة بل ليخدع المشترى بالترغيب من النجش رفع الثمن وهذا المعنى هوالمشهور عند الفقهاء و قيل من النجش بمعنى التنفير أى لاينفر بعضكم بعضا بأن يسمعه كلاما أو يعمل شيأ يكون سبب نفرته (و لاتحاسدوا) أى لايتمنى بعضكم زوال نعمة بعض سواء أرادها لنفسه أو لا قال تعالى و لاتتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض الى أن قال و اسألوا الله من فضله أى مثل تلك النعمة أو أمثل منها و هذا الحسد المحمود المسمى بالغبطة كما تقدم فى حديث لا حسد الا فى اثنتين الحديث (و لاتباغضوا) أى لا تختلفوا فى الاهواء و المذاهب لان البدعة فى الدين و الضلال عن الطريق المستقيم يوجب البغض كذا قيل و الاظهر ان النهى عن التباغض تأكيد للامر بالتحابب مطلقا الا ما يخل به الدين فانه لايجوز حينئذ التحابب و يجوز التباغض لان غرض الشارع اجتماع كلمة الامة لقوله تعالى و اعتصموا بحبل الله جميعا و لاتفرقوا و لاشك ان التحابب سبب الاجتماع و التباغض موجب الافتراق فالمعنى لايبغض بعضكم بعضا و قال بعض المحققين

و لاتدابروا و كونوا عباد الله اخوانا و فى رواية و لا تنافسوا متفق عليه ★ وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح أبواب الجنة يوم الاثنين و يوم الخميس فيغفر لكل عبد لايشرك بالله شيأ الارجل

أى لاتشتغلوا باسباب العداوة إذ العداوة و المحبة مما لا اختيار فيه فان البغض من نفار النفس عما ما يرغب عنه و أوله الكراهة و أوسطه النفرة و آخره العداوة كما أن الحب من انجذاب النفس الى ما يرغب فيه و مبدؤه الميل ثم الارادة ثم المودة و هما من غرائز الطبع و الله أعلم و قيل لاتوقعوا العداوة بين المسلمين فيكون نهيا عن النميمة لما فيه من تأسيس الفساد و هذا اذا لم يكن لمصلحة فاذا دعت كما لو أخبر ان انسانا يريد الفتك به أو باهله أو بماله فلامنع بل قد يكون واجبا (و لاتدابروا) بحذف احدى التاءين فيه و فيما قبله من الأفعال الخمسة و يجوز تشديد التاء وصلا كما قرأ به البزى راوى ابن كثير فى نحو لاتيمموا أى لاتقاطعوا و لاتولوا ظهوركم عن اخوانكم و لاتعرضوا عنهم ماخوذ من الدبر لان كلا من المتقاطعين يولى دبره صاحبه و قيل معناه لاتغتابوا (و كونوا عباد الله اخوانا) خبر آخر أو بدل أو هو الخبر و عباد الله منصوب على الاختصاص بالنداء قال الطيبى و هذا الوجه أوقع قلت بل وقوعه خبرا واقعا تحت الامر أوجه لكون هذا الوجه مشعرا بالعلية من حيث العبودية و يؤيده ان فى رواية ضبط عبادا بالنصب ولله باللام الاجلية و المعنى أنتم مستوون فى كونكم عبيد الله و ملتكم واحدة و التحاسد و التباغض و التقاطع منافية لحالكم فالواجب أن تعاملوا معاملة الاخوة و المعاشرة فى المودة و المعاونة على البر و النصيحة بكل حسنة قيل الاخ النسبى يجمع على الاخوة قال تعالى فان كان له اخوة و المجازى على الاخوان قال تعالى اخوانا على سرر متقابلين فقوله تعالى انما المؤمنون اخوة للمبالغة و المفهوم من القاموس عدم الفرق بينهما و الله أعلم و فى رواية و لاتنافسوا ظاهره أن محله بعد الكل و يحتمل أن يكون بدلا عن أحدى صيغ النهى و يمكن أن يكون بعد لاتحاسدوا و هو الاظهر ولذا قال الشراح التنافس و التحاسد فى المعنى واحد و ان اختلفا فى الاصل قلت لكن التنافس يفيد المبالغة التى قد تفضى الى المنازعة فالمعنى لاتحاسدوا و لاتنازعوا فى الامور الخسيسة الدينية و الدنيوية بل ينبغى أن يكون تنافسكم فى الاشياء النفيسة المرضية الاخروية كما قال تعالى و فى ذلك فليتنافس المتنافسون و ما أنفس نفس الشاطبى حيث ذكر مضمون هذا الكلام النفيس بقوله عليك بها ما عشت فيها منافسا ★ و بع نفسك الدنيا بأنفاسها العلى (متفق عليه) و زاد فى الجامع الصغير قوله و لايخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك و قال رواه مالك و أحمد و الشيخان و أبوداود و الترمذى عنه ★(و عنه) أى عن أبى هريرة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح) بالتذكير و يؤنث مخففا مجهولا (أبواب الجنة) أى أبواب طبقاتها أو غرفها و درجاتها (يوم الاثنين و يوم الخميس) أى لكثرة الرحمة النازلة فيهما الباعثة على المغفرة و فى شرح مسلم قال القاضى عياض بمعنى فتح أبواب الجنة كثرة الصفح و الغفران و رفع المنازل و اعطاء الثواب الجزيل و يحتمل أن يكون على ظاهره و ان فتح أبوابها علامة لذلك (فيغفر) أى فيهما كما فى رواية الجامع الصغير (لكل عبد لايشرك بالله) صفة عبد (شيأ) أى من الاشراك أو من الاشياء أو شيأ من شرك جلى أو خفى و فى رواية لكل عبد مؤمن و لعل المراد به مؤمن كامل (الا رجل) بالرفع فى جميع نسخ المشكاة أى الا ذنب رجل المضاف مقدر و الا فالظاهر النصب كذا قاله السيد جمال الدين و فيه أن تقدير المضاف لايجوز كونه

كانت بينه و بين أخيه شحناء فيقال انظروا هذين حتى يصطلحا رواه مسلم ✱ وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض أعمال الناس فى كل جمعة مرتين يوم الاثنين و يوم الخميس فيغفر لكل عبد مؤمن الا عبدا بينه و بين أخيه شحناء فيقال اتركوا هذين حتى يفيآ رواه مسلم ✱ وعن أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الكذاب

رفعا نعم لو روى بالجر لكان له وجه بان حذف المضاف المنصوب و أبقى المضاف اليه مجرورا على حال أصله قال الطيبى و الظاهر فيه النصب لانه استثناء من كلام موجب و يمكن أن يقال أن الكلام محمول على المعنى أى لايبقى ذنب أحد الا ذنب رجل و نحوه قوله تعالى فشربوا منه الا قليل أى فلم يطيعوه الا قليل منهم اه و قراءة الرفع شاذة و المتواترة بالنصب و قيل وجه رفعه انه صفة لكل عبد فان محله الرفع و الا بمعنى غير أى غير رجل (كانت) و فى نسخة كان (بينه) أى بين الرجل (و بين أخيه المسلم شحناء) فعلاء من الشحن أى عداوة تملأ القلب (فيقال انظروا) بقطع الهمزة و كسر الظاء أى امهلوا (هذين) أى الرجلين و أخروا مغفرتهما من ذنوبهما مطلقا زجرا لهما أو من ذنب الهجران فقط و هو الاظهر (حتى يصطلحا) أى يتصالحا و يزول عنهما الشحناء فلايفيد التصالح للسمعة و الرياء و الظاهر أن مغفرة كل واحد متوقفة على صفائه و زوال عداوته سواء صفا صاحبه أم لا و الله أعلم قال الطيبى و أتى باسم الاشارة بدل الضمير لمزيد التمييز و التعيين (رواه مسلم) و كذا البخارى فى الادب المفرد و أبوداود و الترمذى عنه ✱ (و عنه) أى عن أبى هريرة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض) بالتذكير و يؤنث (أعمال الناس) يحتمل اختصاصه بالمؤمنين فانهم الناس (فى كل جمعة) بضمتين و يسكن الثانى أى أسبوع (مرتين) أى عرضتين (يوم الاثنين و يوم الخميس) نصب على الظرفية و الاظهر انهما بدل من مرتين لئلايتوهم أن العرض مرتين فى كل من اليومين قال القاضى أراد بالجمعة الاسبوع و عبر عن الشئ بآخره و ما يتم به و يوجد عنده و المعروض عليه هو الله تعالى أو ملك وكله الله على جميع صحف الاعمال و ضبطها و الاول هو الصحيح لما سيأتى به التصريح (الا عبدا) قال التوربشتى وجدناه فى كتاب المصابيح الا عبد على الرفع و هو فى كتاب مسلم بالنصب و هو الاوجه فانه استثناء من كلام موجب و به وردت الرواية الصحيحة (بينه و بين أخيه شحناء فيقال اتركوا هذين) أو أوقفوا أمر مغفرتهما (حتى يفيآ) مضارع مثنى من فاء اذا رجع أى حتى يرجعا من العداوة الى المحبة (رواه مسلم) و رواه الطبرانى عن أسامة بن زيد بلفظ تعرض الاعمال على الله يوم الاثنين و الخميس فيغفر الله الا ما كان من متشاحنين أو قاطع رحم و فى رواية الحكيم عن والد عبدالعزيز و لفظه تعرض الاعمال يوم الاثنين و الخميس على الله تعالى و تعرض على الانبياء و على الآباء و الامهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم و تزداد وجوههم بياضا و اشراقا فاتقوا الله و لاتؤذوا موتاكم و بهذه الاحاديث يظهر وجه حكمة النهى عن المهاجرة فوق ثلاث كيلا يقع محروما عن المغفرة فى يومى عرض الاعمال و الله أعلم بالاحوال ✱ (و عن أم كلثوم) بضم الكاف و يفتح ففى المغنى بضم كاف و سكون لام و ضم مثلثة و فى القاموس الكلثوم كزنبور الكثير لحم الخدين و أطلق الزنبور فى بابه فمقتضاه الفتح قال و أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذا ميزها المؤلف بقوله مبدلا (بنت عقبة بن أبى معيط) بالتصغير أسلمت بمكة و هاجرت ماشية و بايعت و سبق بقية ترجمتها (قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الكذاب) أى

الذى يصلح بين الناس و يقول خيرا و ينمى خيرا متفق عليه و زاد مسلم قالت و لم أسمعه تعنى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم يرخص فى شئى مما يقول الناس كذب الا فى ثلاث الحرب

ذو الكذب (الذى) و فى رواية الجامع بالذى (يصلح بين الناس) أى بكذبه (و يقول خيرا) أى لكل من المتخاصمين ما يفيد النصيحة المقتضية الى الخير و التقدير كلام خير أو قول خير أى حسنا أو يقول كلام خير الذى ربما سمعه منه و يدع شره عنه (و ينمى خيرا) بفتح الياء و كسر الميم أى و يبلغه لهما ما لم يسمعه منهما من الخير بان يقول فلان يسلم عليك و يحبك و ما يقول فيك الاخيرا و نحو ذلك و هذا ظاهر الحديث و قال القاضى أى يبلغ خير ما سمعه و يدع شره قلت فلايظهر وجه نفى الكذب عنه مع ان الكلام فى معنى استثناء الكذب و سيأتى صريح الاستثناء قال يقال نميت الحديث مخففا فى الاصلاح و نميته مثقلا فى الافساد و كان الاول من النماء لانه رفع لما يبلغه و الثانى من النميمة قلت مراده ان أصل الثانى نممته بالميمين و ابدال الثانية كما فى تقضى البازى و لكنه خلاف الظاهر فنى القاموس ذكرهما فى مادةواحدة فقال نما ينمو زاد كنمى ينمى و أنمى و نمى و الحديث ارتفع و نميته و نميته رفعته و أنماه أذاعه على وجه النميمة اه و مفهومه أن المخفف و المثقل منهما لافرق بينهما و انما الانماء يستعمل فى الافساد و عبر عنه بالنميمة لامشتق منها و على كل تقدير فينمى المخفف فى الحديث متعين لمعنى الاصلاح فقوله خيرا لافادة التأكيد أو على قاعدة التجريد أو على انه بالمعنى الاعم فيحتاج الى التقييد و هو الاظهر فتدبر ثم قال و انما نفى عن المصلح كونه كذابا باعتبار قصده دون قوله قلت القصد صحيح و أما قوله دون قوله فمناقض لقوله الاول فتامل و سيأتى تحقيق المرام نقلا عن العلماء الكرام (متفق عليه) و فى الجامع الصغير بلفظ فينمى خيرا رواه أحمد و الشيخان و أبوداود و الترمذى عنها و الطبرانى عن شداد بن أوس و فى رواية لابى داود عنها بلفظ لم يكذب من ينم بين اثنين ليصلح (و زاد مسلم) أى على البخارى فى المرخص للكذب حيث (قالت) أى الراوية (و لم أسمعه) لعل الواو عاطفة على كلام سبق لها غير حديث البخارى و الا فليزم التكرار كما لايخفى و ضمير المفعول راجع اليه صلى‌الله‌عليه‌وسلم ولذا قال الراوى عنها (تعنى) أى تريد بضمير اسمعه (النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم يرخص فى شئى) قال ميرك هذه الزيادة فى البخارى أيضا لكن قال ابن شهاب و لم يرخص فى شئى (مما يقول الناس كذب) بالرفع و فى نسخة بالنصب و فى أخرى بالجر و هو بفتح الكاف و كسر الذال و يجوز الكسر و السكون قال الطيبى كذب مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف مقول للقول و مما يقول بيان لقوله فى شئى أى فى شئى من أقوال الناس هو كذب أقول الاظهر انه مبتدأ خبره محذوف و من تبعيضية و المعنى لم أسمعه ترخص فى شئى من جملة ما يقول الناس فيه أى فى حقه كذب (الا فى ثلاث) أى كذبات استثناء من شئى باعادة العامل قال و ان روى منصوبا كان مفعولا مطلقا أى قولا كذبا أقول و يمكن أن يكون حالا من مفعول يقول المقدر العائد الى الموصول قال و ان روى مجرورا كان صفة أخرى لشئى أقول الاظهر انه بدل من شئى أو من الموصول (الحرب) بالجر بدل من ثلاث و سبق تحقيقه و فى نسخة بالرفع على تقدير أحدها أو أولها أو منها و يجوز نصبه باعنى و الرواية فى جامع الاصول و فى أكثر نسخ المصابيح هى الاولى فهى الاولى قيل الكذب فى الحرب كان يقول فى جيش المسلمين كثرة و جاءهم مدد كثير أو يقول انظر الى خلفك فان فلانا قد أتاك من ورائك ليضربك ذكره

و الاصلاح بين الناس و حديث الرجل امرأته و حديث المرأة زوجها و ذكر حديث جابر ان الشيطان قد أيس فى باب الوسوسة

★ (الفصل الثانى) ★ عن أسماء بنت يزيد قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايحل الكذب الا فى ثلاث كذب الرجل امرأته ليرضيها و الكذب فى الحرب و الكذب ليصلح بين الناس رواه أحمد و الترمذى ★ وعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايكون لمسلم أن يهجر مسلما فوق ثلاثة فاذا لقيه سلم عليه ثلاث مرات كل ذلك لايرد عليه فقد باء باثمه

ابن الملك (و الاصلاح بين الناس) أى ثانيتها و ثالثتها مجموع قوله (و حديث الرجل امرأته و حديث المرأة زوجها) أى فيما يتعلق بأمر المعاشرة و حصول الالفة بينهما قالوا و الاخيرة عاطفة على ما قبلها و ما قبلها مع ما عطف عليه عطف على السابق قال ابن الملك كان يقول لا أحد أحب الى منك و مثله حديث المرأة زوجها و هما فى قوة حديث الزوجين ليكون الثالث قال الخطابى هذه أمور قد يضطر الانسان فيها الى زيادة القول و مجاوزة الصدق طلبا للسلامة و دفعا للضرر و قد رخص فى بعض الاحوال فى اليسير من الافساد لما يؤمل فيه الكثير من الاصلاح فالكذب فى الاصلاح بين اثنين هو أن ينمى من أحدهما الى صاحبه خيرا و يبلغه جميلا و ان لم يكن سمعه منه يريد بذلك الاصلاح و الكذب فى الحرب أن يظهر من نفسه قوة و يتحدث بما يقوى به أصحابه و يكيد به عدوه و قد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الحرب خدعة و أما كذب الرجل زوجته هو أن يعدها و يمنيها و يظهر لها من المحبة أكثر مما فى نفسه يستديم بذلك صحبتها و يصلح به خلقها .قال سفيان بن عيينة لو أن رجلا اعتذر الى رجل يحرف الكلام و لحنه ليرضيه بذلك لم يكن كاذبا و قوله و حديث الرجل امرأته و حديث المرأة زوجها فى معنى حديث أحد الزوجين الآخر ليستقيم معنى الا فى ثلاث (و ذكر حديث جابر ان الشيطان قد أيس) أى من أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب و لكن فى التحريش بينهم (فى باب الوسوسة) أى لكونه أنسب به فى حاصل المعنى لاسيما صدر الحديث و ان كان التحريش مفسرا بالمعاصى التى من جملتها ما عنون بها هذا الباب و الله أعلم بالصواب .

★ (الفصل الثانى) ★ (عن أسماء بنت يزيد قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايحل الكذب الا فى ثلاث) أى ثلاث كذبات (كذب الرجل) بالجر على البدلية و يجوز وجهان آخران باعتبار قواعد العربية (امرأته) أى لها (ليرضيها) أى فى المعاشرة أو المعاشرة و حذف قرينته للاكتفاء أو للمقايسة أو وقع اختصارا من الراوى (و الكذب فى الحرب) أى مع الكفرة (و الكذب ليصلح بين الناس) أى فيما بينهم من المخاصمة المالية و غيرها (رواه أحمد و الترمذى ★ و عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايكون) أى لاينبغى و لايصح أو لايوجد مبالغة فى النفى لتأكيد النهى أو لايكون حلالا (لمسلم أن يهجر مسلما فوق ثلاثة) أى ثلاثة أيام(فاذا لقيه) أى المسلم المسلم بعد ثلاثة (سلم عليه) حال من فاعل لقيه أو بدل من لقيه و يؤيد الاول قوله فى حديث أبى خراش فلقيه فليسلم عليه (ثلاث مرات) أى أن لم يرد عليه فى الاول و الثانية أو ثلاث دفعات من الملاقاة و هو الاظهر (كل ذلك) بالرفع مبتدأ خبره (لايرد عليه) و الجملة صفة ثلاث مرات و العائد محذوف أى لايرد فيها أى فى المرات و فى نسخة بالنصب على انه ظرف لايرد (فقد باء باثمه) قال الطيبى هو جواب اذا أى اذا سلم عليه ثلاث مرات غير مردود فيها

رواه أبوداود ✱ و عن أبي هريرة أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال لايحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار رواه أحمد و أبوداود ✱ وعن أبي خراش السلمى أنه سمع رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه رواه أبوداود ✱ وعن أبي هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لايحل لمؤمن أن يهجر مؤمنا فوق ثلاث فان مرت به ثلاث فليلقه فليسلم عليه فان رد عليه السلام فقد اشتركا فى الاجر

جوابه فقد رجع باثمه و الضمير فيه يحتمل أن يكون للثانى أى لمن لم‌يرد فالمعنى ان المسلم خرج من اثم الهجران و بقى الاثم على الذى لم‌يرد السلام أى فهو قد باء باثم هجرانه و يحتمل أن يكون للمسلم و المعنى أنه ضم اثم هجران المسلم الى اثم هجرانه و باء بهما لان التهاجر يعد منه و بسببه (رواه أبوداود ✱ و عن أبي هريرة أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال لايحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث) أى ثلاث ليال ففيه تفنن و يتحصل من مجموعهما ان المراد ثلاثة أيام و لياليها كما فى قضية زكريا عليه‌الصلاة‌والسلام (فمن هجر فوق ثلاث) ظاهره و لو ساعة و يحتمل أن يكون المراد بما فوق الثلاث الاربع لانه به يتم زيادة عدد المعدود فتأمل (فمات) أى على تلك الحالة من غير توبة (دخل النار) قال التوربشتى أي استوجب دخول النار فالواقع فى الاثم كالواقع فى العقوبة ان شاء عذبه و ان شاء غفرله (رواه أحمد و أبوداود) و كذا النسائى باسناد على شرط الشيخين ذكره ميرك ✱(و عن أبي خراش) بكسر الخاء المعجمة و تخفيف الراء و بالشين المعجمة و اسمه حدرد بفتح الحاء و بسكون الدال المهملتين و فتح الراء صحابى أسلمى ذكره المؤلف فقوله (السلمى) بضم ففتح من خطأ الكتاب و قد قال ميرك صوابه الاسلمى قال المنذرى أبو خراش حدرد بن أبي حدرد الاسلمى قال العسقلانى فى الكنى أبو خراش الاسلمى اسمه حدرد بن أبي حدرد و قال فى الاسماء حدرد بن حدرد الاسلمى صحابى له حديث واحد (سمع رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول من هجر أخاه سنة فهو) أى هجره سنة (كسفك دمه) السفك الاراقة و الصب يعنى مهاجرة الاخ المسلم سنة توجب العقوبة كما أن سفك دمه يوجبها فهى شبيهة بالسفك من حيث حصول العقوبة بسببها لا أنها مثله فى العقوبة لان القتل كبيرة عظيمة لايكون بعد الشرك أعظم منه فشبه الهجران به تأكيدا فى المنع عنه و فى المشابهة تكفى المساواة فى بعض الصفات كذا ذكره بعض شراح الحديث قال الطيبى التشبيه أنما يصار اليه للمبالغة كما يقال زيد كالاسد الحاقا له بالاسد فى الجراءة و انه نظيره فيها و لم‌يقصد به انه دونه كذلك ههنا لان قوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لايحل لمؤمن أن يهجر مؤمنا فوق ثلاث دل على أن التهاجر فوق الثلاث حرام و راكبه راكب الاثم فاذا امتد الى مدة يهجر فيها الغائب و المسافر عن أهله غالبا بلغ التهاجر و التقاطع الى الغاية فيبلغ اثمه أيضا الى الغاية و هذا معنى تخصيص ذكر السنة و الله أعلم اه و يمكن أن يكون تخصيص السنة بالذكر لاشتمالها على الفصول الاربعة فاذا لم‌يعتدل مزاجه بمرور السنة عليه فلايرجى رجوعه و نظيره مسئلة العنين المنقولة فى الفروع المعلومة بما قلنا فى الاصول (رواه أبوداود) قال ميرك و سكت عليه و رواه الحاكم و قال صحيح و أقره الذهبى و رواه البيهقى أيضا و فى الجامع الصغير رواه أحمد و البخارى فى تاريخه و أبوداود و الحاكم ✱(و عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لايحل لمؤمن أن يهجر مؤمنا فوق ثلاث فان مرت به ثلاث فليلقه فليسلم عليه فان رد عليه السلام فقد اشتركا فى الاجر) أى

و ان لم يرد عليه فقد باء بالاثم و خرج المسلم من الهجرة رواه أبوداود ★ و عن أبى الدرداء قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ألا أخبركم بافضل من درجة الصيام و الصدقة و الصلاة قال قلنا بلى قال اصلاح ذات البين و فساد ذات البين هى الحالقة رواه أبوداود و الترمذى و قال

فى أجر السلام أو فى أجر ترك الهجر أو فيهما (و ان لم يرد عليه) أى السلام (فقد باء بالاثم) أى رجع باثم الهجران كذا قاله شارح و الاظهر انه باثم الهجر و باثم ترك السلام فاللام للجنس أو عوض على المضاف اليه أى باثم الامرين و لايبعد أن يقال باء باثم ترك السلام زيادة على اثم الهجران المستمر الذى يقارب سفك الدم (و خرج المسلم) بتشديد اللام المكسورة (من الهجرة) أى من اثم الهجران (رواه أبوداود) أى من طريق هلال بن أبى هلال مولى بنى كعب عن أبى هريرة قال أحمد فى هلال لا أعرفه و قال أبو حاتم ليس بالمشهور و وثقه بعضهم ذكره ميرك ★ (و عن أبى الدرداء قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ألا أخبركم بأفضل) أى بعمل أفضل درجة و أكثر مثوبة (من درجة الصيام) أى نفلا بقرينة قوله (و الصدقة) فانها للمندوبة غالبا (و الصلاة) لعل تأخيرها للترقى و ظاهر الواو انه للجمع فالمعنى انه أفضل من فعل مجموعها و يحتمل أن يكون بمعنى أو فالمعنى انه أفضل من كل منها و الاول أبلغ فى مقام الترغيب كما لايخفى قال الاشرف المراد بهذه المذكورات النوافل دون الفرائض قلت و الله أعلم بالمراد اذ قد يتصور أن يكون الاصلاح فى فساد يتفرع عليه سفك الدماء و نهب الاموال و هتك الحرم أفضل من فرائض هذه العبادات القاصرة مع امكان قضائها على فرض تركها فهى من حقوق الله التى هى أهون عنده سبحانه من حقوق العباد فاذا كان كذلك فيصح أن يقال هذا الجنس من العمل أفضل من هذا الجنس لكون بعض أفراده أفضل كالبشر خير من الملك و الرجل خير من المرأة (قال) أى أبو الدرداء (قلنا بلى) أى أخبرنا و فى نسخة زيادة يا رسول‌الله (قال اصلاح ذات البين) أى هو هذا قيل يريد بذات البين الخصلة التى تكون بين القوم من قرابة و مودة و نحوهما و قيل المراد بذات البين المخاصمة و المهاجرة بين اثنين بحيث يحصل بينهما بين أى فرقة و البين من الاضداد الوصل و الفرق و قال الطيبى اصلاح ذات البين أى أحوال بينكم يعنى ما بينكم من الاحوال ألفة و محبة و اتفاق كقوله تعالى و الله عليم بذات الصدور و هى مضمراتها و لما كانت الاحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقنى ذا انائك يريدون ما فى الاناء من الشراب كذا فى الكشاف فى قوله تعالى و أصلحوا ذات بينكم اه و لما كان الكلام السابق فى قوة صلاح ذات البين هى الخصلة الصادقة قال (و فساد ذات البين هى الحالقة) أى الماحية و المزيلة للمثوبات و الخيرات و المعنى يمنعه شؤم هذا الفعل عن تحصيل الطاعات و العبادات و قيل المهلكة من حلق بعضهم بعضا أى قتل مأخوذ من حلق الشعر و فى النهاية هى الخصلة التى من شأنها أن تحلق أى تهلك و تستأصل الدين كما يستأصل الموسى الشعر و قيل هى قطيعة الرحم و التظالم و قال الطيبى فيه حث و ترغيب فى اصلاح ذات البين واجتناب عن الافساد فيها لان الاصلاح سبب للاعتصام بحبل الله و عدم التفرق بين المسلمين و فساد ذات البين ثلمة فى الدين فمن تعاطى اصلاحها و رفع فسادها نال درجة فوق ما يناله الصائم القائم المشتغل بخويصة نفسه فعلى هذا ينبغى أن يحمل الصلاة و الصيام على الاطلاق و الحالقة على ما يحتاج اليه امر الدين (رواه أبوداود و الترمذى) و كذا الامام أحمد (و قال)

هذا حديث صحيح ★ و عن الزبير قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد و البغضاء هى الحالقة لا أقول تحلق الشعر و لكن تحلق الدين رواه أحمد و الترمذى ★ و عن أبى هريرة عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال اياكم و الحسد فان الحسد ياكل الحسنات كما تأكل النار الحطب

أى الترمذى (هذا حديث صحيح) قال و يروى عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال هى الحالقة لا أقول تحلق الشعر و لكن تحلق الدين اه و فى الباب أحاديث كثيرة منها ما نقله ميرك عن المنذرى عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ما عمل شئى أفضل من الصلاة و اصلاح ذات البين رواه الاصبهانى و عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أفضل الصدقة اصلاح ذات البين رواه الطبرانى و البزار و فى سنده عبدالرحمن بن زياد بن أنعم و حديثه هذا حسن لحديث أبى داود و الترمذى عن أبى الدرداء و عن أبى أيوب قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يا أبا أيوب ألا أدلك على صدقة يحب الله موضعها قلت بلى يا رسول‌الله بأبى انت و أمى قال تصلح بين الناس فانها صدقة يحب الله موضعها رواه الاصبهانى و فى رواية له و الطبرانى أيضا ألا أدلك على صدقة يحبها الله و رسوله تصلح بين الناس اذا تغاضبوا و تفاسدوا و فى رواية للطبرانى و البزار ألا أدلك على عمل يرضاه الله و رسوله قال من أصلح بين الناس أصلح الله أمره و أعطاه بكل كلمة تكلم بها عتق رقبة و رجع مغفورا له ما تقدم من ذنبه رواه الاصبهانى و هو حديث غريب جدا ★(و عن الزبير) أى ابن العوام أحد العشرة المبشرة (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم دب) بفتح الدال المهملة و تشديد الموحدة أى نقل و سرى و مشى بخفية (اليكم داء الامم قبلكم الحسد) أى فى الباطن (و البغضاء) أى العداوة فى الظاهر و رفعهما على انهما بيان للداء أو بدل و سميا داء لانهما داء القلب (هى) أى البغضاء و هو أقرب مبنى و معنى أو كل واحدة منهما (الحالقة) أى القاطعة للمحبة و الالفة و الصلة و الجمعية و الخصلة الاولى هى المؤدية الى الثانية ولذا قدمت (لا أقول تحلق الشعر) أى تقطع ظاهر البدن فانه أمر سهل (و لكن تحلق الدين) و ضرره عظيم فى الدنيا و الآخرة قال الطيبى أى البغضاء تذهب بالدين كالموسى تذهب بالشعر و ضمير المؤنث راجع الى البغضاء كقوله تعالى و الذين يكنزون الذهب و الفضة و لاينفقونها و قوله تعالى و استعينوا بالصبر و الصلاة و انها لكبيرة أى فى بعض أقوال المفسرين فى كل منهما قال و لان البغضاء أكثر تأثيرا فى ثلمة الدين و ان كانت نتيجة الحسد أى فى بعض افرادها (رواه أحمد و الترمذى) و قال المنذرى رواه أحمد و البزار باسناد صحيح جيد و البيهقى و غيرهما نقله ميرك و فى الجامع الصغير رواه أحمد و الترمذى و الضياء عن الزبير بن العوام و لفظه دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد و البغضاء و البغضاء هى الحالقة حالقة الدين لاحالقة الشعر و الذى نفس محمد بيده لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا و لاتؤمنوا حتى تحابوا أفلا أنبئكم بشئى اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم ★(و عن أبى هريرة عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال اياكم و الحسد) أى فى مال أو جاه دنيوى فانه مذموم بخلاف الغبطة فى الامر الاخروى (فان الحسد) أى باعتبار ما ينتج فى حق المحسود من ارتكاب السيآت (ياكل الحسنات) أى يفنى و يذهب طاعات الحاسد (كما تأكل النار الحطب) لان الحسد يفضى بصاحبه الى اغتياب المحسود و نحوه فيذهب حسناته فى عرض ذلك المحسود فيزيد المحسود نعمة على نعمة و الحاسد حسرة على حسرة فهو كما قال تعالى خسر

رواه أبوداود ★ و عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم و سوء ذات البين الحالقة رواه الترمذي ★ و عن أبي صرمة

الدنيا و الآخرة قال القاضي تمسك به من يرى احباط الطاعات بالمعاصي كالمعتزلة و أجيب عنه بان المعنى ان الحسد يذهب حسنات الحاسد و يتلفه عليه بأن يحمله على ان يفعل بالمحسود من اتلاف مال و هتك عرض و قصد نفس ما يقتضي صرف تلك الحسنات باسرها في عرضه كما روى في صحاح باب الظلم عن أبي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ان المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة و زكاة وصيام وقيام و يأتي قد شتم هذا و قذف هذا و أكل مال هذا و سفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته و هذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار لاحباط الطاعات بالمعاصي و الا لم يكن يبقى لهذا الآتي المتعاطي لتلك الكبائر حسنة يقضي بها حق خصمه اه كلامه و هذا أحد الوجهين مما ذكره التوربشتي و الوجه الآخر له ان يقال ان التضعيف في الحسنات يوجد على حسب استعداد العبد و صلاحه في دينه فمهما كان مرتكبا للخطايا نقص من ثواب عمله فيما يتعلق بالتضعيف ما يوازي انحطاطه في المرتبة بما اجترحه من الخطايا مثل أن يقدر ان ذارهق عمل حسنة فاثيب عليها عشرا و لو لم يكن رهقه لاثيب اضعاف ذلك فهذا الذي نقص من التضعيف بسبب ما ارتكبه من الذنب هو المراد من الاحباط و قال الطيبي ما خلاصته ان الحسنات لا تقبل بواسطة الحسد لانها تحبط به قلت المعنيان متقاربان مع ان الاحاديث الواردة في نفي القبول محمولة على نفي الكمال و كذا قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين عند أهل السنة فقوله ان تلك الحسنات الصادرة عنده مردودة عليه و ليست بثابتة في ديوان اعماله الصالحة حتى تحبط كمن صلى في دار مغصوبة أنت تعلم ان العبادة الصحيحة في الشريعة لايصح ان يقال فيها انها ليست ثابتة في ديوان الاعمال بل أظن انه خلاف الاجماع هذا و ظاهر التشبيه انه يذهب بالشئ الموجود لا المعدوم و لا المفقود و قد ورد عن معاوية بن حيدة مرفوعا على ما رواه الديلمي في الفردوس الحسد يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل فهذا الحديث صريح في المعنى الذي قلنا من انه يفسد و يبطل كمال الايمان و سائر الحسنات لا انه يذهبها بالمرة و يفنيها فتأويل الحديث يتم بتقدير المضاف و كذا يوافقه التشبيه من حيث ان النار تأخذ نور الحطب و تخلي أصله الذي هو الرماد فلايعارض الحديث حينئذ قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيآت و قد سنح بالبال و الله أعلم بالحال انه يحتمل أن يكون معنى الحديث ان الحسد يأكل حسنات المحسود الى صاحب الحسد بمعنى انها لاتؤثر فيه و لاتغيره و لايوجد لها قدر عنده كما تأكل النار الحطب ففيه تنبيه نبيه على ان الاحسان الى الحاسد غير نافع و ان التقرب بالتردد اليه ضائع و ان الحسد أقوى من كل عداوة لقوله تعالى ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك و بينه عداوة كانه ولي حميم و أنشد

كل العداوة قد يرجى ازالتها ★ الا عداوة من عاداك من حسد

(رواه أبوداود) أي من طريق ابراهيم بن أسيد عن جده عن أبي هريرة و جد ابراهيم لم يسم و ذكر البخاري ابراهيم هذا في التاريخ الكبير و ذكر له هذا الحديث و قال لايصح كذا ذكره الشيخ الجزري و قال ميرك لكن له شاهد من حديث أنس مرفوعا الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب رواه ابن ماجه و البيهقي ★(و عن أبي صرمة) بكسر الصاد و سكون الراء

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ضار ضار الله به و من شاق شاق الله عليه رواه ابن ماجه و الترمذى و قال هذا حديث غريب ★ و عن أبي بكر الصديق قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من ضار مؤمنا أو مكر به رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب ★ و عن ابن عمر قال صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع يا معشر من أسلم بلسانه و لم يفض الايمان الى قلبه لاتؤذوا المسلمين

المهملتين قال المؤلف هو مالك بن قيس المازنى شهد بدرا و ما بعدها من المشاهد (ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ضار) أى مؤمنا كما فى الرواية الآتية بان أوصل اليه الضر ابتداء (ضار الله به) أى جازاه بعمله و عامله معاملته ففيه نوع من المشاكلة و المقابلة (و من شاق) أى خالفه و عاداه (شاق الله عليه) أى عاقبه قال تعالى و من يشاق الله فان الله شديد العقاب و فى وضع المؤمن موضع ذاته اعتناه (١) بعلو درجاته كما قال عز و جل فى آية أخرى و من يشاقق الله و رسوله و فى أخرى و من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى و نصله جهنم و المشاقة بين المتنازعين ان أحدهما يأخذ بشق دون شق الآخر أو يبعد عنه فى شق أو يريد كل منهما مشقة الآخر فهو أما ماخوذ من الشق بالكسر و هو المشقة و منه قوله تعالى الا بشق الانفس أو من الشق بمعنى نصف الشئ و بنه ما ورد اتقوا النار و لو بشق تمرة فكان المتنازعين بعد ان كانا مجتمعين صارا نصفين أو من الشق بالفتح الفصل فى الشئ و هو الفرق قيل ان الضرر و المشقة متقاربان لكن الضرر يستعمل فى اتلاف المال و المشقة فى ايصال الاذية الى البدن كتكليف عمل شاق اه و الاظهر ان الضرر يشمل البدنى و المالى و الدنيوى و الاخروى و أما المشاقة فهى المخالفة التى تؤدى الى المنازعة و المحاربة و امثال ذلك هذا و فى جامع الاصول المضارة المضرة والمشقة النزاع فمن أضر غيره تعديا أو شاقه ظلما بغير حق فان الله يجازيه على فعله بمثله اه و حاصله ان معناهما واحد و الثانى تأكيد و ما قدمناه أولى لأنه يفيد التأسيس و التقييد و أما قول الطيبى و يجوز أن يحمل على المشقة أيضا بان كلف صاحبه فوق طاقته فيقع فى التعب و المشقة فداخل أيضا فى المضرة (رواه ابن ماجه و الترمذى و قال هذا حديث غريب) و فى التصحيح رواه ابن ماجه و الترمذى و أبوداود و النسائى أيضا و قال الترمذى حديث حسن غريب ذكره ميرك و فى الجامع الصغير بلفظ من ضار ضر الله به و من شاق شق الله عليه رواه أحمد و الاربعة عن أبى صرمة ★ (و عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون) أى مبعود عن الخير (من ضار مؤمنا) أى ضررا ظاهرا (أو مكر به) أى بايصال الضرر اليه خفية (رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب) قال صاحب التصحيح و فى سنده أبو سلمة الكندى لايعرف عن فرقد السنجى وثقه ابن معين و ضعفه غيره ذكره ميرك ★ (و عن ابن عمر قال صعد) بكسر العين أى طلع (رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع) أى عال (فقال) بيان لقوله فنادى (يا معشر من أسلم بلسانه) يشترك فيه المؤمن و المنافق (و لم يفض) من الافضاء أى لم يصل الايمان أى أصله و كماله (الى قلبه) فيشمل الفاسق و هو الاظهر لما سياق من قوله تتبع عورة أخيه المسلم و لااخوة بين المنافق و المسلم فما اختاره الطيبى من حصر حكم الحديث على المنافق خلاف الظاهر الموافق و الحكم بالاعم هو الوجه الاتم و الله أعلم (لا تؤذوا المسلمين) أى الكاملين فى الاسلام

(١) لعل الصواب اعتناء ـ

و لاتعيروهم و لاتتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته و من يتبع الله عورته يفضحه و لو فى جوف رحله رواه الترمذى ★ وعن سعيد بن زيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان من أربى الربا الاستطالة فى عرض المسلم

و هم الذين أسلموا بلسانهم و آمنوا بقلوبهم (و لاتعيروهم) من التعيير وهو التوبيخ و التعييب على ذنب سبق لهم من قديم العهد سواء علم توبتهم منه أم لا و أما التعيير فى حال المباشرة أو بعيده قبل ظهور التوبة فواجب لمن قدر عليه و ربما يجب الحد أو التعزير فهو من باب الامر بالمعروف و النهى عن المنكر (و لاتتبعوا) من باب الافتعال أى لا تجسسوا (عوراتهم) فيما تجهلونها و لاتكشفوها فيما تعرفونها (فانه) أى الشان (من يتبع) بتشديد التاء مجزوما و قيل مرفوعا و فى بعض النسخ المقروء على المشايخ ضبط بصيغة الماضى المعلوم من باب التفعل هنا و فيما بعد من الموضعين أى من يطلب (عورة أخيه) أى ظهور عيب أخيه (المسلم) أى الكامل بخلاف الفاسق فانه يجب الحذر و التحذير عنه (يتبع الله عورته) ذكره على سبيل المشاكلة أى يكشف عيوبه و من أقبحها تتبع عورة الاخ المسلم و هذا فى الآخرة (و من يتبع الله عورته يفضحه) من فضح كمنع أى يكشف مساويه (و لو فى جوف رحله) أى و لو كان فى وسط منزله مخفيا من الناس قال تعالى ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا و الآخرة و الله يعلم و أنتم لاتعلمون قال الغزالى التجسس و التتبع ثمرة سوء الظن بالمسلم و القلب لايقنع بالظن و يطلب التحقيق فيؤدى الى هتك الستر و حد الاستتار أن يغلق باب داره و يستتر بحيطانه فلايجوز استراق السمع على داره ليسمع صوت الاوتار و لا الدخول عليه لرؤية المعصية الا أن يظهر بحيث يعرفه من هو خارج الدار كاصوات المزامير و السكارى بالكلمات المالوفة بينهم و كذلك اذا ستروا أوانى الخمر و ظروفها و آلات الملاهى فى الكم و تحت الذيل فاذا رأى ذلك لم يجز أن يكشف عنه و كذلك لايجوز أن يستنشق ليدرك رائحة الخمر و لا أن يستخبر من جيرانه ليخبروه بما يجرى فى داره و أنشد فى معناه شعر

لاتلتمس من مساوى الناس ما ستروا ★ فيهتك الله ستراعن مساويكا

و اذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا ★ و لاتعب أحدا منهم بما فيكا

و فى قوله و لم يفض الايمان الى قلبه اشارة الى انه ما لم يصل الايمان الى القلب لم يحصل له المعرفة بالله و لم يؤد حقوقه فاذا علاج جميع أمراض القلب المعرفة بالله تعالى لتؤدى الى أداء حقوق الله و حقوق المسلمين فلايؤذى و لايضر و لايعير و لايتجسس أحوالهم اه كلام الامام و حصل تمام المرام (رواه الترمذى) و قال حسن غريب نقله ميرك ★ (و عن سعيد بن زيد) قال المؤلف عدوى أحد العشرة المبشرة بالجنة أسلم قديما و كانت فاطمة أخت عمر تحته و بسببها كان اسلام عمر مات بالعقيق فحمل الى المدينة و دفن بالبقيع روى عنه جماعة (عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان من أربى الربا) أى من أكثر أنواعها وبالا و ازيد آثام افرادها مالا (الاستطالة) أى اطالة اللسان (فى عرض المسلم) و أصل التطاول استحقار الناس و الترفع عليهم و أصل الربا الزيادة و الكثرة لغة و أما شرعا فهو معروف بأنواعه المحرمة فى كتب الفقه و انما يكون هذا أشدها تحريما لان العرض عند أرباب الكمال أعز على النفس من المال و أنشد

أصون عرضى بمالى لاأدنسه ★ لا بارك الله بعد العرض فى المال

بغير حق رواه أبوداود و البيهقى فى شعب الايمان ★ و عن أنس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم لما عرج بى ربى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس و يقعون فى أعراضهم رواه أبوداود ★ و عن المستورد عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال من أكل برجل مسلم أكلة فان الله يطعمه مثلها من جهنم و من كسى ثوبا برجل مسلم

و انما عبر عنه بلفظ الربا لان المتعدى يضع عرضه ثم يستزيد عليه فكانه قال أزيد الزيادات التى تتجاوز عن الحد الاستطالة فى عرض المسلم الذى هو أقوى من ماله و قال الطيبى ادخل العرض فى جنس المال على سبيل المبالغة و جعل الربا نوعين متعارف و هو ما يؤخذ من الزيادة على ماله من المديون و غير متعارف و هو استطالة الرجل اللسان فى عرض صاحبه ثم فضل أحد النوعين على الآخر و قال القاضى الاستطالة فى عرض المسلم أن يتناول منه أكثر مما يستحقه على ما قيل له أو أكثر مما رخصوا له فيه و لذلك مثله بالربا و عده من عداده ثم فضله على سائر افراده لانه أكثر مضرة و أشد فسادا فان العرض شرعا و عقلا أعز على النفس من المال و أعظم منه خطرا و لذلك أوجب الشارع بالمجاهرة بهتك الاعراض ما لم يوجب بنهب الاموال اه و يعنى به ان هتك بعض الاعراض يوجب الرجم ونهب المال فقط لم يوجب القتل قال التوربشتى و قوله (بغير حق) فيه تنبيه على ان العرض ربما تجوز استباحته فى بعض الاحوال و ذلك مثل قوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لى الواجد يحل عرضه فيجوز لصاحب الحق أن يقول فيه انه ظالم و انه متعد و نحو ذلك ومثله الكلام فى جرح الشاهد و نحو ذلك أى من ذكر مساوى الخاطب و المبتدعة و الفسقة على قصد التحذير (رواه أبوداود و البيهقى فى شعب الايمان) و كذا الامام أحمد فى مسنده ★ (و عن أنس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لما عرج بى) أى أسرى بى (ربى مررت باقوام لهم اظفار من نحاس يخمشون) بكسر الميم أى يخدشون (وجوههم و صدورهم) ففى المصباح خمشت المرأة كضرب وجهها بظفر جرحت ظاهر البشرة (فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس) أى يغتابون المسلمين (و يقعون فى أعراضهم) قال الطيبى لما كان خمش الوجه والصدر من صفات النساء النائحات جعلهما جزاء من يغتاب ويفرى فى أعراض المسلمين اشعارا بانهما ليستا من صفات الرجال بل هما من صفات النساء فى أقبح حالة و اشوء صورة (رواه أبوداود) و هو حديث حسن سكت عليه هو و المنذرى و قد روى عن سعيد بن جبير مرسلا ذكره ميرك و فى الجامع الصغير رواه أحمد و أبوداود و الضياء عن أنس ★ (و عن المستورد) أى ابن شداد يقال انه كان غلاما يوم قبض النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم و لكنه سمع منه و روى عنه جماعة (عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال من أكل برجل مسلم) أى بسبب غيبته أو قذفه أو وقوعه فى عرضه أو بتعرضه له بالاذية عند من يعاديه (أكلة) بالضم أى لقمة و فى نسخة بالفتح أى مرة من الاكل (فان الله تعالى يطعمه مثلها) أى قليلا أو كثيرا (من جهنم) أى من نارها أو من عذابها (و من كسا) بصيغة الفاعل أى ألبس شخصا (ثوبا برجل مسلم) أى بسبب اهانته و فى نسخة بصيغة المفعول وهو المناسب للقرينة السابقة و قيل معنى الاول كسا نفسه ثوبا و معنى الثانى اكتسى ثوبا فصار مآلهما واحدا و فى النهاية معناه الرجل يكون صديقا ثم يذهب الى عدوه فيتكلم فيه بغير الجميل ليجيزه عليه بجائزة فلايبارك الله له فيها قال الطيبى فعلى هذا فالباء

فان الله يكسوه مثله من جهنم و من قام برجل مقام سمعة و رياء فان الله يقوم له مقام سمعة و رياء يوم القيامة رواه أبوداود ✦ و عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم حسن الظن من حسن العبادة

فى برجل للسببية و الجائزة عامة فى المطعوم و الملبوس و عليه كلام أكثر الشارحين (فان الله يكسوه مثله من جهنم و من قام برجل) الباء للتعدية و المراد بالرجل نفسه أو غيره (مقام سمعة و رياء فان الله يقوم) أى منتصرا و منتقما (له) أى لاجل افضاح القائم به (مقام سمعة و رياء يوم القيامة) و هو كناية عن افضاحه اياه الناشئ عن مقت الله و قد جاء فى رواية الطبرانى عن عبد الله الخزاعى مرفوعا من قام مقام رياء و سمعة فانه فى مقت الله حتى يجلس قال التوربشتى أى من قام ينسبه الى ذلك و يشهره به فيما بين الناس فضحه الله و شهره بذلك على رؤس الاشهاد يوم القيامة و عذبه عذاب المرائين و قال المظهر الباء فى برجل يحتمل أن تكون للتعدية و للسببية فان كانت للتعدية يكون معناه من أقام رجلا مقام سمعة و رياء يعنى من أظهر رجلا بالصلاح و التقوى ليعتقد الناس فيه اعتقادا حسنا و يعزونه و يخدمونه و يجعله حبالا و مصيدة كما يرى فى زماننا لينال بسببه المال والجاه فان الله يقوم له مقام سمعة و رياء بان يأمر ملائكته بان يفعلوا معه مثل فعله و يظهروا انه كذاب و ان كانت للسببية فمعناه ان من قام وأظهر من نفسه الصلاح و التقوى لاجل أن يعتقد فيه رجل عظيم القدر كثير المال ليحصل له مال و جاه كما يقول الناس فى العرف هذا زاهد الامير قال الطيبى و معنى الكناية عن التهديد فى قوله فان الله يقوم له كما فى قوله تعالى سنفرغ لكم أيها الثقلان الكشاف سنفرغ مستعار من قول الرجل لمن يهدده سافرغ لك أى ساتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلنى عنه حتى لايكون لى شغل سواه و المراد التوفر على النكاية فيه و الانتقام منه و قال الاشرف معنى السببية لايستقيم فى قوله و من كسا ثوبا برجل مسلم فالباء فيه صلة قلت و هذا لايستقيم أيضا اذ يصير التقدير و من كسا ثوبا رجلا مسلما و هو فاسد المعنى فالوجه ما قدمناه كما لايخفى ثم رأيت الطيبى قال و لعله أراد ان كسا متعد الى مفعولين و ليس هنا الا مفعول واحد فيجب أن يكون برجل ثانى مفعوليه و فيه نظر لما يؤدى الى فساد المعنى كما لا يخفى فالواجب أن يقدر من كسا نفسه ثوبا برجل (رواه أبوداود ✦ و عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم حسن الظن) أى بالله (من حسن العبادة) أى لله و المعنى ان حسن الظن به تعالى من جملة العبادات الحسنة فلاينبغى أن تظن ما يظنه العامة من ان حسن الظن هو ان تترك العمل و تعتمد على الله و تقول انه كريم غفور رحيم و يمكن أن يكون المعنى بعض حسن العبادة حسن الظن و قدم الخبر اهتماما فان السالك اذا حسن الظن بالله على سبيل الرجاء حسن العبادة فى الخلا و الملا فيستحسن مأموله و يرجى قبوله قال تعالى ان الذين آمنوا و الذين هاجروا و جاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله و أما من يترك العبادة و يدعى حسن الظن بالمعبود فهو مغرور و مخدوع و مردود و مثلهما الغزالى بمن زرع و من لم‌يزرع راجيين للحصاد و لاشك ان الثانى ظاهر الفساد و الله رؤف بالعباد و قال المظهر يعنى اعتقاد الخير و الصلاح فى حق المسلمين عبادة قال الطيبى فعلى هذا من للتبعيض أى من جملة عبادة الله و الاخلاص فيها حسن المعاشرة مع عباده و يجوز أن تكون للابتداء أى حسن الظن بعباد الله تعالى ناشىء من حسن عبادة الله و ينصره قوله المسلم من سلم المسلمون

رواه أحمد و أبوداود ★ و عن عائشة قالت اعتل بعير لصفية و عند زينب فضل ظهر فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لزينب أعطيها بعيرا فقالت أنا أعطى تلك اليهودية فغضب رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فهجرها ذا الحجة و المحرم وبعض صفر رواه أبوداود و ذكر حديث معاذ بن أنس من حمى مؤمنا فى باب الشفقة و الرحمة

★ (الفصل الثالث) ★ عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم رأى عيسى بن مريم رجلا يسرق فقال له عيسى بن مريم سرقت قال كلا و الذى لا اله الا هو فقال عيسى آمنت بالله و كذبت نفسى رواه مسلم

من لسانه و يده اه فان قلت قد ورد احترسوا من الناس بسوء الظن على ما رواه ابن عدى و الطبرانى فى الاوسط عن أنس مرفوعا قلت التقدير من بعضهم و لذا قال تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم أو يقال يحترس منهم بسوء الظن فى الباطن على ما أشار اليه صلى‌الله‌عليه‌وسلم بقوله أخبره تقله على ما رواه جماعة عن أبى الدرداء و دل عليه ما ورد فى حديث ثابت من ان الناس كابل مائة لاتجد فيها راحلة أو يعاملهم فى الظاهر بحسن الظن بناء على الامر المبهم و الله أعلم (رواه أحمد و أبوداود) و كذا الحاكم فى مستدركه ★ (و عن عائشة قالت اعتل) بتشديد اللام أى مرض (بعير لصفية) المراد بها هنا بنت حيى بن أخطب من بنى اسرائيل سبط هارون كانت تحت كنانة بن أبى الحقيق فقتل يوم خيبر فى محرم سنة سبع و وقعت فى السبى فاصطفاها رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فأسلمت و أعتقها و تزوجها و ماتت سنة خمسين و دفنت بالبقيع و روى عنها أنس و ابن عمر و غيرهما (و عند زينب فضل ظهر) أى مركب فاضل عن حاجتها و هى أم المؤمنين أيضا بنت جحش و أمها أمية بنت عبد المطلب عمة النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم و كانت تحت زيد بن حارثة مولى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فطلقها ثم تزوجها النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم سنة خمس مناقبها جمة روت عنها عائشة و أم حبيبة و غيرهما (فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لزينب أعطيها) أى صفية (بعيرا فقالت أنا أعطى) بتقدير الاستفهام الانكارى و لعل حذف المفعول لافادة العموم مبالغة فى النفى أى أنا ما أعطى شيأ (تلك اليهودية) أى باعتبار ما كانت و انما حملها على هذا القول الغيرة المنضمة الى كونها من أكابر قريش لكنها خالفت من حيث المخالفة و سوء المخالفة (فغضب رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فهجرها ذا الحجة و المحرم) بالنصب (و بعض صفر) قال ابن الملك فيه جواز الهجران فوق ثلاث لفعل القبيح يعنى على قصد الزجر و التأديب لا على ارادة العداوة و البغضاء و الشحناء و به يحصل الجمع بين الاحاديث كما سبق (رواه أبوداود) قال صاحب التصحيح رجاله رجال مسلم الاسمية البصرية الراوية عن عائشة فلم يخرج لها مسلم اه و قال المنذرى سمية لم تثبت و قال العسقلانى مقبولة من الثالثة نقله ميرك (و ذكر حديث معاذ ابن أنس من حمى مؤمنا) أى من منافق الحديث بطوله (فى باب الشفقة و الرحمة)

★ (الفصل الثالث) ★ (عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم رأى عيسى بن مريم رجلا يسرق فقال له عيسى سرقت) أى أسرقت و الظاهر أتسرق و لعل العدول عنه ايماء الى تحققه (قال كلا) أى حاشا (و الذى لا اله الا هو) ويمكن أن يكون فى الكلام تورية أى ارتدع عن هذا الظن أو عن هذا السؤال و الذى لا اله الا هو (فقال عيسى آمنت بالله) أى بوحدانيته المفهومة من الجملة القسمية أو التقدير صدقت قسمك بالله (و كذبت نفسى) أى فيما قلت بناء

✦ وعن أنس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم كاد الفقر أن يكون كفرا و كاد الحسد ان يغلب القدر
✦ و عن جابر عن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال من اعتذر الى أخيه فلم يعذره أو لم‌يقبل عذره

على الظاهر لاحتمال ان ذلك الاخذ بخفية لايكون سرقة لفقدان أحد الشروط المعتبرة في حدها الشرعية و قال الطيبي أى صدقتك فى حلفك بقولك و الذى لا اله الا هو و برأتك و رجعت عما ظننت بك و كذبت نفسى قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم اه و فيه ما لايخفى (رواه مسلم ✦ و عن أنس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم كاد الفقر أن يكون كفرا) أى كاد أن يكون الفقر القلبى سببا للكفر اما بالاعتراض على الله تعالى و اما بعدم الرضا بقضاء الله أو بالشكوى الى ما سواه أو بالميل الى الكفر لما رأى ان غالب الكفار أغنياء متنعمون و أكثر المسلمين فقراء ممتحنون بمقتضى ما ورد عنه صلى‌الله‌عليه‌وسلم الدنيا سجن المؤمن و جنة الكافر و قد قال تعالى تسلية للعباد لايغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم و بئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله و ما عند الله خير للابرار قال البيضاوى و سبب نزول هذه الآية ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين فى رخاء ولين عيش فيقولون ان أعداء الله فيما نرى من الخير و قد هلكنا من الجوع و الجهد و فى معالم التنزيل باسناده المتصل الى البخارى والمنتهى الى ابن عباس قال قال عمر بن الخطاب رضى‌الله‌عنه جئت فاذا رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فى مشربة أى غرفة و انه لعلى حصير ما بينه و بينه شئ و تحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف و ان عند رجليه قرظا مصبوبا و هو ما يدبغ به و عند رأسه أهب معلقة فرأيت أثر الحصير فى جنبه فبكيت فقال ما يبكيك فقلت يا رسول‌الله ان كسرى و قيصر فيما هما فيه و أنت رسول‌الله فقال أما ترضى أن تكون لهما الدنيا و لنا الآخرة قال الطيبى أى الفقر يحمل الانسان على ركوب كل صعب و ذلول فيما لاينبغى طالبا ازالته عنه بالقتل و النهب فى السرقة و غير ذلك و ربما يؤديه الى الاعتراض على الله و التصرف فى ملكه كما فعل ابن الراوندى فى قوله

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه ✦ و كم جاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذى ترك الاوهام حائرة ✦ و صير العالم النحرير زنديقا

(و كاد الحسد ان يغلب القدر) سبق معناه. اه و مجمل المعنى انه لو فرض شئ يسبق القدر و يغلبه لكان الحسد فى زعم الحاسد ان يغلب القدر. و فى الجامع الصغير بلفظ و كاد الحسد أن يكون سبق القدر على ما رواه أبو نعيم فى الحلية و المناسبة بين القرينتين ان الحسد غالبا ينشأ من الفقر و قد يكون من أنواع الكفر فانه يريد زوال نعمة الله عن عبده فهو معارضة بالقضاء أو منازعة بالقدر فى حق نفسه و فى حق غيره فالحسد أقرب الى الكفر من الفقر المجرد فالترتيب الذكرى للترقى أو لكون الاول سببا لحصول الثانى مع ان الحسد مرض مزمن لايرجى برؤه و الفقر قد يبدل بالغنى أو بالصبر و الرضا و هو الذى عليه أكثر الانبياء أو غالب الاولياء حتى اجتمعت الصوفية على ان الفقير الصابر أفضل من الغنى الشاكر و عليه أيضا أكثر العلماء و الله أعلم و أما حديث الفقر فخرى و به افتخر فباطل موضوع كما قاله الحافظ العسقلانى و غيره ✦ (و عن جابر عن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال من اعتذر الى أخيه) أى المسلم (فلم يعذره) بفتح الياء و يضم و كسر الذال (أو لم‌يقبل عذره) شك من الراوى و هو تفسير لما قبله

كان عليه مثل خطيئة صاحب مكس رواهما البيهقي في شعب الايمان و قال المكاس العشار ★ (باب الحذر و التأني في الامور) ★ ★ (الفصل الاول) ★ عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لايلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين

(كان عليه مثل خطيئة صاحب مكس) بفتح الميم أي صاحب عشر و لما كان الغالب عليه الظلم و عدم العمل بالعلم أطلق ذمه أو المراد بالمكس أخذ مال الناس بالظلم ثم رأيت القاموس فقال المكس النقص و الظلم (رواه البيهقي في شعب الايمان) و في الجامع رواه ابن ماجه و الضياء عن جودان و لفظه من اعتذر اليه أخوه بمعذرة فلم يقبلها كان عليه من الخطيئة مثل صاحب مكس (و قال) أي البيهقي في تفسير حديثه (المكاس العشار) و في بعض الاصول الماكس العشار و لعل المناسبة التشبيهية ان صاحب المكس أيضا لم‌يقبل اعتذار التاجر في قوله ان ماله مال أمانة أو أخذ منه في بلد آخر أو انه مديون و نحو ذلك و كون المشبه به أقوى هو انه مع هذا يظلم عليه باخذ ماله مع التعدي الى الزائد و نقل ميرك عن المنذري ان حديث جابر رواه الطبراني أيضا في الاوسط و روى عن عائشة مرفوعا من اعتذر الى أخيه المسلم فلم يقبل عذره لم‌يرد على الحوض رواه الطبراني في الاوسط و روى عن ابن عباس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم الا أنبئكم بشراركم قالوا بلى ان شئت يا رسول‌الله قال ان شراركم الذي ينزل وحده و يجلد عبده و يمنع رفده ألا أنبئكم بشر من ذلك قالوا بلى ان شئت يا رسول‌الله قال من يبغض الناس و يبغضونه قال أفلا أنبئكم بشر من ذلك قالوا بلى ان شئت يا رسول‌الله قال الذين لايقيلون عثرة و لايقبلون معذرة و لايغفرون ذنبا قال أفلا أنبئكم بشر من ذلك قالوا بلى يا رسول‌الله قال من لايرجى خيره و لايؤمن شره رواه الطبراني و غيره و عن أبي هريرة عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال اعفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم و بروا آباءكم يبركم أبناؤكم و من أتاه أخوه متنصلا فليقبل ذلك محقا كان أو مبطلا فان لم يفعل لم‌يرد على الحوض رواه الحاكم و قال صحيح الاسناد و التنصل الاعتذار ★ (باب الحذر و التأني في الامور) ★

الحذر الاحتراس من الضرر و التأني ضد العجلة من تأنى في الامر اذا توقف فيه

★ (الفصل الاول) ★ (عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لايلدغ المؤمن) برفع الغين على النفي و يروى بكسر الغين على النهي و المراد بالمؤمن الكامل في عقله (من جحر) بضم جيم و سكون حاء أي ثقب و خرق (واحد مرتين) أي كرتين أو مرة بعد أخرى قال الخطابي هذا يروى على وجهين أحدهما على الخبر و هو أن المؤمن الممدوح هو المتيقظ الحازم الذي لايؤتى من ناحية الغفلة فيخدع مرة بعد أخرى و لايفطن هو به و قد قيل انه الخداع في أمر الآخرة دون أمر الدنيا و ثانيهما على النهي أي لايخدعن المؤمن و لايؤتين من ناحية الغفلة فيقع في مكروه و هذا يصلح أن يكون في أمر الدنيا و الآخرة قال التوربشتي و أرى أن الحديث لم‌يبلغ الخطابي على ما كان عليه و هو مشهور عند أهل السير و ذلك أن النبي صلى‌الله عليه‌وسلم من على بعض أهل مكة و هو أبو غرة الشاعر الجمحي و شرط عليه أن لايعرض عليه فلما بلغ مامنه عاد الى ما كان عليه فاسر تارة أخرى فامر بضرب عنقه فكلمه بعض الناس في المن عليه فقال لايلدغ المؤمن الحديث و روى النووي عن القاضي عياض هذه القصة و قال سبب هذا الحديث معروف و هو أن النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم أسر أبا غرة الشاعر يوم بدر فمن عليه

متفق عليه ★ و عن ابن عباس أن النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم قال لاشج عبد القیس ان فیک لخصلتین یحبهما الله الحلم و الاناة رواه مسلم

★ (الفصل الثانی) ★ عن سهل بن سعد الساعدی أن النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم قال الاناة من الله و العجلة من الشیطان رواه الترمذی و قال هذا حدیث غریب قد تکلم بعض أهل الحدیث فی عبد المهیمن بن عباس الراوی من قبل حفظه ★ و عن أبی سعید قال قال رسول‌الله صلی‌الله علیه وسلم لاحلیم الا ذو عثرة

و عاهده أن لایعرض علیه و لایهجوه فاطلقه فلحق بقومه ثم رجع الی التحریض و الهجاء ثم أسر یوم أحد فسأله المن فقال النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم لایلدغ المؤمن الحدیث و هذا السبب یضعف الوجه الثانی ذکره الطیبی و لم یظهر لی وجه ضعفه علی انه قد یقال العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب و الا لکان المؤمن مختصا به علیه السلام لکونه أخبر عن نفسه و قد أطنب الطیبی فی نصرة الخطابی الی ان قال فظهر أن القول بالنهی أولی و المقام له أدعی اه و بعده لایخفی (متفق علیه) و رواه أحمد و أبوداود و الترمذی عنه و أحمد أیضا و ابن ماجه عن ابن عمر ★(و عن ابن عباس قال قال رسول‌الله) و فی نسخة أن النبی (صلی‌الله‌علیه‌وسلم قال لاشج عبد القیس) بالاضافة و هو کان رئیس عبدالقیس و هی قبیلة و فی نسخة بالفتح علی انه غیر منصرف و ان عبدالقیس بدل منه أو عطف بیان له علی حذف مضاف أی رئیس عبدالقیس و اسمه المنذر ابن عائذ و لم یذکره المؤلف (ان فیک لخصلتین یحبهما الله) أی فیک و فی غیرک (الحلم) و هو بکسر الحاء تأخیر مکافأة الظالم فی الاصل ثم یستعمل فی العفو عن الذنب قیل و المراد به هنا عدم استعجاله و تراخیه حتی ینظر فی مصالحه قلت فیبقی مکررا مع قوله (و الاناة) بفتح الهمزة علی وزن نواة و هی اسم من التأنی فقیل معناه الوقار و التثبت و قیل الثبات فی الطاعات و قیل المراد جودة نظره فی العواقب و ضبطا فی أصل السید بالرفع فیهما وجوز نصبهما لکن الاظهر هو النصب علی البدلیة من الخصلتین کما حقق فی قوله تعالی الحمد لله رب العالمین و فی حدیث بنی الاسلام علی خمس هذا و فی شرح السنة روی عن المنذر الأشج انه قال یا رسول‌الله أنا أتخلق بهما أم الله جبلنی علیهما قال بل الله جبلک علیهما قال الحمد لله الذی جبلنی علی خلقین یحبهما الله و رسوله اه و انما عطف و رسوله علیه لان محبته صلی‌الله‌علیه‌وسلم تابعة لمحبته تعالی لاتنفک عنها (رواه مسلم) و کذا الترمذی

★ (الفصل الثانی) ★ (عن سهل بن سعد الساعدی) صحابیان (أن النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم قال الاناة من الله) أی من الهامه (و العجلة) أی فی أمور الدنیا (من الشیطان) أی وسوسته قیل و یستثنی من ذلک ما لاشبهة فی خیریته قال تعالی انهم کانوا یسارعون فی الخیرات قلت بون بین المسارعة و المبادرة الی الطاعات و بین العجلة فی نفس العبادات فالاول محمود و الثانی مذموم (رواه الترمذی و قال هذا حدیث غریب) قال میرك و فی بعض النسخ حسن غریب (و قد تکلم بعض أهل الحدیث) أی من العارفین باحوال رجال الاسناد (فی عبد المهیمن بن عباس الراوی) بسکون الیاء أی أحد رواة هذا الحدیث (من قبل حفظه) أی وقع طعن البعض فیه من جهة حفظه فانه عدل ثقة فامره سهل و قد رواه البیهقی فی شعب الایمان عن أنس مرفوعا و لفظه التأنی من الله و العجلة من الشیطان ★(و عن أبی سعید قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم لاحلیم الا ذوعثرة)

و لاحكيم الا ذوتجربة رواه أحمد و الترمذى و قال هذا حديث حسن غريب ★و عن أنس أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم أوصنى فقال خذ الامر بالتدبير فان رأيت فى عاقبته خيرا فامضه و ان خفت غيا فامسك رواه فى شرح السنة ★ و عن مصعب بن سعد عن أبيه قال الاعمش لا أعلمه

بفتح العين و سكون المثلثة أى صاحب زلة قدم أو لغزة قلم فى تقريره أو تحريره قال الشارح أى لاحليم كاملا الا من وقع فى زلة و حصل منه الخطأ و التخجل فعفى عنه فعرف به رتبة العفو فيحلم عند عثرة غيره لانه عند ذلك يصير ثابت القدم (و لاحكيم الاذو تجربة) أى صاحب امتحان فى نفسه و فى غيره قال الشارح أى لاحكيم كاملا الا من جرب الامور و علم المصالح و المفاسد فانه لايفعل فعلا الا عن حكمة اذ الحكمة احكام الشئى و اصلاحه عن الخلل اه و هو موافق لما فى النهاية و شرح المظهر لكن ينبغى أن يقال لاحليم و لاحكيم من المخلوقين الا كذا ليصح الحصر و قد عرفت وصفه تعالى بهما فى الاسماء الحسنى و يمكن أن يقال المعنى لاحليم الا و قد يعثر كما قيل نعوذ بالله من غضب الحليم و لاحكيم من الحكماء الطبية الا صاحب التجربة فى الامور الدائية و الذاتية و الله أعلم (رواه أحمد و الترمذى و قال هذا حديث حسن غريب) و كذا ابن حبان فى صحيحه و الحاكم فى مستدركه ★(و عن أنس أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم أوصنى) أى بشئى يزيل تحيرى فى أمرى (فقال خذ الامر) أى الذي تريد أن تفعله (بالتدبير) من باب التفعيل أى بالتفكر فى دبره و التامل فى مصالحه و مفاسده و النظر فى عاقبة أمره (فان رأيت فى عاقبته خيرا) أى نفعا دنيويا أو أخرويا (فامضه) بقطع الهمزة أى فافعله (و ان خفت) اى رأيت بقرينة القرينة ففيه تفنن و ما أحسن موقعه فى الشر المعبر عنه بقوله (غيا) أى ضلالة و انما ترك مراعاة المقابلة ليفيد زيادة افادة المشاكلة فكانه قال فى الاول خير و هداية و فى الثانى شر و ضلالة و هذا بعض الصنيع من صنائع البديع ثم قوله رأيت بمعنى علمت أو ظننت و الثانى أظهر لان مبنى الامور الشرعية غالبها و المطالب العرفية كلها انما هو على الظن لاسيما بالنسبة الى المخاطب فان أرباب اليقين فى كل قضية لايوجد الا من الانبياء و كمل العارفين مع ان حكم العلم يعلم بالاولى كما لايخفى و قال الطيبى الخوف هنا بمعنى الظن كما فى قوله تعالى الا أن يخافا ان لايقيما حدود الله و يجوز أن يكون بمعنى العلم و اليقين لان من خاف من شئى احترز عنه و تحرى حقيقته اه و فيه بحث ليحقق حقيقته قال و هذا أنسب بالمقام لانه وقع فى مقابلة رأيت و هو بمعنى العلم و هما نتيجة التفكر و التدبير قلت بل هما المتفرعان عليهما المنتجان للفعل المعبر عنه بالامضاء و الترك المعبر عنه بقوله (فامسک) أى كف عنه و اتركه (رواه فى شرح السنة) و ذكر السيوطى المرفوع فى الجامع الصغير و قال رواه عبدالرزاق فى الجامع و ابن عدى فى الكامل و البيهقى فى شعب الايمان ★(و عن مصعب) بصيغة المفعول أبو زارة (ابن سعد) أى ابن أبى وقاص (عن أبيه) أى سعد و هو أحد العشرة المبشرة و أما مصعب فسمع أباه و عليا و ابن عمر و روى عنه سماك بن حرب و غيره (قال الاعمش) أى أحد الرواة و هو تابعى جليل قال المؤلف اسمه سليمان بن مهران الكاهلى الاسدى مولى بنى كاهل بطن من بنى أسد خزيمة ولد سنة ستين بارض الرى فجيء به حميلا الى الكوفة فاشتراه رجل من بنى كاهل فاعتقه و هو أحد الاعلام المشهورين بعلم الحديث و القراءة و عليه مدار أكثر الكوفيين روى عنه خلق كثير مات سنة ثمان و أربعين و مائة (لا أعلمه) أى قول سعد هذا

الا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال التؤدة في كل شئ خير الا في عمل الآخرة رواه أبوداود
★ و عن عبد الله بن سرجس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال السمت الحسن و التؤدة و الاقتصاد جزء من أربع و عشرين جزأ

(الا عن النبي صلى الله عليه وسلم) أى نقلا و رواية عنه أو لا أعلم الحديث الا مرفوعا اليه عليه السلام (قال التؤدة) بضم التاء و فتح الهمزة أى التأنى (فى كل شئ) أى من الاعمال (خير) أى مستحسن (الا فى عمل الآخرة) أى لان فى تاخير الخيرات آفات و روى ان أكثر صياح أهل النار من تسويف العمل قال الطيبى و ذلك لان الامور الدنيوية لايعلم عواقبها فى ابتدائها انها محمودة العواقب حتى يتعجل فيها أو مذمومة فيتأخر عنها بخلاف الامور الاخروية لقوله تعالى فاستبقوا الخيرات و سارعوا الى مغفرة من ربكم قال الغزالى فى قوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ينبغى للمؤمن اذا تحركت له داعية البذل أن لايتوقف لان الشيطان يعده الفقر و يخوفه و يصده عنه كان أبو الحسن الفرشخى فى الخلاء فدعا تلميذا له فقال انزع عنى القميص و ادفعه الى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال خطر لى بذله و لا آمن على نفسى أن تتغير (رواه أبوداود) و كذا الحاكم فى مستدركه و البيهقى فى شعب الايمان عن سعد مرفوعا ★ (و عن عبد الله ابن سرجس) كنرجس بكسر الجيم و فتح السين و فى نسخة بفتح الجيم و كسر السين و سبق تحقيقه (ان النبى صلى الله عليه وسلم قال السمت الحسن) أى السيرة المرضية و الطريقة المستحسنة قال شارح السمت الطريق و يستعار لهيئة أهل الخير و فى الفائق السمت أخذ المنهج و لزوم المحجة (و التؤدة) أى التأنى فى جميع الامور (و الاقتصاد) أى التوسط فى الاحوال و التحرز عن طرفى الافراط و التفريط قال التوربشتى الاقتصاد على ضربين أحدهما ما كان متوسطا بين محمود و مذموم كالمتوسط بين الجور و العدل و البخل و الجود و هذا الضرب أريد بقوله تعالى و منهم مقتصد و الثانى محمود على الاطلاق و ذلك فيما له طرفان افراط و تفريط كالجود فانه بين الاسراف و البخل و الشجاعة فانها بين التهور و الجبن و هذا الذى فى الحديث هو الاقتصاد المحمود على الاطلاق قلت و من هذا القبيل الاقتصاد فى الاعتقاد فانه بين التعطيل و التشبيه و بين الجبر و القدر والاقتصاد فى المعيشة و منه قوله تعالى و الذين اذا أنفقوا لم يسرفوا و لم يقتروا و كان بين ذلك قواما و منه حديث الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة و حديث ما عال من اقتصد و كذا حكم الاقتصاد فى سائر الافعال و منه قوله تعالى و اقصد فى مشيك و اغضض من صوتك و قوله عزوجل كلوا و اشربوا و لاتسرفوا و قال بعض العارفين اطلب العلم بحيث لم يمنعك عن العمل و اعمل بحيث لم يشغلك عن العلم (جزء) أى كلها أو كل منها (من أربع و عشرين جزأ) و يؤيد الاخير ما رواه الضياء عن أنس مرفوعا السمت الحسن جزء من خمسة و سبعين جزأ من النبوة مع زيادة افادة ان المراد بالعدد المذكور التكثير لا التحديد و ينصره الحديث الآتى حيث قال جزء من خمس و عشرين على انه يمكن الاختلاف بحسب اختلاف الكمية و الكيفية الحاصلة فى المتصف به و أما ما قال شارح من ان التفاوت بين العددين من خمس و أربع يحتمل أن يكون من غلط الرواة فهو احتمال غلط منه و سببه الغفلة عما ذكرناه نقلا و عقلا و الله أعلم قال القاضى كان الصواب أن يقول أربعة على التذكير فلعله أنث على تأويل الخصلة أو القطعة أو لاجراء الجزء مجرى الكل فى التذكير و التأنيث قلت التأويلات كلها مستحسنة

من النبوة رواه الترمذى ★ و عن ابن عباس ان نبى‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ان الهدى الصالح و السمت الصالح و الاقتصاد جزء من خمس و عشرين جزأ من النبوة رواه أبوداود ★ و عن جابر بن عبد الله عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهى امانة رواه الترمذى و أبوداود ★ و عن أبى هريرة أن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال لابى الهيثم بن التيهان هل لـک خادم قال لا فقال فاذا أتانا سبى فأتنا فأتى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم

و أما قوله و كان الصواب فخطأ ظاهر لا يخفى (من النبوة) أى من أجزائها قال الخطابى الهدى و السمت حالة الرجل و مذهبه و الاقتصاد سلوك القصد فى الامور و الدخول فيها برفق على سبيل تمكن الدوام عليها يريد ان هذه الخصال من شمائل الانبياء عليهم الصلاة و السلام و انها جزء من أجزاء فضائلهم فاقتدوا بهم فيها و تابعوهم عليها و ليس معناه ان النبوة تتجزأ و لا ان من جمع هذه الخصال كان نبيا فان النبوة غير مكتسبة و انما هى كرامة يخص الله بها من يشاء من عباده و الله أعلم حيث يجعل رسالته و يحتمل أن يكون معناه ان هذه الخلال مما جاءت به النبوة و دعا اليها الانبياء و قيل معناه ان من جمع هذه الخصال لقيه الناس بالتوقير و التعظيم و ألبسه الله لباس التقوى الذى ألبس انبياءه عليهم الصلاة و السلام فكانها جزء من النبوة قال التوربشتى و الطريق الى معرفة ذلـک العدد و وجهه بالاختصاص من قبل الرأى و الاستنباط مسدود فانه من علوم النبوة و قد سبق القول فى هذا المعنى فى كتاب الرؤيا (رواه الترمذى ★ و عن ابن عباس ان نبى الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ان الهدى) بفتح فسكون (الصالح) أى السيرة الحسنة (والسمت الصالح) أى الطريقة المستحسنة من زي الصالحين و حاصل الفرق بينهما ان الهدى متعلق بالاحوال الباطنة و السمت بالاخلاق الظاهرة فهما فى الطريقة بمنزلة الايمان و الاسلام فى الشريعة و الجمع بينهما نور على نور و به تتم الحقيقة (و الاقتصاد) أى التوسط فى أمر المعيشة و المعاد (جزء من خمس) و فى رواية الجامع خمسة بالتاء و هو الظاهر (و عشرين جزأ من النبوة رواه أبوداود) و كذا الحاكم ★ (و عن جابر بن عبد الله عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال اذا حدث الرجل) أى عندك أو عند أحد و هو الاظهر (الحديث) أى الذى يريد اخفاءه (ثم التفت) أى غاب عنك أو عنه بمفارقة المجلس (فهى) أى ذلـک الحديث و أنث باعتبار خبره و هو قوله (أمانة) و قيل لان الحديث بمعنى الحكاية و المعنى ان حكمه حكم الامانة فلايجوز اضاعتها باشاعتها و قد فسر المظهر قوله التفت بغاب و حينئذ ثم على بابه من التراخى المستفاد منه حكم التعقيب بالاولى و قال الطيبى و الظاهر ان التفت هنا عبارة عن التفات خاطره الى ما تكلم فالتفت يمينا و شمالا احتياطا فثم هنا للتراخى فى الرتبة و يدل على هذا ترتب الفاء و ان الثانى مسبب عن الاول قلت هذا تكلف ظاهر مستغنى عنه فان الحكم عام غير مخصوص بما يفهم منه و الفاء لازمة للجزاء فليس فيها دلالة على ما ادعاه أصلا و حاصله اجمالا معنى الحديث الآتى المجالس بالامانة و يستثنى منها ما سيأتى و الله أعلم (رواه الترمذى و أبوداود) و كذا أحمد و الضياء عن جابر و أبويعلى فى مسنده عن أنس ★ (و عن أبى هريرة ان النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال لابى الهيثم ابن التيهان) بفتح التاء المثناة الفوقية و كسر المثناة التحتية المشددة و بالنون ذكره فى جامع الاصول و قد تقدم ترجمته فى باب الضيافة و هذا الحديث ذيل لذلـک الحديث و قد بيناه هنالك (هل لـک خادم) أى عبد (قال لا قال فاذا أتانا سبى) أى أسارى (فاتنا فاتى) أى جىء (النبى

برأسين فاتاه أبو الهيثم فقال النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم اختر منهما فقال يا نبى‌الله اختر لى فقال النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان المستشار مؤتمن خذ هذا فانى رأيته يصلى و استوص به معروفا رواه الترمذى ★ و عن جابر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم المجالس بالامانة الا ثلاثة مجالس سفک دم حرام أو فرج حرام أو اقتطاع مال بغير حق رواه أبوداود و ذكر حديث أبى سعيد ان أعظم الامانة فى باب المباشرة فى الفصل الاول .

★ (الفصل الثالث) ★ عن أبى هريرة عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال لما خلق الله العقل قال له قم فقام ثم قال له أدبر فادبر ثم قال له اقبل فاقبل ثم قال له اقعد فقعد

صلى‌الله‌عليه‌وسلم برأسين) أى من العبيد (فاتاه أبو الهيثم فقال النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم اختر منهما) أى واحدا منهما أو بعضهما (فقال يا نبى‌الله اختر لى) أى أنت أولى بالاختيار فانک المصطفى المختار و على اختيارك المدار (فقال النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم) توطئة و تمهيد (ان المستشار) من استشاره طلب رأيه فيما فيه المصلحة (مؤتمن) اسم مفعول من الامن أو الامانة و معناه ان المستشار أمين فيما يسأل من الامور فلاينبغى أن يخون المستشير بكتمان مصلحته (خذ هذا) أى مشارا الى أحدهما (فانى رأيته يصلى) فيه انه يستدل على خيرية الرجل بما يظهر عليه من آثار الصلاح لاسيما الصلاة فانها تنهى عن الفحشاء و المنكر (و استوص به معروفا) أى استيصاء معروف قيل معناه لا تأمره الا بالمعروف و النصح له و قيل وص فى حقه بمعروف كذا ذكره زين العرب و قال الطيبى أى اقبل وصيتى فى حقه و أحسن ملكته بالمعروف (رواه الترمذى) أى فى جامعه و كذا فى الشمائل مطولا كما أوردناه فى باب الضيافة و فيه انه أعتق العبد لاجل وصيته عليه السلام و أما حديث المستشار مؤتمن فقد رواه الاربعة عن أبى هريرة و الترمذى عن أم سلمة و ابن ماجه عن ابن مسعود و فى رواية الطبرانى فى الكبير عن سمرة بلفظ المستشار مؤتمن أن شاء أشار و ان شاء لم‌يشر و فى رواية له فى الاوسط عن على بلفظ المستشار مؤتمن فاذا استشير فليشر بما هو صانع لنفسه ★ (و عن جابر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم المجالس بالامانة الا ثلاثة مجالس) أى أحدى الثلاثة من المجالس و المعنى ينبغى للمؤمن اذا رأى أهل مجلس على منكر أن لايشيع ما رأى منهم الا ثلاثة مجالس (سفک دم) بالرفع بتقدير هى مجلس اراقة دم (حرام) بالجر صفة دم أى دم حرام سفكه أو دم محترم فى الشرع (أو فرج حرام أو اقتطاع مال بغير حق) قيد للاخير فقط و لعل العدول عن جرام هنا لاجل مفهومه من الحلال فان اقتطاع مال الناس ظلما حرام سواء يكون المال حلالا أو حراما فالجار متعلق بالاقتطاع كما لا يخفى قال المظهر كما اذا سمع من قال فى مجلس أريد قتل فلان أو الزنا بفلانة أو أخذ مال فلان فانه لايجوز ستر ذلک حتى يكونوا على حذر منه (رواه أبوداود) و أما صدر الحديث و هو قوله المجالس بالامانة فقد رواه الخطيب عن على رضى‌الله عنه (و ذكر حديث أبى سعيد ان أعظم الامانة) أى عند الله يوم القيامة الرجل يفضى الى امرأته و تفضى اليه ثم ينشر سرها رواه مسلم (فى باب المباشرة فى الفصل الاول) قال الطيبى تنبيه على ان هذا الحديث جاء مكررا فى المصابيح و على أن ايراده فى الصحاح أولى منه فى الحسان أقول الظاهر أن المؤلف حول الحديث من هنا الى ذلک الباب لانه أنسب به فهو اعتراض و اعتذار لئلايتوهم اسقاطه و الله أعلم .

★ (الفصل الثالث) ★ (عن أبى هريرة عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال لما خلق الله

ثم قال له ما خلقت خلقا هو خير منک و لا أفضل منک و لا أحسن منک بک آخذ و بک أعطى و بک أعرف و بک أعاتب و بک الثواب و علیک العقاب و قد تکلم فیه بعض العلماء

العقل قال له قم فقام ثم قال له أدبر فادبر ثم قال له أقبل فاقبل ثم قال له اقعد فقعد) ظاهر الحديث أنه خلق مجسدا مجسما كما يخلق الموت على صورة كبش يذبح بين الجنة و النار أو المراد بالقيام و القعود و الاقبال و الادبار أمور معنوية حاصلة منه ناشئة عنه باعتبار اختلاف أرباب العقول و لعل القيام كناية عن الظهور و القعود عن خفائه و الاقبال عن توجهه الى شئ و الادبار عن اعراضه عنه بحسب ما تعلق به المشيئة و الارادة الازلية قال الطيبي المجموع كناية عن ان العقل هو محل التكليف و اليه ينتهي الاوامر و النواهي و به يتم غرض خلق المكلفين من العبادة التي ما خلقت السموات و الارض الا لاجلها و يدل عليه ما بعده قلت الصواب وضع الحكمة موضع الغرض لان أفعاله تعالى لاتعلل بالاغراض (ثم قال له ما خلقت خلقا هو خير منک) أي في حد ذاته فانه جوهر شريف يحتاج اليه الوضيع و الشريف و من جملة الدلالة على كماله ان كل أحد يغضب من نسبة فقده أو نقصانه اليه (و لا أفضل منک) لحصول الفضائل و الفواضل و زيادة العبادات و الدرجات به (و لا أحسن منک) أي في حسن المعاشرة و تحسين المعاملة (بک) أي بسببک أو بقدرك (آخذ) أي العبادات من عبادي (و بک أعطى) أي الثواب و الدرجات (و بک أعرف) بصيغة المجهول أي ذاتا و صفة و حكما (و بک أعاتب) أي على من أعاتب فان المجنون و نحوه لاعتب عليه (و بک الثواب) أي وصوله حال الاقبال (و عليک العقاب) أي حصوله وقت الادبار و اعلم أن شرف العقل انما هو لكونه سببا للعلم المنتج للعمل المؤدي الى السعادة الابدية و سمي عقلا لانه يعقل صاحبه عما لاينبغي كما يسمى نهية لانه ينهى عن الفحشاء و المنكر و قال الراغب العقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم و يقال للعلم الذي يستفيده الانسان بتلک القوة عقل و لهذا قيل

فان العقل عقلان ★ فمطبوع و مسموع و لاينفع مسموع ★ اذا لم يک مطبوع كما لا تنفع الشمس ★ وضوء العين ممنوع و الى الاول أشار بقوله عليه السلام ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل و الى الثاني أشار بقوله ما كسب أحد شيأ أفضل من عقل يهديه الى هدى أو يرده عن ردى و هذا العقل هو المعنى بقوله تعالى و ما يعقلها الا العالمون قلت الظاهر انه كما لاينفع مسموع بلامطبوع كذلک لاينفع مطبوع بلا مسموع ألا ترى أن الحكماء مع زعمهم أنهم أكبر العقلاء ما نفعهم مجرد عقولهم المطبوعة من غير متابعتهم للانبياء و أقوالهم المسموعة و قال تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه و أضله الله على علم و نظيره المشاهد لكل أحد الاصم الخلقي فانه ينتفع بعقله المطبوع و ليس له حظ من العقل المسموع ثم هذا الحديث رواه البيهقي في شعب الايمان كما أبهمه المؤلف في آخر الفصل و قال هنا (و قد تكلم فيه) أي في ضعف هذا الحديث أو و قد طعن في ثبوته (بعض العلماء) ففيه تنبيه نبيه على اختلاف العلماء في حقه لكن قال السخاوي في المقاصد انه كذب موضوع اتفاقا ثم رأيت في مختصر الشيخ محمد بن يعقوب الفيروزابادي أنه قال أول ما خلق الله العقل الخ ضعيف و ما خلق الله خلقا أكرم من العقل للحكيم ضعيف و في شرح الطيبي قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحديث الذي ذكروه كذب موضوع عند أهل المعرفة بالحديث كما ذكر ذلک أبوجعفر العقيلي و أبو حاتم السبتي و أبو الحسن الدار قطني و ابن الجوزي

★ و عن ابن عمر قال قال رسول‌الله صلی‌اللہ‌علیہ‌وسلم ان الرجل ليكون من أهل الصلاة و الصوم و الزكاة و الحج و العمرة حتى ذكر سهام الخير كلها و ما يجزى يوم القيامة الابقدر عقله ★ و عن أبي ذر قال قال لى رسول‌الله صلی‌اللہ‌علیہ‌وسلم يا أبا ذر لاعقل كالتدبير و لا ورع كالكف و لاحسب كحسن الخلق

و غيرهم اه و وجه ذكر هذا الحديث فى باب الحذر و التأنى فى الامور ظاهر من نتائج العقل و الله أعلم ★(و عن ابن عمر قال قال رسول‌الله صلی‌اللہ‌علیہ‌وسلم ان الرجل ليكون من أهل الصلاة و الصوم و الزكاة و الحج و العمرة حتى ذكر سهام الخير) أى ابوابه و أنواعه (كلها) أى جميعها (و ما يجزى) بصيغة المجهول أى ما يثاب (يوم القيامة الابقدر عقله) أى بمقدار استعماله فى هذه العبادات و يحتمل أن يكون المراد بالعقل هنا المستفاد بالعقل فيفيد ان زيادة المثوبات و الدرجات فى العبادات باختلاف مراتب علوم أصحابها و عقول أربابها قال الطيبى اشارة الى أن العقل المسموع لاينفع كل النفع الا بالعقل المطبوع لانه هو المميز الذى يضع كل شئ فى موضعه و به تتفاوت صلاة عن صلاة و صدقة عن صدقة و صوم عن صوم لانه ربما يركع ركعة فى مقام تفضل ألف ركعة فى غيره و كذلك الصدقة و غير ذلك من أعمال البر و ربما يعمل و يظن به خيرا فيرجع عليه وبالا قلت لاخفاء ان العقل المطبوع ليس له التمييز فى الامر المشروع و لهذا لايعتبر التحسين و التقبيح العقليان فالمدارهنا على العقل المسموع لكن بمساعدة العقل المطبوع بأن يصلى على ما ينبغى من المعلوم فى الشريعة و فى مقام يليق به بين المسموع فى الطريقة و كذا سائر العبادات و الله أعلم بالنيات فمدار كمال الصلاة مثلا بعد مراعاة الشروط و الاركان و واجباتها و سننها و آدابها المسموعة المعروفة على حضور القلب مع الله و قطع النظر عما سواه فقد روى أحمد و أبوداود و ابن حبان عن عمار بن ياسر مرفوعا ان الرجل لينصرف و ما كتب له الا عشر صلاته تسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها ★(و عن أبي ذر قال قال لى) أى مخاطبا (رسول‌الله صلی‌اللہ‌علیہ‌وسلم يا أبا ذر لاعقل كالتدبير) قال الطيبى أراد بالتدبير العقل المطبوع لما سبق من أن العقل المسموع لايعتد به و لايحتسب لصاحبه الا بالعقل المطبوع قلت و قد تقدم ان العقل المطبوع لانفع له بدون العقل المسموع بل ربما ينفع المسموع بدون المطبوع كمن آمن بمجرد التقليد فالمعنى لاعقل كعقل التدبير أى كالعقل الذى يصحبه التدبير و هو الذى ينظر فى دبر الامر و عاقبته و يميز ما يحمد و يذم فى الآخرة و لاشك أن مداره على العقل المسموع (و لاورع كالكف) أى و لا تورع عن المحرمات و الشبهات مثل الكف عن المعاملات و ترك المباحات الا الضروريات (و لاحسب) أى لامكرمة و لاشرف (كحسن الخلق) أى كمداراة الخلق مع مراعاة الحق هذا و فى النهاية الورع فى الاصل الكف عن المحارم و التحرج فيه ثم استعير للكف عن المباح و الحلال قلت فالمراد بالورع فى الحديث معناه الاصلى و بالكف معناه العرفى على ما قررناه و لما غفل الطيبى عما حررناه قال بعد كلام صاحب النهاية فان قلت فعلى هذا الورع هو الكف فكيف قيل و لاورع كالكف قلت الكف اذا أطلق فهم منه كف الاذى أو كف اللسان كما قال صلی‌اللہ‌علیہ‌وسلم كف هذا و أخذ بلسانه كأنه قيل و لا ورع كالصمت أو الكف عن أذى المسلمين و لا حسب كحسن الخلق أى لامكارم مكتسبة كحسن الخلق مع الخلق فالاول عام و الثانى خاص قلت الصواب ان

★وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة و التودد الى الناس نصف العقل و حسن السؤال نصف العلم روى البيهقى الاحاديث الاربعة فى شعب الايمان

★ (باب الرفق و الحياء و حسن الخلق) ★

الاول خاص و الثانى عام لان حسن الخلق شامل لجميع أنواع المستحسنات ولذا ورد الخلق الحسن أحسن الحسن و قال تعالى و انك لعلى خلق عظيم فكل الصيد فى جوف الفرا و الله أعلم

★(وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاقتصاد فى النفقة) أى فى صرفها أو فى الانفاق (نصف المعيشة) و هو مقتبس من قوله تعالى و الذين اذا أنفقوا لم يسرفوا و لم يقتروا و كان بين ذلك قواما (و التودد الى الناس) أى التحبب الى المؤمنين الصالحين (نصف العقل) أى استعمال نصفه أو سبب تحصيل نصفه فانه بالاستصحاب يحصل للعقل الاكتساب فكان عقل المنفرد نصف العقل فيكمل بعقل صاحبه ولذا قيل علمان خير من علم واحد و كان بعض العارفين يقول لبعض تلاميذه أنا و أنت انسان كامل لانك حافظ القرآن و أنا مفسره و لعل هذا معنى ما رواه ابن أبى الدنيا فى الاخوان عن سهل بن سعد مرفوعا المرء كثير باخيه و لاشك أن مصاحبة أرباب الكمال تورث كمال العقل فى جميع الاحوال (و حسن السؤال نصف العلم) فان السائل الفطن يسأل عما يهمه و ما هو بشأنه أعنى و هذا يحتاج الى فضل تميز بين مسؤل و مسؤل فاذا ظفر بمبتغاه و فاز به كمل علمه و على هذا يمكن أن يحمل قوله لا أدرى نصف العلم اه و الاظهر أن يقال يفهم من حسن سؤال الطالب أن له مشاركة فى العلم و انه يريد أن يضيف اليه بقية العلم و على هذا يمكن أن يحمل قوله لا أدرى نصف العلم بخلاف من يسأل من غير تأمل و حسن مقال فانه يكون نصا على نقصان عقله و كمال جهله حكى أن تلميذا كان لابى يوسف ساكتا فى المجلس فقال له اذا أشكل عليك شئ فسل و لاتستح فان الحياء يمنع العلم و كان الامام يتكلم فى تعريف الصوم انه من الصبح الى الغروب فقال فاذا لم تغرب فالى متى فقال له اسكت فان سكوتك خير من كلامك و ما أحسن ما قال بعض أرباب الحال ان الجاهل اذا تكلم فهو كالحمار و اذا سكت فهو كالجدار هذا و الصحيح فى معنى قوله لا أدرى نصف العلم بيان أن العالم و لو بلغ مبلغ الكمال فى العلم فانه لابد له من الجهل ببعضه ففى ذلك جوابه لا أدرى و روى انه صلى الله عليه وسلم قال لا أدرى أعزير نبى أم لا و فى القرآن لا أدرى ما يفعل بى و لا بكم و قل الروح من أمر ربى و ما أوتيتم من العلم الا قليلا و قد حكى أن عليا كرم الله وجهه سئل عن شئ و هو على المنبر فقال لا أدرى فقيل له فاذا كنت لاتدرى فلم صعدت المنبر قال انما طلعت بقدر علمى و لو صعدت بقدر جهلى لوصلت السماء و فى قول الملائكة سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا تنبيه على ذلك و الله أعلم (روى البيهقى الاحاديث الاربعة فى شعب الايمان) قلت و الحديث الاخير رواه الطبرانى فى مكارم الاخلاق عن ابن عمر أيضا و روى الخطيب عن أنس مرفوعا الاقتصاد نصف العيش و حسن الخلق نصف الدين و روى أحمد عن ابن مسعود مرفوعا ما عال من اقتصد

★(باب الرفق و الحياء و حسن الخلق)★ الرفق بالكسر ضد العنف و هو المداراة مع الرفقاء و لين الجانب و اللطف فى أخذ الامر بأحسن الوجوه و أيسرها و أما الحياء فقال الحكماء هو تغير و انكسار يعترى الانسان من خوف ما يلام به و قال الجنيد حالة تتولد من رؤية الآلاء

★ (الفصل الاول) ★ عن عائشة ان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ان الله رفيق يحب الرفق
و يعطى على الرفق ما لايعطى على العنف و ما لايعطى على ما سواه

و التقصير فى شكر النعماء و قال ذو النون الحياء وجود الهيبة فى القلب مع وحشة ما سبق منك الى ربك و قال الدقاق هو ترك الدعوى بين يدى المولى و أما حسن الخلق فقالوا هو الانصاف فى المعاملة و بذل الاحسان و العدل فى الاحكام و الاظهر انه هو الاتباع بما أتى به محمد صلى‌الله‌عليه‌وسلّم من أحكام الشريعة و آداب الطريقة و أحوال الحقيقة و لذا لما سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلقه عليه الصلاة و السلام الوارد فى حقه و انك لعلى خلق عظيم فقالت كان خلقه القرآن تعنى أن كل ما فيه من خصلة محمودة كان يتصف بها و كل فعلة مذمومة فيه يجتنب عنها ثم الاتباع بقدر المحبة و توفيق المتابعة باخذ كل سهمه و نصيبه و قد أشار الى ذلک الشاطبى رحمه الله فى وصفه للقراء

أولو البر و الاحسان و الصبر و التقى ★ حلاهم بها جاء القرآن مفصلا

★ (الفصل الاول) ★ (عن عائشة ان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ان الله رفيق) أى لطيف بعباده يريد بهم اليسر و لايريد بهم العسر فيسامحهم و لايكلف فوق وسعهم أو يحب أن يرفق العباد بعضهم بعضا كما بينه بقوله (يحب الرفق) أى يرضى به و يثنى عليه (و يعطى على الرفق) أى المثوبات و المآرب أو من الاغراض و المطالب (ما لايعطى على العنف) بالضم و فى القاموس هى مثلثة العين ضد الرفق (و ما لايعطى على ما سواه) أى سوى الرفق و هو العنف ففى الكلام زيادة مبالغة و تأكيد للحكم و الاظهر ان التقدير ما سوى الرفق من الخصال الحسنة قال القاضى والظاهر أنه لايجوز اطلاق الرفيق على الله تعالى اسما لانه لم يتواتر ولم يستعمل أيضا على قصد الاسمية و انما اخبر به عنه تمهيدا للحكم الذى بعده فكانه قال هو الذى يرفق عباده فى أمورهم فيعطيهم بالرفق ما لايعطيهم على ماسواه و انما ذكر قوله و ما لايعطى على ماسواه بعد قوله ما لايعطى على العنف ليدل على أن الرفق أنجح الاسباب كلها و أنفعها باسرها قال الطيبى و فى معناه قول الشاعر

يا طالب الرزق الهنى بقوة ★ هيهات أنت بباطل مشغوف
أكل العقاب بقوة جيف الفلا ★ و رعى الذباب الشهد وهو ضعيف

المعنى ينبغى للمرء أن لايحرص فى رزقه بل يكل أمره الى الله تعالى الذى تولى القسمة فى خلقه فالنسر ياكل الجيفة بعنفه و النحل يرعى العسل برفقه قال التوربشتى فان قيل فما معنى قوله عليه الصلاة و السلام أنت رفيق و الله الطبيب قلنا الطبيب الحاذق بالشئى الموصوف و لم يرد بهذا القول نفى هذا الاسم عمن يتعاطى ذلک و انما حول المعنى من الطبيعة الى الشريعة و بين لهم ان الذى يرجون من الطبيب فالله فاعله و المنان به على عباده و هذا كقوله فان الله هو الدهر و ليس الطبيب بموجود فى أسماء الله تعالى و لا الرفيق فلايجوز أن يقال فى الدعاء يا طبيب و لا يا رفيق اه و فيه ايماء الى أنه يجوز أن يقال هو الطبيب و هو رفيق على منوال ما ورد وأما قوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فى آخر كلامه عند خروجه من الدنيا الرفيق الاعلى فيحتمل أن يراد به الله و أن يراد به الملأ الاعلى فمع الاحتمال لايصح الاستدلال و فى شرح مسلم للنووى قال المازرى لايوصف الله سبحانه و تعالى الا بما سمى به نفسه أو سماه به رسوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أو أجمعت

رواه مسلم و فى رواية له قال لعائشة عليك بالرفق و اياك و العنف و الفحش ان الرفق لايكون فى شئى الا زانه ولاينزع من شئى الا شانه ★ وعن جرير عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال من يحرم الرفق يحرم الخير رواه مسلم ★ و عن ابن عمر أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم مر على رجل من الانصار و هو يعظ أخاه فى الحياء فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم دعه فان الحياء من الايمان متفق عليه

الامة عليه و أما ما لم يرد به اذن فى اطلاقه و لاورد منع ففيه خلاف منهم من قال يبقى على ما كان قبل وورود الشرع فلايوصف به و لايمنع منه و منهم من منعه و بين الاصوليين خلاف فى تسمية الله تعالى بما ثبت بخبر الآحاد فقال بعضهم يجوز لان الخبر الواحد عنه يقتضى العمل به و بعضهم لايجوز ذلك لانه من باب العلميات فلايثبت بالاقيسة و ان كانت يعمل بها فى المسائل الفقهية العملية قال النووى و الصحيح جواز تسمية الله تعالى رفيقا و غيره مما يثبت بخبر الواحد (رواه مسلم) و فى الجامع الصغير ان الله رفيق يحب الرفق و يعطى عليه ما لايعطى على العنف رواه البخارى فى الادب المفرد و أبوداود فى جامعه عن عبدالله بن مغفل و ابن ماجه و ابن حبان عن أبى هريرة و أحمد فى مسنده و البيهقى فى شعب الايمان عن على و الطبرانى عن أبى امامة و البزار عن أنس فكاد الحديث أن يكون متواترا عند بعضهم (و فى رواية له) أى لمسلم (قال لعائشة عليك بالرفق و اياك و العنف و الفحش) أى المتولد منه (ان الرفق) استئناف بيان (لايكون) أى لايوجد (فى شئى) أى من الذوات و الاعراض (الا زانه) أى زينه و كمله (و لاينزع) بصيغة المجهول أى لايفقد و لايعدم (من شئى الا شانه) أى عيبه و نقصه قال الطيبى قوله يكون يحتمل أن تكون تامة و فى شئى متعلق بها و أن تكون ناقصة . و فى شئى خبر كان فالاستثناء مفرغ من أعم عام وصف الشئى أى لايكون الرفق مستقرا فى شئى يتصف بوصف من الاوصاف الا بصفة الزينة و فى الجامع الصغير عليك بالرفق و اياك و العنف و الفحش رواه البخارى فى الادب المفرد عن عائشة و روى مسلم عن عائشة عليك بالرفق ان الرفق لايكون فى شئى الحديث و الله أعلم ★ (و عن جرير عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال من يحرم) بصيغة المجهول مجزوما و قيل مرفوعا (الرفق) بالنصب على انه مفعول ثان أى من يصر محروما منه (يحرم الخير) أى كله كما فى الجامع الصغير ففيه فضل الرفق و الحث على التخلق به و ذم العنف و ان الرفق سبب كل خير (رواه مسلم) و كذا أحمد وأبوداود و ابن ماجه ★ (و عن ابن‌عمر ان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم مر على رجل من الانصار و هو يعظ أخاه) أى ينصحه (فى الحياء) بأن لايكثر منه فان الحياء يمنع الرزق . و يمنع العلم على ما روى قال الطيبى أى ينذره قال الراغب الوعظ زجر مقترن بتخويفه و قال الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب اه كلامه و الوعظ هنا بمعنى العتاب لما جاء فى شرح السنة مر رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم برجل و هو يعاتب أخاه فى الحياء و يقول انه ليستحى يعنى كانه يقول قد أضربك (فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم دعه) أى اتركه على حاله من كثرة الحياء (فان الحياء من الايمان) أى بعضه أو من شعبه قال النووى يعظه فى الحياء أى ينهاه عنه و يقبح له فعله و يزجره عن كثرته فنهاه النبى صلى‌الله‌عليه وسلم عن ذلك أى دعه على فعل الحياء و كف عن نهيه و وقعت لفظة دعه فى البخارى و لم تقع فى مسلم (متفق عليه) قلت أما قوله الحياء من الايمان فقد رواه الترمذى أيضا عن ابن عمر و كذا الترمذى و الحاكم و البيهقى عن أبى هريرة و البخارى فى الادب المفرد و ابن ماجه

★ و عن عمران بن حصين قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم الحياء لايأتى الا بخير و فى رواية الحياء خير كله متفق عليه ★ و عن أبى مسعود قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم‌تستحى فاصنع ما شئت رواه البخارى

و الحاكم و البيهقى عن أبى بكرة الثقفى و الطبرانى و البيهقى عن عمران بن حصين و ابن عساكر عن أبى هريرة. ★ (و عن عمران بن حصين قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم الحياء لايأتى الا بخير) أى لايغرى الانسان الا بخير و الحياء تغير و انكسار يعترى الانسان من خوف ما يعاب به و يذم ذكره الطيبى و قال النووى قد يشكل على بعض الناس هذا الحديث من حيث ان صاحب الحياء قد يستحيى ان يواجه بالحق من يجله و يعظمه فيترك أمره بالمعروف و نهيه عن المنكر و قد يحمله الحياء على الاخلال ببعض الحقوق و غير ذلك مما هو معروف فى العادة و الجواب ما أجاب عنه جماعة من العلماء منهم الشيخ أبو عمرو بن الصلاح ان هذا المانع الذى ذكرناه ليس بحياء حقيقة بل هو عجز و خور و تسميته حياء بحسب اللغة و انما حقيقة الحياء فى اصطلاح أهل الشرع خلق يبعث على ترك القبيح و يمنع من التقصير فى حق ذى الحق يدل عليه ما روى الامام أبو القاسم القشيرى عن السيد الجليل أبى القاسم الجنيد قال الحياء رؤية الآلاء و رؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء قال القاضى عياض و غيره انما جعل الحياء من الايمان لانه قد يكون تخلقا و اكتسابا كسائر أعمال البر و قد يكون غريزة و لكن استعماله على قانون الشرع يحتاج الى اكتساب و نية و علم و هذا المعنى بقوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم الحياء من الايمان قال الطيبى و يمكن أن يحمل التعريف فيه على العهد و يكون اشارة الى ما ورد فى قوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم الاستحياء من الله أن يحفظ الرأس و ما وعى و البطن و ماحوى الحديث اه و هو بمعنى حسن و قيد مستحسن يزول به الاشكال السابق و بيانه أن الحياء من الله هو الذى خير كله و هو الذى لايأتى الا بخير و هو الذى لاينفك عن الايمان و أما الحياء من الخلق فالغالب فيه أيضا أن يكون محمودا فالحصر ادعائى أو كله محمود الا اذا عارضه ترك الحياء من الله فيترك جانبه من أداء الحقوق و يراعى جانب المخلوق فحينئذ يستحق ذلك الحياء أن لايسمى حياء فالحياء كله خير و الله أعلم (و فى رواية) أى لهما على ما هو ظاهر لكن فى الجامع أسندها الى مسلم و أبى داود (الحياء خير كله) قيل عام أريد به الخاص أى الحياء عن فعل ما لايرضاه الله سبحانه (متفق عليه) و فى رواية الطبرانى عن قرة الحياء هو الدين كله ★ (و عن أبى مسعود) هو عقبة بن عمر الانصارى شهد العقبة روى عنه ابنه بشير و خلق سواه قال ميرك و فى نسخة ابن مسعود و هو غلط (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان مما أدرك الناس) بالرفع نص الكازرونى على انه الرواية و فى بعض النسخ بالنصب أى بما وصل اليهم و ظفروا به و لحقوه (من كلام النبوة) من تبعيضية و المعنى أن من جملة أخبار أصحاب النبوة (الاولى) أى السابقة من الانبياء و المرسلين أضافه اليهم اعلاما بانه من نتائج الوحى (اذا لم‌تستحى) بسكون الحاء و كسر الياء و حذف الثانية للجزم (فاصنع ما شئت) أى الرادع عما لاينبغى هو الحياء فاذا لم‌يكن صدر كل ما لاينبغى فالامر بمعنى الخبر أو الامر للتهديد و أنشد

اذا لم‌تخش عاقبة الليالى ★ و لم‌تستحى فاصنع ما تشاء
فلا و الله ما فى العيش خير ★ و فى الدنيا اذا ذهب الحياء

قال الطيبى من فى مما ابتدائية و هو خبر ان و اسمه قوله اذا لم تستحى على تأويل ان هذا القول حاصل مما أدرك الناس و الراجع الى ما محذوف و الناس فاعل أدرك و عليه كلام الشيخ التوربشتى حيث قال المعنى ان مما بقى بين الناس و أدركوه من كلام الانبياء و يجوز أن يكون فاعل أدرك الضمير الراجع الى ما و الناس مفعوله و عليه كلام القاضى أى مما بلغ الناس من كلام الانبياء المتقدمين ان الحياء هو المانع من اقتراف القبائح و الاشتغال بمنهيات الشرع و مستحبات العقل و قوله اذا لم تستحى الجملة الشرطية اسم ان على الحكاية قال الخطابى قوله من كلام النبوة الاولى معناه اتفاق كلام الانبياء عليهم السلام على استحسان الحياء فما من نبى الا و قد ندب اليه و بعث عليه و لم ينسخ فيما نسخ من شرائعهم و لم يبدل فيما بدل منها و ذلك انه أمر قد علم صوابه و بان فضله و اتفقت العقول على حسنه و ما كان هذا صفة له لم يجر عليه النسخ و التبديل و قيد النبوة بالاولى للارشاد الى اتفاق كلمة الانبياء عليهم السلام من أولهم الى آخرهم و فى شرح السنة قوله فاصنع ما شئت فيه أقاويل أحدها ان معناه الخبر و ان كان لفظه لفظ الامر كانه يقول اذا لم يمنعك الحياء فعلت ما شئت مما تدعوك اليه نفسك من القبيح و الى هذا المعنى ذهب أبو عبيد و ثانيها ان معناه الوعيد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم أى اصنع ما شئت فان الله يجازيك و اليه ذهب أبو العباس و ثالثها معناه ينبغى ان تنظر الى ما تريد ان تفعله فان كان ذلك مما لا يستحيى منه فافعله و ان كان مما يستحيى منه فدعه و اليه ذهب أبو اسحق المروزى و روى هذا الحديث جرير عن منصور باسناده ثم قال جرير معناه ان يريد الرجل ان يعمل الخير فيدعه حياء من الناس كانه يخاف مذهب الرياء يقول فلا يمنعك الحياء من مضى ما أردت قال أبو عبيد و هو شبيه بالحديث الآخر اذا جاءك الشيطان و أنت تصلى فقال انك مراء فزدها طولا قلت و يؤيده كلام الفضيل بن عياض ترك العمل لاجل الناس رياء و العمل لاجلهم شرك و الاخلاص ان يخلصك الله منهما و اختار النووى ان صيغة الامر للاباحة أى اذا أردت ان تفعل شيأ فان كان بحيث لا يستحى من الله و من الناس فى فعله فافعله و الا فلا و زبدة كلامه انك اذا لم تستحى من صنع أمر فذلك دليل على جواز ارتكابه ثم قال و على هذا مدار الاسلام و توجيهه ان افعال الانسان اما ان يستحى منها أم لا فالاول يشمل الحرام و المكروه و تركهما هو المشروع و الثانى يشمل الواجب و المندوب و المباح و فعلها مشروع فى الاولين جائز فى الثالث فعلى هذا يتضمن الحديث الاحكام الخمسة و قال بعض العارفين التحقيق ان الحياء ينشأ عن علم القلب بان الله رقيب عليه فيحافظ ظاهره و باطنه من مخالفة أحكامه و يستقبح ما صدر من هفواته و يتحمل أنواع البلاء فى نظره نشيطا و لا يشتكى الى غيره فاذا ترق عن ذلك و تحقق ان الله تعالى جل جلاله و لا اله غيره أقرب الاشياء اليه بلا ريب استحيا من قربه فوق ما يستحى من رؤيته فيدعوه ذلك الى محبته و الخلوة معه مستوحشا من الاغيار مستلذا بروح أنس الملك الغفار حتى تطلع عليه طوالع أنوار التوحيد و تلمع فى سره بوارق أسرار التفريد فيستحى من شهود مشهوده فانيا عن الخلق باقيا مع الحق قال العارف السهروردى الحياء اطراق الروح اجلالا لعظم الجلال و من هذا القبيل حياء اسرافيل. كما ورد انه يستتر بجناحه حياء من الله عزوجل و حياء عثمان رضى الله عنه كما قال انى لاغتسل فى البيت المظلم فانطوى حياء من الله عز وجل قلت روى ابن عساكر عن أبى هريرة مرفوعا الحياء من الايمان و أحيى أمتى عثمان (رواه البخارى) و كذا رواه أحمد و أبوداود و ابن ماجه عن أبى مسعود و أحمد أيضا عن حذيفة ★(و عن النواس

★ و عن النواس بن سمعان قال سألت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم عن البر و الاثم فقال البر حسن الخلق و الاثم ما حاك فى صدرك و كرهت ان يطلع عليه الناس رواه مسلم

بتشديد الواو (ابن سمعان) بكسر السين و يفتح كان من أصحاب الصفة (قال سألت رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم عن البر) أى الطاعة (و الاثم) أى المعصية (فقال البر) أى أعظم خصاله أو البر كله مجملا (حسن الخلق) أى مع الخلق بأمر الحق أو مداراة الخلق و مراعاة الحق قيل فسر البر فى الحديث بمعان شتى ففسره فى موضع بما اطمأنت اليه النفس و اطمأن اليه القلب و فسره فى موضع بالايمان و فى موضع بما يقربك الى الله و هنا بحسن الخلق و فسر حسن الخلق باحتمال الاذى و قلة الغضب و بسط الوجه و طيب الكلام و كلها متقاربة فى المعنى ذكره الطيبى و قال الترمذى البر هنا الصلة و التصدق و الطاعة و يجمعها حسن الخلق و قال بعض المحققين تلخيص الكلام فى هذا المقام ان يقال البر اسم جامع لانواع الطاعات و الاعمال المقربات و منه بر الوالدين و هو استرضاؤهما بكل ما أمكن و قد قيل ان البر من خواص الانبياء عليهم السلام أى كمال البر اذ لا يستبعد ان يوجد فى الامة من يوصف به و قد أشار اليهما من أوتى جوامع الكلم صلى‌الله‌عليه‌وسلم بقوله حسن الخلق لانه عبارة عن حسن العشرة و الصحبة مع الخلق بان يعرف انهم اسراء الاقدار و ان كل مالهم من الخلق و الخلق و الرزق و الاجل بمقدار فيحسن اليهم حسب الاقتدار فيامنون منه و يحبونه بالاختيار قلت و قد أشار الشاطبى الى هذا المعنى بقوله

يعد جميع الناس مولى لانهم ★ على ما قضاه الله يجرون أفعلا

هذا مع الخلق و أما مع الخالق فبان يشتغل بجميع الفرائض و النوافل و يأتى بانواع الفضائل عالما بان كل ما أتى منه ناقص يحتاج الى العذر و كل ما صدر من الحق كامل يوجب الشكر قلت و اليه الايماء فى قول الشاطبى

يرى نفسه بالذم أولى لانها ★ على المجد لم تلعق من الصبر و الا لا

ثم يتخلق باخلاق الله بدوام الاعراض عما سواه و الاقبال عليه و دوام ذكره حتى يكتحل القلب بنور ذكر الذات فصار بحرا مواجا من نسمات القرب و جرى فى جداول اخلاق النفس صفاء النعوت و الصفات و حينئذ يحصل نهاية التحقيق بعناية التوفيق (و الاثم ما حاك) أى تردد و تحرك و اثر فى صدرك و رواية الاربعين فى نفسك بان لم تنشرح له و حل فى القلب منه الشك و الخوف من كونه ذنبا و أقلقه و لم يطمئن اليه قال التوربشتى يريد ان الاثم ما كان فى القلب منه شئ ولا ينشرح له الصدر و الاقرب ان ذلك أمر يتهيأ لمن شرح الله صدره للاسلام دون عموم المؤمنين و قال شارح يعنى الاثم ما اثر قبحه فى قلبك أو تردد فى قلبك و لم ترد ان تظهره لكونه قبيحا و هو المعنى بقوله (و كرهت ان يطلع عليه الناس) أى اعيانهم و أماثلهم اذ الجنس ينصرف الى الكامل و ذلك لان النفس بطبعها تحب اطلاع الناس على خيرها فاذا كرهت الاطلاع على بعض افعالها فهو غير ما تقرب به الى الله أو غير ما أذن الشرع فيه و علم انه لاخير فيه و لا بر فهو اذا اثم و شر (رواه مسلم) و فى الجامع الصغير البر حسن الخلق الحديث رواه البخارى فى الادب المفرد و مسلم و الترمذى عن النواس و رواه أحمد عن أبى ثعلبة و لفظه البر ما سكنت اليه النفس و اطمأن اليه القلب و الاثم ما لم تسكن اليه النفس و لم يطمئن له القلب و ان افتاك المفتون هذا و فى الاربعين للامام النووى عن وابصة بن معبد الاسدى قال أتيت رسول‌الله صلى‌الله

★ و عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أحبكم الى أحسنكم أخلاقا رواه البخارى ★ و عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من خياركم أحسنكم أخلاقا متفق عليه ★ (الفصل الثانى) عن عائشة قالت قال النبى صلى الله عليه وسلم من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من خير الدنيا و الآخرة و من حرم حظه من الرفق حرم حظه من خير الدنيا و الآخرة رواه فى شرح السنة

عليه وسلم فقال جئت تسأل عن البر فقلت نعم فقال استفت قلبك البر ما أطمأنت اليه النفس وأطمأن اليه القلب و الاثم ما حاك فى النفس و تردد فى الصدر و ان افتاك الناس و أفتوك حديث حسن رويناه فى مسندى الامامين أحمد بن حنبل و الدارمى باسناد حسن قال الطيبى فى شرح حديث المشكاة مراعاة المطابقة تقتضى ان نفس حسن الخلق بما يقابل ماحاك فى الصدر و هو ما أطمأنت اليه النفس و القلب كما فى حديث وابصة فوضع موضعه حسن الخلق ليؤذن ان حسن الخلق هو ما أطمأنت اليه النفس الشريفة الطاهرة من أوضار الذنوب الباطنة والظاهرة وتبديل مساوى الاخلاق من الصدق فى المقال و اللطف فى الاحوال و الافعال أحسن معاملته مع الرحمن و معاشرته مع الاخوان و صلة الرحم و السخاء و الشجاعة أقول الاحسن فى تحسين المقابلة بين القرينتين الحسنتين أن يقال المراد بحسن الخلق مستحسن الطبع الجبلى الفطرى العارى عن التعلقات التقليدية والتقييدات العرفية فان الانسان اذا خلى و طبعه الاصلى اختار الوجه الاحسن من العقائد و الاخلاق و الافعال و سائر الاحوال كما حقق فى حديث كل مولود يولد على الفطرة و حاصل الجواب على طريق الاستيعاب أن الامر لايخلو اما أن يجزم العقل باستحسانه أو باستقباحه أو يتردد فيما بينهما فالاول هو البر و ماعداه هو الاثم و هذا تمهيد قاعدة كلية تحتها مسائل جزئية فيما لم يعرف من الشرع حسنه و قبحه على طريق اليقين فى العلميات و على سبيل الظن أيضا فى العمليات و الله أعلم ★ (و عن عبد الله بن عمرو) بالواو (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أحبكم الى) أى أكثركم محبة لى أو أعظمكم محبوبية عندى (أحسنكم أخلاقا) أى شمائل مرضية مراعى فيها حقوق الربوبية و العبودية و قد رواه الحكيم عن العلاء بن كثير مرسلا ان محاسن الاخلاق مخزونة عند الله تعالى فاذا أحب الله عبدا منحه خلقا حسنا و فى رواية الطبرانى فى الاوسط عن أبى هريرة ان هذه الاخلاق من الله فمن أراد الله به خيرا منحه خلقا حسنا ومن أراد الله به سوأ منحه سيأ ثم الظاهر ان من زائدة على مذهب من يجوز زيادتها فى الكلام المثبت أو المراد أحسنكم أخلاقا مع الخلق و يؤيده ما رواه الترمذى و الحاكم عن عائشة ان من أكمل المؤمنين أيمانا أحسنهم خلقا و ألطفهم باهله و يؤيد الاول ما فى الجامع الصغير على ما رواه أحمد و الشيخان و الترمذى عن ابن عمر بلفظ خياركم أحسنكم أخلاقا (رواه البخارى ★ و عنه) أى عن ابن عمرو (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من خياركم أحاسنكم) و فى نسخة صحيحة أحسنكم (أخلاقا متفق عليه)

★ (الفصل الثانى) ★ (عن عائشة قالت قال النبى صلى الله عليه وسلم من أعطى) بصيغة المجهول (حظه) أى نصيبه (من الرفق) أى اللطف (أعطى حظه من خير الدنيا و الآخرة و من حرم) على بناء المفعول (حظه) بالنصب أى نصيبه (من الرفق حرم حظه من خير الدنيا و الآخرة) و هذا تصريح بما علم ضمنا للمبالغة و التأكيد فى الحكم (رواه فى شرح السنة) و رواه أحمد و الترمذى عن أبى الدرداء لكن لفظه من الخير بدل من خير الدنيا و الآخرة و الحديثان متفقان

★ و عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم الحياء من الايمان و الايمان فى الجنة و البذاء من الجفاء و الجفاء فى النار رواه أحمد و الترمذى ★ و عن رجل من مزينة قال قالوا يا رسول‌الله ما خير ما أعطى الانسان قال الخلق الحسن رواه البيهقى فى شعب الايمان و فى شرح السنة عن أسامة بن شريک ★ وعن حارثة بن وهب قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لا يدخل الجنة الجواظ و لا الجعظرى قال و الجواظ الغليظ الفظ

فى المعنى لان المراد بالخير جنسه الشامل لنوعيه ★ (وعن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم الحياء من الايمان و الايمان) أى أهله (فى الجنة) قال الطيبى جعل أهل الايمان عين الايمان دلالة على انهم تمحضوا منه و تمكنوا من بعض شعبه الذى هوأعلى فرع منه كما جعل الايمان مقرا و مبوأ لاهله فى قوله تعالى و الذين تبوؤا الدار و الايمان لتمكنهم من الايمان و استقامتهم عليه (و البذاء) بفتح الباء خلاف الحياء والناشىء منه الفحش فى القول والسوء فى الخلق (من الجفاء) و هو خلاف البر الصادر منه الوفاء (و الجفاء) أى أهله التاركون للوفاء الثابتون على غلاظة الطبع و قساوة القلب (فى النار) أما مدة أو أبدا لانه فى مقابل الايمان الكامل أو مطلقه فصاحبه أما من أهل الكفران أو الكفر (رواه أحمد و الترمذى) وكذا الحاكم و البيهقى عنه و البخارى فى الادب و ابن ماجه و الحاكم و البيهقى عن أبى بكرة الثقفى و الطبرانى و البيهقى عن عمران بن حصين و فى رواية لاحمد و الترمذى و الحاكم عن أبى أمامة الحياء و العى شعبتان من الايمان و البذاء والبيان شعبتان من النفاق ★ (و عن رجل من مزينة) بالتصغير قبيلة معروفة و جهالة الصحابى لاتضر لانهم كلهم عدول و مرسلهم عند الكل مقبول (قال قالوا) أى بعض الاصحاب (يا رسول‌الله ما خير ما أعطى الانسان) بالرفع أى أعطيه الانسان فالمفعول الثانى محذوف من الصلة و فى نسخة بالنصب فنائب الفاعل ضمير راجع الى ما (قال الخلق الحسن) أى هو هذا (رواه البيهقى فى شعب الايمان و فى شرح السنة عن أسامة بن شريک) قال ميرک و ظاهره ان البيهقى لم يرو الحديث عن أسامة لكن قال الشيخ الجزرى رواه البيهقى فى الشعب من حديث أسامة قلت و فى الجامع خير ما أعطى الناس خلق حسن رواه أحمد و النسائى و ابن ماجه و الحاكم عن أسامة ابن شريک و روى ابن أبى شيبة عن رجل من جهينة و لفظه خير ما أعطى الرجل المؤمن خلق حسن و شر ما أعطى الرجل قلب سوء فى صورة حسنة و قد روى البيهقى عن الحسن مرسلا ثلاث خلال من لم تكن فيه واحدة منهن كان الكلب خيرا منه ورع يحجزه عن محارم الله عزوجل أو حلم يرد به جهل جاهل أو حسن خلق يعيش به فى الناس و قد ذكر السيوطى عن الحسن عن أبى الحسن عن جد الحسن ان أحسن الحسن الخلق الحسن ★ (و عن حارثة بن وهب) قال المؤلف فى فصل الصحابة خزاعى أخو عبيد الله بن عمر بن الخطاب لامه روى عنه أبو اسحق السبيعى (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لا يدخل الجنة الجواظ) بفتح جيم و تشديد واو و ظاء معجمة (و لا الجعظرى) بفتح جيم و سكون عين مهملة و فتح ظاء معجمة فراء فتحتية مشددة (قال) أى الراوى (الجواظ الغليظ الفظ) بتشديد الظاء أى سيء الخلق قال تعالى و لو كنت فظا غليظ القلب فاللائق أن يفسر الجعظرى بغليظ القلب و كان غلظ القلب ايماء الى سوء باطنه من الاحوال و الفظ اشارة الى قبح ظاهره من الافعال و قدم الجواظ أما لظهوره و أما لان مدار الحكم عليه و انما أتى بلا المزيدة اشارة الى ان الموصوف بكل من الخصلتين لا يدخل الجنة

رواه أبوداود فى سننه و البيهقى فى شعب الايمان و صاحب جامع الاصول فيه عن حارثة و كذا فى شرح السنة عنه و لفظه قال لايدخل الجنة الجواظ الجعظرى يقال الجعظرى الفظ الغليظ و فى نسخ المصابيح عن عكرمة بن وهب و لفظه قال و الجواظ الذى جمع و منع و الجعظرى الغليظ الفظ ★ و عن أبى الدرداء عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ان أثقل شئ يوضع فى ميزان المؤمن يوم القيامة خلق حسن و ان الله يبغض الفاحش البذى

مطلقا ان كان من المنافقين أو لايدخلها مع الفائزين ان كان من المؤمنين (رواه أبوداود و البيهقى فى شعب الأيمان) قال الطيبى قوله الجواظ الغليظ الفظ كذا فى سنن أبى داود و البيهقى و فى النهاية و شرح التوربشتى و كلام القاضى الجواظ المختال و قيل الجموع المنوع و قيل هو السمين و قيل الصياح المهذار و الجعظرى الفظ الغليظ و قيل القصير المنتفخ بما ليس عنده و قيل العظيم الجسيم الأكول و المانع لمن شأنه هذا أن يدخل الجنة حيث يدخلها الآخرون عجبهم و سوء خلقهم و شرههم على الطعام و افراطهم فى الكلام اه و الاظهر ما قدمناه من ان المراد غليظ القلب سيىء الخلق و سببه ما روى الخطيب عن عائشة مرفوعا ان لكل شئ توبة الا صاحب سوء الخلق فانه لايتوب من ذنب الا وقع فى شر منه (و صاحب جامع الاصول) أى و رواه أيضا (فيه) أى فى الجامع (عن حارثة و كذا فى شرح السنة عنه) أى روى عن حارثة (و لفظه) أى و لفظ ما فى شرح السنة أو لفظ صاحب شرح أو لفظ حارثة فى الشرح (قال لايدخل الجنة الجواظ الجعظرى) أى من غير عاطفة و زيادة لا و لعله عد الموصوفان واحدا لكمال الاتحاد بين الوصفين أو المراد الجامع بينهما فهو الفرد الكامل فى القبح (و فى نسخ المصابيح عن عكرمة ابن وهب) أى فى بعضها و الا ففى أكثرها عن حارثة بن وهب (و لفظه) أى لفظ المصابيح و فيه تجوز (و الجواظ الذى جمع) أى مالا مما لايجوز (و منع) أى منعه من الصرف فيما يجب عليه (و الجعظرى الغليظ الفظ) قال الطيبى أشار المؤلف بهذا ان راوى الحديث فى الاصول المذكورة هو حارثة بن وهب و هو صحابى و فى نسخ المصابيح عن عكرمة بن وهب و قد قال الشيخ التوربشتى لم يذكره أحد فى الصحابة فالحديث مرسل حينئذ أى ان صح كونه تابعيا و كذا قوله الذى جمع و منع ليس فى الاصول و قد أثبت فى حواشى المصابيح فالحق بالمتن و كذا قوله الغليظ الفظ فى المصابيح تفسير للجعظرى و فى الاصول تفسير للجواظ تم كلامه و فى الجامع برواية الطبرانى عن ابى الدرداء ألا أخبرك بأهل النار كل جعظرى جواظ مستكبر جماع منوع ألا أخبرك بأهل الجنة كل مسكين لو أقسم على الله لابره ★ (و عن أبى الدرداء عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ان أثقل شئ يوضع) أى ثوابه و صحيفته أو عينه المجسد (فى ميزان المؤمن يوم القيامة خلق حسن) فانه تعالى يحبه و يرضى عن صاحبه (و ان الله يبغض الفاحش) أى افحشه أى و الفحش أيضا (البذى) فعيل من البذاء و هو ضد الحى ذكره شارح و هو المناسب للمقام و فى الغريبين رجل بذى أى فاحش سيئ الخلق اه و من المقرر أن كل ما يكون مبغوضا لله ليس له وزن و قدر كما ان كل ما يكون محبوبا له يكون عنده عظيما قال تعالى فى حق الكفار فلانقيم لهم يوم القيامة وزنا و فى الحديث المشهور كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله و بحمده سبحان الله العظيم و بهذا تمت المقابلة بين القرينتين هذا و قال الطيبى أوقع قوله و ان الله يبغض الفاحش البذى مقابلا لقوله ان أثقل شيأ يوضع فى الميزان دلالة على ان أخف

رواه الترمذى و قال هذا حديث حسن صحيح و روى أبوداود الفصل الاول ★ و عن عائشة قالت سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل و صائم النهار رواه أبو داود ★ و عن أبى ذر قال قال لى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اتق الله حيثما كنت و اتبع السيئة الحسنة

ما يوضع فى الميزان هو سوء الخلق و ان حسن الخلق أحب الاشياء عند الله و الخلق السيىء أبغضها و ان الفحش و البذاءة أسوأ شئى فى مساوى الاخلاق (رواه) أى الحديث بكماله (الترمذى و قال هذا حديث حسن صحيح و روى أبوداود الفصل الاول) أى القرينة الاولى دون الثانية و قد روى أحمد عن أسامة بن زيد ان الله يبغض الفاحش المتفحش و روى الديلمى فى مسند الفردوس عن على رضى‌الله‌عنه ان الله يبغض المعبس فى وجوه اخوانه ★(و عن عائشة قالت سمعت رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم يقول ان المؤمن) أى الكامل و هو العالم العامل (ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل) أى فى الطاعة (و صائم النهار) قال الحسن حسن الخلق بسط الوجه و بذل الندى و كف الاذى و قال الواسطى هو أن لايخاصم و لايخاصم من شدة معرفته بالله تعالى و قال أيضا هو ارضاء الخلق فى السراء و الضراء و قال سهل أدنى حسن الخلق الاحتمال و ترك المكافأة و الرحمة للظالم و الاستغفار له و الشفقة عليه (رواه أبوداود) و فى الجامع بلفظ درجة القائم الصائم رواه أبوداود و ابن حبان فى صحيحه عنها ★(و عن أبى ذر) أى الغفارى رابع الاسلام أو خامسه زاد النووى فى أربعينه و معاذ بن جبل (قال قال لى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم) أى مختصا لى بخطابه و هو لاينافى التعدد لاحتمال اختلاف المجلس مع انه غير مذكور فى الاربعين (اتق الله) أى بالاتيان بجميع الواجبات و الانتهاء عن سائر المنكرات فان التقوى أساس الدين و به يرتقى الى مراتب اليقين ثم التحقيق ان التقوى أدناها التبرى عن الشرك بالله و اعلاها الاعراض عما سواه و ما بينهما مراتب بعضها فوق بعض من ترك المحظور ثم المكروه ثم المباح مما لايعنى ولله در من قال من أهل الحال

من عرف الله فلم تغنه ★ معرفة الله فذاك الشقى

ما يصنع العبد بعز الغنى ★ فالعز كل العز للمتقى

(حيثما كنت) أى فى الخلاء و فى النعماء و البلاء فان الله عالم بسر أمرك كما انه مطلع على ظواهرك فعليك برعاية دقائق الادب فى حفظ أوامره و مراضيه و الاحتراز عن مساخطه و مساويه و عن داود الطائى أنه سمع صوتا من قبر ألم أزك ألم أصل ألم أصم ألم أفعل كذا فأجيب بلى يا عبدالله و لكن اذا خلوت بارزته بالمعاصى و لم تراقبه (و أتبع) أمر من باب الافعال و هو متعد الى مفعولين (السيئة الحسنة) أى التوبة و الطاعة مطلقا أو بان تباشر حسنات تضاد آثارها تلك السيآت قال الطيبى فسماع الملاهى يكفر بسماع القرآن و بمجالس الذكر و الوعظ عن المناهى و شرب الخمر يكفر بالتصدق بكل شراب حلال و على هذا فقس لان المرض يعالج بضده و المتضادات هى المناسبات فلذلك ينبغى أن يمحو كل سيئة بحسنة من جنسها لكن تضادها فالبياض يزال بالسواد لابغيره و حب الدنيا لان أثر السرور بها فى القلب فلاجرم كفارته كل أذى يصيب المسلم من الهم و الغم اه و لاخفاء انه لايظهر حسن المقابلة بين حب الدنيا و ما ذكره من المشاكلة لان الهم و الغم ليسا من الامور الاختيارية المراد بها فى الحديث على ما هو ظاهر من قوله اتبع فالصواب أن مقابلة حب الدنيا بضدها و هو بغضها بأن يتصدق و لو ببعضها

تمحها و خالق الناس بخلق حسن رواه أحمد و الترمذى و الدارمى ✱ و عن عبدالله بن مسعود قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ألا أخبركم بمن يحرم على النار و بمن تحرم النار عليه على كل هين لين قريب سهل

على أن هذه المناسبات غير لازمة فى محو السيئات لقوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات و قد وردت الآية فيمن قبل امرأة ثم صلى معه صلى‌الله‌عليه‌وسلم و الله أعلم (تمحها) أى تدفع الحسنة السيئة و ترفعها و الاسناد مجازى و المراد يمحو الله بها آثارها من القلب أو من ديوان الحفظة هذا اذا كانت بينه و بين الله تعالى فان تعلقت بالعبد فتدفع الحسنة الى خصمه عوضا عن المظلمة أو يرضيه الله من فضله حكى عن بعضهم انه رؤى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفرلى و أحسن الى الا انه حاسبنى حتى طالبنى بيوم كنت صائما فلما كان وقت الافطار أخذت حنطة من حانوت صديق لى فكسرتها فذكرت انها ليست لى فألقيتها على حنطته فأخذ من حسناتى مقدار ارش كسرها قال البيضاوى صغائر الذنوب تقع مكفرة بالحسنات و كذا ما خفى من الكبائر لعموم قوله تعالى نكفر عنكم سيآتكم و الحديث اما ما ظهر منها و تحقق عند الحاكم فلايسقط حدها و لابالتوبة و لما وصاه بما يتعلق بحقوق الله تعالى و اصلاح نفسه ذكر ما يتعلق بحقوق العباد فقال (و خالق الناس) أمر من المخالقة ماخوذ من الخلق مع الخلق أى خالطهم و عاملهم (بخلق حسن) و هو بسط المحيا و بذل الندى و تحمل الاذى (رواه أحمد و الترمذى و الدارمى) و فى الاربعين رواه أحمد و الترمذى و قال حديث حسن و فى بعض النسخ حسن صحيح اه كلامه و فى الجامع الصغير رواه أحمد و الترمذى و الحاكم و البيهقى عن أبى ذر و أحمد و الترمذى و البيهقى عن معاذ و ابن عساكر عن أنس ✱(و عن عبدالله بن مسعود قال ألا أخبركم بمن يحرم) بضم الزاء (على النار) أى يمنع عنها (و بمن تحرم النار عليه) زيادة تأكيد و الا فالمعنيان متلازمان و لما كان مآلهما واحدا اكتفى بالجواب عن الاول لانه المعول و الثانى مؤكد مجمل مجمل فقال قبل قولهم بلى (على كل هين لين) بتشديد التحتية فيهما أى تحرم على كل سهل طلق حليم لين الجانب قيل هما يطلقان على الانسان بالتثقيل و التخفيف و على غيره بالتشديد و عن ابن الاعرابى بالتخفيف للمدح و بالتشديد للذم ذكره ابن الملك ثم قوله هين فعيل من الهون و هو السكون و الوقار و السهولة فعينه واو فابدلت و أدغمت و أما اللين فيأتى (قريب) أى من الناس بمجالستهم فى محافل الطاعة و ملاطفتهم بقدر الطاعة (سهل) أى فى قضاء حوائجهم أو معناه أنه سمح القضاء سمح الاقتضاء سمح البيع سمح الشراء على ما ورد فى فضل المؤمن الكامل هذا و قال الطيبى قوله على كل هين لين هذا جواب عن السؤالين و الجواب الظاهر عنهما كل هين لين ثم فى الدرجة الثانية أن يقال عن الاول يحرم على النار كل هين لين و على الثانى تحرم النار على كل هين لين فأتى بجواب موجز يدل عليهما بالتفصيل و لو أتى به كما يقتضيه الظاهر و هو قوله كل هين لين لم يدل على التفصيل اه و هو غريب منه فان دلالة ما يقتضيه الظاهر على التفصيل أظهر من دلالة الجواب الموجز عنده عليه كما يظهر بادنى تأمل فان تقديره حينئذ هو كل هين لين و يكون مرجع الضمير ما ذكر من الوصفين و هو من يحرم على النار و من تحرم عليه النار بل لو حققت النظر و دققت التأمل لوجدت ان جوابه الموجز على زعمه لادلالة له على التفصيل أصلا بل دلالته اجمالية كما قدمناه و قد يقال انه من باب الاكتفاء كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر أى

رواه أحمد و الترمذی و قال هذا حدیث حسن غریب ✱ و عن أبی هریرة أن النبی صلی‌الله‌علیه وسلم قال المؤمن غر کریم و الفاجر خب لئیم رواه أحمد و الترمذی و أبوداود ✱ وعن مکحول قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم المؤمنون هینون لینون کالجمل الانف

و البرد فکذلک هنا یقدر و علی کل هین لین مع احتمال ان القرینة الثانیة زائدة من بعض الرواة لاجل المبالغة و یؤیده ما فی الجامع بلفظ ألا أخبرکم بمن تحرم علیه النار غدا علی کل هین لین قریب سهل و الله أعلم (رواه أحمد و الترمذی و قال هذا حدیث حسن غریب) و فی الجامع رواه أبو یعلی فی مسنده عن جابر و الترمذی و الطبرانی عن ابن مسعود ✱(و عن أبی هریرة عن النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم قال المؤمن) أی البار (غر) بکسر الغین المعجمة و تشدید الراء (کریم) أی موصوف بالوصفین أی له الاغترار لکرمه و له المسامحة فی حظوظ الدنیا لا لجهله (و الفاجر خب) بفتح خاء معجمة و تکسر و تشدید موحدة أی خداع (لئیم) أی بخیل لجوج سیئ الخلق و فی کل منهما الوصف الثانی سبب للاول و هو نتیجة الثانی فتأمل فکلاهما من باب التذییل و التکمیل و فی النهایة أی لیس بذی مکر فهو ینخدع لانقیاده و لینه و هو ضد الخب یرید أن المؤمن المحمود من طبعه الغرارة و قلة الفطنة للشر و ترک البحث عنه و لیس ذلک فیه جهلا و لکنه کرم و حسن خلق و الفاجر من عادته البحث لا علی أنه عقل منه بل خبث و لؤم اه قال الفرزدق ★ ان الکریم اذا خادعته انخدعا ★ و قیل هم الذین لم‌یجربوا الامور فهم قلیلو الشر منقادون فان من آثر الخمول و اصلاح نفسه و المتزود لمعاده و نبذ أمور الدنیا فلیس غرا فیما قصده و لامذموما بنوع من الذم قال الطیبی و الاول هو الوجه لما سبق فی قوله علیه‌الصلاة و السلام لایلدغ المؤمن من جحر مرتین و لان المؤمن قد ینخدع فی مقام اللین و التعطف مع الاغیار روی أن ابن عمر رضی‌الله‌عنهما کلما صلی عبد له أعتقه فقیل له فقال من خادعنا بالله ننخدع قلت و من ذلک انخداع آدم و حواء بکلام ابلیس حیث قاسمهما انی لکما لمن الناصحین قال و لفظ الحدیث أیضا یساعده لانه صلی‌الله‌علیه‌وسلم لما وصفه بالغرور أی بوصف غیر کامل کمله بقوله کریم لئلا یتوهم فیه ذلک نقصا و الخب بالفتح الخداع و هو الجریز الذی یسعی بین الناس بالفساد یقال رجل خب و قد تکسر خاؤه و أما المصدر فبالکسر لاغیر اه فالکسر یحتمل وجهین فتأمل (رواه أحمد و الترمذی و أبوداود) و کذا الحاکم و رواه البیهقی عن أبی هریرة بلفظ المؤمن هین لین حتی تخاله من اللین أحمق ★(وعن مکحول) تابعی جلیل (قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم المؤمنون هینون لینون) بالتشدید و یخففان ففی النهایة هما تخفیف الهین و اللین اه و کأنه اعتمد علی کلام ابن الاعرابی و قد سبق انه ضعیف خلاف الاصل فلایثبت الابثبت فالجزم به غیر تثبت و فی الفائق و المحذوفة من یاءی هین ولین الاولی و قیل الثانیة قلت الثانیة أولی من الاولی للاحتیاج عندها للتخفیف و لئلایحتاج الی تخفیف آخر فتدبر (کالجمل الانف) بفتح الهمزة و یمد و کسر النون ففی القاموس أنف البعیر کفرح اشتکی أنفه من البرة فهو أنف ککتف و صاحب و الاول أصح و أفصح و قال شارح المد فیه خطأ و هو یحتمل أنه أراد روایة أو درایة وفی النهایة الانف بمعنی المأنوف و هو الذی عقر الخشاش أنفه فهو لایمتنع علی قائده للوجع الذی به و قیل الانف الذلول یقال أنف البعیر فهو أنف اذا اشتکی أنفه من الخشاش و کان الاصل أن یقال مأنوف لانه مفعول به کما یقال مصدور و مبطون للذی یشتکی

أن قيد انقاد و أن أنيخ على صخرة استناخ رواه الترمذى مرسلا ★ وعن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الذى يخالط الناس و يصبر على أذاهم أفضل من الذى لايخالطهم و لا يصبر على أذاهم

صدره و بطنه و انما جاء هذا شاذا و يروى كالجمل الآنف بالمد و هو بمعناه الجوهرى الخشاش بالكسر خشب يدخل فى أنف البعير ثم الكاف مرفوعة المحل على أنها خبر ثالث و المعنى أن كل واحد منهم كالجمل الانف و يجوز أن ينتصب محلها على أنها صفة لمصدر محذوف تقديره لينون لينا مثل الجمل الانف ذكره الطيبى و الثانى أظهر و الاول أدق و بالاعتماد أحق و لايحتاج الى تقدير كل واحد بل المعنى أن المؤمنون كلهم من كمال انقيادهم و اجتماعهم فى سبيل رضاء مولاهم مثل الجمل الواحد المأنوف فالجمل صحيح مع المادة المبالغة كما ورد المؤمنون كرجل واحد ان اشتكى رأسه اشتكى كله و ان اشتكى عينه اشتكى كله على ما رواه أحمد و مسلم عن النعمان بن بشير أو المراد بالجمل الجنس فيستفاد منه معنى الجمعية فلا اشكال (ان قيد) مجهول قاده و جره و قوله (انقاد) و مطاوع له أى طاوعه و انسحب معه (و ان أنيخ) مجهول أناخ البعير اذا بركه و منه حديث بنى مناخ من سبق (على صخرة) أى فرضا أو مثلا (استناخ) فى شرح السنة معنى الحديث ان المؤمن شديد الانقياد للشارع فى أوامره و نواهيه و فى قوله ان أنيخ على صخرة استناخ ايذان بكثرة تحمل المشاق لان الاناخة على الصخرة شاقة (رواه الترمذى مرسلا) و فى الجامع رواه ابن المبارك عن مكحول مرسلا و البيهقى عن ابن عمر أى متصلا مرفوعا ★(وعن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال المسلم الذى يخالط الناس و يصبر على أذاهم أفضل من الذى لايخالطهم و لايصبر على أذاهم) فيه فضيلة الخلطة على العزلة و ذلك مما يختلف باختلاف الازمنة و الامكنة و أهلهما مع الشروط المعتبرة فى آداب الصحبة ففى الاحياء اختلفوا فى المخالطة و العزلة و تفضيل أحدهما على الآخر فقال أكثر التابعين باستحباب المخالطة و استكثار المعارف و الاحوال للتألف و التحبب الى المؤمنين و الاستعانة بهم فى الدين تعاونا على البر و التقوى روى عن على رضى الله عنه أنه قال عليكم بالاخوان فانهم عدة لكم فى الدنيا و الآخرة ألا تسمع الى قول أهل النار فما لنا من شافعين و لاصديق حميم و هذا الحديث أول شئ على استحباب المخالطة و مال أكثر العباد و الزهاد الى اختيار العزلة و تفضيلها على المخالطة و عليه الفضيل و أحمد بن حنبل و غيرهم قال عمر رضى الله عنه خذوا بحظكم من العزلة و قال فضيل كفى بالله محبا و بالقرآن مؤنسا و بالموت واعظا اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا و أوصى داود الطائى أبا الربيع فقال صم من الدنيا و اجعل فطرك الآخرة و فر من الناس فرارك من الاسد و قال وهب بن الورد بلغنا ان الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها فى الصمت و العاشر فى عزلة الناس و دخل على حاتم الاصم بعض الامراء فقال ألك حاجة قال نعم قال ما هي قال ان لاترانى و قال ابن عباس أفضل المجالس مجلس فى قعر بيتك أن لا ترى و لا ترى و قيل آداب العزلة أربعة أن ينوى بها كف شره أولا ثم السلامة من الشر ثانيا ثم الخلاص من الاخلال بالحقوق ثالثا ثم التجرد بكنه الهمة للعبادة رابعا اه و المختار هو التوسط بين العزلة عن أكثر الناس و عوامهم و الخلطة بالصالحين منهم و خواصهم و الاجتماع مع عامتهم فى نحو جمعتهم و جماعتهم بعد حصول العلم المحتاج الى العمل و وصول الزهد الموجب لقطع الطمع عن الخلق ولذا قال بعض العارفين العزلة بغير عين العلم زلة و بغير زاى الزهد علة و هذا طريق الكمل من الصوفية

رواه الترمذي و ابن ماجه ✱ وعن سهل بن معاذ عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا و هو يقدر على أن ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره في أي الحور شاء رواه الترمذي و أبوداود و قال الترمذي هذا حديث غريب و في رواية لابي داود عن سويد بن وهب عن رجل من أبناء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن أبيه قال ملأ الله قلبه أمنا و ايمانا و ذكر حديث سويد من ترك لبس ثوب جمال في كتاب اللباس

الصفية كالنقشبندية و الشاذلية و البكرية فهم كائنون بائنون قريبون غريبون فرشيون عرشيون كما قيل كن وسطا و امش جانبا (رواه الترمذي و ابن ماجه) و في الجامع بلفظ المؤمن الذي يخالطه الناس و يصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لايخالط الناس و لايصبر على أذاهم رواه أحمد و البخاري في الادب المفرد و الترمذي و ابن ماجه عن ابن عمر ✱(و عن سهل بن معاذ) أي ابن أنس كما في المعالم (عن أبيه) المتبادر ان المراد بمعاذ هو ابن جبل لانه المشهور بين الصحابة الا أنه في هذا المقام معاذ بن أنس بقرينة قوله سهل بن معاذ فانه ولد معاذ بن أنس وقد قال المؤلف في أسماء رجاله هو معاذ بن أنس الجهني معدود في أهل مصر و حديثه عندهم روى عنه ابنه سهل (أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا) أي اجترع غضبا كامنا فيه (و هو يقدر على أن ينفذه) بتشديد الفاء أي يمضيه و في رواية على انفاذه فيجوز تخفيف الفاء و الجملة حالية و جواب الشرط (دعاه الله على رؤس الخلائق يوم القيامة) أي شهره بين الناس و أثنى عليه و تباهى به و يقال في حقه هذا الذي صدرت منه هذه الخصلة العظيمة (حتى يخيره) أي يجعله مخيرا (في أي الحور شاء) أي في أخذ أيهن شاء و هو كناية عن ادخاله الجنة المنيعة و ايصاله الدرجة الرفيعة و في النهاية كظم الغيظ تجرعه و احتمال سببه و الصبر عليه قال الطيبي و انما حمد الكظم لانه قهر للنفس الامارة بالسوء و لذلك مدحهم الله تعالى بقوله و الكاظمين الغيظ و العافين عن الناس و من نهى النفس عن هواه فان الجنة ماواه و الحور العين جزاء قلت في هذا الثناء الجميل و الجزاء الجزيل اذا ترتب على مجرد كظم الغيظ فكيف اذا انضم العفو اليه أو زاد بالاحسان عليه قال النووي الاحسان أن تحسن الى المسيئ فان الاحسان الى المحسن متاجرة و في البيضاوي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء في أمتي قليل الا من عصمه الله و قد كانوا كثيرا من الامم التي مضت اه و هو قد ذكره الثعلبي عن مقاتل بن حبان قال بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هؤلاء الخ و لعله مأخوذ من قوله تعالى و السابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الاولين و قليل من الآخرين (رواه الترمذي و أبوداود و قال الترمذي هذا حديث غريب) و كذا رواه أحمد في مسنده (و في رواية لابي داود عن سويد بن وهب) ذكره المؤلف في التابعين و قال هو شيخ لابن عجلان (عن رجل من أبناء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن أبيه) أي الصحابي و يحتمل أن يكون الابن أيضا صحابيا و أن يكون تابعيا (قال) أي بدل الجزاء السابق مع محافظة الابقاء على شرطه الاقول أن ينفذه فان أصول هذا الحديث اتفقت على تبديله على انفاذه (ملأ الله قلبه أمنا و ايمانا) و في الجامع رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب عن أبي هريرة (و ذكر حديث سويد) أي ابن وهب باسناده المذكور (و من ترك لبس ثوب جمال) أي و هو يقدر عليه كساه الله حلة الكرامة (في كتاب اللباس) و هو محتمل أن يكون عن تكرير أسقطه و أن يكون حوله من هنا الى ذلك الباب لمناسبته الى ذلك الكتاب و الله أعلم بالصواب

★(الفصل الثالث) عن زيد بن طلحة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان لكل دين خلقا و خلق الاسلام الحياء رواه مالك مرسلا و رواه ابن ماجه و البيهقى فى شعب الايمان عن أنس و ابن عباس ★ وعن ابن عمر أن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ان الحياء و الايمان قرناء جميعا فاذا رفع أحدهما رفع الآخر و فى رواية ابن عباس فاذا سلب أحدهما تبعه الآخر رواه البيهقى فى شعب الايمان ★ وعن معاذ قال كان آخر ما وصانى به رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم حين وضعت رجلى فى الغرز

★ (الفصل الثالث) ★ (عن زيد بن طلحة) تابعى روى عنه سلمة بن صفوان الزرق أخرج حديثه مالك فى الحياء ذكره المؤلف (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان لكل دين خلقا) أى مختصا به .أو غالبا فيه (و خلق الاسلام الحياء) أى فيما شرع فيه الحياء بخلاف ما لم يشرع فيه كتعلم العلم و الامر بالمعروف و النهى عن المنكر و الحكم بالحق و القيام به و اداء الشهادات على وجهها كذا ذكره السيوطى و فيه ان ارتكاب المذكورات لايخلو عن الحياء عن الحق و عدم الالتفات الى الخلق على ما سبق تحقيقه و حقق طريقه فالحكم على عمومه من استعمال الحياء من الله فى جميع الاحكام بان يستحيى من فعل الآثام و من ترك شعبة من شعب الاسلام بل و لاعبرة بالحياء من الانام لا فعلا و لا تركا عند علماء الاعلام و فى النهاية الخلق الدين و الطبع و السجية قلت المراد هنا السجية أى بمعنى الخصلة أى لكل دين سجية شرعت فيه و حض أهل ذلك الدين عليها قال الطيبى و المعنى ان الغالب على أهل كل دين سجية سوى الحياء و الغالب على أهل ديننا الحياء لانه متمم لمكارم الاخلاق و انما بعث صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتمامها و قال يوما لاصحابه استحيوا من الله تعالى حق الحياء الحديث قلت الظاهر ان المعنى أن الغالب على أهل كل دين سجية سوى الحياء فانه مختصة بالغلبة لنا مع اشتراكنا لجميع الملل فى سائر السجيات لقوله عليه الصلاة و السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق بل الاظهر ان الاخلاق كلها كانت ناقصة فيمن قبلنا و انما كملت فى ديننا ببركة نبينا صلى‌الله‌عليه‌وسلم ولذا قال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس الآية (رواه مالك) أى عن زيد بن طلحة (مرسلا) لانه تابعى (و رواه ابن ماجه و البيهقى فى شعب الايمان عن أنس و ابن عباس) أى مرفوعا لاموقوفا كما يتوهم من الاطلاق ثم ظاهره ان كلا منهما يروى عن كليهما و يحتمل أن يكون على طريق اللف و النشر و الله أعلم ثم رأيت فى الجامع الصغير أسند الحديث الى ابن ماجه بروايته عنهما فدل على أن البيهقى كذلك ★(و عن ابن عمر أن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ان الحياء و الايمان) أى الكامل (قرناء) جمع قرين قال الطيبى فيه دليل لمن يقول أقل الجمع اثنان اه و فى نسخة قرنا بالماضى المثنى المجهول أى جعلا مقرونين (جميعا) أى مجتمعين و هو تأكيد فى المعنى (فاذا رفع أحدهما رفع الآخر و فى رواية ابن عباس فاذا سلب أحدهما تبعه الآخر رواه البيهقى فى شعب الايمان) و وافقه الحاكم و أبو نعيم فى الحلية عن ابن عمر و وافقه الطبرانى فى الاوسط عن ابن عباس لكن لفظه الحياء و الايمان فى قرن فاذا سلب أحدهما تبعه الآخر و فى رواية له أيضا عن أبى موسى بلفظ الحياء و الايمان مقرونان لايفترقان الاجميعا ★(و عن معاذ) أى ابن جبل (قال كان آخر ما وصانى به رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم) أى حالة توجهى الى اليمن بأمره (حين وضعت رجلى فى الغرز) بغين معجمة مفتوحة فسكون راء فزاى أى فى موضع ركاب من رحل البعير كالركاب للسرج قاله الباجى و فى النهاية الغرز ركاب كور الجمل اذا كان من جلد أو خشب و قيل هو الكور مطلقا كالركاب

أن قال يا معاذ أحسن خلقك للناس رواه مالك ✱ و عن مالك بلغه أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم قال بعثت لاتمم حسن الاخلاق رواه فى الموطأ و رواه أحمد عن أبى هريرة ✱ و عن جعفر ابن محمد عن أبيه قال كان رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا نظر فى المرآة قال الحمد لله الذى حسن خلقى وخلقى

للسرج (ان قال يا معاذ أحسن خلقك للناس) قال الطيبى أن قال خبر كان و حين وضعت ظرف قاله حين بعثه الى اليمن للقضاء أوصاه ليجامل الناس بحسن الخلق قال السيوطى تحسين خلقه أن يظهر لمن يجالسه أو ورد عليه البشر و الحلم و الاشفاق و الصبر على التعليم و التودد الى الصغير و الكبير و المراد بالناس من يستحق ذلك فأما أهل الكفر و الاصرار على الكبائر و التمادى على الظلم فلم يؤمر بتحسين الخلق لهم بل يؤمر بان يغلظ عليهم قلت قد يقال ان الرفق من جملة حسن الخلق فيمكن أن يعم جميع الخلق قال الله تعالى أدع الى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة الآية (رواه مالك ✱ و عن مالك بلغه) بتخفيف اللام و ضمير المفعول اليه و الفاعل قوله (ان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم) و هو يحتمل أن يكون متصلا عند مالك لكنه لم يذكر التابعى و لا الصحابى و أن يكون منقطعا بان ترك فيه راويان و هذا هو الظاهر و الا لذكر الصحابى فكان مرفوعا أو ذكر التابعى فكان مرسلا و قال الطيبى هذا يحتمل أن يكون متصلا و راوى مالك لم يذكر الاتصال و أن يكون مرسلا و ان لم يذكر مالك التابعى و لا الصحابى و قيل أنه منقطع قلت هذا كله احتمالات عقلية و كونه منقطعا هو الموافق للقواعد الحديثية اذ لا يقال فى غيره انه بلغه بل التحقيق انه من قبيل المعلق و فيه بحث طويل بينته فى شرح النخبة فى أصول الحديث (قال بعثت) بصيغة المفعول أى أرسلت الى الخلق (لاتمم حسن الاخلاق) بضم حاء و سكون سين أى الاخلاق الحسنة و الافعال المستحسنة و فى نسخة بفتحتين أى لان أجعل حسنها أحسنها قال البيضاوى و كانت العرب أحسن أخلاقا بما بقى عندهم من شريعة ابراهيم عليه السلام و كانوا ضلوا بالكفر عن كثير منها فبعث صلى‌الله‌عليه‌وسلم ليتمم محاسن الاخلاق ذكره السيوطى و التحقيق ما قدمناه فيما سبق و قال الطيبى قوله لاتمم الخ يحتمل أن يراد به أنه كملها بعد النقصان و انه جمعها بعد التفرقة و عليه قوله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قال الامام فخر الدين الآية دالة على فضله عليه الصلاة و السلام لانه تعالى أمره بالاقتداء بهداهم و لابد له من امتثاله لذلك الامر فوجب أن يجتمع فيه جميع خصائلهم و أخلاقهم المتفرقة و الى معنى الاول أشار صلى‌الله‌عليه‌وسلم بقوله مثلى و مثل الانبياء كمثل قصر أحسن بنيانه و ترك موضع لبنة منه الى أن قال فكنت أنا سددت موضع تلك اللبنة حتى تم بى البنيان اه و لا منع من الجمع بين القولين لانه صلى‌الله‌عليه‌وسلم كان فى مرتبة جمع الجمع الله يجمع بيننا فى المسير و اليه المصير (رواه) أى مالك (فى الموطأ) و تقدم ما فيه من المناقشة أو بصير التقدير رواه مالك عن مالك فكان حق المؤلف أن يقول كذا فى الموطأ (و رواه أحمد عن أبى هريرة) أى مرفوعا و فى الجامع انما بعثت لاتمم صالح الاخلاق رواه ابن سعد و البخارى فى الادب المفرد و الحاكم و البيهقى فى شعبه عن أبى هريرة ✱(وعن جعفر) أى الصادق (ابن محمد) أى الباقر (عن أبيه) تابعى أدرك جابرا و بلغه السلام من النبى صلى‌الله‌عليه وسلم (قال كان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا نظر) أى الى وجهه الشريف (فى المرآة) بكسر الميم (قال الحمد لله الذى حسن) بتشديد السين أى أحسن (خلقى و خلقى) بفتح الاول و ضم الثانى

و زان منى ما شان من غيرى رواه البيهقى فى شعب الايمان مرسلا ★ و عن عائشة قالت كان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول اللهم كما حسنت خلقى فاحسن خلقى رواه أحمد ★ وعن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ألا أنبئكم بخياركم قالوا بلى قال خياركم أطولكم أعمارا و أحسنكم أخلاقا رواه أحمد

و قدم الاول لظهوره أولا و نظرا الى الترقى (و زان) أى زين (منى) أى من خلقى و خلقى (ما شان) أى عابه و قبحه (من غيرى) سواء فى خلقه أو خلقه و فيه دلالة صريحة على أن صورته و سيرته على أتم الحسن بالنسبة الى غيره قال الطيبى فيه معنى قوله بعثت لاتمم حسن الاخلاق فجعل النقصان شينا كما قال أبو الطيب و لم أر فى عيوب الناس عيبا ★ كنقص القادرين على التمام و على نحو هذا الحمد حمد داود و سليمان عليهما الصلاة و السلام فى قوله تعالى و لقد آتينا داود و سليمان علما و قالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين و فيه استحباب النظر فى المرآة و الحمد على حسن الخلقة و الخلق لانهما نعمتان موهوبتان من الله تعالى يجب الشكر عليهما اه بقى ان معرفة حسن الظاهر من المرآة ظاهرة باعتبار المظاهر فما معنى ذكر الخلق و السيرة فانه أمر باطن و يمكن ان يقال ان الظاهر عنوان الباطن أو انه من باب الشئ بالشئ يذكر فان قلت فهل لغيره ان يقتدى به و يقول هذا الحمد أو هذا مختص به عليه الصلاة و السلام و يكون لغيره ان يدعو بما سيأتى فى الحديث الذى يليه قلت و يجوز لكل مؤمن ان يقول ذلك القول لان الانسان من حيث هو خلق على أحسن تقويم و صاحب الايمان لاشك أنه على خلق مستقيم و دين قويم و فوق كل ذى علم عليم (رواه البيهقى فى شعب الايمان مرسلا) و كذا رواه البزار عن أنس مرفوعا و لفظه الحمد لله الذى سوى خلقى و أحسن صورتى و زان منى ما شان من غيرى و فى رواية للطبرانى و ابن السنى عن أنس أيضا الحمد لله الذى سوى خلقى فعدله و صور صورة وجهى فاحسنها و جعلنى من المسلمين ★ (و عن عائشة قالت كان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول) أى مطلقا أو عند نظره الى المرآة على ما صرح به الجزرى فى الحصن و هو اللائق للحديث السابق (اللهم كما حسنت خلقى فاحسن خلقى) يحتمل أن يريد به طلب الكمال و اتمام النعمة عليه باكمال دينه قال تعالى اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتى و فيه اشارة الى قول عائشة رضى‌الله‌عنها كان خلقه القرآن و أن يكون قد طلب المزيد و الثبات على ما كان قلت طلب الثبات على ما كان بالنسبة اليه صلى‌الله‌عليه‌وسلم كتحصيل الحاصل الذى لايرضى به الكامل فالتحقيق أنه لطلب المزيد كما يفيده قوله تعالى و قل رب زدنى علما و قد صرح بعض العارفين بان الترقيات الباطنية لا تتناهى حتى فى الجنة لانها حاصلة من التجليات الالهية و هى لاتحصى و لعل فى قوله سبحانه للذين أحسنوا الحسنى و زيادة ايماء الى هذه الافادة (رواه أحمد) و كذا رواه الدارمى عن عائشة و ابن حبان عن ابن مسعود و لفظهما اللهم أنت حسنت خلقى فحسن خلقى و رواه البزار عن عائشة و أبى هريرة أيضا بلفظ اللهم كما حسنت خلقى فاحسن خلقى و حرم وجهى على النار ★ (وعن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم الا أنبئكم بخياركم قالوا بلى قال خياركم أطولكم أعمارا) أى فى الكمية أو الكيفية (و أحسنكم أخلاقا) أى الهية و انسانية أو عبر عن الاعمال بالاخلاق لانها منبعها و معدنها و لان مدارها فى الحسن و القبح عليها لقوله عليه السلام على ما رواه الطبرانى

✱ و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا رواه أبوداود و الدارمى ✱ و عنه ان رجلا شتم أبا بكر و النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم جالس يتعجب و يتبسم فلما أكثر رد عليه بعض قوله فغضب النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم فلحقه أبو بكر و قال يا رسول‌الله كان يشتمنى و أنت جالس فلما رددت عليه بعض قوله غضبت و قمت قال كان معك ملك يرد عليه فلما رددت عليه وقع الشيطان ثم قال يا أبا بكر ثلاث كلهن حق ما من عبد ظلم بمظلمة فيغضى

و أبو نعيم فى الحلية عن عبدالله بن بسر مرفوعا طوبى لمن طال عمره و حسن عمله قال الطيبى فيه اشارة الى ما قال صلى‌الله‌عليه‌وسلم فى جواب من سأله أى الناس خير قال من طال عمره و حسن عمله فقوله و أحسنكم أخلاقا كقوله و حسن عمله فى ارادة الجمع بين طول العمر و حسن الخلق (رواه أحمد ✱ و عنه) أى عن أبى هريرة (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا رواه أبوداود و الدارمى) و كذا أحمد و ابن حبان و الحاكم و زاد الترمذى و ابن حبان فى رواية و خياركم خياركم لنسائهم ✱(و عنه) أى عن أبى هريرة (ان رجلا شتم أبا بكر و النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم جالس) جملة حالية (يتعجب) أى من شتم الرجل و قلة حيائه أو من صبر أبى بكر و كثرة وفائه (و يتبسم) لما يرى من الفرق بين الشخصين و ما يترتب على فعلهما من العقوبة الكاملة و الرحمة النازلة و لما ظهر له من مظاهر الجلال و الجمال على ما هو مشهود أهل الكمال (فلما أكثر) أى الرجل فى مقاله (رد) أى أجاب (أبو بكر عليه) أى على الرجل (بعض قوله) عملا بالرخصة المجوزة للعوام و تركا للعزيمة المناسبة لمرتبة الخواص قال تعالى و الذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون و جزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا و أصلح فاجره على الله و قال عزوجل و ان عاقبتم فعاقبوا بمثل عوقبتم به و لئن صبرتم لهو خير للصابرين و هو رضى‌الله‌عنه و ان كان جمع بين الانتقام عن بعض حقه و بين الصبر عن بعضه لكن لما كان المطلوب منه الكمال المناسب لمرتبته من الصديقية ما استحسنه صلى‌الله‌عليه وسلم و هذا معنى قوله (فغضب النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم) أى تغير منه تغير الغضبان (و قام) أى من ذلك المجلس و خلاهما عملا بقوله تعالى و اذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه (فلحقه أبو بكر) أى معتذرا و مستفهما (و قال يا رسول‌الله كان) أى الرجل (يشتمنى) بضم التاء و يكسر (و أنت جالس فلما رددت عليه بعض قوله) أى من الشتم بعينه أو بما يناسبه (غضبت و قمت) يعنى فما الحكمة فى ذلك (قال كان معك ملك يرد عليه) أى بدلك و يدلك على الصبر (فلما رددت عليه) أى بذاتك و دخل فى حظ النفس (وقع الشيطان) أى و طلع الملك و الشيطان انما يأمر بالفحشاء و المنكر فخفت عليك ان تتعدى على خصمك و ترجع ظالما بعد ان كنت مظلوما و قد روى كن عبدالله المظلوم و لا تكن عبدالله الظالم و فى رواية كن خير ابنى آدم قال تعالى حكاية عن هابيل جوابا لقابيل لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لاقتلك مع انه يجوز له قتله دفعا عن نفسه و كان أقوى منه لكن اختار الطريق الاكمل ليكون من الفريق الكمل (ثم قال يا أبا بكر ثلاث) أى خصال (كلهن حق) أى ثابت و صدق (ما من عبد ظلم) بصيغة المجهول (بمظلمة) بكسر اللام على المشهور و قيل بفتحها أيضا و أنكره بعض و حكى الفراء الضم أيضا و فى المغرب المظلمة الظلم و اسم المأخوذ و فى القاموس الظلم وضع الشئ فى غير موضعه و المظلمة بكسر اللام ما يظلمه الرجل (فيغضى) من الاغضاء بالغين و الضاد

عنها لله عز وجل الا أعز الله بها نصره و ما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة الا زاد الله بها كثرة و ما فتح رجل باب مسئلة يريد بها كثرة الا زاد الله قلة رواه أحمد ★ و عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يريد الله باهل بيت رفقا الا نفعهم و لا يحرمهم اياه الا ضرهم رواه البيهقى فى شعب الايمان

★ (باب الغضب و الكبر) ★

المعجمتين و هو ادناء الجفون بمعنى الاغماض و المراد منه هنا الاعراض و فى نسخة فيعفى بالعين المهملة من الاعفاء و هو لغة فى العفو و المعنى فيسامح (عنها) أى عن تلك المظلمة و يترك جوابها أو المطالبة بها فى الدنيا أو مطلقا (لله عزوجل) أى لا لفخر و لا سمعة و رياء (الا أعز الله بها) أى بمقابلة تلك المظلمة و الاهانة أو بسبب تلك الخصلة المعانة (نصره) أى اعانته فى الدنيا و الآخرة (و ما فتح رجل باب عطية) أى صدقة (يريد بها صلة) أى صلة للرحم و القرابة أو وصلة للقربة و فى رواية باب عطية بصدقة أو صلة (الا زاد الله بها كثرة) أى بركة صورية و معنوية (و ما فتح رجل باب مسئلة) أى سؤال من مخلوق (يريد بها كثرة) أى لا دفع حاجة ضرورية نلجئه (الا زاد الله بها قلة) أى حسية أو حقيقية و فى رواية الا زاده الله تعالى فى الموضعين (رواه أحمد) و رواه ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب عن عبدالرحمن بن عوف و لفظه ثلاث أقسم عليهن ما نقص مال قط من صدقة فتصدقوا و لا عفا رجل عن مظلمة ظلمها الا زاده الله بها عزا فاعفوا يزيدكم الله عزا و لا فتح رجل على نفسه باب مسئلة يسأل الناس الا فتح الله عليه باب فقر و رواه أحمد و الترمذى عن أبى كبشة الانمارى و لفظه ثلاث أقسم عليهن ما نقص مال عبد من صدقة و لا ظلم عبد مظلمة صبر عليها الا زاده الله عزوجل عزا و لا فتح عبد باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر و أحدثكم حديثا فاحفظوه انما الدنيا لاربعة نفر عبد رزقه الله مالا و علما فهو يتقى فيه ربه و يصل فيه رحمه و يعلم لله فيه حقا فهذا بافضل المنازل و عبد رزقه الله علما و لم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول لو أن لى مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته فاجرهما سواء و عبد رزقه الله مالا و لم يرزقه علما يخبط فى ماله بغير علم لا يتقى فيه ربه و لا يصل فيه رحمه و لا يعلم لله فيه حقا فهذا باخبث المنازل و عبد لم يرزقه الله مالا و لا علما فهو يقول لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء ★(و عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يريد الله باهل بيت رفقا الا نفعهم) أى الله به (و لا يحرمهم) بفتح أوله و قيل بضمه أى و لا يمنع أهل بيت (اياه) أى الرفق (الا ضرهم) أى أضرهم الله به (رواه البيهقى فى شعب الايمان)

★ (باب الغضب و الكبر) ★

قال بـ المحققين الغضب فوران دم القلب أو عرض يتبعه ذلك لدفع المؤذيات و للانتقام بعد وقوعها فاطلاقه على الله كما فى حديث رواه الترمذى و غيره من لم يسأل الله يغضب عليه مجاز أى يفعل به ما يفعل الملك اذا غضب على من تحت يده من الانتقام و انزال العقوبة و أما الكبر فقال الراغب هو الحالة التى يتخصص بها الانسان من اعجاب نفسه بان يرى نفسه أكبر من غيره و أعظمه الامتناع عن قبول الحق عن الله تعالى و الاذعان للعبادة و الاستكبار على وجهين أحدهما أن يتحرى الانسان أن يصير كبيرا و ذلك متى كان على ما يجب فهو المحمود و الثانى أن يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له فهو المذموم كقوله أبى و استكبر و المتكبر أيضا على وجهين اما محمود و هو أن تكون أفعاله الحسنة كثيرة زائدة فى الحقيقة على محاسن

★ (الفصل الاول) عن أبي هريرة أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أوصني قال لا تغضب فردد ذلك مرارا قال لا تغضب رواه البخاري ★ وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة

غيره و على هذا وصفه الله تعالى بالمتكبر في قوله تعالى العزيز الجبار المتكبر أو مذموم وذلك اذا كان متكلفا متشبعا لذلك و هذا وصف عامة الناس نحو قوله تعالى فبئس مثوى المتكبرين و قال الغزالي الكبر ينقسم الى ظاهر و باطن فاذا ظهر على الجوارح يقال تكبر و اذا لم يظهر يقال في نفسه كبر فالاصل هو الخلق في النفس و هو الاسترواح و الركون الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فان الكبر يستدعي متكبرا عليه ليرى نفسه فوقه في صفات الكمال و متكبرا به و به يفصل الكبر عن العجب فان العجب لا يستدعي غير المعجب به بل لو لم يخلق الا وحده تصور أن يكون معجبا و لا يتصور أن يكون متكبرا

★ (الفصل الاول) ★ (عن أبي هريرة أن رجلا) هو ابن عمر أو حارثة بن قدامة أو سفيان ابن عبدالله (قال للنبي صلى الله عليه وسلم أوصني) أي أرشدني بخصوصي الى عموم ما ينفعني دينا و دنيا و يقربني الى الله زلفى (قال لا تغضب فردد) أي الرجل السؤال و هو المشار اليه بذلك على ما في بعض النسخ (مرارا) أي ثلاثا أو مرة بعد أخرى رجاء أن يضم معه أيصاء آخر (قال لا تغضب) قال بعض المحققين الغضب من نزغات الشيطان يخرج به الانسان عن حد الاعتدال صورة و سيرة حتى يتكلم بالباطل و يفعل المذموم شرعا و عرفا و ينوى الحقد و البغض و غير ذلك من القبائح التي كلها من أثر سوء الخلق بل قد يكفر و لهذا قال لا تغضب و أصر عليه مع الحاح السائل مريدا للزيادة أو التبديل فكأنه قال له حسن خلقك و هو من جوامع الكلم فالحديث من بدائع الكلم ثم علاجه معجون مركب من العلم و العمل بأن يرى الكل من الله و يذكر نفسه ان غضب الله أعظم و فضله أكثر و كم خالف أمره و لم يغضب عليه و يتعوذ و يتوضأ و يشغل نفسه بشئ قال التوربشتي قد كان صلى الله عليه وسلم مكاشفا باوضاع الخلق عارفا بأدوائهم يضع الهنا موضع النقب يأمرهم بما هو أولى بهم فلما استوصاه الرجل و قد رآه مملوأ بالقوة الغضبية لم ير له خيرا من أن يتجنب عن دواعي الغضب و يزحزح نفسه عنه و قال القاضي لعله صلى الله عليه وسلم لما رأى أن جميع المفاسد التي تعرض للانسان و تعتريه انما تعرض له من فرط شهوته و استيلاء غضبه و الشهوة مكثورة بالنسبة الى ما يقتضيه الغضب غير ملتفت اليها فلما سأله الرجل أن يشير اليه ما يتوسل به الى التجنب عن القبائح و التحرز عن مظانها نهاه عن الغضب الداعي الى ما هو أعظم ضررا و أكثر وزرا فان ارتفاع السبب يوجب ارتفاع مسبباته لامحالة قلت هو كلام حسن و بيان مستحسن الا ان التحقيق ان مدار الغضب على شهوة النفس فان الانسان لا يغضب غضبا مذموما الا بتوهم فوت شهوة له أو بعد تحقق فوتها و لهذا ترى كل من كان شهوته أكثر كالملوك و الامراء يكون غضبه أكبر و يجب عنه المحتز و يؤيده الحديث الذي يليه (رواه البخاري) و كذا أحمد و الترمذي عن أبي هريرة و أحمد و الحاكم عن حارثة ابن قدامة و رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب عن رجل و لفظه لا تغضب فان الغضب مفسدة و في رواية لابن أبي الدنيا و الطبراني عن أبي الدرداء لا تغضب و لك الجنة ★(و عنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد) أي القوي كامل القوة (بالصرعة)

انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب متفق عليه ✱ و عن حارثة بن وهب قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لابره ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر متفق عليه و فى رواية لمسلم كل جواظ زنيم متكبر

بضم ففتح كهمزة من يكثر الصرع و هو اسقاط المصارع له لانه قوة بدنية صورية نفسية فانية (انما الشديد) أى الكامل (الذى يملك نفسه عند الغضب) فانه قوة دينية معنوية الهية باقية فحول النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم معنى هذا الاسم من القوة الظاهرة الى الباطنة و من أمر الدنيا الى الدين و فى النهاية الصرعة بضم الصاد و فتح الراء المبالغ فى الصرع الذى لايغلب فنقله الى الذى يملك نفسه عند الغضب فانه اذا ملكها كان قد قهر أقوى أعدائه و شر خصومه و لذلك قال أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك و هذا من الالفاظ التى نقلها عن وضعها اللغوى بضرب من التوسع و المجاز و هو من فصيح الكلام لانه لما كان الغضبان بحالة شديدة من الغيظ و قد ثارت عليه شهوة الغضب فقهرها بحلمه و صرعها بثباته كان كالصرعة الذى يصرع الرجال و لايصرعونه (متفق عليه) و رواه الامام أحمد فى مسنده ✱ (و عن حارثة بن وهب) ذكره المؤلف فى الصحابة (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف) بالرفع على تقدير هو و فى نسخة بالجر على البدلية قال شارح معناه انه لايسقط الناس و الاظهر ان معناه أنه ليس بمتكبر جبار و يدل عليه قرينته الآتية فالحكم كلى لا غالبى على ما سيجىء و قوله (متضعف) بفتح العين و يكسر من باب التأكيد كجنود مجندة و القناطير المقنطرة و ظل ظليل و فائدة التاء الموضوع للطلب أن الضعف الحاصل فيه كانه مطلوب منه التذلل و التواضع مع اخوانه و ان كان قويا مترجلا مع أعدائه قال تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ففيه اشارة الى أن كل من كثر تواضعه مع المؤمنين يكون أعلى مراتب المقربين كما أن من يكون أكثر تكبرا و تجبرا يكون فى أسفل السافلين و قال النووى ضبطوه بفتح العين و كسرها و المشهور الفتح و معناه يستضعفه الناس و يحتقرونه و يتجرؤن عليه لضعف حاله فى الدنيا يقال تضعفه و استضعفه و أما على الكسر فمعناه متواضع متذلل خامل واضع من نفسه و المراد أن أغلب أهل الجنة هؤلاء كما أن معظم أهل النار القسم الاخير (لو أقسم على الله) أى فى فعل أو ترك (لابره) أى لامضاه على الصدق و جعله بارا غير حانث فى طلبه من الحق و قال الطيبى أى لو حلف يمينا طمعا فى كرم الله بابراره لابره (ألا أخبركم بأهل النار كل عتل) بضمتين فتشديد أى جاف شديد الخصومة بالباطل و قيل الجافى الفظ الغليظ (جواظ) بتشديد الواو أى جموع منوع أو مختال و قيل السمين من التنعم و قيل الفاجر بالجيم و قيل بالخاء (مستكبر) أى متكبر عن الحق أو على أهله (متفق عليه) و رواه ابن ماجه عن معاذ و لفظه ألا أخبركم عن ملوك الجنة رجل ضعيف مستضعف ذو طمرين لايؤبه له لو أقسم على الله لابره و رواه الطبرانى عن أبى الدرداء بلفظ ألا أخبركم باهل النار كل جعظرى جواظ مستكبر جماع منوع ألا أخبركم باهل الجنة كل مسكين لو أقسم على الله لابره (و فى رواية لمسلم كل جواظ زنيم متكبر) و الزنيم الدعى فى النسب الملصق بالقوم و ليس منهم تشبيها له بالزنمة و هى شئى يقطع من أذن الشاة و يترك معلقا بها ذكره الطيبى و هو المناسب للآية الواردة فى حق الوليد بن المغيرة و أضرابه و أما الحديث فينبغى أن يفسر بالمعنى الاعم و هو اللئيم المعروف

★ وعن ابن مسعود قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم لایدخل النار أحد فی قلبه مثقال حبة من خردل من ایمان و لایدخل الجنة أحد فی قلبه مثقال حبة من خردل من کبر رواه مسلم ★ و عنه قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم لایدخل الجنة من کان فی قلبه مثقال ذرة من کبر فقال رجل ان الرجل یحب أن یکون ثوبه حسنا و نعله حسنا

بلؤمه أو شره علی ما فی القاموس و یمکن أن یکون الزنیم کنایة عن هذا الوصف فانه لازمه غالبا و قد ورد فی حدیث رواه أحمد و غیره عن أبی هریرة ولد الزنا شر الثلاثة و فی روایة اذا عمل بعمل أبویه و أما حدیث ولد الزنا لایدخل الجنة فلا أصل له أصلا و الله أعلم ★(و عن ابن مسعود قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم لایدخل النار) أی دخول خلود (أحد فی قلبه مثقال حبة) أی مقدار وزن حبة (من خردل) قیل انه الحبة السوداء و هو تمثیل للقلة کما جاء مثقال ذرة (من ایمان) أی من ثمرته و هی أخلاقه المتعلقة بالباطن أو الظاهر الصادر من نور الایمان و ظهور الایقان فان حقیقة الایمان و هو التصدیق لیس قابلا للزیادة و النقصان فقول الطیبی فیه اشعار بان الایمان قابل للزیادة و النقصان صدر من غیر شعور بحقیقة الایقان و الاتقان فان الایمان لایتجزأ الا باعتبار تعدد المومن به و لاشک ان الایمان ببعض ما یجب الایمان به کلا ایمان نعم له شعب کثیرة خارجة عن حقیقته و ماهیته کالصلاة و الزکاة و سائر أحکام الاسلام الظاهرة و کالتواضع و الترحم و سائر الاخلاق الباطنة الباهرة و منه الحدیث الایمان بضع و سبعون شعبة و یدل علی ما ذکرناه قوله و الحیاء شعبة من الایمان فان الاجماع علی انه غیر داخل فی مفهوم الایمان و یدل علیه مقابلته بقوله (و لایدخل الجنة) أی مع السابقین (أحد فی قلبه مثقال حبة من خردل من کبر) فانه لانزاع ان الکبر المجرد لیس بکفر کما ان الکبر عن قبول الحق کفر اجماعا نعم الکفر قابل للزیادة و النقصان علی ما لایخفی ولذا قال تعالی الله ولی الذین آمنوا یخرجهم من الظلمات الی النور أی من أنواع ظلمات الکفر و الکفران الی النور أی نور التوحید و الایمان فمعنی الحدیث انه لایدخل الجنة مع الکبر بل یصفی منه و من کل خصلة مذمومة اما بالتعذیب أو بعفو الله ثم یدخل الجنة قال الخطابی للحدیث تأویلان أحدهما أن یراد بالکبر الکفر و الشرک الا تری انه قد قابله فی نقیضه بالایمان و ثانیهما ان الله تعالی اذا أراد أن یدخله الجنة نزع من قلبه ما کان فی قلبه من الکبر حتی یدخلها بلا کبر و غل فی قلبه. و قوله لایدخل النار یعنی دخول تابید و تخلید اه و أراد فی المعنی الثانی بالکبر التکبر علی الناس قال الطیبی الوجه الاول من باب المقابلة المعنویة و هو من أنفسها فانه أشار بالایمان الی ان الکبر من صفات الکافرین فیجب أن یجتنب عنه و بالکبر تلمیح الی ان التواضع من سمات المؤمنین فینبغی أن یرغب فیه و هو الوجه لان القصد الاولی فی سیاق الکلام و ایراده الی معنی الوصفین للترغیب فی أحدهما و التنفیر عن الآخر لا الی حکم الموصوفین و ان لزمه تبعا اه و هو غایة التحقیق و نهایة التدقیق (رواه مسلم ★ و عنه) أی عن ابن مسعود (قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم لایدخل الجنة من کان فی قلبه مثقال ذرة من کبر فقال رجل) هو معاذ بن جبل أو عبدالله بن عمرو بن العاص أو ربیعة بن عامر أقوال (ان الرجل) أی جنسه و المراد به الشخص (یحب أن یکون ثوبه حسنا و نعله حسنا) أی من غیر أن یراعی نظر الخلق و ما یترتب علیه من الکبر و الخیلاء و السمعة و الریاء و علامة صدقه ان یحب ذلک أیضا فی الخلاء ثم النعل

قال ان الله تعالى جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس رواه مسلم ★ (وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة و لايزكيهم و في رواية و لاينظر اليهم و لهم عذاب أليم شيخ زان و ملك كذاب و عائل مستكبر

ما وقيت به القدم و هي مؤنثة سماعية ذكرها ابن الحاجب في رسالته فيما يجب تأنيثه و في المشارق و نعله جسنة فالتذكير هنا باعتبار معناها و هو ما وقيت به القدم كذا ذكره بعضهم و يمكن أن يقال التقدير و نعله ذات حسن أو عدل عن فعلاء الى فعل للمشاكلة مع قابلية اللفظ أن يقرأ كذلك و لعل سبب السؤال ما ذكره الطيبي انه لما رأى الرجل العادة في المتكبرين لبس الثياب الفاخرة و نحو ذلك سأل ما سأل (قال) أي مجيبا له (ان الله جميل) أي في ذاته و صفاته و فعاله وكل جمال صوري أو جميل معنوي فهو أثر جماله فلا جمال و لا جلال و لا كمال الا له سبحانه (يحب الجمال) أي ظهوره في مخلوقاته و لذلك أظهرهم و جعلهم مظاهره و يؤيده حديث ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده (الكبر بطر الحق) بفتح الموحدة و المهملة أي الكبر المذموم بطلان جمال الحق (و غمط الناس) أي استحقار الخلق و أصل البطر شدة الفرح و النشاط و المراد هنا قيل سوء احتمال الغنى و قيل الطغيان عند النعمة و المعنيان متقاربان و في النهاية بطر الحق هو أن يجعل ما يجعله الله حقا من توحيده و عبادته باطلا و قيل هو أن يتجبر عند الحق فلايراه حقا و قيل هو أن يتكبر عن الحق فلايقبله قال التوربشتي و تفسيره على الباطل أشبه لما ورد في غير هذه الرواية انما ذلك من سفه الحق و غمص الناس اى رأى الحق سفها (رواه مسلم) و كذا الترمذي عن ابن مسعود و الطبراني عن أبي أمامة و الحاكم عن ابن عمرو و ابن عساكر عن جابر و عن ابن عمر و رواه البيهقي عن أبي سعيد بزيادة و يحب أن يرى أثر نعمته على عبده و يبغض البؤس و التباؤس و رواه ابن عدى بزيادة سخي يحب السخاء نظيف يحب النظافة ★ (و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة) أي اشخاص (لايكلمهم الله) أي كلام رضا أو مطلقا (يوم القيامة) أي وقت ظهور عدله و فضله و غضبه و رضاه (و لايزكيهم) أي لايثني عليهم بخلاف سائر المؤمنين أو لايطهرهم من دنس الذنوب بالعفو عنهم (و في رواية) بدلا عما قبله أو زيادة عليه و هو الظاهر (و لاينظر اليهم) أي نظر لطف و عناية و رحمة و رعاية (و لهم عذاب أليم) يحتمل أن يكون من تتمة الرواية و أن يكون عودا الى أصل الحديث و هو المعتمد كقوله (شيخ زان) لان الزنا اذا كان قبيحا من الشاب مع كونه معذورا طبعا فمن الشيخ المنطفىء شهوته المنتفي غلمته يكون أقبح و في نظر العقل أسمج (و ملك كذاب) أي كثير كذب أو ذو كذب بناء على ان الصيغة للمبالغة أو النسبة و الثاني أبلغ (وعائل مستكبر) أي فقير متكبر لان كبره مع انعدام سببه فيه من الجاه و المال يدل على كونه بالطبع قميما في الشرع و قيل المراد بالعائل ذو العيال فتكبره عن أخذ الصدقة قدر ما يسد خلته و خلة عياله لم يكن الا لاستيلاء هذه الرذيلة عليه بحيث يلحقه و عياله الضرر الشديد من تكبره قال الطيبي يعني الزنا قبيح و من الشيخ أقبح و الكذب سمج و من الملك أسمج و التكبر مذموم و من الفقير أذم اه و يمكن أن يقال المراد بالشيخ المحصن سواء يكون شابا أو لا و لكون الزنا أقبح منه شرعا و عرفا وجب فيه الرجم كما في الآية المنسوخة الشيخ و الشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله و الله عزيز حكيم و المراد بالملك الغني فان الفقير قد يكذب لغرض فاسد من

رواه مسلم ★ و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول الله تعالى الكبرياء ردائى و العظمة ازارى فمن نازعنى واحدا منهما أدخلته النار و فى رواية قذفته فى النار رواه مسلم

منفعة دنيوية ضرورية و الغنى لايحتاج اليه مطلقا فالكذب منه أقبح . و المراد بالفقير الذى يتكبر على الفقراء لان التكبر على المتكبرين من الاغنياء صدقة و الاظهر ان المراد به الفقير المتكبر عن الكسب و الكد لنفسه و عياله مع القدرة عليه كما هو مشاهد فى أهل زماننا و لاشك ان هذا التكبر المتضمن للرعونة و الريا و السمعة مع اضرار النفس و ارتكاب السؤال و أخذ المال من غير وجه حلال أقبح من تكبر الاغنياء لاسيما اذا كان يتكلف و يتزيا بزى الاكابر كبعض الفقهاء القائلين بان الحلال ما حل بنا و ان الحرام ما حرمنا فان العلل المركبة داء عضال يعجز عنه الحكماء و ان بلغوا مبلغ الكمال (رواه مسلم) و فى الجامع بلفظ ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة ولايزكيهم و لهم عذاب أليم شيخ زان و ملك كذاب و عائل مستكبر ★ (و عنه) أى عن أبى هريرة (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول الله تعالى الكبرياء) أى الذاتى (ردائى) أى بمنزلته عندكم (و العظمة) أى الصفاتى (ازارى) أى فى مرتبته لديكم فان رتبة الصفة دون رتبة الذات و لذا خص التكبير بكونه تحريمة للصلاة فى القيام لله تعالى و التعظيم بالركوع المندوب فيه سبحان ربى العظيم و منه التعظيم لامر الله و حقيقته ترك الاشتغال بما سواه فالتركيب نوع من التشبيه البليغ والمعنى انهما مختصان بى اختصاصا ظاهرا كنسبة الثوبين اليكم حيث لايمكن المنازعة فى واحد منهما لاحد عليكم فاذا عرفتم ذلك و علمتم ما هنالك (فمن نازعنى واحدا منهما) أى من الوصفين بان تكبر باعتبار ذاته أو تعظم من حيثية صفاته و اراد نوعا من المشاركة معى فى نعوت ذاتى و صفاتى (أدخلته النار) أى نار العذاب و عقاب الحجاب فانه جزاء الكافرين و بئس مثوى المتكبرين (و فى رواية قذفته) أى رميته من غير مبالاة به (فى النار) هذا مجمل المرام فى هذا المقام و أما تفصيله ففى النهاية الكبرياء و العظمة الملك و قيل هى عبارة عن كمال الذات و كمال الوجود و لايوصف بها الا الله تعالى و هو من الكبر بالكسر و هو العظمة ويقال كبر بالضم يكبر أى عظم فهو كبير اه و قيل ان الكبرياء و الكبر و العظمة الفاظ مترادفة متحدة المعنى و لم يتعرض معظمهم للفرق و لابد من الفرق اذ الاصل عدم الترادف و لما يقتضيه المقام من الفرق فى مرتبة الجمع قال الامام فخر الدين الرازى جعل الكبرياء قائما مقام الرداء و العظمة قائمة مقام الازار ومعلوم ان الرداء أرفع درجة من الازار فوجب أن يكون صفة الكبرياء أرفع حالا من صفة العظمة ثم قال يشبه أن يكون متكبرا فى ذاته سواء استكبره غيره أم لا و سواء عرف هذه الصفة أحد أم لا و أما العظمة فهى عبارة عن كونه بحيث يستعظمه غيره و اذا كان كذلك كانت الصفة الاولى ذاتية و الثانية اضافية و الذاتى أعلى من الاضافى اه و أطنب الطيبى فى توجيه قول الفخر و توضيحه ثم قال و قد عرفت ما قيل ان الكبر هو الاعراض عن الحق و تحقير الناس فالتواضع هوالاذعان للحق و توقير الناس وهو المعنى بقوله التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فالمعنى من تكبر على الله و على الخلق ابتلاه الله تعالى فى الدنيا بالذل و الهوان و فى الآخرة بقذفه فى أقصى دركات النيران و من تواضع لله مع الخلق رفع الله درجته فى الدنيا و الآخرة (رواه مسلم) و كذا أحمد و أبوداود و ابن ماجه عن أبى هريرة و ابن ماجه أيضا عن ابن عباس و رواه الحاكم عن أبى هريرة مختصرا بلفظ الكبرياء ردائى فمن نازعنى ردائى قصمته

★ (الفصل الثانى) ★ عن سلمة بن الا كوع قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لايزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب فى الجبارين فيصيبه ما أصابهم رواه الترمذى ★ وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال يحشر المتكبرون أمثال الذر يوم القيامة فى صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان

و رواه سمويه عن أبى سعيد و أبى هريرة بلفظ الكبرياء ردائى والعز ازارى من نازعنى فى شئى منهما عذبته ★ (الفصل الثانى) ★ (عن سلمة بن الا كوع) صحابى مشهور (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم لايزال الرجل يذهب بنفسه) قال المظهر و غيره الباء للتعدية أى يعلى نفسه و يرفعها و يبعدها عن الناس فى المرتبة و يعتقدها عظيمة القدر أو للمصاحبة أى يرافق نفسه فى ذهابها الى الكبر و يعززها و يكرمها كما يكرم الخليل الخليل حتى تصير متكبرة و فى أساس البلاغة يقال ذهب به مر به مع نفسه قلت و من قبيل الاول قوله تعالى ذهب الله بنورهم أى أذهب نورهم و خلاصة المعنى أنه لايزال يذهبها عن درجتها و مرتبتها الى مرتبة أعلى و هكذا (حتى يكتب) أى اسمه أو يثبت رسمه (فى الجبارين) أى فى ديوان الظالمين و المتكبرين أو معهم فى أسفل السافلين (فيصيبه) بالنصب و قيل بالرفع أى فينال الرجل من بليات الدنيا و عقوبات العقبى (ما أصابهم) أى الجبارين كفرعون و هامان و قارون (رواه الترمذى ★ و عن عمرو بن‌شعيب عن أبيه عن جده عن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال يحشر المتكبرون أمثال الذر) أى فى الصغر والحقارة (يوم القيامة فى صور الرجال) أى من جهة وجوههم أو من حيثية هيئتهم من انتصاب القامة (يغشاهم) أى يأتيهم (الذل من كل مكان) أى من كل جانب و المعنى انهم يكونون فى غاية من المذلة و النقيصة يطؤهم أهل المحشر بارجلهم من هوانهم على الله كما سيأتى فى رواية الجامع هذا و فى النهاية الذر النمل الاحمر الصغير واحدها ذرة و قيل الذرة يراد بها ما يرى فى شعاع الشمس الداخل فى النافذة قلت نعم قد يراد بها بل الظاهر أنه المراد فى قوله و من يعمل مثقال ذرة كما أنه المراد جزما فى قوله تعالى ان الله لايظلم مثقال ذرة و أما أرادة هذا المعنى فى هذا المقام فغير صحيح لقوله فى صور الرجال و ما فيه من المقال قال التوربشتى يحمل ذلك على المجاز دون الحقيقة أى أذلاء مهانين يطؤهم الناس بارجلهم و انما منعنا عن القول بظاهره ما أخبرنا به الصادق المصدوق صلى‌الله‌عليه‌وسلم أن الاجساد تعاد على ما كانت عليه من الاجزاء حتى انهم يحشرون غرلا يعاد منهم ما انفصل عنهم من القلفة و الى هذا المعنى أشار بقوله يغشاهم الذل من كل مكان قال الاشرف انما قال فى صور الرجال بعد قوله أمثال الذر قطعا منه حمل قوله أمثال الذر على الحقيقة و دفعا لوهم من يتوهم أن المتكبر لايحشر فى صورة الانسان و تحقيقا لاعادة الاجساد المعدومة على ما كانت عليه من الاجزاء و قال المظهر يعنى صورهم صور الانسان و جثتهم كجثة الذر فى الصغر قال الطيبى لفظ الحديث يساعد هذا المعنى لان قوله أمثال الذر تشبيه لهم بالذر و لابد من بيان وجه الشبه لانه يحتمل أن يكون وجه الشبه الصغر فى الجثة و أن يكون الحقارة و الصغار فقوله فى صور الرجال بيان للوجه و دفع وهم من يتوهم خلافه و أما قوله أن الاجساد تعاد على ما كانت عليه من الاجزاء فليس فيه أن لاتعاد تلك الاجزاء الاصلية فى مثل الذر لانه تعالى قادر عليه و فيه الخلاف المشهور بين الاصوليين و على هذا الحقارة ملزوم هذا التركيب فلاينافى ارادة الجثة مع الحقارة اه و فيه أنه لا كلام فى قدرته تعالى على كل شئى و انما الكلام فى أنه

هل تعلق القدرة به أم لا و اذا صح فى الخبر أن الخلق كلهم يحشرون غرلا فلاشك أنه لابد من تحقق اعادة جميع الاجزاء الاصلية من المتصلة و المنفصلة كالاظفار المقلوعة و الشعور المحلوقة و أمثال ذلك تصديقا لكلام الشارع و تحقيقا لما أخبره به و حصول هذا كله فى ذرة من المحالات العقلية و نفيه يعتبر فى القواعد النقلية منها قوله تعالى و لايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط فان المراد به أن دخول الكفار الجنة من المحال الذى لايقع أبدا كوجود الجمل فى سم الخياط اذا عرفت هذا علمت أن الشيخ التوربشتى عدل عن الحقيقة الى المجاز للضرورة الملجئة له اليه لكن يأباه ما فى سياق الحديث على ما حققه بقية الشراح فالتحقيق ان الله يعيدهم عند اخراجهم من قبورهم على أكمل صورهم و جمع أجزائهم المعدومة تحقيقا لوصف الاعادة على وجه الكمال ثم يجعلهم فى موقف الجزاء على الصورة المذكورة اهانة و تذليلا لهم جزاء وفاقا أو يتصاغرون من الهيبة الالهية عند مجيئهم الى موضع الحساب و ظهور أثر العقوبة السلطانية التى لو وضعت على الجبال لصارت هباء منثورا و قد ثبت تبديل صور أهل جهنم على أشكال مختلفة و صور متباينة كصور الكلاب و الخنازير و الحمير بحسب ما يليق بصفاتهم و حالاتهم و قد تكبر جثتهم حتى يكون ضرس الكافر كجبل أحد على ما ورد فى الحديث و كذا تغيير صور أهل الجنة من السواد الى البياض و من القصر الى الطول المعتدل و من الكبر الى السن المتوسط و جعلهم جردا مردا مكحلين و أمثال ذلك و به يزول الاشكال و الله أعلم بحقيقة الحال و يدل على ما قررنا أن تبديلهم انما هو فى آخر أمرهم قوله بطريق الاستئناف البيانى أو على الحال التبانى (يساقون) بضم القاف أى يسحبون و يجرون (الى سجن) أى مكان حبس مظلم مضيق منقطع فيه عن غيره (يسمى) أى ذلك السجن (بولس) بفتح موحدة و سكون واو و فتح لام و سين مهملة و فى بعض النسخ بضم أوله ففى القاموس بولس بضم الباء و فتح اللام سجن جهنم و قال المنذرى هو بضم الموحدة و سكون الواو و فتح اللام ذكره ميرك و قال شارح بفتح الموحدة و فتح اللام و كسرها فوعل من الابلاس بمعنى الياس سمى به ليأس داخله من الخلاص و فى النهاية هكذا جاء فى الحديث مسمى ذكره الطيبى من غير تعرض لضبطه فالاعتماد على ما ذكره المنذرى و صاحب القاموس أولى من كلام غيرهما لجلالتهما فى علم الحديث و الله أعلم (تعلوهم) أى تحيط بهم و تغشاهم كالماء يعلو الغريق (نار الانيار) أى نار النيران قال شارح أنيار جمع نار كانياب جمع ناب و فيه أن الناب يائى و النار واوى ولذا لم يذكر أنيار فى القاموس لكونه شاذا و القياس الانوار الا أنه قيل الانيار لئلايشتبه بجمع النور قال القاضى و اضافة النار اليها للمبالغة كان هذه النار لفرط احراقها و شدة حرها تفعل بسائر النيران ما تفعل النار بغيرها أقول أو لانها أصل نيران العالم لقوله تعالى الذى يصلى النار الكبرى و لقوله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم على ما ذكره البيضاوى و فى النهاية قوله نار الانيار لم أجده مشروحا و لكن هكذا يروى فان صحت الرواية فيحتمل أن يكون معناه نار النيران فجمع النار على انيار و أصلها أنوار لانها من الواو كما جاء فى ريح وعيد أرياح و أعياد و هما من الواو ذكره الطيبى و لم يبين وجههما و توجيهه ما قدمناه من مخافة الالتباس فان الاعواد بمعنى الاخشاب و الارواح جمع الروح (يسقون) بصيغة المجهول

من عصارة أهل النار طينة الخبال رواه الترمذى ★ و عن عطية بن عروة السعدى قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان الغضب من الشيطان و ان الشيطان خلق من النار و أنما تطفأ النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ

و فيه اشارة الى الاكراه و ايماء الى زيادة الاحراق المؤثر الى بطونهم أيضا (من عصارة أهل النار) أى صديدهم المنتن المحمى غاية الحرارة المعبر عنه بحميم (طينة الخبال) تفسير لما قبله و هو بفتح الخاء بمعنى الفساد قال شارح هو اسم عصارة أهل النار و هو ما يسيل منهم من الصديد و القيح و الدم (رواه الترمذى) و أخرج عبدالله بن أحمد فى زوائد الزهد عن أبى هريرة عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال يجاء بالجبارين و المتكبرين رجال فى صور الذر يطؤهم الناس من هوانهم على الله حتى يقضى بين الناس ثم يذهب بهم الى نار الانيار قيل يا رسول‌الله و ما نار الانيار قال عصارة أهل النار ذكره السيوطى فى البدور السافرة فى أحوال الآخرة ★(و عن عطية ابن عروة السعدى) منسوب الى سعد و لم يذكره المؤلف فى أسمائه (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم ان الغضب من الشيطان) أى من أثر وسوسته (و ان الشيطان خلق من النار) قال تعالى و الجان خلقناه من قبل من نار السموم و قال خلقتنى من نار و هذا دليل على انه من الجن لان الملائكة خلقوا من النور و معنى خلقه منها ان عنصره النارى غالب على سائر أجزائه بخلاف الانسان (و انما يطفأ) بصيغة المجهول مهموزا أى يدفع (النار) أى الحسية (بالماء) أى الحقيقى (فاذا غضب أحدكم) أى و اشتعلت نار غضبه من جوفه و يريد احراق المغضوب عليه بنوع من عذابه (فليتوضأ) فان الوضوء مركب معجون من الماء الحسى و المطهر المعنوى المؤثر فى الظاهر و الباطن و هذا من طب الانبياء الذى غفلوا عنه الحكماء و أغرب الطيبى حيث أخرج الحديث عن حقيقته الاصلية من غير باعث من الامور النقلية و العقلية فقال أراد ان يقول اذا غضب أحدكم فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم فان الغضب من الشيطان فصور حالة الغضب و منشاه ثم الارشاد الى تسكينه فأخرج الكلام هذا المخرج ليكون أجمع و أنفع و للموانع أزجر و هذا التصوير لايمنع من اجرائه على الحقيقة لانه من باب الكناية اه و الصواب ان الاستعاذة علاج آخر مستقل كما ورد به الاثر على ما ذكره الجزرى فى الحصن حيث قال و من غضب فقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد و نسبه الى البخارى و مسلم و أبى داود و النسائى عن سليمان بن صرد و هو مقتبس من قوله تعالى و اما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله و رواه ابن عدى فى الكامل عن أبى هريرة بلفظ اذا غضب الرجل فقال أعوذ بالله سكن غضبه و جملة الامر أن هذا علاج قولى سهل التناول و الحصول و الوضوء معالجة فعلية صعب الوصول لاسيما و الوضوء مقدمة للصلاة فهو بمنزلة المعجون المسهل المخرج للمواد الفاسدة من أصلها و أما مجرد الاستعاذة فهو بمنزلة الاستفراغ لتخلية المعدة من آثار التخمة و حاصله ان الحكيم الكامل يدرج فى المعالجة و يعلم مزاج كل صاحب علة بما يوافقه و يناسبه من خواص الاشياء المفردة و المركبة و أنواع الغضب كالامراض المختلفة فعلى العليل ان يسلم تسليما و يجعل نفسه بين يدى الطبيب الحبيب الكامل كالميت بين يدى الغاسل و خلاصة الكلام انه اذا أحس بالغضب فليتعوذ بالله أولا ثم اذا رأى انه ما يزول به يقوم و يتوضأ و يصلى ركعتين لله تعالى فانه دواء صبر كريه على الطبع الشيطانى و المزاج النفسانى بل هو كعروق السوس يخرج كل

رواه أبوداود ★ و عن أبي ذر ان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال اذا غضب أحدكم و هو قائم فليجلس فان ذهب عنه الغضب و الا فليضطجع رواه أحمد و الترمذى ★ و عن أسماء بنت عميس قالت سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول بئس العبد عبد تخيل و اختال و نسي الكبير المتعال بئس العبد عبد تجبر و اعتدى و نسي الجبار الاعلى بئس العبد عبد سهى و لهى

مرض مدسوس قال تعالى استعينوا بالصبر و الصلاة و انها لكبيرة الا على الخاشعين (رواه أبوداود) و كذا أحمد ★(و عن أبي ذر ان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال اذا غضب أحدكم) أى ظهر أثر غضبه على أحد (و هو قائم فليجلس) لان المعالجة بالاضداد و القوة الغضبية الناشئة من الوسوسة الشيطانية تقتضى الخفة و التعلية التى من خواص النار و القيام لاجل الانتقام فمخالفته بالجلوس المشير الى القعود عن الفتنة نافعة جدا (فان ذهب عنه الغضب) أى أثر حرارته و قوة مرارته بالجلوس فيها و نعمت (و الا) أى و ان لم يذهب به (فليضطجع) مبالغة فى المعالجة المذكورة مع ما فيه من الاشارة الى رجوع الانسان الى مأخذه من التربة المناسبة للتواضع فى مقابلة عمل الشيطان بمقتضى جبليته من الشعلة النارية المقتضية للتكبر و كل شئ يرجع الى أصله هذا و فى شرح السنة انما أمره بالقعود و الاضطجاع لئلايحصل منه فى حال غضبه مايندم عليه فان المضطجع أبعد من الحركة و البطش من القاعد و القاعد من القائم و قال الطيبي لعله أراد به التواضع و الخفض لان الغضب منشؤه التكبر و الترفع قلت لا منع من الجمع فان كلامه صلى‌الله‌عليه‌وسلم منبع الحكم و الله أعلم ثم يحتمل أن يكون هذا الصنيع منه قبل الوضوء و هو الظاهر و أن يكون بعده ان لم يذهب الغضب و الله أعلم بالسرائر (رواه أحمد و الترمذى) و كذا أبوداود و ابن حبان فى صحيحه ★(و عن أسماء بنت عميس) بالسين المهملة مصغرا و قد تقدمت ترجمتها (قالت سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول بئس العبد) لم يقل بئس الرجل أو المرء تنبيها على ان الاوصاف الآتية ليست من مقتضيات العبدية و لا من نعوت العبودية (عبد تخيل) أى تكبر و تجبر (و اختال) أى تمايل و تبختر من الخيلاء و هو الكبر و العجب بالجاه و المال و الجمال و العلوم و الاعمال و الاحوال و توهم الكمال حيث يخيل له انه وصل الى الكمال قال التوربشتى أى تخيل له انه خير من غيره و اختال أى تكبر (و نسي الكبير المتعال) بحذف الياء مراعاة للفاصلة و هو لغة فى المنقوص المعرف و عليه قراءة الجمهور فى قوله تعالى عالم الغيب و الشهادة الكبير المتعال و أثبته ابن كثير فى الحالين و معنى الكبير على الشان جلي البرهان و المتعالى أى عن الاشباه و الاضداد و الانداد أى نسي ان الكبرياء و التعالى ليس الا لله تعالى أو نسي محاسبته و معاتبته و معاقبته فى العقبى حيث لم يراع مراقبته فى الدنيا بالتقوى (بئس العبد عبد تجبر) أى قهر على المظلومين (و اعتدى) أى تجاوز على المساكين أو تجاوز قدره و ما راعى حكم ربه و أمره (و نسي الجبار الاعلى) أى القهار الذى فوق عباده الغالب على أمره (بئس العبد عبد سهى و لهى) حقهما أن يكتبا بالالف لانهما واويان مأخوذان من السهو و اللهو و فى كثير من النسخ بالياء فلعله للمشاكلة اللفظية فى الفواصل السجعية و معنى سها أى صار غافلا عن الحق و الطاعة و الا فسائر الانبياء و عامة الصلحاء قد سهوا و منه قوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون قال بعض العارفين الحمد لله لم يقل فى صلاتهم و الا كان الويل كل الويل على الكل فى اليوم و الليل و لها أى اشتغل باللهو و اللعب و منه قوله تعالى ألهاكم التكاثر و خلاصتهما

و نسى المقابر و البلى بئس العبد عبد عتا و طغى و نسى المبتدأ و المنتهى بئس العبد عبد يختل الدنيا بالدين بئس العبد عبد يختل الدين بالشبهات بئس العبد عبد طمع يقوده بئس العبد عبد هوى يضله بئس العبد عبد رغب

أنه سها عن أمور الدين الرضية و لها بأمر الدنيا الدنية (و نسى المقابر) أى أهلها بالتذكر و العبرة بهم أو بذكرهم على سبيل الرحمة عليهم و زيارتهم . و ذكر المقابر كناية عن الموت أى نسى الموت بعدم الاستعداد له وكفى بالموت واعظا أو نسى مرجع الاحياء من أماكن الاموات و ما يحصل لهم فيها من الوحشة و الظلمة و الغربة و الضيق و غيرها مما يعسر ضبطها و حصرها (و البلى) بكسر الموحدة و هو تفتت الاعضاء و تشتت الاجزاء الى ان تصير رميما و رفاتا (بئس العبد عبد عتا) من العتو أى أفسد (و طغى) من الطغيان أى تجاوز عن الحد و قيل معناهما واحد و أتى بهما تأكيدا أو الثانى تفسيرا و أتى به للفاصلة (و نسى المبتدأ و المنتهى) بصيغة المفعول قال الاشرف أى نسى ابتداء خلقه و هو كونه نطفة و انتهاء حاله الذى يؤل اليه و هو صيرورته ترابا أى من كان ذلك ابتداءه و يكون انتهاؤه هذا جدير بان يطيع الله تعالى فيما بينهما و قيل المراد بهما الله أى نسى الذى صدر ابتداء وجوده منه و لابد من انتهاء رجوعه اليه فترك مراعاة أمره أولا و محافظة نهيه آخرا (بئس العبد عبد يختل) بكسر التاء أى يطلب (الدنيا بالدين) أى بعمل الآخرة من ختله اذا خدعه كذا فى النهاية و المعنى يخدع أهل الدنيا بعمل الصلحاء ليعتقدوا فيه و ينال منهم مالا أو جاها من ختل الذئب الصيد خدعه و خفى له قال القاضى ختل الصائد اذا مشى للصيد قليلا قليلا لئلا يحس به شبه فعل من يرى ورعا و دينا ليتوسل به الى المطالب الدنيوية بختل الذئب الصائد (بئس العبد عبد يختل الدين) أى يفسده (بالشبهات) بضمتين و بفتح الثانية (بئس العبد عبد طمع) أى له طمع أو ذو طمع أو وصف بالمصدر مبالغة و لو قرىء باضافة العبد لاستقام من غير تكلف و قوله (يقوده) أى يسحبه الطمع عن وجهة المولى الى جهة السوى و من الغرائب ما حكى عن السيد الشاذلى قدس سره أنه سئل عن علم الكيمياء فقال هو كلمتان اطرح الخلق عن نظرك و اقطع طمعك عن الحق أن يعطيك غير ما قسم لك و من هذا القبيل حديث القناعة مال لاينفد على ما رواه القضاعى عن أنس (بئس العبد عبد هوى يضله) قال الاشرف كانه من كثرة الطمع و الهوى اللازمين للعبد وشدة اتصالهما به أطلق نفس الطمع و الهوى عليه و ان كانا قائمين به و تقديره ذو طمع يقوده و ذوهوى يضله ويمكن أن يجعل قوله طمع فاعل يقوده و هوى فاعل يضله مقدمين على فعلهما على مذهب الكوفيين و قال الشاعر

صددت فاطولت الصدود و قلما ★ وصال على طول الصدود يدوم

أى قلما يدوم وصال على الصدود و قال الطيبى الوجه الثانى أقرب من الاول لما يلزم منه وصف الوصف لان قوله يقوده على هذا صفة طمع و هو صفة عبد و الاشبه أن يكون طمع مبتدأ و يقوده خبره أى طمع عظيم يقوده نحو شر أهر ذا ناب و الجملة صفة عبد قلت هذا مراعاة للمبنى و غفلة عن المعنى فان الذم مترتب على مطلق الطمع الذى يقوده الى الهوى و كذا حكم الهوى على ما لايخفى (بئس العبد عبد رغب) بضم الراء و فتحها و بفتحات ففى القاموس رغب فيه كسمع رغبا و يضم و رغبة أراده و اليه رغبة محركة و فى المشارق الرغب بسكون الغين و فتحها و بضم الراء و فتحها و فى نسخة بالاضافة و اقتصر عليها القاضى كما سيأتى و هو يؤيد جواز كونها

يذله رواه الترمذى و البيهقى فى شعب الايمان و قالا ليس اسناده بالقوى و قال الترمذى أيضا هذا حديث غريب

★ (الفصل الثالث) ★ عن ابن عمر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ما تجرع عبد افضل عند الله عزوجل من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله تعالى رواه أحمد ★ و عن ابن عباس فى قوله تعالى ادفع بالتى هى أحسن قال

فيما قبلها من الوصفين أيضا وقال ابن الملك هو بضم‌الراء و سكون الغين المعجمة الشره والحرص على الدنيا و قيل الرغب سعة الامل و طلب الكثير و يروى بفتح الراء بمعنى الرغبة فى الدنيا و قوله (يذله) أى يجعله ذليلا قال الامام التوربشتى الرواية عندى بفتح الغين أى مذلة الرغبة فى الدنيا و من الناس من يقوم الرغب بضم الراء و هو الشره يقال الرغب شؤم و لعل الاصل فيه السعة يقال جوف رغيب أى واسع فكنى به عن الحرص و الشره كذا ذكره شارح و فى القاموس الرغب بضم و بضمتين كثرة الاكل و شدة النهم و فعله ككرم فهو رغيب ككريم قال القاضى و اضافة العبد للاهانة كقولهم عبد البطن لان مجامع همته و اجتهاده مقصورة عليه عائدة اليه اه و لايخفى ان تكرار جملة الذم فى صدر الجمل المذكورة و النعوت المسطورة للاشعار بان كل واحدة من الصفات مستقلة فى استحقاق ذم فاعلها و ان مراعاة السجع من غير تكلف الطبع غير مكروهة فى الشرع (رواه الترمذى و البيهقى فى شعب الايمان و قالا) أى كلاهما (ليس اسناده بالقوى) قال التوربشتى رواه الترمذى باسناد له عن هاشم بن سعيد الكوفى و قد ذكره ابن عدى فى كتابه و قال عامة ما يرويه لايتابع عليه قلت قد وجد لهذا الحديث متابع فانه رواه الطبرانى و البيهقى عن نعيم بن همار و رواه الحاكم أيضا فى مستدركه عن أسماء بنت عميس و لاشك أن كثرة الطرق تقوى الضعيف و تجعله حسنا لغيره و به يتم المقصود و الله أعلم (و قال الترمذى أيضا) أى مع قوله أنه ليس بقوى (هذا حديث غريب) و أنت تعرف أن الغرابة لاتنافى الصحة و الحسن غايته أن الحديث ضعيف و هو يعمل به فى فضائل الاعمال اتفاقا ففى المواعظ ينبغى أن يكون بالاولى

★ (الفصل الثالث) ★ (عن ابن عمر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ما تجرع عبد أفضل) أى تجرعا أفضل (عند الله من جرعة غيظ يكظمها) بكسر الظاء أى يبلعها و يمنعها من اظهارها مع كثرتها و ملء باطنه منها من كظم القربة ملأها و شد فمها على ما فى أساس البلاغة و فى رواية الجامع كظمها بصيغة الماضى (ابتغاء وجه الله تعالى) أى طلبا مرضاته لا لغرض آخر ولا لعجز عن أمضائها (رواه أحمد) و كذا الطبرانى ★ (و عن ابن عباس فى قوله تعالى ادفع) أى السيئة لدلالة ما قبله عليه و هو قوله سبحانه و لاتستوى الحسنة و لا السيئة ادفع (بالتى) أى بالخصلة التى (هى أحسن) فيه مبالغة عظيمة حيث عدل عن الحسنة الى الاحسن مع الرخصة المفهومة من قوله عزوجل و جزاء سيئة سيئة مثلها أو المراد انها أحسن من مجازاة السيئة بالسيئة فانها حسن و انما سميت سيئة فى الآية للمشاكلة أو بالنسبة و الاضافة الى الاحسن و الله أعلم و ما بعدها فاذا الذى بينك و بينه عداوة كأنه ولى حميم و ما يلقاها الا الذين صبروا و ما يلقاها الا ذو حظ عظيم و أما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله أنه هو السميع العليم ففى الآية أشارة الى أن العمل بها أكمل الاخلاق الانسانية التى يعجز عنها أكثر الافراد البشرية (قال) أى ابن عباس بيانا

الصبر عند الغضب و العفو عند الاساءة فاذا فعلوا عصمهم الله و خضع لهم عدوهم كأنه ولى حميم قريب رواه البخارى تعليقا ✶ و عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغضب ليفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل. ✶ و عن عمر قال و هو على المنبر يا أيها الناس

للخصلة (الصبر عند الغضب) قيل المراد به غضب الغير فانه سيئة منه فيقابله بالصبر الذى هو أحسن من مجازاته بالغضب و يمكن أن يكون المعنى أنه يصبر عند أثر ظهور الغضب فان كظم الغيظ أحسن من امضائه (و العفو) أى عن المسئ (عند الاساءة) أى وقت تحققها و الواو بمعنى أو فان كلا منهما من افراد الخصلة التى هى أحسن و كانه رضى الله عنه مثل بأقل المطلوب من السالك و الا فالسادة الصوفية على المجازاة بأحسن ما يتصور له من أنواع الاحسان اليه من التواضع و تقبيل اليد و الرجل و امثال ذلك و بأعطاء البر المالى من قليل أو كثير و أقل المراتب أن يحلله و يدعو له بالتوبة و الهداية و زاد بعضهم الوعد له بالشفاعة يوم القيامة و هذه كلها خوارق عادات تطوى ببساط كرامات ربما يكون تحتها غرور فى بدايات أو نهايات ولذا قالوا الاستقامة خير من ألف كرامة و قد ورد شيبتنى سورة هود فقيل لما فيها من آية فاستقم كما أمرت و قيل لما فيها من وقائع الامم و الله أعلم (فاذا فعلوا) اى ما ذكر من المثالين و أمثالهما (عصمهم الله) أى حفظهم من الزيغ و التعدى على أحبابهم (و خضع لهم عدوهم) أى حياء منهم و رجعوا عن اساءتهم اليهم و الغضب عليهم (كأنه) أى العدو و يستوى فيه المفرد و الجمع (ولى) أى ناصرهم (حميم) صديق يهتم لامرهم و حاجتهم و يحم بحرارتهم و حرقتهم (قريب) أى ذو قرابة منهم و الحاصل ان هذه الخصلة التى هى أحسن تقلب العداوة محبة و ترفع الاخلاق الذميمة من الحقد و الحسد و الغيبة و نحوها قال الطيبى هذا التفسير على أن تكون لا فى قوله تعالى و لا السيئة مزيدة و المعنى لاتستوى الحسنة و السيئة فعلى هذا يراد بالتى هى أحسن التى هى حسنة فوضع الاحسن ليكون أبلغ فى الدفع بالحسنة و اذا لم تجعل لامزيدة يكون المعنى ان الحسنة و السيئة متفاوتتان فى أنفسهما فخذ بالحسنة التى هى أحسن من أختها فاذا اعترضتك حسنات فادفع بها السيئة التى ترد عليك من بعض أعدائك و مثاله رجل أساء اليك اساءة فالحسنة أن تعفو عنه و التى هى أحسن أن تحسن اليه مكان اساءته اليك مثل أن يذمك فتمدحه فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولى الحميم مصافاة لك (رواه البخارى تعليقا) أى بلا اسناد و تقدم ان ما علقه بصيغة المجهول ضعيف و ما رواه بصيغة المعلوم صحيح و الله أعلم ✶(و عن بهز) بفتح موحدة و سكون هاء فزاى تابعى (ابن حكيم عن أبيه) تابعى حسن الحديث (عن جده) أى معاوية بن حيدة القشيرى و لم يذكره المؤلف (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغضب ليفسد الايمان) أى كماله أو نوره و بهاءه و قد يجر الى بطلانه نعوذ بالله من ذلك و لما كان بعض افراده كذلك صح التشبيه بقوله (كما يفسد الصبر العسل) و هو بفتح الصاد و كسر الباء و يسكن على ما فى نسخة لكن قال صاحب القاموس الصبر ككتف و لا يسكن الا فى ضرورة الشعر عصارة شجر مر اه و أما كسر الصاد و سكون الباء على ما اشتهر على الالسنة فلعله مأخوذ من قوله ككتف فان الكتف فيه لغتان و الله أعلم ✶(و عن عمر رضى الله عنه قال و هو) أى عمر (على المنبر) فيه اشارة الى حفظ القضية و ايماء الى انه

تواضعوا فانى سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول من تواضع لله رفعه الله فهو فى نفسه صغير و فى أعين الناس عظيم و من تكبر وضعه الله فهو فى أعين الناس صغير و فى نفسه كبير حتى لهو أهون عليهم من كلب أو خنزير * و عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال موسى ابن عمران عليه السلام يا رب من أعز عبادك عندك قال من اذا قدر غفر

كالمسئلة الاجماعية لكونه فى محضر من الصحابة (يا أيها الناس) و لعل العدول عن المؤمنين اليه لافادة العموم و نفى توهم الخصوص (تواضعوا) أى ليتواضع بعضكم لبعض و يترك التكبر على اخوانه المؤمنين لقوله تعالى أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين و التعبير بالاذلة للاشعار بكمال التواضع على سبيل المبالغة (فانى سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول من تواضع لله رفعه الله) هذه الجملة فقط رواها أبو نعيم فى الحلية عن أبى هريرة (فهو) الفاء تفريعية أى فالمتواضع المرفوع نتيجته أو علامته انه (فى نفسه صغير) أو جزائية و تقديره و اذا رفعه الله فهو فى نفسه صغير حقير خال عن العجب و الكبر (و فى أعين الناس عظيم) أى عظيم القدر جليل الشان لرفعه تعالى اياه بهذه الخصلة الحميدة و قد جاء فى بعض الدعوات المأثورة اللهم اجعلنى فى نفسى صغيرا و فى أعين الناس كبيرا (و من تكبر وضعه الله فهو فى أعين الناس صغير و فى نفسه كبير حتى) متعلق بقوله صغير أو بحاصل المجموع ثم الظاهر ان حتى هذه ابتدائية ففى المغنى ان حتى قد تكون حرف ابتداء أى حرفا يبتدأ بعده الجمل أى تستأنف فيدخل على الجملة الاسمية كقول جرير

فما زالت القتلى تمج دماءها * بدجلة حتى ماء دجلة أشكل

و يؤيد هذا المعنى دخول لام الابتداء فى قوله (لهو) أى المتكبر الموضوع (اهون عليهم) أى أذل و أحقر على الناس (من كلب أو خنزير) و التنويع اما باختلاف حال المتكبر أو باعتبار أحوال الناس قال الطيبى الفاء فى قوله فهو جزائية لشرط محذوف يعنى من تواضع لله هضم حقه من نفسه فجعل نفسه دون منزلته و هو المراد بقوله فى نفسه صغير ثم ان الله يرفعه من تلك المنزلة التى هى حقه الى ما هى أرفع منها و يعظمه عند الناس و بعكسه فى القرينة الاخرى و فى شرح السنة قال عمر بن الخطاب رضى‌الله‌عنه ان الرجل اذا تواضع رفع الله حكمته و قال انتفش نفسك فهو فى نفسه صغير و فى أعين الناس كبير و اذا بطر وعدا طوره وهضه الله الى الارض و قال اخسأ أخساك الله فهو فى نفسه كبير و فى أعين الناس صغير حتى يكون أهون على الله من الخنزير *(و عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال موسى بن عمران) عليه السلام (يا رب من أعز عبادك عندك قال من اذا قدر غفر) و المراد ان الاعز فى المرتبة الجمعية الربوبية العندية هو الذى اختار كونه أذل فى طريق العبودية العبدية فان العبد و العبادة مأخوذان من طريق معبد أى مذلل و قد قالوا العبادة هى أقصى غاية الخضوع و التذلل و لذلك لاتستعمل الا لله تعالى مع أن الغفران مع القدرة انما هو من باب التخلق باخلاق الله سبحانه و أشار الى هذا المعنى فى قوله ان تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا و فيه تنبيه له عليه السلام على العفو لما كان الغالب عليه الحدة الجلالية ليحصل له الاعتدال كما يقتضيه الكمال بل ينبغى غلبة نعت الجمال كما أشار اليه الحديث القدسى غلبت رحمتى غضبى و لكون الرحمة غالبة على نبينا صلى‌الله‌عليه‌وسلم وصف بكونه رحمة للعالمين و أمته أمة مرحومة فان الراحمين يرحمهم الرحمن على ما سبق فيه البيان و فى الجامع الصغير من عفا عند

✱ و عن أنس أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال من خزن لسانه ستر الله عورته و من كف غضبه كف الله عنه عذابه يوم القيامة و من اعتذر الى الله قبل الله عذره ✱ و عن أبى هريرة أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ثلاث منجيات و ثلاث مهلكات فاما المنجيات فتقوى الله فى السر و العلانية و القول بالحق فى الرضا و السخط و القصد فى الغنى و الفقر و أما المهلكات فهوى متبع و شح مطاع و اعجاب المرء بنفسه و هى أشدهن روى البيهقى الاحاديث الخمسة فى شعب الايمان

✱ (باب الظلم) ✱

القدرة عفا الله عنه يوم العسرة رواه الطبرانى عن أبى أمامة ✱(وعن أنس أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم قال من خزن) بفتح زاى أى حفظ (لسانه) قال امرؤ القيس

اذا المرء لم‌يخزن عليه لسانه ✱ فليس على شئ سواه بخزان

قال الطيبى أى من ستر عيوب الناس و كتمها (ستر الله عورته) أى عيبه عن الناس أو عن الحفظة و لاتشفع من الجمع (و من كف) أى منع (غضبه) أى عن الناس (كف الله عنه عذابه) أى الذى أثر غضبه (يوم القيامة) جزاء وفاقا و فى الجامع برواية ابن أبى الدنيا عن ابن عمر من كف غضبه ستر الله عورته أى بان لم‌يعذبه فتوافق الحديثان (و من اعتذر) فيما وقع له من التقصير (الى الله) أى بالرجوع اليه و اظهار العجز لديه (قبل الله عذره) ظاهر نظائره أن يقال و من قبل عذر أخيه قبل الله عذره و لعله من تصرفات الرواة أو لحكمة اقتضت ذلك و الله أعلم بما هنالك ✱(و عن أبى هريرة أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ثلاث) أى من الخصال (منجيات) أى أسباب نجاة و خلاص (و ثلاث مهلكات فاما المنجيات فتقوى الله) أى خوفه (فى السر و العلانية و القول بالحق فى الرضا و السخط) أى لايبدل القول الحق لاجل محبته و رضاه عن أحد أو سخطه و غضبه على أحد (و القصد) أى التوسط فى النفقة (فى الغنى و الفقر) أى فى الحالين بالاجتناب عن طرفى الافراط و التفريط (و أما المهلكات فهوى) أى للنفس (متبع) احتراز عن متروك فان مخالفة النفس من أكبر المنجيات كما أن متابعتها من أكبر المهلكات (و شح) أى بخل (مطاع) أى مطاوع له معمول بمقتضاه فقيل الشح منع الواجب و قيل أكل مال الغير و قيل العمل بمعاصى الله و قيل الشح مما فى يد غيرك و البخل مما فى يدك و الاظهر ان الشح هو البخل المقرون بالحرص (و أعجاب المرء بنفسه) أى باستحسان أعمالها و أحوالها أو مالها و جمالها و سائر ما يتوهم انه من كمالها (و هى) أى الخصلة الاخيرة (أشدهن) اى أعظمهن وزرا و أكثرهن ضررا لانه يتصور أن يتوب من متابعة الهوى و من رذيلة البخل و المعجب مغرور و مزين فهو محبوب لايرجى زواله كالمبتدع فانه قل أن يتوب من بدعته و قال الطيبى لان المعجب بنفسه متبع هواه و من هوى النفس الشح المطاع قال تعالى و من يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون حيث أضاف الشح الى النفس (روى البيهقى الاحاديث الخمسة فى شعب الايمان)

✱ (باب الظلم) ✱ قال الراغب الظلم عند أهل اللغة وضع الشئ فى غير موضعه المختص به اما بنقصان أو بزيادة و اما بعدول عن وقته أو مكانه و قال القطب الربانى الشيخ عبد الكبير اليمانى ان الله سبحانه خلق قلب عبده لذكره و فكره فمن وضع فيه غيره فهو ظالم لنفسه و قال العارف ابن الفارض موميا الى الاشتغال بالوحدة و النبوة أو الذكر و الصلاة أو الكتاب و السنة

عليك بها صرفا و ان شئت مزجها ✱ فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

★ (الفصل الاول) ★ عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الظلم ظلمات يوم القيامة متفق عليه ★ و عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله ليملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته ثم قرأ و كذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى و هي ظالمة الآية متفق عليه ★ و عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم الا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم ثم قنع رأسه و أسرع السير حتى اجتاز الوادي

★ (الفصل الاول) ★ (عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الظلم) أي جنسه الشامل للمتعدي و القاصر الصادر من الكافر و الفاجر (ظلمات) أي أسباب ظلمة لمرتكبه أو موجبات شدة لصاحبه يوم القيامة و مفهومه أن العدل بانواعه أنوار (يوم القيامة) لان الدنيا مزرعة الآخرة و في شرح مسلم للنووي قال القاضي هو على ظاهره فيكون ظلمات على صاحبه لا يهتدي يوم القيامة بسبب ظلمه في الدنيا كما ان المؤمن يسعى بنور هو مسبب عن ايمانه في الدنيا قال تعالى يسعى نورهم بين أيديهم و بأيمانهم و يحتمل أن يراد بالظلمات هنا الشدائد و به فسروا قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر و البحر أي شدائدهما و يحتمل أنها عبارة عن الانكال و العقوبات قال الطيبي قوله على ظاهره يوهم أن قوله ظلمات هنا ليس مجازا بل حقيقة لكنه مجاز لانه حمل المسبب على السبب فالمراد ظلمات حقيقية مسببة عن الظلم قلت أنما أراد القاضي بالحقيقة المقابلة للمجاز المفسر بالشدة نظرا الى جوهر المعنى مع قطع النظر عن حمل اللفظ بالاعراب و المبنى ثم قال و الفرق بين الشدائد و الانكال أن الشدائد كائنة في العرصات قبل دخول النار و الانكال بعد الدخول قلت فالمراد بيوم القيامة الدار الآخرة (متفق عليه ★ و عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله ليملي للظالم) من الاملاء أي يمهله و يؤخره و يطول عمره حتى يكثر منه الظلم (حتى اذا أخذه لم يفلته) من الافلات و هو الخروج من ضيق مع فرار ذكره شارح و المعنى لم يتركه بل أخذه أخذا شديدا ذكره ابن الملك قيل أفلت الشئ و تفلت و انفلت بمعنى و أفلته غيره ففي النهاية أي لم ينفلت منه و يجوز أن يكون المعنى لم يفلته منه أحد أي لم يخلصه قلت هذا المعنى هو الظاهر على ما يدل عليه الضمير والقول الاول أما حاصل المعنى أو يقال بالحذف و الايصال و فيه تسلية للمظلوم في الحال و وعيد للظالم لئلا يغتر بالامهال كما قال تعالى و لا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون أنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار (ثم قرأ) أي النبي صلى الله عليه وسلم اعتضادا أو أبو موسى استشهادا (و كذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى) أي أهلها (و هي ظالمة الآية) أي أن أخذه أليم شديد كما في نسخة بدل الآية (متفق عليه) و في الجامع الى قوله ثم قرأ رواه الشيخان و الترمذي و ابن ماجه ★ (و عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما مر) أي أراد المرور (بالحجر) بكسر الحاء أي ديار ثمود قوم صالح (قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم) أي بالكفر (الا أن تكونوا باكين أن يصيبكم) أي لئلا يصيبكم أو مخافة أن يصيبكم (ما أصابهم) أي نوع من العذاب أي مثل ما أصابهم من العقاب اذ لا يخلو أحد منكم من الذنوب اذا شدد عليه الحساب و يمكن أن يكون المراد أن يصيب منافقيكم عين ما أصابهم فعمم الحكم بالتخويف تسترا عليهم (ثم قنع رأسه) بتشديد النون مبالغة من الاقناع أي أطرق رأسه لم يلتفت يمينا و شمالا كالخائف لئلا يقع نظره على مساكنهم أو جعل قناعة على رأسه شبه الطيلسان (و أسرع السير حتى اجتاز الوادي) أي

متفق عليه ★ و عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من كانت له مظلمة لاخيه من عرضه أو شئ فليتحلله منه اليوم قبل ان لايكون دينار و لادرهم ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته

تجاوزه أي قطع عرضه و خرج عن حده و انما فعل ذلك تعليما للامة ليقتدوا به و جمع بين القول و الفعل تأكيدا في القضية أو لانه عليه‌الصلاة والسلام كان في غاية من الخشية لانها انما تكون على قدر المعرفة قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء و قد قال أنا أعلمكم بالله و أخشاكم له هذا مجمل معنى الحديث و أما تفصيله فقال التوربشتي الحجر منازل ثمود و ذلك في سيره الى تبوك خشي على أصحابه أن يجتازوا على تلك الديار ساهين غير متعظمين بما أصاب أهل تلك الديار و قد أمرهم الله تعالى بالانتباه و الاعتبار في مثل تلك المواطن قال القاضي ولذلك استثنى عن النهي وأن يصيبكم نصب على المفعول له أى مخافة أن يصيبكم قال الطيبي والمعنى لاتدخلوا مساكنهم في حال من الاحوال الا حال كونكم باكين قال الخطابي معناه الداخل في دار قوم أهلكوا بخسف أو عذاب اذا لم‌يكن باكيا أما شفقة عليهم و أما خوفا من حلول مثلها به كان قاسي القلب قليل الخشوع فلايأمن اذا كان هكذا إن يصيبه ما أصابهم اه و ما أصاب في قوله اما شفقة عليهم لقوله تعالى و لاتحزن عليهم و قوله عزوجل فلا تأس على القوم الفاسقين قال التوربشتي و في الحديث انه نهاهم أن يشربوا ماؤها و كانوا قد خمروا به عجينهم فامرهم أن يعلفوها دوابهم و لم‌يرخص لهم في الاكل منها و في شرح السنة فيه دليل على أن منازل هؤلاء لاتتخذ مسكنا و وطنا لانه صلى‌الله‌عليه‌وسلم قد نهى عن دخولها الا مع البكاء فالمتوطن يكون دهره باكيا قلت و يلائمه ظاهر قوله تعالى تقريعا و توبيخا وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم و تبين لكم كيف فعلنا بهم و فيه تنبيه نبيه على أن الاماكن لها تأثير من عند الله تعالى بالنسبة الى سكانها محنة و منحة كما في الازمنة من موسم الطاعات و ساعات الاجابة و منه ما روى أن لله في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها و قد تقدم أن أحب البلاد الى الله المساجد و أبغضها اليه الاسواق و نظير ذلك تأثير صحبة الاخيار و الاشرار على ما ورد به الاخبار و آثار الابرار (متفق عليه ★ و عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من كانت له مظلمة) بكسر اللام و يفتح اسم ما أخذه الظالم أو تعرض له (لاخيه) أى في الدين (من عرضه) بيان للمظلمة و هو بكسر العين جانبه الذى يصونه من نفسه و نسبه و حسبه و يتحامى أن ينتقص (أو شئ) اى أمر آخر كاخذ ماله أو المنع من الانتفاع به أو هو تعميم بعد تخصيص (فليتحلله) اى فليطلب الظالم حل ما ذكر (منه) أى من المظلوم في النهاية يقال تحللته و استحللته اذا سألته أن يجعلك في حل (اليوم) أى في أيام الدنيا لمقابلته بقوله (قبل أن لايكون) أى لايوجد (دينار و لادرهم) و هو تعبير عن يوم القيامة و في التعبير به تنبيه على أنه يجب عليه أن يتحلل منه و لو ببذل الدينار و الدرهم في بذل مظلمته لان أخذ الدينار و الدرهم اليوم على التحلل أهون من أخذ الحسنات أو وضع السيآت على تقدير عدم التحلل كما أشار اليه بقوله (ان كان له عمل صالح) أى بان يكون مؤمنا ظالما غير معفو من مظلومه (أخذ) بصيغة المجهول أى عمله الصالح (منه) أى من صاحبه الظالم على غيره (بقدر مظلمته) و معرفة مقدار الطاعة و المعصية كمية و كيفية مفوض علمها الى الله سبحانه هذا و قال الطيبي قوله ان كان استئناف كانه لما قيل فليتحلله منه اليوم قبل

و ان لم يكن له حسنات أخذ من سيآت صاحبه فحمل عليه رواه البخاري ★ و عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أ تدرون ما المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له و لا متاع فقال أن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة و صيام و زكاة و يأتي قد شتم هذا و قذف هذا و أكل مال هذا و سفک دم هذا و ضرب هذا فيعطى هذا من حسناته و هذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار

أن لا يكون دينار و لا درهم يؤخذ منه بدل مظلمته توجه لسائل أن يسأل فما يؤخذ منه بدل مظلمته بعد ان كان الخ اه (و ان لم تكن) أى لم توجد (له حسنات) أى باقية أو مطلقا (أخذ من سيآت صاحبه) أى المظلوم (فحمل عليه) بصيغة المجهول مخففا أى فوضع على الظالم قال ابن الملک يحتمل أن يكون المأخوذ نفس الاعمال بان تتجسم فتصير كالجواهر و أن يكون ما أعد لهما من النعم و النقم اطلاقا للسبب على المسبب و هذا لا ينافي قوله تعالى و لا تزر وازرة وزر أخرى لان الظالم في الحقيقة يجزى بوزر ظلمه و انما أخذ من سيآت المظلوم تخفيفا له و تحقيقا للعدل (رواه البخاري ★ و عنه) أى عن أبي هريرة (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أ تدرون) أى أ تعلمون (ما المفلس) كذا في صحيح مسلم و جامع الترمذي و كتاب الحميدي و جامع الاصول و شرح السنة فعلى هذا السؤال عن وصف المفلس لا عن حقيقته و من ثم أجاب صلى الله عليه وسلم بوصفه في قوله شتم و أكل و قذف و في مشارق الانوار و في بعض نسخ المصابيح من المفلس و هذا سؤال ارشاد لا استعلام و لذلک قال أن المفلس كذا و كذا قلت الظاهر أن المراد بقوله ما المفلس من المفلس بدليل ما بعده في جواب الصحابة و في كلامه صلى الله عليه وسلم أيضا من التعبير بمن (قالوا) أى بعض أصحابه (المفلس فينا) أى فيما بيننا (من لا درهم) أى من نقد (له) أى ملكا (و لا متاع) أى مما يحصل به النقد و يتمتع به من الاقمشة و العقاز و الجواهر و المواشي و العبيد و أمثال ذلک و الحاصل انهم أجابوا بما عندهم من العلم بحسب عرف أهل الدنيا كما يدل عليه قولهم فينا و غفلوا عن أمر الآخرة و كان حقهم أن يقولوا الله و رسوله أعلم لان المعنى الذى ذكروه كان واضحا عنده صلى الله عليه وسلم فلما أجابوه بما أجابوه (فقال ان المفلس) أى الحقيقي أو المفلس في الآخرة (من أمتي) أى أمة الاجابة ولو كان غنيا في الدنيا بالدرهم والمتاع (من يأتي يوم القيامة بصيام وصلاة وزكاة) أى مقبولات و الباء للتعدية أى مصحوبا بها (و يأتي) أى و يحضر أيضا حال كونه (قد شتم هذا) أى وقع له شتم لاحد (و قذف هذا) أى بالزنا و نحوه (و أكل مال هذا) أى بالباطل (و سفک) أى أراق (دم هذا) أى بغير حق (و ضرب هذا) أى من غير استحقاق أو زيادة على ما يستحقه و المعنى من جمع بين تلک العبادات و هذه السيآت و لا يبعد أن تكون الواو بمعنى أو و لكن لفظ المفلس يلائم كثرة المعاصي الموجبة لافلاسه و الله أعلم (فيعطى) بصيغة المجهول (هذا) أى المظلوم (من حسناته) أى بعض حسنات الظالم (و هذا) أى و يعطى المظلوم الآخر (من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضى) بصيغة المفعول أى يؤدى (ما عليه) أى من الحقوق (أخذ من خطاياهم) أى من سيآت أصحاب الحقوق (فطرحت عليه) أى وضعت على الظالم (ثم طرح) أى ألقى و رمى (في النار) و فيه أشعار بانه لا عفو و لا شفاعة في حقوق العباد إلا أن يشاء الله فيرضى خصمه بما أراد قال النووي يعني حقيقة المفلس هذا الذى ذكرت و أما من ليس له مال و من قل ماله فالناس

رواه مسلم ✱ و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء

يسمونه مفلسا و ليس هذا حقيقة المفلس لان هذا أمر يزول و ينقطع بموته و ربما انقطع بيسار يحصل له بعد ذلك فى حياته بخلاف ذلك المفلس فانه يهلك الهلاك التام قال المازرى زعم بعض المبتدعة أن هذا الحديث معارض بقوله تعالى و لاتزر وازرة وزر أخرى و هو باطل و جهالة بينة لانه انما عوقب بفعله و وزره فتوجهت عليه حقوق لغرمائه فدفعت اليهم من حسناته فلما فرغت حسناته أخذ من سيئات خصومه فوضعت عليه لحقيقة العقوبة مسببة عن ظلمه و لم يعاقب بغير جناية منه قلت و هذا من ضرورة قضية العدل الثابت له تعالى بالنقل و العقل فان الظالم اذا أكثر من الحسنات و ثقلت موازينه منها و غلبت على سيآته فان أدخل الجنة يبقى حق المظلوم ضائعا و أن أدخل النار ينافى قوله تعالى فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون و سيأتى أن حقوق العباد مما لايترك الله تعالى فلابد من أحد الامرين اما أخذ الحسنات و أما وضع السيآت حتى يتحقق خفة ميزان عمله فيدخل النار فيعذب بقدر استحقاقه ثم يخرج و يدخل الجنة بسبب الحسنات الباقية ان كانت هناك و الا ببركة الايمان فان الله لايضيع أجر من أحسن عملا و هذا من البراهين الواضحة المؤيدة بالشواهد و الادلة اللائحة (رواه مسلم ✱ و عنه) أى عن أبى هريرة (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لتؤدن) بفتح الدال المشددة و فى بعض النسخ بضمها فقوله (الحقوق) بالرفع على الاول و بالنصب على الثانى (الى أهلها يوم القيامة) و جزم شارح و قال هو بفتح الدال على بناء المجهول و الحقوق أقيم مقام فاعله و قال ابن الملك اللام فيه جواب قسم مقدر و الدال فيه مضمومة و الفعل مسند الى الجماعة الذين خوطبوا به و الحقوق مفعوله و قيل الدال فيه مفتوحة على بناء المجهول و الحقوق نائب الفاعل لكن هذا غير مستقيم لانه لو كان كذلك لظهر الياء و قال لتؤدين اه و أراد أنه حينئذ صيغة الواحدة فيكون حكمه حكم اخشين و اغزون و ارمين برد اللامات و فتحها على طبق التثنية كما تقول اخشيا و ارميا و اغزوا على ما حقق فى محله قال التوربشتى هو على بناء المجهول و الحقوق مرفوع هذه هى الرواية المعتد بها و يزعم بعضهم ضم الدال و نصب الحقوق و الفعل مسند الى الجماعة الذين خوطبوا به و الصحيح ما قدمناه اه و الظاهر انه أراد صحة الرواية و الا فقد تقدم صحة الدراية باعتبار الصيغة التصريفية و يؤيد كلام الشيخ ضبط الكلمة بفتح الدال فى أصل السيد و سائر الاصول المعتمدة و النسخ المصححة و لعل وجهه انه عومل معاملة الفعل الصحيح حيث يقال فى المفرد المجهول ليضربن بفتح الموحدة و قد غفل الطيبى عن هذا المبنى و ذهب الى رعاية المعنى حيث قال ان كان الرد لاجل الرواية فلا مقال و ان كان بحسب الدراية فان باب التغليب واسع فيكون قد غلب العقلاء على غيرهم و جعل قوله (حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء) غاية بحسب التغليب كما فى قوله تعالى جعل لكم من أنفسكم أزواجا و من الانعام أزواجا يذرؤكم فيه فالضمير فى يذرؤكم راجع الى الاناسى و الانعام على التغليب اه و المعنى يكثركم من الذرء و هو البث و قوله فيه أى فى هذا التدبير و هو جعل الناس و الانعام أزواجا يكون بينهم توالد فانه كان كالمنبع للبث و التكثير ذكره البيضاوى و جعل فى للظرفية المعنوية و شبه التدبير بالمنبع و فى الاتقان أن فى بمعنى الباء أى بسببه و هو ظاهر جدا و هذا اذا أريد بالجلحاء

و القرناء الشاتان المعروفتان و أما اذا أريد بالجلحاء الفقير أو المظلوم و بالقرناء الغنى أو الظالم على ما قيل فلايحتاج الى ارتكاب التغليب و الامر قريب ثم الجلحاء بجيم فلام فحاء مهملة قال النووى الجلحاء بالمد هى الجماء التى لا قرن لها و القرناء ضدها و هذا تصريح بحشر البهائم يوم‌القيامة و اعادتها كما يعاد أهل التكليف من الآدميين و الاطفال و المجانين و من لم‌تبلغه دعوة و على هذا تظاهرت دلائل القرآن و السنة قال تعالى جل جلاله و لا اله غيره و اذا الوحوش حشرت و اذا ورد لفظ الشرع و لم‌يمنع من اجرائه على ظاهره شرع و لاعقل وجب حمله على ظاهره قالوا و ليس من شرط الحشر و الاعادة فى القيامة المجازاة و العقاب و الثواب و أما القصاص من القرناء للجلحاء فليس من قصاص التكليف بل هو قصاص مقابلة اه و فى كونه قصاص مقابلة نظر لايخفى مع أن قصاص المقابلة نحن مكلفون به أيضا قال ابن الملك أى لو نطح شاة قرناء شاة جلحاء فى الدنيا فاذا كان يوم القيامة يؤخذ القرن من القرناء و يعطى الجلحاء حتى تقتص لنفسها من الشاة القرناء فان قيل الشاة غير مكلفة فكيف يقتص منها قلنا ان الله تعالى فعال لما يريد و لايسأل عما يفعل و الغرض منه اعلام العباد بأن الحقوق لاتضيع بل يقتص حق المظلوم من الظالم اه و هو وجه حسن و توجيه مستحسن الا أن التعبير عن الحكمة بالغرض وقع فى غير موضعه و جملة الامر ان القضية دالة بطريق المبالغة على كمال العدالة بين كافة المكلفين فانه اذا كان هذا حال الحيوانات الخارجة عن التكليف فكيف بذوى العقول من الوضيع و الشريف و القوى و الضعيف (رواه مسلم) و فى الجامع بزيادة تنطحها رواه أحمد و مسلم و البخارى فى الادب و الترمذى (و ذكر حديث جابر اتقوا الظلم) تمامه فان الظلم ظلمات يوم القيامة و اتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على ان يسفكوا دماءهم و استحلوا محارمهم (فى باب الانفاق) أى من كتاب الزكاة و هذا من المؤلف ان كان عن تكرار أسقطه فهو اعتذار حسن و أما ان كان من باب تحويل الحديث الى باب أنسب منه فهو اعتراض لكن فى غير المحل فتأمل

★ (الفصل الثانى) ★ (عن حذيفة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لاتكونوا امعة) بكسر الهمزة و تشديد الميم و الهاء للمبالغة و همزته أصلية و لايستعمل ذلك فى النساء فلا يقال امرأة امعة كذا فى النهاية و قال صاحب الفائق هو الذى يتابع كل ناعق و يقول لكل أحد أنا معك لانه لا رأى له يرجع اليه و وزنه فعلة كديمة و لايجوز الحكم عليه بزيادة الهمزة لانه ليس فى الصفات أفعلة و هى فى الاسماء أيضا قليلة و معناه المقلد الذى يجعل دينه تابعا لدين غيره بلا روية و لاتحصيل برهان اه كلامه و فيه اشعار بالنهى عن التقليد المجرد حتى فى الاخلاق فضلا عن الاعتقادات و العبادات ثم الاظهر أن الكلمة غير موضوعة لصفة أو اسم بل موضوعة مركبة من الكلمتين المعبر عنهما بأنا معك و نظيرها البسملة و الحيعلة و نحوهما و فى القاموس الامع كهلع و هلعة و يفتحان الرجل يتابع كل واحد على رأيه لايثبت على شئ ومتبع الناس الى الطعام من غير أن يدعى و المحقب الناس دينه و المتردد فى غير صنعة و من يقول أنا مع الناس و لايقال امرأة أمعة أو قد يقال و تأمع و استأمع صار امعة و قال شارح الامع و الامعة عند أهل اللغة الرجل الذى يكون لضعف رأيه مع كل أحد و المراد هنا من يكون

تقولون ان احسن الناس احسنا و ان ظلموا ظلمنا و لكن وطنوا انفسكم ان احسن الناس ان تحسنوا و ان أساؤا فلاتظلموا رواه الترمذی ★ و عن معاوية انه كتب الى عائشة ان اكتبی الى كتابا توصينی فيه و لا تكثری فكتبت سلام عليک أما بعد فانی سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس و من التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله الى الناس و السلام عليک رواه الترمذی

مع ما يوافق هواه و يلائم أرب نفسه و ما يتمناه و قيل المراد هنا الذی يقول أنا اكون مع الناس كما يكونون معی ان خيرا فخير و ان شرا فشر قلت و هذا المعنى هو المتعين كما يدل عليه قوله (يقولون) (١) الظاهر أن الامعة يستوی فيه المفرد وغيره أوالمعنى أن الموصوفين بهذا الوصف يقولون (ان أحسن الناس) أی الينا أو الى غيرنا (أحسنا) أی جزاء أو تبعا لهم (وان ظلموا) أی ظلمونا أو ظلموا غيرنا فكذلک نحن (ظلمنا) على وفق أعمالهم قال الطيبی قوله يقولون الخ بيان و تفسير للامعة لان معنى قوله ان أحسن الناس و ان ظلموا أنا مقلد الناس فی احسانهم و ظلمهم و مقتفی أثرهم (و لكن وطنوا أنفسكم) أمر من التوطين و هو العزم و الجزم على الفعل أی عزموا أنفسكم على (ان احسن الناس ان تحسنوا) أی فعليكم ان تحسنوا (و ان اساؤا فلاتظلموا) قال فی أساس البلاغة أوطن الارض و وطنها و استوطنها و من المجاز وطنت نفسی على كذا فتوطنت قال

و لاخير فيمن لايوطن نفسه ★ على نائبات الدهر حين تنوب

و معنى الحديث اوجبوا على أنفسكم الاحسان بان تجعلوها وطنا للاحسان قال الطيبی فعلى هذا ان تحسنوا متعلق بقوله وطنوا و جواب الشرط محذوف يدل عليه ان تحسنوا و التقدير وطنوا انفسكم على الاحسان ان احسن الناس فاحسنوا و ان أساؤا فلاتظلموا لان عدم الظلم احسان (رواه الترمذی ★ و عن معاوية) أی ابن أبی سفيان صحابيان مشهوران (انه كتب الى عائشة) أی ام المؤمنين (ان اكتبی) ان مصدرية او مفسرة لما فی الكتابة من معنى القول (الی) أی مرسلا اوموصولا حال او متعلق بقوله (كتابا توصينی فيه) أی فی ذلک الكتاب من كل باب (و لاتكثری) أی بالاطناب بل اوجزی بكلام جامع يكون فصل الخطاب لانها من اهل بيت من اوتی جوامع الحكم وبدائع الكلم (فكتبت سلام عليک) واقتصرت على غنيمة السلامة خوف السآمة (أما بعد) أی بعد السلام او ما بعد ما سبق من الكلام (فانی سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول من التمس رضا الله بسخط الناس) أی من طلب رضاه فی شئ يسخط الناس عليه بسببه (كفاه الله مؤنة الناس) أی مؤنة شرهم من الظلم عليه و الاساءة اليه (و من التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله) بتخفيف الكاف أی خلاه و ترک نصره و دفعه (الى الناس) و هذا وصية جامعة لجميع الناس قال المظهر يعنی اذا عرض له أمر فی فعله رضا الله و غضب الناس أو عكسه فان فعل الاول رضی‌الله عنه و دفع عنه شر الناس و ان فعل الثانی وكله الى الناس يعنی سلط الناس عليه حتى يؤذوه و يظلموا عليه و لم‌يدفع عنه شرهم و فی النهاية وكلت أمری الى فلان أی الجأته اليه و اعتمدت فيه عليه (السلام عليک) فالاول بمنزلة سلام الملاقاة و الثانی فی مرتبة الموادعة أو كانها قالت السلام عليک أولا و آخرا أو فی الدنيا و الآخرة و فی تكرار السلام اشارة خفية الى تأكيد طلب السلامة و ترک ما يؤدی الى الملامة (رواه الترمذی)

---

(١) هذه اللفظة بصيغة الخطاب فی المشكوة و الترمذی و هو الظاهر من السياق

★ (الفصل الثالث) ★ عن ابن مسعود قال لما نزلت الذين آمنوا و لم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلک علی أصحاب رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم و قالوا یا رسول‌الله أینا لم یظلم نفسه فقال رسول الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم ليس ذاك انما هو الشرك أ لم تسمعوا قول لقمان لابنه يا بنی لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم و فی رواية ليس هو كما تظنون انما هو كما قال لقمان لابنه متفق عليه ★ وعن أبی أمامة ان رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم قال من شر

★ (الفصل الثالث) ★ (عن ابن مسعود قال لما نزلت) بالتأنيث لكون ما بعده من فاعله آية و التقدير لما نزلت آية (الذين آمنوا و لم يلبسوا) بكسر الموحدة أی لم يخلطوا (ايمانهم بظلم) تمامه أولئک لهم الامن أی فی الآخرة و هم مهتدون أی فی الدنيا (شق ذلک) أی صعب ذلک الکلام أو الحکم (علی أصحاب رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم) أی ظنا منهم أن المراد بالظلم مطلق المعاصی كما يتبادر الى الفهم لاسيما من التنكير الذی يفيد العموم (و قالوا يا رسول الله أينا لم يظلم نفسه) أی ظلما قاصرا أو متعديا مع ان الثانی أيضا يرجع الى ظلم النفس لقوله تعالی أن احسنتم احسنتم لانفسکم و أن أسأتم فلها (فقال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم ليس ذاك) أی ليس معناه كما فهمتم (انما هو) أی الظلم (الشرك) ففی التنكير أشارة الى ان المراد أی نوع من الکفر أو أريد به التعظيم أی بظلم عظيم كما يدل عليه قوله (أ لم تسمعوا قول لقمان لابنه) أی و هو مؤمن (يا بنی) بفتح الياء و كسرها (لاتشرك بالله) أی لا تخلط الاشراك بالايمان بالله و سائر ما يجب الايمان به (ان الشرك لظلم عظيم) استئناف تعليل أی فانه يبطل الايمان و يستأصله و لايجتمع معه أصلا فضلا عن غيره من الاعمال قال تعالی و من يکفر بالايمان فقد حبط عمله بخلاف سائر المعاصی فانه لاينافی الايمان علی مذهب الحق الذی عليه أهل السنة و الجماعة خلافا للخوارج و المعتزلة و سائر المبتدعة فالصحابة رضی‌الله تعالی عنهم فهموا خلط المعصية بالايمان لان الشرك لايتصور خلطه به فأجاب بان خلطه ممكن بان يؤمن بالله ويشرك فی عبادته غيره فيكون أيمانا لغويا لا شرعيا و الا فالايمان بالله انما يكون معتبرا اذا اشتمل علی اثبات صفات الکمال له و تنزيهه عن نعوت النقص و الا فيلزم أن يكون جميع الکفار مؤمنين بالله حقيقة قال تعالی و لئن سألتهم من خلق السموات و الارض و سخر الشمس و القمر ليقولن الله و يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله و لکن الله تعالی لم يرض بالاشراك الصوری أيضا كما ورد فی الحديث القدسی أنا أغنی الشركاء عن الشرك و اذا تأملت ظهر لک أنه لايتصور وجود الشرك الحقيقی بالله سبحانه اذ الممكن بجنب واجب الوجود كالمعدوم (و فی رواية ليس هو) أی الامر أو الظلم أو الحکم (كما تظنون انما هو كما قال لقمان لابنه) أی الخ قال الطيبی فهم من معنی اللبس ان المراد من الظلم المعصية لان لفظ اللبس يأبی أن يراد به الشرك فالمعنی لم يخلطوا ايمانهم بمعصية تفسقهم كذا فی الکشاف و قول رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم ليس ذاك معناه ليس كما تعتقدون أن اللبس يقتضی الخلط و لايتصور خلط الشرك بالايمان بل هو واقع لمن يؤمن بالله و يشرك فی عبادته غيره واليه الاشارة بقوله تعالی و ما يؤمن أكثرهم بالله الا و هم مشركون قال الحسن هم أهل الکتاب معهم شرك و ايمان به و قيل النفاق لبس الايمان الظاهر بالکفر الباطن و فی الآية شاهد علی أن المراد بالظلم فيها الشرك و من أراد زيادة اطلاع عليه فلينظر فی فتوح الغيب (متفق عليه ★ و عن أبی أمامة) أی الباهلی (ان رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم قال من شر

الناس منزلة عند الله يوم القيامة عبد أذهب آخرته بدنيا غيره رواه ابن ماجه ★ و عن عائشة قالت قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم الدواوين ثلاثة ديوان لايغفر الله الاشراك بالله يقول الله عزوجل أن الله لايغفر أن يشرك به و ديوان لايتركه الله ظلم العباد فيما بينهم حتى يقتص بعضهم من بعض و ديوان لايعبأ الله به ظلم العباد فيما بينهم و بين الله فذاك الى الله ان شاء عذبه و ان شاء تجاوز عنه ★ و عن على قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اياك و دعوة المظلوم فانما يسأل الله تعالى حقه و ان الله لايمنع ذا حق حقه ★ و عن أوس بن شرحبيل أنه سمع رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول من مشى مع ظالم ليقويه و هو يعلم انه ظالم فقد خرج من الاسلام ★ و عن أبى هريرة أنه سمع رجلا يقول ان الظالم لايضر

الناس) و فى الجامع بزيادة ان للتأكيد (منزلة) أى عند الله كما فى نسخة (يوم القيامة) قيد به لظهور الامر فيه (عبد اذهب آخرته) أي ضيعها (بدنيا غيره رواه ابن ماجه) و كذا الطبرانى ★ (و عن عائشة قالت قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم الدواوين) أى صحائف الاعمال (ثلاثة) أى ثلاثة أنواع من الدواوين و فى المغرب الديوان الجريدة من دون الكتب اذا جمعها لانها قطع من القراطيس مجموعة (ديوان لايغفر الله) أى لايغفره و لايعفو عنه البتة (الاشراك بالله) و المراد منه الكفر بأنواعه (يقول الله ان الله لايغفر أن يشرك به) أى بلا توبة أو لايغفر الاشراك به يوم القيامة (و ديوان لايتركه الله) أى بلامحاسبة و لامطالبة لا محالة (ظلم العباد فيما بينهم حتى يقص) متعلق بلايتركه و فى نسخة صحيحة حتى يقتص (بعضهم من بعض) أو يتفضل الله على بعضهم بارضاء خصومهم فانه بمنزلة الاقتصاص قائم مقام الدية فى الدنيا (وديوان لايعبأ الله) بفتح الموحدة و ضم الهمزة أى لايبالى (به) و لايرى له وزنا من العبء و هو الثقل (ظلم العباد فيما بينهم و بين الله) و هذا يتعلق به حق الله أيضا لانه لايوجد حق عبد الا و يتعلق به حق الله أيضا فحقوق العباد مركبة من الجهتين و الجهة المتعلقة بالعبد مقدمة على الاخرى لفقر العبد و استغنائه سبحانه (فذاك) بالالف دون اللام فى الاصول المعتمدة و المراد به الاشارة الى القريب من حق العبد (الى الله) أى مفوض الى مشيئته (ان شاء عذبه) أى بقدر ذنبه أو بأقل منه (و ان شاء تجاوز عنه) أى غفره مجانا و بتقديرنا هذا يندفع ما يرد فيه من الاشكال حيث ظاهر الحديث من التقسيم قد ينافيه آية ان الله لايغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء قال الطيبى و انما قال فى القرينة الاولى لايغفر ليدل على ان الشرك لايغفر أصلا و فى الثانية لايترك فيؤذن بان حق الغير لايهمل قطعا أما بان يقتص من خصمه أو يرضيه الله تعالى و فى الثالثة لايعبأ ليشعر بان حق الله تعالى على المساهلة فيترك حقه كرما و لطفا ★ (و عن على رضى‌الله عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اياك و دعوة المظلوم) أى و لو ذميا (فانما يسأل الله حقه) أى سؤال محاسبة و مطالبة (و ان الله لايمنع ذا حق حقه) أى بل يعطى كل ذى حق حقه فان قوله حق و وعده صدق و فعله عدل ثم بعده فضل ★ (و عن أوس بن شرحبيل) بضم معجمة و فتح راء و سكون مهملة و كسر موحدة و ترك صرف كذا فى المغنى و لم‌يذكره المؤلف (انه سمع رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول من مشى مع ظالم ليقويه) و فى الجامع ليعينه (و هو يعلم انه ظالم) أى فيه (فقد خرج من الاسلام) أى من كمال الايمان أو من حقيقة الاسلام المقتضى أن يسلم المسلمون من لسانه و يده ★ (و عن أبى هريرة أنه سمع رجلا يقول أن الظالم لايضر

الا نفسه فقال أبوهريرة بلى و الله حتى الحبارى لتموت فى وكرها هزلا لظلم الظالم روى البيهقى الاحاديث الاربعة فى شعب الايمان

★ (باب الامر بالمعروف) ★

★ (الفصل الاول) ★ عن أبى سعيد الخدرى عن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال من رأى

الا نفسه) و هذا الكلام حق لقوله تعالى و لكن كانوا أنفسهم يظلمون و قوله من عمل صالحا فلنفسه و من أساء فعليها وكان أباهريرة فهم انه أراد بهذا انه لا يرى أثر ظلمه الا الى نفسه كمايدل‌عليه الحصر (فقال أبوهريرة بلى) أى بلى قد يضرغيره أيضا وليس ينحصر أثرضرره على‌نفسه (و الله حتى) أى حتى يتعدى الى غيره من الانسان و الحيوان المستأنس و غيره حتى (الحبارى) بضم الحاء طير مشهور (لتموت فى وكرها) أى بيتها و عشها (هزلا) بضم هاء و سكون زاى نقيض السمن (لظلم الظالم) أى لاجل ظلمه و لكن الله يعفو عن كثير و يمهل عن بعض و لا يهمل حق المظلوم و اليه الاشارة بقوله تعالى و لو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة الآية و فى النهاية يعنى ان الله تعالى يحبس القطر عن الحبارى بشؤم ذنوب الظالم و انما خصها بالذكر لانها أبعدالطير نجعة أى طلبا للكلأ الناشئ من‌الغيث فربما تذبح بالبصرة ويوجد فى‌حوصلتها الحبة الخضراء و بين البصرة و منبتها مسيرة أيام قال الطيبى قوله بلى ايجاب لما نفى قبله و ههنا وقعت جوابا للمثبت فالوجه ان يقال أن مفهوم قوله لايضر الا نفسه لايضر غيره فقال بلى يضر غيره حتى يضر الحبارى (روى البيهقى الاحاديث الاربعة فى شعب الايمان) أما الحديث الاخير فهو موقوف على أبى هريرة و أما الاول فقد رواه أحمد و الحاكم فى مستدركه أيضا على ما فى الجامع و لفظه الدواوين ثلاثة فديوان لايغفر الله منه شيأ و ديوان لايعبأ الله به شيأ و ديوان لايترك الله منه شيأ أما الديوان الذى لايغفر الله منه شيأ فالاشراك بالله و أما الديوان الذى لايعبأ الله به شيأ فظلم العبد نفسه فيما بينه و بين ربه من صوم يوم تركه أو صلاة تركها فان الله يغفر ذلك ان شاء ويتجاوز وأما الديوان الذى لايترك الله منه شيأ فمظالم العباد بينهم القصاص لا محالة و أما الحديث الثانى فقد أخرجه سمويه عن أنس ولفظه اياك و دعوة المظلوم و ان كانت من كافر فانه ليس لها حجاب دون الله عزوجل رواه أحمد و أبو يعلى فى مستديهما و الضياء عن أنس اتقوا دعوة المظلوم و ان كان كافرا فانه ليس لها دونه‌حجاب و رواه الحاكم عن ابن عمر و لفظه اتقوا دعوة المظلوم فانها تصعد الى السماء كانها شرارة و رواه الطبرانى و الضياء عن خزيمة بن ثابت و لفظه اتقوا دعوة المظلوم فانها تحمل على‌الغمام ثم يقول الله و عزتى و جلالى لانصرنك ولو بعد حين و أما الثالث فقد أخرجه الطبرانى والضياء عن أوس بن شرحبيل أيضا

★ (باب الامر بالمعروف) ★

فى النهاية المعروف اسم جامع لكل ما عرف من طاعات الله تعالى و التقرب اليه و الاحسان الى الناس و كل ما ندب اليه الشرع و نهى عنه من المحسنات و المقبحات و هو من الصفات الغالبة أى أمر معروف بين الناس اذا رأوه لاينكرونه و المعروف النصفة و حسن الصحبة مع الاهل و غيرهم من الناس و المنكر ضد ذلك جميعه اه و كان حق المؤلف ان يقول و النهى عن المنكر و لعله تركه لان الامر بالمعروف يعم النهى عن المنكر أو هو من باب الاكتفاء بذكر أحد الضدين عن الآخر كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر أى و البرد —

منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه و ذلك أضعف الايمان

✱ (الفصل الاول) ✱ (عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رأى) أي علم (منكم منكرا) أى فى غيره من المؤمنين و الخطاب للصحابة اصالة و لغيرهم من الامة تبعا و فى الاتيان بمن التبعيضية أشعار بانه من فروض الكفاية و ايماء الى انه لايباشره الا من يعرف مراتب الاحسان و تفاوت المنكرات و يميز بين المتفق عليه و المختلف فيه منها و هذا المعنى مقتبس من قوله تعالى و لتكن منكم أمة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و يسارعون فى الخيرات و خلاصة الكلام من أبصر ما أنكره الشرع (فليغيره بيده) أى بان يمنعه بالفعل بان يكسر الآلات و يريق الخمر و يرد المغصوب الى مالكه (فان لم يستطع) أى التغيير باليد و أزالته بالفعل لكون فاعله أقوى منه (فبلسانه) أى فليغيره بالقول و تلاوة ما أنزل الله من الوعيد عليه و ذكر الوعظ و التخويف و النصيحة (فان لم يستطع) أى التغيير باللسان أيضا (فبقلبه) بان لايرضى به و ينكر فى باطنه على متعاطيه فيكون تغييرا معنويا اذ ليس فى وسعه الا هذا القدر من التغيير و قيل التقدير فلينكره بقلبه لان التغيير لايتصور بالقلب فيكون التركيب من باب ✱ علفتها تبنا و ماء باردا و منه قوله تعالى و الذين تبوؤا الدار و الايمان (و ذلك) أى الانكار بالقلب و هو الكراهية (اضعف الايمان) أى شعبه أو خصال أهله و المعنى انه أقلها ثمرة فمن غير المراتب مع القدرة كان عاصيا و من تركها بلا قدرة أو يرى المفسدة أكثر و يكون منكرا بقلبه فهو من المؤمنين و قيل معناه و ذلك أضعف زمن الايمان اذ لو كان ايمان أهل زمانه قويا لقدر على الانكار القولى أو الفعلى و لما احتاج الى الاقتصار على الانكار القلبى أو ذلك الشخص المنكر بالقلب فقط أضعف أهل الايمان فانه لو كان قويا صلبا فى الدين لما اكتفى به و يؤيده الحديث المشهور أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر و قد قال تعالى و لايخافون لومة لائم هذا و قد قال بعض علمائنا الامر الاول للامراء و الثانى للعلماء و الثالث لعامة المؤمنين و قيل المعنى انكار المعصية بالقلب أضعف مراتب الايمان لانه اذا رأى منكرا معلوما من الدين بالضرورة فلم ينكره و لم يكرهه و رضى به و استحسنه كان كافرا و لعل الاطلاق الدال على العموم لافادة التهديد و الوعيد الشديد قال ابن الملك رحمه الله فان قلت هذا الحديث يدل على ان الايمان يزيد و ينقص كما ذهب اليه الشافعى رحمه الله فما تأويله عند الحنفية قلنا معناه أضعف ثمرات الايمان و الانكار بالقلب منها فان قلت لو كان كذلك لزم ان لايخرج من الايمان لانتفائه و ليس كذلك لما جاء فى بعض الروايات و ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل قلت أراد به ان الثمرات القوية و الضعيفة اذا انتفت كان الايمان كالمعدوم اه و فيه انه حينئذ يرجع الحديث دليلا للخصم فالصواب ان يقال التقدير وليس وراء ذلك من كمال الايمان أو من الايمان الكامل حبة خردل لايقال هذا أيضا يدل على تحقق الكمال و النقصان بالنسبة الى الايمان فانا نقول الخلاف انما هو فى حقيقة الايمان و هو التصديق القلبى هل هو قابل للزيادة و النقصان أم لا بل المحققون من الشافعية أيضا على أن النزاع لفظى فان نفس الايمان و جوهره لايتجزأ و انما كماله أن ينضم اليه وجود الاعمال الصالحة لأن الله تعالى حيث مدح المؤمنين الكاملين عطف الاعمال على الايمان و قال أن الذين آمنوا و عملوا الصالحات و من المعلوم أن الاصل فى العطف التغاير و أما كون الاعمال جزء الايمان حقيقة فانما هومذهب

الخوارج و المعتزلة و أما الآيات و الاحاديث الدالة على الزيادة و النقصان فاما محمولة على ما ذكرنا و أما بالنظر الى تعدد المؤمن به و هذا بحث طويل الذيل محله كتب العقائد و مباحث الكلام و الله تعالى أعلم بحقيقة المرام ثم اعلم أنه اذا كان المنكر حراما وجب الزجر عنه و اذا كان مكروها ندب و الامر بالمعروف أيضا تبع لما يؤمر به فان وجب فواجب و ان ندب فمندوب و لم يتعرض له فى الحديث لان النهى عن المنكر شامل له اذ النهى عن الشئ امر بضده و ضد المنهى اما واجب أو مندوب أو مباح و الكل معروف و شرطهما أن لايؤدى الى الفتنة كما علم من الحديث و ان يظن قبوله فان ظن انه لايقبل فيستحسن اظهارا لشعار الاسلام و لفظ من لعمومه شمل كل أحد رجلا أو امرأة عبدا أو فاسقا أو صبيا مميزا اذا كان و ان كان يستقبح ذلك من الفاسق قال تعالى أتأمرون الناس بالبر و تنسون أنفسكم و قال عزوجل لم‌تقولون ما لاتفعلون و أنشد و غير تقى يأمر الناس بالتقى ★ طبيب يداوى الناس و هو مريض قال النووى رحمه‌الله فى شرح مسلم قوله فليغيره بيده هو أمر ايجاب و قد تطابق على وجوبه الكتاب و السنة و اجماع الامة و هى أيضا من النصيحة التى هى الدين و لم‌يخالف فى ذلك الا بعض الروافض و لايعتد بخلافهم قال امام الحرمين أبو المعالى لاتكترث بخلافهم و وجوبه بالشرع لا بالعقل خلافا للمعتزلة فمن وجب عليه و فعله و لم‌يمتثل المخاطب فلاعتب بعد ذلك عليه لكونه أدى ما عليه و ما عليه أن يقبل منه و هو فرض كفاية و من تمكن منه و تركه بلاعذر اثم و قد يتعين كما اذا كان فى موضع لايعلم به الا هو أو لايتمكن من ازالته الا هو و كمن يرى زوجته أو ولده أو غلامه على منكر قالوا و لايسقط عن المكلف لظنه ان لايفيد بل يجب عليه فعله فان الذكرى تنفع المؤمنين و ما على الرسول الا البلاغ المبين و لايشترط فى الآمر و الناهى أن يكون كامل الحال ممتثلا ما يأمر به مجتنبا ما ينهى عنه بل يجب عليه مطلقا لان الواجب عليه شيآن أن يأمر نفسه و ينهاها و يأمر غيره و ينهاه فاذا أخل بأحدهما كيف يباح له الاخلال بالآخر قالوا و لايختص ذلك بأصحاب الولايات بل هو ثابت على آحاد المسلمين فان السلف الصالح كانوا يأمرون الولاة بالمعروف و ينهونهم عن المنكر مع تقرير المسلمين اياهم و ترك توبيخهم على التشاغل به ثم انه انما يأمر و ينهى من كان عالما بما يامر به و ينهى عنه و ذلك يختلف باختلاف الشئ فان كان من الواجبات الظاهرة أو المحرمات المشهورة كالصلاة و الصيام و الزكاة و الزنا و الخمر و نحوها فكل المسلمين عالم بها و ان كان من دقائق الافعال و الاقوال و ما يتعلق بالاجتهاد لم‌يكن للعوام مدخل فيه لان انكاره على ذلك للعلماء ثم العلماء انما ينكرون ما أجمع عليه الائمة و أما المختلف فيه فلا انكار فيه لان على أحد المذهبين كل مجتهد مصيب و ينبغى للآمر و الناهى أن يرفق ليكون أقرب الى تحصيل المطلوب فقد قال الامام الشافعى من وعظ أخاه سرا فقد نصحه و زانه و من وعظه علانية فقد فضحه و شانه قال القاضى عياض رحمه الله أن هذا الباب باب عظيم فى الدين به قوام الامر و ملاكه فاذا فسد عم العقاب الصالح و الظالم قال تعالى و اتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة (رواه مسلم) و كذا أحمد و الاربعة ★(وعن النعمان بن بشير قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم مثل المداهن) أى المداهن المتساهل (فى حدود الله) أى ترك القيام لاقامتها أو بالنهى عن ارتكاب المعاصى التى توجب الحدود و لعل

و الواقع فيها مثل قوم استهموا سفينة فصار بعضهم فى أسفلها و صار بعضهم فى أعلاها فكان الذى فى أسفلها يمر بالماء على الذين فى أعلاها فتأذوا به فأخذ فاسا فجعل ينقر أسفل السفينة فأتوه فقالوا مالك قال تأذيتم بى و لابد لى من الماء فان أخذوا على يديه أنجوه و نجوا أنفسهم و ان تركوه أهلكوه و أهلكوا أنفسهم

التخصيص للاعتناء بها أو لان ضررها قد يتعدى الى غير فاعلها و يمكن أن يراد بالحدود مطلق المعاصى فذكر الحدود لتغليب الاقوى أو لان حد كل معصية معروف مقرر (و الواقع فيها) أى و مثل الفاعل للمناهى و فى التعبير بالواقع فيها اشارة الى أنه بسبب المعصية كانه طارح من علو منزلته فى هوى بئر عميق و مكان سحيق (مثل قوم) بالرفع أى كمثل جمع مجتمع من الصالحين و غيرهم (استهموا سفينة) أى اقتسموا محالها و منازلها بالقرعة و هذا قيد اتفاق و انما يتصور فى جمع خاص ملكوها بالشركة المتساوية و الا فقد يكون الاقتسام بحسب أمر صاحب السفينة على مقتضى الاجارة و غيرها و قال بعضهم فيه ندب القرعة اذا تشاجروا أى تنازعوا على الجلوس فى الاعلى و الاسفل و ذلك اذا نزلوا فيها جملة أما اذا نزلوا متفرقين فمن سبق منهم الى مكان فهو أحق به من غيره قلت و هذا لايصح الا اذا كانت السفينة موقوفة على الفقراء أو على الحجاج و الغزاة بخلاف ما اذا كانت مملوكة لاحد أو لجماعة على سبيل الاشتراك (فصار بعضهم فى أسفلها) أى من المنازل (و صار بعضهم فى أعلاها) أى فى المجلس (فكان الذى) أى و لو كان واحدا (فى أسفلها) أى البعض الذى مستقر فى أسفلها فافرد الموصول نظرا الى لفظة البعض و ايماء الى أنه و لو كان واحدا فالامر كذلك و أشعارا بان الصلحاء فى الامة كثيرون و ان الطلحاء قليلون مغلوبون مقهورون أو ايماء الى ان الصالح و ان كان واحدا فهو كثير كبير عال بعلو الدين و الفسقة و ان كانوا جماعة فهم فى مرتبة القلة و منزلة الذلة و مقام أسفل السافلين (يمر بالماء) أى بسببه (على الذين فى أعلاها فتأذوا به) أى فتأذى من بالاعلى بمروره عليهم و حاصله انه يجىء من أسفلها الى أعلاها ليأخذ الماء و يذهب الى موضعه ففى ذهابه و ايابه و امراره بالماء عليهم تأذوا به بحيث ظهر له أو أظهروا له بالقول الغايظ أو الفعل الشنيع لاسيما اذا كان الماء كناية عن البول و الغائط و امراره لطرحه فى البحر فانه حينئذ يوجد التأذى أكثر و وجه المضايقة و المخالفة أظهر خصوصا اذا كان أهل السفل فقراء على ما هو الغالب على مقتضى طالعهم و نازلهم فى الحظ عن منازلهم ثم الاظهر انه صور محل الاولين أعلى لخلوهم بانفسهم عن المعاصى و جعل مقابلهم أسفل لارتكابه المنهى (فأخذ فأسا) بابطه بسكون الهمزة و يبدل ألفا (فجعل) أى شرع (ينقر) بضم القاف أى يدق و يخرق و يقطع (أسفل السفينة) أى من ألواحها (فأتوه) أى فجاءه أهل العوالى (فقالوا مالك) أى أى شئ باعث لك على ذلك (قال تأذيتم بى و لابد لى من الماء) أى من استعماله أو طرحه (فان أخذوا على يديه) أى منعوه يقال أخذت على يد فلان اذا منعته عما يريد ان يفعله كانك أمسكت يده كذا فى النهاية (أنجوه) أى خلصوه (و نجوا) بالتشديد أى و خلصوا (أنفسهم) أيضا فخلصوا من الهلاك جميعا و فى الجمع بين اللغتين تفنن فى العبارتين(و ان تركوه) أى على فعله (أهلكوه و أهلكوا أنفسهم) و المعنى أنه كذلك أن منع الناس الفاسق عن الفسق نجا و نجوا من عذاب الله تعالى و ان تركوه على فعل المعصية و لم يقيموا عليه الحد حل بهم العذاب و هلكوا بشؤمه و هذا معنى قوله تعالى و اتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة أى بل

رواه البخاری ★ و عن أسامة بن زید قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم یجاء بالرجل یوم القیامة فیلقی فی النار فتندلق اقتابه فی النار فیطحن فیها کطحن الحمار برحاه فیجتمع أهل النار علیه فیقولون أی فلان ماشأنک ألیس کنت تأمرنا بالمعروف و تنهانا عن المنکر قال کنت آمرکم بالمعروف و لا آتیه و أنهاکم عن المنکر و آتیه متفق علیه

★ (الفصل الثانی) ★ عن حذیفة ان النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم قال و الذی نفسی بیده لتأمرن بالمعروف و لتنهون عن المنکر أو لیوشکن الله أن یبعث علیکم عذابا من عنده ثم لتدعنه و لا یستجاب لکم

تصیبکم عامة بسبب مداهنتکم و الفرق بین المداهنة المنهیة و المداراة المأمورة أن المداهنة فی الشریعة ان یری منکرا و یقدر علی دفعه و لم یدفعه حفظا لجانب مرتکبه أوجانب غیره لخوف أو طمع أولاستحیاء منه أو قلة مبالاة فی الدین و المداراة موافقته بترک حظ نفسه وحق یتعلق بماله و عرضه فیسکت عنه دفعا للشر و وقوع الضرر و منه قول الشاعر ★ فدارهم مادمت فی دارهم ★ و حاصل المعنی تحمل الاذی من الخلق رضا بما قضی‌له الحق ومجمله أن‌المداهنة انماتکون فی الباطل مع الاعداء و المداراة فی أمر حق مع الاحباء قال الاشرف شبه النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم المداهن فی حدود الله بالذی فی أعلی السفینة و شبه الواقع فی تلک الحدود بالذی فی أسفلها و شبه انهما کهم فی تلک الحدود و عدم ترکه ایاها بنقره أسفل السفینة و عبر عن نهی الناهی الواقع فی تلک الحدود بالاخذ علی یدیه و بمنعه ایاه عن النقر و عبر عن فائدة ذلک المنع بنجاة الناهی و المنهی و عبر عن عدم نهی النهاة بالترک و عبر عن الذنب الخاص للمداهنین الذین ما نهوا الواقع فی حدود الله باهلاکهم ایاه و أنفسهم و کان السفینة عبارة عن الاسلام المحیط بالفریقین و انما جمع فرقة النهاة ارشادا الی أن المسلمین لابد و أن یتعاونوا علی أمثال هذا النهی أو الی أن من یصدر عنه هذا النهی فهو کالجمع قال تعالی أن ابراهیم کان أمة و أفرد الواقع فی حدود الله لادائه الی ضد الکمال (رواه البخاری ★ و عن أسامة بن زید) صحابیان جلیلان (قال قال رسول‌الله صلی‌الله علیه‌وسلم یجاء) أی یؤتی (بالرجل) أی المقصر فی الامر بالمعروف و النهی عن المنکر (یوم القیامة فیلقی فی النار فتندلق) أی تخرج سریعا (اقتابه) أی امعاؤه (فیطحن) بصیغة الفاعل علی‌الصحیح ای یدور (فیها) أی فی اقتابه و اقصابه (کطحن الحمار برحاه) أی کدورانه حول رحاه قال الطیبی رحمه الله قوله فیطحن فیها هو علی بناء الفاعل و الضمیر للرجل و فی فیها للامعاء و فی بعض نسخ المصابیح هوعلی بناء المفعول وهو خطأ لما ورد فی روایة أخری فیدور کما یدور الحمار برحاه قال المظهر أی یدور و یتردد فی أقتابه یعنی یدور حول اقتابه و یضربها برجله ویمکن أن یکون المعنی فیدور فی النار و ماحولها کما یدور الحمار برحاه أی فی رحاه (فیجتمع أهل النار علیه) أی من الفسقة (فیقولون أی فلان) کنایة عن اسمه و وصفه بالعلم أو المشیخة (ماشأنک) أی حالک الغریب و مآلک العجیب (ألیس کنت تأمرنا بالمعروف و تنهانا عن المنکر قال کنت آمرکم) بصیغة المتکلم (بالمعروف و لا آتیه) أی لا أفعله (و أنهاکم عن المنکر و آتیه متفق علیه) ★ (الفصل الثانی) ★ (عن حذیفة ان النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم قال و الذی نفسی بیده لتأمرن بالمعروف و لتنهون عن المنکر أو لیوشکن) أی لیسرعن (الله أن یبعث علیکم عذابا من عنده ثم لتدعنه) أی لتسألنه (و لا یستجاب لکم) و المعنی و الله أن أحد الامرین واقع أما الامر

رواه الترمذی ★ و عن العرس بن عمیرة عن النبی صلی الله علیه وسلم قال اذا عملت الخطیئة فی الارض من شهدها فکرهها کان کمن غاب عنها و من غاب عنها فرضیها کان کمن شهدها رواه أبوداود ★ و عن أبی بکر الصدیق قال یا أیها الناس انکم تقرؤن هذه الآیة یا أیها الذین آمنوا علیکم أنفسکم لایضرکم من ضل اذا اهتدیتم فانی سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول ان الناس اذا رؤا منکرا فلم یغیروه یوشک أن یعمهم الله بعقابه

والنهی منکم وأما أنزال العذاب من ربکم ثم عدم استجابة الدعاء له فی دفعه عنکم (رواه الترمذی) و رواه البزار و الطبرانی فی الاوسط عن أبی هریرة و لفظة لتأمرن بالمعروف و لتنهون عن المنکر أو لیسلطن الله علیکم شرارکم فیدعو خیارکم فلایستجاب لهم ★ (و عن العرس) بضم العین المهملة وسکون الراء و سین مهملة (ابن عمیرة) بفتح عین و کسر میم و براء و لایعرف فی الرجال عمیرة بالضم بل کله بالفتح کذا فی المغنی و قال المؤلف فی فصل الصحابة هو کندی روی عنه عدی بن عدی ابن أخیه و غیره (عن النبی صلی الله علیه وسلم قال اذا عملت الخطیئة) بصیغة المجهول أی اذا فعلت السیئة (فی الارض) أی علی وجه الارض جمیعا (من شهدها) جواب الشرط و الفاء محذوفة کما فی قوله تعالی و ان أطعمتموهم انکم لمشرکون ذکره الطیبی رحمه الله و انما حسن حذف الفاء فیه لان الشرط بلفظ الماضی ذکره القاضی رحمه الله و المعنی من حضرها (فکرهها) أی فأنکرها و لو بقلبه (کان کمن غاب عنها) أی و لم یعلم بها (و من غاب عنها) أی و علم بها (فرضیها) أی فرضی بها و استحسنها (کان کمن شهدها) أی و لم ینکرها (رواه أبوداود) و لفظ الجامع مسندا الیه اذا عملت الخطیئة فی الارض کان من شهدها فکرهها کمن غاب عنها الحدیث ★ (و عن أبی بکر الصدیق) رضی الله عنه (قال یا أیها الناس انکم تقرؤن هذه الآیة یا أیها الذین آمنوا علیکم أنفسکم لایضرکم من ضل اذا اهتدیتم) أی الزموا حفظ أنفسکم عن المعاصی فاذا حفظتم أنفسکم لم یضرکم اذا عجزتم عن الامر بالمعروف و النهی عن المنکر ضلال من ضل بارتکاب المناهی اذا اهتدیتم الی اجتنابها (فانی) قال الطیبی الفاء فصیحة تدل علی محذوف کانه قال انکم تقرؤن هذه الآیة و تجرون علی عمومها و تمتنعون عن الامر بالمعروف والنهی عن المنکر و لیس کذلک فانی (سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول ان الناس اذا رأوا منکرا فلم یغیروه) أی مع القدرة علی انکاره (یوشک أن یعمهم الله بعقابه) قال الطیبی رحمه الله و انما قلت لیس کذلک لان الآیة نزلت فی أقوام أمروا بالمعروف و نهوا عن المنکر . فأبوا القبول کل الاباء فذهبت أنفس المؤمنین حسرة علیهم فقیل لهم علیکم أنفسکم و ما کلفتم من اصلاحها والمشی بها فی طرق الهدی لایضرکم الضلال فی دینکم اذا کنتم مهتدین و یشهد لذلک ما قبل هذه الآیة و اذا قیل لهم تعالوا الی ما أنزل الله و الی الرسول الخ و هذا تخصیص بحسب الاشخاص و أما بحسب الزمان فیدل علیه الحدیث الآتی لابی ثعلبة فان العام قد یخص مرة أخری اهـ و لایخفی انه غیر صحیح المبنی و صریح المعنی من وجهین أما أولا فقوله نزلت الآیة فی قوم أمروا بالمعروف فأبوا کل الاباء فلایعرف له أصل أصلا بل و لایتصور له وجود أبدا لان من المعلوم انه لایؤمر بالمعروف الا المؤمنون و لایمکن انهم یأبون کل الاباء و لم یثبت ان قوما ارتدوا بسبب هذا الامر حتی یصح قوله فذهبت أنفس المؤمنین حسرة علیهم الخ و أما ثانیا فقوله و یشهد لذلک ما قبل هذه الآیة لاتعلق له بباب الامر بالمعروف و النهی عن المنکر

رواه ابن ماجه و الترمذی و صححه و فی روایة أبی‌داود اذا رأوا الظالم فلم‌یأخذوا علی یدیه أوشک أن یعمهم الله بعقاب و فی أخری له ما من قوم یعمل فیهم بالمعاصی ثم یقدرون علی أن یغیروا ثم لایغیرون الا یوشک أن یعمهم الله بعقاب و فی أخری له ما من قوم یعمل فیهم بالمعاصی هم أكثر ممن یعمله

مطلقا بل المطلوب منهم أن یؤمنوا بما أنزل الله الی الرسول و یترکوا تقلید آباءهم فی ضلالتهم وابائهم فأصروا علی بطلانهم وقالوا حسبنا ماوجدنا علیه آباءنا فقال تعالی أولوکان آباؤهم لایعلمون شیأ و لایهتدون نعم ورد ما یناسب بین اقتران الآیتین علی ما أخرجه ابن أبی‌حاتم انه انما انزلت هذه الآیة لان الرجل کان یسلم و یکفر أبوه ویسلم الرجل و یکفر أخوه فلما دخل قلوبهم حلاوة الایمان دعوا آباءهم و أخوانهم فقالوا حسبنا ما وجدنا علیه آباءنا فأنزل الله یا أیها الذین آمنوا علیکم أنفسکم الآیة و هذا معنی قول البیضاوی و الآیة نزلت لما کان المؤمنون یتحسرون علی الکفرة و یتمنون ایمانهم و فی تفسیر المعین الصفوی فی هذه الآیة رخصة فی ترک الحسبة اذا علم عدم قبولها أو فیها مفسدة أو اضرار له منها اتفقت علیه کلمة السلف علی ذلک و الاحادیث تدل علیه أو معنی اذا اهتدیتم اذا ائتمرتم بالمعروف و أمرتم به و انتهیتم عن المنکر و نهیتم عنه. کذا رواه ابن جریر عن سعید بن المسیب و روی عن غیر واحد من السلف فان الاهتداء لایحصل الا باتیان ما یجب علیه و منه الامر بالمعروف أو المراد المنع عن اهلاك النفس أسفا علی ما علیه الکفرة و الفسقة کقوله تعالی فلاتذهب نفسک علیهم حسرات و قال النووی و أما قوله تعالی یا أیها الذین آمنوا الآیة فلیست مخالفة لوجوب الامر بالمعروف و النهی عن المنکر لان المذهب الصحیح عند المحققین فی معنی الآیة انکم اذا فعلتم ما کلفتم به فلایضرکم تقصیر غیرکم مثل قوله تعالی و لاتزر وازرة وزر أخری فاذا کان کذلک فمما کلف به الامر بالمعروف اذا فعله و لم‌یمتثل المخاطب فلاعتب بعد ذلک علیه لکونه أدی ما علیه (رواه ابن ماجه و الترمذی و صححه و فی روایة أبی‌داود اذا رأوا) أی الناس (الظالم) أی الفاسق (فلم‌یأخذوا علی یدیه) أی لم‌یمنعوه عن ظلمه (أوشک أن یعمهم الله بعقاب) أی بنوع من العذاب فانه أشد الحجاب (و فی أخری له) أی لابی‌داود (ما من قوم یعمل فیهم) بصیغة المجهول و الجار و المجرور هو النائب أو التقدیر یعمل أحد فیما بینهم (بالمعاصی ثم یقدرون علی أن یغیروا ثم لایغیرون الایوشک أن یعمهم الله بعقاب و فی أخری له ما من قوم یعمل فیهم بالمعاصی‌هم أکثر ممن یعمله) هم صفة قوم أی اذا کان الذین لایعملون المعاصی أکثر من الذین یعملونها فلم‌یمنعوهم‌عنها عمهم العذاب قال‌الطیبی رحمه‌الله یزاد بعده ثم لایغیرون الایوشک أن یعمهم‌الله بعقاب و هم صفة قوم قلت‌هذه التقادیر مستفادة مماقبله وانما أراد المصنف اختلاف الروایة فی‌صدر الحدیث وقال البغوی رحمه الله و فی روایة لتأمرن بالمعروف و لتنهون عن المنکر أو لیستعملن الله علکیم شرارکم.فلیسومنکم سوء العذاب ثم لیدعن الله خیارکم فلایستجاب‌لهم قال أبوعبید خاف‌الصدیق أن یتأول‌الناس الآیة غیرتأولها فیدعوهم الی ترک الامر بالمعروف فأعلمهم انها لیست کذلک و ان الذی أذن فی الامساك عن تغییره من المنکر هو الشرك الذی ینطق به المعاهدون من أجل انهم یتدینون به و قد صولحوا علیه فاما الفسوق و العصیان و الریب من أهل الاسلام فلایدخل فیه و قال مجاهد و سعید بن جبیر الآیة فی الیهود و النصاری یعنی علیکم أنفسکم لایضرکم من ضل من أهل الکتاب فخذوا منهم

★ و عن جرير بن عبد الله قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول ما من رجل يكون فى قوم يعمل فيهم بالمعاصى يقدرون على أن يغيروا عليه و لايغيرون الا أصابهم الله منه بعقاب قبل أن يموتوا رواه أبوداود وابن ماجه ★ وعن أبى ثعلبة فى قوله تعالى عليكم انفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم فقال أما و الله لقدسألت عنها رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم

الجزية و اتركوهم و عن ابن مسعود قال فى هذه الآية مروا بالمعروف و انهوا عن المنكر ما قبل منكم فان رد عليكم فعليكم أنفسكم ثم قال ان القرآن نزل منه أى قد مضى تأويلهن قبل ان ينزلن و منه أى وقع تأويلهن على عهد رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و منه أى وقع تأويلهن بعد رسول‌الله صلى‌الله تعالى عليه‌وسلم بيسير و منه أى و يقع تأويلهن فى آخر الزمان و منه أى يقع تأويلهن يوم القيامة و هو ما ذكر من الحساب و الجنة و النار فما دامت قلوبكم و أهواؤكم واحدة و لم‌تلبسوا شيعا و لم‌يذق بعضكم بأس بعض فامروا و انهوا فاذا اختلفت القلوب و الاهواء و ألبستم شيعا و ذاق بعضكم بأس بعض فامرؤ و نفسه فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية اه و هو مطابق لما فى حديث أبى ثعلبة الآتى ★(و عن جرير بن عبدالله) أى البجلى (قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول ما من رجل يكون فى قوم يعمل) بفتح الياء صفة ثانية لرجل أوحال منه وسوغه وصفه أى يفعل (فيهم بالمعاصى) أى بهذا الجنس من العمل (يقدرون) أى القوم (على أن يغيروا عليه) أى على الرجل باليد أو اللسان فانه لامانع من انكار الجنان (و لايغيرون الا أصابهم الله منه) أى من عنده تعالى (بعقاب قبل أن يموتوا) قال الطيبى رحمه الله الضمير المجرور أما عائد الى الرجل أو الى عدم التغيير و تكون من ابتدائية أى بسبب شؤمه و أن يعود الى الله تعالى أى عذابا من عنده و هذا أبلغ كقوله تعالى انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن (رواه أبوداود و ابن ماجه) و أخرج عبد الرزاق و عبد بن حميد عن جرير البجلى و لفظه سمعت النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول ما من قوم يكون بين أظهرهم رجل يعمل بالمعاصى هم أمنع منه و أعز ثم لايغيرون عليه الا أوشك أن يعمهم الله منه بعقاب قال الطيبى رحمه‌الله و هذا الحديث مخالف للحديث الذى فى المصابيح بحسب اللفظ و كان موضعه الفصل الثالث الا انه ذكره هنا تنبيها على ان المؤلف ما وجد فى الاصول كما فى المصابيح قلت هذا التنبيه موجه نبيه متضمن للاعتراض الفعلى و أما كون موضعه الفصل الثالث فليس فى موضعه ★ (و عن أبى ثعلبة) أى ابن جرهم بن ثابت الخشنى بايع النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم بيعة الرضوان و أرسله الى قومه فاسلموا و نزل بالشام و مات بها سنة خمس وخمسين (فى قوله تعالى عليكم أنفسكم) قال البيضاوى رحمه الله أى احفظوها و الزموا اصلاحها و الجار مع المجرور جعل اسما لالزموا و لذلك نصب أنفسكم و قرئ بالرفع على الابتداء (لايضركم من ضل اذا اهتديتم) أى لايضركم الضلال اذا كنتم مهتدين و من الاهتداء أن ينكر المنكر حسب طاقته على ما سبق من الحديث و لايضركم يحتمل الرفع على انه مستأنف و يؤيده ان قرئ لايضركم بالجزم على الجواب أى للامر أو على النهى لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة و يؤيده قراءة من قرأ لايضركم بالفتح و لايضركم بكسر الضاد و ضمها أى مع سكون الراء من ضاره يضيره و يضوره قال الطيبى رحمه الله يقول الراوى سئل أبو ثعلبة فى شأن قوله تعالى عليكم أنفسكم (فقال) أى أبو ثعلبة (أما) بتخفيف الميم للتنبيه (و الله لقد سألت عنها) أى عن الآية (رسول‌الله صلى‌الله

فقال بل ائتمروا بالمعروف و تناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا و هوى متبعا و دنيا مؤثرة و اعجاب كل ذى رأى برأيه و رأيت أمرا لابد لك منه فعليك نفسك و دع أمر العوام فان وراءكم أيام الصبر فمن صبر فيهن قبض على الجمر للعامل فيهن أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله قالوا يا رسول‌الله أجر

عليه‌وسلم فقال بل ائتمروا) أى امتثلوا (بالمعروف) أى و منه الامر به (و تناهوا) أى انتهوا و اجتنبوا (المنكر) و منه الامتناع عن نهيه أو الائتمار بمعنى التأمر كالاختصام بمعنى التخاصم و يؤيده التناهى و المعنى ليأمر بعضكم بعضا بالمعروف و تنه طائفة منكم طائفة عن المنكر و قال الطيبى رحمه الله قوله بل ائتمروا اضراب عن مقدر أى سألت عنها رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم و قلت أما نترك الامر بالمعروف و النهى عن المنكر بناء على ظاهر الآية فقال عليه الصلاة والسلام لاتتركوا بل ائتمروا بالمعروف الخ اه و المعنى كونوا قائمين بهما على وجه كمالهما (حتى اذا رأيت) أى أيها المخاطب خطابا عاما و نكتة الافراد انفراد المستقيم و اجتماع العامة على العدول عن الطريق القويم و المعنى اذا عملت الغالب على الناس (شحا مطاعا) أو اذا عرفت شحا أى بخلا مطاعا بان اطاعته نفسک و طاوعه غيرك (و هوى متبعا) بصيغة المفعول أى و هوى للنفس متبوعا و طريق الهدى مدفوعا و حاصله ان كلا يتبع هواه و ما تأمره نفسه الامارة و ما تتمناه (و دنيا) بالقصر و فى نسخة بالتنوين و هى عبارة عن المال و الجاه فى الدار الدنية (مؤثرة) أى مختارة على امور الدين و درجات الآخرة (و اعجاب كل ذى رأى برأيه) أى من غير نظر الى الكتاب و السنة و اجماع الامة و القياس على أقوى الادلة و ترك الاقتداء بنحو الائمة الاربعة و الاعجاب بكسر الهمز هو وجدان الشئ حسنا و رؤيته مستحسنا بحيث يصير صاحبه به معجبا و عن قبول كلام الغير مجنبا و ان كان قبيحا فى نفس الامر (و رأيت امرا لابد لک منه) بضم الموحدة و تشديد المهملة فى جميع النسخ المصححة و الاصول المعتمدة و قال الطيبى رحمه الله يحتمل أن يكون بالباء الموحدة بمعنى لا فراق لک منه و المعنى رأيت أمرا يميل اليه هواك ونفسک من الصفات الذميمة حتى اذا قمت بين الناس لا محالة أن تقع فيها (فعليک نفسک) و اعتزل عن الناس حذرا من الوقوع وأن يكون بالياء المثناة كما فى بعض نسخ المصابيح و المعنى فان رأيت أمرا لا طاقة لک من دفعه فعليک نفسک اه و نفسک منصوب و قيل مرفوع أى فالواجب أو فيجب عليک حفظها من المعاصى لكن يؤيد الاول وهو أن يكون للاغراء بمعنى الزم خاصة نفسک قوله (و دع أمر العوام) أى و اترك أمر عامة الناس الخارجين عن طريق الخواص و حاصله انه اذا رأيت بعض الناس يعملون المعاصى و لابد لک من السكوت لعجزك فاحفظ نفسک عن المعاصى و اترك الامر بالمعروف و النهى عن المنكر و اشتغل بنفسک و دع أمر الناس الى الله فانه تعالى لايكلف نفسا الا وسعها (فان وراءكم) أى قدامكم من الازمان الآتية أو خلفكم من الامور الهاوية (أيام الصبر) أى اياما لا طريق لكم فيها الا الصبر أو اياما يحمد فيها الصبر و هو الحبس على خلاف النفس من اختيار العزلة و ترك الخلطة و الجلوة (فمن صبر فيهن) أى فى تلک الايام (قبض على الجمر) يعنى يلحقه المشقة بالصبر كمشقة الصابر على قبض الجمر بيده و قد أشار اليه الشاطبى بقوله و هذا زمان الصبر من لک بالتى ★ كقبض على جمر فتنجو من البلا ★ (للعامل) أى الكامل و لو لم يكن مكملا لغيره (أجر

خمسين منهم قال أجر خمسين منكم رواه الترمذی و ابن ماجه ★ و عن أبی سعيد الخدری قال قام فينا رسول‌الله صلی‌الله‌عليه‌وسلم خطيبا بعد العصر فلم‌يدع شيأ يكون الی قيام الساعة الا ذكره حفظه من حفظه و نسيه من نسيه و كان فيما قال ان الدنيا حلوة خضرة و ان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ألا فاتقوا الدنيا و اتقوا النساء و ذكر ان

خمسين رجلا يعملون مثل عمله) أی فی غير زمانه (قالوا يا رسول‌الله أجر خمسين) بتقدير الاستفهام (منهم) فيه تأويلان أحدهما أن يكون أجر كل واحد منهم علی تقدير انه غير مبتلی و لم‌يضاعف أجره و ثانيهما أن يراد أجر خمسين منهم أجمعين لم‌يبتلوا ببلائه (قال أجر خمسين منكم رواه الترمذی و ابن ماجه) و قد صححه الترمذی و رواه ابن جرير . و البغوی فی معجمه و ابن المنذر و ابن أبی حاتم و الطبرانی و أبو الشيخ و ابن مردويه و الحاكم و صححه و البيهقی فی الشعب عن أبی أمية الشعبانی قال أتيت أبا ثعلبة الخشنی فقلت له كيف تصنع فی هذه الآية قال أی آية قلت قوله تعالی يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم قال أما والله لقد سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول‌الله صلی‌الله‌عليه‌وسلم الحديث الی ان قال فان من ورائكم أيام الصبر الصابر فيهن مثل القابض علی الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم و قد ذكر البغوی فی تفسيره باسناده الی ابن المبارك عن عتبة بن أبی حكيم كما فی أصل المشكاة الی قوله مثل عمله ثم قال و زاد فی غيره قال يا رسول‌الله أجر خمسين منهم قال أجر خمسين منكم ★ (وعن أبی‌سعيد الخدری قال قام فينا) أی فيما بيننا أو فی حقنا أو لاجلنا (رسول‌الله صلی‌الله‌عليه‌وسلم خطيبا) أی واعظا لقوله (بعد العصر فلم‌يدع) أی لم‌يترك (شيأ) أی مما يتعلق بامر الدين مما لابد منه (يكون) أی يقع ذلك الشیٔ (الی قيام الساعة) أی ساعة القيامة (الا ذكره) أی عينه و بينه (حفظه من حفظه) أی ممن وفقه الله و حفظه (و نسيه من نسيه) أی ممن أنساه الله و ترك نصره (و كان فيما قال) أی من خطبته و موعظته (ان الدنيا) و فی الجامع أما بعد فان الدنيا (حلوة) بضم أوله أی لذيذة حسنة (خضرة) بفتح فكسر أی ناعمة طرية و فی الجامع تقديم خضرة و انما وصفها بالخضرة لان العرب تسمی الشیٔ الناعم خضرا أو لشبهها بالخضراوات فی ظهور كمالها و سرعة زوالها و فيه بيان انها غدارة مكارة سحارة تفتن الناس بلونها و طعمها و توضيحه ان الدنيا طيبة مليحة فی عيون أربابها و قلوب أصحابها لايشبعون من جمع المال و لا من سعة الجاه و كثرة الاقبال و طول الآمال و فيه ايذان بشدة انجذاب النفوس اليها لان كلا من هذين الوصفين تميل اليه النفوس الناقصة فان اجتمعا كانت اليها أميل و عليها أقبل (و ان الله مستخلفكم فيها) أی جاعلكم خلفاء فی الدنيا معناه ان أموالكم ليست فی الحقيقة لكم و انما هی لله جعلكم فی التصرف فيها بمنزلة الوكلاء أو جاعلكم خلفاء فيمن كان قبلكم و أعطی ما كان فی أيديهم اياكم (فناظر كيف تعملون) أی تعتبرون بحالهم و تتفكرون فی مآلهم و تتصرفون فی دنياكم و تراعون فی دنياكم لعقباكم و حاصله انه يتعلق به العلم التنجيزی علی طبق العلم الازلی التقديری (ألا) للتنبيه (فاتقوا الدنيا) أی احذروا زيادتها علی قدر الحاجة المعينة للدين النافعة فی الاخری (و اتقوا النساء) أی مكرهن و غدرهن و حبهن البالغ الباعث علی جمع المال المانع من تحصيل العلم و العمل من أسباب الكمال و فی الجامع زيادة فان أول فتنة بنی اسرائيل كانت فی النساء (و ذكر) أی النبی صلی‌الله‌عليه‌وسلم فی جملة ما ذكر (ان) بفتح الهمزة و تكسر

لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدرته فى الدنيا و لاغدر أكبر من غدر أمير العامة يغرز لواؤه عند استه قال و لايمنعن أحدا منكم هيبة الناس أن يقول بحق اذا علمه و فى رواية ان رأى منكرا ان يغيره فبكى أبو سعيد و قال قد رأيناه فمنعتنا هيبة الناس أن نتكلم فيه ثم قال ألا ان بنى آدم

(لكل غادر) من الغدر و هو ترك الوفاء (لواء) بكسر اللام أى علما اعلاما بسوء حاله و قبح مآله (يوم القيامة) أى يوم الفضيحة (بقدر غدرته) مصدر بمعنى الغدر و لعل وجه الاتيان بصيغة المرة ان يجازى بغدره فى العقبى و لو كان مرة (فى الدنيا) و لاشك أن الغدر فيها له مراتب مختلفة فلهذا قال (و لاغدر أكبر من غدر أمير العامة) قال التوربشتى رحمه الله أراد به المتغلب الذى يستولى على أمور المسلمين و بلادهم بتأمير العامة و معاضدتهم اياه من غير مؤامرة من الخاصة و أهل العقد من أولى العلم و من ينضم اليهم من ذوى السابقة و وجوه الناس و قوله (يغرز لواؤه عند استه) من شأن الامراء أن يكون لواؤهم خلفهم ليعرفوا به فيوم القيامة يكون لكل من دعا الى حق أو باطل لواء يعرف به و ذكر عند أسته استهانة و تنبيها على انه يلصق به و يدنى منه دنوا لايكون معه اشتباه اه فقوله يغرز بصيغة المجهول أى ينصب لواؤه عند استه تحقيرا له و هو بهمزة الوصل مكسورة العجز أو حلقة الدبر (قال) أى النبى صلى الله عليه وسلم (و لايمنعن) بالتذكير و يؤنث (أحدا منكم هيبة الناس) أى عظمتهم و شوكتهم و مخالفتهم و مهابتهم (ان يقول بحق) أى من ان يتكلم به أو يأمر به (اذا علمه) و فى النهاية يجعل العرب القول عبارة عن جميع الافعال و طلقه على غير الكلام فيقول قال بيده أى أخذ و قال برجله أى مشى (و فى رواية) أى بدلا من قوله أن يقول بحق (ان رأى منكرا) بان الشرطية (ان يغيره) مفعول لايمنعن أى من تغيير المنكر (فبكى أبو سعيد و قال قد رأيناه) أى المنكر (فمنعتنا هيبة الناس ان نتكلم فيه) أى عملا بما فى بعض الاحاديث من رخصة السكوت عند المخافة على نفسه أو عرضه أو ماله عند العجز و ضعف زمن الايمان و أما العزيمة فان لايبالى بشئ مما ذكر ولذا ورد أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر على ما روى ابن ماجه عن أبى سعيد وجماعة عن أبى أمامة و غيره و قد قال تعالى و من الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله أى يبيعها ببذلها فى الجهاد أو يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر حتى يقتل طلبا لرضاه لا لغرض سواه فان أكابر الصحابة فى الصدر الاول عجزوا مع كمال قوتهم فى الدين و اليقين و المعرفة و لم يقدروا على اظهار الحق لاهل البطلان كيزيد و الحجاج و امثالهما من الظلمة و الفسقة فكيف حالنا و الحال ان بعد الالف أيام تقهقر الاسلام و تسلط السلاطين على جميع الانام من غير تحققهم بشروط الامامة و الخلافة و قلة العلماء العاملين و كثرة العضلاء الجاهلين و القضاة الظالمين والمشايخ المرائين فانا لله و أنا اليه راجعون فهذا لاشك أنه زمان الصبر المقرون بالشكر المنضم الى الرضا بالقضاء المتعين فيه السكوت و ملازمة البيوت و القناعة بالقوت الى أن يموت (ثم قال) أى النبى صلى الله عليه وسلم (ألا) للتنبيه (ان بنى آدم) خصوا بالذكر لان الملائكة خلقوا للخير فقط و الشياطين خلقوا للشر فقط فالاولون مظاهر الجمال و الآخرون مظاهر الجلال و بنو آدم خلقوا على وصف الكمال و لعل هذا معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته أى على صفة الكمال الجامعة لنعوت الجلال و الجمال و لما خلق فيهم هذه القابلية الكاملة قدروا على حمل الامانة الشاملة التى عرضت على السموات

خلقوا على طبقات شتى فمنهم من يولد مؤمنا و يحيا مؤمنا و يموت مؤمنا و منهم من يولد كافرا و يحيا كافرا و يموت كافرا و منهم من يولد مؤمنا و يحيا مؤمنا و يموت كافرا و منهم من يولد كافرا و يحيا كافرا و يموت مؤمنا قال و ذكر الغضب فمنهم من يكون سريع الغضب سريع الفيء فاحداهما بالاخرى و منهم من يكون بطيء الغضب بطيء الفيء فاحداهما بالاخرى و خياركم من يكون بطيء الغضب سريع الفيء و شراركم من يكون سريع الغضب بطيء الفيء

و الارض و الجبال أى على أهلها من العلويات و السفليات فابين ان يحملنها أى امتنعن لعدم استعدادهن و اشفقن منها لعدم استطاعتهن و حملها الانسان فالانسان معجون مركب من النعوت الملكية الموجبة لعناية الجمال الربانى و الصفات الشيطانية المقتضية لغضب الجلال الصمدانى فان مال السالك الى الملك صار خيرا منه و ان مال الى الشيطان صار شرا منه و هم مع هذا الوصف الاجمالى و النعت الاكمالى كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم (خلقوا) أى جبلوا على ما خلق الله فيهم من اختيار الخير و الشر (على طبقات شتى) أى مراتب مختلفة باعتبار اختلاف أحوال الايمان و الكفر و أوقاتهما (فمنهم من يولد مؤمنا) أى من أبويه المؤمنين أو فى بلاد المؤمنين فانه حين يولد قبل التمييز لاينسب اليه الايمان الاباعتبار ما علم الله فيه من الازل أو باعتبار ما يؤل اليه أمره فى الاستقبال (و يحيا) أى يعيش فى جميع عمره من حين تمييزه الى انتهاء عمره (مؤمنا) أى كاملا أو ناقصا (و يموت مؤمنا) أى كذلك جعلنا الله منهم (و منهم من يولد كافرا) أى بخلاف ما سبق و هو لاينافى ما ورد كل مولود يولد على الفطرة فان المراد بها قابلية قبول الهداية لو لا مانع من بواعث الضلالة كما يشهد له قوله فابواه يهودانه الحديث (و يحيا كافرا و يموت كافرا) نعوذ بالله من ذلك (و منهم من يولد مؤمنا و يحيا مؤمنا و يموت كافرا) نسأل الله العافية من خاتمة الهاوية (و منهم من يولد كافرا و يحيا كافرا و يموت مؤمنا) فالعبرة بالخواتيم اللاحقة المطابقة للكتابة السابقة من السعادة الكاملة و الشقاوة الشاملة و كان التقسيم غالبى و الا فمنهم من يولد مؤمنا و يحيا كافرا و يموت مؤمنا و منهم من يولد كافرا و يحيا مؤمنا و يموت كافرا و لعل عدم ذكرهما لان المقصود منه ان العبرة بالخاتمة و قد علمت مما ذكر اجمالا (قال) أى أبو سعيد (و ذكر) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (الغضب) و هو فرد من أنواع الاخلاق اشارة الى أنها أيضا كالايمان مجبولة مجعولة فى افراد الانسان و ان أصحابه على طبقات شتى و يقاس عليه سائر الشمائل المرضية و الاخلاق الدنية (فمنهم) أى من بنى آدم مع انهم كلهم من نسل نبى الله و صفيه و لكنه لما كانت طينته معجونة بوصف خلقته بيدى اقتضت هذه القضية المختلفة التى وقعت له أولا من الصعود و الهبوط و الاجتباء آخرا ان يكون على طبقها طبقات أولاده من الايمان و الكفر على ما سبق و من الاخلاق الناشئة عنهما بقوله فمنهم (من يكون سريع الغضب) أى بمقتضى الخلق النفسانى (سريع الفيء) أى الرجوع من الغضب (فاحداهما بالاخرى) أى احدى الخصلتين مقابلة بالاخرى و لايستحق المدح و الذم فاعلهما لاستواء الحالتين فيه بمقتضى العقل فلايقال فى حقه انه خير الناس و لاشرهم (و منهم من يكون بطيء الغضب) فعيل من البطء مهموز و قد يبدل و يدغم و هو ضد السريع (بطيء الفيء فاحداهما بالاخرى) كما سبق بيانه فى الاولى (و خياركم من يكون بطيء الغضب سريع الفيء و شراركم من يكون سريع الغضب بطيء الفيء) و التقسيم بمقتضى العقل رباعى لاخامس له

قال اتقوا الغضب فانه جمرة على قلب ابن آدم ألاترون الى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه فمن أحس بشئ من ذلك فليضطجع و ليتلبد بالارض قال و ذكر الدين فقال منكم من يكون حسن القضاء و اذا كان له أفحش فى الطلب فاحداهما بالاخرى و منهم من يكون سيىء القضاء و ان كان له أجمل فى الطلب فاحداهما بالاخرى و خياركم من اذا كان عليه الدين أحسن القضاء و ان كان له أجمل فى الطلب و شراركم من اذا كان عليه الدين أساء القضاء و أن كان له أفحش فى الطلب حتى اذا كانت الشمس على رؤس النخل و أطراف الحيطان

و فيه أشارة الى ان الانسان خلق فيه جميع الاخلاق المرضية و الدنية و ان كماله ان تغلب له الصفات الحميدة على الذميمة لا انها تكون معدومة فيه بالكلية و اليه الاشارة بقوله تعالى و الكاظمين الغيظ حيث لم يقل و العادمين اذ أصل الخلق لايتغير و لايتبدل و لذا ورد و لو سمعتم ان جبلا زال عن مكانه فصدقوه و ان سمعتم ان رجلا تغير عن خلقه أى الاصلى فلا تصدقوه و مما يدل على جواز تبديل الاخلاق فى الجملة دعاؤه صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم اهدنى لصالح الاخلاق لايهدى لصالحها الا أنت واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها الا أنت (قال) أى النبى عليه الصلاة والسلام فى أعادة قال اشارة الى انه لم يحفظ الحديث بكماله لطوله (اتقوا الغضب) أى ما يؤدى اليه من السبب أو بالتعوذ منه الى الرب (فانه جمرة) أى حرارة غريزية وحدة جبلية مشعلة جمرة نار مكمونة فى كانون النفس (على قلب ابن آدم) أى متعالية عليه عندغلبته بحيث لاتخلى للقلب و العقل معها مجال تصرف و تعقل (ألاترون) أى ألاتنظرون (الى انتفاخ أوداجه) أى عروق حلق الغضبان (وحمرة عينيه) كما يوجد مثل هذا عند حرارة الطبيعة فى أثر الحمى فان الظاهر عنوان الباطن و كل أناء يترشح بمافيه (فمن أحس بشئ من ذلك) أى أدرك ظهور أثر منه أو من علم فى باطنه شيأ منه (فليضطجع) أى تواضعا لله و اظهارا لعجزه عنه (و ليتلبد بالارض) اى ليلتصق و يلتزق بها حال اضطجاعه أو يزيد عليه بالتمرغ فى ترابها حتى يسكن غضبه و انما أمر به لما فيه من الضعة عن الاستعلاء و تذكار ان من كان أصله من التراب لايستحق أن يتكبر و يتجبر على الاصحاب وان الانانية الناشئة عن غلبة العنصر النارية من صفة الشيطان و ما يترتب عليها من الافساد و ان الانسان خلق من تراب يقتضى التواضع و التحمل و سائر ما يقتضى صلاح العباد و المعاد (قال) أى أبو سعيد (و ذكر) أى النبى صلى الله عليه وسلم (الدين) أى أنواع قضائه (فقال منكم من يكون حسن القضاء) أى مستحسن الاداء اذا كان عليه الدين (و اذا كان) أى الدين (له) أى على أحد (أفحش فى الطلب) بان لم يراع الادب و آذى فى تقاضيه و عسر على صاحبه فى الطلب (فاحداهما بالاخرى) أى فالخصلتان متعارضان متساقطتان متساويتان (و منهم من يكون سيىء القضاء و ان كان له) أى الدين (أجمل) أى أسهل و أيسر (فى الطلب) أى فى طلب دينه (فاحداهما بالاخرى) اذ لا خير فى اجتماعهما (و خياركم من اذا كان عليه الدين أحسن القضاء و ان كان له) أى الدين (أجمل فى الطلب و شراركم من اذا كان عليه الدين أساء القضاء و ان كان له) أى الدين (أفحش فى الطلب) فالتقسيم عقلى رباعى (حتى اذا كانت الشمس) قال الطيبى رحمه الله غاية قوله قام فينا خطيبا أى قام فلم يدع شيأ الا ذكره حتى اذا كانت الشمس أى وقعت (على رؤس النخيل و أطراف الحيطان) جمع حائط بمعنى الجدار ثم قوله اذا للمستقبل و كانت ماض و فائدته استحضار الحال الماضية فى مشاهدة السامع كقوله تعالى و قالوا لاخوانهم اذا ضربوا

فقال أما أنه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها الا كما بقى من يومكم هذا فيما مضى منه رواه الترمذى ★ و عن أبى البخترى عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم رواه أبوداود ★ و عن عدى بن عدى الكندى قال حدثنا مولى لنا انه سمع جدى يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم و هم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروا

فى الارض الكشاف هو على حكاية الحال الماضية كقوله حين يضربون فى الارض (فقال أما) للتنبيه (انه) أى الشان (لم يبق من الدنيا فيما مضى منها) أى فى جملة ما مضى منها و فى حديث ما سبق منها (الا كما بقى من يومكم هذا فيما مضى منه) يعنى نسبة ما بقى من أيام الدنيا الى جملة ما مضى كنسبة ما بقى من يومكم هذا الى ما مضى منه و قوله الا كما بقى مستثنى من فاعل لم يبق أى لم يبق شئ من الدنيا الا مثل ما بقى من يومكم هذا (رواه الترمذى) و فى الجامع رواه أحمد والترمذى و الحاكم والبيهقى عن أبى سعيد لكن مع نوع تغيير و زيادة يسير ★ (وعن أبى البخترى) بفتح موحدة و سكون معجمة فمثناة فوقية مفتوحة فراء فتحتية مشددة اسمه سعيد ابن فيروز ذكره المؤلف فى التابعين و قال حديثه فى رؤية الهلال (عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم) و كلهم عدول فلا تضر جهالته و لا توهم ارساله (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يهلك) بفتح ثم كسر أى لن يفسد و لن يتلف (الناس) أى دينهم و كمالهم أو معناه لن يعذبوا فى الدنيا (حتى يعذروا) بضم الياء و كسر الذال و يفتح و فى نسخة بالفتح و الكسر (من أنفسهم) قال القاضى رحمه الله قيل انه من أعذر فلان اذا كثر ذنبه فكانه سلب عذره بكثرة اقتراف الذنوب أو من أعذر غيره اذا جعله معذورا فكانهم أعذروا من يعاقبهم بكثرة ذنوبهم أو من أعذر أى صار ذا عذر و المعنى حتى يذنبون فيعذرون أنفسهم بتاويلات زائغة و أعذار فاسدة من قبلها و يحسبون انهم يحسنون صنعا قال الطيبى رحمه الله الوجه الثالث أنسب بباب الامر بالمعروف و النهى عن المنكر كان الناهى ينكر عليه ذنبه و هو يتبرأ من الذنب و يعذر لنفسه و لاقدامه عليه و قال ابن الملك رحمه الله هو من أعذر الرجل اذا صار ذا ذنب كثير أى حتى تكثر ذنوبهم و عيوبهم فيستوجبوا العقوبة و يقيموا لمن عاقبهم العذر فى ذلك و من للتبيين أى تكثر ذنوب أنفسهم لا ذنوب غيرهم و يروى ببناء المجهول من أعذره اذا سلب عذره أى حتى يجعلهم الله بحيث لا يقدرون على العذر بان يبعث اليهم الرسل حتى يبينوا لهم الرشاد من الضلال و الحلال من الحرام و الحق من الباطل و يروى بفتح الياء أى حتى يعذروا أنفسهم بتاويلات زائغة و أعذار باطلة (رواه أبوداود) و كذا الامام أحمد فى مسنده باسناد حسن ★ (و عن عدى بن عدى الكندى) بكسر الكاف تابعى روى عن أبيه وعن جابر بن حيوة ٢ و عنه عيسى ابن عاصم وغيره ذكره المؤلف و لم يذكر اباه (قال حدثنا مولى) أى معتوق (لنا انه سمع جدى) و هو عميرة الكندى الحضرمى بفتح العين و كسر الميم سكن الكوفة ثم انتقل الى الجزيرة و سكنها و مات بها روى عنه قيس بن أبى حاتم و غيره (يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى لا يعذب العامة) أى الاكثر من الناس (بعمل الخاصة) أى بعصيان الاقل منهم (حتى يروا) أى الاكثرون (المنكر بين ظهرانيهم) أى فيما بينهم ظاهرا فاشيا (و هم قادرون على أن ينكروه) جملة حالية معترضة احترازا عن حال عجز الاكثر أيضا كما فى زماننا (فلا ينكروا) عطف على

فاذا فعلوا ذلک عذب الله العامة و الخاصة رواه فی شرح السنة ★ و عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم لما وقعت بنو اسرائیل فی المعاصی نهتهم علماؤهم فلم ینتهوا فجالسوهم فی مجالسهم و آکلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض فلعنهم علی لسان داود و عیسی بن مریم ذلک بما عصوا و کانوا یعتدون قال فجلس رسول الله صلی الله علیه وسلم و کان متکئا فقال لا و الذی نفسی بیده حتی تأطروهم أطرا رواه الترمذی و أبوداود و فی روایته قال کلا و الله لتأمرن بالمعروف و لتنهون عن المنکر .

قوله یروا المنکر (فاذا فعلوا ذلک) أی ماذکر من سکوتهم عن المنکر مع قدرة الاکثر (عذب الله العامة و الخاصة) کما قال تعالی و اتقوا فتنة لاتصیبن الذین ظلموا منکم خاصة (رواه فی شرح السنة ★ و عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم لما وقعت بنو اسرائیل فی المعاصی) أی من الزنا و صید یوم السبت و غیرهما (نهتهم علماؤهم) أی أولا (فلم ینتهوا) أی فلم یقبلوا النهی و لم یترکوا المنهی (فجالسوهم) أی العلماء (فی مجالسهم) أی مجالس بنی اسرائیل العصاة و مساکنهم (و آکلوهم) بمد الهمزة من المؤاکلة مفاعلة للمشارکة فی الاکل و کذا قوله (و شاربوهم فضرب الله) أی خلط (قلوب بعضهم ببعض) یقال ضرب اللبن بعضه ببعض أی خلطه ذکره الراغب و قال ابن الملک رحمه الله الباء للسببیة أی سود الله قلب من لم یعص بشؤم من عصی فصارت قلوب جمیعهم قاسیة بعیدة عن قبول الحق والخیر أوالرحمة بسبب المعاصی و مخالطة بعضهم بعضا اه و قوله قلب من لم یعص لیس علی اطلاقه لان مؤاکلتهم و مشاربتهم من غیر اکراه والجاء بعد عدم انتهائهم عن معاصیهم معصیة ظاهرة لان مقتضی البغض فی الله أن یبعدوا عنهم و یهاجروهم و یقاطعوهم و لم یواصلوهم و لذا قال (فلعنهم) أی العاصین و الساکتین المصاحبین ففیه تغلیب کما فی قوله تعالی لعن الذین کفروا من بنی اسرائیل (علی لسان داود و عیسی بن مریم ذلک) أی لعنهم (بما عصوا) أی بسبب عصیانهم مباشرة و معاشرة (وکانوا یعتدون) أی یتجاوزون عن الحد بان جر المعاصی الی الکفر بالاستحلال و نحوه و بالرضا للمعاصی و استحسانها من أهلها (قال) أی ابن مسعود (فجلس رسول الله صلی الله علیه وسلم) أی من کمال اعراضه و قوة اعتراضه (و کان متکئا) أی علی أحد شقیه أو مستندا الی ظهره قبل ذلک فجلس مستویا للاهتمام باتمام الکلام (فقال لا) أی لاتعذرون أو لاتنجون من العذاب أنتم أیها الامة خلف أهل تلک الامة (و الذی نفسی بیده حتی تأطروهم) بهمزة ساکنة و یبدل و بکسر الطاء (أطرا) بفتح الهمزة مفعول مطلق للتأکید أی حتی تمنعوا أمثالهم من أهل المعصیة و ان لم یمتنعوا عن أمثالهم فتمتنعوا أنتم عن مواصلتهم ومکالمتهم ومؤاکلتهم ومجالستهم و قال شارح الاطر الأمالة و التحریف من جانب الی جانب أی حتی تمنعوا الظلمة و الفسقة عن الظلم و الفسق و تمیلوهم عن الباطل الی الحق و فی الفائق حتی متعلقة بلا کان قائلا قال له عند ذکره مظالم بنی اسرائیل هل یعذر فی تخلیة الظالمین و شأنهم فقال لا حتی تأطروهم وتأخذوا علی أیدیهم والمعنی لاتعذرون حتی تجبروا الظالم علی الاذعان للحق و اعطاء النصفة المظلوم و الیمین معترضة بین لا و حتی و لیست هذه بتلک التی یجیء بها المقسم تأکیدا لقسمه (رواه الترمذی و أبوداود و فی روایته) الضمیر لابیداود و فی نسخة و فی روایة أی لابیداود علی ما هو الظاهر و یحتمل للترمذی أو لهما أو لغیرهما (قال) أی النبی صلی الله علیه وسلم (کلا) أی حقا أو ارتدعوا عن حسبان ما لاینبغی

و لتأخذن على يدى الظالم و لتاطرنه على الحق اطرا و لتقصرنه على الحق قصرا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعننكم كما لعنهم ✱ و عن أنس أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال رأيت ليلة أسرى بى رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر و ينسون أنفسهم رواه فى شرح السنة و البيهقى فى شعب الايمان و فى روايته قال خطباء من أمتك الذين يقولون ما لايفعلون و يقرؤن كتاب الله ولايعملون ✱ و عن عمار بن ياسر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أنزلت المائدة من السماء

من جواز السكوت عن المنكر (و الله لتأمرن بالمعروف و لتنهون عن المنكر) أى بطريق فرض الكفاية و مراتب الاحتساب على الغاية و النهاية (و لتأخذن على يدى الظالم) بالتثنية مبالغة و فى نسخة بالافراد اما على ارادة الجنس أو على قصد الاكتفاء بالواحدة (و لتاطرنه) أى لتمنعن الظالم باللسان عند العجز عن أخذ اليد باليد (على الحق) أى على اجباره على الحق و انكاره على الباطل (أطرا) أى منعا ظاهرا ليس فيه لومة لائم (و لتقصرنه) بضم الصاد أى و لتحبسنه (على الحق) أى على قبوله (قصرا) أى بالهجرة عنه اذا عجزتم عما سبق حتى تضيق عليه الارض بما رحبت فانه حبس معنوى أقوى من سجن صورى (أو ليضربن الله) أى ليخلطن (بقلوب بعضكم بعضا) الباء زائدة لتأكيد التعدية لما سبق انه متعد بنفسه (ثم ليلعننكم) أى الله (كما لعنهم) أى بنى اسرائيل على كفرهم و معاصيهم و المعنى أن أحد الامرين واقع قطعا ✱ (وعن أنس أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال رأيت ليلة اسرى بى) بالاضافة الى الفعل المجهول و فى نسخة بالتنوين نصبا على الظرفية أى أبصرت ليلة أسرى بى فيها (رجالا تقرض) بصيغة المفعول أى تقطع (شفاههم) بكسر الفاء جمع شفة بالفتح و يكسر و لامها هاء كما يدل عليه جمعها (بمقاريض) جمع مقراض بكسر الميم آلة القطع المعروفة (من نار) أى مخلوقة منها (قلت من هؤلاء) أى هؤلاء الرجال بهذا الحال (يا جبريل قال هؤلاء خطباء من أمتك) من بيانية و فى نسخة خطباء أمتك أى علماؤهم و وعاظهم و مشايخهم (يأمرون الناس بالبر و ينسون أنفسهم) محط الانكار الجملة الثانية و أنما ذكر الجملة الاولى تقبيحا لسوء أفعالهم و أقوالهم و توبيخا على علومهم المقرونة بترك أعمالهم كما قال تعالى أتأمرون الناس بالبر و تنسون أنفسكم و أنتم تتلون الكتاب أفلاتعقلون أى سوء صنيعكم و قال عزوجل كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون و كما قال صلى‌الله‌عليه‌وسلم ويل للجاهل مرة و ويل للعالم سبع مرات و كما ورد فى الحديث المشهور أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه (رواه) أى البغوى (فى شرح السنة و البيهقى) عطف على الفاعل المقدر (فى شعب الايمان و فى روايته) أى رواية البيهقى (قال خطباء من أمتك) بمن البيانية (الذين يقولون ما لايفعلون) بدل من قوله خطباء و يجوز أن يكون صفة له لانه لاتوقيت فيه على عكس قوله ✱ و لقد أمر على اللئيم يسبنى ✱ و يجوز أن يكون منصوبا على الذم و هو الاوجه يتفطن لذلك من رزق الذهن السليم و الطبع المستقيم ذكره الطيبى رحمه الله و فيه أن أهل العربية أطبقوا فى مثل هذا التركيب على أن البدل أوجه الوجوه المحتملة كما حقق فى الاستعاذة و البسملة ذكره الطيبى رحمه الله و فى قوله تعالى الحمد لله رب العالمين و قوله سبحانه فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون و قوله عزوجل و ما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون و فى قوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله (و يقرؤن كتاب الله و لا يعملون) و فيه اقتباس

خبزا و لحما و أمروا ان لايخونوا و لايدخروا لغد فخانوا و ادخروا و رفعوا لغد فمسخوا قردة و خنازير رواه الترمذى

★ (الفصل الثالث) ★ عن عمر بن الخطاب قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم انه تصيب أمتى فى آخر الزمان من سلطانهم شدائد لاينجو منه الا رجل عرف دين الله فجاهد عليه بلسانه و يده و قلبه فذلک الذى سبقت له السوابق و رجل عرف دين الله فصدق به

من الآيتين الشريفتين اللتين ذكرناهما أولا ★(وعن عمار بن ياسر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم أنزلت المائدة من السماء) قال الراغب المائدة الطبق الذى عليه الطعام و يقال لكل منهما مائدة أى على الحقيقة المشتركة أو على أحدهما مجازا باعتبار المجاورة أو بذكر المحل وارادة الحال و قوله (خبزا و لحما) تمييز ٧ بخورافردخلا (؟) (و أمروا أن لايخونوا) أى بقصد أكل الاحسن أو الاكثر من غيرهم (و لايدخروا) بتشديد الدال المهملة المبدلة من الذال المعجمة من باب الافتعال من الذخيرة و هو التخبية (لغد) أى ليوم عقب يوم نزول المائدة أو لوقت مستقبل بعده (فخانوا و ادخروا و رفعوا لغد) تفسير لما قبله (فمسخوا) أى فغير الله صورهم الانسانية بعد تغيير سيرتهم الانسية (قردة و خنازير) منصوبان على انهما مفعول ثان على ما يستفاد من القاموس حيث قال مسخه كمنعه حول صورته الى أخرى أقبح و مسخه الله قردا فهو مسخ و مسيخ و قال الطيبى رحمه الله حالان مقدرتان كقوله تعالى و تنحتون من الجبال بيوتا اه و الظاهر ان شبابهم مسخوا قردة و شيوخهم خنازير (رواه الترمذى)

★ (الفصل الثالث) ★ (عن عمر بن الخطاب رضى‌الله‌عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أنه) أى الشان (تصيب أمتى فى آخر الزمان من سلطانهم) يحتمل الجنس و الشخص كيزيد و الحجاج و أمثالهما (شدائد) أى محن دنيوية أو دينية أو مركبة منهما (لاينجو) استئناف بيان أو حال أى لايخلص (منه) أى من السلطان و شدائده الناشئة من ظلمه فهما فى حكم واحد فيجوز ان يعبر عنه بضمير مفرد (الا رجل عرف دين الله) قال الطيبى رحمه الله الضمير فى منه يجوز ان يعود الى السلطان أو يحمل على انه واقع موقع اسم الاشارة أو يعود الى شدائد باعتبار المذكور أو المنكر و هو الشدائد و قوله لاينجو على الاول استئناف و على الثانى صفة قوله شدائد اه و الحاصل أنه لايتخلص فى زمان ذلک السلطان المشابه بالشيطان الا من جمع بين العلم و العمل و الكمال و التكميل فعرف دين الله أولا بتفصيله من الاصول و الفروع و عمل لنفسه على ما يقتضيه الامر المشروع (فجاهد عليه) أى على تحصيل اعلاء دين الله (بلسانه) أى بطريق النصيحة و البيان (و يده) أى ان كان له قدرة و قوة (و قلبه) أى بانكاره عند العجز عملا بقوله تعالى أدع الى سبيل ربک بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالتى هى أحسن و قياما بقوله عزوجل و لتكن منكم أمة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و أولئک هم المفلحون و هذا معنى قوله (فذلک الذى سبقت له السوابق) أى السعادات السابقة حيث جمع بين الاحوال الثلاث اللاحقة و فيه اشارة الى قوله تعالى و السابقون السابقون أى الجامعون بين مراتب الكمال و التكميل و درجات العلم و العمل و التعليم أولئک المقربون ففى كلام عيسى عليه الصلاة والسلام من عمل و علم و علم يدعى فى الملكوت عظيما (و رجل عرف دين الله فصدق به) أى فتكلم بلسانه ما يجب تصديقه من الامر بالحق و النهى

و رجل عرف دين الله فسكت عليه فان رأى من يعمل الخير أحبه عليه و ان رأى من يعمل بباطل ابغضه عليه فذلک ينجو على ابطانه كله ★ و عن جابر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم أوحى الله عزوجل الى جبريل عليه السلام أن اقلب مدينة كذا و كذا بأهلها فقال يا رب ان فيهم عبدك فلانا لم يعصک طرفة عين قال فقال اقلبها عليه و عليهم فان وجهه لم‌يتمعر فى ساعة قط ★ و عن أبى سعيد قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان الله عزوجل يسأل العبد يوم القيامة فيقول مالک اذا رأيت المنكر فلم تنكره قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فيلقى حجته فيقول يا رب خفت الناس و رجوتک

عن الباطل و اكتفى به عن الانكار باليد لعجزه أو ضعف قلبه و قوة خصمه (و رجل عرف دين‌الله فسكت عليه) أى تاركا للامر و النهى لغيره مكتفيا بانكار قلبه لضعف أيمانه أو ضعف أهل زمانه و يدل على تحقق انكار قلبه قوله (فان رأى من يعمل الخير) أى يعمل حق (أحبه) أى بقلبه (عليه) أى على ذلک العمل أو لاجله (و أن رأى من يعمل بباطل) أى من يعمل الشر (أبغضه عليه) أى و ترك مصاحبته و مجالسته و لو كان من كان (فذلک ينجو على ابطانه) أي ابطان ما ذكر فى قلبه من محبة الخير و بغض الباطل (كله) تأكيد مفيد لان يكون جامعا للامرين لا مقتصرا على أحدهما فتأمل هذا و قد قال الطيبى رحمه الله السوابق جمع سابقة و هى الخصلة المفضلة أما السعادة و أما البشرى بالثواب من عندالله و اما التوفيق للطاعة كقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى و قوله عرف دين الله فجاهد عليه الى آخر الحديث هو من باب التقسيم الحاصر لان الناهى عن المنكر أما سابق أو مقتصد أو دونهما فالفاآن فى قوله فجاهد فصدق فسكت مسببات عن العرفان فمعنى الاول من عرف دين الله تعالى حق معرفته و تصلب فى دينه فبذل جهده فى المجاهدة بلسانه و يده و قلبه و معنى الثالث من عرف دين الله أدنى معرفة و سكت فلم يجهد فيه الأعلى قدر ايمانه و ذلک بالكراهة بالقلب و هو المراد من قوله فى الحديث الآخر و ذلک أضعف الايمان فيبقى قوله فصدق به فى درجة المقتصد فينبغى أن يفسر بما هو دون الاولى و فوق الثالثة و هو ان يجاهد بلسانه و قلبه و التصديق يستعمل حقيقة فى اللسان مجازاً فى العمل فتصديقه هنا معبر به عن دفع المنكر بلسانه و قلبه ★(و عن جابر قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أوحى الله عزوجل الى جبريل عليه الصلاة والسلام أن اقلب) بهمزة وصل و لام مكسورة (مدينة كذا و كذا بأهلها) أى مصحوبة معهم قال الطيبى رحمه الله ان مفسرة لما فى أوحى من معنى القول اه و يجوز أن تكون مصدرية و الباء مقدرة (فقال يا رب ان فيهم عبدك فلانا لم يعصک طرفة عين) فيه دلالة على حفظ الاولياء (قال) أى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم أو قال جبريل عليه‌الصلاة والسلام (فقال) أى الله تعالى (اقلبها عليه و عليهم) فى تقديمه عليهم ايذان بوعيد شديد (فان وجهه لم‌يتمعر) أى لم‌يتغير (فى) بكسر الفاء و تشديد الياء أى فى حقى و لاجلى و الحاصل أنه لم‌يظهر أثر غضب انكار القلب على مرتكب المنكر (ساعة) أى واحدة (قط) أى أبدا وفيه توسعة للاشعار بانه لو غضب عليه مرة لله السومح فى بقية أوقات عمره ★(وعن أبى‌سعيد قال قال رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان الله عزوجل يسأل العبد يوم القيامة فيقول مالک اذا رأيت المنكر فلم‌تنكره) أى بلسانک أو يدك (قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فيلقى) بتشديد القاف المفتوحة (حجته) بالنصب أى بينته عليها و يلقن بها اذا كان الله يريد النجاه (فيقول يا رب خفت الناس و رجوتک) فيه اعتراف بالذنب و اظهار

روى البيهقى الاحاديث الثلاثة فى شعب الايمان ★ و عن أبى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم و الذى نفس محمد بيده ان المعروف و المنكر خليقتان تنصبان للناس يوم القيامة فاما المعروف فيبشر أصحابه و يوعدهم الخير و أما المنكر فيقول اليكم اليكم و ما يستطيعون له الا لزوما رواه أحمد و البيهقى فى شعب الايمان

★ (كتاب الرقاق) ★

للعجز و اعتماد على كرم الرب قال البيهقى يحتمل أن يكون هذا فيمن يخاف سطوتهم و هو لا يستطيع دفعها عن نفسه ذكره الطيبى رحمه الله و فيه ان مثل هذا معذور فى الشرع فلا يعاتب عليه فيحتاج الى تلقى الحجة بل انما هو فيمن قصر فى الجملة فيلهمه الله العذرة (روى البيهقى الاحاديث الثلاثة فى شعب الايمان ★ وعن أبى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده ان المعروف و المنكر خليقتان) أى مخلوقتان ذكره الطيبى رحمه الله و الظاهر ان المعنى سيخلقان خلقا آخر كسائر المعانى من الاعمال و الموت و نحو ذلك فيجسدان و يجسمان لقوله (تنصبان) بصيغة التأنيث على بناء المجهول و فى نسخة بالتذكير و هو الاظهر لان التاء فى الخليقة ليست للتأنيث بل للمبالغة و المعنى انهما نوعان من المخلوقات يظهران (للناس يوم القيامة فاما المعروف فيبشر أصحابه) أى أهل المعروف بالفعل أو الامر (و يوعدهم الخير) أى و يوعدهم ابتغاء الجميل و الجزاء الجزيل و بالمواصلة بينه و بينهم (و أما المنكر فيقول) أى لاصحاب المنكر بلسان القال أو بيان الحال (اليكم اليكم) أى ابعدوا عنى و تنحوا من قربى (و ما يستطيعون له الا لزوما) أى لصوقا و قربا من نتيجة المنكر و ما يترتب عليه من عتابه و الحاصل ان العمل الصالح يظهر فى أحسن صورة و أطيب ريح فى القبر و كذا يوم القيامة و العمل الطالح بخلاف ذلك و يؤيده ما ورد فى حديث قدسى يا عبادى انما هى أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله و من وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه و تحقيق المرام فى هذا المقام أن أفعال العباد و ان كانت غير موجبة للثواب و العقاب بذواتها الا أنه تعالى أجرى عادته بربطهما ربط المسببات بالاسباب و أنشد بعض أرباب الالباب

أخاف و أرجو عفوه و عقابه ★ و أعلم حقا انه حكم عدل

فان يك عفوا فهو منه تفضل ★ وان يك تعذيبا فانى له أهل

و التدقيق و الله ولى التوفيق ان السبب الفاعلى للخير و الشر ليس الا الله وحده بمقتضى فضله وعدله و بموجب جماله وجلاله و أما السبب القابلى فهو وان كان أيضا منه فى الحقيقة الا أن قابلية الخير من الاستعداد الاصلى الذى من الفيض الاقدس الذى لا دخل للاختيار فيه و قابلية الشر من الاستعداد الحادث بسبب ظهور النفس بالصفات و الافعال الحاجبة للقلب المكدرة لجوهر الروح حتى احتاج الى الصقل بالرزايا و البلايا و نحوهما و لذا قال تعالى و ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم و يعفوا عن كثير و ههنا يتموج أمواج بحر القضاء و القدر لتقسم العباد فيما يفعلون و سفينة النجاة قوله تعالى لا يسئل عما يفعل و هم يسألون (رواه أحمد و البيهقى فى شعب الايمان)

★ (كتاب الرقاق) ★ الرقاق بالكسر جمع رقيق و هو الذى له رقة أى لطافة قاله شارح و الظاهر ما قاله السيوطى من أن المراد بها الكلمات التى ترق بها القلوب اذا سمعت و ترغب عن الدنيا بسببها و تزهد فيها سميت هذه الاحاديث بذلك لانها تحدث رقة و رحمة

★ (الفصل الاول) ★ عن ابن عباس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة و الفراغ رواه البخارى ★ و عن المستورد بن شداد قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول و الله ما الدنيا فى الآخرة الا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه فى اليم فلينظر بم ترجع رواه مسلم ★ و عن جابر ان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم مر بجدى أسك

★ (الفصل الاول ★ (عن ابن عباس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم نعمتان) مبتدأ (مغبون فيهما كثير من الناس) صفة له أو خبره (الصحة و الفراغ) أى صحة البدن و القوة الكسبية و فراغ الخاطر بحصول الامن و وصول كفاية الامنية و المعنى لايعرف قدرهاتين النعمتين كثير من الناس حيث لايكسبون فيهما من الاعمال كفاية مايحتاجون اليه فى معادهم فيندمون على تضييع أعمارهم عند زوالها و لاينفعهم الندم قال تعالى ذلك يوم التغابن و قال صلى‌الله‌عليه‌وسلم ليس يتحسر أهل الجنة الا على ساعة مرت بهم و لم يذكروا الله فيها و فى حاشية السيوطى رحمه الله قال العلماء معناه أن الانسان لايتفرغ للطاعة الا اذا كان مكفيا صحيح البدن فقد يكون مستغنيا و لايكون صحيحا و قد يكون صحيحا و لايكون مستغنيا فلايكون متفرغا للعلم و العمل لشغله بالكسب فمن حصل له الامران و كسل عن الطاعة فهو المغبون أى الخاسر فى التجارة مأخوذ من الغبن فى البيع اﻫ و يمكن أن يكون الغبن كناية عن فساد حاله و ضياع ماله كما قال بعضهم أن الشباب و الفراغ و الجدة ★ مفسدة للمرء أى مفسدة و قال العارف بالله ابن الفارض

على نفسه فليبك من ضاع عمره ★ و ليس له فيها نصيب و لا سهم

(رواه البخارى) و فى الجامع الصغير رواه البخارى فى تاريخه والترمذى وابن ماجه عنه ★ (وعن المستورد بن شداد قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول و الله) قسم للمبالغة فى تحقق الحكم (ما الدنيا) ما نافية أى ما مثل الدنيا من نعيمها و زمانها (فى الآخرة) أى فى جنبها و مقابلة نعيمها و أيامها (الا مثل) بكسر الميم و رفع اللام و فى نسخة بنصبها و ما فى قوله (ما يجعل أحدكم) مصدرية أى مثل جعل أحدكم (أصبعه) و فى الجامع بزيادة هذه و الظاهر أن المراد بها أصغر الاصابع (فى اليم) أى مغموسا فى البحر المفسر بالماء الكثير (فلينظر) أى فليتأمل أحدكم (بم يرجع) أى باى شئ يرجع أصبع أحدكم من ذلك الماء و اعلم ان قوله يرجع ضبط بالتذكير فى أكثر الاصول و فى بعض النسخ بالتأنيث و هو الاظهر لان ضميره يرجع الى الاصبع و هو مؤنث و قد يذكر على ما فى القاموس و المعنى فليتفكر باى مقدار من البلة الملتصقة من اليم يرجع أصبعه الى صاحبه اللهم الا أن يقال المعنى بم يرجع الحال و ينتقل المآل و حاصله ان منح الدنيا و محنها فى كسب الجاه و المال من الامور الفانية السريعة الزوال فلاينبغى لاحد أن يفرح ويغتر بسعتها و لايجزع و يشكو من ضيقها بل يقول فى الحالتين لا عيش الا عيش الآخرة فانه قاله صلى‌الله‌عليه‌وسلم مرة فى يوم الاحزاب و أخرى فى حجة الوداع و جمعية الاصحاب ثم يعلم أن الدنيا مزرعة الآخرة و ان الدنيا ساعة فيصرفها فى الطاعة قال الطيبى رحمه الله وضع موضع قوله فلايرجع بشئ كانه صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم يستحضر تلك الحالة فى مشاهدة السامع ثم يأمره بالتأمل و التفكر هل يرجع بشئ أم لا و هذا تمثيل على سبيل التقريب و الا فاين المناسبة بين المتناهى و غير المتناهى (رواه مسلم) و كذا أحمد و ابن ماجه ★ (و عن جابر أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم مر بجدى) أى ولد معز (أسك) بتشديد الكاف أى صغير الاذن أو عديمها أو مقطوعها

ميت قال أيكم يحب ان هذا له بدرهم فقالوا ما نحب أنه لنا بشئ قال فو الله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم رواه مسلم ★ و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن و جنة الكافر رواه مسلم

(ميت قال أيكم يحب ان هذا له بدرهم) أى مثلا (فقالوا ما نحب انه لنا بشئ) أى بشئ ما مما يطلق عليه اسم الشئ من تراب و غيره و المراد انا لانحبه بلاشئ أيضا (قال فو الله للدنيا) أى لجميع أنواع لذاتها (أهون) أى أسهل و أحقر و أذل (على الله) أى عنده تعالى (من هذا) أى من هوان هذا الجدى (عليكم) و يؤيده ما سيأتى ان الدنيا لو كانت تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء و المقصود منه التزهيد فى الدنيا و الترغيب فى العقبى فان حب الدنيا رأس كل خطيئة على ما رواه البيهقى عن الحسن مرسلا كما أن ترك الدنيا رأس كل عبادة و السبب فى ذلك أن محب الدنيا و لو اشتغل باسور الدين تكون اعماله مدخولة باغراض فاسدة و تارك الدنيا و لو اشتغل بامر دنيوى يكون له مطمح أخروى ولذا قال بعض العارفين من أرباب اليقين من أحب الدنيا لم يقدر على هدايته جميع المرشدين و من ترك الدنيا لم يقدر على ضلالته جميع المفسدين (رواه مسلم ★ وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن و جنة الكافر) أى كالسجن للمؤمن فى جنب ما أعد له فى الآخرة من الثواب و النعيم المقيم و كالجنة للكافر فى جنب ما أعد له فى الآخرة من العقوبة و العذاب الاليم و قيل ان المؤمن عرض نفسه عن الملاذ و آخذها بالشدائد فكانه فى السجن و الكافر فرجها بالشهوات فهى له كالجنة كذا ذكر فى الفائق و يؤيد القول الاخير ما قاله فضيل بن عياض من ترك لذات الدنيا و شهواتها فهو فى سجن فاما الذى لايترك لذاتها و تمتعاتها فاى سجن عليه و أقول الظاهر ان مراتب السجن و منازله مختلفة باختلاف أحوال أهله مع انه لايخلو أحد من ضيق التكاليف الشرعية من ارتكاب الواجبات الفعلية و اجتناب الامور المنهية و كذا من مشقات الاحوال الكونية من البرد و الحر فى الصيف و الشتاء و البلاء و الغلاء و موت الاحباء و غلبة الاعداء و أمثال ذلك من ابتداء خلق النطفة و أطوارها فى مشيمة البطن الى الظهور فى المهد و البطون فى اللحد و ما بينهما من أنواع الكد و الكبد ولذا قال تعالى لقد خلقنا الانسان فى كبد أى لايزل فى تعب عظيم مبدؤه ظلمة الرحم و مضيقه و منتهاه الموت و ما بعده الى أن يكون ما بعد هذا السجن أما الباس الخلع السلطانية و القرار فى المناصب العلية و أما تسليط الزبانية بموجب الغضب الالهى عليه و نقله من السجن السهل الفانى الى الحبس الصعب الباقى نعوذ بالله من ذلك و لما [illegible] داود الطائى سمع هاتف يهتف أطلق داود من السجن قال أبو حفص السهروردى ان السجن و الخروج منه يتعاقبان على قلب العبد المؤمن على الساعات و مرور الاوقات لان النفس كلما ظهرت بصفاتها أظلم الوقت على القلب حتى ضاق و انكمد و هل السجن الا تضييق و حجز من الخروج و الولوج فكلما هم القلب بالتبرز عن مشائم الاهواء الدنيوية و التخلص عن قيود الشهوات العاجلة تسببا الى الآجلة و تنزها فى فضاء الملكوت و مشاهدة للجمال الازلى حجزه الشيطان المردود من هذا الباب المطرود بالاحتجاب فيدلى بحسب النفس الامارة اليه فكدر صفو العيش عليه و حال بينه و بين محبوب طبعه و هذا من أعظم السجون و أضيقها فان من حيل بينه و بين محبوبه ضاقت عليه الارض بما رحبت و ضاقت عليه نفسه و لهذا المعنى أخبر الله تعالى

★ و عن أنس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان الله لايظلم مؤمنا حسنة يعطى بها فى الدنيا و يجزى بها فى الآخرة و أما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله فى الدنيا حتى اذا أفضى الى الآخرة لم‌يكن له حسنة يجزى بها رواه مسلم

عن جماعة من الصحابة حيث تخلفوا عن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فى بعض الغزوات فقال تعالى و على الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت الآية (رواه مسلم) و كذا أحمد و الترمذى و ابن ماجه عن أبى هريرة و الطبرانى و الحاكم عن سلمان و البزار عن ابن عمر و رواه أحمد و الطبرانى و أبو نعيم فى الحلية و الحاكم عن ابن عمرو بن العاص و لفظه الدنيا سجن المؤمن و سنته فاذا فارق الدنيا فارق السجن و السنة و السنة بفتح أوله القحط و الجدب و أخرج ابن المبارك عن ابن عمر و قال ان الدنيا جنة الكافر و سجن المؤمن و انما مثل المؤمن حين تخرج نفسه كمثل رجل كان فى سجن فأخرج منه فجعل يتقلب فى الارض و يتفسح فيها و أخرجه ابن أبى شيبة عنه نحوه و أخرج أبو نعيم عن ابن عمران النبى صلى‌الله‌عليه وسلم قال لابى ذر يا أبا ذر ان الدنيا سجن المؤمن و القبر أمنه و الجنة مصيره يا أبا ذر ان الدنيا جنة الكافر و القبر عذابه و النار مصيره و روى ابن لال عن عائشة الدنيا لاتصفو لمؤمن كيف و هى سجنه و بلاؤه ★(وعن أنس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان الله لايظلم مؤمنا حسنة) قال شارح أى لايضيع أجر حسنة المؤمن و لايخفى أنه حاصل المعنى و أما بحسب التركيب و المعنى فالظلم يتعدى الى مفعولين قال تعالى ان الله لايظلم الناس شيأ و فى القاموس ظلمه حقه أى منعه اياه فالحديث تفسير لما فى القرآن و تبيين لما فيه من نوعى جنس الانسان و بيان ان الله يجازى عباده المؤمن و الكافر على النقير و القطمير و القليل و الكثير من الخير و الشر أما فى الدنيا و أما فى العقبى كما قال فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره و من يعمل مثقال ذرة شرا يره و قال عزوجل ان الله لايظلم مثقال ذرة و ان تك حسنة يضاعفها و يؤت من لدنه أجرا عظيما ولذا قال عمر رضى‌الله‌عنه لو كان لى حسنة واحدة لكفتنى بناء على المضاعفة المذكورة و المثوبة العظيمة المسطورة (يعطى) استئناف بيان بصيغة المجهول أى يعطى المؤمن كل خير (بها) أى بسبب تلك الحسنة (فى الدنيا) من رفع البلاء و توسعة الرزق و غير ذلك من النعماء و فى نسخة بصيغة الفاعل أى يعطى الله اياه بتلك الحسنة أجرا فى الدنيا (و يجزى بها فى الآخرة) على بناء المفعول أو الفاعل طبق ما قبله (و أما الكافر فيطعم) بصيغة المجهول لاغير أى يعطى و فى العدول أشارة الى أن مطمح نظر الكافر فى العطاء انما هو بطنه و المعنى أنه يجزى (بحسنات ما عمل بها لله) أى من اطعام فقير و احسان ليتيم و اغاثة ملهوف و نحوها من طاعات لايشترط فى صحتها الاسلام (فى الدنيا) ظرف ليطعم (حتى اذا أفضى) أى وصل (الى الآخرة لم‌تكن) بالتأنيث و تذكر أى لم‌يبق و لم‌يوجد له (حسنة يجزى بها) فان الله لايضيع أجر من أحسن عملا و فى شرح السنة قوله لايظلم لاينقص و هو معدى الى مفعولين أحدهما مؤمنا و الآخر حسنة و معناه ان المؤمن اذا اكتسب حسنة يكافئه الله تعالى بان يوسع عليه رزقه و يرغد عيشه فى الدنيا و بان يجزى و يثاب فى الآخرة و الكافر اذا اكتسب حسنة فى الدنيا بان يفك أسيرا أو ينقذ غريقا يكافئه الله تعالى فى الدنيا و لايجز بها فى الآخرة اه و حاصله ان الله يقابل عبده المؤمن بالفضل و الكافر بالعدل و لايسئل عما يفعل و لعل الحديث مقتبس من قوله تعالى

★ و عن أبي هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم حجبت النار بالشهوات و حجبت الجنة بالمكاره متفق عليه الا عند مسلم حفت بدل حجبت ★ و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم تعس عبد الدينار و عبد الدرهم و عبد الخميصة

من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه و من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها و ماله فى الآخرة من نصيب (رواه مسلم) و فى الجامع رواه أحمد و مسلم عن أنس بلفظ ان الله لايظلم المؤمن حسنة يعطى عليها فى الدنيا و يثاب عليها فى الآخرة و أما الكافر فيطعم بحسناته فى الدنيا حتى اذا أفضى الى الآخرة لم‌تكن له حسنة يعطى بها خيرا اه و مقتضى المقابلة ما ورد فى حديث آخر ان المؤمن يجزى بسيآته فى الدنيا من أنواع المحنة و المشقة و البلايا و الرزايا حتى اذا أفضى الى الآخرة لم‌يكن له سيئة يعاقب عليها و يؤيده ما روى أحمد و ابن حبان أنه لما نزل قوله تعالى من يعمل سوأ يجز به قال أبو بكر الصديق رضى‌الله‌تعالى‌عنه فمن ينجو من هذا يا رسول‌الله فقال عليه الصلاة والسلام غفر الله لك يا أبا بكر ألست تحزن ألست تنصب ألست تمرض ألست تصيبك اللاواء قال بلى يا رسول‌الله قال هو مما تجزون به و قد صح على ما رواه الترمذى و ابن جرير المصائب و الامراض فى الدنيا جزاء و روى الحاكم فى مستدركه عن أبى بكر رضى‌الله تعالى عنه مرفوعا من يعمل سوأ يجز به فى الدنيا و عن ابن عمر قال لايصيب عبد من الدنيا شيأ الا نقص من درجاته عند الله و ان كان عليه كريما رواه ابن أبى الدنيا ★(و عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم حجبت النار) أى أحيطت (بالشهوات) كالخمر و الزنا (و حجبت الجنة بالمكاره) كالصلاة و الزكاة (متفق عليه الا عند مسلم حفت بدل حجبت) يعنى لفظ حجبت للبخارى و لفظ حفت لمسلم فالحديث متفق عليه عن أبى هريرة معنى و قد وافق مسلما أحمد و الترمذى عن أنس لكن حديثهم فيه تقديم و تأخير مخالف للبخارى فى ترتيبه على ما ذكره فى الجامع بلفظ حفت الجنة بالمكاره و حفت النار بالشهوات و الله‌تعالى أعلم قال النووى رحمه الله معناه لايوصل الى الجنة الابارتكاب المكاره و لايوصل الى النار الابارتكاب الشهوات و كذلك هما محجوبتان بهما فمن هتك الحجاب وصل الى المحجوب فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره و هتك حجب النار بارتكاب الشهوات و أما المكاره فيدخل فيها الاجتهاد فى العبادات و المواظبة على الطاعات و الصبر عن الشهوات و نحو ذلك و أما الشهوات التى النار محفوفة بها فالظاهر انها الشهوات المحرمة كالخمر و الزنا و الغيبة و نحو ذلك و أما الشهوات المباحة فلاتدخل فى هذا اه و يناسب هذا الحديث ما ذكره السيوطى فى الجامع الكبير انه صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ان الله بنى ٧ مكة على المكروهات و الدرجات أى لاتحصل درجاتها الا بالتحمل على مكروهاتها و الله‌تعالى‌أعلم ★(وعنه) أى عن أبى هريرة (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم تعس) بكسر العين و يفتح أى خاب و خسر (عبد الدينار) أى الذى اختاره على رضا معبوده الجبار بان يأخذه من غير حله و ان لايصرفه فى محله و كذا قوله (عبد الدرهم) و هذان مثالان و خصا بالذكر لانهما النقدان الحاصل بهما جميع مقاصد النفس و الشيطان (و عبد الخميصة) و هى ثوب خز أو صوف معلم و خصت بالذكر لان الغالب فى لبسها الخيلاء و الرعونة و الرياء و السمعة و من كمال ميل النفس اليها و عدم الطاقة على مفارقتها فكانه عبد لها و قيل هى كساء اسود مربع له علمان أراد به محب كثرة الثياب النفيسة و الحريص على التجمل

فوق الطاقة و حاصله ذم التقيد بالزينة الظاهرة مما يتعلق بالثياب الجميلة لاسيما اذا كانت محرمة أو مكروهة و عدم التعلق بتخلية الباطن عن الاوصاف الدنية و تحليتها بالنعوت الرضية فان من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة و من رق ثوبه رق دينه ثم تطويل الاكمام و جر الاذيال حرام على وجه التكبر و الخيلاء و مكروه اذا كان بخلافه و أما اذا كان اللبس على الوجه المباح فى الشريعة فيختلف باختلاف النية فى اختيار التكلف و التقشف فقد قال تعالى قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده و الطيبات من الرزق الآية و اختلف السادة الصوفية فى أيهما أفضل و مختار الشاذلية و النقشبندية و البكرية التلبس بلباس الاغنياء كما عليه بعض السلف من الاولياء كما روى ان فرقدا السنجي دخل على الحسن و عليه كساء و على الحسن حلة فجعل يلمسها فقال له الحسن ما لك تنظر الى ثيابى ثيابى ثياب أهل الجنة و ثيابك ثياب أهل النار بلغنى ان أكثر أهل النار أصحاب الاكسية ثم قال الحسن جعلوا الزهد فى ثيابهم والكبر فى صدورهم والذى يحلف به لاحدهم بكسائه أعظم كبرا من صاحب المطرف بمطرفه ثم الجملة أما خبر أو دعاء على من استعبده حب الدنيا و استرقه الهوى و أعرض عن عبودية المولى و لذا قال بعض العارفين

أتمنى على الزمان محالا ★ ان ترى مقلتاى طلعة حر

ولم يقل صاحبها ايذانا بان المذموم من يكون أسيرا لجمع المال بحيث لا يؤدى حق الملك المتعال (ان اعطى) أى هذا التعيس (رضى و ان لم يعط سخط) بكسر الخاء أى غضب والجملة بيان لشدة حرصه و انقلاب حاله كما أخبر الله تعالى عن حال المنافقين بقوله و منهم من يلمزك فى الصدقات فان أعطوا منها رضوا و ان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون الآية و كما قال عزوجل و من الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين (تعس) كرر للتأكيد و ليعطف عليه للتشديد قوله (و انتكس) أى صار ذليلا (و اذا شيك) بكسر أوله أى دخل شوك فى عضوه (فلا انتقش) بصيغة المجهول و فى نسخة على بناء المعلوم أى فلا يقدر على اخراجه أو لا يجد من يخرجه و المعنى انه اذا وقع فى البلاء لا يرحم عليه و لا يقدر على دفعه بنفسه أيضا هذا و فى النهاية تعس اذا عثر و انكب لوجهه و قد تفتح العين و هو دعاء عليه بالهلاك و انتكس أى انقلب على رأسه و هو دعاء عليه بالخيبة لان من انتكس فى أمره فقد خاب و خسر و اذا شيك أى اذا شاكته شوكة فلا يقدر على انتقاشها و هو اخراجها بالمنقاش و الخميصة ثوب خز أو صوف معلم و قيل لاتسمى خميصة الا ان تكون سوداء معلمة و كانت من لباس الناس قديما قال الطيبى رحمه الله قيل خص العبد بالذكر ليؤذن بانغماسه فى محبة الدنيا و شهواتها كالاسير الذى لاخلاص له عن اسره و لم يقل مالك الدينار و لا جامع الدينار لان المذموم من الدنيا الزيادة على قدر الحاجة لا قدر الحاجة و قوله ان أعطى رضى و ان لم يعط سخط يؤذن الى شدة حرصه فى جمع الدنيا و طمعه فيما فى أيدى الناس و فى قوله تعس وانتكس صنعة الترديد مع الترق أعاد تعس الذى هو الانكباب على الوجه ليضم معه الانتكاس الذى هو الانقلاب على الرأس ليترق فى الدعاء عليه من الاهون الى الاغلظ ثم ترق منه الى قوله و اذا شيك فلا انتقش على معنى انه اذا وقع فى البلاء فلا يترحم عليه فان من وقع فى البلاء اذا ترحم له الناس ربما هان الخطب عليه و تسلى بعض التسلى و هؤلاء بخلافه بل يزيد غيظهم بفرح الاعداء

طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه ان كان فى الحراسة كان فى الحراسة و ان كان فى الساقة كان فى الساقة ان استأذن لم يؤذن له و ان شفع لم يشفع رواه البخارى ★ وعن أبى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان مما أخاف عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا و زينتها فقال رجل يا رسول الله أو يأتى

و شماتتهم و انما خص انتقاش الشوك بالذكر لان الانتقاش أسهل ما يتصور من المعاونة لمن أصابه مكروه فاذا نفى ذلك الاهون فيكون ما فوق ذلك منفيا بالطريق الاولى (طوبى) أى حالة طيبة أو شجرة فى الجنة (لعبد) أى خالص لله تعالى (آخذ) بصيغة الفاعل أى ماسك (بعنان فرسه) بكسر العين أى بلجامه (فى سبيل الله) أى طريق الجهاد (أشعث) بالنصب على انه صفة عبد أو حال منه و قوله (رأسه) مرفوع على الفاعلية لاشعث و هو مغبر الرأس و فى نسخة برفعه على انه خبر مبتدأ محذوف و الجملة صفة عبد و قوله (مغبرة) بالنصب و فى نسخة بالرفع و فى أخرى بالجر على انها صفة عبد و قوله (قدماه) فاعلها و قال الطيبى رحمه الله أشعث و مغبرة حالان من الضمير فى آخذ لاعتماده على الموصوف و يجوز أن يكونا حالين من العبد لانه موصوف (ان كان) أى ذاك العبد (فى الحراسة) بكسر الحاء أى حماية الجيش و محافظتهم عن أن يتهجم عليهم عدوهم (كان) أى كاملا (فى الحراسة) غير مقصر فيها بالنوم و الغفلة و نحوهما و الحراسة و ان كانت فى اللغة أعم لكنها فى العرف مختصة بمقدمة العسكر ولذا قال (و ان كان فى الساقة) أى فى مؤخرة الجيش (كان فى الساقة) أى كاملا فى تلك الحالة أيضا بان لايخاف من الانقطاع .و لايهتم الى السبق بل يلازم ما هو لاجله و قد تقرر فى علم المعانى ان الشرط و الجزاء اذا اتحدا يراد بالجزاء الكمال فالمعنى ان كان فى الحراسة أو الساقة يبذل جهده فيها و لايغفل عنها على وجه الكمال قال التوربشتى رحمه الله أراد بالحراسة حراسته من العدو أن يهجم عليهم و ذلك يكون فى مقدمة الجيش و الساقة مؤخرة الجيش فالمعنى ائتماره لما أمر و اقامته حيث أقيم لايفقد من مكانه بحال و انما ذكر الحراسة و الساقة لانهما أشد مشقة و أكثر آفة الاول عند دخولهم دار الحرب و الآخر عند خروجهم (ان استأذن) أى طلب الاذن فى دخول محفل و فى نسخة اذا استأذن (لم يؤذن له) أى لعدم ماله و جاهه (و أن يشفع) أى لاحد (لم يشفع) بتشديد الفاء المفتوحة أى لم تقبل شفاعته و توضيحه ما قيل ان فيه اشارة الى عدم التفاته الى الدنيا و أربابها بحيث يفنى بكليته فى نفسه لايبتغى مالا و لا جاها عند الناس بل يكون عند الله وجيها و لم يقبل الناس شفاعته و عند الله يكون شفيعا مشفعا (رواه البخارى) و روى الترمذى صدر الحديث بلفظ لعن عبد الدرهم مختصرا ★ (و عن أبى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان مما أخاف عليكم) أى من جملة ما أخشى عليكم أيها الصحابة أو أيها الامة (من بعدى) أى بعد وفاتى و فقد حياتى (ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا) بفتح الزاى و سكون الهاء و يفتح ففى القاموس الزهرة و يحرك النبات أو نوره أو الاصفر منه و المراد حسنها و بهجتها فقوله (و زينتها) عطف تفسير و انما عبر بالزهرة اشارة الى حدوثها حلوة خضرة وسرعة فنائها والمعنى انى أخاف عليكم ان كثرة أموالكم عند فتح بلادكم تمنعكم من الاعمال الصالحة و تشغلكم عن العلوم النافعة و تحدث فيكم الاخلاق الدنية من التكبر و العجب والغرور و محبة المال و الجاه و ما يتعلق بهما من لوازم الامور الدنيوية و الاعراض عن الاستعداد للموت و ما بعده من الاحوال الاخروية (فقال رجل يا رسول الله أو يأتى

الخير بالشر فسكت حتى ظننا انه ينزل عليه قال فمسح عنه الرحضاء و قال أين السائل وكانه حمده فقال انه لايأتى الخير بالشر و ان مما ينبت الربيع مايقتل حبطا أو يلم الا آكلة الخضر أكلت حتى امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس فثلطت و بالت ثم عادت فأكلت

الخير بالشر) بفتح الواو و الاستفهام للاسترشاد و المعنى أيفتح علينا و يأتى الخير من الغنائم و المال و الحلال و توسيع الرزق مصحوبا بالشر المترتب عليه ترك الخير من الطاعة و العبادة مما يخاف علينا و قيل الباء صلة يأتى وهى للتعدية أى هل يستجلب الخير الشر وتوضيحه ان حصول الغنيمة لناخير و هل يكون ذلك الخير سببا للشر (فسكت) أى متأملا أو مستغرقا أو منتظرا للوحى سكوتا ممتدا (حتى ظننا انه ينزل) بصيغة المجهول أى نزل الوحى (عليه) أى بواسطة جبريل و الا فهو ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى أما وحيا جليا أو خفيا (قال) أى أى الراوى (فمسح عنه) أى عن وجهه الشريف (الرحضاء) بضم الراء و فتح الحاء المهملة و بالضاد المعجمة و بالمد عرق الحمى على ما فى المقدحة والمراد هنا عرق يظهر عليه صلى الله تعالى عليه وسلم عند نزول الوحى عليه فالتركيب من باب التشبيه البليغ و المعنى انه مسح عنه عرقا كعرق أثر الحمى ترحض الجسد أى تغسله من كثرته (و قال اين السائل و كانه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (حمده) أى حمد السائل و استحسنه فى سؤاله لكونه سؤال استرشاد لنفع العباد و العباد (فقال انه) أى الشان (لايأتى الخير بالشر) أى حقيقة لتنافيهما لكن قد يكون الخير سببا للشر فضرب لذلك مثلا بقوله المناسب لتعبير الخير بالزهرة حيث قال (و ان مما ينبت الربيع) أى بقدرته تعالى و أرادته و خلق أسبابه و آلته (ما يقتل) أى نباتا أو شيأ يهلك الدواب (حبطا) بفتحتين أى انتفاخ بطن من الامتلاء و هو تمييز و المراد انه قد يقتل حقيقة (أو يلم) بضم ياء و تشديد ميم أى يكاد أن يقتل و يقرب ان يهلك فأو للتنويع و المعنى ان الربيع ينبت خيار العشب فتستكثر منه الماشية لاستطابتها اياه حتى تنتفخ بطونها عند مجاوزتها حد الاعتدال فتنفتق امعاؤها من ذلك فتموت أو تقرب الموت و من المعلوم ان الربيع ينبت اضراب العشب فهى كلها خير فى نفسها و انما يأتى الشر من قبل افراط الاكل فكذلك المفرط فى جمع المال من غير حله أو من الحلال المشغل عن حاله يكثر فى التنعم بماله من غير تأمل فى مآله فيقسو قلبه من كثرة الاكل فيورث الاخلاق الدنية فيتكبر و يتجبر و يحتر الناس و يمنع ذا الحق الحق منها فحيث آل مآل المال لهلاكه فى الدنيا و لعذابه فى العقبى يصير سبب الوبال و شدة النكال و سوء الحال (الا آكلة الخضر) بفتح الخاء و كسر الضاد المعجمتين و هو الطرى الغض من النبات و فى نسخة بضم ففتح على انه جمع خضرة و روى بزيادة الهاء و المعنى يقتل أو يلم كل آكلة الا آكلة الخضر على الوجه المذكور و البيان المسطور بقوله (أكلت) أى الماشية الآكلة المفرطة أكلها (حتى امتدت) أى امتلأت و شبعت (خاصرتاها) أى جنباها و عبر عن الشبع بامتدادهما لانهما يمتدان عندامتلاء البطن (استقبلت عين الشمس) أى ذاتها وقرصها والمعنى انها بركت مستقبلة اليها تستمرى بذلك ما أكلت و قال شارح أى تركت الاكل ولم تأكل ما فوق طاقة كرشها حتى تقتلها كثرة الاكل و توجهت الى مسقط ضوئها و استراحت فيه (فثلطت) أى ألقت روثها رقيقا سهلا (و بالت) أى فزال عنها الحبط (ثم عادت فأكلت) أى ثم اذا حصل لها خفة و احتاجت الى الاكل عادت فأكلت كذلك من أخرج ما فى المال من الحقوق و عالج نفسه بالاحتماء عن مساوى الاغنياء و عرف

الداء و الدواء بتتبع كلام الحكماء من الانبياء و الاولياء فيكون المال حينئذ خيرا له لانه معونة له في تحصيل الخير و دفع الشر لكن لما كان الخطر فيه كثيرا بحيث يضر السالكين بحسب الاغلب اختار الله لاكثر الانبياء و الاولياء طريق الفقر و الفاقة و ذهب الصوفية أجمعهم و العلماء أكثرهم الى ان الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر و الله سبحانه و تعالى أعلم هذا مجمل الكلام في مرام المقام و أما تفصيله لغة و حلا من جهة المبنى و المعنى ففي النهاية الحبط بالتحريك الهلاك يقال حبطت الدابة تحبط حبطا بالتحريك اذا أصابت مرعى طيبا فافرطت في الاكل حتى تنتفخ فتموت و ذلك ان الربيع ينبت أحرار العشب فتستكثر منه الماشية و يلم أى يقرب و يدنو من الهلاك و الخضر بكسر الضاد نوع من البقول ليس من احرارها و جيدها و انما ترعاها المواشي اذا لم تجد غيرها فلا تكثر من أكلها و لا تستمرئها قال القاضي آكله نصب على انه مفعول يقتل و الاستثناء مفرغ و الاصل ان مما ينبت الربيع ما يقتل آكليه الا آكل الخضر على هذا الوجه و انما صح الاستثناء المفرغ من المثبت لقصد التعميم فيه و نظيره قرأت الا يوم كذا قال الطيبي رحمه الله تعالى و عليه ظاهر كلام المظهر و الاظهر ان الاستثناء منقطع لوقوعه في الكلام المثبت و هو غير جائز عند الكشاف الا بالتأويل فيه لان ما يقتل حبطا بعض ما ينبت الربيع لدلالة من التبعيضية عليه و التقسيم في قوله الا آكل الخضر لان الخضر غير ما يقتل حبطا يشهد له ما في شرح السنة قال الازهري فيه مثلان ضرب أحدهما للمفرط في جمع الدنيا و منعها من حقها و ضرب الآخر للمقتصد في أخذها و الانتفاع بها و أما قوله و ان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا فهو مثل للمفرط الذي يأخذها بغير حق و ذلك ان الربيع ينبت احرار العشب فتستكثر منها الماشية حتى ينتفخ بطونها لما قد جاوزت حد الاحتمال فتنفتق أمعاؤها فتهلك كذلك الذي يجمع الدنيا من غير حلها و يمنع ذا الحق حقه يهلك في الآخرة بدخول النار و أما مثل المقتصد فقوله عليه الصلاة والسلام الا آكلة الخضر و ذلك ان الخضر ليست من أحرار البقول التي ينبتها الربيع فتستكثر منها الماشية و لكنها من كلا الصيف التي ترعاها المواشي بعد هشيم البقول شيأ فشيأ من غير استكثار فضرب مثلا لمن يقتصد في أخذ الدنيا و لايحمله الحرص على أخذها فهو ينجو من وبالها قال الاشرف في قوله حتى امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس ان المقتصد المحمود العاقبة و ان جاوز حد الاقتصاد في بعض الاحيان و قرب من السرف المذموم لغلبة الشهوة المركوزة في الانسان و هو المعنى بقوله أكلت حتى امتدت خاصرتاها لكنه يرجع عن قريب عن ذلك الحد المذموم و لايلبث عليه بل يلتجئ الى الدلائل النيرة و البراهين الواضحة الدافعة للحرص المهلك القامعة له و هو المدلول عليه بقوله استقبلت عين الشمس و ثلطت و بالت فحذف ما حذف في المرة الثانية لدلالة ما قبلها عليه و فيه ارشاد الى ان المحمود العاقبة و ان تكرر منه الخروج عن حد الاقتصاد و القرب من حد الاسراف مرة بعد أولى و ثانية بعد أخرى لغلبة الشهوة عليه و قوتها فيه لكنه يمكن ان يبعد بمشيئة الله تعالى عن الحد المذموم الذي هو الاسراف و يقرب من الاقتصاد الذي هو الحد المحمود قال الطيبي رحمه الله فعلى هذا الاستثناء متصل لكن يجب التأويل في المستثنى منه و المعنى ان من جملة ما ينبت الربيع شيأ يقتل أكله الا الخضر منه اذا اقتصد فيه آكله و تحرى دفع ما يؤديه الى الهلاك (و ان هذا المال) أى المحسوس في المال (خضرة) بفتح فكسر (حلوة) بضم الحاء أى حسنة المنظر لزيادة المذاق و التأنيث باعتبار ان هذا المال عبارة عن الدنيا و زينتها اذ التقدير ان زهرة هذا المال خضرة

و ان هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بحقه و وضعه فى حقه فنعم المعونة هو و من أخذه بغير حقه كان كالذى يأكل و لايشبع و يكون شهيدا عليه يوم القيامة متفق عليه ★ وعن عمرو بن عوف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فو الله لا الفقر أخشى عليكم و لكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها و تهلككم كما أهلكتهم

حلوة قال التوربشتى رحمه الله كذلك نرويه من كتاب البخارى على التأنيث و قد روى أيضا خضر حلو و الوجه فيه ان يقال انما أنث على معنى تأنيث المشبه به أى ان هذا المال شئ كالخضرة و قيل معناه كالبقلة الخضرة أو يكون على معنى فائدة المال أى ان الحياة به أو المعيشة خضرة قال الطيبى رحمه الله و يمكن أن يعبر عن المال بالدنيا لانه أعظم زينتى الحياة الدنيا لقوله تعالى المال و البنون زينة الحياة الدنيا فيوافق حديث أبى سعيد الخدرى الدنيا حلوة خضرة و ان الله مستخلفكم على مامر فى الباب السابق اه و المعنى ان هذا المال مشبه بالمرعى المشتهاة للانعام (فمن أخذه بحقه) أى بقدر احتياجه من طريق حله (و وضعه فى حقه) أى فى محله الواجب أو ندبه (فنعم المعونة) أى ما يعان به الطاعة و يدفع به ضرورات المؤنة اذ المراد بالمعونة الوصف مبالغة أى فنعم المعين على الدين (هو) أى المال و نظيره ما ورد نعم المال الصالح للرجل الصالح (و من أخذه بغير حقه) أى من غير احتياج اليه و جمعه من حرام و لم يصرفه فى مرضاة ربه (كان كالذى يأكل و لايشبع) فيقع فى الداء العضال و الورطة المهلكة لغلبة الحرص كالذى به جوع البقر و كالمريض الذى به الاستسقاء حيث ما يروى و كل ما يشرب يزيد عطشا و انتفاخا (و يكون) أى المال (شهيدا عليه يوم القيامة) أى حجة عليه يوم يشهد على حرصه و اسرافه و انه أنفقه فيما لايرضاه الله تعالى و لم يؤد حقه من مال الله لعباد الله قال الغزالى رحمه الله مثال المال مثال الحية التى فيها ترياق نافع و سم ناقع فان أصابها المعزم الذى يعرف وجه الاحتراز عن شرها و طريق استخراج ترياقها كانت نعمة و ان أصابها السوادى الغبى فهى عليه بلاء مهلك و توضيحه ما قاله الخواجه عبيدالله النقشبندى رحمه الله ان الدنيا كالحية فكل من يعرف رقيتها يجوز له أخذها و الا فلا فقيل و ما رقيتها فقال ان يعرف من أين يأخذها و فى أين يصرفها (متفق عليه ★ و عن عمرو بن عوف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فو الله لا الفقر) بالنصب مفعول مقدم للاهتمام على عامله و هو قوله (أخشى عليكم) و المعنى ما أخشى عليكم الفقر لان الغالب عليه السلامة و انه أنفع لكم ولذا قيل ان من العصمة ان لا تقدر و ان كان كاد الفقر أن يكون كفرا (و لكن أخشى عليكم ان تبسط) أى توسع (عليكم الدنيا) أى فتعملوا معاملة الاغنياء الاغبياء فتهلكوا بانواع البلاء (كما بسطت على من كان قبلكم) أى فهلكوا بسبب عدم ترحمهم على الفقراء لاجل كمال الميل الى المال (فتنافسوها) بحذف أحدى التاءين عطف على تبسط من نافست فى الشئ أى رغبت فيه و تحقيقه ان المنافسة و التنافس ميل النفس الى الشئ النفيس ولذا قال تعالى و فى ذلك فليتنافس المتنافسون و المعنى فتجاروها أنتم و ترغبوا فيها غاية الرغبة (كما تنافسوها) بصيغة الماضى أى كما رغب فيها من قبلكم (و تهلككم) أى الدنيا (كما أهلكتهم) قال الطيبى رحمه الله فان قلت ما الفائدة فى تقديم المفعول فى القرينة الاولى دون الثانية قلت فائدته الاهتمام بشأن الفقر لان الأب المشفق اذا احتضر أنما يكون أهتمامه بشأن الولد و ضياعه و اعدامه المال كانه صلى الله تعالى عليه وسلم يقول حالى معكم خلاف حال الوالد فانى لا أخشى الفقر كما يخشاه الوالد ولكن

و عن أبى هريرة أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا ★ متفق عليه
و فى رواية كفافا متفق عليه

خوفى من الغنى الذى هومطلوب الوالد للولد ثم التعريف فى الفقر أما أن يكون للعهد فهوالفقر الذى كانت الصحابة عليه من الاعدام والقلة والبسط هو ما بسط الله عليهم من فتح البلاد واما للجنس وهو الفقر الذى يعرفه كل أحد ما هو و البسط الذى يعرفه كل أحد و نظيره ما فسر به قوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا اه والظاهر ان المراد بالفقر مالم يكن عنده جميع ما يحتاج اليه من ضروريات الدين والبدن وبالغنى الزيادة على مقدار الكفاية الموجبة للطغيان و شغل الانسان عن عبادة الرحمن فالمعنى كما قال الطيبى رحمه‌الله ترغبون فيها فتشتغلون بجمعها و تحرصون على امساكها فتطغون بها فتهلكون بها قال تعالى كلا أن الانسان ليطغى ان رآه استغنى و يحتمل أن يكون هلاكهم من أجل أن المال مرغوب فيه فيطمع الناس و يتوقعون منه فمنعه منهم فتقع العداوة بينهم فيفضى ذلك الى الهلاك اه وهذا الاحتمال بعيد عن أن يكون مراد الحديث بل محال بلامجال (متفق عليه) و روى الطبرانى فى الصغير عن أنس مرفوعا قال من أصبح حزينا على الدنيا أصبح ساخطا على ربه تعالى ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت به فانما يشكو الله تعالى و من تضعضع لغنى لينال مما فى يديه أسخط الله تعالى و من أعطى القرآن فدخل النار فأبعده الله تعالى و رواه أبو الشيخ فى الثواب من حديث أبى الدرداء الا انه قال فى آخره و من قعد أو جلس الى غنى فتضعضع له لدنيا تصيبه ذهب ثلثا دينه و دخل النار ★ (وعن أبى‌هريرة أن رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال اللهم اجعل‌رزق آل محمد) أى ذريته و أهل بيته أو أتباع محمد و أحبابه على وجه الكمال (قوتا) أى ما يكسب قوة على الطاعة ويسد رمقا فى المعيشة (و فى رواية كفافا) بفتح الكاف وهو من القوت ما يكف الرجل من الجوع أو عن السؤال و الظاهر أن هذه الرواية تفسير للاولى و بيان ان الاكتفاء بادنى المعيشة هوالطريق الاولى وقد استجاب الله دعاءه فى حق من‌شاءه ممن أراد اصطفاءه واجتباءه ويؤيد القول الثانى وهو أن يكون المراد بالآل خواص أمته من أرباب الكمال ما ورد فى دعائه عليه‌الصلاة والسلام على مارواه ابن ماجه عن عمرو بن غيلان الثقفى والطبرانى عن معاذ بن جبل اللهم من آمن بى و صدقنى و علم ان ما جئت به هو الحق من عندك فاقلل ماله و ولده و حبب اليه لقاءك و عجل له القضاء و من لم‌يؤمن بى و لم‌يصدقنى و لم‌يعلم ان ما جئت‌به الحق من عندك فاكثر ماله و ولده و أطل عمره و لعل السبب فى ذلك ماورد عنه صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك و فى رواية قليل تؤدى شكره خير من كثير لاتطيقه و نعم ما قال بعض أرباب الحال

زيادة المرء فى دنياه نقصان ★ و ربحه غير محض الخير خسران

هذا و فى النهاية الكفاف هو الذى لايفضل عن الشئ و يكون بقدر الحاجة اليه قال الطيبى رحمه الله هذه الرواية مفسرة للرواية الاولى لان القوت مايسد به الرمق و قيل سمى قوتا لحصول القوة منه فسلك صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم طريق الاقتصاد المحمود فان كثرة المال تلهى و قلته تنسى فما قل و كفى خير مما كثر و الهى و فى دعاء النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم أرشاد لامته كل الارشاد الى أن الزيادة على الكفاف لاينبغى أن يتعب الرجل فى طلبه لانه لا خير فيه و حكم الكفاف يختلف باختلاف الاشخاص و الاحوال فمنهم من يعتاد قلة الاكل حتى انه يأكل فى كل أسبوع مرة فكفافه و قوته تلك المرة فى أسبوع و منهم من يعتاد الاكل فى كل يوم مرة أو مرتين فكفافه

★ و عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أفلح من أسلم و رزق كفافا و قنعه الله بما آتاه رواه مسلم ★ و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العبد مالى مالى و إن ماله من ماله ثلاثة ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو أعطى فاقتنى و ماسوى ذلك فهو ذاهب و تاركه للناس رواه مسلم ★ وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان و يبقى معه واحد يتبعه أهله و ماله

ذلك أيضا لانه ان تركه أضره ذلك و لم يقو على الطاعة و منهم من يكون كثير العيال فكفافه ما يسد رمق عياله و منهم من يقل عياله فلا يحتاج الى طلب الزيادة و كثرة الاشتغال فاذا قدر الكفاية غير مقدر و مقداره غير معين الا أن المحمود ما به القوة على الطاعة و الاشتغال به على قدر الحاجة (متفق عليه) و فى الجامع اللهم أرزق آل محمد فى الدنيا قوة رواه مسلم و الترمذى و ابن ماجه عن أبي هريرة ★ (و عن عبد الله بن عمرو) بالواو (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أفلح) أى فاز و ظفر بالمقصود (من أسلم) أى انقاد لربه المعبود (و رزق) أى من الحلال (كفافا) أى ما كفاه فى أمر دنياه و كفه عما سواه (و قنعه الله) أى جعله قانعا (بما آتاه) أى بما أعطاه إياه بل جعله شاكرا لما أعطاه راضيا بكل ما قدره و قضاه (رواه مسلم) و كذا أحمد و الترمذى و ابن ماجه و فى رواية لاحمد عن أبى ذر مرفوعا قد أفلح من أخلص قلبه للايمان و جعل قلبه سليما و لسانه صادقا و نفسه مطمئنة و خليقته مستقيمة و أذنه مستمعة و عينه ناظرة و جاء فى رواية مختصرا قد أفلح من رزق لبا رواه البيهقى عن قرة بن هبيرة و قد قال تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون الآيات و الله تعالى أعلم بحقيقة النيات ★ (و عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العبد) أى مع ان العبد و ما فى يده لمولاه و لا ينبغى له أن ينسب الى نفسه شيأ كما قالته الصوفية الصفية (مالى مالى) أى مالى كذا مالى كذا و المعنى يعده افتخارا أو يذكره احتقارا أو لم يعرف المقصود من المال و لا ما يترتب عليه فى المآل من الوبال (و ان ماله من ماله ثلاث) ما الاولى موصولة و له صلته و من ماله متعلق بالصلة و ثلاث خبر و أنما أنثه على تأويل المنافع ذكره الطيبى رحمه الله و المعنى ان الذى يحصل له من ماله ثلاث منافع فى الجملة لكن منفعة واحدة منها حقيقة باقية و الباقى منها صورية فانية (ما أكل) أى ما استعمل من جنس المأكولات و المشروبات ففيه تغليب أو اكتفاء (فأفنى) أى فأعدمها (أو لبس) أى من الثياب (فأبلى) أى فأخلقها (أو أعطى) أى لله تعالى (فاقتنى) أى جعله قنية و ذخيرة للعقبى (و ما سوى ذلك) أى و ماعدا ما ذكر من سائر أنواع المال من المواشى و العقار و الخدم و النقود و الجواهر و نحو ذلك (فهو) أى العبد (ذاهب) أى عنه (و تاركه للناس) أى من الورثة أو غيرهم بلافائدة راجعة اليه مع ان مطالبة المحاسبة و المعاقبة عليه (رواه مسلم ★ و عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الميت) أى الى قبره (ثلاثة) أى من أنواع الاشياء (فيرجع اثنان) أى الى مكانهما و يتركانه وحده (و يبقى معه واحد) أى لا ينفك عنه (يتبعه أهله) أى أولاده و أقاربه و أهل صحبته و معرفته (و ماله) كالعبيد و الاماء و الدابة و الخيمة و نحوها قال المظهر أراد بعض ماله وهو مماليكه و قال الطيبى رحمه الله اتباع الاهل على الحقيقة و اتباع المال على الاتساع فان المال حينئذ له نوع تعلق بالميت من التجهيز و التكفين و مؤنة الغسل و الحمل و الدفن فاذا دفن انقطع تعلقه بالكلية

و عمله فيرجع أهله و ماله و يبقى عمله متفق عليه ★ و عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم مال وارثه أحب اليه من ماله قالوا يا رسول الله ما منا أحد الا ماله أحب اليه من مال وارثه قال فان ماله ما قدم و مال وارثه ما أخر رواه البخارى ★ وعن مطرف عن أبيه قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم و هو يقرأ الهاكم التكاثر قال يقول ابن آدم مالى مالى قال و هل لك يا ابن آدم الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت رواه مسلم ★ و عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض و لكن الغنى غنى النفس متفق عليه

(و عمله) أى من الصلاح و غيره (فيرجع أهله و ماله) أى كما نشاهد حاله و ماله (و يبقى) أى معه (عمله) أى ما يترتب عليه من ثواب و عقاب و لذا قيل القبر صندوق العمل و فى الحديث القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران (متفق عليه ★ و عن عبد الله ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أيكم مال وارثه أحب اليه من ماله) أى من مال نفسه (قالوا يا رسول الله ما منا احد الا ماله أحب اليه من مال وارثه قال فان ماله) أى حقيقة (ما قدم) أى ما قدمه على موته بارساله الى الدار الآخرة فانه النافع الباق له فيها قال تعالى و ما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله (و مال وارثه ما أخر) أى ما خلفه لهم حيث يفعلون فيه ما قدره الله عليهم من الخير و الشر قال تعالى علمت نفس ما قدمت و أخرت (رواه البخارى ★ و عن مطرف) بضم الميم و كسر الراء المشددة (عن أبيه) أى عبد الله بن الشخير بكسر فتشديد و مر ذكره (قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم و هو يقرأ الهاكم التكاثر) أى أشغلكم طلب كثرة المال (قال يقول ابن آدم) أى لكونه ظلوما جهولا فى حمل الامانة المانعة عن الخيانة (مالى مالى) أى يغتر بنسبة المال تارة و يفتخر به أخرى (قال) أعيد للتأكيد و دفعا لتوهم أن يكون من قول الراوى (و هل لك) أى و هل يحصل لك من المال و ينفعك فى المآل (يا ابن آدم الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت) أى فامضيته من الافناء و الابلاء و أبقيته لنفسك يوم الجزاء قال تعالى ما عندكم ينفد و ما عند الله باق و قال عزوجل من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له و له أجر كريم (رواه مسلم ★ و عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس الغنى) أى المعتبر عند أرباب الحقيقة غنى صادرا (عن كثرة العرض) و هو غنى اليد من الامور العارضة و الاحوال الحادثة و هو بفتح العين و الراء متاع الدنيا و حطامها على ما فى النهاية و قال شارح العرض بالتحريك يتناول النقود و غيرها من الاموال و بالسكون لايتناول النقود و قال الطيبى رحمه الله و عن هذه مثلها فى قوله تعالى فازلهما الشيطان عنها الكشاف أى فحملهما الشيطان على الزلة بسببها و تحقيقه فاصدرالشيطان زلتهما عنه (و لكن) بتشديد النون و يجوز تخفيفه (الغنى) أى الغنى الحقيقى (غنى النفس) أى عن المخلوق لاستغناء القلب باغناء الرب و المعنى ان الغنى الحقيقى هو قناعة النفس بما أعطاه المولى و التجنب عن الحرص فى طلب الدنيا فمن كان قلبه حريصا على جمع المال فهو فقير فى حقيقة الحال و نتيجة المآل و ان كان له كثير من الاموال لانه محتاج الى طلب الزيادة بموجب طول الآمال و من كان له قلب قانع بالقوت و راض بعطية مالك الملك و الملكوت فهو غنى بقلبه مستغن عن الغير بربه سواء يكون فى يده مال أو لا اذ لايطلب الزيادة على القوت و لايتعب نفسه فى طلب الدنيا الى أن يموت بل يستعين بالقليل من الدنيا لتحصيل الثواب الجميل فى العقبى

★ (الفصل الثانى) ★ عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من يأخذ عنى هؤلاء الكلمات ليعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن قلت أنا يا رسول‌الله فأخذ بيدى فعد خمسا فقال اتق المحارم تكن أعبد الناس و ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس

و الثناء الجزيل من المولى رزقنا الله المقام الاعلى و فى الحديث القناعة كنز لايفنى و فى رواية لاينفد و ما أحسن من قال من أرباب الحال

عزيز النفس من لزم القناعه ★ و لم يكشف لمخلوق قناعه

قال الاشرف المراد بغنى النفس القناعة و يمكن ان يراد به ما يسد الحاجة قال الشاعر

غنى النفس ما يكفيك من سد حاجة ★ فان زاد شيأ عاد ذاك الغنى فقرا

قال الطيبى رحمه‌الله و يمكن أن يراد بغنى النفس حصول الكمالات العلمية و العملية و أنشد أبوالطيب معناه ——— و من ينفق الساعات فى جمع ماله ★ مخافة فقر فالذى فعل الفقر

يعنى ينبغى أن ينفق ساعاته و أوقاته فى الغنى الحقيقى و هو طلب الكمالات ليزيد غنى بعد غنى لا فى المال لانه فقر بعد فقر اه و قد قال بعض أرباب الكمال

رضينا قسمة الجبار فينا ★ لنا علم و للاعداء مال

فان المال يفنى عن قريب ★ و ان العلم يبقى لايزال

و من المعلوم ان المال ارث فرعون و قارون و سائر الكفار و الفجار و ان العلم ارث الانبياء و الاولياء و العلماء الابرار (متفق عليه) رواه أحمد و الترمذى و ابن ماجه

★ (الفصل الثانى) ★ (عن أبى هريرة قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم من يأخذ عنى هؤلاء الكلمات) أى الاحكام الآتية للسامع المصورة فى ذهن المتكلم و من للاستفهام (فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن) أو بمعنى الواو كما فى قوله تعالى عذرا أو نذرا ذكره الطيبى رحمه الله و تبعه غيره و الظاهر ان أو فى الآية للتنويع كما أشار اليه البيضاوى بقوله عذرا للمحقين أو نذرا للمبطلين و يمكن أن تكون أو فى الحديث بمعنى بل أشارة الى الترقى من مرتبة الكمال الى منصة التكميل على ان كونها للتنويع له وجه وجيه و تنبيه نبيه على ان العاجز عن فعله قد يكون باعثا لغيره على مثله كقوله فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه (قلت أنا) أى آخذها عنك (يا رسول‌الله) و هذه مبايعة خاصة و معاهدة خالصة و نظيره ما عاهد بعض أصحابه بانه لايسأل مخلوقا و كان اذا وقع سوطه من يده و هو راكب نزل و أخذه من غير أن يستعين باحد من أصحابه (فاخذ بيدى) أى تحقيقا للقضية و تقريبا للخصوصية (فعد خمسا) أى من الخصائل أو من الاصابع على ما هو المتعارف واحدة بعد واحدة (فقال اتق المحارم) و هى شاملة لجميع المحرمات من فعل المنهيات و ترك المأمورات (تكن أعبد الناس) اذ لاعبادة أفضل من الخروج عن عهدة الفرائض و عوام الناس يتركونها و يعتنون بكثرة النوافل فيضيعون الاصول و يقومون بالفضائل فربما يكون على شخص قضاء صلوات و يغفل عن أدائها و يطلب علما أو يجتهد عملا فى طواف و عبادات نفل أو يكون على أحد من الزكاة أو حقوق الناس فيطعم الفقراء أو يبنى المساجد و المدارس و نحوها و لعل التعبير بالاتقاء اعتناء لجانب الاحتماء على قاعدة الحكماء فى معالجة الداء بالدواء (و ارض بما قسم الله لك) أى سواء يقع لك بواسطة مخلوق أو بغيرها (تكن أغنى الناس) سأل شخص السيد أبا الحسن الشاذلى رحمه الله عن الكيمياء فقال هى كلمتان

و أحسن الى جارك تكن مؤمنا و أحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما و لا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب رواه أحمد و الترمذی و قال هذا حديث غريب ★ وعنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ان الله يقول ابن آدم تفرغ لعبادتی أملأ صدرك غنى و أسد فقرك و ان لا تفعل ملأت يدك شغلا و لم أسد فقرك رواه أحمد و ابن ماجه

اطرح الخلق عن نظرك و اقطع طمعك عن الله ان يعطيك غير ما قسم لك و قال السيد عبدالقادر الجيلى عليه رحمة البارى أعلم ان القسم لا يفوتك بترك الطلب و ما ليس بقسم لا تناله بحرصك فى الطلب و الجد و الاجتهاد فاصبر و الزم الحال و أرض به ليرضى عنك ذو الجلال (و أحسن الى جارك) أى و لو أساء اليك (تكن مؤمنا) أى كاملا أو معطيا له الأمن لقوله صلى‌الله‌تعالى‌عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يأمن جاره بوائقه أى شروره و غوائله (و أحب للناس) أى عموما (ما تحب لنفسك) أى مثل ما تحبه لك خاصة حتى تحب الايمان للكافر و التوبة للفاجر و نحو ذلك (تكن مسلما) أى كاملا و هذا الحديث أعم من حديث المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده و قد استشهد الطيبى رحمه الله به فالاظهر فيما اعتضده حديث لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه (و لا تكثر الضحك) أى تكن طيب القلب و حيا بذكر الرب (فان كثرة الضحك) أى المورثة للغفلة عن الاستعداد للموت و ما بعده من الزاد للمعاد (تميت القلب) أى ان كان حيا و يزيد اسودادا ان كان ميتا (رواه أحمد و الترمذى و قال هذا حديث غريب) و فى التصحيح للجزرى رواه الترمذى من حديث الحسن عن أبى هريرة و الحسن لم يسمع من أبى هريرة قال و روى أبو عبيدة الباجى عن الحسن هذا الحديث قوله و لم يذكر عن أبى هريرة عن النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم و قال المنذرى بعد نقل قول الترمذى الحسن لم يسمع من أبى هريرة و رواه البزار و البيهقى بنحوه فى كتاب الزهد له عن مكحول عن واثلة لكن بقية اسناده فيه ضعف ذكره ميرك و فيه ان حديث الحسن اعتضد بحديث مكحول فترقى عن درجة الضعف مع انه معتبر فى فضائل الاعمال اجماعا ★(و عنه) أى عن أبى هريرة (قال قال رسول‌الله صلى‌الله تعالى‌عليه‌وسلم ان الله تعالى يقول ابن آدم) خص بالنداء لانه عمدة العابدين و أضيف الى آدم اشعارا بانه يتبعه فى مرتبة التائبين (تفرغ لعبادتى) أى بالغ فى فراغ قلبك لعبادة ربك (أملأ صدرك غنى) أى أحسن قلبك علوما و معارف تورث الغنى عن غير المولى (و أسد فقرك) أى و أسد باب حاجتك الى الناس و هو بفتح الدال المشددة فى النسخ المصححة لعطفه على المجزوم من جواب الامر و فى نسخة بضمها لمتابعة عينها و قد جوز فى لم يمد الحركات الثلاث مع الادغام (و ان لا تفعل) أى ما أمرتك من الاعراض عن الدنيا و الاقبال على عبادة المولى النافعة فى الدنيا و الاخرى (ملأت يدك) أى جوارحك كما يدل عليه رواية يديك و فى الجامع يديك بصيغة التثنية و أنما خصت اليد لمزاولة أكثر الافعال بها (شغلا) بضم فسكون و يجوز ضمهما و فتحهما و فتح فسكون على ما فى القاموس أى اشتغالا من غير منفعة (و لم أسد فقرك) أى لا من شغلك و لا من غيره و حاصله انك تتعب نفسك بكثرة التردد فى طلب النال و لا تنال الا ما قدرت لك من المال فى الآزال و تحرم عن غنى القلب لترك عبادة الرب (رواه أحمد و ابن ماجه) و كذا الترمذى و الحاكم على ما ذكر فى الجامع و فى التصحيح رواه الترمذى و ابن ماجة من طريق أبى خالد الوالبى و اسمه هربرة و يقال هرم عن أبى هريرة قال ابن عدى

✱ و عن جابر قال ذكر رجل عند رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم بعبادة و اجتهاد و ذكر آخر برعة فقال النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم لاتعدل بالرعة یعنی الورع رواه الترمذی ✱ و عن عمرو ابن میمون الاودی قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم لرجل و هو یعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابک قبل هرمک

فی حدیث أبی خالد لین و قال الحافظ المنذری فی الترغیب رواه ابن ماجه و الترمذی و اللفظ له و قال حدیث حسن و ابن حبان فی صحیحه باختصار الا أنه قال یدیک شغلا و الحاکم و قال صحیح الاسناد و البیهقی فی کتاب الزهد قال میرك و له شاهد من حدیث معقل بن یسار قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم یقول ربکم یا ابن آدم تفرغ لعبادتی املأ قلبک غنی و املأ یدیک رزقا یا ابن آدم لاتباعد عنی املأ قلبک فقرا و املأ بدنک شغلا رواه الحاکم و قال صحیح الاسناد و روی ابن عساکر و الدیلمی فی مسند الفردوس عن ابن عباس مرفوعا خیر سلیمان بین المال و الملک و العلم فاختار العلم فأعطی الملک و المال لاختیاره العلم و روی البیهقی عن عمران بن حصین مرفوعا من انقطع الی الله عزوجل کفاه کل مؤنة و رزقه من حیث لایحتسب و من انقطع الی الدنیا وکله الله تعالی الیها و روی الدیلمی فی مسند الفردوس عن أبی هریرة و البیهقی عن علی مرفوعا أبی الله أن یرزق عبده المؤمن الا من حیث لایحتسب ✱(و عن جابر قال ذکر رجل عند رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم بعبادة و اجتهاد) أی فی طاعة مع قلة ورع عن معصیة و التنوین فیهما للتعظیم أو للتنکیر (و ذکر) أی عنده (آخر برعة) بکسر الراء علی وزن عدة أی بورع عن حرام مع قلة عبادة و المعنی انه طلب منه صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم بیان الافضل منهما (فقال النبی صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم لاتعدل) بصیغة الفاعل مجزوما و قیل بصیغة المفعول مرفوعا أی لاتزن و لاتقابل العبادة (بالرعة یعنی الورع) تفسیر من الراوی و المراد بالورع التقوی عن المحرمات فانه قد یفضی الی امتثال الواجبات من العبادات قال المظهر لاتعدل یجوز ان یکون نهی المخاطب المذکر مجزوم اللام یعنی لا تقابل شیأ بالرعة و هی بکسر الراء و تخفیف العین الورع فان الورع أفضل من کل خصلة و یجوز أن یکون خبرا منفیا بضم التاء و فتح الدال أی لاتقابل خصلة بالورع فانه أفضل الخصال قال الراغب الورع فی عرف الشرع عبارة عن ترك التسرع الی تناول اعراض الدنیا و ذلک ثلاثة أضرب واجب و هو الاحجام عن المحارم و ذلک للناس کافة و ندب و هو الوقوف عن الشبهات و ذلک للاوساط و فضیلة و هو الکف عن کثیر من المباحات و الاقتصار علی أقل الضرورات و ذلک للنبیین و الصدیقین و الشهداء و الصالحین رواه الترمذی قال الطیبی رحمه الله و قد الحق فی بعض نسخ المصابیح بعد قوله لاتعدل بالرعة قوله شیأ و لیس فی جامع الترمذی و أکثر نسخ المصابیح منه أثر قلت و فی الجامع ضبط لایعدل بصیغة المذکر المجهول علی ان الجار و المجرور نائب الفاعل و هو ظاهر جدا حیث لایحتاج الی تقدیر شئ مطلقا ✱(و عن عمرو بن میمون الاودی) بفتح فسکون فمهملة نسبة الی أود بن صعب ذکره السیوطی رحمه الله و قال المؤلف أدرك الجاهلیة و أسلم فی حیاة النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم و لم یلقه و هو معدود فی کبار التابعین من أهل الکوفة روی عن عمر ابن الخطاب و معاذ بن جبل و ابن مسعود (قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم لرجل و هو یعظه) حال (اغتنم) من الاغتنام وهو أخذ الغنیمة (خمسا) أی من الاحوال الموجودة فی الحال (قبل خمس)

و صحتك قبل سقمك و غناك قبل فقرك و فراغك قبل شغلك و حياتك قبل موتك رواه الترمذی مرسلا ★ و عن أبی هريرة عن النبی صلی‌الله‌عليه‌وسلم قال ما ينتظر أحدكم الاغنی مطغيا أو فقرا منسيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا

أی من العوارض المتوقعة فی الاستقبال (شبابك) أی زمان قوتك علی العبادة (قبل هرمك) بفتحتين أی قبل كبرك و ضعفك عن الطاعة (و صحتك) أی و لو فی هرمك (قبل سقمك) بفتحتين و بضم فسكون أی مرضك (و غناك) أی قدرتك علی العبادات المالية و الخيرات و المبرات الاخروية فی مطلق الاحوال و من أعم الاموال (قبل فقرك) أی فقدك اياه بالحياة أو الممات فان المال فی صدد الزوال (و فراغك قبل شغلك) سبق بيان مبناه ومعناه (و حياتك) و لو فی الكبر المقرون بالمرض و الفقر الممكن فيه الاتيان بذكرالله (قبل موتك) أی وقت اتيان أجلك و انقطاع عملك (رواه الترمذی مرسلا) قال الجزری رحمه الله فی التصحيح حديث عمرو ابن ميمون رواه النسائی هكذا مرسلا و عمرو بن ميمون تابعی كبير من المخضرمين أدرك الجاهلية و أسلم فی حياة النبی صلی‌الله‌تعالی‌عليه‌وسلم و لم يلقه قال ميرك و له شاهد مرفوع من حديث ابن عباس بهذا اللفظ أخرجه الحاكم و قال صحيح علی شرطهما قلت و فی الجامع بلفظ اغتنم خمسا قبل خمس حياتك قبل موتك و صحتك قبل سقمك و فراغك قبل شغلك و شبابك قبل هرمك و غناك قبل فقرك رواه الحاكم و البيهقی عن ابن عباس مرفوعا و رواه أحمد فی الزهد و أبو نعيم فی الحلية و البيهقی عن عمرو بن ميمون مرسلا ★ (و عن أبی هريرة عن النبی صلی‌الله تعالی‌عليه‌وسلم قال ما ينتظر أحدكم) خرج مخرج التوبيخ علی تقصير المكلفين فی أمر دينهم أی متی تعبدون ربكم فانكم ان لم تعبدوه مع قلة الشواغل و قوة البدن فكيف تعبدونه مع كثرة الشواغل و ضعف القوی لعل أحدكم ما ينتظر (الاغنی مطغيا) أی جاعلك طاغيا عاصيا مجاوزا للحد (أو فقرا منسيا) من باب الافعال و يجوز أن يكون من باب التفعيل و لكن الاول أولی لمشاكلة الاولی أی جاعلا صاحبه مدهوشا ينسيه الطاعة من الجوع و العری و التردد فی طلب القوت (أو مرضا مفسدا) أی للبدن لشدته أو للدين لاجل الكسل الحاصل به (أو هرما مفندا) بالتخفيف أی ميلغا صاحبه الی الفند و هو ضعف الرأی يقال أفنده اذا جعل رأيه ضعيفا و قال شارح يقال فند الرجل اذا كثر كلامه من الخرف و أفنده الكبر يعنی الذی لايدری ما يقول من غاية كبره اه و الاظهر ان التفنيد للنسبة الی الخرف و منه قوله تعالی حكاية عن يعقوب عليه‌الصلاة‌والسلام انی لاجد ريح يوسف لولا أن تفندون قال البيضاوی رحمه الله أی تنسبونی الی الفند و هو نقصان عقل يحدث من هرم و فی القاموس الفند بالتحريك الخرف و انكار العقل لهرم أو مرض و الخطأ فی القول و الرأی و الكذب كالافناد و فنده تفنيدا كذبه و عجزه و خطأ رأيه كافنده و لاتقل عجوز مفندة لانها لم تكن ذات رأی أبدا اه و كذا قال البيضاوی رحمه الله معللا بكون نقصان عقلها ذاتی أقول و لاشك ان نقصان عقلها اضافی و مع هذا لاينافی صحة اطلاقه عليها لنقصان عرضی هذا و فی النهاية الفند فی الاصل الكذب و أفند تكلم بالفند و فی الفائق قالوا للشيخ اذا هرم قد أفند لانه يتكلم بالمحرف من الكلام عن سنن الصحة فشبه بالكاذب فی تحريفه و الهرم المفند من اخوات قولهم نهاره صائم جعل الفند للهرم و هو للهرم و يقال أيضا أفنده الهرم و فی كتاب العين شيخ مفند يعنی منسوب الی الفند و لايقال امرأة مفندة لانها لاتكون فی شبيبتها ذات رأی فتفند فی كبريتها

أو موتا مجهزا أو الدجال فالدجال شر غائب ينتظر أو الساعة و الساعة أدهى و أمر رواه الترمذى و النسائى ★ و عنه ان رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم قال الا ان الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله و ما والاه و عالم أو متعلم

قال التوربشتى رحمه‌الله قوله مفند الرواية فيه بالتخفيف و من شدده فليس بمصيب (أو موتا مجهزا) بالتخفيف أى قاتلا بغتة من غير ان يقدر على توبة و وصية ففى النهاية المجهز هو السريع يقال أجهز على الجريح اذا أسرع قتله قال القاضى رحمه الله الموت المجهز المسرع يريد به الفجاءة و نحوها مما لم يكن بسبب مرض أو كبر سن كقتل و غرق و هدم (أو الدجال فالدجال) و فى نسخة و الدجال (شر غائب ينتظر) أى أسوأه (أو الساعة) أى القيامة (و الساعة أدهى) أى أشد الدواهى و أفظعها وأصعبها (و أمر) أى أكثر مرارة من جميع ما يكابده الانسان فى الدنيا من الشدائد لمن غفل عن أمرها و لم يعد لها قبل حلولها قال الطيبى رحمه الله تعالى الفاء فى قوله فالدجال تفسيرية لانه فسر ما أبهم مما سبق و الواو فى و الساعة نائبة مناب الفاء الملابسة للعطف قلت و الظاهر ان الواو للحال و الله تعالى أعلم و حاصل مجمل الحديث انه استبطاء لمن تفرغ لامر و هو لايغتنم الفرصة فيه فالمعنى ان الرجل فى الدنيا ينتظر أحدى الحالات المذكورة فالسعيد من انتهز الفرصة و اغتنم المكنة و اشتغل باداء مفترضه و مسنونه قبل حلول رمسه و هذه موعظة بليغة و تذكرة بالغة (رواه الترمذى و النسائى ★ وعنه) أى عن أبى هريرة (ان رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم قال ألا) للتنبيه (ان الدنيا ملعونة) أى مبعودة من الله لكونه مبعدة عن الله (ملعون ما فيها) أى مما يشغل عن الله (الا ذكر الله) بالرفع و فى نسخة بالنصب و هو استثناء منقطع (و ما والاه) أى أحبه الله من أعمال البر و أفعال القرب أو معناه ما والى ذكر الله أى قاربه من ذكر خير او تابعه من اتباع أمره و نهيه لان ذكره يوجب ذلك قال المظهر أى ما يحبه الله فى الدنيا و الموالاة المحبة بين اثنين و قد تكون من واحد و هو المراد هنا يعنى ملعون ما فى الدنيا الا ذكر الله و ما أحبه الله مما يجرى فى الدنيا و ما سواه ملعون و قال الاشرف هو من الموالاة و هى المتابعة و يجوز أن يراد بما يوالى ذكر الله تعالى طاعته و اتباع أمره و اجتناب نهيه (و عالم أو متعلم) أو بمعنى الواو أو للتنويع فيكون الواوان بمعنى أو قال الاشرف قوله و عالم أو متعلم فى أكثر النسخ مرفوع و اللغة العربية تقتضى أن يكون عطفا على ذكر الله فانه منصوب مستثنى من الموجب قال الطيبى رحمه الله هو فى جامع الترمذى هكذا و ما والاه و عالم أو متعلم بالرفع و كذا فى جامع الاصول الا ان بدل أو فيه الواو و فى سنن ابن ماجه أو عالما أو متعلما بالنصب مع أو مكررا و النصب فى القرائن الثلاث هوالظاهر و الرفع فيها على التأويل كانه قيل الدنيا مذمومة لايحمد ما فيها الا ذكرالله و عالم و متعلم قال فى مختصر الاحياء الدنيا أدنى المنزلتين و لذلك سميت دنيا و هى معبرة الى الآخرة و المهد هو الميل الاول و اللحد هو الميل الثانى و بينهما مسافة هى القنطرة و هى عبارة عن أعيان موجودة للانسان فيها حظ و له فى اصلاحها شغل و يعنى بالاعيان الارض و ما عليها من النبات و الحيوان و المعادن و يعنى بالحظ حبها فيندرج فيها جميع المهلكات الباطنة كالرياء و الحقد و غيرهما و نعنى بقولنا له فى اصلاحها شغل انه يصلحها بحظ له أو لغيره دنيوى أو أخروى فيندرج فيه الحرف و الصناعات و اذا عرفت حقيقة الدنيا فدنياك مالك فيه لذة فى العاجل و هى مذمومة

رواه الترمذی و ابن ماجه ★ و عن سهل بن سعد قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم لو کانت الدنیا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقی کافرا منها شربة

فلیست وسائل العبادات من الدنیا کاکل الخبز مثلا للتقوی علیها و الیه الاشارة بقوله الدنیا مزرعة الآخرة و بقوله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم الدنیا ملعونة و ملعون ما فیها الا ما کان لله منها و قال ابن عباس رضی‌الله‌تعالی‌عنهما أن الله تعالی جعل الدنیا ثلاثة أجزاء جزء للمؤمن و جزء للمنافق و جزء للکافر فالمؤمن یتزود و المنافق یتزین و الکافر یتمتع قال الطیبی رحمه الله و کان من حق الظاهر أن یکتفی بقوله و ما والاه لاحتوائه علی جمیع الخیرات و الفاضلات و مستحسنات الشرع ثم بینه فی المرتبة الثانیة بقوله و عالم تخصیصا بعد التعمیم دلالة علی فضله فعدل الی قوله و عالم ومتعلم تفخیما لشأنهما صریحا بخلاف ذلک الترکیب فان دلالته علیه بالالتزام ولیؤذن ان جمیع الناس سوی العالم والمتعلم همج ولینبه علی ان المعنی بالعالم والمتعلم العلماء بالله الجامعون بین العلم والعمل فیخرج منه الجهلاء والعالم الذی لم یعمل بعلمه و من تعلم علم الفضول و ما لایتعلق بالدین و فی الحدیث ان ذکر الله رأس کل عبادة و رأس کل سعادة بل هو کالحیاة للابدان والروح للانسان و هل للانسان عن الحیاة غنی و هل له عن الروح معدل و ان شئت قلت به بقاء الدنیا و قیام السموات و الارض روینا عن مسلم قال صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم لاتقوم الساعة علی أحد یقول الله الله فالحدیث اذا من بدائع الحکم و جوامع الکلم التی خص بها هذا النبی المکرم صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم لانه دل بالمنطوق علی جمیع الاخلاق الحمیدة و بالمفهوم علی رذائلها (رواه الترمذی) أی وقال حسن (و ابن ماجه) و کذا البیهقی و فی الجامع نسب الیهما بدون لفظ الا و بالنصب و لفظ أو فی قوله عالما أو متعلما وهذا فی باب الهمزة و أما فی باب الدال فقال الدنیا ملعونة ملعون ما فیها الا ما کان منها لله عزوجل رواه أبو نعیم فی الحلیة عن جابر و یضا الدنیا ملعونة ملعون ما فیها الا ذکر الله و ما والاه وعالما أو متعلما رواه ابن ماجه عن أبی هریرة والطبرانی فی الاوسط عن أبی سعید وأیضا الدنیا ملعونة ملعون مافیها الا أمرا بمعروف أو نهیا عن منکر او ذکرالله رواه البزار عن أبی‌مسعود و أیضا الدنیا ملعونة ملعون ما فیها الا ما ابتغی به وجه الله عزوجل رواه الطبرانی عن أبی الدرداء ★ (و عن سهل بن سعد) أی الساعدی الانصاری صحابیان جلیلان (قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی علیه‌وسلم لو کانت الدنیا تعدل) بفتح التاء و کسر الدال أی تزن و تساوی (عند الله جناح بعوضة) أی ریشة ناموسة و هو مثل للقلة و الحقارة و المعنی انه لو کان لها أدنی قدر (ما سقی کافرا منها) أی من میاه الدنیا (شربة) ماء أی یمنع الکافر منها أدنی تمتع فان الکافر عدو الله و العدو لایعطی شیأ مما له قدر عند المعطی فمن حقارتها عنده لایعطیها لاولیائه کما أشار الیه حدیث ان الله یحمی عبده المؤمن عن الدنیا کما یحمی أحدکم المریض عن الماء و حدیث مازویت الدنیا عن أحد الا کانت خیرة له و من کلام الصوفیة ان من العصمة أن لایقدر و فی دعائه صلی الله‌تعالی‌علیه‌وسلم الجامع المانع القائم فی مقام الرضا القانع بما جری علیه من القضاء اللهم مارزقتنی مما أحب فاجعله قوة لی فیما تحب اللهم و ما زویت عنی مما أحب فاجعله فراغا لی فیما تحب و من دناءتها لدیه أن یکثرها علی الکفار و الفجار بل قال تعالی و لولا أن یکون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن یکفر بالرحمن لبیوتهم سقفا من فضة الآیة و قال صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم لعمر أما ترضی أن یکون لهم الدنیا و لنا الآخرة قال تعالی و ما عند الله خیر للابرار و رزق ربک خیر و أبقی

رواه أحمد والترمذى وابن ماجه ★ وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتتخذوا الضيعة فترغبوا فى الدنيا رواه الترمذى و البيهقى فى شعب الايمان ★ و عن أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب دنياه أضر بآخرته و من أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى رواه أحمد و البيهقى فى شعب الايمان ★ و عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعن عبد الدينار و لعن عبد الدرهم رواه الترمذى ★ و عن كعب بن مالك عن أبيه

(رواه أحمد و الترمذى و ابن ماجه) و كذا الضياء و قال الترمذى حديث صحيح ★ (و عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتتخذوا الضيعة) وهى البستان و القرية والمزرعة و فى النهاية الضيعة فى الاصل المرة من الضياع و ضيعة الرجل ما يكون منه معاشه كالضيعة و التجارة و الزراعة و غير ذلك (فترغبوا فى الدنيا) أى فتميلوا اليها عن الاخرى و المراد النهى عن الاشتغال بها و بامثالها مما يكون مانعا عن القيام بعبادة المولى و عن التوجه كما ينبغى الى امور العقبى و قال الطيبى رحمه الله المعنى لاتتوغلوا فى اتخاذ الضيعة فتلهوا بها عن ذكر الله قال تعالى رجال لاتلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله الآية (رواه الترمذى و البيهقى فى شعب الايمان) و كذا أحمد و الحاكم ★ (و عن أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أحب دنياه) أى حبا يغلب على حب مولاه (أضر بآخرته) الباء للتعدية و كذا فى القرينة الآتية أى نقص درجته فى الآخرة لانه يشغل ظاهره وباطنه بالدنيا فلايكون له فراغ لامر الاخرى و لطاعة المولى (و من أحب آخرته أضر بدنياه) أى لعدم توجه فكره و خاطره لامرها لاشتغاله بأمر الآخرة و مهمها (فآثروا) تفريع على ما قبله أو جواب شرط مقدر فكانه قال اذا عرفتم انهما ضدان لايجتمعان و لذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم أجوعكم فى الدنيا أشبعكم فى العقبى و رب كاسية فى الدنيا عارية فى الاخرى و قال تعالى فى حق الساعة خافضة رافعة فآثروا بالمد أى فاختاروا (ما يبقى على ما يفنى) فان العاقل يختار الخزف الباقى على الذهب الفانى فكيف و الامر بالعكس و لذا قال الغزالى رحمه الله أقل العلم بل أقل الايمان بل أقل العقل أن يعرف صاحبه ان الدنيا فانية و ان الاخرى باقية و نتيجة هذا العلم أن يعرض عن الفانى و يقبل على الباقى و علامة الاقبال على العقبى و الاعراض عن الدنيا الاستعداد للموت قبل وقوع الميعاد و ظهور المعاد قال الطيبى رحمه الله أى هما ككفتى ميزان فاذا رجحت أحدى الكفتين خفت الاخرى و بالعكس و ذلك أن محبة الدنيا سبب لاشتغاله بها و الانهماك فيها و ذلك للاشتغال عن الآخرة فيخلو عن الذكر و الفكر و الطاعة فيفوت الفوز بدرجاتها و ثوابها و هو عين المضرة سوى ما يقاسيه من الخوف و الحزن و الغم و الهم و التعب فى دفع الحساد و تجشم المصاعب فى حفظ الاموال و كسبها فى البلاد (رواه أحمد) و رواته ثقات (و البيهقى فى شعب الايمان) و كذا الحاكم فى مستدركه و روى الخطيب فى الجامع عن أنس مرفوعا خيركم من لم يترك آخرته لدنياه و لا دنياه لآخرته و لم يكن كلا على الناس ★ (و عن أبى هريرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لعن عبدالدينار و لعن عبدالدرهم) كذا بالعطف فى الاصول المعتمدة و النسخ المصححة و وقع فى الجامع بغير الواو العاطفة و الله تعالى أعلم و نظيره من حديث تعس عبد الدينار قد تقدم (رواه الترمذى ★ و عن كعب بن مالك) انصارى خزرجى شهد العقبة الثانية (عن أبيه) هكذا فى النسخ الحاضرة جميعها وهو سهو قلم وخطأ قدم ولذا قال ميرك صوابه عن ابن كعب بن مالك عن أبيه

قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم ما ذئبان جائعان أرسلا فی غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال و الشرف لدينه رواه الترمذی و الدارمی ★ و عن خباب

أو عن كعب بن مالک بدون عن أبیه و قال السید جمال الدين هكذا وقع فی أكثر نسخ المشكاة التی رأيناها و كذلک وجدناه فی غير واحد من نسخ المصابيح و هو سهو و الظاهر انه كان واقعا من كتاب المصابيح و وقع من صاحب المشكاة تقليدا و صوابه عن ابن كعب بن مالک عن أبيه كما فی أصل الترمذی و الابن المذكور هو عبد الله كما هو مصرح فی جامع الأصول (قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم ما) نافية (ذئبان) بهمزة ساكنة و يبدل (جائعان) أتی به للمبالغة (أرسلا) أی خليا و تركا (فی غنم) أی فی قطيعة غنم (بأفسد) الباء زائدة أی أكثر افسادا (لها) أی لتلک الغنم و التأنيث باعتبار الجنس أو القطعة (من حرص المرء) المشبه بالذئبين لتعلقه بالشيئين ظاهرا و باطنا و هما قوله (على المال) أی الكثير (و الشرف) أی الجاه الوسيع و قوله (لدينه) متعلق بأفسد و المعنی ان حرص المرء عليهما أكثر فسادا لدينه المشبه بالغنم لضعفه بجنب حرصه من افساد الذئبين للغنم قال الطيبی رحمه الله تعالی ما بمعنی ليس وذئبان اسمها و جائعان صفة له و أرسلا فی غنم الجملة فی محل الرفع علی انها صفة بعد صفة و قوله بأفسد خبر لما والباء زائدة وهو أفعل تفضيل أی باشد افسادا والضمير فی لها للغنم و اعتبر فيها الجنسية فلذا أنث و قوله من حرص المرء هو المفضل عليه لاسم التفضيل وقوله على المال و الشرف يتعلق بالحرص و المراد به الجاه و قوله لدينه اللام فيه بيان كما فی قوله تعالی لمن أراد أن يتم الرضاعة كانه قيل بأفسد لای شیٔ قيل لدينه و معناه ليس ذئبان جائعان أرسلا فی جماعة من جنس الغنم باشد افسادا لتلک الغنم من حرص المرء علی المال و الجاه فان افساده لدين المرء أشد من افساد الذئبين الجائعين لجماعة من الغنم اذا أرسلا فيها أما المال فافساده انه نوع من القدرة يحرك داعية الشهوات و يجر الی التنعم فی المباحات فيصير التنعم مألوفا و ربما يشتد أنسه بالمال و يعجز عن كسب الحلال فيتحم فی الشبهات مع انها ملهية عن ذكر الله تعالی و هذه لاينفک عنها أحد و أما الجاه فكفی به افسادا ان المال يبذل للجاه و لايبذل الجاه للمال و هو الشرک الخفی فيخوض فی المراآة و المداهنة و النفاق وسائر الاخلاق الذميمة فهو أفسد وأفسد اه وقد قالت السادة الصوفية رحمهم الله ان آخر ما يخرج من رأس الصديقين محبة الجاه فان الجاه و لو كان فی الامور العلمية و العملية والمشيخة والحالات الكشفية فمن حيث النظر الی المخلوق و الغفلة عن الغيرة الربوبية أو الرؤية الاثنينية بعد ظهور أنوار الاحدية يحجب السالک عن الخلوة فی الجلوة بوصف البقاء بالله والفناء عماسواه هذا وقد روی صاحب الكشاف فی ربيع الابرار عن ابن مسعود رضی‌الله عنه يكون الرجل مرائيا فی حياته و بعد موته قيل كيف ذاک قال يحب أن يكثر الناس فی جنازته (رواه الترمذی و الدارمی) لعل لفظ الحديث للترمذی و الا فحق الترتيب أن يقدم الدارمی فانه روی عنه مسلم و أبوداود و الترمذی و غيرهم هذا و فی الجامع رواه أحمد و الترمذی عن كعب ابن مالک من غير ذكر عن أبيه ★ (و عن خباب) بفتح الخاء المعجمة و تشديد الموحدة الاولی و هو ابن الارت بفتحتين و تشديد الفوقية يكنی أبا عبد الله التميمی لحقه سبی فی الجاهلية فاشترته امرأة من خزاعة و أعتقته أسلم قبل دخول النبی صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم دار الارقم و هو ممن عذب فی الله علی اسلامه فصبر نزل الكوفة و مات بها سنة سبع و ثلاثين وله ثلاث وسبعون سنة

عن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ما أنفق مؤمن من نفقة الا أجر فيها الا نفقته فى هذا التراب رواه الترمذى و ابن ماجه ★ و عن أنس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم النفقة كلها فى سبيل الله الا البناء فلاخير فيه رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب ★ و عنه أن رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم خرج يوما و نحن معه فرأى قبة مشرفة فقال ما هذه قال أصحابه هذه لفلان رجل من الانصار فسكت و حملها فى نفسه حتى لما جاء صاحبها فسلم عليه فى الناس فأعرض عنه صنع ذلک مرارا حتى عرف الرجل الغضب فيه و الاعراض عنه فشكا ذلک الى أصحابه و قال و الله انى لانكر رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم

روى عنه جماعة (عن رسول‌الله صلى‌الله تعالى عليه‌وسلم قال ما أنفق مؤمن من نفقة الا أجر) بصيغة المجهول أى أثيب (فيها) أى فى تلک النفقة أو انفاقها (الا نفقته) بالنصب على الاستثناء من الموجب لان النفى عاد الى الايجاب بالاستثناء الاول فتأمل (فى هذا التراب) أى البناء فوق الحاجة و هذا للتحقير و قيل التراب كناية عن البدن و ما يحصل له من اللذة الزائدة على قدر الضرورة الدينية و الدنيوية قال الطيبى رحمه الله نفقته منصوبة على الاستثناء من الكلام الموجب اذ المستثنى منه مستثنى من كلام منفى فيكون موجبا (رواه الترمذى و ابن ماجه ★ و عن أنس قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم النفقة كلها فى سبيل الله) أى ثابت فى طريق رضاه (الا البناء) اللام للعهد أى الا البناء الزائد على مقدار الحاجة (فلاخير فيه) لوقوع الاسراف و ان الله لايحب المسرفين و أما النفقة فلايتصور فيها السرف لانها من باب الاطعام و الانعام و كل منهما خير سواء وقع لمستحق أو غيره من الانام و الفاء فى قوله فلاخير فيه تفريعية و هى ثابتة فى جميع النسخ الحاضرة وكانه وقع فى أصل الطيبى رحمه الله بالواو حيث قال فى شرحه قوله و لاخير فيه حال مؤكدة من الجملة (رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب ★ وعنه) أى عن أنس (ان رسول‌الله صلى‌الله تعالى عليه‌وسلم خرج يوما) أى وقتا (و نحن معه) جملة حالية (فرأى قبة مشرفة) أى بناء عاليا (فقال ما هذا) استفهام انكار أى ما هذه العمارة المنكرة و من بانيها (قال أصحابه هذه لفلان رجل) بالجر و فى نسخة بالرفع (من الانصار فسكت و حملها) أى أضمر تلک الفعلة فى نفسه غضبا على فاعلها فى فعلها ففى أساس البلاغة حملت الحقد عليه اذا أضمرته قال الشاعر

و لا أحمل الحقد القديم عليهم ★ و ليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

(حتى لما جاء صاحبها فسلم) أى صاحبها (عليه) أى على النبى عليه الصلاة والسلام (فى الناس) أى فى محضر منهم أو فيما بينهم (فأعرض عنه) أى فلم يرد عليه السلام أو رد و أعرض عن الالتفات كما هو دأبه من الملاطفة لديه صلى‌الله تعالى عليه‌وسلم تأديبا له و تنبيها لغيره (صنع ذلک مرارا) لايبعد أن يكون جواب لما و يحتمل أن يكون مدخول حتى و لما الحينية ظرف معترض بين العامل و المعمول مسامحة و كان الطيبى رحمه الله جعل قوله صنع استئناف بيان حيث قال قوله فأعرض يجوز أن يكون جواب لما مع الفاء و هو قليل و يجوز ان يقدر جواب لما أى كرهه فأعرض عنه و قوله (حتى عرف الرجل الغضب فيه) أى عرف أن الغضب كان لاجله (و الاعراض عنه) أى بسببه (فشكا ذلک) أى ما رآه من أثر الغضب و الاعراض (الى أصحابه) أى أصحابه الخلص أو الى أصحاب نبيه صلى‌الله تعالى عليه‌وسلم (و قال) تفسير لما قبله (و الله انى لانكر رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم) أى ارى منه ما لم أعهده من الغضب و الكراهة و لا أعرف له

قالوا خرج فرأى قبتك فرجع الرجل الى قبته فهدمها حتى سواها بالارض فخرج رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم ذات يوم فلم يرها قال ما فعلت القبة قالوا شكا الينا صاحبها اعراضك فأخبرناه فهدمها فقال أما ان كل بناء وبال على صاحبه الا مالا الا مالا يعنى الا مالابد منه رواه أبوداود ★ و عن أبى هاشم بن عتبة قال عهد الى رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال انما يكفيك من جمع المال خادم و مركب فى سبيل الله رواه أحمد و الترمذى و النسائى و ابن ماجه و فى بعض نسخ المصابيح عن أبى هاشم بن عتبد بالدال بدل التاء و هو تصحيف ★ و عن عثمان ان النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال ليس لابن آدم حق

سببا و فى نسخة الى رسول‌الله و لايظهر لها وجه (قالوا خرج فرأى قبتك فرجع الرجل الى قبته فهدمها حتى سواها بالارض) اختيارا لرضا الله تعالى على نفسه و ما تهواه (فخرج رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم ذات يوم فلم يرها) أى القبة (قال) استئناف بيان (ما فعلت القبة) بصيغة الفاعل و فى نسخة على بناء المجهول (قالوا شكا الينا صاحبها اعراضك) أى سببه (فأخبرناه) أى بأنه لاجل بنائك القبة (فهدمها فقال أما) بتخفيف الميم للتنبيه (ان كل بناء) بكسر الموحدة و هو اما مصدر او أريد به المبنى (وبال على صاحبه الا مالا الا مالا) كرره للتأكيد (يعنى الا مالابد منه) أى لافراق عنه قيل معنى الحديث ان كل بناء بناه صاحبه فهو وبال أى عذاب فى الآخرة و الوبال فى الاصل الثقل و المكروه أراد ما بناه للتفاخر و التنعم فوق الحاجة لا أبنية الخير من المساجد و المدارس و الرباطات فانها من الآخرة و كذا مالابد منه للرجل من القوت و الملبس و المسكن (رواه أبوداود) روى البيهقى عن أنس مرفوعا كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة الا مسجدا و روى الطبرانى عن واثلة مرفوعا كل بنيان وبال على صاحبه الا ما كان هكذا و أشار بكفه و كل علم وبال على صاحبه يوم القيامة الا ما عمل به ★(و عن أبى هاشم بن عتبة) بضم عين فسكون فوقية فموحدة بعدها هاء قال المؤلف هو شيبة بن عتبة بن ربيعة القرشى و هو خال معاوية ابن أبى سفيان أسلم يوم الفتح و سكن الشام و توفى فى خلافة عثمان و كان فاضلا صالحا رضى‌الله تعالى‌عنه روى عنه أبو هريرة و غيره (قال عهد الى رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم) أى أوصانى (قال) بدل من عهد أو تفسير و بيان للعهد و اختار الطيبى رحمه الله الاول حيث قال بدل منه بدل الفعل من الفعل كما فى قوله

متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا ★ تجد حطبا جزلا و نارا تأججا

أبدل تلمم بناء من قوله تأتنا (انما يكفيك من جمع المال) أى للوسيلة بحسن المآل (خادم) أى فى السفر لضرورة الحاجة اليه (و مركب) أى مركوب يسار عليه (فى سبيل الله) أى فى الجهاد أو الحج أو طلب العلم و المقصود منه القناعة و الاكتفاء بقدر الكفاية مما يصح أن يكون زادا للآخرة كما رواه الطبرانى و البيهقى عن خباب انما يكفى أحدكم ما كان فى الدنيا مثل زاد الراكب (رواه أحمد و الترمذى و النسائى و ابن ماجه) و فى الجامع من قوله انما يكفيه الخ نسبة الى الثلاثة الاخيرة عن أبى هاشم بن عتبة و للحديث تتمة قصة تأتى فى الفصل الثالث (و فى بعض نسخ المصابيح عن أبى هاشم بن عتبد) بضم فسكون فوقية ففتح موحدة (بالدال) أى المهملة (بدل التاء) أى الفوقية الواقعة فى آخر لفظ عتبة (و هو تصحيف) اذ لم يوجد فى الاسماء مع مخالفته لما سبق من الضبط الواقع فى الاصول و هنا تحريف فى بعض النسخ و بعض الحواشى أيضا فاحذر

فی سوی هذه الخصال بیت یسکنه و ثوب یواری به عورته و جلف الخبز و الماء رواه الترمذی
★ وعن سهل بن سعد قال جاء رجل فقال یا رسول‌الله دلنی علی عمل اذا أنا عملته أحبنی الله و أحبنی الناس قال ازهد فی الدنیا یحبک الله و ازهد فیما عند الناس یحبک الناس

فان الصواب ما تحرر ★(وعن عثمان رضی‌الله‌عنه ان النبی صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم قال لیس لابن آدم حق) أی حاجة (فی سوی هذه الخصال) قال الطیبی رحمه الله موصوف سوی محذوف أی شئ سوی هذه اه و فی نسخة موافقة لما فی الجامع فیما سوی هذه الخصال و المراد بها ضروریات بدنه المعین علی دینه (بیت) بالجر و روی بالرفع و کذا فیما بعده من الخصال المبینة (یسکنه) أی دفعا للحر و البرد (و ثوب یواری) أی یستر (به عورته) أی عن أعین الناس أو حال الصلاة لکونه شرطا فیها (و جلف الخبز) بکسر جیم و سکون لام و یفتح ففی القاموس الجلف بالکسر الغلیظ الیابس من الخبز غیر المأدوم أو حرف الخبز و الظرف و الوعاء و قال شارح الجلف ظرفهما من جراب و رکوة و أراد المظروف و الاظهر انه أراد الظرف و المظروف و اکتفی بذکر أحدهما عن الآخر لتلازمهما فی الحاجة (و الماء) بالجر عطفا علی الجلف أو الخبز و هو الظاهر المفهوم من کلام الشراح و فی بعض النسخ بالرفع بناء علی أنه أحدی الخصال قال شارح أراد بالحق ما وجب له من الله من غیر تبعة فی الآخرة و سؤال عنه و اذا اکتفی بذلک من الحلال لم یسأل عنه لانه من الحقوق التی لابد للنفس منها و أما ما سواه من الحظوظ یسأل عنه و یطالب بشکره و قال القاضی رحمه الله أراد بالحق ما یستحقه الانسان لافتقاره الیه و توقف تعیشه علیه و ما هو المقصود الحقیقی من المال و قیل أراد به ما لم یکن له تبعة حساب اذا کان مکتسبا من وجه حلال و فی النهایة الجلف الخبز وحده لا ادم معه و قیل هو الخبز الغلیظ الیابس قال و یروی بفتح اللام جمع جلفة و هی الکسرة من الخبز و فی الغریبین قال شمر عن ابن الاعرابی الجلف الظرف مثل الخرج و الجوالق قال القاضی رحمه الله ذکر الظرف و أراد به المظروف أی کسرة خبز و شربة ماء اه و المقصود غایة القناعة و نهایة الکفایة کما نقل عن ابن أدهم — وما هی الا جوعة قد سددتها ★ و کل طعام بین جنبی (١) وأحد و للشافعی رحمه الله تعالی

أیا نفس یکفیک طول الحیاة ★ اذا ما قنعت و رب الفلق رغیف بفوذنج یابس
و ما روی و لبس خلق ★ و خفش تکفنک جدرانه ★ فما ذا العنا و ما ذاالقلق

(رواه الترمذی) و کذا الحاکم فی مستدرکه ★(وعن سهل بن سعد قال جاء رجل فقال یارسول‌الله دلنی علی عمل) أی جامع نافع فی باب المحبة (اذا أنا) للتأکید (عملته أحبنی الله و أحبنی الناس) بفتح یاء المتکلم و یسکن (قال ازهد فی الدنیا) أی بترک حبها و الاعراض عن زوائدها و الاقبال علی الآخرة و عوائدها (یحبک الله) أی لعدم محبتک عدو الله تعالی و هو بفتح الموحدة المشددة للجزم علی جواب الامر و قیل مرفوع علی الاستئناف (و ازهد فیما عند الناس) أی من المال و الجاه (یحبک الناس) لترکک محبوبهم و عدم المزاحمة علی مطلوبهم و أنشد بعضهم

و ما الزهد الا فی انقطاع الخلائق ★ و ما الحق الا فی وجود الحقائق
و ما الحب الا حب من کان قلبه ★ عن الخلق مشغولا برب الخلائق

وقیل الزهد عبارة عن عزوب النفس عن الدنیا مع القدرة علیها لاجل الآخرة خوفا من النار أوطمعا فی الجنة

(١) بتشدید الیاء —

رواه الترمذی و ابن ماجه ★ و عن ابن مسعود ان رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم نام علی حصیر فقام و قد أثر فی جسده فقال ابن مسعود یا رسول‌الله لو أمرتنا أن نبسط لک و نعمل

أو ترفعا عن‌الالتفات الی ما سوی الحق ولایکون ذلک الا بعد شرح الصدر بنور الیقین ولایتصور الزهد ممن‌لیس له مال و لا جاه و قیل لابن المبارك رحمه الله یا زاهد قال الزاهد عمر بن عبدالعزیز اذ جاءته الدنیا راغمة فترکها و أما أنا ففیم زهدت قلت هذا بیان کمال الزهد و الا فاصل الزهد هو عدم المیل الی الشیٔ و هو فی الحقیقة لایحصل الا بجذبة الهیة تصرف السالک عن الامور الفانیة و تشغله بالاحوال الباقیة و غایته ان النفس مدعیة للزهد و لایظهر صدقها من کذبها الا عند القدرة علی الدنیا و وجودها و أما عند فقدها فالامر دائر بین أحد الاحتمالین و الله تعالی أعلم و ثمرته القناعة من الدنیا بقدر الضرورة من زاد الطریق و هو مطعم یدفع الجوع و ملبس یستر عورته و مسکن یصونه عن الحر و البرد و أثاث یحتاج الیه کما سبق فی الحدیث المتقدم و فی المنازل ما حاصله ان الزهد اسقاط الرغبة فی الشیٔ عنه بالکلفة و هو علی ثلاث مراتب الزهد فی الشبهة بالحذر عن معتبة الحق علیه ثم الزهد فیما زاد علی البلاغ من القوت باغتنام التفرغ الی عمارة الوقت بالاشتغال بالمراقبة ثم الزهد فی الزهد باستحقار ما زهدت فیه بالنسبة الی عظمة الرب واستواء الزهد و عدمه عنده و الذهاب عند اکتساب أجر بترکها ناظرا بعین الحقیقة الی وحدانیة الفاعل الحق فیشاهد تصرف الله فی العطاء و المنع و الاخذ و الترك قال الطیبی رحمه الله و فیه دلیل علی ان الزهد أعلی المقامات و أفضلها لانه جعله سببا لمحبة الله تعالی و ان محب الدنیا متعرض لبغض الله سبحانه (رواه الترمذی و ابن ماجه) قال میرك أظن ان ذکر الترمذی وقع سهوا من نساخ الکتاب أو من صاحبه فان الحافظ المنذری والامام النووی و الشیخ الجزری رحمهم الله تعالی قالوا کلهم رواه ابن ماجه فقط فتأمل قلت ذکر النووی فی أربعینه انه حدیث حسن رواه ابن ماجه و غیره اه لکن الترمذی غیر مذکور فی الاصول و یؤیده انه ذکر فی الجامع من قوله أزهد فی الدنیا الخ و قال رواه ابن ماجه و الطبرانی و الحاکم و البیهقی عن سهل بن سعد نعم فی حدیث رواه الترمذی و ابن ماجه عن أبی‌ذر مرفوعا الزهادة فی الدنیا لیست بتحریم الحلال و لا اضاعة المال و لکن الزهادة فی الدنیا أن لاتکون بما فی یدیک أوثق منک بما فی ید الله تعالی و أن تکون فی ثواب المصیبة اذا أنت أصبت بها أرغب منک فیها لوأنها أبقیت لک و فی حدیث رواه أحمد فی الزهد و البیهقی عن طوس مرسلا الزهد فی الدنیا یریح القلب و البدن و الرغبة فی الدنیا تطیل الهم و الحزن و رواه القضاعی عن ابن عمرو مرفوعا و لفظه یکثر بدل یطیل و رواه الطبرانی فی الاوسط و ابن عدی و البیهقی عن أبی هریرة مرفوعا و البیهقی عن عمر موقوفا تشعب القلب و البدن و روی البیهقی عن الضحاك مرسلا أزهد الناس من لم‌ینس القبر و البلی و ترك أفضل زینة الدنیا و آثر ما یبقی علی ما یفنی و لم‌یعد غدا من أیامه و عد نفسه من الموتی وعن ابن عمر مرفوعا صلاح أول‌هذه الامة بالزهادة و الیقین وهلاك آخرها بالبخل و الامل رواه الطبرانی ★ (و عن ابن مسعود أن رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم نام علی حصیر فقام) أی عن النوم (و قد أثر) أی أثر الحصیر (فی جسده) أی غایة التأثیر (فقال ابن مسعود لو أمرتنا أن نبسط) بضم السین یحتمل أن تکون لو للتمنی و أن تکون للشرطیة و التقدیر لو أذنت لنا ان نبسط لک فراشا لینا (و نعمل) أی لک ثوبا حسنا أی لکان أحسن

فقال ما لی و للدنيا و ما أنا و الدنيا الا کراکب استظل تحت شجرة ثم راح و ترکها رواه أحمد و الترمذی و ابن ماجه ★ و عن أبی أمامة عن النبی صلی‌الله‌علیه‌وسلم قال أغبط اوليائی عندی لمؤمن خفیف الحاذ ذوحظ من الصلاة أحسن عبادة ربه و أطاعه فی السر و کان غامضا فی الناس لايشار اليه بالاصابع و کان رزقه کفافا فصبر علی ذلک

من اضطجاعک علی هذا الحصير الخشن (فقال ما لی و للدنيا و ما أنا و الدنيا) ما نافية أی ليس لی ألفة و محبة مع الدنيا و لا للدنيا ألفة و محبة معی حتی أرغب اليها و أنبسط عليها و أجمع مافيها و لذتها أو استفهامية أی ألفة و محبة لی مع الدنيا أو أی شئی لی مع الميل الی الدنيا أو ميلها الی فانی طالب الآخرة و هی ضرتها المضادة لها هذا. و قال الطيبی رحمه الله قوله و نعمل متعلقه محذوف فيقدر من جنس الکلام السابق و هو وجود التنعم و التلذذ بالاعراض الدنيوية أعم من أن يکون بساطا و من ثم طابقه قوله ما لی و للدنيا و قوله و ما أنا و الدنيا أی ليس حالی مع الدنيا (الا کراکب) أی الا کحال راکب (استظل تحت شجرة ثم راح و ترکها) و هو من التشبيه التمثيلی وهو التشبيه بسرعة الرحيل و قلة المکث و من ثم خص الراکب و اللام فی للدنيا مقحمة للتأکيد ان کان الواو بمعنی مع و-ان کان للعطف فالتقدير ما لی مع الدنيا و ما للدنيا معی (رواه أحمد و الترمذی و ابن ماجه) و کذا الحاکم و الضياء ★ (و عن أبی أمامة عن النبی صلی‌الله تعالی‌عليه‌وسلم قال‌أغبط أوليائی) أفعل تفضيل بنی‌للمفعول لان المغبوطبه حاله أی أحسنهم وأفضلهم مآلا (عندی) أی فی دينی و مذهبی (لمؤمن) اللام زائدة فی خبر المبتدأ للتأکيد أو هی للابتداء أو المبتدأ محذوف أی لهو مؤمن (خفيف الحاذ) بتخفيف الذال المعجمة ای خفيف الحال الذی يکون قليل المال وخفيف الظهر من العيال فيتمکن من السير فی طريق الخالق بين الخلائق و لايمنعه شئی من العلائق و العوائق و مجمل المعنی أحق أحبائی و انصاری عندی بان يغبط و يتمنی حاله مؤمن بهذه الصفة (ذو حظ من الصلاة) أی و مع هذا هو صاحب لذة و راحة من المناجاة مع الله و المراقبة و استغراق فی المشاهدة و منه قوله صلی‌الله‌تعالی عليه‌وسلم قرة عينی فی الصلاة و ارحنا بها يا بلال أی بوجودها وحصولها و ما أقرب الراحة من قرة العين و ماأبعدها مما قيل معناه أذن بالصلاة لنستريح بادائها من شغل القلب بها و قوله (أحسن عبادة ربه) تعميم بعد تخصيص ذکره الطيبی رحمه الله أو الاول أشارة الی الکمية والثانی عبارة عن‌الکيفية (وأطاعه فی السر) أی کما أطاعه فی العلانية فهو من باب الأکتفاء و التخصيص لما فيه من الاعتناء وجعله الطيبی عطف تفسير علی أحسن و تفسيرنا أحسن و يمکن أن يکون المعنی و أطاعه فی عبادته بالاخفاء و لايظهر طاعته فی الملأ الاعلی علی عادة الملامتية من الصوفية و يناسبه قوله (و کان غامضا) أی خاملا خافيا غير مشهور (فی الناس) أی فيما بينهم و فيه أشارة الی أنه لايخرج عنهم فان الخروج عنهم يوجب الشهرة بينهم و فيه أيماء الی أن المراد بالناس عمومهم فلايضره معرفة خصوصهم من الاولياء و الصلحاء ممن يصاحبهم کما يدل عليه قوله (لايشار اليه بالاصابع) أی علما و عملا و هو بيان و تقرير لمعنی الغموض (و کان رزقه کفافا) أی قدر کفايته بحيث يکفه و يمنعه عن الاحتياج الی الکافة (فصبر علی ذلک) أی علی الرزق الکفاف أو علی الخمول و الغموض أو علی ما ذکر دلالة علی ان ملاك الامر الصبر و به يتقوی علی الطاعة قال تعالی و استعينوا بالصبر و الصلاة و قال أولئک يجزون الغرفة بما صبروا و قال و جعلناهم أئمة يهدون

ثم نقد بيده فقال عجلت منيته قلت بواكيه قل تراثه رواه أحمد و الترمذى و ابن ماجه

بأمرنا لما صبروا (ثم نقد) بالنون و القاف و الدال المهملة المفتوحات (بيده) أى نقد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بيده بأن ضرب أحدى أنملتيه على الاخرى حتى سمع منه صوت و فى النهاية هو من نقدت الشئى بأصبعى أنقده واحدا بعد واحد نقد الدراهم و نقد الطائر الحب اذا لقطه واحدا بعد واحد و هو مثل النقر و يروى بالراء اه و هو كذا فى نسخة أى صوت بأصبعه و فى رواية و هى الظاهر من جهة المعنى جدا ثم نفض يده (فقال عجلت) بصيغة المجهول من باب التفعيل (منيته) أى موته (قلت بواكيه) جمع باكية و هى المرأة التى تبكى على الميت (قل تراثه) أى ميراثه و ماله المؤخر عنه بما يورث حمل على سبيل التعداد قال التوربشتى رحمه الله أريد بالنقد ههنا ضرب الانملة على الانملة أو ضربها كالمتقلل للشئى أى لم يلبث قليلا حتى قبضه الله تعالى يقلل مدة عمره و عدد بواكيه و مبلغ تراثه وقيل الضرب على هذه الهيئة يفعله المتعجب من الشئى أو من رأى ما يعجبه حسنه و ربما يفعل ذلك من يظهر قلة المبالاة بشئى أو يفعل طربا و فرحا بالشئى اه و المعنى من كان هذه صفته فهو يتعجب من حسن حاله و جمال مآله و قيل قوله عجلت منيته انه يسلم روحه سريعا لقلة تعلقه بالدنيا و غلبة شوقه الى المولى لحديث الموت تحفة المؤمن قال الاشرف رحمه الله و يمكن انه أراد به أنه قليل مؤن الممات كما كان قليل مؤن الحياة (رواه أحمد و الترمذى و ابن ماجه) و فى الجامع رواه أحمد و الترمذى و الحاكم و البيهقى عن أبى أمامة و لفظه أغبط الناس عندى مؤمن خفيف الحاذ ذوحظ من صلاة و كان رزقه كفافا فصبر عليه حتى يلقى الله و أحسن عبادة ربه و كان غامضا فى الناس عجلت منيته و قل تراثه و قلت بواكيه و روى الديلمى فى مسنده عن حذيفة خيركم فى المائتين كل خفيف الحاذ الذى لا أهل له و لا ولد قال شيخ مشايخنا السخاوى فى المقاصد الحسنة فى الاحاديث المشهورة على الالسنة علته داود ولذا قال الخليل ضعفه الحفاظ فيه و خطؤه اه فان صح فهو محمول على جواز الترهب ايام الفتن و فى معناه أحاديث كثيرة واهية منها ما رواه الحارث ابن أبى أسامة من حديث ابن مسعود مرفوعا سيأتى على الناس زمان تحل فيه العزبة و لا يسلم لذى دين دينه الا من فر بدينه من شاهق الى شاهق و من حجر الى حجر كالطائر بفراخه و كالثعلب بأشباله و أقام الصلاة و آتى الزكاة و اعتزل الناس الا من خير الحديث و منها ما رواه الديلمى من حديث زكريا بن يحيى الصوفى عن ابن حذيفة بن اليمان عن أبيه حذيفة مرفوعا خير نسائكم بعد ستين و مائة العواقر و خير أولادكم بعد أربع و خمسين البنات و فى الترمذى من طريق على ابن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة مرفوعا ان أغبط أوليائى الى ان قال فصبر على ذلك ثم نفض يده فقال عجلت منيته الحديث و قال عقبة على ضعيف و قد أخرجه أحمد و البيهقى فى الزهد و الحاكم فى الاطعمة من مستدركه و قال هذا اسناد للشاميين صحيح عندهم و لم يخرجاه اه و لم ينفرد به على بن يزيد فقد أخرجه ابن ماجه فى الزهد من سننه من غير طريقه من حديث صدقة ابن عبدالله عن ابراهيم بن قرة عن أيوب بن سليمان عن أبى أمامة و لفظه أغبط الناس عندى مؤمن خفيف الحاذ و ذكر نحوه و من شواهده ما للخطيب و غيره من حديث ابن مسعود رفعه اذا أحب الله العبد اقتناه لنفسه و لم يشغله بزوجة و لا ولد و للديلمى من حديث عبدالله بن عبدالوهاب رحمهم الله الخوارزمى عن داود بن غفال عن أنس رفعه يأتى على الناس زمان لان يربى أحدكم

★ و عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب و لكن اشبع يوما و أجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليک و ذكرتک و اذا شبعت حمدتک و شكرتک رواه أحمد و الترمذى ★ و عن عبيدالله بن محصن قال قال رسول‌الله صلى‌الله عليه‌وسلم من أصبح منكم آمنا فى سربه

جرو كلب خير له من ان يربى ولدا من صلبه ★(و عنه) اى عن أبى امامة (قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم عرض على ربى) أى الى عرضا حسيا أو معنويا و هو الاظهر و المعنى شاورنى و خيرنى بين الوسع فى الدنيا و اختيار البلغة لزاد العقبى من غير حساب و لاعتاب (ليجعل لى) أى ملكا لى أو مخصوصا لامتى على تقدير اقبالى عليها و التفاتى اليها و يصير لاجلى (بطحاء مكة) اى أرضها و.رما لها (ذهبا) أى بدل حجرها و مدرها و أصل البطحاء مسيل الماء و أراد هنا عرصة مكة و صحاريها فاضافته بيانية قال الطيبى قوله بطحاء مكة تنازع فيه عرض و ليجعل أى عرض على بطحاء مكة ليجعلها لى ذهبا (فقلت لا) اى لا أريد و لا أختار (يا رب و لكن أشبع يوما) اى اختار أو أريد ان أشبع وقتا اى فاشكر (و أجوع يوما) اى فاصبر كما فصله و بينه بقوله (فاذا جعت تضرعت اليک) أى بعرض الافتقار عليک (و ذكرتک) أى بسببه فان الفقر يورث الذكر كما أن الغنى يوجب الكفر (و اذا شبعت حمدتک) اى بما ألهمتنى من ثنائک (و شكرتک) على اشباعک و سائر نعمائک قال الطيبى رحمه الله جمع فى القرينتين بين الصبر و الشكر و هما صفتا المؤمن الكامل قال تعالى ان فى ذلک لآيات لكل صبار شكور الكشاف صبار على بلائه شكور لنعمائه و هما صفتا المؤمن المخلص فجعلهما كناية عنه أقول و تحقيقه على طريقة الصوفية السادة الصفية ان الصفتين المذكورتين و الخصلتين المسطورتين ناشئتان من تربية الله للسالک بين صفتى الجلال و الجمال اذ بهما تتم مرتبة الكمال و هو الرضا عن المولى بكل حال بخلاف حال المتحرفين و أفعال المتحيرين المذنبين حيث قال تعالى فان أعطوا منها رضوا و ان لم‌يعطوا منها اذا هم يسخطون و قال و من الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به و ان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا و الآخرة ذلک هو الخسر ان المبين (رواه أحمد و الترمذى ★ و عن عبيدالله بن محصن) بكسر الميم و فتح الصاد قال المؤلف فى فصل الصحابة انصارى خطمى يعد فى أهل المدينة و حديثه فيهم روى عنه ابنه سلمة قال ابن عبدالبر و من الناس من يرسل حديثه اه و هو يحتمل كونه صحابيا لكن ليس له سماع منه عليه الصلاة والسلام فحديثه من مراسيل الصحابة و هو حجة اتفاقا و يحتمل كونه تابعيا فمرسله معتبر عند الجمهور خلافا للشافعية و الله تعالى أعلم و الاول أظهر لاطلاقهم حديثه (قال قال رسول‌الله صلى‌الله تعالى عليه‌وسلم من أصبح منكم) اى أيها المؤمنون (آمنا) اى غير خائف من عدو أو من أسباب عذابه تعالى بالتوبة عن المعاصى و العصمة عن المناهى ولذا قيل ليس العيد لمن لبس الجديد انما العيد لمن أمن الوعيد (فى سربه) المشهور كسر السين أى فى نفسه و قيل السرب الجماعة فالمعنى فى أهله و عياله و قيل بفتح السين أى فى مسلكه و طريقه وقيل بفتحتين أى فى بيته كذا ذكره شارح و قال التوربشتى رحمه الله أبى بعضهم الا السرب بفتح السين و الراء أى فى بيته و لم‌يذكر فيه رواية و لو سلم له قوله ان يطلق السرب على كل بيت كان قوله هذا حريا بان يكون أقوى الا تاويل الا ان السرب يقال لبيت الذى هو فى الارض

معافى فى جسده عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب ✱ و عن المقدام بن معدى كرب قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطن بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث طعام و ثلث شراب و ثلث لنفسه

و فى القاموس السرب الطريق و بالكسر الطريق و البال و القلب و النفس و بالتحريك جحر الوحش و الحفير تحت الارض اه فيكون المراد من الحديث المبالغة فى حصول الامن و لو فى بيت تحت الارض ضيق كجحر الوحش أو التشبيه به فى خفائه و عدم ضيائه (معافى) اسم مفعول من باب المفاعلة أى صحيحا سالما من العيوب (فى جسده) أى بدنه ظاهرا و باطنا (عنده قوت يومه) أى كفاية قوته من وجه الحلال (فكانما حيزت) بصيغة المجهول من الحيازة و هى الجمع و الضم (له) و الضمير عائد لمن رابط للجملة أى جمعت له (الدنيا) أى بحذافيرها كما فى نسخة مصححة أى بتمامها و الحذافير الجوانب و قيل الاعالى واحدها حذفار أو حذفور و المعنى فكانما أعطى الدنيا بأسرها (رواه الترمذى و قال هذا حديث غريب) و فى الجامع رواه البخارى فى الادب المفرد و الترمذى و ابن ماجه من غير ذكر حذافيرها ✱(و عن المقدام بن معدى كرب قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول ما ملأ آدمى وعاء) أى ظرفا (شرا من بطن) صفة وعاء (بحسب ابن آدم) مبتدأ و الباء زائدة و قوله (أكلات) بضمتين خبره نحو قوله بحسبك درهم و الاكلة بالضم اللقمة و فى رواية لقيمات بالتصغير للاشارة الى التحقير مع الدلالة على التقليل بالتنكير (يقمن صلبه) أى ظهره لاقامة الطاعة و قيام المعيشة و اسناد الاقامة الى الاكلات مجازية سببية (فان كان لامحالة) بفتح الميم و يضم أى لابد من الزيادة (فثلث) بضمهما و يسكن اللام (طعام) مبتدأ و خبر أى ثلث منه للطعام و كذا قوله (و ثلث شراب) و اللام مقدرة فيهما بقرينة قوله (و ثلث لنفسه) بحركتين و المعنى فان كان لايكتفى بأدنى قوت ألبتة و لابد ان يملأ بطنه فليجعل ثلث بطنه للطعام و ثلثه للشراب و ليترك ثلثه خاليا بخروج النفس و لاينبغى أن يكون كطائفة القلندرية حيث يقولون بملء البطن من الطعام و الماء يحصل مكانة و لو فى المسام و النفس ان اشتهى خرج و الا فلا بعد تمام المرام فاولئك كالانعام بل هم أضل قال تعالى ذرهم يأكلوا و يتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون و سبق ان المؤمن يأكل فى معى واحد و الكافر يأكل فى سبعة امعاء و قال الطيبى رحمه الله أى الحق الواجب ان لايتجاوز عما يقام به صلبه ليتقوى به على طاعة الله فان أراد البتة التجاوز فلايتجاوز عن القسم المذكور جعل البطن أولا وعاء كالاوعية التى تتخذ ظروفا لحوائج البيت توهينا لشأنه ثم جعله شر الاوعية لانها استعملت فيما هى له و البطن خلق لانه يتقوم به الصلب بالطعام و امتلاؤه يفضى الى الفساد فى الدين و الدنيا فيكون شرا منها قال الشيخ أبو حامد فى الجوع عشر فوائد الاولى صفاء القلب و ايقاد القريحة و نفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة و يعمى القلب و يكثر البخار فى الدماغ كشبه الشكر حتى يحتوى على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجولان و ثانيتها رقة القلب و صفاؤه الذى به هيئ لادراك لذة المناجاة و التأثر بالذكر و ثالثتها الانكسار و الذل و زوال البطر و الاشر و الفرح الذى هو مبدأ الطغيان و لاتنكسر النفس لشئ و لاتذل كما تذل بالجوع فعنده تستكن لربها و تقف على عجزها و رابعتها انه لاينسى بلاء الله و عذابه

رواه الترمذی و ابن ماجه ★ و عن ابن عمر ان رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم سمع رجلا یتجشأ فقال اقصر من جشائک فان أطول الناس جوعا یوم القیامة أطولهم شبعا فی الدنیا رواه فی شرح السنة و روی الترمذی نحوه

و أهل البلاء فان الشبعان ینسی الجائعین و الجوع و خامستها و هی من کبار الفوائد کسر شهوات المعاصی کلها و الاستیلاء علی النفس الامارة بالسوء و تقلیلها یضعف کل شهوة و قوة و السعادة کلها فی أن یملک الرجل نفسه و الشقاوة فی أن تملکه نفسه و سادستها دفع النوم و دوام السهر فان من شبع شرب کثیرا و من کثر شربه کثر نومه و فی کثرة النوم ضیاع العمر و فوات التهجد و بلادة الطبع و قساوة القلب والعمر أنفس الجواهر وهو راس مال العبد فیه یتجر و النوم موت فتکثیره تنقیص من العمر وسابعتها تیسیر المواظبة علی العبادة فان‌الاکل یمنع من کثرة العبادات لانه یحتاج الی‌زمان یشتغل بالاکل و ربما یحتاج الی‌زمان فی شراء الطعام أو طبخه ثم یحتاج الی غسل الید و الخلاء ثم یکثر تردده الی بیت الماء و لو صرف هذه الاوقات فی الذکر و المناجاة وسائر العبادات لکثر ربحه قال السری رأیت مع علی الجرجانی سویقا یستف منه فقلت ما دعاک الی هذا فقال انی حسبت ما بین المضغ الی‌الاستفاف سبعین تسبیحة فمامضغت الخبز منذ أربعین سنة و ثامنتها من قلة الاکل صحة البدن و دفع الامراض فان سببها کثرة الاکل و حصول فضلة الاخلاط فی المعدة و العروق ثم المرض یمنع عن العبادات و یشوش القلب و یحوج الی الفصد و الحجامة و الدواء والطبیب وکل ذلک یحتاج الی مؤن و فی الجوع ما یدفع عنه کل ذلک و تاسعتها خفة المؤنة فان من تعود قلة الاکل کفاه من المال قدر یسیر و عاشرتها أن یتمکن من الایثار و التصدق بما فضل من الاطعمة علی‌المساکین فیکون یوم القیامة فی ظل صدقته فما یأکله فخزانته الکنیف و مایتصدق به فجزاؤه فضل الله تعالی (رواه الترمذی و ابن ماجه) و فی الجامع رواه أحمد و الترمذی و ابن ماجه و الحاکم بلفظ فثلث لطعامه و ثلث لشرابه ★ (و عن ابن عمر أن رسول‌الله صلی‌الله تعالی‌علیه‌وسلم سمع رجلا یتجشأ) بتشدید الشین المعجمة بعدها همزة أی یخرج الجشاء من صدره و هو صوت مع ریح یخرج منه عند الشبع و قیل عند امتلاء المعدة و قیل الرجل وهب بن عبدالله و هو معدود فی صغار الصحابة و کان فی زمانه علیه‌الصلاة والسلام لم‌یبلغ الحلم روی انه لم‌یملأ بطنه بعد ذلک قال التوربشتی الرجل هو وهب أبو جحیفة السوائی روی عنه انه قال أکلت ثریدة بر بلحم و أتیت رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم و انا اتجشأ (فقال اقصر) بفتح الهمزة و کسر الصاد أی امتنع (من جشائک) بضم الجیم ممدودا و کان أصل الطیبی رحمه الله أقصر عنا فقال معناه اکفف عنا و النهی عن الجشاء هو النهی عن الشبع لانه السبب الجالب له اه و قیل التجشأ التکلف (فان اطول الناس) أی اکثرهم فی الزمان (جوعا یوم القیامة أطولهم شبعا) بکسرففتح (فی الدنیا رواه فی شرح السنة) قال میرک هو وهب بن عبد الله أبو جحیفة روی عنه انه قال أکلت ثریدة بلحم و أتیت رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم و أنا اتجشأ فقال یاهذا کف من جشائک فان أکثر الناس شبعا فی الدنیا أکثرهم جوعا یوم القیامة رواه الحاکم و قال صحیح الاسناد قال المنذری بل هو واه جدا فیه وهد بن عوف و عمرو بن موسی لکن رواه البزار باسنادین رواة أحدهما ثقات و رواه ابن أبی الدنیا و الطبرانی فی الکبیر و الاوسط و البیهقی و زاد قال الراوی فما أکل أبو جحیفة ملء بطنه حتی فارق الدنیا کان اذا تعشی لایتغدی و اذا تغدی لایتعشی و فی

★ و عن كعب بن عياض قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول ان لكل أمة فتنة و فتنة أمتى المال رواه الترمذى ★ و عن أنس عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال يجاء بابن آدم يوم القيامة كانه بذج فيوقف بين يدى الله فيقول له أعطيتك و خولتك و أنعمت عليك فما صنعت فيقول يا رب جمعته و ثمرته و تركته أكثر ما كان فارجعنى آتك به كله فيقول له أرنى ما قدمت فيقول رب جمعته وثمرته و تركته أكثر ما كان فارجعنى آتك به كله فاذاعبد لم يقدم خيرا فيمضى به الى النار

رواية لابن أبى الدنيا قال أبو جحيفة فما ملئت بطنى منذ ثلاثين سنة اه (و روى الترمذى نحوه) قال ميرك و لفظه عن ابن عمر قال تجشأ رجل عند رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم فقال له كف عنا جشاءك فان أكثرهم شبعا فى الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة رواه ابن ماجة و البيهقى كلهم من رواية يحيى البكاء عن ابن عمر و قال الترمذى حديث حسن كذا فى الترغيب للمنذرى و قال الشيخ الجزرى فى سند هذا الحديث عبد العزيز بن عبد الله عن يحيى البكاء و هما ضعيفان لكن للحديث شاهد من حديث أبى جحيفة وهب بن عبد الله السوائى ★ (و عن كعب بن عياض) أى الاشعرى معدود فى الشاميين روى عنه جابر بن عبد الله و جبير بن نفير (قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى عليه‌وسلم يقول ان لكل أمة فتنة) و هى ما توقع أحدا فى الضلالة و المعصية (و فتنة أمتى) بالرفع و فى نسخة بالنصب (المال) لانه جامع لحصول المنال و مانع عن كمال المآل (رواه الترمذى) و كذا الحاكم فى مستدركه ★ (وعن أنس عن النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال يجاء) أى يؤتى (بابن آدم يوم القيامة كانه) أى من كمال ضعفه (بذج) بفتح موحدة و ذال معجمة فجيم ولد الضأن معرب بره أراد بذلك هوانه و عجزه و فى بعض الطرق كانه بذج من الذل و فى شرح السنة شبه ابن آدم بالبذج لصغاره و صغره أى يكون حقيرا ذليلا (فيوقف) أى فيحبس (قائما بين يدى الله تعالى) أى عند حكمه و أمره سبحانه (فيقول له) أى بلسان ملك أو بلا واسطة ببيان القال أو الحال (أعطيتك) أى الحياة و الحواس و الصحة و العافية و نحوها (و خولتك) أى جعلتك ذا خول من الخدم و الحشم و المال و الجاه و أمثالها و قيل معناه جعلتك مالكا لبعض وملكا لبعض (و أنعمت عليك) أى بانزال الكتاب وبارسال الرسول وغير ذلك (فما صنعت) أى فيما ذكر (فيقول رب جمعته) أى المال (و ثمرته) بتشديد الميم أى انميته و كثرته (و تركته) أى فى الدنيا عند موتى (أكثر ما كان) أى فى أيام حياتى (فارجعنى) بهمزة وصل أى ردنى الى الدنيا (آتك به كله) أى بانفاقه فى سبيلك كما أخبر عن الكفار انهم يقولون فى الآخرة رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت (فيقول له) أى الرب (أرنى ما قدمت) أى لاجل الآخرة من الخير (فيقول) أى ثانيا كما قال أولا (رب جمعته و ثمرته و تركته أكثر ما كان فارجعنى آتك به كله فاذا عبد) الفاء فصيحة تدل على المقدر و اذا للمفاجأة و عبد خبر مبتدأ محذوف أى قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فاذا هو عبد (لم يقدم خيرا) أى فيما أعطى و لم يمتثل ما أمر به و لم يتعظ ما وعظ به من قوله تعالى و لتنظر نفس ما قدمت لغد و ما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله (فيمضى) بصيغة المجهول أى فيذهب (به الى النار) قال الطيبى رحمه الله فظهر مما حكى عن هذا الرجل انه كان كعبد أعطاه سيده رأس مال ليتجر به و يربح فلم يمتثل أمر سيده فأتلف رأس ماله بان وضعه فى غير موضعه و اتجر فيما لم يؤمر بالتجارة فيه فاذا هو عبد خائب خاسر قال تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم

رواه الترمذی و ضعفه ★ و عن أبی هريرة قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌عليه‌وسلم ان أول ما يسأل العبد يوم القيامة من النعيم أن يقال له ألم‌نصح جسمک و نروك من الماء البارد رواه الترمذی
★ و عن ابن مسعود عن النبی صلی‌الله‌عليه‌وسلم قال لاتزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتی يسأل عن خمس عن عمره فيما أفناه و عن شبابه فيما أبلاه و عن ماله من أين اكتسبه و فيما أنفقه و ماذا عمل فيما علم

وما كانوا مهتدين فما أحسن موقع العبد و ذكره فی هذا المقام قال الشيخ أبوحامد رحمه الله أعلم ان كل خير و لذة و سعادة بل كل مطلوب و مؤثر يسمی نعمة و لكن النعمة الحقيقية هی السعادة الاخروية و تسمية ماعداها غلط أو مجاز كتسمية السعادة الدنيوية التی لايعبر عليها الی الآخرة فان ذلک غلط محض وكل سبب يوصل الی السعادة الاخروية و يعين عليها أما بواسطة واحدة أو بوسائط فان تسميته نعمة صحيح و صدق لاجل انه يفضی الی النعمة الحقيقية (رواه الترمذی و ضعفه) بتشديد العين أی نسب اسناده الی الضعف و ان كان صحيحا ★ (و عن أبی هريرة قال قال رسول‌الله صلی‌الله عليه‌وسلم أن أول ما يسأل العبد) أی عنه (يوم القيامة) ما موصولة أی أول شئ يحاسب به فی الآخرة (من النعيم) بيان لما (أن يقال له) خبر ان و كان الطيبی رحمه الله جعل من النعيم متعلقا بيسأل حيث قال ما فيه مصدرية وأن يقال خبر ان أی أول سؤال العبد هو أن يقال له (ألم‌نصح) أی بعظمتنا (جسمک) من الاصحاح و هو أعطاء الصحة (و نروك) بتشديد الواو و فی نسخة من الارواء (من الماء البارد رواه الترمذی) و كذا ابن حبان و الحاكم و لفظهما أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة أن يقال له ألم‌أصح لک جسمک و أروك من الماء البارد و قال الحاكم صحيح الاسناد ذكره ميرك ★ (و عن ابن مسعود عن النبی صلی‌الله‌عليه‌وسلم قال لاتزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتی يسأل عن خمس) أی خمسة أحوال تذكر و تؤنث و قال الطيبی رحمه الله أنثه بتأويل الخصال (عن عمره) بضمتين و يسكن الميم أی عن مدة أجله (فيما أفناه) أی صرفه (و عن شبابه) أی قوته فی وسط عمره (فيما أبلاه) أی ضيعه و فيه تخصيص بعد تعميم و أشارة الی المسامحة فی طرفيه من حال صغره وكبره و قال الطيبی رحمه الله فان قلت هذا داخل فی الخصلة الاولی فما وجهه قلت المراد سؤاله عن قوته و زمانه الذی يتمكن منه علی أقوی العبادة (و عن ماله مما اكتسبه) أی أمن حرام أو حلال (و فيما أنفقه) أی فی طاعة أو معصية (و ماذا عمل فيما علم) و لعل العدول عن الاسلوب للتفنن فی العبارة المؤدية للمطلوب و أما ما ذكره الطيبی رحمه الله من انه انما غير السؤال فی الخصلة الخامسة حيث لم‌يقل و عن علمه ماذا عمل به لانها أهم شئ و أولاه فغير ظاهر نعم يمكن أن يكون نكتة لختم الخصال بها ترقيا ثم قال و فيه ايذان بان العلم مقدمة العمل و هو لايعتد به لولا العمل اه و هو غير صحيح باطلاقه و انما يصلح هذا فی العلم بالفروع الدنيوية و أما العلم بذات الله تعالی و صفاته و معرفة كتابه و آياته و نحو ذلک من الاصول الدينية فاشرف العلوم و أفضلها و ألطفها و أكملها و لذا قال الشيخ أبو سعيد ابن أبی الخير قدس سره لابی علی بن سينا سامحه الله تعالی ما تعلم علما ينتقل معک بانتقالک و فيه أشارة الی ماورد من أن أهل الجنة فيها يحتاجون الی العلماء أيضا هذا و فی حديث رواه ابن‌عساكر عن أبی الدرداء رضی‌الله عنه كيف أنت يا عويمر اذا قيل لک يوم القيامة أعلمت أم جهلت فان قلت علمت قيل لک فماذا عملت فيما علمت و ان قلت جهلت قيل لک فما كان عذرك فيما جهلت

رواه الترمذی و قال هذا حدیث غریب

★ (الفصل الثالث) ★ عن أبی‌ذر ان رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم قال له انک لست بخیر من أحمر و لا أسود الا أن تفضله بتقوى رواه أحمد ★ و عنه قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم ما زهد عبد فی الدنیا الا انبت الله الحکمة فی قلبه و أنطق بها لسانه و بصره عیب الدنیا و داءها و دواءها و أخرجه منها سالما

الاتعلمت و مع هذا روی ویل للجاهل مرة و ویل للعالم سبع مرات و فی حدیث صحیح أشد الناس عذابا یوم القیامة عالم لم‌ینفعه الله بعلمه (رواه الترمذی و قال هذا حدیث غریب) و تمامه لانعرفه من حدیث ابن مسعود الا من حدیث حسین بن قیس و هو ضعیف فی الحدیث ذکره میرک ★ (الفصل الثالث) ★ (عن أبی‌ذر ان رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم قال له انک لست بخیر) أی بأفضل (من أحمر) أی جسما (و لا اسود) أی لونا و المراد ان الفضیلة لیست بلون دون لون و انما خصا بالذکر مثلا لکونهما أکثر وجودا و الاظهر ان المراد بهما لون السید و العبد کما هو الغالب و أغرب الطیبی رحمه الله حیث جزم و قال المراد بالاحمر العجم و بالاسود العرب (الا أن تفضله) بضم الضاد أی تزید أنت أحدهما (بتقوى) بالقصر و فی نسخة بالتنوین و قد قال تعالى أفمن أسس بنیانه على تقوى من الله فهی قراءة شاذة بالتنوین و المعنى ان الفضیلة لیست بالصورة الظاهرة و لا بالنسبة الباهرة بل بالتقوى کما قال تعالى یا أیها الناس انا خلقناکم من ذکر وأنثى الى ان قال أن أکرمکم عندالله أتقاکم قال الطیبی رحمه الله و الضمیر فی تفضیله عائد الى کل واحد منهما أو لهما بتأویل الانسان و الاستثناء مفرغ و التقدیر لست بافضل منهما بشئ من الاشیاء الا بالتقوى و قوله ان تفضله تکریر تأکید اه فتأمل فیه فان جعل الضمیر الى کل‌واحد منهما مع دلالتهما على العموم من الجنس الذی وقع المخاطب فردا منه غیر صحیح و کذا تأویلهما بالانسان المراد به الجنس فتدبر (رواه أحمد) ثم الظاهر ان الاستثناء مفرغ من أعم الاحوال أی لست بأفضل عند الله من أحد النوعین فی حال من‌الاحوال الاحال زیادتک علیه بتقوى معتبرة فی الشرع و هی لها مراتب أدناها التقوى عن الشرک الجلی و أوسطها عن المعاصی و المناهی و الملاهی و عن الشرک الخفی و هو الریاء و السمعة فی الطاعة و أعلاها أن یکون دائم الحضور مع الله غائبا عن حضور ما سواه و الیه الاشارة فیما روی عنه صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم ما فضلکم أبوبکر بفضل صوم و لا صلاة و لکن بشئ وقر فی قلبه ذکره الغزالی رحمه الله وقال العراق لم‌أجده مرفوعا و هو عند الحکیم الترمذی و النوادر من قول بکر بن عبد الله المزنی ★ (و عنه) أی عن أبی‌ذر (قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم ما زهد) بکسر الهاء (عبد فی الدنیا) أی زیادتها على قدر الحاجة من مال أو جاه (الا أنبت الله الحکمة) أی أنبت المعرفة المتقنة (فی قلبه و أنطق بها لسانه و بصره) بتشدید الصاد من البصیرة أی جعله معاینا (عیب الدنیا) أی معایبها من کثرة عنائها و قلة غنائها و خسة شرکائها و سرعة فنائها و غیر ذلک من اتعاب البدن و اکثار الحزن و اشغال القلب عن ذکر الرب قال الطیبی رحمه الله هو اشارة الى‌الدرجة الثانیة یعنی لما زهد فی الدنیا لماحصل له من‌علم الیقین بعیوب الدنیا أورثه الله به بصیرة حتی حصل له بها حق الیقین (و داءها) أی علة محبتها و سبب طلبتها (و دواءها) أی معالجتها بمعجون العلم و العمل و الاحتماء عنها بالصبر و القناعة و الرضا بما قسم له منها (و أخرجه)

الى دار السلام رواه البيهقى فى شعب الايمان ★ و عنه ان رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال قد أفلح من أخلص الله قلبه للايمان و جعل قلبه سليما و لسانه صادقا و نفسه مطمئنة و خليقته مستقيمة و جعل أذنه مستمعة و عينه ناظرة فاما الاذن فقمع و أما العين فمقرة لما يوعى القلب و قد أفلح من جعل قلبه واعيا.

أى الله تعالى (منها) أى من الدنيا و آفاتها و بلياتها (سالما) أى بالاعراض عنها و الاقبال على العقبى (الى دار السلام) و فيه أشارة الى ان من لم‌يزهد فيها و لم‌يطلع على عيبها و داءها و دوائها لم‌يدخل الجنة أصلا أو لم‌يدخل بسلام بل بعد سابقة عذاب أو لاحقة حجاب و الله تعالى أعلم (رواه البيهقى فى شعب الايمان) و روى أبو نعيم فى الحلية عن ابن عمر رضى‌الله تعالى عنهما ما زان الله العباد بزينة أفضل من زهادة فى الدنيا و عفاف فى بطنه و فرجه ★ (و عنه) أى عن أبى‌ذر أيضا (أن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال قد أفلح من أخلص الله قلبه للايمان) اى جعل قلبه خالصا للايمان بحيث لايسعه غيره و ما يتبعه (وجعل قلبه سليما) أى عن الحسد و الحقد و البغض و سائر الاخلاق الذميمة والاحوال الرديئة من حب الدنيا والغفلة عن المولى و الذهول عن العقبى قال تعالى يوم لاينفع مال و لابنون الا من أتى الله بقلب سليم (و لسانه صادقا) أى فى قوله و وعده و عهده (و نفسه مطمئنة) أى بذكر ربه و حبه (و خليقته) أى جبلته التى خلق عليها من أصلها مع قطع النظر عن عوارضها المعبر عنها بالفطرة (مستقيمة) أى غير مائلة الى طرفى الافراط و التفريط (و جعل اذنه) بضمتين و يسكن الثانية (مستمعة) أى للحق واعية للعلم (و عينه ناظرة) أى الى دلائل الصنع من الآفاق و الانفس (فاما) بالفاء العاطفة و لعل المعطوف عليه مقدر و المعنى أما ما سبق من القلب و اللسان و غيرهما فأمره ظاهر فى كونه شرطا للافلاح و أما (الاذن فقمع) بفتح فسكون و بكسر القاف مع سكون الميم و فتحها ففى القاموس القمع بالفتح و الكسر و كعنب ما يوضع فى فم الاناء فيصب فيه الدهن و غيره و فى النهاية القمع كضلع اناء يترك فى رؤس الظروف لتملأ بالمائعات من الأشربة و الدهان قال الطيبى رحمه الله شبه اسماع الذين يستمعون القول و يعونه بقلوبهم بالاقماع (و أما العين فمقرة) بضم الميم و كسر القاف وتشديد الراء كذا فى أصل الاصيل و فى أكثر النسخ بفتحات و هو الاظهر أى محل قرار (لما يوعى) أى يحفظ (القلب) بالرفع و فى بعض النسخ بالنصب و هو يؤيد ما فى الاصيل و يناسب الايماء قال الطيبى قوله مقرة وارد على سبيل الاستعارة لانها تثبت فى القلب و تقر فيه ما أدركته بحاستها فكان القلب لها وعاء و هى تقر فيه ما رأته قال فى أساس البلاغة و من المجاز قر الكلام فى أذنه و ضع فاه على أذنه فاسمعه و هو من قر الماء فى الاناء اذا صبه فيه و القلب مرفوع على انه فاعل يوعى و يحتمل النصب أى يقر فى القلب أى يحفظه و انما خص السمع و البصر لان الآيات الدالة على وحدانية الله أما سمعية فالاذن هى التى تجعل القلب وعاء لها أو نظرية فالعين هى التى تقرها فى القلب و تجعله وعاء لها و من ثم جعل قوله (و قد أفلح من جعل قلبه واعيا) أى حافظا فالفذلكة للقرينتين قلت و به يتم آلات العلم و أسبابه ولذا قال تعالى ان السمع و البصر و الفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا و فى تقديم السمع اشعار بان العمدة هى العلوم الشرعية التى تعرف من الادلة السمعية الموروثة لعلم اليقين ثم يرتقى الى مرتبة النظر و رتبة الفكر الى أن يصير علمه عين اليقين و ينتهى الى القلب الذى هو عرش الرب و به يصل الى كمال حق اليقين رزقنا الله تعالى جميع

رواه أحمد و البيهقى فى شعب الايمان ✱ و عن عقبة بن عامر عن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال اذا رأيت الله عزوجل يعطى العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فانما هو استدراج ثم تلا رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذنا هم بغتة فاذا هم مبلسون رواه أحمد ✱ و عن أبى أمامة ان رجلا من أهل الصفة توفى و ترك دينارا فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم كية

مراتب اليقين فى درجات الدين المعبر عنها بقوله سبحانه و اعبد ربک حتى يأتيک اليقين و وجه الغاية أنه لايتصور بعد تحقق اليقين ترك العبادة فى الدين بل يحصل له مرتبة وضع الميت بين يدى الغاسل كما قيل موتوا قبل أن تموتوا ولذا أجمع المفسرون على أن المراد باليقين فى الآية هو الموت و ما أحسن هذا الموت الذى هو عين الحياة اذاقنا الله منه بعض الذوق الممزوج بحلاوة الشوق (رواه أحمد و البيهقى فى شعب الايمان ✱ و عن عقبة بن عامر عن النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال اذا رأيت الله عزوجل يعطى العبد من الدنيا على معاصيه) أى مع وجود فعله اياها (ما يحب) أى من أسبابها (فانما هو) أى ذلک الاعطاء (استدراج) أى مكر منه سبحانه قال تعالى سنستدرجهم من حيث لايعلمون قال الطيبى رحمه الله الاستدراج هو الاخذ فى الشئ و الذهاب فيه درجة فدرجة كالمراقى و المنازل فى ارتقائه و نزوله و معنى استدراج الله استدراجهم قليلا قليلا الى ما يهلكهم و يضاعف عقابهم من حيث لايعلمون ما يراد بهم و ذلک ان تواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم فى الغى فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا و جددوا معصية فيتدرجون فى المعاصى بسبب ترادف النعم ظانين ان تواتر النعم أثرة من الله و تقريب و انما هى خذلان منه و تبعيد (ثم تلا رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم) أى استشهادا أو اعتضادا (فلما نسوا) أى عهده سبحانه أو تركوا أمره و نهيه و هو المعنى بقوله (ما ذكروا به) أى وعظوا (فتحنا) بالتخفيف و يشدد (عليهم أبواب كل شئ) أى من أسباب النعم التى فى الحقيقة من موجبات النقم (حتى اذا فرحوا بما أوتوا) أى اعطوا من المال و الجاه و صحة البدن و طول العمر (أخذناهم بغتة) أى فجاة بالموت أو العذاب فانه أشد فى تلک الحالة (فاذا هم مبلسون) أى واجمون ساكتون متحسرون متحيرون آيسون (رواه أحمد) و فى الجامع عنه بلفظ اذا رأيت الله تعالى يعطى العبد من الدنيا ما يحب و هو مقيم على معاصيه فانما ذلک منه استدراج رواه الطبرانى و أحمد و البيهقى ✱ (و عن أبى أمامة ان رجلا من أهل الصفة) فى النهاية هم فقراء المهاجرين و من لم يكن له منزل يسكنه و كانوا يأوون الى موضع مظلل فى مسجد المدينة يسكنونه قال الطيبى رحمه الله و فى وصف الرجل بهذا النعت اشعار بان الحكم الذى يليه معلل به يعنى انتماءه الى الفقراء الذين زهدوا فى الدنيا مع وجود الدينارين أو الدينار دعوى كاذبة يستحق به العقاب و الا فقد كان كثير من الصحابة كعثمان بن عفان و عبدالرحمن بن عوف و طلحة بن عبيدالله رضى‌الله تعالى عنهم أجمعين يقتنون الاموال و يتصرفون فيها و ما عابهم أحد ممن أعرض عن الفتنة لان الاعراض اختيار للافضل و الادخل فى الورع و الزهد فى الدنيا و الاقتناع فيها مباح مرخص لايذم صاحبه و لكل شئ حد و الحاصل ان رجلا منهم (توفى) بصيغة المجهول و جوز المعلوم أى قبض و مات (و ترك دينارا) أى وجد عنده أو عند غيره (فقال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم كية) أى هو كية للمبالغة أو سبب كية

قال ثم توفى آخر فترك دينارين فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم كيتان رواه أحمد و البيهقى فى شعب الايمان ✱ وعن معاوية انه دخل على خاله ابن أبى هاشم بن عتبة يعوده فبكى أبو هاشم فقال ما يبكيك يا خال أوجع يشئزك أم حرص على الدنيا قال كلا و لكن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم عهد الينا عهدا لم آخذ به قال و ما ذلك قال سمعته يقول انما يكفيك من جمع المال خادم و مركب فى سبيل الله و انى أرانى قد جمعت

أو آلة و هو الاظهر لقوله تعالى يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم الآية (قال) أى الراوى (ثم توفى آخر) أى من أهل الصفة (فترك دينارين فقال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه وسلم كيتان) و توضيح المرام فى هذا المقام انهما لما كانا مع الفقراء الذين كان الناس يتصدقون عليهم بناء على نهاية حاجتهم و غاية فاقتهم فهم بمنزلة السائلين اما قالا و اما حالا و لايحل لاحد يسأل و عنده قوت يوم فوقع أى السؤال لكليهما مع وجود الدينار لهما حراما و كذا كل من أظهر نفسه بصورة الفقراء من لبس الخلق أو زى الشحاذين و عنده شئى من النقود أو ما يقوم مقامها و أخذ مما فى أيدى الناس و أكل فهو حرام عليه و كذا من أظهر نفسه عالما أو صالحا أو شريفا و لم يكن فى نفس الامر مطابقا و أعطى لاجل علمه أو صلاحه أو شرفه فيكون حراما عليه و قد حكى أن الشيخ أبا اسحق الكازرونى رحمه الله رأى جمعا من الفقراء يأكلون من الطعام الموضوع للمستحقين من تكية فقال يا أكلة الحرام فامتنعوا من الاكل فقال كل من لم يكن معه شئى من الدنيا يأكل و الا فلا فاكل بعضهم و امتنع بعضهم فقال سبحان الله جل شأنه طعام واحد حرام لقوم و حلال لآخرين فليحذر أهل الحرمين الشريفين أعزهما الله فى الدارين من أن يأكل أحد منهم و الحال انه غنى شرعى من الاوقاف الموضوعة للفقراء و كذلك كل من سكن الخلاوى الموقوفة للمساكين فقد صرح ابن الهمام رحمه الله بان الغنى يحرم عليه أن يسكن فى خلاوى الاربطة و لايغتر أحد بما اشتهر من أن أوقاف الحرمين عام للفقير و الغنى فانه على تقدير صحته لايصح الوقف عندنا على الاغنياء اذا كانوا غير محصورين و بهذا يظهر ان امامنا الاعظم و مقتدانا الاقوم لو كان فى هذا الزمان و شاهد سكان هذا المكان لقال بحرمة المجاورة خلافا لما وقع فى الصدر الاول من كراهتها لعدم من يقوم بحق عظمتها و حرمتها الا نادرا و النادر لاحكم له (رواه أحمد و البيهقى فى شعب الايمان ✱ و عن معاوية) أى ابن أبى سفيان و هو خال المؤمنين (انه دخل على خاله) أى النسبى (أبى هاشم بن عتبة) و من ترجمته (يعوده) حال أو استئناف بيان أى يزوره لمرضه (فبكى أبو هاشم فقال ما يبكيك) أى أى شئى يحملك باكيا (يا خال) بكسر اللام و فى نسخة بضمها على حد ياغلام (أوجع يشئزك) بضم الياء و كسر الهمزة أى يقلقك و يتعبك فيبكيك ففى القاموس شئز شأزا غلظ و اشتد و يقال قلق و اشأزه أقلقه (أم حرص على الدنيا) أى يقلقك فيبكيك و فيه تنبيه على أن الامر لايخلو اما من اشتداد مرض صورى أو عرض معنوى يكون كل منهما باعثا على نكد ظاهرى و باطنى (قال كلا) أى ارتدع عن حسبانك كلا و معناه ليس الباعث أحدهما (و لكن رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم عهد الينا عهدا لم آخذ به) و المراد بالعهد اما وصية عامة أو مبايعة خاصة (قال و ما ذلك) أى العهد و فى نسخة و ما ذاك (قال سمعته يقول انما يكفيك من جمع المال) أى الذى يحصل المنال فى المال (خادم و مركب فى سبيل الله و انى أرانى) بضم الهمزة اى أظن و فى نسخة بفتحها أى أبصر او أعلم (قد جمعت) أى زيادة على ما عهدت

رواه أحمد و الترمذی و النسائی و ابن ماجه ★ و عن أم الدرداء قالت قلت لابی الدرداء مالک لاتطلب کما یطلب فلان فقال انی سمعت رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم یقول ان أمامکم عقبة کؤدا لایجوزها المثقلون فاحب ان أتخفف لتلک العقبة ★ و عن أنس قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم هل من أحد یمشی علی الماء الا ابتلت قدماه قالوا لا یا رسول‌الله قال کذلک صاحب الدنیا لا یسلم من الذنوب رواهما البیهقی فی شعب الایمان ★ و عن جبیر بن نفیر مرسلا قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم ما أوحی الی ان أجمع المال و أکون من التاجرین و لکن أوحی الی أن سبح بحمد ربک و کن من الساجدین

و أغرب الطیبی رحمه الله حیث قال حذف متعلقه لیدل علی الکثرة من أنواع المال و الله تعالی أعلم بالحال (رواه أحمد و الترمذی و النسائی و ابن ماجه ★ و عن أم الدرداء قالت قلت لابی الدرداء مالک لاتطلب) أی مالا أو منصبا (کما یطلب فلان) أی و هو من نظرائک (فقال انی) بکسر الهمزة و یجوز فتحها بتقدیر لانی (سمعت رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم یقول ان أمامکم) بفتح الهمزة أی قدامکم و هو ظرف وقع خبرا مقدما و الاسم قوله (عقبة) بفتحات أی مرقی صعبا من الجبال علی ما فی القاموس (کؤدا) بفتح فضم همزة فواو فدال أی شاقة فاصلة بینکم و بین دخول الجنة قال الطیبی رحمه الله و المراد بها الموت و القبر و الحشر و أهوالها و شدائدها شبهها بصعود العقبة و مکابدة ما یلحق الرجل من قطعها (لایجوزها) أی لایتجاوز تلک العقبة علی طریق السهولة (المثقلون) من باب الافعال أی الحاملون ثقل المال و مؤنة الجاه وسعة الحال ولذا قیل فاز المخفون و هلک المثقلون (فاحب أن أتخفف) أی بترک الطلب و الصبر علی قلة المؤنة (لتلک العقبة) لئلا یحصل لی التعب فیها ★(و عن أنس قال قال رسول‌الله صلی‌الله علیه‌وسلم هل من احد یمشی علی الماء الا ابتلت قدماه) أی هل یمشی علی الماء فی حال من الاحوال الا فی حال الابتلال وحاصل معناه هل یتحقق المشی علی الماء بلا ابتلال (قالوا لا یارسول‌الله قال کذلک صاحب الدنیا لایسلم من الذنوب) أی من المعاصی اللازمة لصاحب حب الدنیا قال الطیبی رحمه الله فیه تخویف شدید للمتقین و حث أکید علی الزهد فی الدنیا و ایثار الآخرة علی الاولی و کفی بها تبعة أن یدخل الفقراء فی الجنة قبل الاغنیاء بخمسمائة عام عافانا الله منها بکرمه و فضله (رواهما) أی الحدیثین (البیهقی فی شعب الایمان) و کذا الحاکم روی الحدیث الاول و قال میرک نقلا عن المنذری حدیث أم الدرداء رواه الطبرانی باسناد صحیح و رواه البزار عن أبی الدرداء رفعه ان بین أیدیکم عقبة کؤدا لاینجو منها الا کل مخف و اسناده حسن ★(و عن جبیر ابن نفیر) بالتصغیر فیهما قال المؤلف تابعی خضرمی أدرک الجاهلیة و الاسلام و هو من ثقات الشامیین و حدیثه فیهم روی عن أبی الدرداء و أبی ذر و عنه جماعة (مرسلا) أی بحذف الصحابی (قال قال رسول‌الله‌صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم ما أوحی الی) أی لم‌یوح الی (أن أجمع المال) أن مصدریة الباء مقدرة و قوله (و أکون) عطف علیه (من التاجرین) أی المتوغلین فی التجارة (و لکن وحی الی) أی قیل لی بالوحی (أن سبح) أن مفسرة لما فی الوحی من معنی القول أی سبح (بحمد ربک) أی مقرونا به و المعنی نزه الله تعالی عما لایلیق بذاته و صفاته منتهیا الی ثناء ربک باثبات صفات الجلال و الجمال له (و کن من الساجدین) أی المصلین بذکر أحد الارکان و ارادة تمام الصلاة فهو من قبیل مجاز اطلاق الجزء و ارادة الکل و وجه تخصیص السجدة ما ورد

و اعبد ربک حتی یأتیک الیقین رواه فی شرح السنة و أبو نعیم فی الحلیة عن أبی مسلم ★ و عن أبی هریرة قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم من طلب الدنیا حلالا استعفافا عن المسئلة و سعیا علی أهله و تعطفا علی جاره لقی الله تعالی یوم القیامة و وجهه مثل القمر لیلة البدر و من طلب الدنیا حلالا مکاثرا مفاخرا مرائیا لقی الله تعالی و هو علیه غضبان رواه البیهقی فی شعب الایمان وأبو نعیم فی الحلیة. ★ و عن سهل بن سعد ان رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم قال ان هذا الخیر خزائن لتلک الخزائن مفاتیح

فی حدیث مسلم أقرب ما یکون العبد من ربه و هو ساجد (و اعبد ربک) تعمیم بعد تخصیص سواء کان المراد به الامر بالعبادة أو بالعبودیة (حتی یأتیک الیقین) أی الموت باجماع المفسرین وفیه اقتباس من قوله تعالی و لقد نعلم انک یضیق صدرک بما یقولون فسبح بحمد ربک الخ (رواه) أی البغوی (فی شرح السنة) أی عن جبیر بن نفیر (و أبو نعیم) بالتصغیر (فی الحلیة عن أبی مسلم) قال المؤلف هو أبو مسلم الخولانی الزاهد لقی أبا بکر و عمر و معاذا رضی‌الله عنهم روی عنه جبیر بن نفیر و عروة و أبو قلابة و مناقبه کثیرة مات سنة اثنتین و ستین انتهی. فیحتمل أن الحدیث مروی من طریق جبیر عن أبی مسلم أو من طریق غیره و الله تعالی أعلم ★ (و عن أبی هریرة قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم من طلب الدنیا حلالا) أی من طریق حلال (استعفافا) أی لاجل طلب العفة عن المسئلة ففی النهایة الاستعفاف طلب العفاف و التعفف و هو الکف عن الحرام و السؤال من الناس (و سعیا علی أهله) أی لاجل عیاله ممن یجب علیه مؤنة حالة (و تعطفا علی جاره) احسانا علیه بما یکون زائدا لدیه (لقی الله تعالی یوم القیامة و وجهه) أی و الحال ان وجهه من جهة کمال النور و نهایة السرور (مثل القمر لیلة البدر) قید به لانه وقت کماله و فیه اشارة خفیة الی ان هذا النور له ببرکة المصطفی المنزل علیه طه ما أنزلنا علیک القرآن لتشقی فان طه أربعة عشر بحساب ابجد الذی یعرفه الاب و الجد و هذا یوم لاینفع ذا الجد منک الجد (و من طلب الدنیا حلالا) أی فضلا عن أن یطلب حراما (مکاثرا) أی حال کونه طالبا کثرة المال لاحسن الحال و لا صرفه فی تحسین المآل (مفاخرا) أی علی الفقراء کما هو داب الاغبیاء من الاغنیاء (مرائیا) أی ان فرض عنه صدور خیر أو عطاء (لقی الله تعالی وهو علیه غضبان) و لعله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم لم یذکر من طلب الحرام أما اکتفاء بما یفهم من فحوی الکلام و أما ایماء الی انه لیس من صنیع أهل الاسلام أو اشعار بان الحرام أکله و قربه حرام و لو لم یکن هناك طلب و مرام قال الطیبی رحمه الله و فی الحدیث معنی قوله تعالی یوم تبیض وجوه و تسود وجوه و هما عبارتان عن رضا الله تعالی و سخطه فقوله و وجهه مثل القمر مبالغة فی حصول الرضا بدلالة قوله فی مقابلته و هو علیه غضبان (رواه البیهقی فی شعب الایمان و أبو نعیم فی الحلیة ★ و عن سهل بن سعد ان رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم قال ان هذا الخیر) أی هذا الجنس من الخیر المدسوس المعلوم کالمحسوس (خزائن) أی أنواع کثیرة مخزونة مکنونة مرکوزة موضوعة فیما بین عباده (لتلک الخزائن) خبر مقدم علی مبتدئه و هو قوله (مفاتیح) أی علی أیدی عبیده الذین هم بمنزلة وکلائه ثم الظاهر ان ذکر الخیر بدون ذکر الشر من باب الاکتفاء أو اشارة الی ان الشر ما خلق لذاته و لذا ورد فی قوله تعالی بیده الخیر مع ان الامر کله لله و فی الحدیث الشریف الخیر کله بیدیک و الشر لیس الیک أدبا فقیل المعنی انه لاینسب

فطوبى لعبد جعله الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر و ويل لعبد جعله الله مفتاحا للشر مغلاقا للخير رواه ابن ماجه ★ و عن على قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم اذا لم‌يبارك للعبد فى ماله جعله فى الماء و الطين ★ و عن ابن عمر ان النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال اتقوا الحرام فى البنيان فانه أساس الخراب رواهما البيهقى فى شعب الايمان

اليک و الاظهر ان الشر انما يحصل بترك الخير فيكون بينهما نسبة التضاد كالنور و الظلمة و الوجود و العدم و مما يدل على ان لله خزائن للشر أيضا قوله (فطوبى لعبد جعله الله مفتاحا للخير) أى علما أو عملا أو حالا أو مآلا (مغلاقا للشر و ويل لعبد جعله الله مفتاحا للشر) أى للكفر و العصيان و البطر و الطغيان و البخل و سوء العشرة مع الاخوان (مغلاقا للخير) قال الراغب الخير ما يرغب فيه الكل كالعقل مثلا و العدل و الفضل و الشئ النافع و الشر ضده و الخير و الشر قد يتحدان و هو أن يكون خيرا لواحد شرا لآخر كالمال الذى يكون ربما كان خيرا لزيد و شرا لعمرو و لذلک وصفه الله تعالى بالامرين فقال فى موضع ان ترك خيرا أى مالا وقال فى موضع آخر أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات انتهى وكذا العلم بالنسبة الى بعضهم حجاب و سبب العذاب و بالنسبة الى بعض آخر اقتراب الى رب الارباب و قس على هذا العبادة فان منها ما يورث العجب و الغرور و منها ما يورث النور و السرور و الحبور كالسيف و الخيل و نحوهما قد يجعل آلة للجهاد مع الكفار و يتوصل بها الى القرار فى دار الابرار و قد يتوصل بها الى قتل الانبياء و الاولياء و ينتهى بها الى الدرك الاسفل من النار و هذا معنى ما سيأتى من قوله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم الا و ان الخير كله بحذافيره فى الجنة الا و ان الشر كله بحذافيره فى النار يعنى بحسب ما قسم لاهلها قسمة أزلية أبدية مبنية على جعل بعضهم مرائى الجمال و بعضهم مظاهر الجلال كما قال فريق فى الجنة و فريق فى السعير و قد قال خلقت هؤلاء للجنة و لا أبالى و خلقت هؤلاء للنار و لا أبالى مشيرا الى قوله سبحانه لايسئل عما يفعل و هم يسئلون فبحر القضاء و القدر عريض عميق لايغوص فيه الا من له تحقيق بتوفيق يتحير فيه أرباب السواحل و يمضى منه أصحاب سفن الشرائع الكوامل (رواه ابن ماجه) و روى الطبرانى فى الاوسط عن أبى هريرة مرفوعا ان هذه الاخلاق من الله فمن أراد الله تعالى به خيرا منحه خلقا حسنا و من أراد به سوءا منحه سيئا ★ (و عن على رضى‌الله تعالى عنه قال قال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم اذا لم‌يبارك للعبد فى ماله) أى بان لايصرفه فى رضا مولاه و عمارة عقباه و حسن مآله (جعله) أى أنفق ماله و ضيعه (فى الماء و الطين) أى المعبر بهما عن عمارة الدنيا بسبب اعراضه عن أعراض الدين ★ (و عن ابن عمر أن النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال اتقوا الحرام) أى احذروا انفاقه و فى الجامع اتقوا الحجر الحرام (فى البنيان) أى فى صرف عمارة الدنيا الفانية (فانه أساس الخراب) أى فى الايام الآتية كما ورد لدوا للموت وابنوا للخراب و التقييد بالحرام ليس له مفهوم معتبر بل فيه أشارة الى أن المال الحلال لم‌ينفق صرفه فى غير حسن المآل فقد قال الامام الغزالى لو أكل الناس أربعين يوما من الحلال لخربت الدنيا و لم‌يبق لها نظام فى الحال و لذا قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقال بعضهم الغفلة رحمة ولذا قال تعالى اقترب للناس حسابهم و هم فى غفلة معرضون قيل التقدير أسباب خراب الدين أو أساس خراب البنيان فعلى الاول يدل على جواز انفاق الحلال فى البنيان و على الثانى لا و هذا أنسب بالباب و الله تعالى أعلم بالصواب (رواهما) أى

★ و عن عائشة عن رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال الدنيا دار من لا دار له و مال من لا مال له و لها يجمع من لا عقل له رواه أحمد و البيهقى فى شعب الايمان ★ و عن حذيفة قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول فى خطبته الخمر جماع الاثم و النساء حبائل الشيطان و حب الدنيا رأس كل خطيئة قال و سمعته يقول أخروا النساء حيث أخرهن الله

الحديثين (البيهقى فى شعب الايمان) و روى الطبرانى الحديث الاول عن أبى هريرة مرفوعا و لفظه للرجل بدل للعبد ★ (و عن عائشة عن رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم قال الدنيا دار من لا دار له) قال الطيبى رحمه الله لما كان القصد الاولى من الدار الاقامة مع عيش هنىء و دار الدنيا خالية عنها لايستحق لذلك أن‌تسمى دارا فمن داره الدنيا فلا دار له قال تعالى و أن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون و قال صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم اللهم لا عيش الا عيش الآخرة (و مال من لا مال له) فان المقصود من المال هو الانفاق فى المبرات و الصرف فى وجوه الخيرات فمن أتلفه فى تحصيل الشهوات و استيفاء اللذات فحقيق بان يقال لا مال له قال تعالى و ما الحياة الدنيا الا متاع الغرور و لذا قدم الظرف على عامله فى قوله (و لها) أى للدنيا (يجمع) أى المال (من لا عقل له) أى عقلا كاملا أو عقل الدين دلالة على ان جمع الدار الآخرة للتزود هو المحمود قال تعالى و تزودوا فان خير الزاد التقوى قلت و مجمل المعنى ان الدنيا لاتستحق ان تعد دارا الا لمن لا دار له و لا مالا الا لمن لا مال له و المقصود استحقارها و انحطاطها عن ان تعد دارا أو مالا لمن كانت الآخرة له قرارا و مآلا قال الراغب كل اسم نوع يستعمل على وجهين أحدهما دلالة على المسمى و فصلا بينه و بين غيره و الثانى اوجود المعنى المختص به و ذلك هو الذى يمدح به فكل شىء لم‌يوجد كاملا لما خلق له لم‌يستحق اسمه مطلقا بل قد ينفى عنه كقولهم فلان ليس بانسان أى لايوجد فيه المعنى الذى خلق لأجله (رواه أحمد و البيهقى فى شعب الايمان) و رواه البيهقى أيضا فى الشعب عن ابن مسعود موقوفا ★ (و عن حذيفة قال سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم يقول فى خطبته) أى موعظته (الخمر جماع الاثم) بكسر الجيم أى مجمعه و مظنته و قيل أصل الجماع ما يجمع عددا ويرادفه حديث ابن عباس على ما رواه الطبرانى مرفوعا الخمر أم الفواحش و أكبر الكبائر من شربها وقع على أمه و خالته و عمته و فى رواية البيهقى عن ابن عمر بلفظ الخمر أم الفواحش و أكبر الكبائر و من شرب الخمر ترك الصلاة و وقع على أمه و عمته و خالته قيل دعى رجل الى سجدة الصنم فابى ثم الى قتل النفس فابى ثم الى الزنا فابى ثم الى شرب الخمر فلما شرب فعل جميع ما طلب منه (و النساء) أى جنسهن (حبائل الشيطان) و المراد به الجنس أو رئيسهم و يؤيد الاول ما فى نسخة بلفظ الشياطين أى مصائدهم واحدها حبالة بالكسر و هى ما يصاد بها من أى شىء كان قيل ما أيس الشيطان من بنى آدم الا أتى من قبل النساء (و حب الدنيا رأس كل خطيئة) أى ملاكها و مفهومه أن ترك الدنيا رأس كل عبادة وقد قيل من أحب الدنيا لايهديه جميع المرشدين ومن تركها لايغويه جميع المفسدين قال الطيبى رحمه الله و الكلمات الثلاث كلها من الجوامع لان كل واحدة منها على الانفراد أصل فى المآثم و المغرم (قال) أى حذيفة (و سمعته) أى النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم (يقول اخروا النساء حيث أخرهن الله) قال الطيبى رحمه الله حيث للتعليل أى أخرهن الله تعالى فى الذكر و فى الحكم و فى المرتبة فلا تقدموهن ذكرا و حكما و مرتبة قلت و أصحابنا استدلوا به على بطلان محاذاة المرأة بشروطها

رواه رزين و روى البيهقي منه في شعب الايمان عن الحسن مرسلا حب الدنيا رأس كل خطيئة
★ وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أخوف ما أتخوف على أمتي الهوى و طول الامل
فاما الهوى فيصد عن الحق و أما طول الامل فينسى الآخرة وهذه الدنيا مرتحلة ذاهبة وهذه الآخرة
مرتحلة قادمة و لكل واحدة منهما بنون فان استطعتم ان لاتكونوا من بني الدنيا فافعلوا

المعتبرة على ما هو مقرر عندهم و محقق عند المحقق ابن الهمام رحمه الله (رواه) أى الحديث بكماله (رزين) و في التمييز لابن الربيع حديث أخروهن من حيث أخرهن الله يعني النساء قال شيخنا في مصنف عبدالرزاق رحمه الله و ذكر أحاديث بمعناه من طريق الطبراني ثم قال و لانطيل بها و أشار شيخنا لبعضها في مختصر تخريج الهداية انتهى فالحديث مشهور عند المحدثين لكن بالمعنى اللغوي لابالمعنى الاصطلاحي فانه يطلق على القريب من المتواتر القطعي ولذا قال ابن الهمام عند قول صاحب الهداية و لنا الحديث المشهور لايثبت رفعه فضلا عن شهرته و الصحيح انه موقوف على ابن مسعود لكنه في حكم المرفوع (و روى البيهقي عنه) أى من الحديث الطويل المتشعب على جمل من الكلام (في شعب الايمان) أى باسناد حسن (عن الحسن مرسلا حب الدنيا رأس كل خطيئة) قلت و هو عند أبي نعيم في ترجمة سفيان الثوري من قول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام و عند ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان له من قول مالك بن دينار و كذا البيهقي في الزهد من كلام عيسى عليه الصلاة والسلام قال السيوطي رحمه الله و قد عد الحديث في الموضوعات و تعقبه شيخ الاسلام بن حجر العسقلاني رحمه الله بان ابن المديني اثنى على مراسيل الحسن و الاسناد حسن اليه و قد رواه الديلمي من حديث علي بن أبي طالب في مسنده و لم يذكر له اسنادا و هو في تاريخ ابن عساكر عن سعد بن مسعود الصدفي التابعي بلفظ حب الدنيا رأس الخطايا ★(و عن جابر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان أخوف ما أتخوف على أمتي الهوى) أى هوى النفس و مشتهياتها (و طول الامل) أى بتسويف العمل و تاخيره الى آخر حياتها (فاما الهوى) أى المخالف للهدى الموافق للباطل (فيصد) أى يمنع صاحبه (عن الحق) أى عن قبوله و انقياده (و أما طول الامل فينسي) من الانساء و يجوز بالتشديد (الآخرة) لان ذكرها يقطع الامل و يوجب العمل (و هذه الدنيا) أى المعلومة ذهنا و المفهومة حسا (مرتحلة) أى ساعة فساعة (ذاهبة) أى راحلة من حيث لايدرى صاحبها كما لايشعر بسير السفينة راكبها ولذا قيل كل نفس خطوة الى أجل راعها (و هذه الآخرة مرتحلة قادمة) أى آتية شبههما بالمطيتين المختلفتين في طريقهما و فيه اشعار بان كل ما هو آت قريب و ايماء الى أن كل ساعة يحتمل أنها تكون النفس الاخير المقتضي أن يصرفها في طاعة (و لكل واحدة منهما بنون) أى ملازمون و محبون و راكبون و راغبون و الجمع بينهما من الاضداد المعلومة كما حققه العلماء العاملون (فان استطعتم ان لاتكونوا من بني الدنيا فافعلوا) و فيه اهتمام تام بترك الدنيا و مبالغة بليغة في ملازمة أمر الاخرى حيث لم يقل فان استطعتم أن تكونوا من أبناء الآخرة فافعلوا و لعل العدول لما يلزم من ترك حب الدنيا حصول الآخرة و لايلزم من وصول الآخرة ترك حظ الدنيا لقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه و من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها و ماله في الآخرة من نصيب و لقوله سبحانه من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا و من أراد الآخرة و سعى لها سعيها و هو مؤمن فاولئك كان

فانكم اليوم فى دار العمل و لاحساب و أنتم غدا فى دار الآخرة و لا عمل رواه البيهقى فى شعب الايمان ✱ و عن على قال ارتحلت الدنيا مدبرة و ارتحلت الآخرة منلة و لكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة و لاتكونوا من أبناء الدنيا فان اليوم عمل و لاحساب و غدا حساب و لاعمل رواه البخارى فى ترجمة باب ✱ و عن عمرو أن النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم خطب يوما فقال فى خطبته الا ان الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر و الفاجر

سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء و هؤلاء من عطاء ربك و ما كان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض و للآخرة أكبر درجات و أكبر تفضيلا (فانكم اليوم فى دار العمل) أى فى دار يطلب منكم عمل الآخرة فان الدنيا دار تكليف فاغتنموا العمل قبل حلول الاجل بترك الامل لان الدنيا ساعة فينبغى ان تصرف فى طاعة (و لاحساب) أى اليوم بحسب الظاهر بالنسبة الى الفاجر و الا فروى خطابا للابرار حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا و يدل عليه قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و لتنظر نفس ما قدمت لغد و اتقوا الله ان الله خبير بما تعملون (و أنتم غدا فى دار الآخرة) أى و فى الحساب المترتب عليه الثواب و العقاب (و لاعمل) أى يومئذ لانقطاعه بالاجل قال السيوطى رحمه الله قوله و لاحساب بالفتح بغير التنوين و يجوز الرفع بالتنوين و كذا قوله و لاعمل قال الطيبى رحمه الله أشار بهذه الدنيا الى تحقير شانها و وشك زوالها و فى قوله الآخرة أشار الى تعظيم أمرها و قرب نزولها و قوله فان استطعتم يعنى بينت لكم حال الدنيا من غرورها و فنائها و حال الآخرة من نعيمها و بقائها و جعلت زمام الاختيار فى أيديكم فاختاروا أيا ما شئتم و كان من حق الظاهر أن يقال فانكم اليوم فى دار الدنيا و لاحساب فوضع دار العمل موضعها ليؤذن بان الدنيا ما خلقت الا للعمل و التزود منها للدار الآخرة و لم يعكس ليشعر بان الدار هى دار الآخرة (رواه البيهقى فى شعب الايمان) قال الطيبى رحمه الله و هذا الحديث رواه جابر مرفوعا و فى رواية البخارى عن على رضى‌الله‌تعالى‌عنه كما سيأتى موقوفا و هذا الحديث يدل على أن حديث على رضى‌الله‌عنه أيضا مرفوع قلت و فيه بحث لانه انما يقال فى الموقوف الذى لامجال للرأى فيه انه فى حكم المرفوع و لاشك ان هذا الموقوف ليس من ذلك القبيل المعروف فيحتمل أن يكون مرفوعا و مسموعا و يحتمل أن يكون وقع منه رضى‌الله‌تعالى‌عنه تواردا مطابقا مطبوعا ✱ (و عن على رضى‌الله‌عنه) أى موقوفا (قال ارتحلت الدنيا مدبرة و ارتحلت الآخرة مقبلة) أى ظهر ادبار الدنيا و فناؤها و اقبال الآخرة و بقاؤها (و لكل واحدة منهما بنون) أى بها متعلقون (فكونوا من أبناء الاخرة) أى بالتوجه اليها (و لاتكونوا من أبناء الدنيا) أى بالاعراض عنها و عدم الاقبال عليها (فان اليوم عمل) أى وقت عمل (و لاحساب) أى زمان لا محاسبة على الاكتساب و قد يقال جعل اليوم نفس العمل و المحاسبة مبالغة كذا قوله (و غدا) أى يوم القيامة (حساب و لاعمل) و تقدم ما فى العمل و الحساب من اختلاف الاعراب (رواه البخارى فى ترجمة باب) أى من غير ذكر اسناد فى كتاب ✱ (وعن عمرو) بالواو (ان النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم خطب يوما فقال فى خطبته الا) للتنبيه (ان الدنيا عرض) بفتحتين أى مال حادث و حال عارض (حاضر) أى عاجل محسوس (يأكل منه) أى من العرض و فى نسخة منها أى من الدنيا (البر و الفاجر) أى المؤمن و الكافر فانه تعالى قال و ما من دابة فى الارض الا على الله رزقها و قال كلا نمد هؤلاء و هؤلاء من عطاء ربك و ما كان عطاء ربك محظورا أى ممنوعا

الا و ان الآخرة أجل صادق و يقضي فيها ملك قادر ألا و ان الخير كله بحذافيره فى الجنة الا و ان الشر كله بحذافيره فى النار الا فاعملوا و أنتم من الله على حذر و اعلموا انكم معروضون على أعمالكم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره و من يعمل مثقال ذرة شرا يره رواه الشافعي ★ وعن شداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس ان الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر و الفاجر و ان الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك عادل قادر يحق فيها الحق و يبطل الباطل كونوا من أبناء الآخرة و لاتكونوا من أبناء الدنيا فان كل أم يتبعها ولدها ★ وعن أبي الدرداء قال قال

هذا و قال الراغب العرض ما لايكون له ثبات و منه استعار المتكلمون قولهم العرض لما لاثبات له الا بالجوهر كاللون و الطعم و قيل للدنيا عرض حاضر تنبيها على ان لاثبات لها (الا و ان الآخرة) قال الطيبي رحمه الله حرف التنبيه هنا مقحم و ما بعده معطوف على قوله ان الدنيا قوبلت القرينة السابقة بقوله الا و ان الآخرة (أجل) أى مؤجل (صادق) أى وقوعها (و يقضي) أى يحكم (فيها ملك قادر) أى يميز بين البر و الفاجر و المؤمن و الكافر بالثواب و العقاب قال الطيبي رحمه الله الاجل الوقت المضروب الموعود وصفه بالصدق دلالة على تحققه و ثباته و بقائه و قال الراغب يستعمل التصديق فى كل ما فيه تحقيق يقال صدقني فعله و كتابه و فى المثل صدقني سن بكره و صدق فى القتال اذا و فى حقه و فعل على ما يجب و كما يجب (الا و ان الخير) أى أصحابه (كله) أى جميع أصنافه (بحذافيره) أى بجوانبه و أطرافه (فى الجنة الا و ان الشر كله بحذافيره فى النار) الظاهر ان كلا من المعطوف و المعطوف عليه أتى بحرف التنبيه اشارة الى استقلال كل من الجملتين خلافا لما سبق عن الطيبي رحمه الله فتدبر (الا فاعملوا) أى الخير (و أنتم من الله على حذر) أى على خوف من وقوع شر (و اعلموا انكم معروضون على أعمالكم) قال الطيبي رحمه الله أى الاعمال معروضة عليكم من باب القلب كقولهم عرضت الناقة على الحوض انتهى و الاظهر ان معناه مقابلون بافعالكم مجزيون على أعمالكم كعرض العسكر على الامير و منه قوله تعالى يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية على انها تحتمل أن تكون على للعلة كما قال تعالى و لتكبروا الله على ما هداكم أو التركيب من قبيل علفت ماء و تبنا و التقدير معرضون على مجازون على أعمالكم ان كان خيرا فخير أو كان شرا فشر (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) أى جزاءه فى احدى الدارين (و من يعمل مثقال ذرة شرا يره) قال السيوطي رحمه الله الذرة النمل الاحمر الصغير و سئل ثعلب عنها فقال ان مائة نملة وزن حبة و قيل الذرة ليس لها وزن و يراد بها ما يرى فى شعاع الشمس الداخل فى الكوة النافذة (رواه الشافعي ★ و عن شداد) بتشديد الدال الاولى أى ابن أوس (قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول أيها الناس ان الدنيا عرض حاضر يأكل منها) أى من الدنيا و يتمتع بها (البر و الفاجر) أى المؤمن و الكافر (و ان الآخرة وعد) أى موعود (صادق) أى واقع غير كاذب فى مختصر الطيبي رحمه الله وصف الوعد بالصدق على الاسناد المجازي أى صادق وعده أى فى وعده (يحكم فيها) أى يقضي فى الآخرة (ملك) أى سلطان (عادل) أى غير ظالم (قادر) أى غير عاجز (يحق الحق) أى يثبت و يعين (و يبطل) أى يزهق (الباطل) و المعنى يميز بين أهليهما و يفصل بينهما بالثواب و العقاب (كونوا من أبناء الآخرة و لاتكونوا من أبناء الدنيا فان كل أم يتبعها ولدها) فكان الدنيا الباطلة مقرها النار و بئس القرار و الآخرة الحقة محلها الجنة فنعم الدار ★(و عن أبي الدرداء قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم ما طلعت الشمس الا و بجنبتيها ملكان يناديان يسمعان الخلائق غير الثقلين يا أيها الناس هلموا الى ربكم ما قل و كفى خير مما كثر و الهى رواهما أبو نعيم فى الحلية

✦ و عن أبى هريرة يبلغ به قال اذا مات الميت قالت الملائكة ما قدم

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما طلعت الشمس الا و بجنبتيها) بفتح الجيم و النون و يسكن و فتح الموحدة و سكون التحتية تثنية الجنبة و هى الناحية ففى المقدمة انها بالتحريك و فى القاموس الجنب و الجانب و الجنبة محركة شق الانسان و غيره و جانبتا الانف و جنبتاه و يحرك جنباه قال الطيبى رحمه الله الواو للحال و الاستثناء مفرغ من أعم عام الاحوال و قوله (ملكان) يجوز أن يكون فاعل الجار و المجرور على رأى أو مبتدأ و الجار و المجرور خبره انتهى و قوله (يناديان) حال أو استئناف أو صفة لقوله ملكان و قوله (يسمعان الخلائق غير الثقلين) بدل مما قبله أو حال من ضميره أو بيان بعد بيان و الظاهر حمل الاسماع للخليقة على الحقيقة ثم لعل السر لعدم اسماع الثقلين ان لا يرتفع التكاليف بمعاينة الغيب كما حقق فى قوله عليه الصلاة والسلام لو لا ان تدافعوا لدعوت الله ان يسمعكم من عذاب القبر فان قلت فما فائدة النداء لغيرهما مع انهما هما المحتاجان للتنبيه عن غفلة الانباء قلت فائدته ان يخبر الصادق المصدق بقوله ناقلا عما سمع بنفسه أو بما أخبر به الحق المطلق (يا أيها الناس هلموا) أى تعالوا (الى ربكم) أى أمره و حكمه أو انقطعوا اليه من غيره كما قال تعالى ففروا الى الله و تبتل اليه تبتيلا (ما قل) أى من المال و ما موصولة (و كفى) أى فى أمر الدنيا و زاد العقبى (خير مما كثر) أى من المال (و الهى) أى شغل عن المولى و حسن الحال و تحسين المآل و قال الطيبى رحمه الله يجوز أن يكون الأسماع على الحقيقة و أن يكون على التنبيه عن الغفلة مجازا فمعنى يسمعان الخلائق غير الثقلين انهما يقصدان بالاسماع الثقلين فيسمعان غيرهما ثم خص من الثقلين الانسان بقوله يا أيها الناس تنبيها على تماديهم فى الغفلة و انهما كهم فى الحرص و جمع حطام الدنيا حتى ألهاهم ذلك عن الاقبال الى ذكر الله تعالى و عبادته فقيل لهم الى كم هذه الغفلة و الاعراض عن ذكر الله هلموا الى طاعة ربكم ما قل من المال و يكفيكم و لا يلهيكم خير مما كثر و الهى سمع هذا النداء من ألقى السمع و هو شهيد أولئك هم الذين أشار الله بذكرهم و رفع من منزلتهم فى قوله لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله الآية و معنى اسماع غير المكلفين كونها مسبحة لله منقادة لما يراد منها و ان من شئ الا يسبح بحمده انتهى و لا يخفى أن صحة كلامه يحتاج الى أن يقال التقدير غير عامة الثقلين و الله تعالى أعلم (رواهما) أى الحديثين (أبو نعيم فى الحلية) و قد روى ابن حبان الاول فى صحيحه ✦(و عن أبى هريرة يبلغ) بفتح الياء (به) و الباء للتعدية و المعنى يرفع مرويه الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (قال اذا مات الميت) قال الطيبى رحمه الله هو من باب المجاز باعتبار ما يؤل فان الميت لا يموت بل الحى هو الذى يموت قلت الا الحى الذى لا يموت و فى الكشاف عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اذا أراد أحدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض و تضل الضالة فسمى المشارف للمرض و الضلال مريضا و ضالة و على هذا يسمى المشارف للموت ميتا قلت و منه قوله تعالى انك ميت و انهم ميتون و مآل القولين واحد و انما الخلاف باعتبار النظر فى أول أمره أو آخر حاله كنظر الصوفية فى أمر السابقة و اللاحقة و الاولى هى الاولى (قالت) و فى رواية الجامع تقول (الملائكة ما قدم)

و قال بنو آدم ما خلف رواه البيهقى فى شعب الايمان ★ و عن مالك ان لقمان قال لابنه يا بنى ان الناس قد تطاول عليهم ما يوعدون و هم الى الآخرة سراعا يذهبون و أنك قد استدبرت الدنيا منذ كنت و استقبلت الآخرة و ان دارا تسير اليها أقرب اليك من دار تخرج منها رواه رزين ★ و عن عبدالله بن عمرو قال قيل لرسول الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم أى الناس أفضل قال كل مخموم القلب صدوق اللسان قالوا صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب قال هو النقى التقى لا اثم عليه و لابغى و لاغل و لاحسد

بتشديد الدال أى من الاعمال (و قال بنو آدم) و فى رواية الجامع و يقول الناس (ما خلف) بتشديد اللام أى أخر من الاموال قال الطيبى رحمه الله تعالى و فائدته اهتمام شأن الملائكة بالاعمال أى ما قدم من عمل حتى يثاب به أو يعاقب عليه و اهتمام الوارث بماله ليرثوه (رواه البيهقى فى شعب الايمان ★ و عن مالك) أى ابن أنس (ان لقمان قال لابنه يا بنى) بتشديد الياء المفتوحة و تكسر على صيغة التصغير للشفقة (ان الناس) أى من عهد آدم الى يومنا هذا (قد تطاول) أى بعد (عليهم ما يوعدون) أى من البعث و الحساب و ما بعدهما من الثواب و العقاب و قال الطيبى رحمه الله أى طال عليهم مدة ما وعدوا به (و هم الى الآخرة سراعا) أى مسرعين حال من المبتدأ أو من ضمير الخبر و هو قوله (يذهبون) قدم اهتماما و الجملة حال من ضمير ما يوعدون و المعنى تطاول على الناس بعد الوعد و قرب العهد و الحال أنهم كل ساعة بل كل نفس يذهبون الى ما يوعدون كالقافلة السيارة لكنهم لايحسون كالسكان فى الفلك المشحون ثم بين هذا المعنى بقوله (و انك) أى أيها الولد و أريد به خطاب العامة الشامل لنفسه و غيره (قد استدبرت) أى أنت (الدنيا) أى ساعة فساعة (مذ كنت) أى وجدت و ولدت (و استقبلت الآخرة) أى نفسا فنفسا من غير اختيار لك فى هذا المسير من المبدا و المصير ثم أوضح له القصة بطريق الحكمة حيث بين الدارين المعنويتين بالدارين المحسوستين فقال (و ان دارا تسير اليها قرب اليك من دار تخرج منها) و المقصود من هذه الموعظة دفع الغفلة عن أمر الآخرة (رواه رزين ★ و عن عبدالله بن عمرو) بالواو (قال قيل لرسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم أى الناس أفضل قال كل مخموم القلب) بالخاء المعجمة أى سليم القلب لقوله تعالى الا من أتى الله بقلب سليم من خممت البيت اذا كنسته على ما فى القاموس و غيره فالمعنى أن يكون قلبه مكنوسا من غبار الاغيار و منظفا من أخلاق الاقذار (صدوق اللسان) بالجر أى كل مبالغ للصدق فى لسانه فيحصل به المطابقة بين تخمين لسانه و بيانه فيخرج عن كونه منافقا أو مرائيا مخالفا (قالوا صدوق اللسان) بالجر على الحكاية و يجوز رفعه على اعراب الابتدائية و الخبر قوله (نعرفه فما مخموم القلب قال هو النقى) أى نقى القلب و ظاهر الباطن عن محبة غير المولى (التقى) أى المجتنب عن خطور السوى (لا اثم عليه) فانه محفوظ و بالغفران محظوظ و بعين العناية ملحوظ و من المعلوم أن لا لنفى الجنس فقوله (و لابغى) أى لاظلم له (و لاغل) أى لاحقد (و لاحسد) أى لاتمنى زوال نعمة الغير من باب التخصيص و التعميم على سبيل التكميل و التتميم لئلا يتوهم اختصاص الاثم بحق الله فصرح بانه لامطالبة عليه لا من الخلق و لا من جهة الخالق و الله تعالى أعلم بالحقائق قال الطيبى رحمه الله الجواب ينظر الى قوله تعالى أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى أى اخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب و فتنه اذا أذا به فخلص ابريزه من خبثه و نقاه و عن عمر

رواه ابن ماجه و البیهقی فی شعب الایمان ★ و عنه ان رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم قال أربع اذا کن فیک فلا علیک ما فاتک الدنیا حفظ أمانة و صدق حدیث و حسن خلیقة و عفة فی طعمة رواه أحمد و البیهقی فی شعب الایمان ★ و عن مالک قال بلغنی انه قیل للقمان الحکیم ما بلغ بک ما نری یعنی الفضل قال صدق الحدیث و اداء الامانة و ترک ما لایعنینی رواه فی الموطأ ★ وعن أبی هریرة قال قال رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وسلم تجیء الاعمال فتجیء الصلاة فتقول یا رب أنا الصلاة فیقول انک علی خیر فتجیء الصدقة فتقول یا رب أنا الصدقة فیقول انک علی خیر ثم یجیء الصیام

رضی‌الله تعالی عنه أذهب الشهوات عنها (رواه ابن ماجه و البیهقی فی شعب الایمان ★ و عنه) أی عن ابن عمرو (ان رسول‌الله صلی‌الله‌تعالی‌علیه‌وسلم قال أربع) أی من الخصال (اذا کن فیک) أی وجدن فی وجودك ظاهرا و باطنا (فلا علیک) أی لا بأس (ما فاتک الدنیا) و فی الجامع ما فاتک من الدنیا قال الطیبی رحمه الله یحتمل أن تکون مامصدریة و الوقت مقدر أی لا بأس علیه وقت فوت الدنیا أن حصلت لک هذه الخلال وان تکون نافیة أی لا بأس علیک لانه لم‌تفتک الدنیا ان حصلت لک هذه الخصال انتهی و الاول أظهر کما لایخفی (حفظ أمانة) یشمل امانة الاموال و الاعمال (و صدق حدیث) یعم الاقوال (و حسن خلیقة) أی خلق و التعبیر بها أشارة الی الحسن الجبلی لا التکلفی و التصنعی فی الاحوال (و عفة فی طعمة) بضم الطاء مع تنوین التاء أی احتراز من الحرام و احتفاظ علی الحلال (رواه أحمد و البیهقی فی شعب الایمان) و لفظ الجامع صدق الحدیث و حفظ الامانة وحسن الخلق و عفة مطعم رواه أحمد و الطبرنی و الحاکم و البیهقی عن ابن عمر بلا واو و الطبرانی عن ابن عمرو بالواو و ابن عدی و ابن عساکر عن ابن عباس ★ (و عن مالک) أی الامام (قال بلغنی انه قیل للقمان الحکیم ما بلغ بک ما نری یعنی الفضل) یحتمل أن یکون من کلام مالک أو غیره تفسیرا و المعنی یرید لقمان بما الموصولة فی قوله ما نری الفضل و أما ما الاولی فهی استفهامیة و المعنی أی شیء أوصلک هذه المرتبة التی نراها فیک من الفضیلة الزائدة علی غیرك (قال صدق الحدیث) أی ملازمة صدق الحدیث قولا و نقلا (و أداء الامانة) أی مالا و فعلا (و ترک ما لایعنینی) أی ما لاینفعنی حالا و مآلا (رواه) أی مالک (فی الموطأ) أی عن مالک و قد تقدم بحث ذلک ★ (و عن أبی هریرة رضی‌الله تعالی عنه قال قال رسول‌الله صلی‌الله علیه‌وسلم تجیء) بالتأنیث و یجوز تذکیره أی تأتی (الاعمال) أی مجسمة لتحتج لصاحبها و تشفع لمراعیها أو تخاصم لمخالفیها و تارکیها (فتجیء الصلاة فتقول) أی بلسان القال و یمکن أن یکون بلسان الحال و ان المراد بالمجیء ظهور أثر الاعمال و نتیجة الافعال فی المآل (فتقول یا رب أنا الصلاة) أی المبدوءة فی کتابک عن جمیع الاعمال حیث قلت الا المصلین الذین هم علی صلاتهم دائمون و المختومة منها بقولک و الذین هم علی صلاتهم یحافظون أولئک فی جنات مکرمون و قیل التقدیر انا المعروفة المشهورة بالفضل و المزیة کما یقال أنا العالم و منه قول القائل ★أنا أبو النجم و شعری شعری ★ و قال الطیبی رحمه الله أی ان لی مرتبة الشفاعة لانی عماد الدین (فیقول) أی الرب (انک علی خیر) و هذا رد لها علی ألطف وجه أی أنت ثابتة مستقرة علی خیر کقوله تعالی أولئک علی هدی و لکن لست بمستقلة فیها و لا کافیة فی الاحتجاج و علی هذا المنوال سائر الاعمال من الصدقة و الصیام و بقیة الافعال (فتجیء الصدقة فتقول یا رب أنا الصدقة فیقول انک علی خیر ثم یجیء الصیام) و لعل وجه

فيقول يا رب أنا الصيام فيقول انک على خير ثم تجيء الاعمال على ذلک يقول الله تعالى انک على خير ثم يجيء الاسلام فيقول يا رب أنت السلام و أنا الاسلام فيقول الله تعالى انک على خير بک اليوم آخذ و بک أعطى قال الله تعالى فى كتابه و من يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه و هو فى الآخرة من الخاسرين ★ و عن عائشة قالت كان لنا ستر فيه تماثيل طير فقال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يا عائشة حوليه فانى اذا رأيته ذكرت الدنيا ★ و عن أبى أيوب الانصاري قال جاء رجل الى النبى صلى‌الله‌عليه‌وسلم فقال عظنى و أوجز فقال اذا قمت فى صلاتک فصل صلاة مودع و لاتكلم بكلام تعذر منه غدا

تاخيره عن الصدقة فى العقبى تاخير وجوبه عنها فى الدنيا (فيقول يا رب أنا الصيام فيقول انک على خير ثم تجيء الاعمال) أى سائرها من الحج و الجهاد و طلب العلم و نحوها (على ذلک) أى على هذا المنوال متفقة على هذا المقال (يقول) استئناف أو حال و كان مقتضى الظاهر فيقول (الله تعالى) و فى نسخة صحيحة عزوجل (انک) أى أيها العمل (على خير ثم يجيء الاسلام) أى الانقياد الباطن الموجب للانقياد الظاهر المعبر عنه بالايمان و على ترادفهما أصحاب الايقان و أرباب الاتقان (فيقول يا رب أنت السلام و أنا الاسلام) أى و بيننا مناسبة الاشتقاق الاسمية المعتبرة عند العلماء الرسمية و الوسمية كما حقق فى حديث الرحم شجنة من الرحمن فان المقتضى بذلک ان القائم بى يدخل دارك دار السلام (فيقول الله تعالى انک على خير) أى خير عظيم لاشتمالک على دين وسيم (بک اليوم آخذ) بصيغة المتكلم أى آخذ بک من‌أؤاخذه بالعقوبة (و بک أعطى) أى من أسامحه بالمثوبة فانک أنت الاصل المدار عليک أمر الطاعة و المعصية (قال الله تعالى فى كتابه و من يبتغ غير الاسلام دينا فلن‌يقبل منه و هو فى الآخرة من الخاسرين) و فيه أشارة لطيفة متضمنة لبشارة شريفة و هى ان من مات على الاسلام ليس من الخاسرين أبدا بل من المفلحين الناجين مآلا ومنالا و ان أمر الطاعة والعبادة مع قوة الاسلام يرجى فيما المسامحة نسأل الله العفو و العافية و نعوذ بالله من درك الهاوية ★ (و عن عائشة رضى‌الله تعالى عنها قالت كان لنا ستر) بكسر السين أى شئى يستر به الجدار أو باب الدار (فيه تماثيل طير) أى تصاوير طيور أو طير (فقال رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم يا عائشة حوليه) أى غيريه بتبديله أو تنقيله (فانى اذا رأيته ذكرت الدنيا) و فى هذا التعليل دليل على ان الصور كانت صغيرة جدا أو قبل العلم بتحريم التصوير و امتناع دخول ملائكة الرحمة فى مكانه مع الايماء الى ان رؤيته أسباب يتنعم بها الاغنياء مما تذهب بحلاوة قلوب الفقراء و قال تعالى لاتمدن عينک الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه و رزق ربک خير و أبقى ★ (و عن ابى أيوب الانصارى قال جاء رجل الى النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم فقال عظنى و أوجز) أى اختصر و على المهم اقتصر (فقال اذا قمت) أى شرعت (فى صلاتک فصل صلاة مودع) بكسر الدال المشددة أى مودع لما سوى الله بالاستغراق فى مناجاة مولاه أو المعنى صل صلاة من يودع الصلاة و منه حجة الوداع أى أجعل صلاتک آخر الصلاة فرضا فحسن خاتمة عملک و أقصر طول أملک لاحتمال قرب أجلک و قال الطيبى رحمه الله أى فأقبل على الله بشراشرك و ودع غيرك لمناجاة ربک (و لاتكلم) بحذف أحدى التائين و فى نسخة باثباتهما أى لاتتحدث (بكلام تعذر) بفتح التاء و كسر الذال أى تحتاج أن تعتذر (منه) أى من أجل ذلک الكلام (غدا) أى يوم القيامة وهو المعنى بقوله

و أجمع الاياس مما فى أيدى الناس ★ و عن معاذ بن جبل قال لما بعثه رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم الى اليمن خرج معه رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يوصيه و معاذ راكب و رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم يمشى تحت راحلته فلما فرغ قال يا معاذ انک عسى أن لاتلقانى بعد عامى هذا و لعلک أن تمر بمسجدى هذا و قبرى

بقوله من حسن اسلام المرء تركه ما لايعنيه (و أجمع الاياس) بفتح الهمزة و كسر الميم و يجوز عكسه ومنه قوله تعالى فاجمعوا كيدكم فقد قرأ أبو عمرو بوصل الهمزة وفتح الميم من جمع يجمع والباقون بقطعها والكسر من أجمع بمعنى عزم على الامر أو هما لغتان بمعنى الجمع فالمعنى أعزم على قطع الياس أو أجمع خاطرك على قصد الياس وترك الطمع (مما فى أيدى الناس) أى قناعة بالكفاية المقدرة بالقسمة المحررة المقررة فى قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا الى ان قال و أن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا و الآخرة عند ربک للمتقين و فى الحديث أشارة الى أن الاستئناس بالناس من علامة الافلاس وأن الغنى القلبى هو الاياس مما فى أيدى الناس و قال الطيبى رحمه الله أى أجمع رأيک على الياس من الناس و ضمم عليه و هو من قوله تعالى فاجمعوا كيدكم قال و الظاهر أن الاياس وقع موقع الياس سهوا من الكاتب لان الاياس مصدر آسه اذا أعطاه و ليس مصدر أيس مقلوب يئس لان مصدر المقلوب يوافق الفعل الاصلى لا المقلوب و يمكن أن يقال انه من آيس نفسه مما فى أيدى الناس ايئاسا فخفف الهمزة أى بالنقل و الحذف انتهى و فى القاموس أيس منه كسمع اياسا قنط فبطل تغلطة الرواة الحفاظ المعتمدين على ذوات الصدور لا على ما فى السطور خصوصا وقد جاء هذا الحديث من طرق متعددة مصححة على ما ذكره ميرك نقلا عن المنذرى بعد قول المؤلف (رواه أحمد) أى عن أبى أيوب و لهذا الحديث شاهد من حديث سعد بن أبى وقاص قال جاء رجل الى النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم فقال يارسول‌الله أوصنى قال عليک بالاياس مما فى أيدى الناس و اياك و الطمع فانه الفقر الحاضر و صل صلاتک و أنت مودع و أياك و ما يعتذر منه رواه الحاكم والبيهقى فى الزهد وقال الحاكم و اللفظ له صحيح الاسناد و رواه الطبرانى من حديث ابن عمر نحوه اه و من المحال اتفاق الحفاظ والاصحاب على سهو وقع من أحد الكتاب و الله تعالى أعلم بالصواب ★ (و عن معاذ بن جبل قال لما بعثه رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم) أى لما أراد أرساله قاضيا أو عاملا (الى اليمن خرج معه رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم يوصيه) بالتخفيف و يشدد (و معاذ راكب) أى بامره (و رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم يمشى تحت راحلته) أى تواضعا لله و تلطفا للمؤمنين و منه يؤخذ استحباب مشايعة الاصحاب (فلما فرغ) أى من الوصية (قال يا معاذ انک عسى أن لاتلقانى بعد عامى هذا و لعلک أن تمر بمسجدى هذا و قبرى) أى مع قبرى على ان الواو بمعنى مع ذكره الطيبى رحمه الله والظاهر انه عطف على مسجدى و التقدير أن تمر بمسجدى هذا و بقبرى أيضا و أبهمه لعدم ظهوره حينئذ على ما لايخفى ثم أعلم ان عسى معناه الترجى فى المحبوب و الاشفاق فى المكروه و قد اجتمعا فى قوله تعالى عسى أن تكرهوا شيأ و هو خير لكم و عسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم و أما لعل فمعناه التوقع و هو ترجى المحبوب و الاشفاق من المكروه نحو لعل الحبيب واصل و لعل الرقيب حاصل و يختص بالممكن بخلاف ليت فانه يستعمل فى المحال نحو ليت الشباب يعود فاستعمال عسى و لعل فى الحديث بالمعنيين الاخيرين على ماهو الظاهر المتبادر ثم فى المغنى يقترن خبر لعل بان كثيرا حملا على عسى كقوله

فبكى معاذ جشعا لفراق رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم ثم التفت فاقبل بوجهه نحو المدينة فقال ان أولى الناس بي المتقون من كانوا و حيث كانوا روى الاحاديث الاربعة أحمد ★ و عن ابن مسعود قال تلا رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام

لعلك يوما أن تلم ملمة ★ عليك من اللائى يدعنك أجدعا

و قال الطيبى رحمه الله استعمال لعل على الحقيقة لكونه صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم راغبا للقاء الله تعالى وأدخل أن فى الخبر تشبيها للعل بعسى تلويحا الى قوله عزوجل عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا (فبكى معاذ جشعا) بفتح الجيم و الشين المعجمة أى جزعا و فزعا فى النهاية الجشع الجزع لفراق الالف فقوله (لفراق رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم) للتأكيد أو للتجريد (ثم التفت) أى رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم عن معاذ (فاقبل بوجهه نحو المدينة) تفسير للالتفات و لعل وجه الالتفات بادارة وجهه الشريف عن معاذ لئلا يرى بكاه و يصيره سببا لبكاه عليه‌الصلاة والسلام و يشتد الحزن فى ذلك المقام مع الايماء بانه لابد من المفارقة فى الدنيا و المواجهة فى العقبى فسلاه فعلا و وصاه قولا حيث بين فيه انك تفارقنى و تفارق المدينة و ترى المدينة و لاترانى و أشار الى أن مجمع الانبياء و الاتقياء فى دار البقاء (فقال ان أولى الناس بي) أى بشفاعتى أو أقرب الناس الى منزلتى (المتقون من كانوا) جمع باعتبار معنى من و المعنى كائنا من كان عربيا أو عجميا أبيض أو أسود شريفا أو وضيعا (و حيث كانوا) أى سواء كانوا بمكة و المدينة أو باليمن و الكوفة و البصرة فسره فانظر الى رتبة أويس القرنى باليمن على كمال التقوى و حالة جماعة من أكابر الحرمين الشريفين من حرمان المنزلة الزلفى بل من ايصال ضررهم اليه صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم حتى من بعض ذوى القربى و حاصله أنه لايضرك بعدك الصورى عنى مع وجود قربك المعنوى بى فان‌العبرة بالتقوى كما يستفاد من اطلاق قوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم من غير اختصاص بمكان أو زمان أو نوع انسان ففيه تحريض على مراعاة التقوى المناسبة للوصية عند المفارقة الصغرى و الكبرى و قد قال تعالى و لقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم و اياكم ان اتقوا الله مع ما فيه من التسلية لبقية الامة الذين لم‌يدركوا زمن الحضرة و مكان الخدمة هذا الذى سنح لى فى هذا المقام من حل الكلام على ظهور المرام و قال الطيبى رحمه الله لعل الالتفات كان تسليا لمعاذ بعد ما نعى نفسه اليه يعنى اذا رجعت الى المدينة بعدى فاقتد باولى الناس بي و هم المتقون و كنى به عن أبى بكر الصديق و نحوه حديث جبير بن مطعم ان امرأة أتت النبى صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم فكلمته فى شئ فامرها أن ترجع اليه فقالت يا رسول‌الله أرأيت ان جئت و لم أجدك كانها تريد الموت قلت و الذى ظن أنه المراد خلاف الادب على ما هو المتبادر بل الظاهر أنها تريد عدم وجوده فى المدينة أو البيت قال فان لم تجدينى فاتى أبا بكر قال و فيه دليل على أنه رضى‌الله‌عنه خليفة رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم بعده و قائم مقامه قلت لما لم‌يكن صريحا فى المدعى لاحتمال أن القضية تتعلق بابى بكر رضى‌الله‌تعالى‌عنه صرح العلماء بانه لانص فى أمر الخلافة لا على الصديق و لا على المرتضى (روى الاحاديث الاربعة أحمد) أى فى مسنده و أقل مراتب أسانيده أنه حسن ★(و عن ابن مسعود قال تلا) أى قرأ (رسول‌الله صلى‌الله‌تعالى‌عليه‌وسلم فمن يرد الله أن يهديه) أى هديه الخاص الموصل الى مقام الاختصاص (يشرح صدره) أى يوسع قلبه (للاسلام) أى لشرائعه على سبيل الاخلاص قال الطيبى رحمه الله

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل الصدر انفسح فقيل يا رسول الله هل لتلك من علم يعرف به قال نعم التجافي من دار الغرور و الانابة الى دار الخلود و الاستعداد للموت قبل نزوله
✱ و عن أبي هريرة و أبي خلاد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيتم العبد يعطى زهدا في الدنيا و قلة منطق فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة رواهما البيهقي في شعب الايمان

أي يلطف به و يقذف النون (١) فيه حتى يرغب في الاسلام و تسكن اليه نفسه و يحب الدخول فيه قلت هذا معنى صحيح في نفس الامر لكنه غير ملائم لما سيجيء في تفسير شرح الصدر (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان النور) أي نور الهداية (اذا دخل الصدر انفسح) أي انشرح و توسع بحيث يسعه قبول جميع شرائع الاسلام و يحلو في مذاقه مرارة ما قدره و قضاه من الاحكام و هذا القلب في الحقيقة عرش الرب الذي عبر عنه بالحديث القدسي لايسعني أرضي و لاسمائي و لكن يسعني قلب عبدي المؤمن لان السفليات و العلويات ليس لهن قابلية ادراك الكليات و الجزئيات المتعلقة بالذات و الصفات و لهذا قال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات و الارض و الجبال الآيات و هذا فيمن شرح الله صدره و أراد هدايته بخلاف غيره ممن يرد الله غوايته كما أخبر عنه بقوله و من يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء (فقيل يارسول الله هل لتلك) أي الخصلة كذا قيل و الصواب هل لتلك الحالة المعبر عنها بالانفساح (من علم) أي علامة و أمارة و من زائدة للمبالغة (تعرف) أي تلك الحالة و في نسخة بالتذكير نظرا الى معناها و هو الانفساح (به) أي بذلك العلم حتى نقيس حالنا عليه و نرجع عند اختلاف الآراء اليه (قال نعم) أي فيه علم بل علامات و هي (التجافي) أي المبالغة و التكلف في البعد على طريق الزهد لتحصيل السعد (من دار الغرور) أي الدنيا الغرارة السحارة الغدارة المكارة كما قال تعالى فلاتغرنكم الحياة الدنيا فانها دار العناء و الشقاء و ان كان صورتها أنها النعماء كسراب بقيعة يحسبه الظمآن أنه الماء حتى اتبعهم فيها الملوك و الامراء و الاغنياء الاغبياء (و الانابة) أي الرجوع و الميل التام (الى دار الخلود) أي دار البقاء و اللقاء (و الاستعداد للموت) أي بالتوبة و المبادرة الى العبادة و صرف الطاقة في الطاعة (قبل نزوله) أي قبل حلول الموت أو ظهور مقدماته من المرض و الهرم حيث لم يقدر حينئذ على تحصيل علم أو عمل و لا ينفعه الندم و كان هذا فذلكة لما قبله و هو العمدة لكونه علماله و ما قبله انما هو باعث بطرفيه هنالك على اقدام السالك على ذلك ✱(و عن أبي هريرة و أبي خلاد) بتشديد اللام قال المؤلف أبو خلاد رجل من من الصحابة و قال ابن عبدالبر لم أقف له على اسم و لا نسبة حديثه عند يحيى بن سعيد عن أبي فروة عن أبي خلاد قال اذا رأيتم المؤمن قد أعطى زهدا في الدنيا و قلة منطق فاقربوا منه فانه يلقى الحكمة و في رواية مثله و لكن بين أبي فروة و أبي خلاد أبو مريم و هذا أصح انتهى ففيه اشارة الى الخلاف في أن هذا الحديث منقطع أو متصل و أنه أراد برواية مثله ما ذكره المصنف بقوله (أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا رأيتم العبد يعطى زهدا) أي قلة رغبة (في الدنيا و قلة منطق) أي في اللغو و الهوى (فاقتربوا منه) أي اطلبوا القرب منه و التمسوا في مجالسته القربى الى المولى (فانه يلقى) بتشديد القاف المفتوحة و في نسخة بتخفيفها أي يلقن و يؤتى (الحكمة) أي الموعظة المطابقة للكتاب و السنة لقوله تعالى يؤتى الحكمة من يشاء و من يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا و ما يذكر الا أولوا الالباب و الحكمة في الحقيقة اتقان العلم و العمل على

(١) لعل الصواب النور

سبيل الشريعة و الطريقة و صاحبها بحكم حديث من أخلص لله أربعين صباحا أظهر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه هو العالم العامل المخلص الكامل يكون مرشدا مكملا فيجب على كل أحد أن يطلب مجالسته و يحصل محادثته قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و كونوا مع الصادقين أى قالا و حالا و قال بعض العارفين اصحبوا مع الله فان لم تطيقوا فاصحبوا مع من يصحب مع الله و علامة صحة أحواله بعد تصحيح أقواله و أفعاله ما تقدم فى الحديث السابق من علامة انشراح الصدر بحيث توثر صحبته فى جميع الامر و يزهد أصحابه فى الدنيا و توابعها من تحصيل المال و الجاه زيادة على قدر الحاجة الموصلة الى دار العقبى بل يجعلهم فارغين عن أمور الكونين على ما أشار اليه خلع النعلين غائبين عن السوى حاضرين فى حضرة المولى ذاهلين عن مراقبة الفناء واصلين الى مشاهدة البقاء حاصلين فى الجنة العاجلة على لذة اللقاء فهذا العارف حينئذ خليفة الانبياء و قائم مقام الاولياء الاصفياء رزقنا الله رؤيته و خدمته و صحبته (رواهما) أى الحديثين (البيهقى فى شعب الايمان) و الحديث الاول منهما أخرجه ابن المبارك فى الزهد و الفريابى و عبدالرزاق و ابن أبى شيبة و عبد بن حميد و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبى حاتم و ابن مردويه و البيهقى فى الاسماء و الصفات عن أبى جعفر المداينى رجل من بنى هاشم و ليس هو محمد بن على قال سئل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أى المؤمنين أكيس قال أكثرهم ذكرا للموت و أحسنهم لما بعده استعدادا قال و سئل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذه الآية فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام قالوا كيف يشرح صدره يا رسول الله قال نور يقذف فيه فينشرح له و ينفسح له قالوا فهل لذلك من أمارة يعرف بها قال الانابة الى دار الخلود و التجافى عن دار الغرور و الاستعداد للموت قبل لقاء الموت و فى رواية قبل نزول الموت و أخرج عبد بن حميد و ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام يقول يوسع قلبه للتوحيد و الايمان به و من يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا يقول شاكا كانما يصعد فى السماء يقول كما لا يستطيع ابن آدم أن يبلغ السماء فكذلك لا يقدر على أن يدخل التوحيد و الايمان قلبه حتى يدخله الله فى قلبه و للحديث فى الدر المنثور طرق كثيرة و الله تعالى أعلم

الفهرس للجزء التاسع من المرقات شرح المشكوة

بحمده تعالى تم الجزء التاسع من المرقاة شرح المشكوة و يتلوه الجزء العاشر من باب فضل الفقراء انشاء الله

